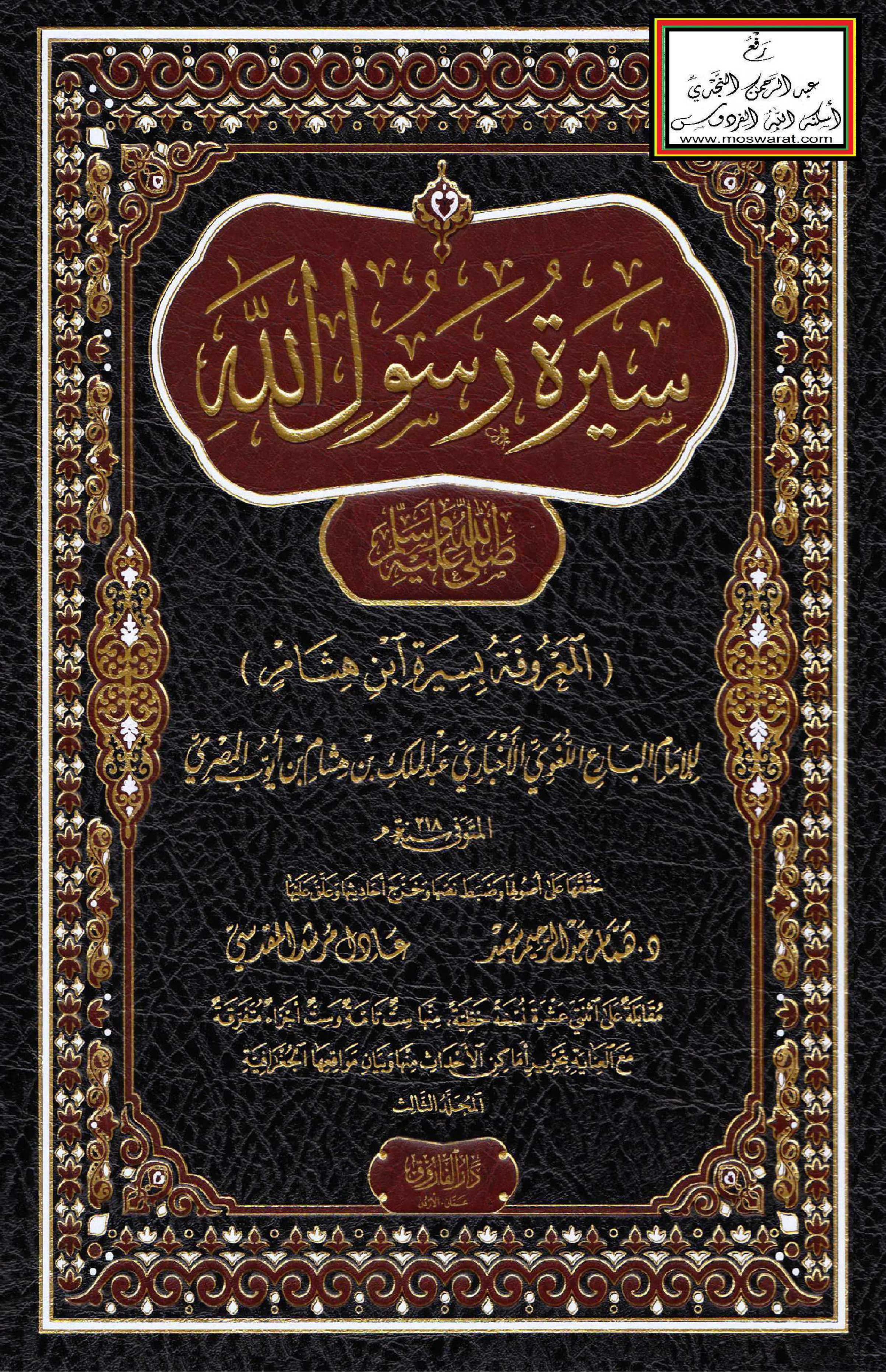
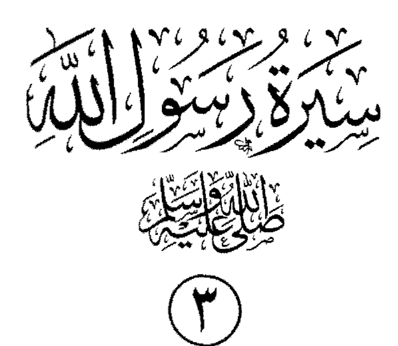

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
سيرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم
(المعروفة بسيرة ابن هشام)
للإمام البارع اللغوي الأخباري عبد الملك بن هشام بن أيوب المصري
المتوفى سنة ٢١٨ هـ
حققها على أصولها وضبط نصها وخرج أحاديثها وعلق عليها
د. همام عبد الرحيم سعيد
عادل مرشد القدسي
مقابلة على اثني عشرة نسخة خطية، منها ست تامة وست أجزاء متفرقة
مع العناية بتعريف أماكن الأحداث منها وبيان مواقعها الجغرافية
المجلد الثالث
دار الفاروق
عمّان - الأردن



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


سيرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم
٣

الطبعة الثانية

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

المملكة الأردنية الهاشمية

٢٣٩

- رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٢٢/٧/٣٤٨٥)
- المصري ، عبد الملك بن هشام بن ايوب . تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، عادل مرشد المقدسي .
- دار الفاروق للنشر والتوزيع
- الواصفات: /حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم //آل البيت//السيرة النبوية
- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

- يتحمل المحقق كامل المسؤولية القانونية والعلمية عن محتوى هذا الكتاب.
- الكتب والدراسات التي تصدرها الدار تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها.





دار الفاروق للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - العبدلي - عمارة جوهرة القدس

تلفون: ٠٠٩٦٢٦٤٦٤٠٠٦٤

E- mail: daralfarouq@yahoo.com

سيرة رسول الله ﷺ

صلى الله عليه وسلم

(المعروفة بسيرة ابن هشام)

للإمام البارع اللغوي الأخباري عبد الملك بن هشام بن أيوب المصري
المتوفى سنة ٢١٨ هـ

حققها على أصولها وضبط نصها وخرج أحاديثها وعلق عليها

د. همام عبد الرحيم سعيد   عادل مرشد المقدسي

مقابلة على اثنتي عشرة نسخة خطية، منها ست تامة وست أجزاء متفرقة
مع العناية بتحرير أماكن الأحداث منها وبيان مواقعها الجغرافية

المجلد الثالث

دار الفاروق
عمان - الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم



غزوةُ بني سُلَيم بالكُدْر

قال ابن إسحاق: فلمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ لم يُقِمْ بها إلّا سبعَ ليالٍ حتّى غَزَا بنفسه يريد بني سُلَيم.

قال ابن هشام: واستَعمَل على المدينة سِباعَ بن عُرفُطَة الغِفاريَّ أو ابنَ أمّ مَكتُوم[1].

قال ابن إسحاق: فبَلَغَ ماءً من مياههم يقال له: الكُدْرُ[2]، فأقام عليه ثلاثَ ليالٍ ثمّ رجع إلى المدينة، ولم يَلقَ كَيداً، فأقام بها بقيّةَ شوّالٍ وذا القَعْدة، وأَفدى في إقامته تلك جُلَّ الأُسارى من قُرَيش[3].

غزوةُ السَّوِيق

وبالسَّند المتقدِّم أولاً حدَّثنا عبدُ الملك بن هشام، عن زياد بن عبد الله البَكّائيِّ،

---

(١) وذكر الواقدي في «مغازيه» ١/ ١٨٤ وتلميذه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٨ أنه استخلف عليها ابنَ أم مكتوم. وذكرا أن النبيّ ﷺ خرج في هذه الغزوة بمئتي رجلٍ.

(٢) ذكر ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٨ أنه بناحية مَعدِن بني سُليم وأن بين المعدن وبين المدينة ثمانية بُرُد.

قلنا: ومعدن بني سليم يعرف اليوم بمَهْد الذهب، ويقع جنوب شرق المدينة المنوَّرة على بعد ١٨٠ كم تقريباً، واسم الكُدر بذاته غير معروف اليوم كما قال عاتق البلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢٦٢.

(٣) زاد بعد هذا في (ش١) و(ص) و(م) و(ي): يقال: أَفدَى: أخذ مالاً وأعطى رجلاً، وفادَى: أعطى رجلاً وأخذ رجلاً، وفَدَى: أعطى مالاً وأخذ رجلاً.

وفي (غ) وحاشية (ز) ولم يصحّح عليها: أفدَى وفَدَى وفادَى، فأما فادى: فأعطى رجلاً وأخذ رجلاً، وأما فَدَى: فأعطى مالاً وأخذ رجلاً، وأما أفدى: فأخذ مالاً وأعطى رجلاً. زاد في حاشية (ز): والصحيح: أفدى: أباح الفداء.

عن محمّد بن إسحاق المُطَّلِبيِّ قال[1]: ثمّ غَزَا أبو سفيانَ بن حَرْب غزوةَ السَّوِيقِ في ذي الحِجّة، ووَلِيَ تلك الحَجّةَ المشركون من تلك السَّنة، فكان أبو سفيانَ ـ كما حدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير ويزيدُ بن رُومانَ ومَن لا أتَّهِمُ عن عبد الله بن كعب بن مالكٍ، وكان من أعلمِ الأنصار ـ حين رجع إلى مكّة، ورجع فَلُّ[2] قريشٍ من بدرٍ، نَذَرَ أن لا يَمَسَّ رأسَه ماءٌ من جَنابةٍ[3] حتّى يَغزُوَ محمّداً ﷺ.

فخرج في مئَتي راكبٍ من قريشٍ ليَبَرَّ يمينُه، فسَلَكَ النَّجْديّةَ[4] حتّى نَزَلَ بصَدْر قَناةَ إلى جبل يقال له: ثَيْبٌ، من المدينة على بَريدٍ أو نحوه[5]، ثمّ خرج من اللّيل حتّى أَتى بني النَّضير تحت اللّيل، فأتى حُيَيَّ بن أخطَبَ، فضَرَبَ عليه بابَه فأَبَى أن يفتحَ بابَه له وخافَه، فانصَرَفَ عنه إلى سَلّام بن مِشكَم، وكان سيّدَ بني النَّضير في

---

(١) هذا السند من (ش١) و(غ)، ولم يُذكر في سائر النسخ، ووقع فيها غير (ز) مكانه: قال ابن هشام، وهو خطأ، فالكلام والإسناد التالي لابن إسحاق وليس لابن هشام، ووقع في (ز) على الصواب.

(٢) الفَلّ: القوم المنهزمون.

(٣) قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٥/ ٤٠٥: في هذا الحديث أن الغُسل من الجنابة كان معمولاً به في الجاهلية بقيّةً من دين إبراهيم وإسماعيل، كما بقي فيهم الحج والنكاح، ولذلك سمَّوها جنابةً وقالوا: رجل جُنُب، وقوم جُنُب، لمجانبتهم في تلك الحال البيتَ الحرام ومواضعَ قُرُباتهم.

(٤) أي: سلك الطريقَ النجدية، وهي طريق تخرج من شرق مكة وتأتي المدينة من المشرق أيضاً كما أوضح ذلك عاتق البِلادي رحمه الله في «معجم المعالم الجغرافية» ص٣١٣.

(٥) البريد عندهم يعادل ٤ فراسخ، والفَرسَخ ٣ أميال، والميل عندهم هو الميل الهاشمي ويعادل ١٨٥٠ متراً تقريباً، فهو يبعد عن المدينة قرابة ٢٢ كم، وهذا الجبل يعرف بجبل تيأَب، وهو إلى الشرق من جبل أُحد في المنطقة الشمالية من المدينة. وقناةُ: اسم الوادي الذي يمرّ به.

زمانه ذلك وصاحبَ كَنزِهم[١]، فاستأذَنَ عليه فأَذِنَ له، فقَرَاه وسَقَاه وبَطَنَ له[٢] من خَبَرِ الناس.

ثمّ خرج في عَقِبِ ليلتِه حتّى أتى أصحابَه، فبَعَثَ رجالاً من قريشٍ فأتَوْا ناحيةً من المدينة[٣] يقال لها: العُرَيضُ، فحَرَقوا في أَصوارٍ[٤] من نخلٍ بها، ووَجَدوا رجلاً من الأنصار وحَليفاً له في حَرْثٍ لهما، فقتلوهما، ثمّ انصَرَفوا راجعين ونَذِرَ بهم الناسُ[٥]، فخرج رسولُ الله ﷺ في طَلَبِهم - واستَعمَل على المدينة بشيرَ بن عبد المُنذِر وهو أبو لُبَابة فيما قال ابن هشام - حتّى بَلَغَ قَرقَرَةَ الكُدْر[٦]، ثمّ انصَرَفَ راجعاً وقد فاتَه أبو سفيانَ وأصحابُه، وقد رأَوا أزواداً من أزواد القوم قد طَرَحوها في الحَرْث يَتخفَّفُون منها للنَّجاءِ[٧]، فقال المسلمون حين رجع بهم رسولُ الله ﷺ: يا رسولَ الله، أتطمَعُ لنا أن تكون غزوةً؟ قال: «نعم»[٨].

---

(١) يعني بالكنز هنا: المال الذي كانوا يجمعونه لنوائبهم وما يَعرِض لهم.

(٢) قَرَاه، أي: صنع له القِرَى، وهو الطعام الذي يقدَّم للضيف. وبَطَن له، أي: علم له من سرِّهم وأخبارهم.

(٣) قوله: «من المدينة» من (غ)، وفي سائر النسخ مكانه: منها.

والعُريض: وادٍ بالمدينة، وهو الآن حيٌّ معروف من أحياء شرقيّ المدينة المنوَّرة.

(٤) الأصوار: جمع صَوْر، وهي الجماعة من النخل.

(٥) أي: علموا بهم فاستعدُّوا لهم.

(٦) تقدم قريباً التعريف به في غزوة بني سُليم.

(٧) النَّجاء: السرعة.

(٨) مرسل رجاله ثقات، وهو شبه الموصول، فإن عبد الله بن كعب هذا من كبار التابعين، وبعضهم يرى أنه وُلد على عهد النبي ﷺ، وقد روى عن كبار الصحابة كعمر وعثمان وغيرهما، وكان قائدَ أبيه لما عَمِيَ وهو أكبر أولاده.

قال ابن هشام: وإنّما سُمّيَت غزوةَ السَّوِيق[١] ـ فيما حدّثني أبو عُبيدة ـ: أنَّ أكثَرَ ما طَرَحَ القومُ من أزوادِهم السَّوِيقُ، فهَجَمَ المسلمون على سَويقٍ كثيرٍ، فسُمّيَت غزوةَ السَّويق.

قال ابن إسحاق: وقال أبو سفيان بن حَرْب عند مُنصَرَفِه لمَا صَنَعَ به سَلَامُ بن مِشكَمٍ:

وإنّي[٢] تَخيّرتُ المدينةَ واحداً ... لحِلفٍ فلم أندَمْ ولم أتلوَّمِ[٣]

سَقَاني فرَوّاني كُمَيتاً مُدَامةً ... على عَجَلٍ منّي سَلَامُ بن مِشكَمِ[٤]

ولمّا تَولّى الجيشُ قلتُ ولم أكُنْ ... لأُفرِحَه: أبشِرْ بعزٍّ ومَغنَمِ[٥]

تأمَّلْ فإنَّ القومَ سِرٌّ وإنَّهمْ ... صَريحُ لُؤيٍّ لا شَماطِيطُ جُرهُمِ[٦]

وما كان إلّا بعضُ ليلةِ راكبٍ ... أتى ساغِباً من غيرِ خَلّةِ مُعدِمِ[٧]

---

(١) السويق: من الأطعمة أن تُجفَّف الحنطة أو الشعير أو نحو ذلك ثم تُطحَن، فإذا أرادوا أن يأكلوها مُزجت باللَّبن والعسل والسَّمن، فإن لم يكن شيء من ذلك مُزجت بالماء، وهو في الغالب طعام المسافر.

(٢) الواو من (ش١) و(غ)، وليست في سائر النسخ، وبدونه ينخرم البيت.

(٣) المدينة، أراد: من المدينة، فحذف حرف الجر. ولم أتلوّم، أي: لم أدخل فيما أُلام عليه.

(٤) الكُميت: من أسماء الخمر، وكذا المُدامة. وسَلَام، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٢١٠: يقال: إنه أراد أن يقول: سلّام، بتشديد اللام، لكنه خفّفه لضرورة الشِّعر، ولم يذكر الدارقطنيُّ سَلَاماً بالتخفيف إلا عبد الله بن سَلَام وحده. اهـ، وذكر السهيليُّ أنه بتخفيف اللام وتشديدها.

(٥) أُفرِحه، أي: لأُثقله وأشقّ عليه.

(٦) سر القوم: خالصُهم، وكذلك الصريح منهم. والشَّماطيط: المختلطة أنسابهم.

(٧) الساغب: الجائع المُعيي، قال الخشنيُّ: ومن رواه ساعياً، فهو من السَّعي، وهو معلوم، ومن رواه شاعباً، فهو من التفرُّق. والخَلّة هنا: الحاجة والفقر.

فلمّا رجع رسولُ الله ﷺ من غزوة السَّوِيق أقام بالمدينة بقيّة ذي الحِجّة أو قريباً منها.

غزوةُ ذي أَمَرٍ

ثمّ غَزَا نجداً يريد غَطَفان، وهي غزوةُ ذي أَمَرٍ[1].

واستَعمَل على المدينة عثمانَ بن عفّانَ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فأقام بنجدٍ صَفَراً كلَّه أو قريباً من ذلك ثمّ رجع إلى المدينة[2] ولم يَلقَ كَيداً، فلَبِثَ بها شهرَ ربيعٍ الأوّلِ كلّه أو إلّا قليلاً منه[3].

(١) هكذا هو مقيَّد في نسخنا الخطية بتخفيف الراء، وكذلك هو عند ياقوت في «معجم البلدان» ١/ ٢٥٢، وقيّده البكريُّ في «معجم ما استعجم» ١/ ١٩٢ بتشديد الراء، وهو في ناحية النخيل فيما ذكر ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٣١.

قلنا: والنخيل بلدة تقع شرق المدينة المنوّرة على قرابة ١١٥ كم.

(٢) ذكر الواقدي في «مغازيه» ١/ ١٩٣، وتبعه ابن سعد: أنها كانت في النصف الثاني من ربيع الأول، وأن رسول الله ﷺ خرج في أربع مئة وخمسين رجلاً ومعهم أفراسٌ، وذلك لما بلغه أن جمعاً من غطفان قد تجمعوا بذي أَمر يريدون أن يصيبوا من أطراف المدينة، فلما دنا منهم النبي ﷺ هربوا منه فوق الجبال.

(٣) وروى الواقديُّ في «المغازي» ١/ ١٩٤-١٩٥ في هذه الغزاة عن غير واحدٍ مرسَلاً واقعةَ الأعرابي الذي استفرد بالنبيّ ﷺ وهو نائم تحت شجرة فاستلَّ سيفه وأراد قتله به وقال له: من يمنعك منّي؟ فقال له النبيُّ ﷺ: «اللهُ»، وسمّاه الواقديُّ دُعثورَ بن الحارث، وذكر أنه أسلمَ.

ونحو هذه الواقعة سترد عند ابن إسحاق في غزوة ذات الرِّقاع ص٢٤٤، وسُمّي الأعرابي فيها غورث بن الحارث، وهذا أصح، حيث روي موصولاً مسنَداً عن جابر بن عبد الله عنده وعند الشيخين في «صحيحيهما» كما سيأتي هناك.

وقد اختُلف في هذين الخبرين هل هما قصة واحدة أو اثنتان، فقال البيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ١٦٩: إن كان الواقديُّ قد حفظ ما ذكر في هذه الغزوة، فكأنهما قصتان، والله أعلم. وبنحو =

غزوةُ الفُرُع من بَحْرانَ

ثمّ غَزَا ﷺ يريدُ قريشاً[1].

واستَعمَلَ على المدينة ابنَ أُمِّ مكتومٍ، فيما قال ابنُ هشام.

قال ابن إسحاق: حتّى بَلَغَ بَحْرانَ، مَعدِناً بالحِجَاز من ناحية الفُرُع[2]، فأقام به شهرَ ربيعٍ الآخِر وجُمادَى الأولى، ثمّ رجع إلى المدينة ولم يَلقَ كَيداً.

أمرُ بني قَينُقاعَ

وقد كان فيما بين ذلك من غزوِ رسول الله ﷺ أمرُ بني قَينُقاعَ، وكان من حديث بني قَينُقاعَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ جَمَعَهم بسُوقِ بني قَينُقاعَ ثمّ قال: «يا مَعشَرَ يهودَ، احذَرُوا من الله مِثلَ ما نَزَلَ بقريشٍ من النِّقْمةِ وأَسلِموا، فإنَّكم قد عَرَفتُم أنِّي نبيٌّ مُرسَلٌ، تَجِدونَ ذلك في كتابِكم وعَهدِ اللهِ إليكم» قالوا: يا محمّدُ، إنّك تُرَى أنّا

= هذا قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٥/ ٣١٦، وابن حجر في «الإصابة» ٥/ ٣٢٩، وأما ابن سيّد الناس فقد استَظهَر في «عيون الأثر» ٢/ ٧٧ أن الخبرين واحد، وهذا هو الراجح، والله تعالى أعلم.

(١) زاد يونس بن بكير في روايته عن ابن إسحاق ص٣١٣: وبني سليم، وكذا رواه سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٨٧. أما الواقديُّ فروى في «مغازيه» ١/ ١٩٦ عن الزهريّ: أنه ﷺ أراد جمعاً من بني سليم كثيراً، ولم يذكر قريشاً، وأنه خرج في ثلاث مئة رجل من أصحابه.

(٢) كذا قيّده السهيليُّ في «الروض» والبكريُّ في «معجم ما استعجم» والقاضي عياض في «المشارق» بضمتين، وقيّده الحازمي في «الأماكن» وياقوت في «معجمه» بإسكان الراء. وهو وادٍ عظيم من أودية الحجاز، يمرّ على قرابة ١٥٠ كم جنوب المدينة المنورة، كثير العيون والنخل. أما بَحْرانُ ـ وقيّده ياقوت الحموي بضم الباء ـ فجبلٌ يقع شرق مدينة رابغ على قرابة ٩٠ كم منها.

قومُك، لا يَغُرَّنّكَ أنّك لَقِيتَ قوماً لا عِلمَ لهم بالحربِ فأصبتَ منهم فُرصةً، إنّا والله لئن حارَبْناك لتَعلَمَنَّ أنّا نحنُ الناسُ[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني مولًى لآلِ زيد بن ثابتٍ، عن سعيد بن جُبَير أو عن عِكْرمة، عن ابن عبّاسٍ قال: ما نَزَلَ هؤلاءِ الآياتُ إلّا فيهم: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ أي: أصحابِ بدرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ وقريشٍ ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران:١٢-١٣][2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنَّ بني قَينُقاعَ كانوا أوّلَ يهودَ نَقَضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحارَبُوا فيما بين بدرٍ وأُحد.

قال ابن هشام: وذكر عبدُ الله بن جعفر بن المِسوَر بن مَخرَمة، عن أبي عَوْن قال: كان أمرُ بني قَينُقاعَ أنَّ امرأةً من العرب قَدِمَت بجَلَبٍ[3] لها، فباعَتْه بسوق بني قَينُقاع، ثمّ جَلَسَت إلى صائغٍ بها، فجعَلوا يريدونَها على كَشْف وجهِها فأبَتْ، فعَمَدَ الصّائغُ إلى طَرَفِ ثوبها فعَقَدَه إلى ظهرِها، فلمّا قامت انكَشَفَت سَوْأتُها، فضَحِكوا بها فصاحت، فوَثَبَ رجلٌ من المسلمين على الصّائغ فقتله، وكان يهوديّاً، وشَدَّت

(١) هذا حديث محتمل للتحسين، وهو بالإسناد المذكور بعده، وفيه مولى آل زيد بن ثابت ـ وهو محمد بن أبي محمد ـ وهو مجهولٌ، لكن لخبره هذا شاهد مرسلٌ يتقوّى به كما تقدم بيانه ٢/ ٢٢٤.

(٢) تخريجه مع سابقه.

(٣) الجَلَب: كل ما يُجلَب إلى الأسواق ليباع فيها.

وذكر الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ١٧٦: أن هذه المرأة كانت تحت رجل من الأنصار.

اليهودُ على المسلم فقتلوه، فاستَصرَخَ أهلُ المسلمِ المسلمين على اليهود، فأُغضِبَ المسلمون، فوَقَعَ الشَّرُّ بينهم وبين بني قَينُقاع[١].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة قال: فحاصَرَهم رسولُ الله ﷺ حتّى نَزَلوا على حُكمِه، فقام إليه عبدُ الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ حين أمكَنَه اللهُ منهم فقال: يا محمّدُ، أحسِنْ في مَواليَّ؛ وكانوا حُلَفاءَ الخَزرَج، قال: فأبطَأَ عليه رسولُ الله ﷺ، فقال: يا محمّدُ، أحسِنْ في مَواليَّ، قال: فأعرَضَ عنه، قال: فأدخَلَ يدَه في جَيبِ دِرْعِ رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: وكان يقال لها: ذات الفُضُول.

قال ابن إسحاق: فقال له رسول الله ﷺ: «أَرسِلْني»، وغَضِبَ رسولُ الله ﷺ حتّى رَأَوا لوجهِه ظُلَلاً[٢]، ثمّ قال: «وَيحَكَ، أَرسِلْني» قال: لا والله لا أُرسِلُك حتّى

---

(١) خبر محتملٌ للتحسين، عبد الله بن جعفر المَخرَميُّ ليس به بأس، بصيرٌ بالمغازي، وهو من طبقة شيوخ ابن هشام، إلا أنه لم يصرِّح هنا بسماعه منه، وأبو عونٍ ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» ٩/ ٦٢ وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٩/ ٤١٤ ولم يذكرا راوياً عنه سوى عبد الله بن جعفر المَخرَمي، ونقل ابن أبي حاتم عن أبي زُرْعة أنه قال: هو مَدينيّ لا نعرفه، ثم عقَّب ابن أبي حاتم فقال: إذا لم يعرفه مثلُه فقد جعله مجهولاً. قلنا: قد روى عنه أيضاً ابنه شُرحبيل كما وقع في كتاب «الأم» للشافعي ٢/ ٦٠٤، فارتفعت عنه بذلك جهالة العين وبقيت جهالة حاله، وتبيَّن لنا من بعض الأسانيد عند الواقدي أنه مولى الصحابي المِسوَر بن مَخرَمة، وهو تابعيٌّ صغير روى عن مولاه المسور وعبد الله بن الزبير، فخبره هذا يحتمل التحسين إن شاء الله وإن كان مرسلاً.

فقد رُوِيَ نحوه عن محمد بن كعب القُرَظيّ مرسلاً أيضاً عند الواقدي في «المغازي» ١/ ١٧٦.

(٢) الظُّلَل: جمع ظُلّة، وهي السحابة في الأصل، فاستعارها هنا لتغيير الوجه إذا اشتد غضبه، ويروى: ظِلالاً، وهي بمعناها.

تُحسِنَ في مَواليَّ، أربعُ مئةِ حاسرٍ وثلاثُ مئة دارعٍ[1] قد مَنَعُوني من الأحمر والأسوَد تَحصُدُهم في غَدَاةٍ واحدةٍ! إنّي واللهِ امرُؤٌ أخشَى الدَّوائرَ[2]، قال: فقال رسول الله ﷺ: «هُمْ لكَ»[3].

قال ابن هشام: واستَعمَل رسولُ الله ﷺ على المدينة في مُحاصَرَته إيّاهم بشيرَ ابن عبد المُنذِر، وكانت محاصرتُه إيّاهم خمسَ عشرةَ ليلةً.

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاقُ بن يَسارٍ، عن عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصّامت قال: لمّا حارَبَت بنو قَينُقاعَ رسولَ الله ﷺ، تَشبَّثَ بأمرِهم عبدُ الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ وقام دونَهم، قال: ومَشَى عُبادةُ بن الصّامتِ إلى رسول الله ﷺ، وكان أحدَ بني عَوفٍ لهم من حِلْفِه مِثلُ الّذي لهم من عبد الله بن أُبيٍّ، فخَلَعَهم إلى رسول الله ﷺ وتَبرّأَ إلى الله وإلى رسوله ﷺ من حِلفِهم، وقال: يا رسولَ الله، أتولَّى اللهَ ورسولَه والمؤمنين، وأبرَأُ من حلفِ هؤلاءِ الكُفّار ومن وِلايتِهم. ففيه وفي عبد الله بن أُبيٍّ نَزَلَت القصّةُ من المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ أي: لعبد الله بن أُبيٍّ وقولِه: إنّي أخشَى الدّوائرَ ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾ ثمّ القصّةُ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ

---

(١) الحاسر: الذي لا درع له. والدارع: الذي عليه الدرع.

(٢) الدوائر، يعني: تقلّبات الزمان التي تأتي مرةً بالخير ومرةً بالشر.

(٣) مرسلٌ راويه ـ وهو عاصم ـ ثقة عالم بالمغازي.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٨٠ من طريق سلمة بن الفضل، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ١٧٤ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ وذلك لتوَلِّي عُبادةَ بن الصّامتِ اللهَ ورسولَه والّذين آمنوا، وتَبَرُّئه من بني قَينُقاعَ وحِلفِهم وولايتِهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥١-٥٦](١).

سَرِيّةُ زيد بن حارثة إلى الفَرْدة من مياه نجد

قال ابن إسحاق: وسَرِيّةُ زيد بن حارثة التي بَعَثَه رسولُ الله ﷺ فيها حين أصابَ عِيرَ قريش وفيها أبو سفيانَ بن حَرْبٍ على الفَرْدة(٢)، ماءٌ من مياه نَجْد.

---

(١) مرسلٌ رجاله ثقات، فعبادة بن الوليد من أوساط التابعين، والغالب أنه من روايته عن أبيه الوليد، لأن هذه الرواية تخصُّ أهل بيته.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٠٥ و٥٢٩، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ١٧٤-١٧٥، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٦/ ١٩١-١٩٢ من طريق يونس بن بكير، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١١٥٥، والخطيب في «تلخيص المتشابه» ص٦٠٠ من طريق محمد بن سلمة، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

فائدة: لم يذكر ابن هشام عاقبةَ أمر بني قينقاع، وقد بيَّن الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ١٧٩و١٨٠: أن النبيَّ ﷺ أمر عبادة بن الصامت ـ الذي كان حليفاً لهم قبل الإسلام ـ أن يُجلِيَهم من المدينة، وأمهلهم ثلاثاً حتى يجمعوا ما لهم من أموال، فأجلاهم عبادةُ بعد ثلاثٍ حتى خرجوا من المدينة وسلكوا طريق الشام، فلَحِقوا بأَذرِعات في الشام. وأَذرِعات: هي مدينة درعا اليوم في أقصى الجنوب السوري.

(٢) اختلفت النسخ الخطية في ضبط هذا الموضع، ففي بعضها بالفاء وفي بعضها بالقاف، وكذلك في تقييد الراء بين فتحها وسكونها، وقد ذكره الحازمي في كتابه «الأماكن» ص٧٤٥ وذكر نحو هذا الخلاف فيه، ثم قال: وإلى الآن لم يتحقَّق لي فيه شيء. فعلّق عليه محقّق الكتاب الأستاذ البارع حمد الجاسر رحمه الله فقال: لحسن الحظ فهذا الموضع الذي اختلف المتقدّمون في ضبطه ذلك الاختلاف، لا يزال معروفاً، فهو بالفاء بعدها راء ساكنة فدال فهاء، إنه رأسان بارزان من سلسلة جبال المِسْمَى، بقربهما ماءانِ يفصل بينهما منخفض رمليّ ممتدّ من =

وكان من حديثها: أنَّ قريشاً خافوا طريقَهم الّذي كانوا يَسلُكون إلى الشّام حين كان من وَقْعة بدرٍ ما كان، فسَلَكوا طريقَ العراق، فخرج منهم تجارٌ فيهم أبو سفيان ابن حربٍ ومعه فضّةٌ كثيرةٌ وهي عُظْم تِجارَتِهم، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائلٍ يقال له: فُرَاتُ بن حَيّانَ، يَدلُّهم في ذلك الطَّريق.

قال ابن هشام: فُراتُ بن حيّان من بني عِجْلٍ[1] حليفٌ لبني سَهْم.

قال ابن إسحاق: وبَعَثَ رسولُ الله ﷺ زيدَ بن حارثةَ فلَقِيَهم على ذلك الماء فأصاب تلك العِيرَ وما فيها، وأعجَزَه الرِّجالُ، فقَدِمَ بها على رسول الله ﷺ.

فقال حسّانُ بن ثابت بعدَ أُحدٍ في غزوة بدرٍ الآخرةِ يُؤنِّبُ قريشاً أخْذَهم تلك الطّريقَ[2]:

دَعُوا فَلَجاتِ الشّامِ قد حالَ دونَها جِلَادٌ كأفواهِ المَخاضِ الأَوَارِكِ[3]

بأيدي رِجالٍ هاجَرُوا نحوَ رَبِّهم وأنصارِه حَقّاً وأَيدي المَلائكِ

إذا سَلَكَت للغَورِ من بَطنِ عالجٍ[4] فقولا لها: ليس الطّريقُ هنالكِ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبياتٍ لحسّانَ بن ثابتٍ نَقَضَها عليه أبو سفيان

= صحراء النُّفود.

(١) وبنو عِجْل بطنٌ من بكر بن وائل من ربيعة بن نِزار.

(٢) انظر «ديوانه» ص٨٥.

(٣) الفلجات: جمع فَلَجٍ، وهي الأودية والأنهار الصِّغار. والجِلاد: المجالَدة في الحرب. والمخاض: الإبل الحوامل. والأَوارك: التي ترعى الأَراك، وهو شجر معروف دائم الخُضرة، وتُتَّخذ من جذوره المساويك.

(٤) في «الديوان»: إذا هبطَت حَورانَ من رَمْلِ عالجٍ. وعالج: هو المعروف اليوم بصحراء النّفود الكبير، يمر في شمال نجد قرب مدينة حائل إلى شمال تَيماء. والغَور: المنخفض من الأرض.

ابن الحارث بن عبد المُطَّلِب، وسنذكرُها ونَقِيضتَها إن شاء الله في موضعها[1].

قتلُ كعبِ بن الأشرف

قال ابن إسحاق: وقُتِلَ كعبُ بن الأشرفِ، وكان من حديث كعبِ بن الأشرف: أنّه لمّا أُصيبَ أصحابُ بدر، وقَدِمَ زيدُ بن حارثةَ إلى أهل السّافلة وعبدُ الله بن رَوَاحة إلى أهل العاليَة، بَشيرَينِ بَعَثَهما رسولُ الله ﷺ إلى مَن بالمدينة من المسلمين بفَتْحِ الله عليه وقَتْلِ مَن قُتِلَ من المشركين، كما حدّثني عبدُ الله بن المُغيثِ بن أبي بُرْدة الظَّفَريّ وعبدُ الله بن أبي بكرٍ وعاصمُ بن عمر بن قَتَادةَ وصالحُ بن أبي أُمامة بن سهلٍ ـ كلٌّ قد حدّثني بعضَ حديثه ـ قالوا: قال كعبُ بن الأشرَفِ ـ وكان رجلاً من طَيّئٍ ثمّ أحدِ بني نَبْهانَ، وكانت أُمّه من بني النَّضِير ـ حين بَلَغَه الخبرُ: أحقٌّ هذا؟ أتُرَونَ محمّداً قَتَل هؤلاءِ الّذين يُسمّي هذانِ الرّجلانِ ـ يعني زيداً وعبدَ الله بن رَوَاحة ـ فهؤلاءِ أشرافُ العرب وملوكُ النّاس، والله لَئِن كان محمّدٌ أصابَ هؤلاءِ القومَ، لَبَطنُ الأرض خيرٌ من ظهرِها.

فلمّا تَيقَّنَ عدوُّ الله الخبرَ، خرج حتّى قَدِمَ مكّةَ فنَزَلَ على المُطَّلِب بن أبي وَدَاعة ابن صُبَيرة السَّهْميّ، وعنده عاتكةُ بنتُ أبي العِيصِ بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنافٍ، فأنزلَته وأكرَمَته، وجَعَلَ يُحرِّضُ على رسول الله ﷺ ويُنشِدُ الأشعارَ ويبكي أصحابَ القَلِيب من قريشٍ الّذين أُصيبوا ببدرٍ، فقال:

طَحَنَت رَحَى بدرٍ لمُهلَكِ أهلِهِ ... ولمِثلِ بدرٍ تَستهِلُّ وتَدمَعُ[2]

---

(١) فيما سيأتي ص٢٥٢-٢٥٣.

(٢) أصل الرَّحى: الحجر الذي يُطحَن به الحبوب، ثم استُعير للحرب لأنها تطحن الرجال وتُفنيهم. ولمُهلَك أهله، أي: لإهلاكهم. وتستهل، أي: العينُ، يعني تسيل بالدمع.

قُتِلَت سَراةُ النّاسِ حولَ حِياضِهِمْ ... لا تَبعَدُوا إنَّ الملوكَ تُصرَّعُ[1]

كم قد أُصيبَ به من أبيَضَ ماجِدٍ ... ذي بَهجةٍ يأوي إليه الضُّيَّعُ[2]

طَلْقِ اليدَينِ إذا الكواكبُ أخلَفَت ... حَمّالِ أثقالٍ يَسُودُ ويَربَعُ[3]

ويقول أقوامٌ أُسَرُّ بسُخطِهِمْ ... إنَّ ابنَ أشرَفَ[4] ظَلَّ كعباً يَجزَعُ

صَدَقوا فلَيتَ الأرضَ ساعةَ قُتِّلوا ... ظَلَّت تَسُوخُ بأهلِها وتَصَدَّعُ[5]

صار الذي أثَرَ الحديثَ بطَعنِه ... أو عاشَ أعمَى مُرعَشاً لا يَسمَعُ[6]

نُبِّئتُ أنَّ بَني المغيرةِ كُلَّهم ... خَشَعوا لقتلِ أبي الحُكَيمِ وجُدِّعوا[7]

وابنا رَبيعةَ عندَه ومُنبِّهٌ ... ما نالَ مِثلَ المُهلَكِينَ تُبَّعُ[8]

---

(١) سَراة الناس: هم خيار الناس وأشرافهم. وقوله: لا تَبعَدوا، دعاء لهم بعدم البَعَد، وهو الهلاك.

(٢) الماجد: الشريف. والبهجة: حُسْن الظاهر. والضُّيَّع: جمع ضائع، وهو الفقير.

(٣) طلق اليدين، أي: كثير المعروف. وأخلفت، أي: لم يكن معها مطر، على ما كانت العرب تنسب إلى هذه الكواكب من تأثيرها في نزول المطر وغيره. ويربع، أي: يأخذ الرُّبع، أي: أنه كان رئيساً، لأن الرئيس في الجاهلية كان يأخذ ربع الغنيمة.

(٤) هكذا في (ت) و(غ)، وهو صحيح، وفي بقية النسخ: ابن الأشرف، وبه ينكسر الوزن الشعري.

(٥) تسوخ: تغوص. وتصدّعُ، أي: تتشقّق.

(٦) أثَرَ الحديث، أي: حدَّث به فأشاعه. والمُرعَش: الذي تَرعَشُ (أي: ترجف وتهتزّ) يداه ورأسه من كِبَرٍ أو مرض.

(٧) أبو الحُكيم: تصغير الحَكَم، يريد أبا جهل عمرو بن هشام بن المغيرة. وجُدِّعوا، أي: قُطعت أنوفهم، وأراد به هنا: ذهابَ عزِّهم.

(٨) هكذا في (ت) و(ص) و(م)، وفي (ز) و(ش١) و(غ) و(ي): وتُبَّعُ، بواو، ثم شُطِبت الواو من (ز)، وهو الصواب، إذ لا معنى للواو هنا سوى إقامة الوزن الشعري، فبدونها ينكسر =

نُبِّئْتُ أنَّ الحارثَ بن هشامِهِمْ ... في الناسِ يَبني الصّالحاتِ ويَجمَعُ
ليَزُورَ يَثرِبَ بالجُموعِ وإنّما ... يَحمَى على الحَسَبِ الكريمِ الأروَعُ[1]

قال ابن هشام: قولُه: تُبَّعُ، وأُسَرُّ بسُخطِهم، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه حسّانُ بن ثابتٍ فقال[2]:

أَبكاهُ كعبٌ ثمّ عُلَّ بعَبْرةٍ ... منه وعاشَ مُجدَّعاً لا يَسمَعُ[3]
ولقد رأيتُ ببَطنِ بدرٍ منهمُ ... قَتلَى تَسُحُّ لها العُيونُ وتَدمَعُ[4]
فابْكِي فقد أبكَيتَ عبداً راضِعاً ... شِبهَ الكُلَيبِ إلى الكُلَيبةِ يَتبَعُ[5]
ولقد شَفَى الرَّحمنُ منّا سيِّداً[6] ... وأهانَ قوماً قاتَلُوه وصُرِّعوا
ونَجَا وأَفلَتَ منهمُ مَن قَلبُهُ ... شَعَفٌ[7] يَظَلُّ لخَوفِه يَتصَدَّعُ

= هذا الوزن، وأما المعنى فلا يستقيم إلا بحذفها، فإنه يريد ـ والله أعلم ـ أن تبَّعاً، وهو ملك مشهور من ملوك اليمن، لم يُصِبْ في حروبه التي خاضها مثلَ هؤلاء المُهلَكين ببدرٍ في شرفهم وعلوِّ مكانتهم.

(١) الأروع: الذي يروعك بحسنه وجماله وكريم فِعاله.

(٢) انظر «ديوانه» ١/ ٤٢٦ بتحقيق وليد عرفات.

(٣) عُلَّ بعبرة، أي: كُرِّر عليه البكاء، مأخوذ من العَلَل: وهو الشرب بعد الشرب. والعَبْرة: الدمعة. ومجدَّعاً، أي: مقطوع الأُذنين.

(٤) تسحُّ: تصبّ الدمع.

(٥) الراضع: اللئيم.

(٦) أراد بالسيِّدِ النبيَّ ﷺ.

(٧) في (ش١) و(ي): شغف، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٢١٣: من رواه بالعين المهملة فمعناه: محترِق ملتهِب، ومن رواه بالغين المعجمة فمعناه: بلغ الحزنُ إلى شَغَاف قلبه، والشغاف: حِجاب القلب.

قال ابن هشام: وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرها لحسّان. وقوله: أَبكاه[1] كعبٌ، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقالت امرأةٌ من المسلمين من بني مُرَيدٍ[2]، بطنٍ من بَلِيٍّ كانوا حلفاءَ في بني أُميّة بن زيد يقال لهم: الجَعادِرةُ، تجيبُ كعباً ـ قال ابن هشام: اسمها ميمونةُ بنتُ عبد الله، قال: وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُ أبياتَها هذه لها، ويُنكِرُ نَقِيضتَها لكعب بن الأشرف ـ:

تَحــنَّنَ هــذا العبــدُ كــلَّ تَحــنُّنٍ ... يُبكِّي على قَتلَى وليس بناصبِ[3]

بَكَت عينُ مَن يَبْكي لبدرٍ وأهلِهِ ... وعُلَّــت بمِثلَيها لُــؤيُّ بــن غالــبِ[4]

فلَيــتَ الــذينَ ضُــرِّجوا بــدِمائِهم ... يَرَى ما بهم مَن كان بينَ الأخاشبِ[5]

فــيَعلَمَ حقّــاً عــن يقــينٍ ويُبصِــروا ... مَجَرَّهم فوقَ اللِّحَى والحواجبِ[6]

فأجابَها كعبُ بن الأشرف:

ألَا فازجُروا منكم سفيهاً لتَسلَموا ... عـن القـولِ يـأتي منه غيـرُ مُقـارِبِ[7]

---

(١) هكذا في (ت) و(ش١)، وهو الصواب الموافق لسائر نسخنا في أول الشعر، وفي بقية النسخ هنا: أُبكي، وبه يختلّ الوزن الشعري.

(٢) يروى بفتح الراء وكسرها، والصواب الأول.

(٣) الناصب: المُعْيي المتعَب.

(٤) عُلَّت: كُرِّرت.

(٥) ضُرجوا: لُطخوا. والأخاشب: جبال مكة.

(٦) قال الخشنيّ ص٢١٣: قوله: مجرّهم، من رواه بالجيم فهو من الجَرّ، ومن رواه بالحاء المهملة والزاي، فهو من الحَزِّ بالسيوف، وهو القطع بها.

(٧) يريد بالسفيه: ميمونة، قائلة الشعر السابق، وذكَّر لأنه حمل ذلك على معنى الشخص، =

أتشتُمُني أن كنتُ أَبكي بعَبْرةٍ ... لقومٍ أتاني وُدُّهم غيرُ كاذِبِ

فإنّي لَباكٍ ما بَقِيتُ وذاكِرٌ ... مَآثِرَ قومٍ مَجدُهم بالجَباجِبِ[1]

لَعَمْري لقد كانت مُرَيدٌ بمَعزِلٍ ... عن الشّرِّ فاختالَتْ وجوهُ الثّعالبِ[2]

فحُقَّ مُرَيدٌ أن تُجَذَّ أُنوفُهم ... بشَتمِهِم حَيَّيْ لُؤَيِّ بن غالبِ[3]

وَهَبتُ نَصِيبي من مُرَيدٍ لجَعدَرٍ ... وفاءً وبيتُ الله بينَ الأخاشبِ[4]

ثمّ رجع كعبُ بن الأشرَفِ إلى المدينة فشَبَّبَ[5] بنساءِ المسلمين حتّى آذاهم، فقال رسولُ الله ﷺ ـ كما حدّثني عبدُ الله بن المُغِيثِ بن أبي بُرْدة ـ: «مَن لي من ابنِ الأشرَفِ؟»[6] فقال له محمّدُ بن مَسلَمة أخو بني عبد الأشهَل: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتُلُه، قال: «فافعَلْ إنْ قَدَرتَ على ذلكَ». فرجع محمّدُ بن مَسلَمة فمَكَث ثلاثاً

= والشخص يذكّر ويؤنّث. والمقارِب: الشيء الوَسَط بين الجيِّد والرديء.

(١) الجباجب: منازل مكة.

(٢) هكذا في (ص) و(ي)، وفي (ت) و(غ): فاحتالت، بالحاء، وفي (ز): فاجتالت، بالجيم، وفي (ش١) بالجيم والحاء، وفي (م) بالخاء والجيم. قال أبو ذر الخشنيُّ ص٢١٤: من رواه بالجيم فمعناه: تحرَّكت، يقال: جال الشيء يجول، إذا تحرَّك ذاهباً وراجعاً، ومن رواه بالحاء المهملة فمعناه: تغيَّرت، يقال: حال الرَّبعُ والمكان، إذا تغيَّرا، ومن رواه بالخاء المعجمة فهو من الخُيَلاء: وهو الإعجاب والزَّهْو.

(٣) تُجذّ، بالذال والدال، معناهما جميعاً: تُقطَع.

(٤) أراد بجعدرٍ الأوسَ، وكانت بطون منهم تُلقَّب بالجعادر، ومُرَيدٌ من بليٍّ من قُضاعة، وكانوا حلفاء للأوس. والأخاشب: جبال مكة.

(٥) شبَّب بنساء المسلمين، أي: تغزَّل فيهن وذكرهن في شعره.

(٦) زاد في حديث جابر بن عبد الله عند البخاري (٢٥١٠) و(٤٠٣٧) ومسلم (١٨٠١): «فإنه قد آذى اللهَ ورسولَه».

لا يأكلُ ولا يشربُ إلّا ما يُعلِّقُ نفسَه[1]، فذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ، فدعاه فقال له: «لِمَ تَرَكتَ الطَّعامَ والشَّرابَ؟» قال: يا رسولَ الله، قلتُ لك قولاً لا أدري هل أفِيَنَّ لك به أم لا؟ فقال: «إنَّما عليكَ الجُهدُ» قال: يا رسول الله، إنَّه لا بُدَّ لنا من أن نقولَ[2]، قال: «فقُولُوا ما بَدَا لكم، فأنتُم في حِلٍّ من ذلكَ».

فاجتَمَعَ في قتلِه محمّدُ بن مَسلَمة، وسِلْكانُ بن سَلَامة بن وَقْشٍ، وهو أبو نائلة أحدُ بني عبد الأشهَل، وكان أخا كعبِ بن الأشرَفِ من الرَّضاعة، وعبّادُ بن بِشْر بن وَقْشٍ أحدُ بني عبد الأشهَل، والحارثُ بن أَوس بن معاذٍ أحدُ بني عبد الأشهَل، وأبو عَبْس بن جَبْرٍ أخو بني حارثة، ثمّ قدَّموا إلى عدوِّ الله كعبِ بن الأشرفِ قبلَ أن يأتُوه سِلْكانَ بن سَلَامة أبا نائلةَ، فجاءَه فتحدَّث معه ساعةً وتَناشَدوا شِعراً، وكان أبو نائلة يقول الشِّعرَ، ثمّ قال: وَيحَك يا ابنَ الأشرَفِ، إنّي قد جِئتُك لحاجةٍ أريدُ ذِكرَها لك، فاكتُمْ عنّي، قال: أفعَلُ، قال: كان قُدومُ هذا الرّجلِ علينا بلاءً من البلاءِ عادَتْنا به العربُ، ورَمَوْنا عن قوسٍ واحدةٍ، وقُطِعَت عنّا السُّبُلُ حتّى ضاع العِيالُ وجُهِدَت الأنفُسُ، وأصبَحْنا قد جُهِدْنا وجُهِدَ عيالُنا، فقال كعبٌ: أنا ابنُ الأشرفِ، أمَا والله لقد كنتُ أُخبِرُك يا ابنَ سَلَامةَ أنَّ الأمرَ سيصيرُ إلى ما أقولُ، فقال له سِلْكانُ: إنّي قد أردتُ أن تَبيعَنا طعاماً ونَرهَنَك ونُوثِّقَ لك، وتُحسِنَ في ذلك، فقال: أترهَنُوني أبناءَكم؟ قال: لقد أردتَ أن تَفضَحَنا؟! إنَّ معي أصحاباً لي على مِثْل رأيي، وقد أردتُ أن آتيَكَ بهم فتبيعَهم وتُحسِنَ في ذلك، ونَرهَنَك من الحَلْقة[3] ما فيه وفاءٌ؛ وأرادَ سِلْكانُ أن لا يُنكِرَ السِّلاحَ إذا جاؤوا بها، قال: إنَّ في الحَلْقةِ لوَفاءً، قال: فرجع

(١) في (ش١) و(غ): به نفسه.

(٢) يعني شيئاً يَشكُون به النبيَّ ﷺ ويَعِيبون دينه.

(٣) الحَلْقة هنا: السلاح كله، وأصله في الدُّروع، ثم سُمّي السلاح كله حَلْقة.

سِلكانُ إلى أصحابه فأخبرهم خبرَه، وأمَرَهم أن يأخذوا السّلاحَ ثمّ يَنطلِقوا فيَجتمِعوا إليه، فاجتَمَعُوا عند رسول الله ﷺ[1].

قال ابن هشام: ويقال: قال: أترهَنُوني نساءَكم؟ قال: كيف نَرهَنُك نساءَنا وأنت أَشَبُّ أهلِ يَثرِبَ وأعطَرُهم؟! قال: أترهَنُوني أبناءَكم؟

قال ابن إسحاق: فحدّثني ثَورُ بن زيدٍ، عن عِكْرمة، عن ابن عبّاس قال: مشى معهم رسولُ الله ﷺ إلى بَقيعِ الغَرقَد، ثمّ وَجَّهَهم ثمّ قال: «انطَلِقُوا على اسمِ الله، اللّهمَّ أعِنْهم»، ثمّ رجع رسولُ الله ﷺ إلى بيته وهو في ليلةٍ مُقمِرةٍ.

وأقبَلُوا حتّى انتَهَوا إلى حِصْنِه، فهَتَفَ به أبو نائلةَ، وكان حديثَ عهدٍ بعُرسٍ، فوَثَبَ في مِلحَفةٍ فأخذَت امرأتُه بناحيَتِها، وقالت: إنّك امرُؤٌ مُحارِبٌ وإنَّ أصحابَ الحرب لا يَنزِلُون في هذه السّاعة، قال: إنَّه أبو نائلة، لو وَجَدَني نائماً ما أيقَظَني، فقالت: والله إنّي لَأعرِفُ في صوته الشّرَّ، قال: يقول لها كعبٌ: لو يُدعَى الفتى لطَعنةٍ لَأجاب.

---

(١) هكذا في نسخنا الخطية، ثم ضَرَبَ في (ص) على عبارة «رسول الله ﷺ» وزاد الهاء بعد كلمة عند، فصارت: عنده، وكأنه أراد كعباً!

أما خبر مقتل كعب بن الأشرف، فإلى هنا هو من رواية عبد الله بن مُغِيث، وهذا أنصاريٌّ من بني ظَفَر، روى عنه غير واحد وذكره البخاري في «التاريخ الكبير» ٥/ ٢٠١ وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٥/ ١٧٤، ولم يذكرا فيه جرحاً أو تعديلاً، لكن ذكره ابن حبان في «الثقات» ٧/ ٤٣، وقال ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٣/ ٢٢٣-٢٢٤: كان عالماً، وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام» ٣/ ٦٨٣: مُقِلٌّ صدوق. قلنا: فهو حسن الحديث إن شاء الله، إلا أن روايته هنا مرسلة غير موصولة، لكن يشهد لحديثه هذا مع ما بعده من حديث ابن عباسٍ حديثُ جابر بن عبد الله في خبر قتل كعب بن الأشرف بنحو هذا السياق مطوّلاً عند البخاري (٤٠٣٧) ومسلم (١٨٠١)، فيصحُّ.

فنَزَلَ فتحدَّثَ معهم ساعةً وتحدَّثوا معه، ثمّ قالوا له: هل لك يا ابنَ الأشرَفِ أن نتماشَى إلى شِعْبِ العَجُوز فنَتحدَّثَ به بقيّةَ ليلتِنا هذه؟ قال: إن شِئتُم، فخَرَجوا يَتماشَوْن فمَشَوْا ساعةً، ثمّ إنَّ أبا نائلةَ شامَ يدَه في فَوْدِ رأسِه[1] ثمّ شَمَّ يدَه فقال: ما رأيت كاللّيلة طِيباً أعطَرَ قَطُّ، ثمّ مشى ساعةً ثمّ عاد لمِثْلِها حتّى اطمأنَّ، ثمّ مشى ساعةً ثمّ عادَ لمِثْلِها، فأَخذَ بفَوْدِ رأسه ثمّ إنَّه قال: اضرِبُوا عدوَّ الله، فضربوه فاختَلَفَت عليه أسيافُهم فلم تُغْنِ شيئاً.

قال محمّدُ بن مَسلَمة: فذكرتُ مِغوَلاً[2] في سيفي حين رأيتُ أسيافَنا لا تُغْني شيئاً، فأخذتُه وقد صاحَ عدوُّ الله صَيْحةً لم يَبقَ حولَنا حِصنٌ إلّا وقد أُوقِدَت عليه نارٌ، قال: فوَضَعتُه في ثُنَّتِه[3] ثمّ تحامَلتُ عليه حتّى بَلَغتُ عانَتَه، فوَقَعَ عدوُّ الله، وقد أُصيبَ الحارثُ بن أَوس بن معاذٍ فجُرِحَ في رأسه أو رجله، أصابه بعضُ أسيافِنا.

قال: فخرجنا حتّى سَلَكْنا على بني أُميّة بن زيدٍ ثم على بني قُرَيظة ثمّ على بُعاثَ، حتّى أسنَدْنا في حَرَّة العُرَيض[4]، وقد أبطَأَ علينا صاحبُنا الحارثُ بن أوسٍ ونَزَفَه الدَّمُ[5]، فوَقَفْنا له ساعةً ثمّ أتانا يَتبَعُ آثارَنا، قال: فاحتَمَلْناه فجِئْنا به رسولَ الله ﷺ آخِرَ اللّيل وهو قائمٌ يُصلِّي، فسَلَّمْنا عليه فخَرَجَ إلينا، فأخبرناه بقتلِ عدوِّ الله، وتَفَلَ على جُرحِ صاحبنا، ورَجَعْنا إلى أهلِنا فأصبَحْنا وقد خافَتْ يهودُ لوَقعَتِنا بعدوِّ الله،

---

(١) شام يده: أدخلها. وفَوْد الرأس: جانبه من جهة الأُذن.

(٢) المِغوَل: سكّين كبيرة.

(٣) الثُّنَّة: ما بين السُّرة والعانة.

(٤) أسندنا: ارتفعنا. والحرّة: أرض فيها حجارة سُود. وبعاث: في ناحية الشمال الشرقي من المدينة. والعُريض: وادٍ بالمدينة، وهو الآن حيٌّ معروف من أحياء شرقيّ المدينة المنوَّرة.

(٥) أي: أضعفه بكثرة سيلانه.

فليس بها يهوديٌّ إلّا وهو يَخافُ على نفسه(١).

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن مالكٍ:

فغُودِرَ منهمُ كعبٌ صَريعاً ... فذَلَّت بعدَ مَصرَعِه النَّضيرُ
على الكَفَّينِ ثَمَّ وقد عَلَتْهُ ... بأيدِينا مُشهَّرةٌ ذُكورُ(٢)
بأمرِ محمّدٍ إذ دَسَّ ليلاً ... إلى كعبٍ أخا كعبٍ يَسيرُ(٣)
فماكَرَهُ فأنزَلَه بمَكرٍ ... ومحمودٌ أخو ثِقةٍ جَسُورُ(٤)

قال ابن هشام: وهذه الأبياتُ في قصيدةٍ له في يوم بني النَّضير، سأذكرُها إن شاءَ الله في حديث ذلك اليوم(٥).

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ يذكرُ قتلَ كعبِ بن الأشرفِ وقتلَ سَلَام ابن أبي الحُقَيقِ(٦):

لله دَرُّ عِصابةٍ لاقَيتَهمْ ... يا ابنَ الحُقَيقِ وأنتَ يا ابنَ الأشرَفِ

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرج طرفاً منه الحاكم (٢٥١١) من طريق عمرو بن زرارة، عن زياد بن عبد الله البكّائي، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه كذلك أحمد (٢٣٩١) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، به.

(٢) يعني السيوف.

(٣) قوله: أخا كعب، يعني به أبا نائلة سِلكان بن سلامة، وكان أخا كعب من الرضاعة كما تقدم في أول الخبر.

(٤) لم يُذكَر في النفر الذين قتلوا كعب بن الأشرف من اسمه محمود، والظاهر أنه لقبٌ لأحدهم، والله تعالى أعلم.

(٥) ص٢٣٣.

(٦) انظر «ديوان حسان» ١/ ٢١١.

يَسْـرُونَ بـالبِيضِ الخِفـافِ إلـيكمُ ... مَرَحـاً كأُسـدٍ في عَـرينٍ مُغْـرِفِ[1]

حتّـى أتَـوكُم في مَحَـلِّ بلادِكُـمْ ... فسَـقَوكمُ حَتْفـاً ببِـيضٍ ذُفَّـفِ[2]

مُستَبصِـرينَ[3] لنَصـرِ ديـنِ نبـيِّهمْ ... مُستَصـغِرينَ لكـلِّ أمـرٍ مُجحِـفِ

قال ابن هشام: وسأذكرُ قتلَ سَلَام بن أبي الحُقَيق في موضعه إن شاءَ الله[4].

وقوله: ذُفَّف، عن غير ابن إسحاق.

أمرُ مُحيِّصة وحُوَيِّصة

قال ابن إسحاق: وقال رسولُ الله ﷺ: «مَن ظَفِرتُم به من رجالِ يهودَ فاقتُلُوه»، فوَثَبَ مُحيِّصةُ بن مسعودٍ ـ قال ابن هشام: ويقال: مُحَيْصةُ[5] بن مسعود ـ بن كعب بن عامر بن عَديّ بن مَجدَعة بن حارثة بن الحارث بن الخَزرَج بن عَمرو بن مالك بن الأَوس، على ابن سُنَينةَ ـ قال ابن هشام: ويقال: ابن سُبَينة ـ رجلٌ من تجار يهودَ كان يُلابِسُهم ويُبايِعُهم فقتله، وكان حُوَيِّصةُ بن مسعودٍ إذ ذاك لم يُسلِمْ، وكان أسنَّ من مُحيِّصةَ، فلمّا قتله جعل حُوَيِّصةُ يضربُه ويقول: أيْ عدوَّ الله، أقتلتَه؟! أما والله لَرُبَّ شَحمٍ في بَطنِك من ماله، قال مُحيِّصةُ: فقلت: والله لقد أمَرَني بقتلِه مَن لو

(١) يسرون: من السُّرى، وهو السير في الليل. والبِيض الخفاف: السيوف. ومرحاً: نشاطاً. والعرين: موضع الأسد. والمُغرِف: الأَجمة، وهي الموضع الذي يكثر فيه الشجر كالغابة.

(٢) ذُفَّف، أي: سريعة القتل، يعني السيوف، يقال: ذفَّف على الجريح، إذا أسرع قتلَه.

(٣) هكذا في (ز) و(ش١) بالباء، وهو كذلك في «الديوان»، وقيّده في (ص) و(م) بالباء والنون معاً، وفي (ت) و(ي): مستنصرين، بالنون، وفي (غ): مستبشرين، وهو كذلك في نسخة على حاشية (ز). والمُستبصِر: المُستبِين للشيء، والمُجحِف: الذي يَذهَب بالنفوس والأموال.

(٤) بعد غزوة الخندق في هذا الجزء ص٣٤٣.

(٥) في (ز): قال ابن هشام: مُحيْصة، ويقال: مُحيّصة.

أمَرَني بقتلِك لضربتُ عُنُقَك، قال: فوالله إن كان لأوّلَ إسلام حُوَيِّصةَ، قال: أوَاللهِ لو أمَرَك محمّدٌ بقَتْلي لَقتلتَني؟ قال: نعم والله، لو أمَرَني بضربِ عُنُقِك لضربتُها، قال: واللهِ إنَّ دِيناً بَلَغَ بك هذا لَعَجَبٌ؛ فأسلمَ حُوَيِّصةُ.

قال ابن إسحاق: حدّثني هذا الحديثَ مولًى لبني حارثةَ، عن ابنة مُحيِّصة، عن أبيها مُحيِّصة[1].

فقال مُحيِّصةُ في ذلك:

يَلُومُ ابنُ أُمّي لو أُمِرتُ بقتلِه ... لَطَبَّقتُ ذِفْراهُ بأبيضَ قاضِبِ[2]

حُسامٍ كلونِ المِلحِ أُخلِصَ صَقلُه ... متى ما أُصوِّبْه فليس بكاذبِ[3]

---

(١) إسناده ضعيف لجهالة المولى شيخ ابن إسحاق وجهالة ابنة محيّصة.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٩١ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه أبو داود (٣٠٠٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٢٠/ (٧٤١) ـ وعنه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٣١٨) ـ والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٢٠٠ من طرق عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، به. وقال في المولى: مولى زيد بن ثابت. قلنا: وزيدٌ من بني النجار بطن من الخزرج بن حارثة، ومولاه هذا سبقت رواية ابن إسحاق عنه مراراً، وسمّاه محمدَ بنَ أبي محمد، وهو مجهول انفرد بالرواية عنه ابن إسحاق.

تنبيه: سقط إسناد ابن إسحاق في هذا الخبر من القطعة التي طُبعت من «سيرته» من روايتَي يونس بن بكير ومحمد بن سلمة ص٣١٩، فصار متصلاً بخبر قتل كعب بن الأشرف الذي هو فيها من رواية محمد بن سلمة الحرّاني عن ابن إسحاق عن ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس، وقد يظنُّ ظانٌّ أنهما خبر واحد فيقوِّيه، وليسا كذلك.

(٢) طبق: قطع وأصاب المفصل. والذِّفرى: عظم ناتئ خلف الأُذن. والأبيض القاضب: السيف القاطع.

(٣) أصوّبه، أي: أُنزله ضارباً به.

ومــا سَــرَّني أنّــي قتلتُــكَ طائعــاً ‏ ‏ وإنَّ لنـا مـا بـينَ بُصـرَى ومَـأرِبِ

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبَيدة عن أبي عمرٍو المدني قال: لمّا ظَفِرَ رسولُ الله ﷺ ببني قُرَيظةَ، أخذ منهم نحواً من أربعِ مئةِ رجلٍ من اليهود، وكانوا حلفاءَ الأَوس على الخَزرَج، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ بأن تُضرَبَ أعناقُهم، فجعلت الخَزرَجُ تضربُ أعناقَهم ويَسُرُّهم ذلك، فنَظَرَ رسول الله ﷺ إلى الخَزرَج ووجوهُهم مُستَبشِرةٌ، ونَظَرَ إلى الأَوس فلم يَرَ ذلك فيهم، فظَنَّ أنَّ ذلك للحِلْفِ الّذي بين الأوس وبين بني قُرَيظة، ولم يكن بقيَ من بني قُرَيظة إلّا اثنا عشرَ رجلاً، فدَفَعَهم إلى الأوس، فدَفَعَ إلى كلِّ رجلين من الأوس رجلاً من بني قُرَيظة وقال: «ليَضرِبْ فلانٌ وليُذفِّفْ فلانٌ».

فكان ممّن دَفَعَ إليهم كعبُ بن يَهُوذا، وكان عظيماً في بني قُرَيظة، فدَفَعَه إلى مُحيِّصة بن مسعود وإلى أبي بُرْدة بن نِيَار - وأبو بُرْدة بن نِيَارٍ الّذي رَخَّصَ له رسولُ الله ﷺ في أن يَذبَحَ جَذَعاً من المَعْزِ في الأَضحى[1] - وقال: «ليَضرِبْه مُحيِّصةُ، وليُذفِّفْ عليه أبو بُرْدَةَ»، فضربه مُحيِّصةُ ضربةً لم تَقطَعْ، وذَفَّفَ أبو بُرْدة فأجهَزَ عليه، فقال

---

(١) وذلك فيما أخرجه البخاري (٩٥٥) ومسلم (١٩٦١) من حديث البراء بن عازب قال: خَطَبَنا النبيُّ ﷺ يوم الأضحى بعد الصلاة فقال: «من صلَّى صلاتنا، ونَسَكَ نُسُكَنا، فقد أصاب النُّسك، ومن نَسَكَ قبل الصلاة، فإنه قبل الصلاة ولا نسكَ له» فقال أبو بُرْدة بن نِيَار خال البراء: يا رسول الله، فإني نسكتُ شاتِي قبل الصلاة، وعرفتُ أن اليوم يوم أكل وشرب، وأحببت أن تكون شاتي أوّلَ ما يُذبَح في بيتي، فذبحتُ شاتي وتغدَّيتُ قبل أن آتي الصلاة! قال: «شاتُك شاةُ لحمٍ» قال: يا رسول الله، فإنّ عندنا عَناقاً لنا جَذَعةً هي أحبّ إليَّ من شاتين، أفتَجْزي عني؟ قال: «نعم، ولن تَجزيَ عن أحدٍ بعدك».

والعَنَاق: الأنثى من المَعْز لم تتمّ سنة، والجَذَعة: أراد أنها شابّة قوية.

حُوَيِّصةُ ـ وكان كافِراً ـ لأخيه مُحيِّصة: أقتلتَ كعبَ بنَ يَهُوذا؟ قال: نعم، فقال حُويِّصةُ: أمَ واللهِ لَرُبَّ شَحمٍ قد نَبَتَ في بطنِك من ماله، إنّك لَلَئيمٌ، فقال له مُحيِّصةُ: لقد أمَرَني بقتلِه مَن لو أمَرَني بقتلك لقتلتُك، فعَجِبَ من قوله، ثمّ ذهب عنه متعجِّباً. فذكروا أنه جعل يَتيقَّظُ من اللّيل فيَعجَبُ من قول أخيه مُحيِّصة، حتّى أصبَحَ وهو يقول: والله إنَّ هذا لَدِينٌ، ثمّ أَتى النبيَّ ﷺ فأسلمَ، فقال مُحيِّصةُ في ذلك أبياتاً قد كتبناها[١].

قال ابن إسحاق: وكانت إقامةُ رسول الله ﷺ بعد قُدومِه من بَحْرانَ، جُمادَى الآخرةَ ورجباً وشعبانَ وشهرَ رمضانَ، وغَزَتْه قريشٌ غزوةَ أُحدٍ في شوّالٍ سنة ثلاث.

(١) هذا خبر ضعيف لا يصحُّ، فإنه مُرسَل أو مُعضَل، وراويه أبو عمرو المدني لم نتبيَّنه فنعرف حاله.

أمر غزوة أُحد

وكان من حديث أُحدٍ[1]، كما حدّثني محمّدُ بن مُسلِم الزُّهْريُّ ومحمّدُ بن يحيى ابن حَبّانَ وعاصمُ بن عمر بن قَتَادة والحُصَينُ بن عبد الرَّحمن بن عَمْرو بن سعد بن معاذٍ وغيرُهم من علمائنا، كلُّهم قد حدَّث بعضَ الحديث عن يومِ أُحدٍ، وقد اجتمع حديثُهم كلُّه فيما سُقْتُ من هذا الحديث عن يوم أُحدٍ قالوا، أو مَن قاله منهم[2]: لمّا أُصيبَ يومَ بدرٍ من كفّار قريش أصحابُ القَلِيب، ورجع فَلُّهم[3] إلى مكّة، ورجع أبو سفيانَ بن حربٍ بعِيرِه، مشى عبدُ الله بن أبي رَبِيعة وعِكْرمةُ بن أبي جهلٍ وصَفْوانُ ابن أُميّةَ في رجالٍ من قريشٍ ممَّن أُصيبَ آباؤُهم وأبناؤُهم وإخوانُهم يومَ بدرٍ، فكَلَّموا أبا سفيانَ بن حربٍ ومَن كانت له في تلك العِيرِ من قريش تجارةٌ، فقالوا: يا مَعشَرَ قريش، إنَّ محمّداً قد وَتَرَكم وقتل خيارَكم[4]، فأَعِينُونا بهذا المال على حَرْبه لعلَّنا نُدرِكُ منه ثأرَنا بمَن أصابَ منّا، ففعلوا.

قال ابن إسحاق: ففيهم ـ كما ذكرَ لي بعضُ أهلِ العِلْم ـ أنزَلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ

---

(١) وكانت الوقعة يوم السبت في الخامسَ عشرَ من شوّال.

(٢) وهذه الأسانيد التي ذكرها ابن إسحاق في خبر غزوة أُحد، وإن كانت مراسيل، فإن رواتها ثقات أهلُ علمٍ بالمغازي، وبمجموعها يصح هذا الخبر، وبعض أفراده روي موصولاً مسنَداً على ما يأتي في مواضعه.

(٣) الفَلُّ: القوم المنهزمون.

(٤) وَتَرَكم، أي: أدخل النقصَ عليكم بقتل خياركم، والموتور أيضاً: الذي قُتل له قتيل فلم يدرك ثأره.

حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٦].

فاجتَمَعَت قريشٌ لحربِ رسول الله ﷺ حين فعلَ ذلك أبو سفيانَ وأصحابُ العِيرِ بأحابيشِها[١] ومَن أطاعها من قبائل كِنانةَ وأهلِ تِهامةَ[٢].

وكان أبو عَزَّة عمرُو بن عبدِ الله الجُمَحيُّ قد مَنَّ عليه رسولُ الله ﷺ يومَ بدر، وكان فقيراً ذا عِيَال وحاجة، وكان في الأُسارَى، فقال: يا رسول الله، إنّي فقيرٌ ذو عيالٍ وحاجةٍ قد عَرَفتَها، فامنُنْ عليَّ صلَّى الله عليك، فمَنَّ عليه رسولُ الله ﷺ.

فقال له صفوانُ بن أُميّة: يا أبا عَزّةَ، إنّك امرُؤٌ شاعرٌ، فأَعِنّا بلسانك، فاخرُجْ معنا، فقال: إنَّ محمّداً قد مَنَّ عليَّ، فلا أُريدُ أن أُظاهرَ عليه، قال: بَلَى، فأَعِنّا بنفسِك، فلكَ اللهُ عليَّ إن رَجَعتَ أن أُغنِيَك[٣]، وإن أُصِبتَ أن أجعلَ بناتِك مع بناتي، يُصيبُهنَّ ما أصابهنَّ من عُسرٍ ويُسرٍ. فخرج أبو عَزّةَ يسيرُ في تِهامةَ ويدعو بني كِنانةَ ويقول:

أيا[٤] بني عبدِ مَناةَ الرُّزّامْ   أنتُمْ حُمَاةٌ وأَبوكم حامْ

(١) الأحابيش: من اجتمع إلى قريش وانضمَّ إليهم من غيرهم، وقد سبق تسميتهم عند ابن إسحاق: وهم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهُون بن خزيمة بن مُدرِكة، وبنو المُصطلِق من خُزاعة.

(٢) تهامة: ما انخفض من أرض الحجاز إلى ساحل البحر الأحمر، ومن أهمّ مدنه مكّة وجُدّة ويَنبُع.

(٣) في (ت) و(ش١) و(ص): أُعينك.

(٤) في نسخة على حاشيتي (ز) و(م): إيهاً.

الرزّام: جمع رازم، وهو الذي يثبت ولا يبرح مكانه، يريد: أنهم يثبتون في الحرب ولا ينهزمون.

لا يَعدُونّي[1] نَصرُكم بعدَ العامْ   لا تُسلِمُوني لا يَحِلُّ إسلامْ

وخرج مُسافِعُ بن عبد مَناف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَحَ إلى بني مالك بن كِنانةَ، يُحرِّضُهم ويَدعُوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، فقال:

يا مالِ، مالِ[2] الحَسَبِ المُقدَّمِ   أَنشُدُ ذا القُربَى وذا التَّذمُّمِ

مَن كان ذا رُحْمٍ ومَن لم يَرحَمِ   ألْحِلفَ وَسْطَ البلدِ المُحرَّمِ

عندَ حَطيمِ الكعبةِ المعظَّمِ

ودعا جُبَيرُ بن مُطعِمٍ غلاماً له حَبَشيّاً يقال له: وَحْشيٌّ، يَقذِفُ بحَرْبة له قَذْفَ الحَبَشة، قَلَّما يخطئُ بها، فقال له: اخرُجْ مع النّاس، فإن أنتَ قتلتَ حمزةَ عمَّ محمّدٍ بعمِّي طُعَيمةَ بن عَديٍّ، فأنت عَتِيق.

قال: فخرجت قريشٌ بحَدِّها وجِدِّها[3] وأحابيشِها، ومَن تابَعَها من بني كِنانة وأهل تِهامة، وخرجوا معهم بالظُّعُنِ التِماسَ الحَفِيظةِ[4] وألّا يَفِرُّوا، فخرج أبو سفيانَ بن حَرْبٍ ـ وهو قائدُ الناس ـ معه بهندٍ ابنة عُتْبة، وخرج عِكْرمةُ بن أبي جهل بأمِّ حَكيمٍ بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، وخرج الحارثُ بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت

(١) في (ز) و(ش١): لا تَعِدُوني نصرَكم، من الوعد، ومعنى: لا يَعدُونّي: لا يتجاوز ولا يتعدّى هذا العام، يريد: لا يتأخر.

(٢) في (ت): يا مال يا ذا.

وقوله: يا مالِ، أراد: يا مالك، فحذف الكاف للترخيم. وأَنشدُ ذا القربى، أي: أطلب من قرابتي وأسألهم الحِلفَ الذي بيننا. وذو التذمُّم: الذي له ذِمامٌ، أي: عهد.

(٣) هكذا في (ز) و(ص) و(م)، والحَدّ: الغضب، والجِدّ: الاجتهاد، وفي (ت) و(ي) ونسخة في (ز): بحدِّها وحديدها، والحديد: يعني به السلاح بأنواعه.

(٤) الظُّعن: النساء في الهوادج على الإبل، مفردها: ظَعِينة. والحَفيظة: الأَنَفة والغضب.

الوليد بن المغيرة، وخرج صفوانُ بن أُميّة ببَرْزَةَ بنت مسعود بن عمرو بن عُميرٍ الثَّقَفيّة، وهي أمُّ عبد الله بن صفوانَ.

قال ابن هشام: ويقال: رُقيَّة.

قال ابن إسحاق: وخرج عمرُو بن العاصِ برَيْطةَ بنت مُنبِّه بن الحَجّاج، وهي أمُّ عبد الله بن عمرو، وخرج طلحةُ بن أبي طلحةَ - وأبو طلحة عبدُ الله بن عبد العُزَّى ابن عثمانَ بن عبد الدّار - بسُلَافةَ بنت سعد بن شُهَيدٍ الأنصاريّة[1]، وهي أُمّ بني طلحةَ مُسافِعٍ والجُلَاسِ وكِلابٍ، قُتِلوا يومئذٍ هم وأبوهم، وخرجت خُنَاسُ بنت مالك بن المُضرِّبِ إحدى نساءِ بني مالك بن حِسْلٍ مع ابنها أبي عَزيزِ بن عُميرٍ، وهي أمُّ مُصعَب بن عُميرٍ، وخرجت عَمْرةُ بنتُ عَلقَمة إحدى نساءِ بني الحارث بن عبد مَنَاة بن كِنانة.

وكانت هندٌ بنتُ عُتْبة كلَّما مَرَّت بوَحْشيٍّ أو مَرَّ بها، قالت: وَيْهاً أبا دُسْمةَ[2]، اشفِ واشتَفِ[3]، وكان وحشيٌّ يُكنى بأبي دُسْمةَ، فأقبَلوا حتّى نَزَلوا بعَينَينِ بجبلٍ ببطنِ السَّبَخةِ من قَناةَ على شَفِير الوادي[4] مقابلَ المدينة.

(١) هي من بني عمرو بن عوف من الأَوس، وكان الأَولى بابن إسحاق أن يصفها بالأوسية لا بالأنصارية، إذ إنها لم تَنصُر ولم تُسلِم إلا فيمن أسلم من أهل مكة يوم الفتح في قول محمد بن حبيب البغدادي في «المحبَّر» ٤١٠، ولها ذكرٌ في «مغازي الواقدي» في فتح مكة كما قال ابن حجر في «الإصابة» ٧/ ٧٠٢.

(٢) ويهاً: كلمة معناها الإغراء والتحضيض.

وأبو دُسْمة: بضم الدال، هكذا قيّده أهل اللغة، والدُّسمة: السواد، وجاء مقيَّداً في نسخنا الخطية بالتحريك: دَسَمة، غير (ز) ففيها: دَسْمة.

(٣) في (ز): اشف واستشف، وفي حاشيتها نسخة كالمثبت من بقية النسخ.

(٤) شفير الوادي: حافته وجانبه. =

فلمّا سمع بهم رسولُ الله ﷺ والمسلمون قد نَزَلوا حيثُ نَزَلوا، قال رسولُ الله ﷺ للمسلمين: «إنِّي قد رأَيتُ واللهِ خيراً، رأيتُ بَقَراً[1]، ورأيتُ في ذُبابِ سيفي ثَلْماً، ورأيتُ أنّي أَدخَلتُ يدي في دِرعٍ حَصينةٍ فأوَّلتُها المدينةَ»[2].

= وأمّا عَينَين، كتثنية عَينٍ: فهو الذي يقال له: جبل الرُّماة، وهو جبل صغير يقع بجانب جبل أُحد، على حافَة وادي قناة الجنوبية، شمال المسجد النبوي على قرابة ٣ كم.

والسَّبَخة، بتحريك الباء وتسكينها: أرضٌ تربتها فيها ملوحة ونزُّ ماءٍ، وتبدأ هذه السَّبخة من جبل عَينَينِ وجُرف قناةَ باتجاه سَلْع، وقد عُمِرَت اليوم فصارت حيّاً يسمَّى حيّ الشهداء، نسبة إلى شهداء أُحد. قاله البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢١٩.

(١) في (ش١) ونسخة على حاشية (ز): بقراً لي تُذبَح.

وذُباب السيف: حدُّ طرف السيف. والثَّلم: الكَسر.

(٢) حديث صحيح لغيره.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» ص٣٢٤، وعند الطبري في «تفسيره» ٦/ ٩-١٠، وابن المنذر في «تفسيره» (٩٧٤)، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٢٢٥-٢٢٦ من طرق عن ابن إسحاق، بأسانيده المرسلة المذكورة في أول خبر أُحد.

وأخرج أحمد (٢٤٤٥)، والحاكم (٢٦٢٠) من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس قال: تنفَّل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفَقَار يوم بدر، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أُحد، فقال: «رأيتُ في سيفي ذي الفَقَار فَلّاً، فأوّلتُه فَلَّا يكون فيكم، ورأيتُ أني مُردِفٌ كبشاً، فأوّلتُه كبشَ الكَتِيبة، ورأيتُ أني في دِرعٍ حصينة، فأوّلتُها المدينةَ، ورأيت بَقَراً تُذبَح، فبَقْرٌ واللهُ خيرٌ، فبَقْرٌ واللهُ خيرٌ»، فكان الذي قال رسول الله ﷺ. وإسناده حسن.

وكبش الكتيبة: سيّدهم، والكَتيبة: القطعة العظيمة من الجيش. والبَقْر: شَقُّ البطن.

وقد رُوِيَت هذه الرؤيا بنحوها من حديث أبي موسى الأشعري عند البخاري (٣٦٢٢) ومسلم (٢٢٧٢).

ومن حديث جابر بن عبد الله عند أحمد (١٤٧٨٧) والنسائي في «الكبرى» (٧٦٠٠)، وإسناده صحيح.

قال ابن هشام: وحدّثني بعضُ أهلِ العلم أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «رأيتُ بَقَراً لي تُذبَحُ، قال: فأمّا البَقَرُ، فهي ناسٌ من أصحابي يُقتَلون، وأمّا الثَّلْمُ الَّذي[1] في ذُبابِ سيفي، فهو رجلٌ من أهلِ بيتي يُقتَلُ».

قال ابن إسحاق: «فإن رأيتُم أن تُقِيموا بالمدينةِ وتَدَعُوهم حيثُ نَزَلوا، فإنْ أَقاموا أَقاموا بشَرِّ مُقامٍ، وإنْ هم دَخَلوا علينا قاتَلْناهم فيها»[2].

وكان رأيُ عبد الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ مع رأي رسول الله ﷺ؛ يَرَى رأيَه في ذلك أن لا يَخرُجَ إليهم، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروجَ، فقال رجالٌ من المسلمين ممَّن أكرَمَ اللهُ بالشّهادة يومَ أُحدٍ وغيرِه ممَّن كان فاتَهُ بدرٌ: يا رسولَ الله، اخرُجْ بنا إلى أعدائنا، لا يَرَونَ أنّا جَبُنّا عنهم وضَعُفْنا، فقال عبدُ الله بن أُبيٍّ: يا رسول الله، أَقِمْ بالمدينة لا تَخرُجْ إليهم، فواللهِ ما خرجنا منها إلى عدوٍّ لنا قَطُّ إلّا أصابَ منّا، ولا دَخَلَها علينا إلّا أصَبْنا منه، فدَعْهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشَرِّ مَحبِسٍ، وإن دَخَلوا قاتَلَهم الرّجالُ في وجوهِهم، ورَمَاهم النّساءُ والصِّبيانُ بالحجارة من فوقِهم، وإن رَجَعوا رَجَعوا خائبِينَ كما جاؤوا.

فلم يَزَلِ النّاسُ برسول الله ﷺ الّذين كان من أمرِهم حُبُّ لقاءِ القوم حتّى دخل رسولُ الله ﷺ فلَبِسَ لَأْمَته[3]، وذلك يومَ الجُمُعة حين فَرَغَ من الصّلاة، وقد مات في ذلك اليوم رجلٌ من الأنصار يقال له: مالكُ بن عمرٍو أحدُ بني النَّجّار، فصَلَّى عليه رسولُ الله ﷺ، ثمّ خرج عليهم وقد نَدِمَ النّاسُ وقالوا: استكرَهْنا رسولَ الله، ولم يكن لنا ذلك، فلمّا خرج عليهم رسولُ الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، استكرَهْناك ولم

(١) في (ز) و(غ): الذي رأيت.

(٢) صحيح لغيره، وقد روي معناه أيضاً في حديثَي ابن عباس وجابر السابق ذكرهما.

(٣) اللأمة: الدِّرع. وقيل: هي مجموع سلاحه.

يكن ذلك لنا، فإن شِئتَ فاقعُدْ صَلَّى اللهُ عليك، فقال رسول الله ﷺ: «ما يَنبَغي لنبيٍّ إذا لَبِسَ لَأْمَتَه أن يَضَعَها حتّى يُقاتِلَ»[1].

فخرج رسولُ الله ﷺ في ألفٍ من أصحابه.

قال ابن هشام: واستَعمَل ابنَ أمِّ مكتومٍ على الصلاة بالناس.

قال ابن إسحاق: حتّى إذا كانوا بالشَّوْطِ[2] بين المدينة وأُحد، انخَزَلَ عنه عبدُ الله ابن أُبيٍّ بثُلُثِ الناس وقال: أطاعهم وعَصَاني، ما ندري عَلَامَ نقتلُ أنفُسَنا هاهنا أيّها الناسُ، فرجع بمَن اتّبَعَه من قومه من أهل النِّفاق والرَّيب، واتّبَعَهم عبدُ الله بن عمرو بن حَرَامٍ أخو بني سَلِمةَ يقول: يا قومِ، أُذكِّرُكم اللهَ ألّا تَخذُلوا قومَكم ونبيَّكم عند ما حَضَرَ من عدوِّهم، قالوا: لو نعلمُ أنّكم تُقاتِلون لَمَا أسلَمْناكم، ولكنّا لا نَرى أنه يكون قتالٌ، قال: فلمّا استَعصَوْا عليه وأبَوْا إلّا الانصرافَ عنهم قال: أبعَدَكم اللهُ أعداءَ الله، فسيُغْني اللهُ عنكم نبيَّه[3].

قال ابن هشام: وذكرَ غيرُ زيادٍ عن محمّد بن إسحاق عن الزُّهْريّ: أنَّ الأنصار يومَ أُحدٍ قالوا لرسول الله ﷺ: ألا نستعينُ بحُلَفائنا من يهودَ؟ فقال: «لا حاجةَ لنا

(١) صحيح لغيره، وهو بنحوه أيضاً في حديثَي ابن عباس وجابر المذكورين سابقاً.

(٢) وموضعه بين وادي قناة وبين المدينة من شرقيّ السَّبَخة ومن أسفل الحَرّة الشرقية، وهناك كان يجري سباقُ الخيل، ولعلَّ لهذا الاسم علاقة به، ولم يعد الاسم معروفاً اليوم. قاله البِلاديُّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص١٧٠-١٧١.

وقوله: انخَزَل، أي: انقطع عن النبي ﷺ وتخلّف عنه.

(٣) فلمّا رجع عبدُ الله بن أُبيٍّ بمن معه، همَّ بنو سَلِمةَ من الخزرج وبنو حارثة من الأوس أن يرجعوا، فعصمهم الله عز وجل من ذلك وبقوا مع رسوله ﷺ، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران:١٢٢]، وستأتي الإشارة إلى هاتين الطائفتين عند المصنف ص١٠٩.

فيهم»[1].

قال زيادٌ: حدّثني محمّدُ بن إسحاقَ قال: ومضى رسولُ الله ﷺ حتّى سَلَكَ في حَرَّة بني حارثة، فذَبَّ فرسٌ بذَنَبِه فأصابَ كُلّابَ سيفٍ[2] فاستَلَّه ـ قال ابن هشام: ويقال: كِلَاب سيفٍ[3] ـ فقال رسولُ الله ﷺ ـ وكان يحبُّ الفأْلَ ولا يَعتافُ[4] ـ لصاحب السَّيف: «شِمْ سيفَك[5]، فإنّي أُرَى السُّيوفَ ستُسَلُّ اليومَ».

ثمّ قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «مَن رجلٌ يَخرُجُ بنا على القومِ من كَثَبٍ ـ أي من

(١) حديث صحيح لغيره، ففي الباب ما يشهد لمعناه.

فقد أخرج ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٠٦٨) والحاكم في «المستدرك» (٢٥٩٦) وغيرهما من حديث أبي حُميد الساعدي قال: خرج رسول الله ﷺ يوم أُحد حتى إذا خلَّف ثنيّة الوداع إذا كتيبةٌ قال: «مَن هؤلاء؟» قالوا: بنو قَينُقاع، وهم رهط عبد الله بن سَلَام رضي الله عنه، قال: «وأَسلَموا؟» قالوا: لا، بل هم على دينهم، قال: «قل لهم فليَرجِعوا، فإنّا لا نستعينُ بالمشركين». وإسناده حسن على نكارة في ذكر بني قينُقاع فيه، فإنهم قد أُجلوا قبل غزوة أُحد من المدينة إلى الشام كما تقدم ص١٤، فلعلّ هؤلاء كانوا من غيرهم من اليهود كبني النضير وقُريظة.

وأخرج أحمد (٢٤٣٨٦) ومسلم (١٨١٧) وغيرهما من حديث عائشة: أن رجلاً اتَّبع رسول الله ﷺ لما خرج إلى بدرٍ فقال: أتبعك لأصيب معك، فقال رسول الله ﷺ: «تؤمنُ بالله ورسوله؟» قال: لا، قال: «فإنّا لا نستعينُ بمُشرِك» قال: فقال له في المرة الثانية: «تؤمنُ بالله ورسوله؟» قال: نعم، فانطلق فتبعه.

(٢) ذبَّ بذنبه، أي: حرَّكه ليدفع الذباب عنه. والكُلّاب: الحلقة أو المسمار الذي يكون في مِقبَض السيف.

(٣) هكذا في نسخنا الخطية، ولعله: كَلْب سيف، إذ الكُلّاب والكَلْب فيه بمعنى واحد.

(٤) الفأل: الاستبشار عند سماع الكلام الحسن. ولا يعتاف: لا يتطيّر.

(٥) أي: أغمده، وقد يكون معناه: سُلَّه وجرِّده، وهذا الفعل من الأضداد.

قُربٍ ـ من طريقٍ لا يَمُرُّ بنا عليهم؟» فقال أبو خَيثَمة[١] أخو بني حارثة بن الحارث: أنا يا رسول الله، فنَفَذَ به في حَرّة بني حارثة وبين أموالهم حتّى سَلَكَ في مالٍ لمِربَعِ ابن قَيظيٍّ، وكان رجلاً منافقاً ضريرَ البصر، فلمّا سمعَ حِسَّ رسولِ الله ﷺ ومَن معه من المسلمين، قامَ يَحْثي في وُجوهِهم التُّرابَ ويقول: إن كنتَ رسولَ الله فإنّي لا أُحِلُّ لك أن تَدخُلَ حائطي.

وقد ذُكِرَ لي: أنّه أَخذَ حَفْنةً من تُرابٍ في يده ثمّ قال: والله لو أعلمُ أنّي لا أُصيبُ بها غيرَك يا محمّدُ، لَضَرَبتُ بها وجهَك، فابتَدَره القومُ ليَقتُلوه، فقال رسول الله ﷺ: «لا تَقتُلوه، فهذا الأعمَى أعمَى القَلبِ، أعمَى البَصَرِ»، وقد بَدَرَ إليه سعدُ بن زيدٍ أخو بني عبد الأشهَل قبلَ نَهْي رسول الله ﷺ عنه، فضَرَبَه بالقَوْس في رأسه فشَجَّه.

ومضى رسولُ الله ﷺ حتّى نَزَلَ الشِّعبَ من أُحدٍ في عُدْوة الوادي[٢] إلى الجبل، فجَعَلَ ظهرَه وعسكرَه إلى أُحد، وقال: «لا يُقاتِلَنَّ أَحدٌ[٣] حتَّى نأمُرَه بالقتالِ».

وقد سَرَّحَت قريشٌ الظَّهرَ والكُراعَ في زُروعٍ كانت بالصَّمْغة من قَناةَ[٤] للمسلمين، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسولُ الله ﷺ عن القتال: أتُرعَى زُروعُ بني قَيْلةَ[٥] ولمّا نُضارِبْ!

---

(١) هكذا سمّى هذا القائلَ ابنُ إسحاق، وقال فيه بعضهم: أبو حَثْمة، وانظر «الإصابة» لابن حجر ٧/ ٨٥.

(٢) العُدوة: جانب الوادي وحافَتُه.

(٣) في (ز): أحد منكم.

(٤) الظَّهر: الإبل. والكُراع: الخيل. وقناة: اسم الوادي الذي يمرّ بأُحد. والصمغة: أرض زراعية كثيرة العُيون والنخل تعرف اليوم بالعيون.

(٥) بنو قَيلة: هم الأوس والخزرج، وقَيلةُ: أمٌّ من أمهات الأنصار نسبوا إليها.

وتَعبَّى رسولُ الله ﷺ للقتال[1] وهو في سبعِ مئةِ رجلٍ، وأمَّرَ على الرُّماة عبدَ الله ابن جُبَيرٍ أخا بني عمرو بن عوفٍ، وهو مُعلِمٌ يومَئذٍ بثيابٍ بِيضٍ، والرُّماةُ خمسون رجلاً، فقال[2]: «انضَحِ الخيلَ[3] عنّا بالنَّبْلِ، لا يأتُونا من خَلفِنا، إن كانت لنا أو علينا فاثبُتْ مَكانَك، لا نُؤتَيَنَّ من قِبَلِك»[4].

وظاهَرَ رسولُ الله ﷺ بين دِرعَينِ[5]، ودَفَعَ اللِّواءَ إلى مُصعَب بن عُمَيرٍ أخي

---

(١) أي: تهيّأ وهيّأ أصحابه في مواضعهم، يقال: تعبَّى وتعبَّأ.

(٢) في (ش١) و(غ) ونسخة في حاشية (ز): فقال له رسول الله ﷺ.

(٣) أي: ادفعها ورُدَّها عنّا.

(٤) صحيح لغيره، وهو مرويٌّ بأسانيد ابن إسحاق المرسلة المذكورة في أول خبر أُحد، وبعضها يقوّي بعضاً.

وروي أيضاً من حديث البراء بن عازب عند أحمد (١٨٥٩٣) والبخاري (٤٠٤٣) وغيرهما، قال: لَقِينا (يريد المسلمين، ولم يعنِ نفسَه، فإن الراجح أن البراء لم يشهد أُحداً لصغر سنّه) المشركين يومئذ، وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرُّماة، وأمّر عليهم عبد الله بن جبير، ووضعهم موضعاً، وقال: «لا تَبْرَحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تَبْرَحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تُعِينونا»، فلما لَقِينا هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل يرفعن عن سُوقهنَّ قد بدت خلاخلهنّ، فأخذوا يقولون: الغنيمةَ الغنيمةَ، فقال عبد الله بن جبير: عهد إليّ النبيُّ ﷺ أن لا تَبْرَحوا، فأبَوا، فلما أبَوا صَرَفَ وجوههم، فأُصيب سبعون قتيلاً.

ونحوه عن ابن عباس عند أحمد (٢٦٠٩)، والحاكم (٣٢٠١)، وإسناده حسن.

(٥) ظاهر بين درعين، أي: لبس درعاً فوق درع.

وهذا الخبر صحيح لغيره، فقد رُوِيَ أيضاً من حديث الزبير بن العوّام كما سيأتي ص٧٤، وإسناده صحيح.

ومن حديث السائب بن يزيد عند أحمد (١٥٧٢٢)، وأبي داود (٢٥٩٠)، وابن ماجه (٢٨٠٦)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٢٩)، وإسناده صحيح، إلا أنه وقع في رواية أبي داود: السائب بن =

بني عبد الدّار.

قال ابن هشام: وأجازَ رسولُ الله ﷺ يومئذٍ سَمُرةَ بن جُندُبٍ الفَزَاريَّ ورافعَ بن خَدِيجٍ أخا بني حارثة، وهما ابنا خمسَ عشرةَ سنةً، وكان قد رَدَّهما، فقيل له: يا رسول الله، إنَّ رافعاً رامٍ، فأجازَه، فلمّا أجازَ رافعاً قيل له: يا رسول الله، فإنّ سَمُرةَ يَصرَعُ رافعاً، فأجازَه، ورَدَّ رسولُ الله ﷺ أُسامةَ بن زيدٍ، وعبدَ الله بن عمر بن الخَطّاب، وزيدَ بن ثابتٍ أحدَ بني مالك بن النَّجّار، والبَراءَ بن عازِبٍ أحدَ بني حارثة، وعمرَو ابن حَزْمٍ أحدَ بني مالك بن النَّجّار، وأُسَيدَ بن ظُهَيرٍ أحدَ بني حارثة، ثمّ أجازَهم يومَ الخندق وهم أبناءُ خمسَ عشرةَ سنةً.

قال ابن إسحاق: وتَعبّأَت قريشٌ وهم ثلاثةُ آلافِ رجلٍ ومعهم مِئَتا فرسٍ قد جَنَبُوها[1]، فجعلوا على مَيمَنة الخيل خالدَ بن الوليد، وعلى مَيسَرتها عِكْرمةَ بن أبي جهل.

وقال رسولُ الله ﷺ: «مَن يأخُذُ هذا السَّيفَ بحَقِّه؟»، فقام إليه رجالٌ فأمسَكه عنهم، حتّى قام إليه أبو دُجَانةَ سِمَاكُ بن خَرَشةَ أخو بني ساعدةَ، فقال: وما حَقُّه يا رسول الله؟ قال: «أن تَضرِبَ به العدوَّ حتّى يَنحَني» قال: أنا آخُذُه يا رسولَ الله بحَقِّه، فأعطاه إيّاه.

وكان أبو دُجَانة رجلاً شجاعاً يَخْتالُ عند الحربِ إذا كانت، وكان إذا أَعلَمَ بعِصابةٍ له حمراءَ فاعتَصَبَ بها، عَلِمَ النّاسُ أنه سيقاتلُ، فلمّا أخذَ السّيفَ من يد رسول الله ﷺ أخرَجَ عِصابَتَه تلك فعَصَبَ بها رأسَه، ثمّ جعَلَ يَتَبختَرُ بين الصَّفَّين.

= يزيد عن رجل سمّاه، وهذا لا يضرُّ في صحّة الحديث، فالسائب صحابيٌّ صغير، ويكون رفعه للحديث إرسالاً من صحابيٍّ، ومرسل الصحابيّ صحيح عند أهل الحديث باتّفاق.

(١) جَنَبوها: قادوها إلى جنوبهم يستعملونها إذا أعيا بعض خيلهم أو قُتل.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني جعفرُ بن عبد الله بن أسلمَ مولى عمر بن الخَطّاب، عن رجلٍ من الأنصار من بني سَلِمةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ حين رأَى أبا دُجَانة يَتَبخترُ: «إنَّها لَمِشْيةٌ يُبغِضُها اللهُ إلّا في مِثْلِ هذا المَوطِن»[1].

وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة: أنَّ أبا عامرٍ عبدَ عمرو بن صَيْفيّ بن مالك بن

---

(١) خبر أبي دجانة هذا صحيح رُوِيَ أصله من غير وجه.

وأمّا إسناد ابن إسحاق هذا ففيه ضعفٌ لإرساله، فالرجل السَّلَميُّ المبهم هنا: هو معاوية بن معبد بن كعب بن مالك، سمّاه يونسُ بن بكير في روايته عن ابن إسحاق عند البيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٢٣٣-٢٣٤، والخطيب في «المتفق والمفترق» (٧٠٧)، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٥/ ٩٦، ومعاوية هذا من صغار التابعين، وقد جهله ابن معين وابن أبي حاتم وذكره ابن حبان في «ثقاته»، لكن خبره هذا في قصة أبي دجانة مقبول لشواهده.

فقد أخرج أحمد (١٢٢٣٥)، ومسلم (٢٤٧٠) من حديث أنس: أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أُحد فقال: «من يأخذ هذا السيفَ؟» فأخذه قوم فجعلوا ينظرون إليه، فقال: «من يأخذُه بحقِّه؟» فأَحجم القوم، فقال أبو دُجانة سماك: أنا آخذه بحقِّه، فأخذه ففَلَقَ هامَ المشركين.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (٦٥٠٨) ـ وعنه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٦٤٢) ـ من حديث خالد بن سليمان بن عبد الله بن خالد بن سماك بن خَرَشة، عن أبيه، عن جدِّه: أن أبا دجانة يوم أُحد أَعلَمَ بعصابة حمراء، فنظر إليه رسول الله ﷺ وهو يختال في مِشيته بين الصفَّين، فقال: «إنها مِشيةٌ يبغضها الله إلا في هذا الموضع». قال الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» ٦/ ١٠٩: فيه من لم أعرفه.

وأخرج أبو نعيم أيضاً (٦٥٧١)، والبيهقي في «سننه الكبرى» ٩/ ١٥٥ من حديث أبي إسحاق السَّبيعي قال: سمعت هُنيدةَ رجلاً من خُزاعة قال: قال رسول الله ﷺ: «من يأخذ هذا السيف بحقِّه؟» قال: فقال رجل: أنا، قال: فأخذه فلمّا لقي العدوَّ جعل يقول؛ وذكر البيتين الآتيين عن أبي دجانة إلا أنه لم يسمِّه. ورجاله ثقات، وهنيدة ـ وهو ابن خالد الخُزاعي ـ مختلف في صحبته.

وانظر حديث الزبير بن العوام الآتي قريباً في قصة أبي دجانة أيضاً.

النُّعمانِ[١] أحدَ بني ضُبَيعةَ، وقد كان خرج حين خرج إلى مكّة مُباعِداً لرسول الله ﷺ معه خمسون غُلاماً من الأَوس، وبعضُ النّاس كان يقول: كانوا خمسةَ عشرَ رجلاً، وكان يَعِدُ قريشاً أنْ لو قد لَقِيَ قومَه لم يَختلِفْ عليه منهم رجلان، فلمّا التَقى النّاسُ كان أوّلَ مَن لَقِيَهم أبو عامرٍ في الأَحابيشِ وعُبْدانِ أهلِ مكّة، فنادى: يا مَعشَرَ الأَوس، أنا أبو عامرٍ، قالوا: فلا أَنعَمَ اللهُ بك عَيناً يا فاسقُ ـ وكان أبو عامرٍ يُسمَّى في الجاهليّة الرّاهبَ، فسمّاهُ رسولُ الله ﷺ الفاسقَ ـ فلمّا سمعَ رَدَّهم عليه قال: لقد أصابَ قومي بعدي شرٌّ، ثمّ قاتَلَهم قتالاً شديداً، ثمّ راضَخَهم بالحجارة[٢].

قال ابن إسحاق: وقد قال أبو سفيانَ لأصحاب اللِّواءِ من بني عبد الدّار يُحرِّضُهم بذلك على القتال: يا بني عبد الدّار، إنّكم قد وَلِيتُم لواءَنا يومَ بدرٍ فأصابَنا ما قد رأيتُم، وإنّما يُؤتَى الناسُ من قِبَلِ راياتهم، إذا زالت زالُوا، فإمّا أن تَكفُونا لواءَنا، وإمّا أن تُخَلُّوا بيننا وبينه فنَكفِيكُموه، فهَمُّوا به وتواعَدُوه وقالوا: نحن نُسلِمُ إليك لواءَنا؟! ستعلمُ غداً إذا التَقَينا كيف نَصنَعُ! وذلك أرادَ أبو سفيان.

فلمّا التَقَى الناسُ ودَنَا بعضُهم من بعضٍ، قامت هندٌ بنت عُتْبة في النِّسوة اللّاتي معها، وأَخَذْنَ الدُّفوفَ يَضرِبنَ بها خلفَ الرِّجال ويُحرِّضنَهم، فقالت هندٌ فيما تقول:

---

(١) كذا وقع لابن إسحاق مقلوباً، ولغيره من أهل النسب والأخبار: صيفي بن النعمان بن مالك.

(٢) راوي هذا الخبر عاصم بن عمر بن قتادة أنصاريٌّ من الأوس وهم رهط أبي عامر هذا، وكان عاصمٌ ثقة عالماً بالمغازي والسير.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥١١-٥١٢ من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، عن ابن إسحاق، به.

قوله: راضخهم بالحجارة، أي: راماهم بها، من الرَّضخ: وهو الشَّدخ والكسر.

وَيهاً بني عبدِ الدّارْ وَيهاً حُماةَ الأدبارْ[1]
ضَرباً بكلِّ بَتّارْ[2]

وتقول:

إن تُقبِلوا نُعانِقْ ونَفرِشِ النَّمارِقْ[3]
أو تُدبِروا نُفارِقْ فِراقَ غيرِ وامِقْ[4]

وكان شِعارُ[5] أصحاب رسول الله ﷺ يومَ أُحدٍ: أَمِتْ أَمِتْ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فاقتتل الناسُ حتّى حَمِيَت الحربُ، وقاتَلَ أبو دُجَانةَ حتّى أمعَنَ في الناس[6].

قال ابن هشام: حدّثني غيرُ واحدٍ من أهل العلم: أنّ الزُّبَيرَ بن العَوّام قال: وَجَدتُ في نفسي حين سألتُ رسولَ الله ﷺ السَّيفَ فمَنَعَنِيهِ وأعطاه أبا دُجَانة، وقلت: أنا ابنُ

---

(١) وَيهاً: كلمة تقال للإغراء والتحضيض. وحماة الأدبار، أي: الذين يحمون ظهور وأعقاب الناس.

(٢) البتّار: القاطع، تريد السيف.

(٣) النمارق: جمع نُمْرُقة، وهي الوسادة الصغيرة.

(٤) الوامق: المحبّ.

وزاد محمد بن سلمة الحرّاني عن ابن إسحاق ـ كما في النسخة المطبوعة من «سيرة ابن إسحاق» ص٣٢٧ ـ في أول هذا الرَّجَز: نحن بنات طارق، فيُقال ـ كما في «الروض» للسهيليّ ٥/ ٤٥٥ ـ: إن هنداً تمثَّلت بهذا الرَّجز، وإنه لهند بنت طارق بن بَيَاضة الإياديّة، قالته في حرب الفُرس لإياد.

(٥) الشعار هنا: علامة ينادون بها في الحرب، ليعرف بعضهم بعضاً إذا اضطربت الصفوف وتداخل الناس ببعضهم.

(٦) أي: بالغ واشتدّ في قتالهم.

صَفيَّةَ عمّتِه، ومن قريشٍ، وقد قمتُ إليه فسألتُه إيّاه قبلَه، فأعطاه إيّاه وتَرَكَني، والله لَأنظُرَنَّ ما يَصنَعُ، فاتّبَعَتُه فأخرجَ عِصابةً له حمراءَ فعَصَبَ بها رأسَه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دُجَانة عِصابةَ الموت، وهكذا كانت تقول له إذا تَعصَّبَ بها، فخرج بها وهو يقول:

أنا الّذي[1] عاهَدَني خَليلي ... ونحنُ بالسَّفحِ لَدَى النَّخيلِ
ألّا أقومَ الدّهرَ في الكُبُولِ[2] ... أَضرِبْ بسيفِ اللهِ والرَّسولِ

قال ابن هشام: ويُروى: في الكَيُّول[3].

الكَيُّول: أُخرَياتُ الصفوف، فيما قال ابن هشام[4].

قال[5]: فجَعَلَ لا يَلقَى أَحداً إلّا قتله، وكان في المشركين رجلٌ لا يَدَعُ لنا جريحاً إلّا ذَفَّفَ عليه[6]، فجعل كلُّ واحدٍ منهما يَدنُو من صاحبِه، فدَعَوتُ اللهَ أن يَجمَعَ بينهما، فالتَقَيا فاختَلَفا ضربتَينِ، فضربَ المشركُ أبا دُجَانة فاتَّقاه بدَرَقَتِه[7] فعَضَّت

(١) في (ت): إني امرؤٌ. والسَّفح: جانب الجبل عند أصله.

(٢) الكُبول: القيود، جمع كَبْل.

(٣) في الكيّول، أي: في مؤخَّر الصفوف، وهو فَيعُول، من كالَ الزَّنْدُ (أي: القدّاحة تُشعِل النار) يَكيل كَيلاً، إذا كَبَا ولم يخرج ناراً، فشُبِّه مؤخَّر الصفوف به، لأن من كان فيه لا يقاتل. قاله ابن الأثير في «النهاية»، قال أبو عبيد في «غريب الحديث» ٢/ ٢٤٦: ولم أسمع هذا الحرف إلا في هذا الحديث.

(٤) هذه الفِقرة ليست في (غ)، ولا في أصل (ز) بل هي في حاشيتها من نسخة.

(٥) في طبعة السقا وصاحبيه: قال ابن إسحاق، وهو خطأ، فهذا تابع لقول الزبير الذي من رواية ابن هشام.

(٦) أي: أجهَزَ عليه وأسرع قتله.

(٧) الدَّرقة: تُرس من جلدٍ.

بسيفه، وضربه أبو دُجَانة فقتله، ثمّ رأيتُه قد حَمَلَ السَّيفَ على مَفرِقِ رأس هندٍ بنت عُتْبة ثمّ عَدَلَ السّيفَ عنها، قال الزُّبيرُ: فقلتُ: اللهُ ورسولُه أعلم.

قال ابن إسحاق: وقال أبو دُجَانة: ورأيت إنساناً يَحمِشُ الناسَ حَمْشاً شديداً[١]، فصَمَدتُ له، فلمّا حَمَلتُ عليه السّيفَ وَلْوَلَ[٢]، فإذا امرأةٌ، فأكرمتُ سيفَ رسول الله ﷺ أن أضربَ به امرأةً[٣].

وقاتَلَ حمزةُ بن عبد المطَّلِب حتّى قَتَل أَرْطاةَ بن عبدِ شُرَحبيلَ بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار، وكان أحدَ النَّفَر الذين يَحمِلون اللِّواءَ، ثمّ مَرَّ به سِباعُ بن عبد العُزَّى الغُبْشاني، وكان يُكْنى بأبي نِيَارٍ، فقال له حمزةُ: هَلُمَّ إليَّ يا ابنَ مُقطِّعةِ البُظُور[٤]؛ وكانت أمُّه أمُّ أَنمارٍ مولاةَ شَرِيق بن عمرو بن وهبٍ الثَّقَفيّ - قال ابن هشام: شَرِيقٌ أبو الأخنَسِ بن شَرِيق[٥] - وكانت خَتّانةً بمكّة، فلمّا التَقَيا ضربه حمزةُ فقتله.

---

(١) قال السهيليُّ في «الروض» ٥/ ٤٥٨-٤٥٩: يروى بالشين وبالسين، فالمعنى بالسين غير معجمة في هذا المكان: الشِّدّة، كأنه قال: يشدُّهم ويشجِّعهم، لأنه يقال: رجلٌ أَحمسُ، أي: شجاع شديد، والمعنى فيه بالشين معجمة: الإيقاد والإغضاب، لأنه يقال: أحمشتُ النارَ، أوقدتُها، وحَمَشتُ الرجلَ وأحمشتُه: أغضبتُه.

(٢) قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٢٠: يقال: وَلوَلَت المرأةُ، إذا قالت: يا وَيلَها، هذا قول أكثر اللُّغويّين، وقال ابن دُريد: الوَلوَلة: رفع المرأة صوتها في فرح أو حزن.

(٣) حديث الزبير هذا في قصة أبي دجانة حديث حسنٌ، فقد أخرجه الحاكم (٥٠٨٩) وغيره بإسناد حسن عن عروة بن الزبير عن أبيه.

(٤) جمع بَظْر: وهي لحمة ناتئة في أعلى فرج المرأة.

(٥) قول ابن هشام هذا من (غ) وحاشية (ز).

والأخنس هذا كان حليفاً لبني زُهرة، وهو الذي رجع بهم من الجُحْفة فلم يشهدوا بدراً مع مشركي قريشٍ، انظر ذلك فيما تقدم ٢/ ٣١٦.

قال وَحْشيٌّ غلامُ جُبَير بن مُطعِم: والله إنّي لَأنظُرُ إلى حمزة يَهُدُّ النّاسَ[1] بسيفه ما يُلِيقُ شيئاً مِثلَ الجملِ الأَورَقِ[2]، إذ تَقدَّمَني إليه سِباعٌ، فقال له حمزةُ: هَلُمَّ إليَّ يا ابنَ مُقطِّعةِ البُظُور، فضربه ضربةً فكأنّما أخطأَ رأسَه، وهَزَزتُ حَرْبَتي حتّى إذا رَضِيتُ منها دَفَعتُها عليه، فوَقَعَت في ثُنّتِه[3] حتّى خَرَجَت من بين رِجلَيه، فأقبَلَ نحوي، فغُلِبَ فوَقَعَ، وأمهَلتُه حتّى إذا مات جئتُ فأخذتُ حَربتي، ثمّ تَنحَّيتُ إلى العسكر ولم تكن لي بشيءٍ حاجةٌ غيرَه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن الفضل بن عبّاس بن رَبيعة بن الحارث، عن سليمانَ بن يَسارٍ، عن جعفر بن عمرو بن أُميّة الضَّمْريّ قال: خرجتُ أنا وعُبَيدُ الله ابن عَديّ بن الخِيَار، أخو بني نَوفَل بن عبد مَنافٍ، في زمان معاوية بن أبي سفيان، فأدرَبْنا مع النّاسِ[4]، فلمّا قَفَلْنا مَرَرْنا بحِمصَ - وكان وحشيٌّ مولى جُبَير قد سَكَنَها وأقام بها - فلمّا قَدِمْناها قال لي عبيدُ الله بن عَديٍّ: هل لك في أن نأتِيَ وحشيّاً فنسألَه عن قتل حمزةَ كيف قَتَلَه؟ قال: قلت له: إن شِئتَ. فخرجنا نسألُ عنه بحِمصَ، فقال لنا رجلٌ ونحن نسألُ عنه: إنّكما ستَجِدانِه بفِناءِ دارِه، وهو رجلٌ قد غَلَبَت عليه الخمرُ، فإن تَجِداهُ صاحياً تَجِدَا رجلاً عربيّاً، وتَجِدَا عنده بعضَ ما تريدانِ، وتُصِيبا

---

(١) هكذا في (ت) و(غ) و(ي) بالمهمَلة، وفي (ز) و(ش١) و(ص) و(م): يهذّ، بذالٍ، وكذلك في الموضع الآتي قريباً، قال الخشنيّ: من رواه بالذال المعجمة فمعناه: يسرع في قطع لحوم الناس بسيفه، ومن رواه بالدال المهملة فمعناه: يُردِيهم ويُهلِكهم.

(٢) ما يُلِيق: ما يُبقي. والأَورق: الذي يضرب لونه إلى الغُبْرة.

(٣) الثُّنّة: ما بين أسفل البطن إلى العانة.

(٤) أي: اجتزنا الدُّروب، وهي الطرق والمسالك، وأراد هنا الطرق المؤدّية إلى بلاد الروم لغزوهم.

عنده ما شئتُما من حديثٍ تسألانِه عنه، وإن تَجِداهُ وبه بعضُ ما يكون به، فانصَرِفا عنه ودَعَاه، قال: فخرجنا نمشي حتّى جِئناهُ، فإذا هو بفِناءِ داره على طِنفِسَةٍ له[1]، وإذا شيخٌ كبيرٌ مثلُ البُغَاث ـ قال ابن هشام: مثل البُغَاثة، وهي ضربٌ من الطَّير[2] ـ وإذا هو صاحٍ لا بأسَ به.

قال: فلمّا انتَهَينا إليه سَلَّمْنا عليه، فرَفَعَ رأسَه إلى عُبيد الله بن عَديٍّ فقال: ابنٌ لعَديِّ بن الخِيَارِ أنتَ؟ قال: نعم، قال: أما واللهِ ما رأيتُك منذُ ناوَلتُك أُمَّك السَّعدِيَّةَ الّتي أرضَعَتْك بذي طُوًى[3]، فإنّي ناوَلتُكَها وهي على بعيرِها فأخذتُك بعُرْضَتِك[4] فلَمَعَت لي قَدَماكَ حين رَفَعتُك إليها، فوالله ما هو إلّا أن وَقَفتَ عليَّ فعرفتُهما.

قال: فجَلَسنا إليه فقلنا: جِئناكَ لتُحدِّثَنا عن قتلِك حمزةَ كيفَ قتلتَه؟ فقال: أمَا إنّي سأُحدِّثُكما كما حدَّثتُ رسولَ الله ﷺ حين سأَلني عن ذلك؛ كنتُ غلاماً لجُبَير ابن مُطعِمٍ، وكان عمُّه طُعَيمةُ بن عَديٍّ قد أُصيبَ يومَ بدرٍ، فلمّا سارَتْ قريشٌ إلى أُحدٍ قال لي جُبَيرٌ: إن قتلتَ حمزةَ عمَّ محمّدٍ بعمِّي، فأنت عَتيقٌ.

قال: فخرجتُ مع النّاس، وكنتُ رجلاً حَبَشيّاً أَقذِفُ بالحَرْبة قَذْفَ الحَبَشة، قَلَّما أُخطِئُ بها شيئاً، فلمّا التَقَى النّاسُ خرجتُ أنظُرُ حمزةَ وأتَبَصَّرُه حتّى رأيتُه في

(١) الطّنفسة: بساط له خَمْل رقيق.

(٢) البُغاث من الطير: ما لا يصيد ولا يُرغَب في صيده لأنه لا يؤكل.

(٣) هو وادٍ من أودية مكة في شمالها، كلُّه معمور اليوم، فيه عدّة أحياء من أحياء مكة.

(٤) في (ت) و(ص) و(غ): بعُرصتك، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٢٠-٢٢١: من رواه هكذا، فالعُرْضة: الجِلد الذي يكون فيه الصبيُّ إذا أُرضع ويُربّى فيه، ومن رواه «بعُرْصتك» بالصاد المهملة فمعناه: أنه رفعه إليها بالثوب الذي كان تحته، ومن رواه «بعُرضَيك» فمعناه: بجانبَيك، وعُرْض الشيء، بضمّ العين: جانبه.

عُرْضِ الناس مِثلَ الجَمَلِ الأَورَقِ، يَهُدُّ النّاسَ بسيفه هَدّاً، ما يقومُ له شيءٌ، فواللهِ إنّي لَأتَهيَّأُ له أُريدُه وأستَتِرُ منه بشجرةٍ أو حجرٍ ليَدنُوَ منّي، إذ تَقدَّمَني إليه سِباعُ بن عبد العُزّى، فلمّا رآه حمزةُ قال له: هَلُمَّ إليَّ يا ابنَ مُقطِّعةِ البُظُور، قال: فضربه ضربةً كأنّما أخطأَ رأسَه، قال: وهَزَزتُ حَرْبتي حتّى إذا رَضِيتُ منها دَفَعتُها عليه، فوَقَعَت في ثُنَّتِه حتى خرجت من بين رجليه، وذهبَ لِيَنُوءَ[1] نحوي فغُلِبَ، وتَركتُه وإيّاها حتّى مات ثمّ أتيتُه فأخذتُ حَرْبتي، ثمّ رجعتُ إلى العسكر فقَعَدتُ فيه، ولم يكن لي بغيره حاجةٌ، وإنّما قتلتُه لأُعتَقَ، فلمّا قَدِمتُ مكّةَ عَتَقتُ[2]، ثمّ أقَمتُ حتّى إذا افتَتَحَ رسولُ الله ﷺ مكّةَ هربتُ إلى الطّائف فكنتُ بها، فلمّا خرج وَفْدُ الطّائفِ إلى رسول الله ﷺ ليُسلِموا تَعَيَّتْ عليَّ المذاهبُ[3]، فقلت: أَلحَقُ بالشّام أو اليمن أو ببعضِ البلاد، فوالله إنّي لَفي ذلك من هَمِّي إذ قال لي رجلٌ: وَيحَك، إنّه والله ما يقتلُ أحداً من النّاس دخل في دينِه وتَشهَّدَ شهادتَه.

فلمّا قال لي ذلك، خرجتُ حتّى قَدِمتُ على رسول الله ﷺ المدينةَ، فلم يَرُعْهُ إلّا بي قائماً على رأسه أتشهَّدُ شهادةَ الحقِّ، فلمّا رآني قال: «أوَحْشيٌّ؟» قلت: نعم يا رسولَ الله، قال: «اقعُدْ فحَدِّثْني كيفَ قَتَلتَ حمزةَ»، قال: فحدَّثتُه كما حدَّثتُكما، فلمّا فَرَغتُ من حديثي قال: «وَيحَك، غَيِّبْ عنِّي وَجهَك، فلا أَرَيَنَّك»، قال: فكنتُ أتَنكَّبُ رسولَ الله ﷺ حيثُ كان لئلّا يَراني، حتّى قَبَضَه اللهُ.

فلمّا خرج المسلمون إلى مُسَيلِمةَ الكذّابِ صاحبِ اليَمامة[4]، خرجتُ معهم

---

(١) ينوء: ينهض متثاقلاً.

(٢) في (ص) و(م) ونسخة على حاشية (ز): أُعتِقتُ. وكلاهما صحيح.

(٣) تعيَّت عليَّ، أي: لم أعد أهتدِ إلى المذاهب: وهي الطرق التي يُذهَب فيها.

(٤) اليمامة: اسم لإقليم فيه مدن وقرى يقع وسط نجد شرق الجزيرة العربية، من مدنه =

وأخذتُ حَرْبَتي الّتي قتلتُ بها حمزةَ، فلمّا التَقَى الناسُ رأيتُ مُسيلِمةَ قائماً في يده السّيفُ وما أعرِفُه، فتَهيّأتُ له وتَهيّأَ له رجلٌ من الأنصار من الناحية الأُخرى، كِلَانا يريدُه، فهَزَزتُ حَرْبتي حتّى إذا رَضِيتُ منها دَفَعتُها عليه فوَقَعَت فيه، وشَدَّ عليه الأنصاريُّ فضربه بالسّيفِ، فرَبُّك أعلمُ أيُّنا قَتَلَه، فإن كنتُ قتلتُه، فقد قتلتُ خيرَ النّاس بعدَ رسول الله ﷺ وقد قتلتُ شرَّ النّاس.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن الفضل، عن سليمانَ بن يَسارٍ، عن عبد الله ابن عمر بن الخَطّاب، وكان قد شَهِدَ اليَمامةَ، قال: سمعتُ يومئذٍ صارخاً يقول: قتله العبدُ الأَسود[1].

قال ابن هشام: فبَلَغَني أنَّ وَحْشيّاً لم يَزَلْ يُحَدُّ في الخمر حتّى خُلِعَ من الدِّيوان[2] فكان عمرُ بن الخَطّاب يقول: قد علمتُ أنَّ الله لم يكن ليَدَعَ قاتلَ حمزة.

قال ابن إسحاق: وقاتَلَ مُصعَبُ بن عُميرٍ دونَ رسول الله ﷺ حتّى قُتِل، وكان الّذي قتله ابنُ قَمِئَةَ اللَّيثيُّ وهو يظنُّ أنّه رسولُ الله ﷺ، فرجع إلى قريشٍ فقال:

= الرياض والعُيينة والدَّرعية، ويُدعَى اليوم: العارض، وأصبحت اليمامة اليوم محصورة في بلدة صغيرة تقع في منطقة الخَرْج جنوب شرقيّ مدينة الرِّياض على قرابة ٨٠ كم.

أما مكان معركة اليمامة الفاصلة التي قُتل فيها مسيلمة الكذاب فهو في عَقرباء، وهو موضع في بلدة الجُبَيلة اليوم التي تقع شمال مدينة الرياض على قرابة ٤٠ كم.

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه بطوله أحمد (١٦٠٧٧)، والبخاري (٤٠٧٢)، وابن حبان (٧٠١٧) من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشُون، عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، بهذا الإسناد.

(٢) الديوان: الكتاب يُكتَب فيه أهل الجيش وأهل العطيّة، والمراد بخلعه منه مع أنّ له قوة ومعرفة بالحرب، أنه لما كثر شربُه للخمر المنافي للمتّقين، عُوقِب بشَطْبه منه. وانظر «شرح المواهب اللدُنّية» للزرقاني ٤/ ٤٦٩.

قتلتُ محمّداً. فلمّا قُتِلَ مصعبُ بن عُميرٍ أَعطى رسولُ الله ﷺ اللِّواءَ عليَّ بن أبي طالب، وقاتَلَ عليُّ بن أبي طالبٍ ورجالٌ من المسلمين.

قال ابن هشام: وحدّثني مَسلَمةُ بن عَلقَمةَ المازِني قال: لمّا اشتدَّ القتالُ يومَ أُحدٍ جَلَسَ رسولُ الله ﷺ تحت رايةِ الأنصار، وأرسَلَ إلى عليِّ بن أبي طالبٍ رِضوانُ الله عليه: أنْ «قَدِّمِ الرَّايةَ»، فتَقدَّمَ عليٌّ، فقال: أنا أبو القُصَم - ويقال: أبو الفُصَم[1]، فيما قال ابن هشام - فناداه أبو سعد بن أبي طَلْحة، وهو صاحبُ لواءِ المشركين: أنْ هل لك يا أبا القُصَمِ في البِرَازِ من حاجةٍ؟ قال: نعم، فبَرَزا بين الصَّفَّينِ فاختَلَفا ضربتَينِ، فضربه عليٌّ فصَرَعَه، ثمّ انصَرَفَ عنه ولم يُجهِزْ عليه، فقال له أصحابُه: أفلا أَجهزتَ عليه؟! فقال: إنّه استَقبَلَني بعَوْرتِه، فعَطَفَتْني عنه الرَّحِمُ وعَرَفتُ أنَّ الله قد قَتَله[2].

ويقال: إنَّ أبا سعد بن أبي طَلْحةَ خرج بين الصَّفَّينِ فنادى: أنا قاصمٌ، مَن يُبارِزُ؟ مِراراً، فلم يَخرُجْ إليه أحدٌ، فقال: يا أصحابَ محمَّد، زَعَمتُم أنّ قَتْلاكم في الجنّة وأنّ قَتْلانا في النار، كَذَبتُم واللاّتِ، لو تعلمون ذلك حقّاً لخرج إليَّ بعضُكم، فخرج إليه عليُّ بن أبي طالبٍ، فاختَلَفا ضربتَينِ، فضربه عليٌّ فقتله.

---

(١) اضطربت النسخ في تقييد هذين اللفظين، وأصحُّه إن شاء الله ما قيّدناهما به بالاعتماد على ما في نسختي (م) و(ز) والنسخ التي على حاشيتها، الأول بالقاف والثاني بالفاء، وعليهما شرح السهيليُّ في «الروض» ٥/ ٤٦٢ فقال ما ملخَّصه: أبو القُصَم، أي: أبو الدَّواهي العظيمة، والقَصْم: كسرٌ ببينونة (أي: بانفصال)، والفَصْم: كسرٌ بغير بينونة، ككسر القَضيب الرَّطْب ونحوه.

(٢) إسناده ضعيف لإرساله، فإن مسلمة بن علقمة من أتباع التابعين، وهو ليس بذاك القوي، مختلَفٌ فيه كما في «التهذيب» وفروعه.

قال ابن إسحاق: قَتَل أبا سعد بن أبي طلحةَ سعدُ بن أبي وَقّاص[1].

وقاتَلَ عاصمُ بن ثابت بن أبي الأَقلَح، فقتل مُسافِعَ بن طلحةَ وأخاه الجُلَاسَ بن طلحةَ، كلاهما يُشعِرُه سَهماً[2]، فيأتي أُمَّه سُلَافةَ[3] فيَضَعُ رأسَه في حِجْرِها فتقول: يا بُنيَّ، مَن أصابَك؟ فيقول: سمعتُ رجلاً حين رَمَاني وهو يقول: خُذْها وأنا ابنُ أبي الأَقلَح؛ فنَذَرَت إنْ أَمكنَها اللهُ من رأسِ عاصمٍ أن تَشرَبَ فيه الخمرَ، وكان عاصمٌ قد عاهَدَ اللهَ أن لا يَمَسَّ مشركاً أبداً ولا يَمَسَّه.

وقال عثمانُ بن أبي طلحة يومئذٍ وهو يَحمِلُ لواءَ المشركين:

إنَّ علـى أهـلِ اللِّـواءِ حَقّـا ... أن يَخضِبوا الصَّعْدةَ أو تَنـدَقّا[4]

فقتله حمزةُ بن عبد المطَّلِب.

والْتَقى حَنظَلَةُ بن أبي عامرٍ الغَسيلُ وأبو سفيانَ، فلمّا استَعْلاه حَنظَلَةُ رآه شدّادُ ابن الأسوَد ـ وهو ابنُ شَعُوبَ ـ وقد عَلَا أبا سفيان، فضربه شدّادٌ فقتله، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ صاحِبَكم ـ يعني حَنظَلَةَ ـ لَتُغسِّلُه الملائكةُ، فسَلُوا أهلَه ما شَأْنُه؟» فسُئِلَت صاحبتُه عنه فقالت: خرج وهو جُنُبٌ حين سمعَ الهاتِفةَ[5].

---

(١) وهذا هو المشهور، فبمثل قول ابن إسحاق قال الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٢٢٧، وابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٣٨، وخليفة بن خيّاط في «تاريخه» ص٦٧.

(٢) أي: يصيبه به في جسده، فيصير له مثل الشِّعار، والشِّعار: ما ولي الجسدَ من الثياب.

(٣) سُلافة بنت سعد بن شُهَيد الأوسيّة من بني عمرو بن عوف.

(٤) الصَّعدة: الرمح، ومعنى أن يخضبوه: أن يلوّنوه بلون الدم.

(٥) الهاتفة: الصَّيحة.

وهذا الحديث صحيح، وقد أسنده يحيى بنُ سعيد الأُمويُّ في روايته عن ابن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جدِّه. أخرجه ابن حبان (٧٠٢٥)، =

قال ابن هشام: ويقال: الهائعةُ[1]، والهائعةُ: الصَّيحةُ التي فيها الفَزَعُ.

قال ابن هشام: وجاء في الحديث: «خيرُ النّاسِ رجلٌ مُمسِكٌ بعِنَانِ فرسِه، إذا سمعَ هَيْعةً طارَ إليها»[2].

قال الطِّرِمّاحُ بن حَكيمٍ الطّائيُّ ـ والطِّرِمّاحُ: الطَّويل من الرِّجال ـ:

أنا ابنُ حُمَاةِ المجدِ من آلِ مالكٍ إذا جَعَلَت خُورُ الرِّجالِ تَهِيعُ[3]

قال ابن إسحاق: فقال رسولُ الله ﷺ: «لذلكَ غَسَّلَته الملائكةُ»[4].

وقال شدّادُ بن الأسوَد في قتلِه حَنظَلَة:

لَأحمِيَنَّ صاحبي ونَفْسي بطَعنةٍ مِثلِ شُعاعِ الشَّمسِ

وقال أبو سفيانَ بن حَرْب، وهو يذكرُ صبرَه ذلك اليومَ ومُعاوَنةَ ابن شَعُوبَ إيّاه على حنظلة:

= والحاكم (٤٩٧٩)، واختُلف في المراد بالجدِّ هنا، فقيل: هو عبد الله بن الزبير، وقيل: أبوه الزبير بن العوّام، وسواء كان هذا أم ذاك، فكلاهما صحابيٌّ والرواية عنهما صحيحة، وانظر تمام تخريجه والكلام عليه في «مستدرك الحاكم» طبعة دار الرسالة، ولابن إسحاق فيه إسناد آخر كما هو مبيَّن هناك.

(١) وهي كذلك في رواية الأمويّ عن ابن إسحاق.

(٢) حديث صحيح.

وأخرجه بنحوه أحمد (٩١٤٢) و(٩٧٢٣)، ومسلم (١٨٨٩)، وابن ماجه (٣٩٧٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨٧٧٩)، وابن حبان (٤٦٠٠) من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٣) الخُور: جمع خوّار، وهو الضعيف الجبان. وتَهِيع، أي: تَجبُن وتَفزَع.

وهذا البيت من آخر قصيدة طويلة للطرمّاح، انظر «ديوانه» ص١٩٤.

(٤) هو قطعة من الحديث السابق.

وَلَوْ شِئْتُ نَجَّتْنِي كُمَيْتٌ طِمِرَّةٌ ... وَلَمْ أَحْمِلِ النَّعْمَاءَ لابنِ شَعُوبِ[1]

وما زالَ مُهْرِي مَزْجَرَ الكلبِ منهمُ ... لَدُنْ غُدْوةٍ حتّى دَنَت لغُروبِ[2]

أُقَاتِلُهم وأَدَّعِي: يا لَغالِبٍ[3] ... وأدفَعُهم عنّي بِرُكْنٍ صَلِيبِ

فبَكِّي ولا تَرعَيْ مَقالةَ عاذِلٍ ... ولا تَسأَمي من عَبْرةٍ ونَحيبِ[4]

أباكِ وإخواناً له قد تَتابَعوا ... وحُقَّ لهم من عَبْرةٍ بنَصيبِ

وسَلَّى الّذي قد كان في النَّفسِ أنّني ... قتلتُ من النَّجّارِ كلَّ نَجيبِ[5]

ومن هاشمٍ قَرْماً كريماً ومُصعَباً ... وكان لَدَى الهَيجاءِ غيرَ هَيُوبِ[6]

ولو أنّني لم أَشفِ نفسيَ منهمُ ... لكانت شَجاً في القلبِ ذاتَ نُدُوبِ[7]

فآبُوا وقد أَودَى الجَلابِيبُ منهمُ ... بهم خَدَبٌ من مُعبَطٍ وكَئيبِ[8]

---

(١) الطِّمِرّة: الفرس السريعة الوثب.

(٢) مَزجَر الكلب: يريد أنه لم يبعد منهم إلا بمقدار الموضع الذي يُزجَر الكلب فيه. ودنت لغروب، أي: الشمس، وإنما أضمرها ولم يتقدَّم لها ذكرٌ، لأن الغُدْوة دلَّت عليها، والغُدوة: أول النهار.

ولَدُن بمنزلة: عند، ويجوز في غُدْوةَ النصب والجرّ، والجرُّ هو الوجه والقياس كما قال سيبويه في «الكتاب» ١/ ٢١٠، وانظر الكلام عليها بتفصيل في «الروض الأنف» ٥/ ٤٦٤-٤٦٥.

(٣) يعني غالب بن فِهْر، أحد أجداد قريش.

(٤) فبكِّي، أي: ابكي، يخاطب زوجته هنداً. والعاذل: اللائم.

(٥) سلّى النفسَ، أي: كشف وأذهب الهمَّ منها. والنجيب: الكريم من الرجال.

(٦) القَرْم: الفحل الكريم من الإبل، ويريد به هنا حمزةَ رضي الله عنه. والهيجاء: الحرب.

(٧) الشَّجا: الحزن. والندوب: آثار الجروح، الواحد: نَدْب.

(٨) الجلابيب: جمع جِلْباب، وهو: الإزار الخَشِن، لكن المراد به هنا أصحاب النبي ﷺ، فقد كان المشركون من أهل مكة يسمُّون من أسلم مع رسول الله ﷺ: الجلابيب، يلقِّبونهم =

أصــابَهمُ مَــن لــم يكــن لــدِمائهمْ كِفــاءً ولا في خُطّــةٍ بضَــرِيبِ[1]

فأجابَه حسّانُ بن ثابتٍ، فيما ذكرَ ابنُ هشام، فقال[2]:

ذكرتَ القُرومَ الصِّيدَ من آلِ هاشمٍ ولســتَ لــزُورٍ قلتَــهُ بمُصــيبِ[3]

أتَعجَبُ أن أقصَدْتَ حمزةَ منهمُ نَجيبــاً وقــد ســمَّيتَه بنَجيــبِ[4]

ألــم يَقتُلــوا عَمــراً وعُتْبــةَ وابنَــهُ وشَــيْبةَ والحَجّــاجَ وابــنَ حَبيــبِ[5]

غَــداةَ دعــا العاصــي عليّــاً فراعَــهُ بضــربةِ عَضْــبٍ بَلَّــهُ بخَضِــيبِ[6]

قال ابن إسحاق: وقال ابن شَعُوبَ يذكرُ يدَه عند أبي سفيان فيما دَفَعَ عنه:

= بذلك. وأودى: هلك. والخَدْب: الطَّعن النافذ إلى الجوف. والمُعبَط: هو الذي يسيل دمه. والكئيب: الحزين، ويروى: كَبِيب ـ كما في نسخة على حاشية (ز) ـ أي: مكبوب على وجهه.

(١) الخطة هنا: الخَصْلة الرفيعة. والضَّريب: الشَّبيه.

(٢) انظر «ديوان حسان» ١/ ٤٤٦ و٢/ ٣١٥ بتحقيق وليد عرفات.

(٣) القروم: الفحول من الإبل، ويستعار للكِرام من الناس. والصِّيد: الملوك المتكبرين. والزُّور: الكذب.

(٤) أقصدتَ: رميتَه فأصبتَه. والنجيب: الكريم.

(٥) عمرو: هو عمرو بن هشام أبو جهل، وعتبة: هو ابن ربيعة بن عبد شمس، وابنه الوليد، وشيبة أخو عتبة.

وأما الحجّاج وابن حبيب فلم يحضر بدراً أحدٌ بهذين الاسمين إلا إن أراد بالحجاج ابنيه نُبيهاً ومنبِّهاً، وأما ابن حبيب فقد حضر بدراً من المشركين حبيبُ بن جابر من بني عامر بن لؤي وأُسر يومئذٍ، فلعلّه كان معه ابنٌ له فقُتِل يومها، والله تعالى أعلم.

(٦) العاصي: اثنان ممن قتله علي بن أبي طالب ببدر بهذا الاسم، وهما: أبو البختري العاص ابن سعيد الأُموي، والعاص بن منبِّه بن الحجاج السهمي.

قوله: فراعَه، أي: أفزعه. والعَضْب: السيف القاطع. والخضيب هنا: الدم.

ولولا[1] دِفاعي يا ابنَ حَربٍ ومَشهَدي
لَأُلفِيتَ يومَ النَّعْفِ غيرَ مُجيبِ
ولولا مَكَرِّي المُهرَ بالنَّعفِ قَرقَرَت
ضِباعٌ عليه أو ضِراءُ كَلِيبِ[2]

قال ابن هشام: قولُه: عليه أو ضِراءُ، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال الحارث بن هشام يجيبُ أبا سفيان:

إنّكَ لو عايَنتَ ما كان منهمُ　　لَأُبْتَ بقَلبٍ ـ ما بَقِيتَ ـ نَخِيبِ[3]
لَدَى صَحنِ بدرٍ أو أَقمتَ نوائحاً　　عليكَ ولم تَحفِلْ مُصابَ حَبيبِ[4]
جَزَيتَهمُ يوماً ببدرٍ كمِثلِهِ　　على سابحٍ ذي مَيْعةٍ وشَبيبِ[5]

قال ابن هشام: إنّما أجاب الحارثُ بن هشامٍ أبا سفيانَ، لأنّه ظنَّ أنه عَرَّضَ به في قوله: 　　وما زالَ مُهْري مَزجَرَ الكلبِ منهمُ

لِفِرار الحارثِ يومَ بدر.

---

(١) هكذا في (ز) و(ش١)، وفي بقية النسخ: لولا، بإسقاط الواو، وهو خَرْم. ولأُلفِيتَ، أي: وُجِدتَ، وفي (ت) و(ص): لأُلقِيتَ، من الإلقاء.

والنَّعف: أسفل الجبل.

(٢) قرقرت ضباعٌ، أي: أسرعت الضباع إليه وخفَّت لأكله. والضِّراء: الضارية المتعوّدة للصَّيد أو لأكل لحوم الناس. وكَلِيب: اسم لجماعة الكلاب.

(٣) لأُبتَ: رجعتَ. والنَّخيب: الجبانُ الفَزِع.

(٤) صحن بدر: يريد ساحة المعركة ببدر. ولم تحفل، أي: لم تُبالِ. وقوله: مصاب حبيب، يريد حبيب بن جابر رجل من بني عامر بن لؤي، وكان أُسر يومئذٍ.

(٥) السابح: الفرس الذي كأنه يسبح في جريه. والمَيْعة: الخفّة والنشاط. والشَّبيب، والشِّبَابُ أيضاً: أن يرفع الفرسُ يديه جميعاً فيقفز.

قال ابن إسحاق: ثمّ أنزلَ الله نصرَه على المسلمين وصَدَقَهم وعدَه، فحَسُّوهم بالسّيوفِ[1] حتّى كَشَفُوهم عن العسكر[2] وكانت الهزيمةُ لا شكَّ فيها.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه عَبّاد، عن عبد الله بن الزُّبير، عن الزُّبير أنّه قال: والله لقد رأيتُني أنظُرُ إلى خَدَمِ[3] هندٍ بنتِ عُتْبة وصواحِبِها مُشمِّراتٍ هَوارِبَ ما دون أخذِهنَّ قليلٌ ولا كثيرٌ، إذ مالت الرُّماةُ إلى العسكر حين كَشَفْنا القومَ عنه وخَلَّوْا ظُهورَنا للخيل، فأُتِينا من خلفِنا، وصَرَخَ صارخٌ: ألا إنَّ محمّداً قد قُتِلَ؛ فانكَفَأْنا[4] وانكَفَأَ علينا القومُ بعدَ أن أَصَبْنا أصحابَ اللِّواءِ حتّى ما يَدنُو منه أحدٌ من القوم[5].

قال ابن هشام: الصّارخُ إزْبُ العَقَبة؛ يعني الشّيطان[6].

---

(١) حسُّوهم بالسيوف: قتلوهم واستأصلوهم.

(٢) وهو المعسكَر أيضاً، وهو مجتمع الجيش حيث يكون فيه أخبيتهم ومتاعهم.

(٣) الخَدَم هنا جمع خَدَمةٍ: وهي الخلخال، يعني أنهنّ شمَّرن ثيابهنَّ للهرب حتى بدت خلاخيلُهن.

(٤) انكفأنا: رجعنا.

(٥) إسناده صحيح.

وأخرجه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» ٣/ (٨٨٢) من طريق أبي سعيد عبد الرحيم البرقي، عن عبد الملك بن هشام.

وأخرجه الحاكم (٤٣٦٢) من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وانظر تتمة تخريجه هناك.

(٦) لم يسنده ابن هشام عن أحدٍ، وقد وقع صراخُ إزب العقبة هذا في قصة بيعة العقبة الثانية كما تقدم ٢/ ٧٥.

وذكر الواقدي في «مغازيه» ١/ ٢٣٢ بلا إسناد: أن إبليس تصوَّر في صورة جِعال بن سُراقة يوم =

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ أهل العلم: أنّ اللِّواءَ لم يَزَلْ صَريعاً حتّى أخذَته عَمْرةُ بنتُ عَلقَمة الحارثيّةُ فرَفعَته لقريشٍ فلاثُوا به[1]، وكان اللّواءُ مع صُؤَابٍ غلامٍ لبني أبي طلحةَ حبشيٍّ، وكان آخرَ مَن أَخذه منهم فقاتَلَ به حتّى قُطِعَت يداه، ثمّ بَرَكَ عليه فأخَذَ اللِّواءَ بصَدْرِه وعُنُقِه حتّى قُتِلَ عليه وهو يقول: اللّهمَّ هل أعزَرتُ ـ يقول: أعذَرتُ[2] ـ فقال حسّانُ بن ثابتٍ في ذلك[3]:

فَخَرتُمْ باللِّواءِ وشَرُّ فخرٍ ... لِواءٌ حين رُدَّ إلى صُؤَابِ
جَعَلتُم فَخْرَكم فيه لعبدٍ ... وأَلأَمِ مَن يَطَا عَفَرَ التُّرابِ[4]
ظَنَنتُم والسَّفيهُ له ظُنونٌ ... وما إنْ ذاكَ مِن أمرِ الصَّوابِ
بأنَّ جِلادَنا يومَ التَقَينا ... بمكّةَ بَيعُكمْ حُمْرَ العِيَابِ[5]
أَقَرَّ العَينَ أنْ عُصِبَت يَدَاهُ ... وما إنْ تُعصَبانِ على خِضَابِ

= أُحد ونادى ثلاث صرخات: إن محمداً قد قُتل. وهذا لا يصحُّ.

ووقع في حديث ابن عباس في قصة أُحد عند أحمد (٢٦٠٩) بإسناد حسن، قال: وصاح الشيطان: قُتل محمدٌ، فلم يُشكَّ فيه أنه حق. قلنا: الظاهر أنه لم يُرِد الشيطان بعينه، إنما أراد نسبة هذا الفعل إليه، كما يُنسَب إليه كلُّ أمر سوءٍ وفعل قبيح، فيقال: هو من فعل الشيطان، وقول الشيطان، والله تعالى أعلم.

(١) لاثُوا به: اجتمعوا حوله والتفُّوا.

(٢) يعني أنه كان في لسانه لُكْنة أعجمية، فغيّر الذال من «أعذرتُ» إلى الزاي، لأنه كان حبشيّاً. قاله أبو ذر الخشنيُّ.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ٣٦٧.

(٤) يَطَا: الأصل فيه الهمز وسُهّل للشعر. وعَفَرُ التراب: الذي لونه بين الحُمْرة والغُبْرة.

(٥) العِياب: جمع عَيْبة، وهي ما يضع فيها الرجلُ متاعه. والحُمْر: جمع أحمر. يقول له: ظننتم أن قتالنا كبيعكم المتاع وتجارتكم بمكة.

قال ابن هشام: آخرُها بيتاً يُروَى لأبي خِرَاشٍ الهُذَليّ، وأنشدَنيهِ له خَلَفٌ الأحمرُ[1]:

أقَرَّ العَينَ أنْ عُصِبَت يداها ... وما إن تُعصَبانِ على خِضابِ

في أبياتٍ له؛ يعني امرأتَه، في غير حديث أُحدٍ.

وتُروَى الأبياتُ أيضاً لمَعقِل بن خُوَيلِد الهُذَليّ[2].

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ في شأن عَمْرة بنت عَلقَمة الحارثيَّة ورفعِها اللِّواءَ[3]:

إذا عَضَلٌ سِيقَت إلينا كأنَّها ... جِدَايةُ شَرْكٍ مُعلَماتُ الحواجبِ[4]

(١) كذا قال ابن هشام، ولم يذكره له أبو سعيد السكّري في «أشعار الهذليِّين»، وذكره الجاحظ في كتاب «الحيوان» ٢/ ٣٥٤ وأبو الفرج الأصفهاني في «الأغاني» ١٠/ ١٩ ونسباه إلى دُرَيد بن الصِّمّة الجُشمي.

(٢) رواه له أبو سعيد السكّري في «شرح أشعار الهذليِّين» ١/ ٣٨٧، ولفظه:

أقرَّ العينَ أن حُزِمَت يداها ... وما إن تُحزَمانِ على خِضابِ

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ١٢٧.

(٤) عَضَلٌ: هكذا قُيِّدت في (ت) و(ز) و(ش١) و(ص) و(م) بفتح العين، وأُهملت في (غ) و(ي)، وقد وقع تفسيرها في حواشي بعض نسخ «ديوان حسان» (كما في المطبوع منه بتحقيق وليد عرفات ٢/ ١١٢) بخط الحافظ أبي الحسن محمد بن العباس بن الفرات راوي «الديوان» عن أبيه: أن المراد بالعَضَل صِغار المَعْز وصغار الظِّباء؛ ولم نقف على هذا المعنى في معاجم اللغة، ثم إنّ تشبيهها بالجداية (بكسر الجيم وفتحها) يدفع هذا القول، فإن الجداية ابنُ الظَّبيِ أو الظَّبيةُ الفتيّة، ونقل السهيلي عن أبي عبيدٍ أنه يقال: جداية، للواحد والجمع والذكر والأنثى، وعليه فلا يصحُّ أن يشبّه الشيء بنفسه.

وذهب السهيليُّ في «الروض» ٥/ ٤٦٧ والخشنيُّ في «إملائه» ص٢٢٥ إلى أن المراد بها قبيلة =

أَقَمْنا لهم طَعْناً مُبيراً مُنكِّلاً   وحُزْناهمُ بالضَّربِ من كلِّ جانِبِ[١]

فلولا لواءُ الحارثيَّةِ أصبَحُوا   يُباعُونَ في الأسواقِ بيعَ الجَلائبِ[٢]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبياتٍ له.

قال ابن إسحاق: وانكَشَفَ المسلمون فأصاب فيهم العدوُّ، وكان يومَ بلاءٍ وتمحيص، أكرَمَ اللهُ فيه مَن أكرَمَ من المسلمين بالشَّهادة، حتّى خَلَصَ العدوُّ إلى رسول الله ﷺ، فدُثَّ[٣] بالحجارة حتّى وَقَعَ لشِقّه، فأُصيبت رَباعِيَتُه وشُجَّ في وجهِه وكُلِمَت شَفَتُه[٤]، وكان الذي أصابه عُتْبَةَ بن أبي وَقّاص.

= عَضَل، وهي من الهُون بن خزيمة؛ وهذا مستبعَدٌ أيضاً، إذ إن هذه القبيلة لم يشهد أبناؤها أُحداً مع مشركي قريش، فكيف يتعرّض لها حسانُ في شعره عن أُحد!

ويغلب على ظنّنا أن الصواب أن تُقيَّد العين بالضم، فالعُضَل: جمع عُضْلة (وتكسر عينه)، وهو الداهية من الرجال، فأراد بالعُضَل: الدَّواهي والأشدّاء من الرجال؛ يعني من قريش. والله تعالى أعلم.

وأراد بالشَّرك هنا، ويروى بكسر الشين أيضاً: الأشراك التي تُنصَب ويُصطاد بها، كما قال السهيليُّ، ووهمَ الخشنيُّ فجزم بأنه اسم موضع. ومُعلَمات الحواجب: يعني مُعلَمات بالدماء على حواجبها، ويجوز أن يريد سوادَها ما بين أعينها، فيما قاله السهيليُّ.

(١) مُبيراً: مهلكاً. ومنكِّلاً: قامعاً لهم ولغيرهم.

(٢) الجلائب: ما يُجلَب إلى الأسواق ليباع فيها.

(٣) في نسخة على حاشية (ز): فرُثَّ، بالراء، قال الخشنيُّ: من رواه بالراء فمعناه: أصيب بها حتى أضعفته، ومن رواه «فدُثَّ» بالدال المهملة، فمعناه: رُمي حتى التوى بعضُ جسده. والشِّق: الجانب.

(٤) الرَّباعيَة: السنُّ التي بين الثَّنيّة والناب، والجمع: رَباعِيَات، بالتخفيف أيضاً. وشُجّ، أي: أصابته شَجّة، وهي الجراحة، وإنما تُسمَّى بذلك إذا كانت في الوجه أو الرأس. وكُلِمت: جُرحت.

قال ابن إسحاق: فحدّثني حُمَيدٌ الطّويل، عن أنس بن مالكٍ قال: كُسِرَت رَباعِيَةُ النبيِّ ﷺ يومَ أُحدٍ وشُجَّ في وجهِه، فجعل الدّمُ يَسيلُ على وجهِه وجعل يَمسَحُ الدّمَ وهو يقول: «كيفَ يُفلِحُ قومٌ خَضَبُوا وَجْهَ نبيِّهم[1] وهو يَدعُوهم إلى رَبِّهم؟!»، فأنزَلَ الله عزَّ وجلَّ عليه في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨][2].

قال ابن هشام: وذكرَ رُبَيحُ بن عبد الرَّحمن بن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ، عن أبيه،

(١) أي: بلُّوه ولوَّنوه بلون الدم.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١١٩٥٦) و(١٢٨٣١) و(١٣٠٨٣) و(١٣١٣٨)، وابن ماجه (٤٠٢٧)، والترمذي (٣٠٠٢) و(٣٠٠٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٠١١)، وابن حبان (٦٥٧٤) من طرق عن حميد الطويل، به.

وأخرجه أحمد (١٣٦٥٧)، ومسلم (١٧٩١)، وابن حبان (٦٥٧٥) من طريق ثابت البُناني، عن أنس بن مالك.

وفي هذا الباب أخرج البخاري (٢٩٠٣) و(٥٧٢٢) ومسلم (١٧٩٠) من حديث سهل بن سعد الساعديّ قال: لما كُسِرَت على رأس رسول الله ﷺ البيضةُ وأُدمي وجهه، وكُسرت رباعيتُه وكان عليٌّ يختلف بالماء في المِجَنّ، وجاءت فاطمةُ تغسل عن وجهه الدم، فلمّا رأت فاطمةُ الدمَ يزيد على الماء كثرةً، عَمَدَت إلى حصير فأحرقتها وألصَقَتها على جرح رسول الله ﷺ فرَقَأَ الدمُ. أي: انقطع.

وقد جاء في حديث ابن عمر: أن رسول الله ﷺ بعد أُحد كان يدعو في صلاته إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر، على أربعة من المشركين: وهم أبو سفيان وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام وصفوان بن أُمية، فلما نزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ...﴾ ترك ذلك، فتاب الله عليهم فأسلموا فحَسُنَ إسلامهم. انظر ذلك مجموعاً من حديث ابن عمر عند أحمد (٥٦٧٤) و(٥٨١٢) و(٥٩٩٧)، والبخاري (٤٥٥٩)، والترمذي (٣٠٠٥).

عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ: أنَّ عُتْبَةَ بن أبي وقّاصٍ رَمَى رسولَ الله ﷺ يومئذٍ فكَسَرَ رَباعِيَتَه اليُمنَى السُّفلَى وجَرَحَ شَفَتَه السُّفلَى[1].

وأنَّ عبدَ الله بن شِهابٍ الزُّهْريَّ شَجَّه في جَبْهتِه[2].

---

(١) قد ثبت هذا عن عُتبة: أنه هو من كسر رباعية رسول الله ﷺ، فقد روى هذا عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٦٤٩)، وفي «تفسيره» ١/ ١٣١، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٤٦-٤٧ من مرسل مِقسَم مولى ابن عباس ومرسل الزهري: أن عتبة بن أبي وقاص كسر رباعية النبي ﷺ يوم أُحد ودمَّى وجهه، فدعا عليه النبي ﷺ فقال: «اللهم لا يَحُلِ الحولُ حتى يموت كافراً»، فما حال عليه الحولُ حتى مات كافراً إلى النار.

ونحوه عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٣٦٦) من مرسل سعيد بن المسيّب.

وذكره أيضاً قتادةُ في مرسل له عند عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٣١، وابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٤٢، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٤٦.

وسيأتي قريباً روايةُ سعد بن أبي وقاص في ذلك ص٧٣.

(٢) على حاشيتي (ز) و(غ): قال محمد بن عبد الرحيم البَرْقي (وهو أحد رواة السيرة عن ابن هشام): ما ذكره ابن هشام أن عبد الله بن شهاب شجَّ رسولَ الله ﷺ، غيرُ معروف عند أهل الحديث ولا عند أهل المغازي، بل روي أنه كان من مُهاجِرة الحبشة، حدّثنا أبو صالح كاتب الليث قال: حدّثني الليث حدّثني يونس عن ابن شِهاب عن سعيد بن المسيّب في قصة أصحاب الحبشة: أن عبد الله بن شِهابٍ الزُّهريَّ كان ممّن هاجر إلى أرض الحبشة مع جعفر وأصحابه، وهو جدُّ الفقيه محمد بن مسلم بن عُبيد الله بن عبد الله بن شِهاب.

قلنا: ذكر مصعب الزبيريُّ في «نسب قريش» ص٢٧٤ ـ ونقله ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٤٤٠ عن ابن أخيه الزبير بن بكّار أيضاً ـ: أنّ جدّ الفقيه محمد بن مسلم الزهريّ هو عبد الله ابن شهاب، شهد أُحداً مع المشركين ثم أسلم بعدُ ومات بمكة، وكان يلقَّب بالأصغر، وأما الذي هاجر إلى الحبشة فهو أخوه، واسمه أيضاً عبد الله بن شهاب ويلقَّب بالأكبر، ومات هذا بمكة بعد عَوْدِه من الحبشة قبل الهجرة إلى المدينة.

وأنَّ ابنَ قَمِئةَ جَرَحَ وَجْنتَه، فدخلت حَلْقتانِ من حَلَقِ المِغفَر في وَجْنتِه[1].

ووقع رسولُ الله ﷺ في حُفْرة من الحُفَر التي عَمِلَ أبو عامرٍ ليقعَ فيها المسلمون وهم لا يَعلَمون، فأَخذ عليُّ بن أبي طالبٍ بيد رسول الله ﷺ ورَفَعَه طلحةُ بن عُبيدِ الله حتّى استوى قائماً[2].

ومَصَّ مالكُ بن سِنَانٍ ـ أبو أبي سعيدٍ الخُدْريّ ـ الدّمَ عن وجهِ رسول الله ﷺ ثمّ ازدَرَدَه[3]، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَن مَسَّ دمُه دمي لم تُصِبْه النّارُ»[4].

---

(١) الوجنة: أعلى الخدّ. والمغفر: شبيه بحَلَق الدّرع يجعل على الرأس يُتّقى به في الحرب.

وقد رُوي في شأن ابن قَمِئة هذا ما أخرجه ابنُ عائذ القرشيُّ الإمام المؤرخ في «مغازيه» ـ كما في «عيون الأثر» لابن سيّد الناس ٢/ ٢١ ـ عن الوليد بن مسلم قال: حدثني عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر: أن الذي رمى رسولَ الله ﷺ بأُحد فجرحه في وجهه، قال لمّا رماه فأصابه: خذها وأنا ابن قَمِئة، فقال رسول الله ﷺ: «أقمَأَك اللهُ» (أي: أذلّك الله). قال ابن جابر: انصرف ابنُ قمئة من ذلك اليوم إلى أهله، فخرج إلى غنمه فوافاها على ذروة جبل، فأخذ فيها يعترض عليها ويشدُّ عليه تَيْسَها، فنطحه نطحةً أرداه من شاهقة الجبل فتقطَّع. وهذا مع ثقة رجاله مرسلٌ، فإن ابن جابر من كبار أتباع التابعين.

ويشهد له ما رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٣٢ عن ابن جريج عن إبراهيم بن ميسرة عن يعقوب بن عاصم قال: الذي دمّى وجهَ رسول الله ﷺ يوم أُحد رجل من هُذيل يقال له: عبد الله ابن القمئة، فكان حتفه أن سلَّط الله تعالى عليه تيساً فنطحه حتى قتله. مرسلٌ لا بأس برجاله.

وقد روى نحوه موصولاً الطبراني في «الكبير» (٧٥٦٩) من حديث أبي أمامة الباهليّ، وإسناده ضعيف جداً، والمرسل أصحُّ.

(٢) وسيأتي عند ابن إسحاق ص٧٤ قصةُ رفع طلحة للنبيِّ ﷺ على ظهره حتى استوى على صخرة في الجبل، فقال له النبي ﷺ: «أَوجَبَ طلحةُ»، من حديث الزبير بإسناد صحيح.

(٣) ازدرده: ابتلعه.

(٤) إسناده ضعيف لإعضاله بين ابن هشام ورُبيح، ثم إن رُبيحاً هذا ليّنٌ منكر الحديث. =

قال ابن هشام: وذكر عبدُ العزيز بن محمّدٍ الدَّرَاوَرْديُّ، أنّ النبيَّ ﷺ قال: «مَن أَحبَّ أن يَنظُرَ إلى شهيدٍ يَمْشي على الأرضِ[1]، فليَنظُرْ إلى طَلْحةَ بنِ عُبيدِ الله»[2].

وذكر عبدُ العزيز بن محمّد، عن إسحاقِ بن يحيى بن طَلْحة، عن عيسى بن طَلْحة، عن عائشة، عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق: أنّ أبا عُبَيدة بن الجرّاحِ نَزَعَ إحدى الحَلْقتَينِ من وجهِ رسول الله ﷺ فسَقَطَت ثَنِيّتُه، ثمّ نَزَعَ الأُخرى فسَقطَت ثَنِيّتُه

= وقد روى الفِقرة الأخيرة منه في ازدراد مالك بن سنانٍ دمَ رسول الله ﷺ: الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٠٩٨) من طريق موسى بن يعقوب الزَّمْعي، عن مصعب بن الأسقع، عن رُبيح، بهذا الإسناد. وهذا إسناد ضعيف بمرّة، موسى بن يعقوب ورُبيح ليِّنان، ومصعبٌ مجهول.

وأخرجها أيضاً الحاكم في «المستدرك» (٦٥٢٧) و(٦٥٣٥) من طريق موسى بن محمد بن علي الحَجَبي، عن أمّه ـ من ولد أبي سعيد الخدري ـ عن أم عبد الرّحمن بنت أبي سعيد الخدري، عن أبيها، بلفظ: «من سرَّه أن ينظر إلى من خالط دمي دمَه، فليَنظُر إلى مالك بن سنان».

وهذا إسناد ضعيف لجهالة موسى بن محمد وأمّه، وقال الذهبيُّ في «تلخيص المستدرك»: إسناده مظلم.

(١) في (غ): على وجه الأرض.

(٢) حديث ضعيف، وهو هنا مرسل، ولم نقف عليه من طريق الدراوردي بهذا اللفظ.

وقد رواه موصولاً ابن ماجه (١٢٥)، والترمذي (٣٧٣٩)، والحاكم (٥٧١٢) من حديث الصَّلت ابن دينار، عن أبي نَضْرة، عن جابر بن عبد الله. وهذا إسناد ضعيف جداً، فالصلت بن دينار متروك الحديث، وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الصلت، وقد تكلَّم بعض أهل العلم في الصلت بن دينار وضعَّفه. وانظر تتمة تخريجه والكلام عليه في «المستدرك».

وقد ثبتت شهادة النبي ﷺ له بالشّهادة فيما أخرجه أحمد (٩٤٣٠) ومسلم (٢٤١٧) وغيرهما من حديث عبد العزيز بن محمد الدَّراوَرْدي، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان على حِراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحرَّكت الصخرةُ، فقال رسول الله ﷺ: «اهدأْ فما عليك إلا نبيٌّ، أو صِدّيق، أو شهيد».

الأُخرى، فكان ساقطَ الثَّنِيّتَينِ[1].

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ لعُتْبة بن أبي وقّاصٍ:

إذا اللهُ جـازَى مَعشَـراً بفِعـالِهم[2] ونَصـرِهمُ الـرَّحمنَ ربَّ المَشـارقِ

فـأخزاكَ ربِّـي يـا عُتَيـبَ بـنَ مالـكٍ ولَقّاكَ قبلَ الموتِ إحدى الصَّـواعقِ

بَسَـطتَ يَمينـاً للنبـيِّ تَعمُّـداً فأدمَيـتَ فـاهُ قُطِّعَـت بـالبَوارقِ[3]

فهَـلَّا ذكـرتَ اللهَ والمَنـزِلَ الـذي تَصـيرُ إليـه عنـد إحـدى البَوائـقِ[4]

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذَعَ فيهما[5].

قال ابن إسحاق: وقال رسولُ الله ﷺ حين غَشِيَه القومُ: «مَن رجلٌ يَشْري لنا نَفْسَه؟» ـ كما حدّثني الحُصَينُ بن عبد الرَّحمن بن عمرو بن سعد بن معاذٍ، عن محمود

(١) إسناده ضعيف جداً من أجل إسحاق بن يحيى بن طلحة، فهو متروك الحديث.

وأخرجه مطوَّلاً ابن حبان (٦٩٨٠)، والحاكم (٤٣٦١) و(٥٢٤٠) و(٥٧١٠) من طرق عن إسحاق بن يحيى، بهذا الإسناد.

ورواه من حديث إسحاق أيضاً الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٢٤٦-٢٤٧، ثم قال: ويقال: إن الذي نزع الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ هو عُقبة بن وهب بن كَلَدة، ويقال: أبو اليَسَر، قال: وأثبتُ ذلك عندنا عقبةُ بن وهب بن كلدة.

هكذا وقع في «المغازي» للواقدي، ونقل عنه ابن سعد في «طبقاته» ٣/ ٥٠٥ أنه قال: قال عبد الرحمن بن أبي الزِّناد: نرى أنّهما جميعاً ـ يعني عقبةَ بن وهب وأبا عبيدة ـ عالجاهما فأخرجاهما من وجنتَي رسول الله ﷺ.

(٢) ويروى أوله كما في «ديوان حسان» ١/ ١٦٢: إذا الله حيَّا معشراً.

(٣) البوارق: السيوف.

(٤) البوائق: الدواهي ومصائب الدهر.

(٥) أي: أفحشَ في المقال، والقَذَع: الكلام الفاحش.

ابن عمرو ـ قال: فقامَ زيادُ بن السَّكَن في نَفَرٍ خمسةٍ من الأنصار ـ وبعضُ النّاس يقول: إنّما هو عُمَارةُ بن يزيد بن السَّكَن ـ فقاتلوا دونَ رسول الله ﷺ رجلاً ثمّ رجلاً، يُقتَلون دونَه، حتّى كان آخرَهم زيادٌ أو عُمَارةُ فقاتَلَ حتّى أثبَتَته الجِرَاحةُ، ثمّ فاءَت فِئةٌ من المسلمين فأجهَضُوهم عنه[1]، فقال رسول الله ﷺ: «أَدنُوهُ منِّي»، فأدنَوْه منه فوَسَّدَه قَدَمَه، فمات وخَدُّه على قدمِ رسول الله ﷺ[2].

قال ابن هشام: وقاتَلَت أمُّ عُمَارة نَسِيبةُ[3] بنتُ كعبٍ المازنيَّة يومَ أُحد.

---

(١) فاءت فئة، أي: رجعت جماعةٌ. وأجهضوهم: أزالوهم وغلبوهم.

(٢) حديث حسن لغيره إن شاء الله، وهو هنا مرسلٌ، فإن محمود بن عمرو ـ وهو ابن يزيد بن السكن ـ من الطبقة الوسطى من التابعين كما قال ابن حجر في «التقريب»، وهو مجهول الحال، وذكره ابن حبان في «ثقاته»، وحصين الراوي عنه صدوق حسن الحديث.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية محمد بن سلمة الحرّاني ص٣٢٨، وأخرجه أيضاً الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥١٥، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٢٣٤، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٦٣٧ من طريق ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ويشهد لهذا المرسل في قتال هؤلاء النفر من الأنصار دون رسول الله ﷺ حتى قُتِلوا حديثُ أنس بن مالك عند أحمد (١٤٠٥٦) ومسلم (١٧٨٩): أن رسول الله ﷺ أُفرد يوم أُحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رَهَقُوه (أي: غَشُوه وقربوا منه) قال: «من يردُّهم عنّا وله الجنة؟» ـ أو «هو رفيقي في الجنة» ـ فتقدّم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قُتل، ثم رَهَقوه أيضاً فقال: «من يردُّهم عنّا وله الجنة؟» ـ أو «هو رفيقي في الجنة» ـ فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك حتى قُتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: «ما أنصَفْنا أصحابَنا».

(٣) قُيّدت في نسخنا الخطية غير (م) بضم النون على التصغير، لكن المشهور في تقييد اسم أمّ عُمارة عند من اعتنى بتقييد المُشتبِه من الأسماء أنه بفتح النون ككَريمة، وهكذا قيِّدت في نسخة (م) مصحَّحاً عليها. وانظر «الإكمال» لابن ماكولا ٧/ ٢٥٩، و«توضيح المشتبه» =

فذكر سعيدُ بن أبي زيدٍ الأنصاريّ[1]: أنّ أمَّ سعدٍ بنتَ سعد بن الرَّبيع كانت تقول: دخلتُ على أمِّ عُمَارةَ فقلت لها: يا خالةُ، أخبِريني خبرَك، فقالت: خرجتُ أوّلَ النّهار وأنا أنظُرُ ما يَصنَعُ النّاسُ ومعي سِقاءٌ فيه ماءٌ، فانتَهيتُ إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدُّولةُ والرِّيحُ[2] للمسلمين، فلمّا انهزَمَ المسلمون انحُزْتُ إلى رسول الله ﷺ، فقمتُ أُباشرُ القتالَ وأذُبُّ عنه بالسَّيف وأَرمي عن القَوْس، حتّى خَلَصَت الجِراحُ إليَّ. فرأيتُ على عاتِقِها جُرْحاً أجوَفَ له غَوْرٌ، فقلت: مَن أصابَك بهذا؟ قالت: ابنُ قَمِئةَ، أقمَأه اللهُ[3]، لمّا وَلَّى النّاسُ عن رسول الله ﷺ أقبَلَ يقول: دُلُّوني على محمّد، فلا نَجوتُ إن نَجا، فاعتَرَضتُ له أنا ومُصعَبُ بن عُمَيرٍ وأُناسٌ ممَّن ثَبَتَ مع رسول الله ﷺ، فضَرَبني هذه الضَّربة، ولقد ـ على ذلك ـ ضربتُه ضَرَباتٍ، ولكنَّ عدوَّ الله كان عليه دِرْعانِ[4].

قال ابن إسحاق: وتَرَّسَ دونَ رسولِ الله ﷺ أبو دُجَانة بنفسه، يقعُ النَّبْلُ في ظهرِه وهو مُنحَنٍ عليه حتّى كَثُرَ فيه النَّبلُ[5].

= لابن ناصر الدين الدمشقي ٩/ ٧٨، و«تبصير المنتبه» لابن حجر ٤/ ١٤١٥.

(١) هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير ـ وثابت جدُّه صحابيٌّ كنيته أبو زيد ـ وهو من صغار أتباع التابعين ولم يدرك أمَّ سعدٍ، فالإسناد بينهما منقطع، فهو ضعيف.

(٢) تريد الغَلَبة والنصر. والدّولة، بفتح الدال وضمّها.

(٣) أقمأه الله: حقَّره الله وأذلَّه.

(٤) وذكر خبر أم عمارة هذا الواقديُّ أيضاً في «مغازيه» ١/ ٢٦٨-٢٦٩ عن أم سعدٍ معلَّقاً من غير إسناد.

(٥) هذا الخبر من صلة مرسل محمود بن عمرو بن يزيد بن السكن المتقدم آنفاً كما وقع في رواية محمد بن سلمة الحرّاني عن ابن إسحاق في «سيرته» ص٣٢٨، ورواية يونس بن بكير عنه عند البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٢٣٤.

ورَمَى سعدُ بن أبي وَقّاصٍ دونَ رسولِ الله ﷺ، فقال سعدٌ: فلقد رأيتُه يُناوِلُني النَّبْلَ وهو يقول: «ارْمِ فِداكَ أَبي وأُمِّي»، حتّى إنّه لَيُناوِلُني السَّهمَ ما له نَصلٌ فيقول: «ارْمِ به»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة: أنّ رسولَ الله ﷺ رَمَى عن قوسِه حتّى اندَقَّت سِيَتُها[2]، فأَخذها قَتَادةُ بن النُّعمان فكانت عنده، وأُصِيبَت يومئذٍ عينُ قَتادة بن النُّعمان حتّى وَقَعَت على وَجْنتِه.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة: أنّ رسولَ الله ﷺ رَدَّها بيده، فكانت أحسنَ عينَيهِ وأحدَّهما[3].

---

(١) هذا حديث صحيح.

فقد أخرج البخاري (٤٠٥٥) من حديث سعيد بن المسيّب، عن سعد بن أبي وقاص قال: نَثَلَ لي النبيُّ ﷺ كِنانتَه يوم أُحد فقال: «ارمِ فِداكَ أبي وأمّي». وهو بنحوه عند أحمد (١٤٩٥) ومسلم (٢٤١٢) وغيرهما. وقوله: نثل لي كنانته، أي: استخرج لي ما فيها من سهام.

(٢) السِّيَة: طرف القوس الذي يُلوَى عليه الوَتَر، وللقوس سِيَتانِ.

(٣) مرسل قويّ، عاصم بن عمر ثقة عالم بالمغازي، من صِغار التابعين، وهو هنا يروي خبراً يخصُّ جدَّه قتادة بن النعمان، فالغالب أنه سمعه من أهل بيته، وقد روي عنه موصولاً كما سيأتي.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥١٦ من طريق سلمة بن الفضل، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٢٥١ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، عن عاصم بالقصتين؛ بقصة القوس وعين قتادة.

وأخرج خبر قصة العينِ أيضاً ابن أبي شيبة ١٢/ ١٦١، وابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٤١٩ عن عبد الله بن إدريس، عن ابن إسحاق، عن عاصم.

وخالفهما يوسفُ بن بُهلول عند أبي نعيم في «دلائل النبوة» (٤١٦) فوصله، فقد رواه عن ابن إدريس، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان، عن محمود بن لَبيد، =

قال ابن إسحاق: وحدّثني القاسم بن عبد الرَّحمن بن رافعٍ أخو بني عَدِيّ بن النَّجّار[1] قال: انتهى أنسُ بن النَّضرِ عمُّ أنس بن مالكٍ إلى عمرَ بن الخَطّاب وطلحةَ

= عن قتادة بن النعمان. ويوسف بن بهلول لا بأس به، لكن المحفوظ عن ابن إسحاق إرساله لا وصله.

وذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٦١٦ معلّقاً عن عبد الله بن إدريس، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر، عن جابر بن عبد الله. كذا وصله بذكر جابر، والمحفوظ عن ابن إسحاق المرسل.

وأخرجه بنحوه موصولاً أبو يعلى في «مسنده» (١٥٤٩)، وأبو عوانة في «صحيحه» (٧٣٦٨)، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٩٩ من طريقين عن عبد الرحمن بن سليمان ابن الغَسيل، عن عاصم ابن عمر، عن أبيه عمر بن قتادة، عن قتادة بن النعمان. وعبد الرحمن ابن الغسيل صدوق حسن الحديث، وعمر بن قتادة ذكره ابن حبان في «الثقات».

وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١٩/ (١٢) ـ وعنه أبو نعيم (٤١٧) ـ من طريق عبد الله بن الفضل ابن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، عن أبيه الفضل، عن أبيه عاصم، عن أبيه عمر، عن أبيه قتادة بن النعمان. وهذا إسناد ضعيف، عبد الله بن الفضل وأبوه لا يُعرَفان.

ويشهد له مرسلُ زيدِ بن أسلم وغيرِه عند ابن سعد ١/ ١٥٨، لكن في إسناده أبو معشر المدني ـ واسمه نَجيح بن عبد الرحمن ـ وهو ضعيف، لكن يعتبر به في المتابعات والشواهد.

وحديث أبي سعيد الخدري عن قتادة بن النعمان ـ وكان أخاه لأمّه ـ عند البيهقي ٣/ ٢٥٣، لكن إسناده ضعيف جداً.

(١) القاسم هذا مجهول، ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٧/ ١١٣، وذكر عنه راوياً آخر غير ابن إسحاق.

وأخرج خبره هذا الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥١٧ و«تفسيره» ٦/ ١٠٢، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٢٤٥، والخطيب في «المتفق والمفترق» (١٣٣٢) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

وصحَّ خبر أنس بن النضر وما صنع يوم أُحد بغير هذا السياق، فقد أخرج أحمد (١٣٠٨٥) والبخاري (٢٨٠٥) من حديث حميد الطويل عن أنس قال: غاب عمّي أنسُ بن النضر عن =

ابن عُبيد الله في رجالٍ من المهاجرين والأنصار، وقد ألقَوْا بأيديهم، فقال: ما يُجلِسُكم؟ قالوا: قُتِلَ رسولُ الله ﷺ، قال: فما تَصنَعُون بالحياةِ بعدَه؟! قوموا فمُوتوا على ما مات عليه رسولُ الله ﷺ، ثمّ استَقبَلَ القومَ فقاتلَ حتّى قُتِلَ.

وبه سُمّيَ أنسُ بن مالك.

فحدّثني حُمَيدٌ الطّويلُ، عن أنس بن مالكٍ قال: لقد وَجَدْنا بأنس بن النَّضر يومَئذٍ سبعين ضربةً، فما عَرَفَه إلّا أُختُه؛ عَرَفَته ببَنانِه[1].

قال ابن هشام: حدّثني بعضُ أهل العلم: أنّ عبدَ الرَّحمن بن عوفٍ أُصيبَ فُوهُ يومئذٍ فهُتِمَ[2]، وجُرِحَ عشرين جِراحةً أو أكثَرَ، أصابه بعضُها في رجلِه فعَرِجَ[3].

= قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبتُ عن أول قتالٍ قاتلتَ المشركين، لئنِ اللهُ أشهَدَني قتالَ المشركين ليَرَينَّ اللهُ ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذرُ إليك ممّا صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ وأبرأُ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم، فاستقبله سعدُ بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنةَ وربِّ النضر، إني أجدُ ريحَها من دون أُحد، قال سعد: فما استطعتُ يا رسول الله ما صَنَعَ. قال أنس: فوجدنا به بِضعاً وثمانين ضربةً بالسيف أو طعنةً برمح أو رميةً بسهم، ووجدناه قد قُتِل وقد مثَّل به المشركون، فما عرفه أحدٌ إلا أختُه ببَنانِه. أي: بأصابع يديه.

ورواه عن أنس أيضاً ثابتٌ البُناني عند أحمد (١٣٠١٥) ومسلم (١٩٠٣) وغيرهما.

(١) إسناده صحيح. وانظر سابقه.

والبَنَان: أطراف الأصابع، واحدها: بَنَانة.

(٢) هُتِم: كُسِرَت ثَنيّته، والثَّنيّة: واحدة الثَّنايا من الأسنان، وهي الأربع التي في مقدَّم الفم، ثنتان من فوق وثنتان من أسفل.

(٣) وروى هذا الطبراني في «الكبير» (٢٦١) ـ وعنه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٦٣) ـ عن أحمد بن عبد الرحيم البَرْقي، عن ابن هشام، عن زياد بن عبد الله البكّائي، عن ابن إسحاق.

وذكر مثله إبراهيم بن سعد الزهريُّ كما في «تفسير ابن المنذر» (١٠٤٤) و«تاريخ دمشق» =

قال ابن إسحاق: وكان أوّلَ من عَرَفَ رسولَ الله ﷺ بعد الهزيمةِ وقولِ الناس: قُتِلَ رسولُ الله ﷺ ـ كما ذكرَ لي ابنُ شِهابٍ الزُّهْريُّ ـ كعبُ بن مالكٍ، قال: عرفتُ عينَيهِ تَزهَرانِ[1] من تحت المِغفَر، فناديتُ بأعلى صوتي: يا معشرَ المسلمين أَبشِروا، هذا رسولُ الله، فأشار إليَّ رسولُ الله ﷺ: أن أَنصِتْ[2].

قال ابن إسحاق: فلمّا عَرَفَ المسلمون رسولَ الله ﷺ نَهَضوا به ونَهَض معهم نحوَ الشِّعب، معه أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ وعمرُ بن الخَطّاب وعليُّ بن أبي طالبٍ وطلحةُ ابن عُبيد الله والزّبَيرُ بن العوّام ـ رِضوانُ الله عليهم ـ والحارثُ بن الصِّمّة ورَهْطٌ من المسلمين، فلمّا أَسنَدَ[3] رسولُ الله ﷺ في الشِّعْب أدرَكَه أُبيُّ بن خَلَفٍ وهو يقول: أين

= لابن عساكر ٣٥/ ٢٥٧. والظاهر أن إبراهيم إنما حمله عن ابن إسحاق، فهو أحد من روى عنه مغازيه.

(١) تَزهَران: تُضيئان.

(٢) خبر صحيح، وهو هنا منقطع، فإن الزهريَّ لم يدرك كعبَ بنَ مالك، وقد تبيّنت الواسطة بينهما، وهو عبد الله بن كعبٍ كما في رواية محمد بن سلمة الحرّاني ـ وهو إمام ثقة ـ عن ابن إسحاق كما في «سيرته» ص٣٣٠، وهي كذلك عند الطبراني في «الأوسط» (١١٠٤) وأبي نعيم في «دلائل النبوة» (٤١٤)، فصحَّ الإسناد.

ورواه هكذا موصولاً أيضاً يحيى بن هانئ عن ابن إسحاق عند ابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢٥٣) والخطّابي في «غريب الحديث» ١/ ٥٦٠، وقرن بالزهريِّ عاصمَ بن عمر بن قتادة، لكن إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف. ولم يسق الخطابيُّ لفظه بتمامه.

ورواه منقطعاً كرواية ابن هشام عن البكّائيِّ سلمةُ بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥١٨ و«تفسيره» ٦/ ١٥٤، ويونسُ بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٢٣٧-٢٣٨.

(٣) أي: صعد وارتفع. والشِّعب: الموضع المنفرج بين جبلين.

محمّد؟ لا نَجَوتُ إن نَجَوتَ، فقال القوم: يا رسول الله، أيَعطِفُ عليه رجلٌ منّا؟ قال رسولُ الله ﷺ: «دَعُوه»، فلمّا دنا تناوَلَ رسولُ الله ﷺ الحَرْبةَ من الحارثِ بن الصِّمّة؛ يقول بعضُ القوم فيما ذُكِرَ لي: فلمّا أَخذها رسولُ الله ﷺ منه انتَفَضَ بها[1] انتفاضةً تَطايَرْنا عنه تطايُرَ الشَّعْراءِ[2] عن ظهرِ البعير إذا انتَفَضَ بها ـ قال ابن هشام: الشَّعْراءُ: ذُبابٌ له لَدْغٌ ـ ثمّ استَقبَلَه فطَعَنَه في عُنُقِه طعنةً تَدَأدَأَ منها عن فرسه مِراراً[3].

قال ابن هشام: تَدَأدَأَ يقول: تَقلَّبَ عن فرسِه فجعل يَتَدحرَجُ[4].

قال ابن إسحاق: وكان أُبيُّ بن خَلَفٍ ـ كما حدَّثني صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن ابن عوفٍ ـ يَلقَى رسولَ الله ﷺ بمكّة فيقول: يا محمّدُ، إنَّ عندي العَوْذَ، فرساً أَعلِفُه كلَّ يومٍ فَرَقاً[5] من ذُرَة، أقتُلُك عليه، فيقول رسول الله ﷺ: «بل أَنا أقتُلُك إن شاءَ الله».

فلمّا رجع إلى قريشٍ وقد خَدَشَه في عُنُقِه خَدْشاً غيرَ كبيرٍ فاحتَقَنَ الدّمُ، قال: قَتَلَني واللهِ محمّدٌ، قالوا له: ذَهَبَ واللهِ فؤادُك، والله إنْ بك من بأسٍ، قال: إنّه قد كان

---

(١) هكذا في (ز)، وفي (ت) و(ش١) و(ص) و(م) و(ي): بنا، ولم ترد هذه الكلمة في (غ).

(٢) وفي رواية يحيى بن هانئ: الشَّعارير، قال الخطّابي: أراد بالشَّعارير ما يجتمع على دَبَرة البعير (أي: جرحه) من الذِّبّان، فإذا هِيجَت تطايَرَت عنها وتفرَّقَت.

(٣) خبر مقتل أُبي بن خلف هذا رُوِيَ موصولاً بخبر كعب بن مالك السابق في روايات محمد ابن سلمة وسلمة بن الفضل ويحيى بن هانئ عن ابن إسحاق.

وروى نحوه الواقدي في «المغازي» ١/ ٢٥١ من طريق يونس بن محمد الظَّفَري، عن عاصم ابن عمر بن قتادة، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه.

(٤) كلام ابن هشام هذا في نسخة (ز) وحدها، وأشار صاحبها إلى أنه أضافه من نسخة عنده، ولم يرد في بقية نسخنا الخطية.

(٥) الفَرَق: مكيال يعادل ثلاثة آصُع، وهي قرابة ٧ كيلو غرام.

قال لي بمكّة: أنا أقتُلُك، فوالله لو بَصَقَ عليَّ لقتلني. فمات عدوُّ الله بسَرِف[1] وهم قافِلُون به إلى مكّة[2].

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ في ذلك:

لقد وَرِثَ الضّلالةَ عن أبيهِ ... أُبَيٌّ يومَ بارَزَه الرَّسولُ

أتيتَ إليه تَحمِلُ رِمَّ عَظمٍ ... وتُوعِدُه وأنتَ به جَهولُ[3]

وقد قَتَلَت بنو النَّجّارِ منكمْ ... أُميّةَ إذ يُغوِّثُ: يا عَقيلُ[4]

وتَبَّ ابنا ربيعةَ إذْ أطاعا ... أبا جهلٍ لأُمِّهِما الهُبُولُ[5]

---

(١) سرف، يُصرَف ولا يُصرَف: اسم لموضع شمال غرب مكة يعرف اليوم بالنوّارية، على قرابة ١٦ كم من الحرم، وهو أحد أحياء مكة.

(٢) خبر صحيح، وإسناده هنا مرسل، فصالح بن إبراهيم من صغار التابعين، وهو ثقة.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» ص٣٣٠-٣٣١ من طريق محمد بن سلمة، وفي «تاريخ الطبري» ٢/ ٥١٨-٥١٩ من طريق سلمة بن الفضل، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه بنحوه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٤٣ من طريق عبد الرحمن بن خالد بن مسافر، والحاكم (٣٣٠٢) من طريق موسى بن عقبة، كلاهما عن ابن شهاب الزهري، عن سعيد بن المسيب، زاد فيه موسى: عن أبيه. والإسنادان قويّان، وفي حديث ابن مسافر: أن قول أُبي بن خلفٍ متهدداً النبيَّ ﷺ كان في المدينة في قصة فداء أسرى بدرٍ، وهذا أصحُّ من كونه بمكة.

وكذلك رواه عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه، فيما أخرجه الواقدي في «المغازي» ١/ ٢٥١.

(٣) الرِّم: العظم البالي. وفي «ديوان حسان» ١/ ١٥٨:

أجئتَ محمَّداً عظماً رميماً ... لتُكذِبَه وأنت به جهولُ

(٤) يغوّث، أي: يستغيث. وعَقيل: لعله أراد عقيل بن أبي طالب، وهو ممّن حضر بدراً مع المشركين وأُسر يومئذٍ.

(٥) تبَّ: خسر وهلك. والهُبول: الفَقْد، يقال: هَبِلَته أمُّه، أي: فقدته.

وأفلَتَ حارثٌ لمّا شُغِلْنا ... بأَسرِ القومِ أُسرَتُه قليلُ[1]

قال ابن هشام: أُسرتُه: قبيلتُه.

وقال حسّان بن ثابتٍ أيضاً في ذلك[2]:

ألا مَن مُبلِغٌ عنّي أُبَيّاً ... لقد أُلقِيتَ[3] في سُحقِ السَّعيرِ

تَمنَّى بالضّلالةِ من بَعيدٍ ... وتُقسِمُ أنْ قَدَرتَ مع النُّذورِ

تَمنِّيكَ الأمانِيَ من بَعيدٍ ... وقولُ الكُفرِ يَرجِعُ في غُرورِ

فقد لاقَتْكَ طَعنةُ ذي حِفَاظٍ[4] ... كريمِ البيتِ ليس بذي فُجورِ

له فضلٌ على الأحياءِ طُرّاً ... إذا نابَتْ مُلِمّاتُ الأُمورِ[5]

فلمّا انتَهى رسولُ الله ﷺ إلى فمِ الشِّعب، خرج عليُّ بن أبي طالبٍ حتّى مَلأَ دَرَقَته من المِهْراس[6]، فجاءَ به إلى رسول الله ﷺ ليشربَ منه، فوَجَدَ له ريحاً فعافَه[7] فلم يشرب منه، وغَسَلَ عن وجهِ الدّمَ وصَبَّ على رأسه وهو يقول: «اشتَدَّ غَضَبُ الله

---

(١) الحارث: هو ابن هشام المخزومي أخو أبي جهل. وقليل: ضدّ الكثرة، ويروى فَليلٌ، بالفاء: وهم المنهزمون.

(٢) انظر «ديوانه» ١/ ٤٩٠.

(٣) في (ز) و(ص) و(م): أُلفيتَ، أي: وُجدتَ. والسُّحق: البعد والعمق.

(٤) الحِفاظ: الغضب في الحرب.

(٥) طُرّاً: جميعاً. والمُلمّات: حوادث الدَّهر، أي: التي تُلِمُّ بالإنسان، أي: تنزل به.

(٦) في (ز): ماءً من المهراس.

والدَّرَقة: ترسٌ من جلد. والمِهراس، قال السّمهودي ـ مفتي المدينة المنورة ومؤرخها ـ في «وفاء الوفا» ٤/ ١٥٢: ماء بجبل أُحد، قاله المبرّد، وهو معروف في أقصى شِعْب أُحد، يجتمع من المطر في نُقَرٍ كبار وصغار، والمهراس اسم لتلك النُّقر.

(٧) عافه، أي: كرهه.

على مَن دَمَّى وَجْهَ نبيِّه»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني صالحُ بن كَيْسانَ عمَّن حدّثه عن سعد بن أبي وَقّاصٍ أنّه كان يقول: والله ما حَرَصتُ على قتل رجلٍ قَطُّ حِرْصي على قتل عُتْبَةَ بن أبي وَقّاصٍ، وإنْ كان ما عَلِمتُ لسيِّئَ الخُلُقِ، مُبغَّضاً في قومه، ولقد كَفَاني منه قولُ رسول الله ﷺ: «اشتَدَّ غَضَبُ الله على مَن دَمَّى وَجْهَ رسولِه»[2].

---

(١) حديث صحيح. وهو من تمام خبر صالح بن إبرهيم بن عبد الرحمن السابق، وهو كذلك في رواية سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥١٨.

ورواه يونس بن بكير عند البيهقي في «السنن الكبرى» ٢/ ٢٩٦ عن ابن إسحاق قال: حدثني من لا أتَّهم عن عُبيد الله بن كعب بن مالك، فذكره مرسلاً.

ورواه موصولاً جرير بن حازم عند إسحاق بن إبراهيم ابن راهويه في «مسنده» - ومن طريقه ابن حبان في «صحيحه» (٦٩٧٩) - عن ابن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عبّاد، عن أبيه، عن عبد الله ابن الزبير بن العوّام، عن أبيه. وصحح البوصيريُّ إسناده كما في «إتحاف الخيرة» (٣/ ٤٥٦٣) بعد أن خرّجه عن إسحاق، وهو كما قال.

وأخرج البخاري (٤٠٧٣) ومسلم (١٧٩٣) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «اشتدَّ غضبُ الله على قوم فعلوا هذا برسول الله»، وهو حينئذٍ يشير إلى رَباعيَته.

(٢) إسناده ضعيف لإبهام الواسطة بين صالح بن كيسان وسعد.

ورواه كذلك عن ابن إسحاق محمدُ بن سلمة كما في المطبوع من «سيرته» ص٣٣١-٣٣٢، وسلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥١٩، ويونسُ بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٢٦٥.

ورواه عبد الله بن إدريس الأودي عن ابن إسحاق عند الدَّورقي في «مسند سعد» برقم (٩٠)، وسمّى الواسطة المبهّمة فقال: بعض آل سعد بن أبي وقاص، وهي واسطة مجهولة.

وأما المرفوع منه فهو صحيح من غير حديث سعدٍ كما سبق.

وتقدّم ص٦٠: أن عتبة رمى النبيَّ ﷺ فكسر رَباعيته.

قال ابن إسحاق: فبَيْنا رسولُ الله ﷺ بالشِّعب معه أُولئك النَّفرُ من أصحابه، إذ عَلَت عاليةٌ من قريشٍ الجبلَ.

قال ابن هشام: كان على تلك الخيل خالدُ بن الوليد.

قال ابن إسحاق: فقال رسولُ الله ﷺ: «اللّهمَّ إنَّه لا يَنبَغي لهم أن يَعلُونا»، فقاتَلَ عمرُ بن الخَطّاب ورَهْطٌ معه من المهاجرين حتّى أهبَطُوهم من الجبل[1].

ونَهَضَ رسولُ الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليَعلُوَها، وقد كان بَدَّنَ رسولُ الله ﷺ وظاهَرَ بين دِرعَينِ[2]، فلمّا ذهبَ ليَنهَضَ ﷺ لم يستطعْ، فجَلَسَ تحتَه طلحةُ ابن عُبيد الله فنَهَضَ به حتّى استوَى عليها، فقال رسولُ الله ﷺ؛ كما حدّثني يحيى ابن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه، عن عبد الله بن الزُّبير، عن الزُّبير قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يومئذٍ يقول: «أَوجَبَ طَلْحةُ»[3]، حين صَنَعَ برسول الله ﷺ ما صَنَعَ[4].

---

(١) وصل هذا عبدُ الله بن إدريس عن ابن إسحاق بحديث سعدٍ، وقطعه الآخرون فجعلوه عن ابن إسحاق بلا إسناد.

وروى نحوه أحمد (٢٦٠٩) والحاكم (٣٢٠١) من حديث ابن عباس مطوّلاً في قصة أُحد. وإسناده حسن.

(٢) في نسخة على حاشية (ز) هنا: قال ابن هشام: التبدين: الضَّعف، والتبدين مصدر بدَّنتُ، قال الشاعر:

وكنت خِلتُ الشَّيبَ والتَّبدينا والهَمَّ ممّا يُذهِلُ القَرينا

وبدَّنتُ، مثقَّل بمعنى: كَبِرتُ وأسنَنتُ.

قلنا: وقوله: ظاهَرَ بين درعين، معناه: لبس درعاً فوق درع.

(٣) أي: وَجَبَت له الجنة.

(٤) إسناده صحيح.

=

قال ابن هشام: وبَلَغَني عن عِكْرمةَ عن ابن عبّاسٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ لم يَبلُغ الدَّرجةَ المبنيَّةَ في الشِّعب[1].

قال ابن هشام: وذكَرَ عمرُ مولى غُفْرَةَ: أنّ النبيَّ ﷺ صلَّى الظُّهرَ يومَ أُحدٍ قاعداً من الجِراحِ التي أصابته وصلَّى المسلمون خلفَه قُعوداً[2].

= وأخرجه أحمد (١٤١٧)، والترمذي (١٦٩٢) و(٣٧٣٨)، وابن حبان (٦٩٧٩)، والحاكم (٤٣٥٨) و(٥٧٠٢) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وبعضهم يختصره.

وقد وصله أيضاً ابن إدريس عن ابن إسحاق بحديث سعدٍ كما وقع عند الدَّورقي في «مسند سعد» (٩٠).

وأخرج منه المظاهرةَ بين الدرعين البزار في «مسنده» (١١٠٣) وابن عديّ في «الكامل» ٢/ ٣٣٤، من طريقين يقوّي أحدهما الآخر عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه.

وتقدم تخريج هذه القطعة منه أيضاً من غير هذا الوجه ص٣٨.

(١) خبر حسنٌ وهذا إسناد ضعيف لإعضاله بين ابن هشام وعكرمة.

لكن روي في حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس في حديث طويل عند أحمد (٢٦٠٩) والحاكم (٣٢٠١) بلفظ: لم يبلغوا حيث يقول الناسُ الغارَ، إنما كانوا تحت المِهراس. وإسناده حسن، فالظاهر أنه المكان نفسه لكن تختلف مسمَّياته.

(٢) ضعيف لضعف عمر مولى غُفرة: واسمه عمر بن عبد الله أبو حفص، وهو من صغار التابعين، فهو على هذا مرسل، ثمّ إن الإسناد بينه وبين ابن هشام معضل.

وقد صحَّ هذا الخبر في غير يوم أُحد، فقد روى أنس بن مالك وجابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ ركب فرساً بالمدينة فصرعه، فخُدِشَ النبيُّ في شقّه الأيمن وانفكّت قدمه، فأتاه نفرٌ من أصحابه يعودونه، فحضرت صلاةٌ فصلَّى بهم قاعداً وأشار إلى أصحابه فصلَّوا خلفه قعوداً، وهو من حديث أنس بن مالك عند أحمد (١٣٠٧١) والبخاري (٣٧٨) و(٦٨٩) و(١١١٤) ومسلم (٤١١)، ومن حديث جابر عند أحمد (١٤٢٠٥) وأبي داود (٦٠٢) وغيرهما. وأفاد ابن حبان في «صحيحه» ٥/ ٤٩٢: أن هذه الواقعة كانت في شهر ذي الحجّة آخر سنة خمس من الهجرة. =

قال ابن إسحاق: وقد كان الناسُ انهَزَموا عن رسول الله ﷺ حتّى انتهى بعضُهم إلى المُنقَّى دونَ الأَعوَص[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة، عن محمود بن لَبيدٍ قال: لمّا خرج رسولُ الله ﷺ إلى أُحدٍ، رَفَعَ حُسَيلَ بن جابرٍ ـ وهو اليَمَانُ أبو حُذَيفةَ بنِ اليَمَان ـ وثابتَ بن وَقْشٍ في الآطامِ مع النّساءِ والصِّبيان، فقال أحدُهما لصاحبه ـ وهما شيخانِ كبيرانِ ـ: لا أَبا لك، ما نَنتظِرُ! فواللهِ ما بقيَ لواحدٍ منّا من عُمرِه إلّا ظِمْءُ حِمارٍ[2]، إنّما نحن هامَةُ اليومِ أو غدٍ[3]، أفلا نأخُذُ أسيافَنا ثمّ نَلحَقُ برسول الله ﷺ، لعلَّ اللهَ يَرزُقُنا شهادةً مع رسول الله ﷺ، فأَخذا أسيافَهما ثمّ خَرَجا حتّى دَخَلا

= وانظر «فتح الباري» لابن حجر العسقلاني ٣/ ٢٠٩-٢١٠ وما قبله وما بعده في بيان مسألة صلاة المأمومين قعوداً إذا صلّى إمامهم قاعداً لعلّةٍ.

(١) أسند هذا يحيى بن سعيد الأُموي عند ابن حبان (٧٠٢٥) عن ابن إسحاق، عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جدّه قال: قد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى دون الأعراض على جبل بناحية المدينة. ورجاله ثقات، وأغلبُ الظنِّ أن كلمة الأعراض محرَّفة عن: الأعوص.

والأعوص: وادٍ شمال شرقيّ المدينة على قرابة ١٥ كم، وأما المنقَّى فذكر البِلاديُّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٣٠٤: أن الطُّرق في الحِرار تُنقَّى من الحجارة حتى يَسلُكها الناس والدواب، فيُسمَّى أحدها مُنقًّى، والمراد هنا هو الطريق الخارج من المدينة باتجاه الشرق، حيث كان يمرُّ في حَرّة بني حارثة، وهو على مرأى من أُحدٍ جنوباً شرقيّاً بينهما وادي قناة.

(٢) الظِّمْء: مقدار ما يكون بين الشَّربتين، وأقصر الأظماء ظِمءُ الحمار، لأنه لا يصبر عن الماء، فضُرِب مثلاً لقرب الأَجل.

(٣) يعني: أنهما مُشفِيان على الموت، وأصله من قول الجاهلية: إنَّ الميت إذا مات خرج من رأسه طائرٌ يسمّى الهامة.

في النّاس ولم يُعلَمْ بهما، فأمّا ثابتُ بن وَقْشٍ فقتله المشركون، وأمّا حُسَيلُ بن جابرٍ فاختَلَفَت عليه أسيافُ المسلمين فقتلوه ولا يَعرِفونَه، فقال حذيفةُ: أَبي! قالوا: واللهِ إنْ عَرَفْناه، وصَدَقوا، قال حذيفةُ: يَغفِرُ الله لكم وهو أرحَمُ الرَّاحمين، فأرادَ رسولُ الله ﷺ أن يَدِيَه، فتَصدَّقَ حذيفةُ بدِيَتِه على المسلمين، فزادَهُ ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة: أنّ رجلاً منهم كان يُدعَى حاطبَ بن أُميَّة بن رافع وكان له ابنٌ يقال له: يزيدُ بن حاطبٍ، أصابته جِراحةٌ يومَ أُحد، فأُتي به إلى دار قومِه وهو بالموت، فاجتَمَعَ إليه أهلُ الدّار، فجَعَلَ المسلمون يقولون من الرِّجال والنِّساءِ: أبشِرْ يا ابنَ حاطبٍ بالجنّة، قال: وكان حاطبٌ شيخاً قد عَسَا[2] في الجاهليّة، فنَجَمَ[3] يومئذٍ نفاقُه، فقال: بأيِّ شيءٍ تُبشِّرونَه؟! أبِجنّةٍ من حَرْمَلٍ، غَرَرتُم واللهِ هذا الغلامَ من نفسِه[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة قال: كان فينا رجلٌ أَتِيٌّ لا يُدرَى ممَّن هو[5] يقال له: قُزْمانُ، وكان رسولُ الله ﷺ يقول إذا ذُكِرَ له: «إنَّه لَمِنْ

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٣٦٣٩)، والحاكم (٤٩٧٠) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٢) أي: كبر واشتدَّ.

(٣) أي: ظهر وبانَ.

(٤) سلف هذا الخبر ٢/ ١٨٥.

(٥) في نسخة على حاشية (ز) هنا: قال ابن هشام: الأَتِيُّ الغريبُ الذي لا يدرى ممّن هو، ومنه قيل للسيل: أَتِيٌّ، لأنه لا يدرى من أين يأتي، قال النابغة:

خلَّتْ سبيلَ أَتيٍّ كان يحبسُه   ورَفَّعَته إلى السَّجفَينِ فالنَّضَدِ

أهلِ النَّارِ»، قال: فلمّا كان يومُ أُحدٍ قاتَلَ قتالاً شديداً، فقَتَل وحدَه ثمانيةً أو سبعةً من المشركين، وكان ذا بأسٍ، فأثبَتَه الجِراحةُ فاحتُمِلَ إلى دار بني ظَفَرٍ، قال: فجَعَلَ رجالٌ من المسلمين يقولون له: والله لقد أبلَيتَ اليومَ يا قُزْمانُ، فأبشِرْ، قال: بماذا أَبشَرُ؟! فواللهِ إن قاتلتُ إلّا عن أحسابِ قومي، ولولا ذلك ما قاتَلتُ. قال: فلمّا اشتَدَّت عليه جِراحَتُه أَخذ سهماً من كِنانَتِه فقتل به نفسَه[1].

قال ابن إسحاق: وكان ممّن قُتِلَ يومَ أُحدٍ مُخَيريقٌ، وكان أحدَ بني ثَعْلبة بن الفِطْيَون، قال: لمّا كان يومُ أُحدٍ قال: يا مَعشَرَ يهودَ، والله لقد عَلِمتُم أنّ نصرَ محمّد عليكم لَحَقٌّ، قالوا: إنّ اليومَ يومُ السَّبت، قال: لا سبتَ، فأَخذ سيفَه وعُدَّتَه وقال: إن أُصِبتُ فمالي لمحمّدٍ يَصنَعُ فيه ما يشاءُ، ثمّ غَدَا إلى رسول الله ﷺ فقاتَلَ معه حتّى قُتِلَ، فقال رسول الله ﷺ ـ فيما بَلَغَنا ـ: «مُخَيرِيقٌ خيرُ يَهُودَ»[2].

قال ابن إسحاق: وكان الحارثُ بن سُوَيد بن صامتٍ منافقاً، فخرج يومَ أُحدٍ مع المسلمين، فلمّا التَقَى الناسُ عَدَا على المُجذَّر بن ذِيَادٍ البَلَويِّ وقيسِ بن زيدٍ أحد بني ضُبَيعة، فقتلهما، ثمّ لَحِقَ بمكّة بقريش، وكان رسولُ الله ﷺ ـ فيما يَذكُرون ـ قد أمَرَ عمرَ بن الخطّاب بقتلِه إن هو ظَفِرَ به، ففاتَه فكان بمكّة، ثمّ بَعَثَ إلى أخيه الجُلَاس بن سُوَيدٍ يَطلُبُ التّوبةَ ليَرجِعَ إلى قومه، فأنزَلَ الله تعالى فيه فيما بَلَغني عن ابن عبّاسٍ: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران:٨٦] إلى آخر القِصّة[3].

قال ابن هشام: حدّثني مَن أثِقُ به من أهلِ العلم: أنّ الحارثَ بن سُوَيد قَتَل

(١) صحيح لغيره، وقد تقدم ٢/ ١٨٦.

(٢) خبر ضعيف، وقد تقدم ٢/ ١٧٤.

(٣) خبر ابن عباس صحيح لكن ليس فيه ذكر للحارث بن سويد كما قد تقدم بيانه ٢/ ١٧٩.

المُجذَّرَ بن ذِيَادٍ ولم يَقتُل قيسَ بن زيدٍ، والدّليلُ على ذلك أنّ ابنَ إسحاق لم يَذكُره في قتلى أُحد؛ وإنّما قَتَل المُجذَّرَ لأنّ المُجذَّرَ كان قَتَل أباه سُوَيداً في بعض الحروب التي كانت بين الأَوس والخَزرَج، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب[1].

فبَيْنا رسولُ الله ﷺ في نَفَرٍ من أصحابه، إذ خرج الحارثُ بن سُوَيد من بعض حوائطِ المدينة وعليه ثوبانِ مُضرَّجانِ[2]، فأمَرَ به رسولُ الله ﷺ عثمانَ بن عَفّان فضَرَبَ عُنُقَه، ويقال: بعضَ الأنصار[3].

قال ابن إسحاق: قتل سُوَيدَ بن الصّامتِ معاذُ ابنُ عَفْراءَ غِيلةً في غير حربٍ، رَمَاه بسهمٍ فقتله قبل يومِ بُعَاثَ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني الحُصَينُ بن عبد الرَّحمن بن عمرو بن سعد بن معاذٍ، عن أبي سفيانَ مولى ابن أبي أحمدَ، عن أبي هُرَيرة قال: كان أبو هريرةَ يقول: حدِّثوني عن رجلٍ دَخَلَ الجنّةَ لم يُصلِّ قَطُّ، فإذا لم يَعرِفْه النّاسُ سألوه: مَن هو؟ فيقول: أُصَيرِمُ بني عبد الأشهَل؛ عمرُو بن ثابتِ بن وَقْشٍ.

قال الحصينُ: فقلت لمحمود بن لَبِيدٍ[4]: كيف كان شأنُ الأُصَيرِم؟ قال: كان

---

(١) انظر ٢/ ١٧٨.

(٢) حوائط المدينة: بساتينها. والمضرَّج: المُشبَع حُمرةً كأنه ضُرِّج بالدم، أي: لُطِخ به.

(٣) ذكر الواقديُّ عن أشياخه فيما رواه عنه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٣١٣: أنَّ الذي ضرب عنقه بأمر النبيِّ ﷺ هو عُوَيم بن ساعدة الأنصاريُّ. فالله تعالى أعلم بحقيقة ذلك، فالأخبار فيه مقاطيع لم تُسنَد.

وانظر التعليق على سبب نزول الآية المذكورة فيما تقدم عند ذكر منافقي الأوس والخزرج ٢/ ١٧٨-١٧٩.

(٤) تحرف في مطبوعة السقا وصاحبيه إلى: محمود بن أسد.

يأبَى الإسلامَ على قومه، فلمّا كان يومُ خَرَجَ رسولُ الله ﷺ إلى أُحدٍ، بَدَا له في الإسلام فأسلَمَ، ثمّ أَخذَ سيفَه فغَدَا حتّى دخل في عُرْضِ النّاس، فقاتَلَ حتّى أثبَتَته الجِراحةُ، قال: فبَيْنا رجالٌ من بني عبد الأشهَلِ يَلتَمِسون قَتْلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: واللهِ إنّ هذا لَلأُصَيرِمُ، ما جاءَ به؟ لقد تَرَكْناه وإنّه لمُنكِرٌ لهذا الحديث، فسألوه ما جاءَ به فقالوا: ما جاءَ بك يا عمرُو؟ أحَدَبٌ على قومك، أم رَغْبةٌ في الإسلام؟ قال: بل رَغْبةٌ في الإسلام، آمَنتُ بالله وبرسولِه وأسلَمتُ، ثمّ أخذتُ سيفي فغَدَوتُ مع رسول الله ﷺ، ثمّ قاتَلتُ حتّى أَصابني ما أَصابني، ثمّ لم يَلبَثْ أن مات في أيديهم، فذَكَرُوه لرسول الله ﷺ، فقال: «إنَّه لَمِنْ أَهلِ الجَنَّةِ»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاقُ بن يَسارٍ، عن أشياخٍ من بني سَلِمةَ: أنّ عَمرَو بن الجَمُوحِ كان رجلاً أعرَجَ شديدَ العَرَجِ، وكان له بَنُونَ أربعةٌ مِثلُ الأُسْد يَشهَدُون مع رسول الله ﷺ المشاهدَ، فلمّا كان يومُ أُحدٍ أرادوا حَبْسَه، وقالوا له: إنّ الله قد عَذَرَك، فأَتى رسولَ الله ﷺ فقال: إنَّ بَنِيَّ يريدون أن يَحبِسُوني عن هذا الوجهِ

(١) إسناده حسن من أجل الحصين بن عبد الرحمن.

وأخرجه أحمد (٢٣٦٣٤) من طريق إبراهيم بن سعد الزُّهري، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وروى حديثَ أبي هريرة مفصَّلاً أبو سلمة بنُ عبد الرحمن عنه: أنّ عمرو بن أُقَيش (وهو عمرو بن ثابت نفسه) كان له رِباً في الجاهلية، فكَرِهَ أن يُسلِم حتى يأخذه، فجاء يومَ أُحد فقال: أين بنو عمّي؟ قالوا: بأُحد، قال: أين فلان؟ قالوا: بأُحد، قال: فأين فلان؟ قالوا: بأُحد، فلبس لَأمتَه (أي: درعه وسلاحه) وركب فرسه، ثم توجّه قِبَلَهم، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنّا يا عمرو، قال: إني قد آمنتُ، فقاتل حتى جُرِح، فحُمِل إلى أهله جريحاً، فجاءه سعد بن معاذ فقال لأخته: سَلِيه: حَميّةً لقومِك، أو غضباً لهم، أم غضباً لله ورسوله؟ فقال: بل غضباً لله ولرسوله، فمات، فدخل الجنّةَ وما صلّى لله صلاةً. أخرجه أبو داود (٢٥٣٧) والحاكم (٢٥٦٥)، وإسناده حسن.

والخروجِ معك فيه، فواللهِ إنّي لَأَرجُو أن أطَأَ بعَرْجَتي هذه في الجنّة، فقال رسولُ الله ﷺ: «أمّا أنتَ، فقد عَذَرَكَ اللهُ فلا جِهادَ عليكَ» وقال لبَنِيهِ: «ما عَليكُم أن لا تَمنَعُوه، لَعَلَّ اللهَ أن يَرزُقَه الشَّهادَةَ»، فخرج معه فقُتِلَ يومَ أُحدٍ[1].

قال ابن إسحاق: ووَقَعَت هندٌ بنتُ عُتْبة ـ كما حدّثني صالحُ بن كَيْسان ـ والنِّسوةُ اللّاتي معها يُمثِّلْنَ بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يُجدِّعْنَ[2] الآذانَ والآنُفَ حتّى اتَّخَذَت هندٌ من آذان الرِّجال وآنُفِهم خَدَماً وقلائدَ، وأعطَتْ خَدَمَها وقلائدَها وقِرَطَتَها[3] وَحْشيّاً غلامَ جُبَير بن مُطعِم، وبَقَرَت عن كَبِدِ حمزة فلاكَتْها، فلم تستطع

(١) خبر صحيح، فالأشياخ من بني سَلِمة ـ وهم رهطُ عمرو بن الجموح ـ إن كان أحد منهم من الصحابة فقد اتصل الإسناد وصحَّ، وإلا فهو مرسل وقد جاء ما يشهد له.

وأخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٩٨٢)، والبيهقي في «السنن» ٩/ ٢٤ وفي «الدلائل» ٣/ ٣٤٦ من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ويشهد له بنحوه مرسل عكرمة مولى ابن عباس عند ابن المبارك في «الجهاد» (٧٨)، ورجاله ثقات.

وذُكِر خبر خروج عمرو بن الجموح أيضاً في حديث أبي قتادة الأنصاري عند أحمد (٢٢٥٥٣)، وفي آخره عن النبي ﷺ قال: «كأنّي أنظرُ إليك تمشي برجلك هذه صحيحةً في الجنة». وإسناده حسن.

وفي حديث جابر بن عبد الله عند ابن حبان (٧٠٢٤)، وفيه: أن عمرو بن الجموح قال: والذي نفسي بيده، لا أرجعُ إلى أهلي حتى أدخل الجنة، فقال له عمر بن الخطاب: يا عمرو، لا تَأَلَّ على الله (أي: لا تحكم على الله بحَلِفك)، فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عُمَر، فإنّ منهم مَن لو أقسم على الله لأبرَّه، منهم عمرو ابن الجَمُوح، يَخُوض في الجنة بعَرجتِه». وإسناده حسن أيضاً.

(٢) يجدِّعن: يقطِّعن.

(٣) الخَدَم: جمع خَدَمة، وهي الخَلْخال تضعه المرأة في رِجْلها. والقلائد: جمع قِلادة، وهي ما يوضع في العنق. والقِرَطة: جمع قُرْط، وهو الذي يُعلَّق في شحمة الأُذن.

أن تُسِيغَها فلَفَظَتها[1].

ثمّ عَلَتْ على صخرةٍ مُشرِفةٍ فصَرَخَت بأعلى صوتِها فقالت:

نحـــنُ جَزَينـــاكمْ بيـــومِ بـــدرِ والحربُ بعدَ الحربِ ذاتُ سُعْرِ[2]

مـا كـان عـن عُتْبـةَ لـي مـن صَبْرِ ولا أَخـــي وعَمِّـــه وبِكْـــري[3]

شَـفَيتُ نَفْسـي وقَضَـيتُ نَـذْري شَـفَيتَ وَحْشـيُّ غَلِيـلَ صَـدْري[4]

فشُـــكْرُ وحشـــيٍّ علـــيَّ عُمْـــري حتّـى تَـرِمَّ أَعظُمـي في قَبْـري[5]

---

(١) إسناده ضعيف لإرساله، فصالح بن كيسان من صغار التابعين.

وقد رواه عن ابن إسحاق أيضاً غير واحد كما في «سيرته» ص٣٣٣، وفي «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٢٥، و«تفسير ابن المنذر» (١٠٤٢).

وقصة لَوْك هندٍ لكبدِ حمزة رضي الله عنه لها شاهدٌ من حديث الشَّعبيّ عن ابن مسعود عند أحمد (٤٤١٤) قال: فنظروا فإذا حمزةُ قد بُقِرَ بطنه (أي: شُقَّ) وأَخذت هندٌ كبدَه فلاكتها، فلم تستطع أن تأكلها. وإسناده ضعيف لانقطاعه بين الشعبي وابن مسعود.

وآخر من مرسل ابن سِيرِين عند ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ١١ قال: بلغني أن هنداً كانت قد نَذَرَت: لئن قَدَرَت على حمزة لتأكلنَّ من كبده؛ فلمّا كان حيث أُصيب حمزة ومثلوا بالقتلى وجاؤوا بحَزَّةٍ (أي: بقطعة) من كبد حمزة، فأخذتها تمضغها لتأكلها فلم تستطع أن تبتلعها فلَفَظَتها. وهذا ضعيف لإرساله، لكن بالمجموع يتقوّى أصل هذا الخبر، والله تعالى أعلم.

(٢) السُّعُر، بضم العين وسُكّنت هنا تخفيفاً: الالتهاب والتوقد.

(٣) البِكْر: أول ولد الإنسان، ولعلها تعني هنا تجوُّزاً حنظلةَ بن أبي سفيان الذي قتله عليٌّ يوم بدر، فهو بِكْر أبي سفيان لكن من غيرها وبه كان يُكنى أحياناً، وحنظلة هذا أخو أم حبيبة زوج النبي ﷺ، وأُمُّهما هي صفيّة بنت أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس كما في «نسب قريش» لمصعب الزبيري ص١٠٠ و١٢٤.

(٤) الغليل: العطش، أو حرارة الجوف.

(٥) تَرِمّ: تبلى وتتفتّت.

فأجابتها هندٌ بنت أُثاثة بن عبّاد بن المُطَّلِب فقالت:

خُزِيــتِ في بــدرٍ وبعــدَ بــدرِ   يــا بنــتَ وَقّــاعٍ عظــيمِ الكُفــرِ[1]

صَــبَّحَكِ اللهُ غَــداةَ الفَجــرِ   مِلْهاشــميِّينَ الطِّــوالِ الزُّهْــرِ[2]

بكــلِّ قَطّــاعٍ حُســامٍ يَفْــري   حمــزةُ لَيْثــي وعلــيٌّ صَــقْري[3]

إذ رامَ شَــيبٌ وأبــوكِ غَــدْري   فخَضَّــبا منــه ضَــوَاحي النَّحْــرِ[4]

ونَــذرُكِ السُّــوءَ فشَــرُّ نَــذرِ

قال ابن هشام: تركنا منها ثلاثة أبياتٍ أقذَعَت فيها[5].

قال ابن إسحاق: وقالت هندٌ بنتُ عُتْبة أيضاً:

شَــفَيتُ مــن حمــزةَ نفســي بأُحُــدْ   حتّــى بَقَــرتُ بطنَــهُ عــن الكَبِــدْ[6]

أذْهَــبَ عنّــي ذاكَ مــا كنــتُ أَجِــدْ   من لَذْعةِ الحُزنِ الشّديدِ المعتَمِدْ[7]

والحــربُ تَعلُــوكم بشُــؤْبُوبٍ بَــرِدْ   تُقــدِمُ إقــداماً علــيكمْ كالأَسَــدْ[8]

---

(١) الوقّاع: الكثير الوقوع في الدنايا.

(٢) مِلهاشميِّين، أرادت: من الهاشميِّين، فحذفت نون مِنْ لالتقاء الساكنين. والزُّهر: البِيض، الواحد: أَزهر.

(٣) الحسام: السيف القاطع. ويَفْري: يقطع.

(٤) شَيْب: أرادت شيبةَ، فرخّمته في غير النداء، وهو ابن ربيعة عمُّ هند بنت عتبة. وضواحي النَّحر: ما ظهر منه، يقال: ضَحَى الشيءُ، إذا بَرَز وظَهَر، والنَّحر: الصدر.

(٥) أي: أفحشَت القول فيها.

(٦) بقرتُ بطنه، أي: شَقَقتُه.

(٧) اللَّذعة: ألم النار، أو ما يشبَّه بها. والمعتمد: الحزن القاصد المؤلم.

(٨) الشُّؤبوب: دُفْعة المطر الشديدة، وبَرِدْ: أي ذو بَرْدٍ، شبّهت الحرب بها.

قال ابن إسحاق: فحدّثني صالحُ بن كَيْسان[1] أنّه حُدِّث: أنّ عمرَ بن الخَطّاب قال لحسّانَ بن ثابتٍ: يا ابنَ الفُرَيعةِ ـ قال ابن هشام: الفُرَيعةُ بنتُ خالد بن خُنَيس، ويقال: خَنْبَش بنِ حارثة بن لَوْذانَ بن عبد وَدّ بن زيد بن ثَعْلبة بن الخَزرَج بن ساعدة ابن كعب بن الخَزرَج ـ لو سمعتَ ما تقول هندٌ، ورأيتَ أَشَرَها[2] قائمةً على صخرة تَرتجِزُ بنا وتذكرُ ما صَنَعَت بحمزة! قال له حسّانُ: والله إنّي لَأنظُرُ إلى الحَرْبة تَهْوي وأنا على رأس فارعٍ ـ يعني أُطُمَه[3] ـ فقلت: والله إنّ هذه لَسلاحٌ ما هي بسلاح العرب وكأنّها إنَّما تَهْوي إلى حمزةَ ولا أدري، لكن أَسمِعْني بعض قولها أَكفِيكُموها. قال: فأنشَدَه عمرُ بعضَ ما قالت، فقال حسّانُ بن ثابتٍ:

أَشِـرَت لَكَـاعِ وكـان عادَتُهـا ... لُؤماً إذا أَشِـرَت مـع الكُفـرِ[4]

قال ابن هشام: وهذا البيت في أبياتٍ له تركناها وأبياتاً أيضاً له على الدّال وأبياتاً أُخَر على الذّال[5]، لأنّه أَقذَعَ فيها.

---

(١) صالح بن كيسان ثقة فقيه من صغار التابعين من أهل المدينة، فخبره هذا مرسلٌ.

(٢) الأَشَر: البَطَر.

(٣) الأُطُم: البناء المرتفع كالحِصن، وجمعه: آطام.

(٤) اللَّكاع: اللَّئيمة، يقال للمؤنث: لَكاعِ، وللمذكر: لُكَع. قال السهيلي في «الروض» ٦/ ٣٧: لكاعِ، جعله اسماً لها في غير النداء، وذلك جائز، وإن كان في النداء أكثر، نحو: يا غَدَارِ، ويا فَسَاقِ.

تنبيه: جاء في (ت) و(ش١) و(ص) و(غ) بعد هذا البيت زيادة بيت آخر وليس في (ز) و(م) و(ي):

لَعَنَ الإلٰهُ وزوجَها معَها ... هندَ الهنودِ طويلةَ البَظْرِ

والبَظْر: هي لحمة ناتئة في أعلى فرج المرأة.

(٥) انظر «ديوان حسان» بتحقيق وليد عرفات ١/ ٣٨٤-٣٨٥.

قال ابن إسحاق: وقد كان الحُلَيسُ بن زَبّان أخو بني الحارث بن عبد مَنَاة ـ وهو يومئذٍ سيِّدُ الأَحابيش[1] ـ قد مَرَّ بأبي سفيانَ وهو يضربُ في شِدْقِ حمزةَ بن عبد المُطَّلِب بزُجِّ الرُّمح ويقول: ذُقْ عُقَقُ[2]، فقال الحُلَيسُ: يا بني كِنانةَ، هذا سيِّدُ قريشٍ يَصنَعُ بابن عمِّه ما تَرَونَ لحماً[3]، فقال: وَيحَك اكتُمْها عنّي، فإنّها كانت زَلّةً.

ثمّ إنَّ أبا سفيانَ حين أراد الانصرافَ أشرَفَ على الجبل ثمّ صَرَخَ بأعلى صوته: أنعَمَتْ فعَالْ[4]، إنَّ الحربَ سِجالْ، يومٌ بيوم بدر، اعْلُ هُبَلْ، أي: ظَهَرَ[5] دينُك، فقال رسول الله ﷺ: «قُمْ يا عمرُ فأَجِبْه، فقل: اللهُ أَعلَى وأَجَلّ، لا سَوَاءٌ[6]»، قَتْلانا

(١) انظر الكلام على الأحابيش فيما تقدم ١/ ٤٤٣.

(٢) الشِّدق: جانب الفم. وزُجُّ الرمح: حديدة في أسفله. وقوله: ذق عُقَق، أراد: يا عاقُّ، فعَدَلَه إلى فُعَل.

(٣) لحماً، أي: ميّتاً لا يقدر على الانتصار.

(٤) هكذا قُيِّدت اللام فيها وفي «سجال» بالسكون في (ز) و(ش١) و(م)، وقيِّدتا في (ص) بالكسر، وكلاهما لإرادة السَّجع، ويريد بقوله: أنعمَتْ، الأزلامَ وهي القِدَاح التي كانوا يستقسمون بها في زمن الجاهلية، أي: أنها صدقت في فتواها لهم بالخروج إلى أُحد، وقوله: فعَال، أمرٌ والفاءُ للعطف، أي: عالِ عنها وأَقصِرْ عن لَومها، تقول العرب: اعلُ عنّي، وعالِ عنّي، بمعنًى، أي: ارتفِعْ عنّي ودَعْني. انظر «غريب الحديث» للخطّابي ٢/ ٢٥٥-٢٥٦، و«الروض الأنف» للسهيلي ٦/ ٤٦.

والسِّجال: أن يَغلِب هؤلاء مرةً وهؤلاء مرةً، وأصله من المُساجَلة في الاستقاء، وهو أن يُخرِج المستقي من الماء مثل ما يُخرِج صاحبه، والسَّجْل: الدَّلْو.

(٥) في (غ): أَظهِر. وهُبَل: اسم صنم.

(٦) قال السهيلي في «الروض» ٦/ ٤٧: أي: لا نحنُ سواءٌ، ولا يجوز دخول (لا) على اسم =

في الجنَّةِ وقَتْلاكم في النّار»، فلمّا أجابَ عمرُ أبا سفيان قال له أبو سفيان: هَلُمَّ إليَّ يا عمرُ، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «ائتِهِ فانظُرْ ما شَأْنُه»، فجاءَه فقال له أبو سفيان: أنشُدُكَ اللهَ يا عمرُ، أقَتَلْنا محمّداً؟ قال عمرُ: اللّهمَّ لا، وإنّه لَيَسمَعُ كلامَكَ الآنَ، قال: أنت أصدَقُ عندي من ابن قَمِئَةَ وأبَرُّ؛ لقول ابن قَمِئةَ لهم: إنّي قد قتلتُ محمّداً.

قال ابن هشام: واسم ابن قَمِئةَ عبدُ الله.

قال ابن إسحاق: ثمّ نادى أبو سفيانَ: إنَّه قد كان في قَتْلاكم مُثَلٌ، والله ما رَضِيتُ وما سَخِطتُ، وما نَهَيتُ وما أَمَرتُ[1].

ولمّا انصَرَفَ أبو سفيانَ ومَن معه نادى: إنّ مَوعِدَكم بدرٌ للعامِ القابِل، فقال رسولُ الله ﷺ لرجلٍ من أصحابه: «قُلْ: نَعَم، هو بينَنا وبينَكم مَوعِدٌ»[2].

= مبتدأ معرفة إلا مع التَّكرار، نحو: لا زيدٌ قائمٌ، ولا عمرٌو خارجٌ، ولكنه جاز في هذا الموضع لأن القصد فيه إلى نفي الفعل، أي: لا نستوي.

(١) هذا الخبر في المحاورة بين أبي سفيان وبين المسلمين وهم في الجبل صحيح، وقد بيَّن سلمةُ بن الفضل في روايته عن ابن إسحاق عند الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥٤-١٥٥ أنه رواه عن ابن شهاب الزهري مرسلاً.

وقد جاء ما يشهد له من حديث البراء بن عازب عند أحمد (١٨٥٩٣) والبخاري (٣٠٣٩) و(٤٠٤٣).

ومن حديث ابن عباس عند أحمد (٢٦٠٩) والحاكم (٣٢٠١)، وإسناده حسن.

(٢) روى هذه المواعدةَ النسائيُّ في «الكبرى» (١١٠١٧) بإسناد صحيح من حديث ابن عباس قال: لما انصرف المشركون عن أُحد وبلغوا الرَّوحاءَ، قالوا: لا محمداً قتلتموه، ولا الكواعبَ أردفتم، وبئسَ ما صنعتم، ارجِعُوا، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فنَدَبَ الناسَ فانتدبوا حتى بلغوا حمراءَ الأَسد... فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ [آل عمران:١٧٢]، وقد كان أبو سفيان قال للنبي ﷺ: موعدك موسمُ بدر حيث قتلتم أصحابَنا.

ثمّ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ فقال: «اخرُجْ في آثارِ القومِ، فانظُرْ ماذا يَصنعُونَ وماذا يُرِيدونَ، فإنْ كانوا قد جَنَبُوا الخيلَ[1] وامتَطَوُا الإبِلَ، فإنَّهم يُرِيدونَ مكّةَ، وإنْ رَكِبُوا الخيلَ وساقُوا الإبِلَ، فإنَّهم يُرِيدونَ المدينةَ، والَّذي نفسي بيَدِه، لئِنْ أَرادُوها لَأَسِيرَنَّ إليهم فيها ثمَّ لَأُناجِزَنَّهم».

قال عليّ: فخَرَجت في آثارهم أنظُرُ ماذا يَصنَعون، فجَنَبوا الخيلَ وامتَطَوا الإبِلَ ووَجّهوا إلى مكّة[2].

وفَرَغَ الناسُ لقتلاهم، فقال رسول الله ﷺ ـ كما حدّثني محمّدُ بن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن أبي صَعصَعةَ المازني أخو بني النَّجّار ـ: «مَن رجلٌ يَنظُرُ لي ما فَعَلَ سعدُ بنُ الرَّبيعِ، أَفي الأَحياءِ هو أَم في الأَمواتِ؟» فقال رجلٌ من الأنصار[3]: أنا أنظُرُ لك يا رسول الله ما فَعَلَ سعدٌ.

فنَظَرَ فوَجَدَه جريحاً في القتلى وبه رَمَقٌ، قال: فقلت له: إنّ رسولَ الله ﷺ أمَرَني أن أنظُرَ أفي الأحياءِ أنت أم في الأموات! قال: أنا في الأموات، فأَبلِغْ رسولَ الله ﷺ عنّي السلامَ وقل له: إنَّ سعدَ بن الرَّبيعِ يقول: جَزَاكَ اللهُ عنّا خيرَ ما جَزَى نبيّاً عن

(١) جَنَبوا الخيل، أي: قادوها إلى جنوبهم وهم على ركائبهم من الإبل.

(٢) وفي مغازي موسى بن عُقبة ـ وهي من أصح المغازي ـ كما في «دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٢١٣: أن رسول الله ﷺ بعث في آثارهم سعدَ بنَ أبي وقّاص.

(٣) ذكر الواقدي في «مغازيه» ١/ ٢٩٢: أنه محمد بن مَسلَمة، ويقال: أُبيّ بن كعب. وذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٢٨٠ من رواية رُبيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جدّه: أنَّ الرجلَ الذي ذهب يطلب سعد بن الربيع هو أُبيّ بن كعب.

وروى الحاكم (٤٩٦٧) بإسناد ضعيف جداً عن زيد بن ثابت: أنه هو من بعثه النبيُّ ﷺ لطلب سعد بن الربيع؛ وهذا مع ضعف إسناده منكرٌ أيضاً، إذ إن زيداً لم يشهد أُحداً لصِغَر سنِّه، وأول مشاهده مع النبي ﷺ الخندقُ.

أُمّته، وأَبلِغْ قومَك عنّي السلامَ وقل لهم: إنّ سعدَ بن الرَّبيعِ يقول لكم: إنّه لا عُذْرَ لكم عندَ الله إنْ خُلِصَ إلى نبيِّكم ﷺ وفيكم[1] عينٌ تَطرِفُ، قال: ثمّ لم أَبرَحْ حتّى مات، قال: فجئتُ رسولَ الله ﷺ فأخبرتُه خبرَه[2].

قال ابنُ هشام: وحدّثني أبو بكرٍ الزُّبَيريُّ[3]: أنّ رجلاً دخل على أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ

---

(١) في (ز) و(غ): ومنكم.

وقوله: عين تَطرِف، الطَّرْفُ: تحريك الجُفون في النظر.

(٢) هذا خبر مرسل حسنٌ بشواهده، ومحمد بن عبد الله بن أبي صعصعة المازني من ثقات أتباع التابعين.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» ص٣٣٤-٣٣٥، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٢٨، و«تفسير ابن المنذر» (١١٨٧)، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٢٨٥ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه عبدُ الله بن المبارك عند الحاكم (٤٩٦٨) عن ابن إسحاق أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة حدَّثه عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال؛ فذكر الحديث موصولاً عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، وهو صحابيٌّ أنصاريٌّ، لكن اختُلف على ابن المبارك في إسناده كما هو مبيَّن في التعليق على الحديث من «مستدرك الحاكم» طبعة دار الرسالة، والراجح إرساله.

وأخرج نحو هذا الخبر مالك في «الموطأ» ٢/ ٤٦٥ عن يحيى بن سعيد الأنصاري مرسلاً.

وأخرج نحوه أيضاً سعيد بن منصور في «سننه» (٢٨٤٢) بإسناد رجاله ثقات عن رجلٍ من بني مازن أنه بلغه: أنَّ رسول الله ﷺ قام يوم أُحُدٍ، وذكره. وهذا مرسلٌ مع إبهام راويه.

وأخرجه أيضاً ابن راهويه في «مسنده» كما في «المطالب العالية» لابن حجر (٤٢٦١) بإسناد فيه ضعفٌ عن عمرو بن يحيى بن عُمارة المازني مرسلاً.

(٣) هو ـ ظنّاً ـ عبدُ الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي الزُّبيري، المتوفَّى سنة ١٨٤هـ، وانظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ٨/ ٥١٧.

وعليه فخبره هذا معضَلٌ، لكن روي نحوه من غير هذا الوجه، فقد رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٨٤٢) من طريق سعيد بن أبي هلال عن رجل من بني مازن أنه بلغه: أن سعد بن =

وبنتٌ لسعدِ بن الرَّبيعِ جاريةٌ صغيرةٌ على صَدْرِه يَرشُفُها[1] ويقبِّلُها، فقال له الرّجلُ: مَن هذه؟ قال: هذه بنتُ رجلٍ خيرٍ منّي، سعدِ بن الرَّبيع، كان من النُّقَباءِ يومَ العَقَبة، وشَهِدَ بدراً، واستُشهِدَ يومَ أُحد.

قال ابن إسحاق: وخرج رسولُ الله ﷺ ـ فيما بَلَغني ـ يَلتَمِسُ حمزةَ بنَ عبد المُطَّلِب، فوَجَدَه ببطن الوادي قد بُقِرَ بطنُه عن كَبِدِه، ومُثِلَ به[2] فجُدِعَ أنفُه وأُذُناه.

فحدَّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير: أنّ رسولَ الله ﷺ قال حين رأى ما رأى: «لَوْلا أن تَحزَنَ صَفيَّةُ، ويكونَ سُنّةً من بَعْدي، لتَرَكتُه حتَّى يكونَ في بُطونِ السِّباعِ وحَواصِلِ الطَّيرِ، ولئِنْ أَظهَرَني اللهُ على قُريشٍ في مَوطِنٍ من المَواطِنِ، لأَمثُلَنَّ بثلاثينَ رجلاً منهم»، فلمّا رأى المسلمون حُزْنَ رسول الله ﷺ وغَيْظَه على مَن فَعَلَ بعَمِّه ما فعلَ قالوا: والله لئِنْ أظفَرَنا اللهُ بهم يوماً من الدَّهر، لنَمثُلَنَّ بهم مُثْلةً لم يَمثُلْها أحدٌ من العرب[3].

= الربيع أُصيب فأوصى إلى أبي بكر الصديق، فدخل رجلٌ على أبي بكر، وذكره. وهذا مرسل مع إبهام راويه.

وأخرج الحاكم (٦٦٩٨) بإسنادٍ واهٍ عن أم سعد بنت سعد بن الربيع: أنها دخلت على أبي بكر الصديق، فألقى لها ثوبه حتى جلست عليه، فدخل عليه عمر بن الخطاب فقال: يا خليفة رسول الله، مَن هذه؟ قال: هذه بنتُ من هو خيرٌ مني ومنك، قال: ومن هو خير مني ومنك إلا رسول الله ﷺ؟! قال أبو بكر: رجل قُبِض على عهد رسول الله ﷺ تبوّأ مقعده من الجنة، وبقيتُ أنا وأنت.

(١) يرشفها: يمصّ ريقها، والمراد: يقبلها ويلاعبها.

(٢) أي: شُوِّهَ بجسده، يقال: مَثَلَ به يَمثُلُ، مخفَّفاً، ومثَّل به، مشدَّداً للمبالغة، والاسم منه: المُثْلة. وبُقر بطنه، أي: شُقَّ. وجُدع أنفه، أي: قُطع.

(٣) حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإعضاله، فإن محمد بن جعفر بن الزبير بن العوّام =

قال ابن هشام: ولمّا وَقَفَ رسولُ الله ﷺ على حمزةَ قال: «لن أُصابَ بمِثلِك

= من أتباع التابعين، وهو ثقة.

والخبر في «سيرة ابن إسحاق» ص٣٣٥ من طريق محمد بن سلمة، وفي «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٢٨ من طريق سلمة بن الفضل، وفي «تفسير ابن المنذر» (١٠٤٤) من طريق إبراهيم بن سعد، وفي «دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٢٨٥-٢٨٦ من طريق يونس بن بكير، أربعتهم عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر. زاد يونس عن ابن إسحاق: وحدَّثَنيه بُرَيدةُ بن سفيان عن محمد ابن كعب القُرظي؛ وهذا مرسل أيضاً، فمحمد بن كعب ـ وهو القُرظي ـ تابعي صغير، وبريدة ضعيف جداً.

وخالف أحمد بن أيوب بن راشد البصري عند الطبراني في «الكبير» (١١٠٥١) فوصله فرواه عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى، عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن كعب القُرظي والحكم ابن عُتيبة، عن مِقسَم ومجاهد، عن ابن عباس. وأحمد بن أيوب ذكره ابن حبان في «الثقات» ٨/ ١٩ وقال: ربما أغرَبَ. قلنا: وهذا من غرائبه، فإن المحفوظ عن ابن إسحاق إرساله، كما أنه وقع في هذا الإسناد خطآن: الأول: رواية ابن إسحاق له عن محمد بن كعب، والصواب أن فيه بينهما بريدة بن سفيان الأسلمي كما في رواية يونس بن بكير السابقة وكما سيأتي قريباً عند ابن هشام، الثاني: رواية ابن إسحاق له عن الحكم بن عتيبة، والصواب أن فيه بينهما الحسن بن عُمارة ـ وهو ضعيف ـ كما في رواية سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٢٩.

لكن لهذا الخبر مقطَّعاً شواهدُ تقوّيه، منها حديث أنس بن مالك عند أحمد (١٢٣٠٠)، وأبي داود (٣١٣٦)، والترمذي (١٠١٦)، والحاكم (١٣٦٧): أن رسول الله ﷺ أتى على حمزةَ فوقف عليه وقد مُثل به، فقال: «لولا أن تجدَ صفيةُ في نفسها، لتركته حتى تأكله العافيةُ، حتى يُحشَر من بطونها». وإسناده محتمل للتحسين. والعافية: كل طالب رزق من أنواع الحيوان، والمراد السباع والطيور التي تأكل الأموات.

وحديث أبي هريرة عند الحاكم في «المستدرك» (٤٩٥٥)، لكن فيه: «لأمثلنّ بسبعين منهم». وإسناده ضعيف.

أبداً، ما وَقَفتُ مَوقِفاً قَطُّ أغيَظَ إليَّ مِن هذا» ثمّ قال: «جاءَني جِبريلُ فأخبَرَني أنَّ حمزةَ مكتوبٌ في أهلِ السَّماواتِ السَّبعِ: حمزةُ بن عبدِ المُطَّلِب، أسَدُ اللهِ وأسَدُ رسولِه»[1].

وكان رسولُ الله ﷺ وحمزةُ وأبو سَلَمة بن عبد الأسَد، إخوةً من الرَّضاعة، أرضَعَتهم مولاةٌ لأبي لهبٍ[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بُرَيدةُ بن سفيانَ بن فَرْوة الأسلَميّ، عن محمّد بن كعبٍ القُرَظيّ؛ وحدّثني مَن لا أتّهم عن ابن عبّاسٍ: أنّ الله عزَّ وجلَّ أنزَلَ في ذلك من قولِ رسول الله ﷺ وقولِ أصحابه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل:١٢٦-١٢٧]، فعَفَا رسولُ الله ﷺ وصَبَرَ ونَهَى عن المُثَل[3].

---

(١) خبر ضعيف ذكره ابن هشام بلا إسناد.

وذكره الواقدي في «مغازيه» ١/ ٢٩٠ بلا إسناد أيضاً، وهو في «مستدرك الحاكم» (٤٩٤٢) من طريق الواقدي عن شيوخه، ولم يسمّهم. والواقديُّ متكلَّم فيه.

وأخرج الشطر الثاني منه الحاكم (٤٩٥٩) من حديث يحيى بن عبد الرحمن بن أبي لَبيبة عن جدّه عن النبي ﷺ. وإسناده ضعيف جداً، يحيى واهٍ، وجدُّه لا يعرف.

وقد روي في مرسل عُمير بن إسحاق مولى بني هاشم: أن حمزة كان يقاتل يوم أُحد بسيفين وهو يقول: أنا أسد الله وأسد رسوله. أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٩٥٣)، ورجاله لا بأس بهم، وهو كذلك عند الحاكم (٤٩٣٦) دون قوله: وأسد رسوله، ورواه مرةً أخرى (٤٩٤١) موصولاً عن عمير عن سعد بن أبي وقّاص، والمحفوظ إرساله.

(٢) واسمها ثُوَيبة، وقد تقدّم بيان ذلك ١/ ١٧٥.

(٣) حسن لغيره إن شاء الله مع ضعف إسناديه، فالإسناد الأول عن محمد بن كعب القرظي =

قال ابن إسحاق: وحدّثني حُمَيدٌ الطّويلُ عن الحسن عن سَمُرةَ بن جُندُبٍ قال: ما قامَ رسولُ الله ﷺ في مَقامٍ قطُّ ففارَقَه، حتّى يأمُرَنا بالصَّدَقةِ ويَنْهانا عن المُثْلة[1].

= مرسلاً فيه بريدة بن سفيان، وهو ضعيف جداً، والإسناد الثاني فيه إبهام الواسطة بين ابن إسحاق وابن عباس، وقد بيّنها سلمة بن الفضل في روايته عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٢٩ فقال عنه: وحدثني الحسن بن عُمارة عن الحَكَم بن عُتيبة عن مِقسَم عن ابن عباس، والحسن بن عُمارة متفق على ضعفه.

ورواه محمد بن سلمة الحرّاني عن ابن إسحاق في «سيرته» ص٣٣٥ كرواية زياد البكّائي عنه بإبهام الواسطة.

ويشهد له حديث أبي هريرة عند الحاكم (٤٩٥٥) وفيه: فنزل القرآن وهو واقف في مكانه (يعني في أُحد) لم يبرح: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ إلى آخر الآيات. وإسناده ضعيف.

وحديث أُبيّ بن كعب عند الترمذي (٣١٢٩)، وعبد الله بن أحمد في زياداته على «المسند» لأبيه (٢١٢٣٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢١٥)، وابن حبان (٤٨٧)، والحاكم (٣٤٠٨)، قال: لما كان يومُ أُحدٍ أُصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أَصبنا منهم يوماً مثلَ هذا لنُربِيَنَّ عليهم (أي: لنزيدنّ عليهم)، قال: فلما كان يومُ فتح مكة، قال رجل: لا قريشَ بعد اليوم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ...﴾، فقال رسول الله ﷺ: «كُفُّوا عن القوم إلا أربعةً». وحسّنه الترمذيُّ، وهو كما قال، وفي هذا الحديث: أن نزول هذه الآيات كان يوم فتح مكة.

قلنا: لكن الراجح عندنا أن نزولها كان زمن أُحدٍ على ما روي عن ابن عباس، ويكون أحد الرواة في حديث أُبي بن كعب قد وهمَ في ذكر الآية في سياق الحديث، فسياق الآيات أنسب وألصق بزمن أُحد من زمن الفتح، وكذلك روي عن عطاء بن يسار كما عند الطبري في «تفسيره» ١٤/ ٤٠٣، وإلى هذا ذهب أبو جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ص٥٤١: أن نزولها كان بعد أُحد، والله تعالى أعلم.

(١) حديث صحيح، رجاله ثقات. الحسن: هو البصريّ. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ، عن مِقسَمٍ مولى عبد الله بن الحارث، عن ابن عبّاسٍ قال: أمَرَ رسولُ الله ﷺ بحمزةَ فسُجِّيَ[1] ببُرْدة، ثمّ صلّى عليه فكبَّر سبعَ تكبيراتٍ، ثمّ أُتي بالقَتلَى فيُوضَعون إلى حمزةَ فصَلَّى عليهم وعليه معهم، حتّى صلَّى عليه ثِنتَين وسبعين صلاةً[2].

= وأخرجه أحمد (٢٠١٣٦) عن هُشَيم، عن حميد الطويل، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد أيضاً (٢٠٢٢٥) من طريق يزيد بن إبراهيم التُّستَري، عن حميد، به.

وللتوسع في الكلام على إسناد هذا الخبر والخلاف فيه وذكر شواهده، انظر التعليق على «مسند أحمد» (١٩٨٤٤) و«سنن أبي داود» (٢٦٦٧) طبعة دار الرسالة.

(١) أي: غُطِّي وجهه. والبُردة: كساء مربَّع فيه صِغَر.

(٢) إسناده ضعيف لإبهام الواسطة بين ابن إسحاق ومقسم، والغالب أن ابن إسحاق رواه عن الحسن بن عُمارة عن الحَكَم بن عُتيبة عن مقسم كما سبق قريباً في حديث ابن عباس في نزول الآيات من آخر سورة النحل، وعليه فإنّ الحسن بن عُمارة متفق على ضعفه، وقد أنكر عليه شعبةُ هذا الخبر فيما رواه عنه مسلمٌ في «مقدمة صحيحه» ص٢٣-٢٤ فقال: حدَّثَنا عن الحَكَم بأشياءَ لم أجد لها أصلاً، فقال له أبو داود الطيالسيُّ: بأيّ شيء؟ قال شعبة: قلت للحكم: أصلَّى النبيُّ ﷺ على قتلى أُحد؟ فقال: لم يصلِّ عليهم، فقال الحسن بن عمارة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس: إن النبي ﷺ صلَّى عليهم ودفنهم!

وأخرج خبر ابن عباسٍ البيهقيُّ في «السنن» ٤/ ١٣ من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق قال: حدَّثنى رجل من أصحابى عن مقسم عن ابن عباس. ثم قال البيهقي: وهذا ضعيف، ومحمد ابن إسحاق بن يسار إذا لم يذكر اسمَ من حدَّث عنه لم يُفرَح به.

وقد روي بلفظ آخر، فأخرج ابن ماجه (١٥١٣) والحاكم (٤٩٥٦) ـ واللفظ له ـ من طريق أبي بكر بن عياش، عن يزيد بن أبي زياد، عن مِقسَم، عن ابن عباس قال: ثم أَمر بالقتلى فجعل يصلِّي عليهم، فيضع تسعة وحمزة، فيكبِّر عليهم سبع تكبيرات، ثم يُرفَعون ويترك حمزة، ثم يؤتى بتسعة فيكبِّر عليهم سبع تكبيرات، حتى فرغ منهم. وإسناده ضعيف بمرّة، فأبو بكر =

قال ابن إسحاق: وقد أقبَلَت ـ فيما بَلَغَني ـ صَفيَّةُ بنتُ عبد المُطَّلِب لتنظُرَ إليه، وكان أخاها لأبيها وأُمِّها، فقال رسول الله ﷺ لابنِها الزُّبَير بن العوَّام: «الْقَها فارجِعْها، لا تَرَى ما بأَخيها»؛ فقال لها: يا أُمَّهْ، إنَّ رسولَ الله ﷺ يأمُرُك أن تَرجِعي، قالت: ولِمَ وقد بَلَغَني أن قد مُثِلَ بأَخي؟! وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لَأحتسِبَنَّ ولَأصبِرَنَّ إن شاءَ الله، فلمّا جاءَ الزُّبَيرُ إلى رسول الله ﷺ فأخبَرَه بذلك قال: «خَلِّ

= ابن عياش ـ وإن كان صدوقاً ـ في حفظه سوء، وشيخه يزيد بن أبي زياد ـ وهو الهاشمي مولاهم ـ الجمهور على تضعيفه، وقد كان ساء حفظه لمّا كبر فصار يُلقَّن ما ليس من حديثه فيَتلقَّن، ويقع في حديثه مناكير.

وقد اختُلف في صلاة النبي ﷺ على شهداء أُحد ـ كما هو مبيَّن في التعليق على كتابَي «سنن أبي داود» و«مستدرك الحاكم» ـ والراجح في هذه المسألة أنه ﷺ لم يصلِّ عليهم عند الدفن، فقد صحَّ من حديث جابر بن عبد الله ـ وكان أبوه ممّن استُشهد يومئذٍ ـ عند البخاري (١٣٤٣) وأبي داود (٣١٣٥) وغيرهما: أن النبيَّ ﷺ أمر بدفنهم في دمائهم ولم يُغسَّلوا، ولم يُصلِّ عليهم. وذكر الإمام الشافعي في كتاب «الأم» ٢/ ٥٩٧: أنه قد تواتر عنده بأن النبيَّ ﷺ لم يصلِّ عليهم. وانظر «فتح الباري» ٤/ ٧٠٨-٧١١.

أما مسألة الصلاة على الشهيد، فهذا أيضاً مما اختلف فيه أهل العلم، فقال مالك والشافعي وأحمد في الأشهر عنه: لا يُغسَّل ولا يُصلَّى عليه، وقال أبو حنيفة: لا يُغسَّل ويُصلَّى عليه، وهو رواية عن أحمد، واختاره المُزَني من الشافعية، ذكر ذلك المنذري كما في «تهذيب سنن أبي داود» لابن القيِّم ٢/ ٣٤٣، وقد لخَّص ابنُ القيِّم المسألةَ بذكر أدلّة الفريقين، ثم قال: والصوابُ في المسألة: أنه مخيَّر بين الصلاة عليهم وتركها، لمجيء الآثار بكلّ واحدٍ من الأمرين، وهذا إحدى الروايات عن الإمام أحمد، وهي الأليَقُ بأصوله ومذهبه. ثم ذكر أن الحسنَ البصريَّ وسعيدَ بن المسيّب ذهبا إلى أنهم يُغسَّلون ويُصلَّى عليهم، وقال: هذا تردُّه السُّنّةُ المعروفةُ في ترك تغسيلهم، فأصحُّ الأقوال: أنهم لا يُغسَّلون، ويُخيَّر في الصلاة عليهم، وبهذا تتَّفق جميعُ الأحاديث، وبالله التوفيق.

سَبِيلَها»، فأَتته فنَظَرَت إليه، فصَلَّت عليه واستَرجَعَت[1] واستَغفَرَت له، ثمّ أمَرَ به رسولُ الله ﷺ فدُفِنَ[2].

فزَعَمَ لي آلُ عبدِ الله بن جَحْشٍ ـ وكان لأُمَيمةَ بنتِ عبد المطَّلِب، حمزةُ خالُه، وقد كان مُثِلَ به كما مُثِلَ بحمزةَ إلّا أنه لم يُبقَرْ عن كَبِدِه ـ: أنّ رسولَ الله ﷺ دَفَنَه مع حمزةَ في قبرِه، ولم أسمع ذلك إلّا عن أهلِه.

قال ابن إسحاق: وقد احتَمَلَ ناسٌ من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدَفَنوهم بها[3]، ثمّ نَهَى رسولُ الله ﷺ عن ذلك وقال: «ادفِنُوهم حيثُ صُرِّعُوا»[4].

---

(١) صلَّت عليه، أي: دعت له. واسترجَعَت: قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) حديث حسن، وهو عن شيوخ ابن إسحاق الذين روى عنهم قصة أُحد وذكرهم في أول كلامه على الغزوة فيما تقدم ص٢٩، ورواياتهم مُرسَلة، لكن يقوّي بعضها بعضاً.

وأخرجه كذلك ابن الأثير في «أسد الغابة» ٦/ ١٧٣ من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثني الزهريُّ وعاصم بن عمر بن قتادة ومحمد بن يحيى بن حَبّان والحُصين بن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بن معاذٍ وغيرهم من علمائنا، عن يوم أُحد وقتل حمزة، قال: فأقبلت صفية، فذكره.

وروي نحوه عن عُروة بن الزبير عن أبيه الزُّبير موصولاً عند أحمد (١٤١٨) بإسناد حسن، لكن جاء فيه: أن الزبير لمّا أخبرها بعَزْم رسول الله ﷺ وَقَفَت وأعطته ثوبين معها ليكفَّن فيهما حمزةُ؛ والظاهر أنه أَذِنَ لها بعد ذلك في الوقوف على أخيها، والله تعالى أعلم.

(٣) أي: ليدفنوهم بها لما سيأتي في حديث جابر، ولم يدفن أحدٌ قتيله في المدينة.

(٤) حديث صحيح.

فقد روي نحوه بإسناد صحيح عن جابر بن عبد الله: أنّ قتلى أُحد حُمِلوا من مكانهم، فنادى منادي رسول الله ﷺ: «أن رُدُّوا القتلى إلى مَضاجعِها»، وفي لفظ: «ادفنوا القتلى في مَصارعِهم». أخرجه أحمد (١٤١٦٩) و(١٤٣٠٥)، وأبو داود (٣١٦٥)، وابن ماجه (١٥١٦)، والترمذي (١٧١٧)، والنسائي في «المجتبى» (٢٠٠٤) و(٢٠٠٥) وفي «الكبرى» (٢١٤٢) و(٢١٤٣)، =

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّد بن مُسلِم الزُّهْريّ، عن عبد الله بن ثَعلَبة بن صُعَيرٍ العُذْريّ حليفِ بني زُهْرةَ: أنَّ رسول الله ﷺ لمّا أشرَفَ على القتلى يومَ أُحدٍ قال: «أَنا شهيدٌ على هؤُلاءِ، إنَّ ما مِن جَريحٍ يُجرَحُ في الله، إلّا واللهُ يَبعَثُه يومَ القيامةِ يَدْمَى جُرْحُه، اللَّونُ لونُ دمٍ، والرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ، انظُرُوا أكثرَ هؤُلاءِ جَمْعاً للقرآنِ فاجعَلُوه أمامَ أصحابِه في القَبْرِ»، وكانوا يَدفِنُون الاثنينِ والثّلاثةَ في القبر[1].

وحدّثني عمِّي موسى بن يَسارٍ، أنه سمعَ أبا هُرَيرةَ يقول: قال أبو القاسم ﷺ: «ما مِن جَريحٍ يُجرَحُ في الله، إلّا واللهُ يَبعَثُه يومَ القيامةِ وجُرْحُه يَدْمَى، اللَّونُ لونُ دمٍ،

= وابن حبان (٣١٨٣). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١) إسناده صحيح، وعبد الله بن ثعلبة له رؤية، وحديثه يُلحَق بمراسيل الصحابة، لكن تبيّن أنه روى هذا الخبر عن جابر بن عبد الله كما سيأتي فاتَّصل الإسناد.

وأخرجه أحمد (٢٣٦٥٧) و(٢٣٦٥٨) و(٢٣٦٦٢) من طرق عن محمد بن إسحاق، بهذا الإسناد. وبعضهم يزيد فيه على بعض.

وأخرجه مختصراً أحمد أيضاً (٢٣٦٥٩) عن سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة.

ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهريّ عن عبد الله بن ثعلبة عن جابر بن عبد الله، أخرجه من هذا الطريق أحمد (٢٣٦٦١).

ورواه من حديث جابر أيضاً الليثُ بن سعد عن الزهريّ عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر قال: كان النبي ﷺ يَجمَع بين الرَّجلين من قتلى أُحد في ثوب واحد، ثم يقول: «أيُّهم أكثرُ أخذاً للقرآن»، فإذا أُشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللَّحْد، وقال: «أنا شهيدٌ على هؤلاء يوم القيامة»، وأَمر بدفنهم في دمائهم ولم يُغسَّلوا، ولم يُصلّ عليهم.

أخرجه البخاري (١٣٤٣) و(١٣٤٥-١٣٤٧)، وأبو داود (٣١٣٨)، وابن ماجه (١٥١٤)، والترمذي (١٠٣٦)، والنسائي في «المجتبى» (١٩٥٥) و«السنن الكبرى» (٢٠٩٣)، وابن حبان (٣١٩٧).

والرِّيحُ رِيحُ مِسكٍ»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاقُ بن يَسارٍ، عن أشياخٍ من بني سَلِمةَ: أنّ رسولَ الله ﷺ قال يومَئذٍ حين أمَرَ بدفنِ القتلى: «انظُرُوا إلى عَمرِو بنِ الجَمُوحِ وعبدِ الله بنِ عَمرِو بنِ حَرَامٍ فإنَّهما كانا مُتَصافِيَينِ في الدُّنيا، فاجعَلُوهما في قَبْرٍ واحدٍ»[2].

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه الدارمي في «مسنده» (٢٤٥٠)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (١٧٥) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وروي هذا الخبر أيضاً من غير وجهٍ عن أبي هريرة: فعن أبي زُرْعة بن عمرو بن جرير عنه أخرجه أحمد (٧١٥٧) و(٨٩٨١)، والبخاري (٥٥٣٣)، ومسلم (١٨٧٦)(١٠٣).

وعن الأعرج عنه أخرجه أحمد (٧٣٠٢)، والبخاري (٢٨٠٣)، ومسلم (١٨٧٦)(١٠٤-١٠٥)، والنسائي في «المجتبى» (٣١٤٧) و«الكبرى» (٤٣٤٠)، وابن حبان (٤٦٥٢).

وعن أبي صالح ذَكْوان السَّمّان عنه أخرجه أحمد (٩٠٨٧) و(٩١٧٥)، وابن ماجه (٢٧٩٥)، والترمذي (١٦٥٦).

وعن همّام بن منبِّه عنه أخرجه أحمد (٨٢٠٥)، والبخاري (٢٣٧)، ومسلم (١٨٧٦)(١٠٦).

(٢) خبر صحيح، فالأشياخ من بني سَلِمة ـ وهم رهطُ عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو ابن حرام ـ إن كان أحد منهم من الصحابة فقد اتصل الإسناد وصحَّ، وإلا فهو مرسل، وقد جاء ما يشهد له.

وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ٣/ ٣٢٥، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٣٢، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٣٣٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٢٩١ من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ويشهد له ما رواه أحمد (٢٣٦٦٠) من حديث معمر، عن الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن أبي صُعير، عن جابر بن عبد الله قال: دُفن أَبي وعمّي يومئذٍ في قبر واحد. وإسناده صحيح. =

قال ابن إسحاق: ثمّ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ راجعاً إلى المدينة، فلَقِيَته حَمْنَةُ بنتُ جَحْشٍ ـ كما ذُكِرَ لي ـ فلمّا لَقِيَتِ النّاسَ نُعِيَ إليها أخوها عبدُ الله بن جَحْش، فاستَرجَعَت واستَغفَرَت له، ثمّ نُعِيَ لها خالُها حمزةُ بن عبد المُطَّلِب، فاستَرجَعَت واستَغفَرَت له، ثمّ نُعِيَ لها زوجُها مُصعَبُ بن عُمَيرٍ، فصاحت ووَلْوَلَت، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ زَوْجَ المرأَةِ منها لَبِمَكانٍ»[1]، لِمَا رأَى من تَثبُّتِها عند أخيها وخالِها، وصياحِها على زوجِها.

ومَرَّ رسولُ الله ﷺ بدارٍ من دُورِ الأنصار من بني عبد الأشهَلِ وظَفَرٍ، فسَمِعَ البُكاءَ والنَّوائحَ على قَتْلاهم، فذَرَفَت عَيْنا رسولِ الله ﷺ فبَكَى، ثمّ قال: «لكنَّ حمزةَ

= وسمّى جابرٌ عمرَو بنَ الجموح عمَّه تعظيماً له، فإنه كان ابنَ عمِّ أبيه وزوجَ عمَّته هند بنت عمرو ابن حرام كما في «الفتح» لابن حجر ٤/ ٧٢١.

وروي نحوه عند البخاري (١٣٤٨) من الأوزاعي، عن الزهري، عن جابر قال: كُفِّن أَبي وعمّي في نَمِرة واحدة. وهذا منقطع بين الزهري وجابر، وقد عُرفت الواسطة بينهما كما في سابقه. والنَّمِرة: كساء من صوف.

وعند البخاري أيضاً (١٣٥١) من حديث عطاء بن أبي رباح عن جابر قال: ودُفِن معه آخرُ في قبر.

(١) حسن لغيره إن شاء الله، وابن إسحاق روى هذا الخبر عن شيوخه الذين روى عنهم قصة أُحد كما ذكر يونسُ بن بكير في روايته عن ابن إسحاق عند البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٣٠١، وهم ثقات إلا أن رواياتهم مرسلة كما تقدم في أول غزوة أُحد.

لكن يشهد له حديثُ محمد بن عبد الله بن جحشٍ رضي الله عنه عند ابن ماجه (١٥٩٠) والحاكم (٧٠٨١)، بلفظ: «إن للزوج من المرأة لشُعبةً، ما هي لشيءٍ». وإسناده ضعيف.

وما رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٣١٩-٣٢٠ عن معمر، عن الجحشيِّ ـ وهو سعيد بن عبد الرحمن بن جحش ـ مرسلاً، بلفظ: «إن الزوج ليقعُ من المرأة موقعاً لا يقعُه شيءٌ». ومعمرٌ ثقة وشيخه صدوق من صغار التابعين.

لا بَواكِيَ له».

فلمّا رجع سعدُ بن مُعاذٍ وأُسَيدُ بن حُضَيرٍ إلى دار بني عبد الأشهَلِ، أَمَرا نساءَهم أن يَتَحزَّمنَ ثمّ يَذهَبْنَ فيبكِينَ على عمِّ رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: حدّثني حَكِيم بن حَكِيم بن عَبّاد بن حُنَيفٍ، عن بعض رجال بني عبد الأشهَل قال: لمّا سمع رسولُ الله ﷺ بُكاءَهُنَّ على حمزةَ خرج عليهِنَّ وهُنَّ على باب مسجدِه يَبكِينَ عليه، فقال: «ارجِعْنَ يَرحَمُكُنَّ اللهُ، فقد آسَيْتُنَّ[1] بأنفُسِكُنَّ»[2].

قال ابن هشام: ونُهيَ يومَئذٍ عن النَّوح.

(١) آسَيتُن: عزّيتن وعاونتن، وأكثر ما يقال في المعونة.

(٢) هذا الخبر حسن لغيره إن شاء الله، وإسناده هنا فيه إبهام وأغلب الظن أنه مرسل، فحكيم ابن حكيم هذا ـ وهو حسن الحديث ـ من صغار التابعين لم يدرك أحداً من كبار الصحابة.

لكن يشهد له حديث ابن عمر عند أحمد (٥٥٦٣) و(٥٦٦٦)، وابن ماجه (١٥٩١)، والحاكم (٤٩٤٤): أن رسول الله ﷺ لمّا رجع من أُحد سمع نساءَ الأنصار يبكين على أزواجهن، فقال: «لكن حمزة لا بواكي له» فبلغ ذلك نساءَ الأنصار فجِئنَ يبكين على حمزة، فانتبه رسول الله ﷺ من الليل فسمعهنَّ وهنَّ يبكين فقال: «وَيحَهُنَّ لم يَزَلنَ يبكين بعدُ منذ الليلةِ! مُرُوهنّ فليَرجِعنَ، ولا يبكينَ على هالكٍ بعد اليوم». وإسناده حسن، ويروى هذا عن أنس أيضاً كما في «مستدرك الحاكم» (١٤٢٣).

ويشهد له أيضاً حديث عائشة عند إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١١٧٤)، وإسناده فيه ضعف لانقطاعه.

وحديث ابن عباس عند الطبراني في «الكبير» (١٢٠٩٦)، وإسناده فيه ضعف أيضاً.

ومرسل عكرمة عند عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٦٩٤).

ومرسل الشعبي عند سعيد بن منصور في «سننه» (٢٩١١).

ومرسل عطاء بن يسار عند ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ١٥.

قال ابن هشام: وحدّثني أبـو عُبَيدة: أنَّ رسول الله ﷺ لمّا سَمِعَ بُكاءَهنَّ قـال: «رَحِمَ اللهُ الأنصارَ، فإنَّ المُوَاساةَ منهم ما عَلِمتُ لَقَدِيمةٌ، مُرُوهُنَّ فليَنصَرِفْنَ»[١].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الواحد بن أبي عَوْن، عن إسماعيل بن محمّد بن[٢] سعد بن أبي وَقّاصٍ قال: مَرَّ رسولُ الله ﷺ بامرأةٍ من بني دينارٍ وقد أُصيبَ زَوجُها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحدٍ، فلمّا نُعُوا لها قالت: فما فَعَلَ رسولُ الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أمَّ فلانٍ، هو بحمدِ الله كما تُحِبِّين، قالت: أرُونِيهِ حتّى أنظُرَ إليه، فأُشِيرَ لها إليه حتّى إذا رَأَتْه قالت: كلُّ مُصيبةٍ بعدَك جَلَلٌ[٣].

قال ابن هشام: الجَلَلُ من القليل ومن الكثير، وهو هاهُنا من القليل، قال امرُؤُ القيس في الجَلَل القليل:

لِقَتلِ بني أَسَدٍ رَبَّهمْ[٤] ألا كلُّ شيءٍ خَلاهُ جَلَلْ

---

(١) لم نقف له على إسناد متصل، فهو ضعيف. وأبو عبيدة هذا: هو مَعمَر بن المثنَّى المتوفَّى سنة ٢٠٨هـ.

(٢) تحرف لفظ «بن» في طبعة السقا وصاحبيه إلى: عن.

(٣) زاد في (ز) بعد هذا: تريد صغيرة. وكلام ابن هشام التالي في تبيان معنى الجلل لم يرد في نسخة (غ).

والخبر مرسلٌ رجاله ثقات، فإسماعيل بن محمد من صغار التابعين.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٣٢-٥٣٣، وابن المنذر في «تفسيره» (٩٠٧)، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٣٠٢ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

والجَلَل معناه هنا: الهيِّن اليسير.

(٤) لقتلِ، أي: عجبتُ لقتل. وربّهم، أي: سيّدهم ومَلِكهم، ويعني به والدَه حُجْراً، لأنه كان ملكاً على بني أَسد فقتلوه.

وانظر «شرح ديوان امرئ القيس» لأبي سعيد السكّري ص٦٣٢.

قال ابن هشام: وأمّا قولُ الشّاعر، وهو الحارثُ بن وَعْلةَ:

وَلَـئِن عَفَـوتُ لَأعفُـوَنْ جَلَـلاً   ولَئِن سَطَوتُ لَأُوهِنَنْ عَظْمي[١]

فهو من الكثير.

قال ابن إسحاق: فلمّا انتَهى رسولُ الله ﷺ إلى أهلِه، ناوَلَ سيفَه ابنتَه فاطمةَ فقال: «اغسِلِي عن هذا دَمَه يا بُنيَّةُ، فواللهِ لقد صَدَقَني اليومَ»، وناوَلَها عليُّ بن أبي طالبٍ سيفَه فقال: وهذا فاغسِلي عنه دمَه، فواللهِ لقد صَدَقَني اليومَ، فقال رسول الله ﷺ: «لَئِن كنتَ صَدَقتَ القتالَ، لقد صَدَقَ معك سَهْلُ بن حُنَيفٍ وأبو دُجَانةَ»[٢].

---

(١) الجَلَل هنا: العظيم. والسَّطو: الأخذ بعنف. وانظر «الاختيارين» للأخفش ص٣٨٩، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ١/ ١٤٩.

(٢) الشطر الأول في قصة مناولةِ النبيِّ ﷺ سيفَه لفاطمة وأمرِه لها بغسل الدم عنه ضعيف، وقد أسنده ابن إسحاق عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس، كما في رواية يونس بن بكير عنه عند الحاكم (٤٣٥٦) وابن الأثير في «أسد الغابة» ٢/ ٢٩٩، وحسين بن عبد الله ضعيف منكر الحديث.

والشطر الثاني في قصة عليٍّ صحيحٌ قد روي من غير وجهٍ موصولاً ومرسلاً، فقد رواه سفيان ابن عُيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس عند الحاكم (٤٣٥٥) و(٥٨٤٣) و(٥٨٤٤) وغيره، وزاد فيه مع سهلٍ وأبي دُجانةَ عاصمَ بن ثابت بن أبي الأقلح والحارثَ بن الصِّمّة، وفي بعض هذه الروايات: أن عليّاً دخل على فاطمة وهي تغسل الدمَ عن وجه رسول الله ﷺ... ثم ذكر نحوه.

ورجال إسناده ثقات، إلا أنه قد اختُلِف على سفيان في وصله وإرساله كما هو مبيَّن في التعليق عليه في «المستدرك».

وله شاهد من حديث سهل بن حُنيف عند الحاكم (٥٨٤٥)، وإسناده ضعيف.

وله شواهد أخرى مراسيل يتقوّى بها هذا الحديث، انظرها في «مستدرك الحاكم» (٤٣٥٥) طبعة دار الرسالة.

قال ابن هشام: وكان يقال لسيفِ رسول الله ﷺ: ذو الفَقَار[١].

قال ابن هشام: وحدّثني بعضُ أهل العلم: أنّ ابنَ أبي نَجيحٍ قال: نادى مُنادٍ يومَ أُحد:

لا سيفَ إلّا ذو الفَقَارْ ولا فَتَى إلّا عَليّ[٢]

قال ابن هشام: وحدّثني بعضُ أهل العلم: أنّ رسولَ الله ﷺ قال لعليّ بن أبي طالبٍ: «لا يُصِيبُ المشركونَ منَّا مِثلَها حتّى يَفتَحَ اللهُ علينا»[٣].

قال ابن إسحاق: وكان يومُ أُحدٍ يومَ السَّبت للنِّصف من شوّال.

فلمّا كان الغدُ من يومِ الأَحد لستَّ عشرةَ ليلةً مَضَت من شوّالٍ، أذَّنَ مُؤذِّنُ رسول الله ﷺ في الناس بطَلَبِ العدوِّ، فأذَّنَ مؤذِّنُه: أن لا يَخرُجَنَّ معنا أحدٌ إلّا أحدٌ حَضَرَ يومَنا بالأمسِ، فكلَّمَه جابرُ بن عبد الله بن عمرو بن حَرامٍ، فقال: يا رسولَ الله، إنَّ أَبي كان خَلَّفَني على أَخَواتٍ لي سبعٍ وقال: يا بُنيَّ، إنّه لا يَنبَغي لي ولا لك أن نَترُكَ هؤلاءِ النِّسوةَ لا رجلَ فيهنَّ، ولستُ بالّذي أُوثِرُكَ بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي، فتَخَلَّفْ على أَخَواتِك، فتَخلَّفتُ عليهنَّ، فأَذِنَ له رسولُ الله ﷺ فخرج معه، وإنّما خرج رسولُ الله ﷺ مُرهِباً للعدوِّ ولِيَبلُغَهم أنّه خرج في طَلَبِهم ليَظُنُّوا به قوّةً، وأنّ الذي أصابهم لم يُوهِنْهم عن عدوِّهم[٤].

---

(١) وكان هذا السيف قد تنفَّله رسولُ الله ﷺ يوم بدرٍ كما وقع في حديث ابن عباس عند أحمد (٢٤٤٥)، وابن ماجه (٢٨٠٨)، والترمذي (١٥٦١م)، والحاكم (٢٦٢٠)، وإسناده حسن.

وسمِّي ذا الفَقَار لأنه كان فيه حُفَر صغار حِسان، ويقال للحفرة: فُقْرة، وجمعها: فُقَر.

(٢) هذا أثر مُعضَل لا يصحُّ، وانظر «الموضوعات» لابن الجوزي (٧١٥).

(٣) هذا خبر ضعيف لا يصحُّ لم نقف له على إسناد.

(٤) أسند هذا الخبر سلمةُ بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٤٠ =

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن خارجة بن زيد بن ثابتٍ، عن أبي السّائب مولى عائشة بنت عثمانَ: أنّ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من بني عبد الأشهَل كان قد شَهِدَ أُحداً مع رسول الله ﷺ قال: شَهِدتُ أُحداً مع رسول الله ﷺ أنا وأخٌ لي، فرَجَعنا جريحَينِ، فلمّا أذَّنَ مُؤذِّنُ رسول الله ﷺ بالخروج في طَلَبِ العدوِّ، قلت لأخي أو قال لي: أتفُوتُنا غزوةٌ مع رسول الله ﷺ؟! والله ما لنا من دابّةٍ نَركَبُها، وما منّا إلّا جريحٌ ثَقيلٌ، فخَرَجنا مع رسول الله ﷺ، وكنت أيسَرَ جُرحاً منه، فكان إذا غُلِبَ حَمَلتُه عُقْبةً ومَشَى عُقْبةً[1]، حتّى انتَهَينا إلى ما انتَهى إليه المسلمون[2].

قال ابن إسحاق: فخرج رسولُ الله ﷺ حتّى انتَهى إلى حَمْراءِ الأسَد، وهي من المدينة على ثمانية أميال[3].

واستَعمَلَ على المدينة ابنَ أمِّ مَكْتوم، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فأقام بها الاثنينِ والثُّلاثاءَ والأربعاءَ ثمّ رجع إلى المدينة.

وقد مَرَّ به ـ كما حدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ[4] ـ مَعبَدُ بن أبي مَعبَدٍ الخُزاعيّ،

= و«تاريخه» ٢/ ٥٣٤ عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مرسلاً. وحسينٌ ضعيف.

(١) عقبةً، أي: شوطاً.

(٢) إسناده فيه لِينٌ من جهة جهالة أبي السائب، فإنه لم يرو عنه غير عبد الله بن خارجة، ولم يعرفه أحد فيترجم له، وعبد الله بن خارجة روى عنه غيرُ واحدٍ وذكره ابن حبان في «الثقات».

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٣٤-٥٣٥، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧١٣٦)، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٥/ ٣٨١ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٣) في الجنوب الشرقي من المدينة، وحمراء الأسد: جبل ذو تربة حمراء، يبعد عن مركز المدينة قرابة ١٥ كم، إذا خرجت من ذي الحُليفة تقصد مكةَ رأيته جنوباً.

(٤) هو عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاريّ، من صغار التابعين، وهو =

وكانت خُزَاعةُ، مسلمُهم ومشركُهم، عَيْبَةَ نُصحِ رسول الله[1] ﷺ بتِهامةَ، صَفْقُهم معه[2]، لا يُخفُون عنه شيئاً كان بها، ومَعبَدٌ يومَئذٍ مشركٌ، فقال: يا محمّدُ، أمَا والله لقد عَزَّ علينا ما أصابَك في أصحابك، ولوَدِدْنا أنّ الله عافاك فيهم.

ثمّ خرج ورسولُ الله ﷺ بحمراءِ الأسَدِ حتّى لَقِيَ أبا سفيانَ بن حَرْبٍ ومَن معه بالرَّوحاءِ وقد أجمَعُوا الرَّجْعةَ إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، وقالوا: أصَبْنا حَدَّ أصحابِه[3] وقادَتَهم وأشرافَهم، ثمّ نَرجِعُ قبلَ أن نَستأصِلَهم! لنَكُرَّنَّ على بَقيّتِهم فلَنَفرُغَنَّ منهم. فلمّا رأى أبو سفيان مَعبَداً قال: ما وراءَك يا مَعبَدُ؟ قال: محمّدٌ قد

= ثقة حُجّة عالم بالمغازي، وقصة حمراء الأسد هذه من روايته مُرسَلة.

وذُكر نحوها مختصراً جداً في حديث ابن عباس عند النسائي في «السنن الكبرى» (١١٠١٧) قال: لما انصرف المشركون عن أُحد وبلغوا الرَّوحاء، قالوا: لا محمداً قتلتموه، ولا الكواعبَ أردفتم، وبئسَ ما صنعتم، ارجِعُوا. فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فنَدَبَ الناسَ فانتدبوا حتى بلغوا حمراءَ الأسد... فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ [آل عمران:١٧٢]. ورجاله ثقات.

ونحوه عن السُّدّي مرسلاً عند الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٤٨.

وأما خبر عبد الله بن أبي بكر بطوله فهو عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٣٥-٥٣٦ و«تفسيره» ٦/ ٢٤٦-٢٤٨، وابن المنذر في «تفسيره» (١١٩٠)، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٣١٥-٣١٧ من طرق عن ابن إسحاق.

(١) في (ش١) و(ص) و(م) و(ي): عيبة نصحٍ لرسول الله. أي: كانوا موضع سرِّه.

(٢) في (ش١) و(ص) و(م) و(ي): صفقتهم معه.

يريد: كان اتفاقهم معه، يقال: أصفقتُ مع فلان على الأمر، إذا اجتمعتَ معه عليه، وكان الأصل أن يقال: إصفاقهم معه، إلا أنه استعمل المصدر ثلاثياً، ومن رواه ـ كما في نسخة على حاشية (ز) ـ: ضَلْعهم معه، فمعناه: مَيلُهم معه. قاله أبو ذر الخُشَنيّ في «إملائه» ص٢٣٢.

(٣) أي: شدّتهم وعَزْمهم.

خرج في أصحابه يَطلُبُكم في جَمْعٍ لم أَرَ مِثلَه قَطُّ، يَتَحرَّقون[١] عليكم تَحرُّقاً، قد اجتَمَعَ معه مَن كان تَخلَّفَ عنه في يومِكم ونَدِمُوا على ما صَنَعوا، فيهم من الحَنَقِ[٢] عليكم شيءٌ لم أَرَ مِثلَه قَطُّ، قال: وَيلَك ما تقول؟ قال: والله ما أُرَى أن تَرتَحِلَ حتّى تَرَى نَواصِيَ الخيل، قال: فوالله لقد أجمَعْنا الكَرّةَ عليهم لنَستأصِلَ بقيّتَهم، قال: فإنّي أنهاك عن ذلك، قال: وواللهِ لقد حَمَلَني ما رأيتُ على أن قلتُ فيهم أبياتاً من شِعرٍ، قال: وما قلتَ؟ قال: قلتُ:

كادَتْ تُهَدُّ من الأصواتِ راحلتي ... إذْ سالتِ الأرضُ بالجُرْدِ الأبابيلِ[٣]

تَرْدِي بأُسْدٍ كِرامٍ لا تَنابلةٍ ... عندَ اللّقاءِ ولا مِيلٍ مَعازيلِ[٤]

فظَلْتُ عَدْواً أظُنُّ الأرضَ مائلةً ... لمّا سَمَوْا برئيسٍ غيرِ مَخذولِ[٥]

فقلت: وَيلَ ابنِ حَربٍ من لقائكمُ ... إذا تَغَطمَطَتِ البَطحاءُ بالجِيلِ[٦]

إنّي نَذيرٌ لأهلِ البَسْلِ ضاحيةً ... لكلِّ ذي إرْبةٍ منهم ومَعقولِ[٧]

---

(١) أي: يلتهبون من الغيظ.

(٢) الحنق: شدّة الغيظ.

(٣) تُهَدّ، أي: تسقط لهول ما رأت من أصوات الجيش وكثرته. والجُرْد: الخيل العِتاق. والأبابيل: الجماعات.

(٤) تردي: تُسرع. والتنابلة: القِصار. والمِيل: جمع أمْيَل، وهو الذي لا رمح معه أو لا ترس معه، وقيل: هو الذي لا يثبت على السَّرج. والمعازيل: الذين لا سلاح معهم.

(٥) العَدْو: المشي السريع. وسَمَوْا: عَلَوْا وارتفعوا. وأراد بالرئيسِ النبيَّ ﷺ.

(٦) ابن حرب: هو أبو سفيان. وتغطمطت: اهتزّت وارتجّت، ومنه: بحر غُطامِط، إذا عَلَت أمواجه. والبطحاء: السهل من الأرض. والجِيل: الصفُّ من الناس، وفي (ز) و(ش١) و(ي): بالخيل.

(٧) البَسْل: الحرام، وأراد بأهل البَسْل قريشاً، لأنهم أهل مكة، ومكةُ حرام. والضاحية: =

من جيشِ أحمدَ لا وَخْشٍ تَنابلةٍ[1] وليس يوصَفُ ما أنذَرتُ بالقِيلِ

فثَنَى ذلك أبا سفيانَ[2] ومَن معه.

ومَرَّ به رَكْبٌ من عبد القيس فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريدُ المدينةَ؟ قال: ولِمَ؟ قالوا: نريدُ المِيرةَ، قال: فهَل أنتم مُبلِّغون عنّي محمّداً رسالةً أُرسِلُكم بها إليه وأُحمِّلُ لكم هذه غداً زَبيباً بعُكاظٍ إذا وافَيتُموها؟ قالوا: نعم، قال: فإذا وافيتُموه فأَخبِروه أنّا قد أجمَعْنا السَّيرَ إليه وإلى أصحابه لنَستأصِلَ بَقيَّتَهم، فمَرَّ الرَّكْبُ برسول الله ﷺ وهو بحَمراءِ الأسَدِ فأَخبَروه بالّذي قال أبو سفيانَ وأصحابُه، فقال: «حَسْبُنا الله ونِعمَ الوَكِيلُ»[3].

قال ابن هشام: حدَّثنا أبو عُبيدةَ: أنّ أبا سفيانَ بن حَربٍ لمّا انصَرَفَ يومَ أُحدٍ، أرادَ الرّجوعَ إلى المدينة ليَستأصِلوا - زعموا - بقيّةَ أصحابِ رسول الله ﷺ، فقال لهم صفوانُ بن أُميّة بن خَلَفٍ: لا تفعلوا، فإنَّ القومَ قد حَرِبوا[4]، وقد خَشِينا أن يكون لهم قتالٌ غيرُ الّذي كان، فارجِعُوا، فرَجَعوا. فقال النبيُّ ﷺ وهو بحَمراءِ الأسَدِ حين بَلَغَه أنّهم هَمُّوا بالرَّجْعة: «والّذي نفسي بيدِه، لقد سُوِّمَت لهم حِجارةٌ[5]

= البارزة للشمس. والإربة هنا: العَقْل.

(١) في (ت) و(ص) و(م): وخشاً قنابلةً.

والوخش: رُذالة الناس وأخسّاؤهم، والتنابلة: القِصار، ومن رواه قنابلةً: فهو جمع قَنبَلةٍ، وهي القِطْعة من الخيل. والقِيل: هو القول.

(٢) معناه: صرفه وردَّه عمّا أراد.

(٣) سبق تخريجه في أول الخبر.

(٤) أي: قد غضبوا.

(٥) أي: جُعِلت لها علامة يُعرَف بها أنها من عند الله تعالى.

لو صُبِّحُوا بها لكانوا كأَمْسِ الذَّاهبِ»[1].

قال أبو عُبيدة[2]: وأَخذَ رسولُ الله ﷺ في وجهه ذلك قبلَ رجوعِه إلى المدينة، معاويةَ بن المغيرة بن أبي العاصِ بن أُميّة بن عبد شمسٍ ـ وهو جَدُّ عبد الملك بن مروان، أبو أُمِّه عائشةَ بنتِ معاوية ـ وأبا عَزَّةَ الجُمَحيَّ، وكان رسولُ الله ﷺ أسَرَه ببدرٍ ثمّ مَنَّ عليه، فقال: يا رسولَ الله، أَقِلْني[3]، فقال رسول الله ﷺ: «لا والله، لا تَمسَحُ عارِضَيكَ بمكَّةَ تقولُ: خَدَعتُ محمَّداً مرَّتَينِ، اضرِبْ عُنُقَه يا زُبَيرُ»، فضَرَبَ عُنُقَه[4].

قال ابن هشام: وبَلَغَني عن سعيد بن المُسيّب أنّه قال: قال له رسول الله ﷺ: «إنَّ المؤمنَ لا يُلدَغُ من جُحْرٍ مرَّتَينِ، اضرِبْ عُنُقَه يا عاصمَ بنَ ثابتٍ»، فضَرَبَ عُنُقَه[5].

---

(١) ضعيف معضَل لم يسنده أبو عبيدة: وهو مَعمَر بن المثنَّى النحويّ.
وذكره الواقدي في «مغازيه» ١/ ٣٣٩ بلا إسناد.

(٢) قوله: قال أبو عبيدة، في (ش١) و(غ) و(ي) فقط.

(٣) أي: اصفَحْ عني.

(٤) ضعيف لإعضاله، ولم نقف عليه مسنداً إلا عند الواقدي في «مغازيه» ١/ ١١٠-١١١، ومن طريقه البيهقي في «السنن» ٩/ ٦٥ عن محمد بن عبد الله ـ وهو ابن أخي الزهري ـ عن الزهريِّ عن ابن المسيّب مرسلاً دون ذكر الزبير، ووصل به البيهقي مرسل سعيدٍ التالي. ومراسيل سعيد من أقوى المراسيل محتجٌّ بها، لكن الواقديّ متكلَّم فيه.

(٥) أسند هذا الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ١١١ عن إسحاق بن حازم، عن ربيعة بن يزيد، عن الزهري، عن سعيد. والواقدي متكلَّم فيه فالإسناد ضعيف من أجله.

لكن قوله ﷺ: «لا يُلدَغ المؤمن من جُحْر واحد مرَّتين» صحيح متفق عليه عند البخاري (٦١٣٣) ومسلم (٢٩٩٨) من حديث عُقيل بن خالد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، =

قال ابن هشام[1]: ويقال: إنَّ زيدَ بن حارثةَ وعمّارَ بن ياسرٍ قَتَلا معاويةَ بن المغيرةِ بعد حمراءِ الأسد، كان لَجأَ إلى عثمانَ بن عفّانَ فاستأمَنَ له رسولَ الله ﷺ، فأمَّنَه على أنّه إن وُجِدَ بعدَ ثلاثٍ قُتِلَ، فأقامَ بعدَ ثلاثٍ وتَوارَى، فبَعَثَهما النبيُّ ﷺ وقال: «إنَّكما ستَجِدانِه بمَوضِعِ كذا وكذا»، فوَجَداهُ فقَتَلاه.

قال ابن إسحاق: فلمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، وكان عبدُ الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ ـ كما حدّثني ابنُ شِهابٍ الزُّهْريُّ ـ له مَقامٌ يقومُه كلَّ جُمُعةٍ لا يُنكَرُ، شَرَفاً له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفاً، إذا جَلَسَ رسولُ الله ﷺ يومَ الجُمُعة وهو يَخطُبُ النّاسَ، قام فقال: أيُّها الناسُ، هذا رسولُ الله بين أظهُرِكم، أكرَمَكم اللهُ به وأعَزَّكم به، فانصُرُوه وعَزِّرُوه، واسمَعوا له وأَطِيعوا، ثمّ يَجلِسُ، حتّى إذا صَنَعَ يومَ أُحدٍ ما صَنَعَ ورَجَعَ بالنّاس، قام ففعل ذلك كما كان يفعلُه، فأَخذَ المسلمون بثيابه من نَواحِيهِ وقالوا: اجلِسْ أيْ عدوَّ الله، لستَ لذلك بأهلٍ وقد صَنَعتَ ما صَنَعتَ، فخرج يَتخَطَّى رِقابَ النّاس وهو يقول: واللهِ لكأنَّما قلتُ بُجْراً[2] أن قمتُ أُشدِّدُ أمرَه! فلَقِيَه رجلٌ من الأنصار بباب المسجد فقال: ما لك وَيلَك؟ قال: قمتُ أُشدِّدُ أمرَه فوَثَبَ عليَّ رجالٌ من أصحابه يَجبِذُونني ويُعنِّفونني، لكأنَّما قلتُ بُجْراً أن قمتُ أُشدِّدُ أمرَه! قال: وَيلَك ارجِعْ يَستَغفِرْ لك رسولُ الله، قال: والله ما أَبتَغي أن

= عن أبي هريرة. وهو عند مسلم أيضاً من طريق ابن أخي الزهري عن عمّه عن سعيد عن أبي هريرة.

(١) قوله: قال ابن هشام، من (غ).

وهذا الخبر لم نقف عليه عند غيره، وقد علَّقه ولم يسنده، فهو ضعيف.

(٢) بُجْراً، بالضم، أي: أمراً عظيماً، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٣٤: ومن رواه هُجْراً بالهاء مضمومة، فهو الكلام القبيح.

يَستغفِرَ لي[1].

قال ابن إسحاق: وكان يومُ أُحدٍ يومَ بلاءٍ ومصيبةٍ وتمحيصٍ، اختبَرَ اللهُ به المؤمنينَ، ومَحَنَ به المنافقينَ ممّن كان يُظهِرُ الإيمانَ بلسانِه وهو مُستَخفٍ بالكفرِ في قلبِه، ويوماً أكرَمَ اللهُ فيه مَن أراد كرامتَه بالشَّهادة من أهل وِلَايتِه.

ذكرُ ما نزل في أُحدٍ من القرآن

قال ابن إسحاق: فكان ممّا أنزَلَ الله تبارك وتعالى في يوم أُحدٍ من القرآن ستّون آيةً من آل عِمران، فيها صِفةُ ما كان في يومِهم ذلك ومُعاتَبةُ مَن عاتَبَ منهم، يقول الله تبارك وتعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ - قال ابن هشام: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تَتَّخِذُ لهم مقاعدَ ومَنازِلَ، قال الكُمَيتُ بن زيدٍ:

لَيتَني كنتُ قبلَهُ ... قد تَبَوَّأتُ مَضجَعا

وهذا البيت في أبياتٍ له - أي: سميعٌ بما تقولون، عليمٌ بما تُخْفُون.

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ أن تَتَخاذَلا، والطّائفتان: بنو سَلِمةَ من جُشَمَ بن الخَزرَج، وبنو حارثةَ من النَّبِيت من الأَوس، وهما الجَناحانِ، يقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي: المُدافِعُ عنهما ما هَمَّتا به من فَشَلِهما، وذلك أنّه إنّما كان ذلك منهما عن ضَعفٍ ووَهْنٍ أصابهما عن غيرِ شَكٍّ في دينهما، فتَولّى دَفْعَ ذلك عنهما برحمتِه وعائدتِه حتّى سَلِمَتا من وُهونِهما وضَعفِهما ولَحِقَتا بنبيِّهما ﷺ.

قال ابن هشام: حدّثني رجلٌ من الأَسْد من أهل العلم قال: قالت الطّائفتانِ: ما

---

(١) ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٣١٨ من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق. وذكره الواقدي في «المغازي» ١/ ٣١٩ عن مشايخه ولم يسنده.

نُحِبُّ أنّا لم نَهُمَّ بما هَمَمْنا به، لتَولِّي الله إيّانا في ذلك[1].

قال ابن إسحاق: يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ أي: مَن كان به ضَعفٌ من المؤمنين فليتوكَّلْ عليَّ وليَستَعِنْ بي أُعِنْه على أمرِه، وأُدافِعْ عنه حتّى أبلُغَ به وأَدفعَ عنه وأُقوِّيَه على نيّته ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ أي: فاتَّقوني، فإنّه شُكْرُ نِعمَتي ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ وأنتم أقلُّ عَدداً وأضعفُ قوّةً ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ أي: إن تَصبِروا لعدوِّي، وتُطِيعوا أَمري، ويأتُوكم من وَجهِهم هذا، أُمدِدْكم بخمسةِ آلافٍ من الملائكة مُسوِّمين.

قال ابن هشام: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾: مُعلِمين؛ بَلَغَنا عن الحسن بن أبي الحسن[2] أنّه قال: أَعلَمُوا على أذنابِ خيلِهم ونَواصِيها بصوفٍ أبيضَ.

فأمّا ابنُ إسحاق فقال: كانت سِيماهُم يومَ بدرٍ عمائمَ بِيضاً، وقد ذكرتُ ذلك في

(١) أخرج البخاري (٤٠٥١) ومسلم (٢٥٠٥) من حديث جابر بن عبد الله ـ وهو من بني سَلِمة ـ قال: نزلت هذه الآية فينا: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ بني سَلِمةَ وبني حارثة، وما أُحِبُّ أنها لم تَنزِلْ واللهُ يقول: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

وذكر الطبريُّ في «تفسيره» ٦/ ١٥: أنّ همَّهما الذي همَّا به من الفشل، كان الانصرافَ عن رسول الله ﷺ والمؤمنين حين انصرف عنهم عبدُ الله بن أُبيّ ابن سَلُول بمن معه، جُبْناً منهم من غير شكٍّ منهم في الإسلام ولا نفاق، فعَصَمَهم الله عز وجل ممّا همُّوا به من ذلك، ومَضَوا مع رسول الله ﷺ لوجهه الذي مضى له، وتركوا عبد الله بن أُبي ابن سَلُول والمنافقين معه، فأثنى الله عز وجل عليهما بثبوتهما على الحق، وأخبر أنه وليُّهما وناصرُهما على أعدائهما من الكفار.

(٢) هو الحسن البصري، وقد ذكر ذلك عنه أيضاً الطبري في «تفسيره» ٦/ ٣٥، وروى الطبري أيضاً نحوه عن قتادة ومجاهد والضحاك بن مزاحم، وكلها مراسيل.

حديث بدرٍ[1].

والسِّيما: العَلَامة، وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩] أي: عَلامَتُهم، و﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً﴾ [هود:٨٢-٨٣] يقول: مُعلَمةً، بَلَغَنا عن الحسن بن أبي الحسن البَصْريّ أنه قال: عليها عَلَامةٌ أنّها ليست من حِجارة الدّنيا، وأنّها من حِجارة العذاب.

قال رُؤْبةُ بن العَجّاج:

فالآنَ تُبلَى بِي الجِيادُ السُّهَّمُ[2] ولا تُجارِيني إذا ما سَوَّمُوا

وشَخَصَت أبصارُهم وأَجذَمُوا[3]

وهذه الأبياتُ في أُرجوزة له[4].

والمُسوَّمةُ أيضاً: المَرْعيَّة، وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران: ١٤]، و﴿شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل:١٠]، تقول العربُ: سَوَّمَ خيلَه وإبلَه وأَسَامَها، إذا رَعَاها، قال الكُمَيتُ بن زيدٍ:

راعياً كان مُسجِحاً ففَقَدْنا هُ وفَقْدُ المُسِيمِ هُلْكُ السَّوَامِ[5]

---

(١) فيما تقدم ٢/ ٣٤٠.

(٢) الجياد: الخيل العِتاق. والسُّهَّم: العابسة المتغيِّرة من شدة الحرب.

(٣) في (ت) و(م) و(ي): وأجدموا، بالدال المهمَلة، وكلاهما بمعنى: أسرَعوا. وشَخَصَ بصرُه: إذا فتح عينيه وجعل لا يَطرِف.

(٤) انظر «ديوانه» ص١٨٣.

(٥) هذا البيت من القصيدة الأولى من هاشميّات الكميت، انظر «شرح هاشميات الكميت» لأبي رِيَاش القيسي ص٣١، وهو يعني بهذا البيت عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه.

والمُسجِح: الرفيق السهل، والمُسِيم: هو الراعي، والسَّوَام: ما رُعي من المال من الأنعام. =

وهذا البيت في قصيدةٍ له[1].

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ أي: ما سَمَّيتُ لكم مَن سَمَّيتُ من جنود ملائكتي إلّا بُشرَى لكم ولتَطمئِنَّ قلوبُكم به، لمَا أَعرِفُ من ضَعفِكم، وما النَّصرُ إلّا من عندي، لسُلطاني وقُدرَتي، وذلك أنّ العِزَّ والحُكمَ إليَّ لا إلى أحدٍ من خَلْقي.

ثمّ قال: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ أي: ليَقطعَ طَرَفاً من المشركين بقتلٍ يَنتقِمُ به منهم، أو يَرُدَّهم خائبين، أي: ويَرجِعُ مَن بقيَ منهم فَلّاً[2] خائبين، لم يَنالُوا شيئاً ممّا كانوا يأمُلون.

قال ابن هشام: يَكبِتُهم: يَغُمّهم أشدَّ الغَمّ ويَمنَعُهم ما أرادوا، قال ذو الرُّمَّة[3]:

ما أَنسَ من شَجَنٍ لا أَنسَ مَوقِفَنا ... في حَيْرةٍ[4] بين مَسرورٍ ومَكبوتِ

ويَكبِتُهم أيضاً: يَصرَعُهم لوُجوهِهم.

قال ابن إسحاق: ثمّ قال لمحمّدٍ رسولِ الله ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ

= يقول: فقدُ الراعي هلاكُ الإبل السائمة، أي: فتَعِيث فيها السِّباع وتَشرُد، يريد بذلك الإمام ورعيّته.

(١) في نسخة على حاشيتَي (ز) و(غ) غير مصحَّح عليه: قال ابن هشام: مُسجِحاً: سَلِسُ السّياسة مُحسِنٌ إلى الغَنَم. وذكر نحوه أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص٢٣٥.

(٢) الفَلُّ: المنهزمون.

(٣) انظر ملحق «ديوانه» ٣/ ١٨٥٠-١٨٥١ صنعة عبد القدّوس أبو صالح، فقد ذكر أن هذا البيت لم ينسبه إلى ذي الرُّمة غير ابن هشام.

(٤) في (ز): جِيرة، وصحح عليها، وأشار في حاشيتها إلى نسخة فيها: حَيرة. وقيّدها في (ش١) بالوجهين.

والشَّجَن: الحُزن.

عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[1] أي: ليس لك من الحُكْم شيءٌ في عبادي إلّا ما أمَرتُك به فيهم أو أتوبَ عليهم برحمتي، فإن شِئتُ فعلتُ، أو أُعذِّبَهم بذنوبهم فبحَقّي ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ أي: قد استوجَبوا ذلك بمعصيتِهم إيّايَ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ أي: يَغفِرُ الذَّنبَ ويَرحَمُ العِبادَ على ما فيهم.

ثم قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ أي: لا تأكُلوا في الإسلام إذْ هَدَاكم الله به، ما كنتم تأكُلون إذْ أنتم على غيرِه ممّا لا يَحِلُّ لكم في دينِكم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ أي: فأَطِيعوا اللهَ لعلَّكم تَنجُون ممّا حَذَّرَكم الله من عذابه، وتُدرِكون ما رَغَّبَكم اللهُ فيه من ثوابه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ أي: التي جُعِلَت داراً لمن كفر.

ثمّ قال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ مُعاتَبةً للّذين عَصَوا رسولَه ﷺ حين أمَرَهم بما أمَرَهم به في ذلك اليوم وفي غيره.

ثمّ قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ أي: داراً لمن أطاعني وأطاعَ رسولي ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ أي: وذلك هو الإحسانُ وأنا أُحبُّ مَن عَمِلَ به ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ أي: إن أَتَوْا فاحشةً ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بمعصيةٍ ذَكَروا نَهْيَ الله عنها وما حَرَّمَ عليهم فاستَغفَروه لها، وعَرَفوا أنّه لا يَغفِرُ الذُّنوبَ إلّا هو ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ أي: لم يُقِيموا على معصيتي كفِعْل مَن أشرَكَ بي فيما

(١) انظر الكلام على سبب نزول هذه الآية فيما تقدم ص٥٩.

غَلَوْا به في كُفرِهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ما حرَّمتُ عليهم من عبادةِ غيري ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ أي: ثوابُ المُطيعين.

ثمّ استقبَلَ ذِكرَ المصيبة التي نَزَلَت بهم والبلاءَ الّذي أصابَهم، والتَّمحيصَ لمَا كان فيهم، واتِّخاذَه الشُّهداءَ منهم، فقال تَعزيةً لهم وتعريفاً لهم فيما صَنَعوا وفيما هو صانعٌ بهم: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ أي: قد مَضَت منّي وقائعُ نِقْمةٍ في أهل التَّكذيبِ لرُسُلي والشِّركِ بي: عادٌ وثَمُودُ وقومُ لوطٍ وأصحابُ مَدْيَنَ، فرَأَوا مَثُلاتٍ[1] قد مَضَت منّي فيهم ولمَن هو على مثل ما هم عليه من ذلك منّي، فإنّي أمليَتُ لهم، أي: لئلَّا يَظُنّوا أنّ نِقْمتي انقَطَعَت عن عدوِّكم وعدوِّي، للدَّولة التي أدلتُهم بها عليكم لنَبتلِيَكم بذلك لنُعلِمَكم ما عندكم.

ثمّ قال: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ أي: هذا تفسيرٌ للنّاس إن قَبِلوا الهُدَى ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾ أي: نورٌ وأدبٌ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: لمن أطاعني وعَرَفَ أمري ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ أي: لا تَضعُفوا ولا تبتَئِسوا على ما أصابَكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أي: لكم تكون العاقبةُ والظُّهورُ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ أي: إن كنتم صدَّقتُم نبيِّي بما جاءَكم به عنّي ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ أي: جِراحٌ ﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ أي: جِراحٌ مِثلُها ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: نُصرِّفُها بين النّاس للبَلاءِ والتَّمحيص ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ أي: ليُميِّزَ بين المؤمنين والمنافقين، وليُكرِمَ مَن

(١) جمع مَثُلَة: وهي العقوبة.

أكرَمَ من أهل الإيمان بالشَّهادة ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: المنافقين الّذين يُظهِرون بألسنتِهم الطّاعةَ وقلوبُهم مُصِرَّةٌ على المعصية ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: يَختبِرَ الّذين آمَنوا حتّى يُخلِّصَهم بالبلاءِ الّذي نَزَلَ بهم وكيف صَبْرُهم ويَقِينُهم ﴿وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٤١﴾ أي: يُبطِلَ من المنافقين قولَهم بألسنتِهم ما ليس في قلوبهم حتّى يَظهَرَ منهم كُفْرُهم الّذي يَستَتِرُون به.

ثمّ قال: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢﴾ أي: حَسِبتُم أن تَدخُلوا الجنّةَ فتُصِيبوا من ثوابي الكرامةَ ولم أختبِرْكم بالشِّدّة وأبتَلِيكم بالمكاره حتّى أعلمَ أصِدقٌ ذلك منكم الإيمانُ بي، والصّبْرُ على ما أصابكم فيَّ، ولقد كنتم تَمَنَّونَ الشَّهادةَ على الّذي أنتم عليه من الحقِّ قبلَ أن تَلقَوْا عدوَّكم؛ يعني الّذين استَنهَضُوا رسولَ الله ﷺ إلى خروجه بهم إلى عدوّهم لِمَا فاتَهم من حُضُور اليوم الّذي كان قبلَه ببدرٍ ورَغْبةً في الشّهادة التي فاتَتْهم بها به[1]، يقول: ﴿فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝١٤٣﴾ أي: الموتَ بالسُّيوف في أيدي الرِّجال قد خَلَّى بينكم وبينهم وأنتم تَنظُرون إليهم ثمّ صَدَّهم عنكم.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـًٔا وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٣﴾ أي: لقولِ النّاس: قُتِلَ محمّدٌ، وانهزامِهم عند ذلك وانصِرافِهم عن عدوِّهم ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ﴾ رَجَعتُم عن دينكم كفّاراً كما كنتم، وتَرَكتُم جهادَ عدوِّكم وكتابَ الله وما خَلَّفَ نبيُّه ﷺ من دينه معكم وعندكم، وقد بَيَّنَ لكم فيما جاءَكم به عنّي أنه ميّتٌ ومُفارِقُكم ﴿وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ أي: يَرجِعْ عن دينه ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ

(١) بعد هذا في نسخة أشار إليها في (ز): فقال: ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ﴾.

شَيْـًٔا﴾ أي: ليس يَنقُصُ ذلك عِزَّ الله ولا مُلكَه ولا سُلطانَه ولا قُدْرتَه ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: مَن أطاعه وعَمِلَ بأمرِه.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗا﴾ أي: أنّ لمحمّدٍ أَجَلاً هو بالغُه، فإذا أَذِنَ اللهُ في ذلك كان ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٥﴾ أي: مَن كان منكم يريد الدُّنيا، ليست له رَغْبةٌ في الآخرة، نُؤتِه منها ما قُسِمَ له من رِزقٍ ولا يَعْدُوه فيها، وليس له في الآخرة من حظٍّ ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ ما وُعِدَ به مع ما يُجرَى عليه من رِزْقِه في دُنياه، وذلك جزاءُ الشّاكرين، أي: المُتَّقِين.

ثمّ قال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قُتِلَ[1] مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ أي: وكأيِّن من نبيٍّ أصابه القتلُ ومعه رِبِّيُّون كثيرٌ، أي: جماعةٌ، فما وَهَنُوا لفَقْد نبيِّهم، وما ضَعُفوا عن عدوِّهم، وما استَكانوا لِمَا أصابهم في الجهادِ عن الله وعن دينهم، وذلك الصَّبْرُ، والله يحبُّ الصّابرين ﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾.

قال ابن هشام: واحدُ الرِّبِّيِّينَ: رِبِّيٌّ، وقولُهم: الرِّبَابُ، لولدِ عبد مَنَاة بن أُدٍّ بن طابخةَ بن الياسِ ولضَبّةَ، لأنّهم تَجَمَّعوا وتحالَفُوا، مِن هذا، يريدون الجماعاتِ، وواحدةُ الرِّبابِ: رِبّةٌ ورِبَابةٌ، وهي جماعاتُ قِدَاحٍ أو عِصيٍّ ونحوها، فشَبَّهوها بها،

(١) هكذا في نسخنا الخطية، وتفسير ابن إسحاق اللاحق لها يدلُّ أنه كان يقرؤها كذلك، وهي قراءة أهل المدينة وشيخها في القراءة نافع بن أبي نُعيم، وكذلك قرأها ابن كثير المكي وأبو عمرو البصري من السبعة، وقرأ الكوفيّون عاصم وحمزة والكِسائي وكذا الشاميُّ ابنُ عامر: (قاتَلَ معه) بألف. انظر كتاب «السبعة» لابن مجاهد ص٢١٧.

قال أُميّةُ بن أبي الصَّلْت[1]:

حـولَ شَـيطانِهمْ[2] أَبابِيـلُ رِبّيُّـ ـونَ شَـدُّوا سَـنَوَّراً مَدْسُـورا

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

والرِّبابةُ أيضاً: الخِرْقةُ التي تُلَفّ فيها القِدَاح[3].

قال ابن هشام: والسَّنَوَّر: الدُّروع، والدُّسُر: هي المساميرُ التي في الحَلَقِ، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر:١٣]، وقال الشّاعرُ، وهو أبو الأخزَرِ الحِمَّاني من تَميم:

دَسْـراً بـأَطرافِ القَنَـا المُقـوَّمِ[4]

قال ابن إسحاق: أي: فقولوا مِثلَ ما قالوا، واعلَموا أنّما ذلك بذُنوبٍ منكم، واستَغفِروه كما استَغفَروا، وامضُوا على دينكم كما مَضَوا على دينهم ولا تَرتَدُّوا على أعقابكم راجعين، واسألوه كما سألوه أن يُثبِّتَ أقدامَكم، واستَنصِروه كما استَنصَروه على القوم الكافرين، فكلُّ هذا من قولهم قد كان، وقد قُتِلَ نبيُّهم فلم يفعلوا كما فعلتُم ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ بالظُّهور على عدوِّهم ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ

(١) انظر «ديوانه» صنعة عبد الحفيظ السطلي ص٤٠٨.

(٢) في (ي): شياطينهم. وهو خطأ ينكسر به الوزن الشعري.

والأبابيل: جماعة الطير أو الإبل، واحدها إبِّيل، وأراد به جماعة الناس.

(٣) زاد هنا في (ت) ـ وكذا في (ش١) لكن فيها قبل شعر أميّة ـ: وقال أبو ذؤيب الهُذَلي:

وكأنّهـنَّ رِبـابـةٌ وكأنّـهُ يَسَرٌ يُفِيضُ على القِدَاحِ ويَصدَعُ

وهذا البيت في قصيدة له.

وقد تقدم هذا البيت ١/ ٢٩٨ وشرحناه هناك.

(٤) القنا: الرُّمح. ولم نقف على هذا الرَّجز عند غير ابن هشام.

﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ وما وَعَدَ الله فيها ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ أي: عن عدوِّكم فتذهَبَ دُنياكم وآخرَتُكم ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ فإن كان ما تقولون بألسِنَتِكم صِدْقاً في قلوبكم، فاعتَصِموا به ولا تَستَنصِروا بغيرِه، ولا تَرجِعوا على أعقابكم مُرتدِّين عن دينه.

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران:١٥١] أي: الّذي به كنتُ أنصُرُكم عليهم بما أَشرَكوا بي ما لم أجعَلْ لهم من حُجّةٍ، أي: فلا تَظُنُّوا أنّ لهم عاقبةَ نَصْرٍ ولا ظُهورٍ عليكم ما اعتَصَمتُم بي واتَّبعتُم أمري، للمُصيبةِ التي أصابتكم منهم بذُنوبٍ قَدَّمتُموها لأنفُسِكم خالَفتُم بها أمري للمَعصيةِ، وعَصَيتُم فيها نبيِّي ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ أي: لقد وَفَيتُ لكم بما وَعَدتُكم من النَّصر على عدوِّكم إذ تَحُسُّونَهم بالسُّيوفِ، أي: القتلِ بإذني، وتَسْليطي أيديَكم عليهم، وكَفِّي أيديَهم عنكم.

قال ابن هشام: الحَسُّ: الاستئصالُ، تقول: حَسَستُ الشّيءَ، أي: استأصَلْتُه بالسّيف وغيرِه، قال جَريرٌ:

تَحُسُّهمُ السُّيوفُ كما تَسامَى حريقُ النّارِ في الأَجَمِ الحَصيدِ[1]

---

(١) تسامى، أي: ارتفع. والأَجَمُ: جمع أَجَمة، وهو الشجر الملتفّ. والحصيد: المحصود المقطوع.

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له[1].

وقال رُؤْبةُ بن العَجّاج:

إذا شَكَونا سَنَةً حَسُوسا[2]

تأكلُ بعدَ الأخضرِ اليَبِيسا

وهذان البيتان في أُرجوزةٍ له[3].

قال ابن إسحاق: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ﴾ أي: تَخاذَلتُم ﴿وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ أي: اختَلَفتُم في أمري، أي: تَركتُم أمرَ نبيِّكم وما عَهِدَ إليكم؛ يعني الرُّماةَ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ﴾ أي: الفتحَ لا شَكَّ فيه وهَزِيمةَ القوم عن نسائِهم وأموالِهم ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: الّذين أرادوا النَّهبَ في الدّنيا وتَرْكَ ما أُمِروا به من الطّاعة التي عليها ثوابُ الآخرة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ أي: الّذين جاهَدُوا في الله ولم يُخالِفوا إلى ما نُهُوا عنه لعَرَضٍ من الدّنيا، رَغْبةً فيه، رَجاءَ ما عند الله من حُسْن ثوابه في الآخرة، أي: الّذين جاهَدُوا في الدِّين ولم يُخالِفوا إلى ما نُهُوا عنه لعَرَضٍ من الدّنيا، ليَختبِرَكم وذلك ببعض ذُنوبِكم، ولقد عَفَا الله عن عظيمِ ذلك أن لا يُهلِكَكم بما أَتيتُم من معصيةِ نبيِّكم، ولكنِّي عُدْتُ بفَضْلي عليكم، وكذلك مَنَّ اللهُ على المؤمنين أن عاقَبَ ببعضِ الذُّنوب في عاجلِ الدّنيا أدَباً ومَوعِظةً، فإنّه غيرُ مُستأصِلٍ لكلِّ ما فيهم من الحقِّ له عليهم بما أصابوا من معصيتِه، رحمةً لهم وعائدةً عليهم لِمَا فيهم من الإيمان.

(١) يمدح بها الحجّاج بن يوسف الثقفي، انظر «ديوانه» ص٩٥-٩٦.

(٢) الحَسُوس: التي تحرق النَّبت، ويقال: البردُ مَحَسَّةٌ للبَقْل، أي: يحرقه.

(٣) هي أُرجوزة طويلة يمدح بها أبان بن الوليد البَجَلي، أحد أشراف بَجِيلة في العراق، انظر «ديوانه» ص٧٢.

ثمّ أنَّبَهم بالفِرار عن نبيِّهم وهم يُدعَون لا يَعطِفون عليه لدُعائِه إيّاهم فقال: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ أي: كَرْباً بعد كَرْبٍ، بقتلِ مَن قُتِلَ من إخوانِكم وعُلوِّ عدوِّكم عليكم، وما وَقَعَ في أنفُسِكم من قول مَن قال: قُتِلَ نبيُّكم، فكان ذلك ممّا يُتابِعَ عليكم غمّاً بغمٍّ ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من ظُهورِكم على عدوِّكم بعدَ أن رأيتُموه بأعيُنِكم ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من قتل إخوانِكم حتّى فرَّجتُ ذلك الكَرْبَ عنكم ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ وكان الّذي فرَّجَ الله به عنهم ما كانوا فيه من الكَرْبِ والغَمِّ الّذي أصابَهم أنَّ الله عزَّ وجلَّ رَدَّ عنهم كَذْبةَ الشّيطانِ بقتلِ نبيِّهم، فلمّا رَأَوا رسولَ الله ﷺ حيّاً بين أظهُرِهم، هانَ عليهم ما فاتَهم من القوم بعدَ الظُّهورِ عليهم والمُصيبةِ التي أصابَتهم في إخوانِهم، حين صَرَفَ الله القتلَ عن نبيِّهم.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾، فأنزَلَ الله النُّعاسَ أَمَنةً منه على أهلِ اليقينِ به فهم نيامٌ لا يَخافُون، وأهلُ النِّفاقِ قد أهَمَّتهم أنفُسُهم تَخوُّفَ القتلِ، وذلك أنّهم لا يَرجُون عاقبةً، فذَكَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ تَلاوُمَهم وحَسْرتَهم على ما أصابَهم.

ثمّ قال سُبْحانَه لنبيِّه ﷺ: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ لم تَحضُروا هذا المَوطِنَ الّذي أظهَرَ اللهُ فيه منكم ما أظهَرَ من سَرائِرِكم، لأخرَجَ ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾ إلى

مَوطِنٍ غيرِه يُصرَعون فيه حتّى يَبتَليَ به ما في صُدورِهم ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: لا يَخفَى عليه ما في صُدورِهم ممّا استَخفَوْا به منكم.

ثمّ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦)﴾ أي: لا تكونوا كالمنافقينَ الّذين يَنهَوْن إخوانَهم عن الجهادِ في سبيل الله والضَّربِ في الأرض في طاعةِ الله وطاعةِ رسولِه، ويقولون إذا ماتوا أو قُتِلوا: لو أطاعُونا ﴿مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لِقِلّةِ اليقين بربِّهم ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: يُعجِّلُ ما يشاءُ ويُؤخِّرُ ما يشاءُ من ذلك من آجالهم بقُدْرتِه.

ثمّ قال: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: إنَّ الموتَ لكائنٌ لا بُدَّ منه، فموتٌ في سبيلِ الله أو قتلٌ خيرٌ - لو عَلِموا وأيقَنُوا - ممّا يَجمَعون من الدّنيا الّتي لها يَتأَخَّرون عن الجهاد تَخوُّفَ الموتِ والقتلِ لِمَا جَمَعُوا من زَهْرةِ الدّنيا وزَهادةً[1] في الآخرة ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ أيُّ ذلك كان ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨)﴾ أي: أنّ إلى الله المَرجِعَ، فلا تَغُرَّنَّكم الدّنيا ولا تَغتَرُّوا بها، وليكن الجهادُ وما رَغَّبَكم اللهُ فيه من ثوابِه[2] آثَرَ عندكم منها.

ثمّ قال تبارك وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أي: لتَركُوك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ أي: فتَجاوزْ عنهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)﴾ فذكَرَ لنبيِّه ﷺ

---

(١) في (ز) و(غ): زهادة، بإسقاط الواو، ولعلَّ ما أثبتناه من بقية النسخ أصح وأوجه، وهي معطوفة على (تخوّف).

(٢) قوله: «من ثوابه» من (ز) و(غ).

لِينَه لهم وصَبْرَه عليهم، لضَعْفِهم وقِلّةِ صَبْرِهم على الغِلْظةِ لو كانت منه عليهم في كلِّ ما خالَفُوا عنه ممّا افتَرَضَ عليهم من طاعة نبيِّهم ﷺ.

ثمّ قال: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ أي: تَجاوزْ عنهم ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذُنوبَهم مَن قارَفَ[1] من أهل الإيمانِ منهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: لتُرِيَهم أنّك تسمعُ منهم، وتستعينُ بهم، وإن كنتَ غنيّاً عنهم، تألُّفاً لهم بذلك على دينِهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ أي: على أمرٍ جاءَكَ منّي وأمرٍ من دينِك في جهادِ عدوِّك، لا يُصلِحُك ولا يُصلِحُهم إلّا ذلك، فامْضِ على ما أُمِرتَ به على خِلافِ مَن خالَفَك، ومُوافقةِ مَن وافَقَك ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: ارْضَ به من العِباد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ من النّاس ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: لئلّا تترُكَ أَمري للنّاس، وارفُضِ النّاسَ[2] إلى أَمري ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ لا على النّاس ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

ثمّ قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ أي: ما كان لنبيٍّ أن يَكتُمَ النّاسَ ما بعثَه اللهُ به إليهم عن رَهْبةٍ من النّاس ولا رَغْبةٍ، ومن يَفعَلْ ذلك يأتِ به يومَ القيامة ثمّ يُجزَى بكَسْبِه غيرَ مظلومٍ ولا مُتعدًّى عليه ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ على ما أَحبَّ النّاسُ أو سَخِطوا ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لِرضا النّاسِ أو لسَخَطِهم؛ يقول: فمَن كان على طاعتي، فثوابُه الجنّةُ ورِضوانٌ من الله ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ واستَوجَبَ سَخَطَه فكان ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾ أَسَواءٌ المَثَلانِ، فاعرِفُوا ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ لكلٍّ دَرَجاتٌ ممّا عَمِلوا في الجنّة والنّار، أي: إنَّ

(١) يقال: قارف الرجل الذنبَ، إذا دخل فيه ولابَسَه.

(٢) في (م) ونسخة على حاشية (ز): وارفض أمر الناس.

الله لا يَخفَى عليه أهلُ طاعتِه من أهلِ معصيتِه.

ثُمّ قال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ أي: لقد مَنَّ الله عليكم يا أهلَ الإيمان إذ بَعَثَ فيكم رسولاً من أنفُسِكم يَتلُو عليكم آياتِه فيما أحدَثتُم وفيما عَمِلتُم، فيُعلِّمُكم الخيرَ والشّرَّ لتَعرِفوا الخيرَ فتَعمَلوا به، والشّرَّ فتَتَّقُوه، ويُخبِرُكم برِضاهُ عنكم إذا أطَعتُموه فتَستَكثِروا من طاعتِه، وتَجتَنِبوا ما سَخِطَ منكم من معصيتِه لتتخلَّصوا بذلك من نِقْمتِه، وتُدرِكوا بذلك ثوابَه من جَنَّتِه، وإن كنتم ﴿مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: لفي عَمْياءَ من الجاهليّة، أي: لا تعرفون حَسَنةً ولا تَستَغفِرون من سيِّئةٍ، صُمٌّ عن الخير، بُكْمٌ عن الحقّ، عُمْيٌ عن الهُدَى.

ثمّ ذكرَ المصيبةَ الّتي أصابتهم فقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ أي: إن تَكُ قد أصابتكم مصيبةٌ في إخوانِكم بذُنوبِكم، فقد أصبتُم مِثلَيها قبلُ من عدوِّكم في اليوم الّذي كان قبلَه ببدرٍ قتلاً وأَسْراً، ونَسِيتُم معصيتَكم وخِلافَكم عمّا أمَرَكم به نبيُّكم، أنتم أحلَلتُم ذلك بأنفُسِكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: إنّ الله على ما أرادَ بعِبادِه من نِقْمةٍ أو عَفْوٍ قديرٌ.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ أي: ما أصابكم حين التَقَيتُم أنتم وعدوُّكم فبِإذْني، كان ذلك حين فعلتُم ما فعلتُم بعدَ أن جاءَكم نَصْري وصَدَقتُكم وَعْدي، ليُميِّزَ بين المؤمنين والمنافقين ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ منكم، أي: ليُظهِرَ ما فيهم ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾ يعني عبدَ الله بن أُبيٍّ وأصحابَه الّذين رَجَعوا عن رسول الله ﷺ حين سارَ إلى عدوِّه من المشركين بأُحدٍ

وقولَهم: لو نعلمُ أنّكم تُقاتِلون لَسِرْنا معكم، ولدَفَعْنا عنكم، ولكنّا لا نَظُنُّ أنّه يكون قتالٌ، فأظهَرَ منهم ما كانوا يُخْفُون في أنفُسِهم؛ يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: يُظهِرون لك الإيمانَ وليس في قلوبهم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ أي: ما يُخْفُون ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ الّذين أُصيبوا معكم من عَشائرِهم وقومِهم: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ أي: أنّه لا بُدَّ من الموت، فإن استطعتُم أن تَدفعُوه عن أنفُسِكم فافعلوا، وذلك أنَّهم إنّما نافقوا وتَركوا الجهادَ في سبيلِ الله حِرْصاً على البَقاءِ في الدّنيا، وفِراراً من الموت.

ثمّ قال لنبيِّه ﷺ، يُرغِّبُ المؤمنين في الجهادِ ويُهوِّنُ عليهم القتلَ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ أي: لا تَظُنَّنَّ الّذين قُتِلوا في سبيلِ الله أمواتاً، أي: قد أحيَيتُهم فهم عندي يُرزَقون في رَوْحِ الجنّة وفضلِها، مَسرُورين بما آتاهم الله من فضلِه على جِهادِهم عنه ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: ويُسَرُّون بلُحوقِ مَن لَحِقَهم من إخوانِهم على ما مَضَوْا عليه من جهادِهم، ليَشركُوهم فيما هم فيه من ثوابِ الله الّذي أعطاهم، قد أذهَبَ اللهُ عنهم الخوفَ والحَزَنَ. يقول الله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ لِمَا عايَنُوا من وَفاءِ الموعود، وعظيمِ الثّواب.

قال ابن إسحاق: وحدّثني إسماعيلُ بن أُميّة، عن أبي الزُّبَير، عن ابن عبّاسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لمَّا أُصِيبَ إخوانُكم بأُحدٍ، جَعَلَ اللهُ أَرواحَهم في أَجوافِ طَيرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أنهارَ الجنَّةِ وتأكُلُ من ثِمارِها، وتَأْوي إلى قَنادِيلَ من ذَهَبٍ في ظِلِّ العَرْشِ، فلمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَشرَبِهم ومَأكَلِهم وحُسْنَ مَقيلِهم قالوا: يا لَيْتَ إخوانَنا

يَعلَمونَ ما صَنَعَ اللهُ بنا، لئَلَّا يَزهَدُوا في الجهادِ، ولا يَنكُلُوا عندَ[1] الحَرْبِ، فقال اللهُ تعالى: فأَنا أُبلِّغُهم عنكم»، فأنزَلَ اللهُ على رسوله ﷺ هؤلاءِ الآياتِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾[2].

قال ابن إسحاق: حدّثني الحارثُ بن الفُضَيل، عن محمود بن لَبيدٍ الأنصاريّ،

---

(١) في نسخ على حواشي (ز) و(ش١) و(م): عن.

وقوله: «لا ينكُلوا»، أي: لا يرجعوا هائبين لعدوِّهم، خائفين منه.

(٢) حديث صحيح، وهذا إسناد منقطع، فأبو الزبير ـ وهو محمد بن مسلم بن تَدرُس ـ لم يسمع من ابن عباس، لكن تبيَّنت الواسطةُ بينهما في هذا الحديث وهو سعيد بن جُبير كما سيأتي.

ورواه منقطعاً أيضاً عن ابن إسحاق أكثر أصحابه كما هو مبيَّن في «مسند أحمد» (٢٣٨٨)، حيث رواه من طريق إبراهيم بن سعد الزهري عنه.

لكن رواه متصلاً عن ابن إسحاق عبدُ الله بن إدريس ـ وهو ثقة حافظ ـ عند عبد الله بن أحمد في زوائده على «المسند» (٢٣٨٩)، وأبي داود (٢٥٢٠)، والحاكم (٢٤٧٥) عن إسماعيل بن أميّة، عن أبي الزبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ.

وجزم ابنُ كثير في «تفسيره» بأن ذكرَ سعيد بن جبير في إسناده أثبت، وقال: وكذا رواه سفيان الثَّوري، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قلنا: أخرجه هكذا البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٢١٤) من طريق أبي عامر القاسم بن محمد الأسدي عن سفيان الثّوري، وأبو عامر هذا روى عنه أبو كُريب وأبو تُميلة ومِنجاب بن الحارث وغيرهم، ولم يُؤثر فيه جرح ولا تعديل، فمثله يعتبر به في المتابعات والشواهد إن شاء الله.

وأخرجه البيهقي كذلك (٢١٤) من طريق أسامة بن زيد الليثي، عن إسماعيل بن أمية، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. ورجاله لا بأس بهم، لكن الصحيح أنَّ إسماعيل بن أمية يرويه عن أبي الزُّبَير عن ابن جبير عن ابن عباس، وقد يكون سقط من المطبوع! وهذه متابعة قوية تؤيّد صحة ذكر سعيد بن جبير في إسناده كما رجّحه البيهقي، والله تعالى أعلم.

عن ابن عبّاسٍ أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «الشُّهَداءُ على بارقٍ ـ نَهرٍ بباب الجَنَّة ـ في قُبّةٍ خَضْراءَ، يَخرُجُ عليهم رِزقُهم من الجنَّةِ بُكْرةً وعَشِيّاً»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتَّهمُ، عن عبد الله بن مسعودٍ: أنه سُئِلَ عن هؤلاءِ الآياتِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فقال: أمَا إنّا قد سألْنا عنها فقيل لنا: «إنّه لمَّا أُصِيبَ إخوانُكم بأُحدٍ، جَعَلَ اللهُ أَرواحَهم في أَجوافِ طَيرٍ خُضرٍ تَرِدُ أنهارَ الجَنّةِ وتأكُلُ من ثِمارِها، وتَأْوِي إلى قَنادِيلَ من ذَهَبٍ في ظِلِّ العَرْشِ، فيَطَّلِعُ اللهُ إليهم اطِّلاعةً فيقولُ: يا عِبَادي، ما تَشتَهُونَ فأَزِيدَكم؟ قال: فيقولون: رَبَّنا لا فوقَ ما أعطَيتَنا، الجَنّةُ[2] نأكُلُ منها حيثُ شِئْنا، قال: ثمَّ يَطَّلِعُ إليهم اطِّلاعةً فيقولُ: يا عِبادِي، ما تَشتَهُونَ فأَزِيدَكم؟ فيقولون: رَبَّنا لا فوقَ ما أعطَيتَنا، الجَنّةُ نأكُلُ منها حيثُ شِئْنا، قال: ثمَّ يَطّلِعُ إليهم اطِّلاعةً فيقول: يا عِبادِي، ما تَشتَهُونَ فأَزِيدَكم؟ فيقولون: رَبَّنا لا فوقَ ما أعطَيتَنا، الجَنّةُ نأكُلُ منها حيثُ شِئْنا، إلَّا أنَّا نُحِبُّ أن تَرُدَّ أَرواحَنا في أجسادِنا، ثمَّ نُرَدَّ إلى الدُّنيا فنُقاتِلَ فيك، حتّى نُقتَلَ فيك مَرّةً أُخرَى»[3].

---

(١) إسناده جيد كما قال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٦٤.

وأخرجه أحمد (٢٣٩٠)، وابن حبان (٤٦٥٨)، والحاكم (٢٤٣٤) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٢) قال الخشني في «إملائه» ص٢٣٦: يروى هنا بالخفض والرفع، فبخفض الجنّة على البدل من «ما» في قوله: ما أعطيتَنا، ورفعها على خبر مبتدأ مضمَر تقديره: هو الجنة، أو هي الجنة.

(٣) حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الواسطة بين ابن إسحاق وابن مسعود.

لكن أخرجه مسلم (١٨٨٧)، وابن ماجه (٢٨٠١)، والترمذي (٣٠١١) من طريق الأعمش، عن عبد الله بن مُرّة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود. ولم يقيِّده بأرواح شهداء أُحد، إنما أطلقه في أرواح الشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله عامّةً.

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ أصحابنا، عن عبد الله بن محمّد بن عَقِيلٍ قال: سمعت جابرَ بن عبد الله يقول: قال لي رسولُ الله ﷺ: «ألَا أُبشِّرُك يا جابرُ؟» قال: قلت: بَلَى يا نبيَّ الله، قال: «إنَّ أباكَ حيثُ أُصِيبَ بأُحدٍ أَحْياهُ اللهُ ثمَّ قال له: ما تُحِبُّ يا عبدَ الله بنَ عَمرٍو أنْ أفعَلَ بك؟ قال: أيْ رَبِّ، أُحِبُّ أن تَرُدَّني إلى الدُّنيا فأُقاتِلَ فيك، فأُقتَلَ مَرّةً أُخرَى»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عمرو بن عُبيدٍ، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «والَّذي نفسي بيدِه، ما مِن مُؤمِنٍ يُفارِقُ الدُّنيا يُحِبُّ أنْ يَرجِعَ إليها ساعةً من النَّهارِ وإنَّ له الدُّنيا وما فيها إلَّا الشَّهِيدُ، فإنَّه يُحِبُّ أن يُرَدَّ إلى الدُّنيا فيُقاتِلَ في سَبيلِ الله، فيُقتَلَ مَرّةً أُخرَى»[2].

---

(١) حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الواسطة بين ابن إسحاق وعبد الله بن محمد بن عقيل، وابن عقيل هذا حسن الحديث في المتابعات والشواهد، وهذا منها.

وقد رواه عن ابن عقيلٍ محمدُ بن علي بن ربيعة السُّلمي عند أحمد (١٤٨٨١)، وأبو حماد الحنفي عند الحاكم ضمن حديث (٢٥٨٩). وابن ربيعة صدوق لا بأس به، أما أبو حماد ـ وهو مفضَّل بن صدقة ـ فالراجح أنه ضعيف.

وأخرجه ابن ماجه (١٩٠) و(٢٨٠٠)، والترمذي (٣٠١٠)، وابن حبان (٧٠٢٢)، والحاكم (٤٩٧٦) من طريق طلحة بن خِراش، عن جابر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لا يكلِّم أحداً إلّا من وراء حِجاب، وإنه كلَّم أباك كِفاحاً، فقال: تَمنَّ عليَّ» وذكر الحديث، وفي آخره قال جابر: فأنزل الله هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ ...﴾. وإسناده حسن. ومعنى قوله: «كِفاحاً»: مواجهةً ليس بينهما حجاب ولا رسول.

(٢) صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإرساله، فالحسن: هو البصري، وعمرو بن عبيد ليس بثقة.

وقد روي هذا الحديث بنحوه من حديث أنس بن مالك عند أحمد (١٢٠٠٣) و(١٢٢٧٣)، =

قال ابن إسحاق: ثمّ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ أي: الجِراحُ، وهم المؤمنون الّذين ساروا مع رسول الله ﷺ الغدَ من يومِ أُحدٍ إلى حَمْراءِ الأسَد على ما بهم من ألَمِ الجِرَاح: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ والنّاسُ الّذين قالوا لهم ما قالوا، النَّفرُ من عبد القَيس، الّذين قال لهم أبو سفيانَ ما قال، قالوا: إنَّ أبا سفيانَ ومَن معه راجعون إليكم؛ يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ لِمَا صَرَفَ اللهُ عنهم من لقاءِ عدوِّهم.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: لأُولئكَ الرَّهْطِ وما أَلقَى الشّيطانُ على أفواههم ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي: يُرهِبُكم بأوليائه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ أي: المنافقون ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ أي: المنافقين ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أي: فيما يريد أن يَبتلِيَكم به لتَحذَروا ما يَدخُلُ عليكم فيه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يُعلِمُه ذلك ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ أي: تُراجِعوا وتَتُوبوا ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾.

= والبخاري (٢٧٩٥) و(٢٨١٧)، ومسلم (١٨٧٧) وغيرهم من طرق عنه. وزادوا فيه: «لِمَا يرى من فضل الشهادة»، وفي رواية: «لِمَا يرى من الكرامة».

ذكرُ من استُشهِد بأحدٍ من المهاجرين

قال ابن إسحاق: واستُشهِدَ من المسلمين يومَ أُحدٍ مع رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريشٍ[1]، ثمّ من بني هاشمِ بن عبد مَنَافٍ: حمزةُ بن عبد المُطَّلِب بن هاشمٍ رضي الله عنه، قتله وَحْشيٌّ غلامُ جُبَير بن مُطعِم.

ومن بني أُميّة بن عبد شَمسٍ: عبدُ الله بن جَحْشٍ، حليفٌ لهم من بني أسَد بن خُزَيمة.

ومن بني عبد الدّار بن قُصَيٍّ: مُصعَبُ بن عُمَيرٍ، قتله ابنُ قَمِئةَ اللَّيثيّ.

ومن بني مخزومِ بن يَقَظةَ: شَمّاسُ بن عثمان؛ أربعةُ نَفَرٍ.

ومن الأنصار، ثمّ من بني عبد الأشهَلِ: عمرُو بن مُعاذِ بن النُّعمان، والحارثُ بن أنس بن رافع، وعُمَارةُ بن زياد بن السَّكَن.

قال ابن هشام: السَّكَنُ ابنُ رافع بن امرِئِ القيس، ويقال: السَّكْن.

قال ابن إسحاق: وسَلَمةُ بن ثابت بن وَقْشٍ، وعمرُو بن ثابت بن وَقْشٍ - وقد زَعَم لي عاصمُ بن عمر بن قَتَادة: أنّ أباهما ثابتاً قُتِلَ يومَئِذٍ - ورِفاعةُ بن وَقْشٍ، وحُسَيلُ ابن جابرٍ أبو حُذَيفة، وهو اليَمَانُ، أصابه المسلمون في المعركة ولا يَدرُون، فتَصدَّقَ حُذَيفةُ بدِيَتِه على مَن أصابه[2]، وصَيْفيُّ بن قَيْظيٍّ، وحُبَابُ[3] بن قَيْظيٍّ، وعبّادُ بن

---

(١) قوله: من قريش، من (ز) و(غ).

(٢) وقد تقدم خبر مقتله هو وثابت بن وقشٍ ص٧٦-٧٧.

(٣) اضطرب قول ابن عبد البر في حُباب بن قيظي، فذكره في كتابه «الاستيعاب» في موضعين، مرّةً بالحاء: حباب، ومرّةً بالخاء: خبّاب، وذكر ابن ماكولا في «الإكمال» ٢/ ١٤٦ أنه وقع عند ابن إسحاق في رواية المروزي عن ابن أيوب عن إبراهيم بن سعد عنه: جَناب بن قيظي، ثم قال: والمحفوظ بالحاء المهملة.

سَهلٍ، والحارثُ بن أَوس بن معاذٍ؛ اثنا عشرَ رجلاً.

ومن أهل راتِجٍ[1]: إياسُ بن أَوس بن عَتِيك بن عمرو بن عبد الأَعلَم بن زَعُوراءَ ابن جُشَمَ بن عبد الأشهَل، وعُبَيدُ بن التَّيِّهان ـ قال ابن هشام: ويقال: عَتيكُ بن التَّيِّهان ـ وحَبيبُ بن يزيد بن تَيْمٍ؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني ظَفَرٍ: يزيدُ بن حاطبِ بن أُميّة بن رافعٍ؛ رجلٌ.

ومن بني عمرو بن عَوفٍ، ثمّ من بني ضُبَيعة بن زيدٍ: أبو سفيانَ بن الحارث بن قيس بن زيدٍ، وحَنظَلَةُ بن أبي عامر بن صَيْفيّ بن نُعمانَ بن مالك بن أَمَةَ، وهو غَسيلُ الملائكة، قتله شدّادُ بن الأسوَد ابنُ شَعُوبَ اللَّيثيّ؛ رجلانِ.

قال ابن هشام: قيسُ بنُ زيد بن ضُبَيعة، ومالكُ بنُ أَمَة بن ضُبَيعة.

قال ابن إسحاق: ومن بني عُبيد بن زيدٍ: أُنَيسُ بن قَتَادة؛ رجلٌ.

ومن بني ثَعْلبةَ بن عمرو بن عَوفٍ: أبو حَيَّة، وهو أخو سعد بن خَيثَمة لأُمّه.

قال ابن هشام: أبو حَبَّة[2] بنُ عمرو بن ثابت.

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن جُبَير بن النُّعمان، وهو أميرُ الرُّماة؛ رجلانِ.

ومن بني السَّلْم[3] بن امرِئِ القيس بن مالك بن الأَوسِ: خَيثَمةُ أبو سعدِ بن خَيثَمة؛ رجلٌ.

---

(١) راتج: أُطُم (أي: حصنٌ) من آطام اليهود بالمدينة، وتُسمّى الناحية به. قاله ياقوت في «معجم البلدان».

(٢) اختُلف في تقييده كما أشار إلى ذلك ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٧٩٠-٧٩١، فقيل: أبو حيّة، وقيل: أبو حنّة، وقيل: أبو حبّة، وصوّبه بالباء الموحدة.

(٣) هكذا قيّده ابن ناصر الدين الدمشقي في «توضيح المشتبه» ٥/ ١٤٢، وقيّده ابن حجر في «تبصير المنتبه» ٢/ ٦٨٨ بكسر السين.

ومن حُلَفائهم من بني العَجْلانِ: عبدُ الله بن سَلِمةَ[1]؛ رجلٌ.

ومن بني معاوية بن مالكٍ: سُبَيعُ بن حاطِب بن الحارث بن قيس بن هَيْشةَ؛ رجلٌ.

قال ابن هشام: ويقال: سُوَيبِقُ بن الحارث بن حاطب بن هَيْشة.

قال ابن إسحاق: ومن بني النَّجّار، ثمّ من بني سَوَاد بن مالك بن غَنْمٍ: عمرُو بن قيسٍ، وابنُه قيسُ بن عمرٍو.

قال ابن هشام: عمرو بن قيسٍ ابنُ زيد بن سَوَاد.

قال ابن إسحاق: وثابتُ بن عمرو بن زيدٍ، وعامرُ بن مُخلَّدٍ؛ أربعةُ نفرٍ.

ومن بني مَبذُولٍ: أبو هُبَيرة بن الحارث بن عَلقَمة بن عمرو بن ثَقْفِ بن مالك ابن مَبذُولٍ، وعمرُو بن مُطرِّف بن عَلقَمة بن عمرٍو؛ رجلانِ.

ومن بني عمرو بن مالكٍ: أَوسُ بن ثابت بن المُنذِر؛ رجلٌ.

قال ابن هشام: أَوسُ بن ثابتٍ أخو حسّان بن ثابت.

قال ابن إسحاق: ومن بني عَدِيّ بن النَّجّارِ: أنسُ بن النَّضْر بن ضَمضَمِ بن زيد ابن حَرَام بن جُندُب بن عامر بن غَنْم بن عَدِيّ بن النَّجّار؛ رجلٌ.

قال ابن هشام: أنسُ بن النَّضْر، عمُّ أنس بن مالكٍ خادمِ رسول الله ﷺ[2].

ومن بني مازن بن النَّجّارِ: قيسُ بن مُخلَّدٍ، وكَيْسانُ عبدٌ لهم؛ رجلانِ.

ومن بني دِينار بن النَّجّارِ: سُلَيمُ بن الحارث، ونُعْمانُ بن عبدِ عمرٍو؛ رجلانِ.

ومن بني الحارث بن الخَزرَجِ: خارِجةُ بن زيد بن أبي زُهيرٍ، وسعدُ بن الرَّبيع

(١) ذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٤٣٦ أن إبراهيم بن سعد قال فيه عن ابن إسحاق: عبد الله بن سَلِمة بكسر اللام، وقيّده كذلك الدارقطني وابن ماكولا.

(٢) قول ابن هشام هذا من (ز) و(ش١).

ابن عمرو بن أبي زُهيرٍ، دُفِنا في قَبْرٍ واحدٍ، وأَوسُ بن الأَرقَم بن زيد بن قيس بن نُعْمان بن مالك بن ثَعلَبة بن كعب؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني الأَبجَر، وهم بنو خُدْرةَ: مالكُ بن سِنَان بن عُبيد بن ثَعلَبة بن عَبْد[1] ابن الأبجَرِ، وهو أبو أبي سعيدٍ الخُدْريِّ.

قال ابن هشام: اسم أبي سعيدٍ الخُدْريّ سِنانٌ، ويقال: سعدٌ.

قال ابن إسحاق: وسعيدُ بن سُوَيد بن قيس بن عامر بن عبّاد بن الأَبجَر، وعُتْبةُ ابن رَبِيع بن رافع بن معاوية بن عُبيد بن ثَعلَبة بن عبد بن الأبجَر؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني ساعدةَ بن كعب بن الخَزرَجِ: ثَعلَبةُ بن سعد بن مالك بن خالد بن ثَعلَبة ابن حارثةَ بن عمرو بن الخَزرَج بن ساعدةَ، وثَقْفُ بن فَرْوة بن البَدِيء[2]؛ رجلانِ.

ومن بني طَرِيفٍ، رَهْطِ سعدِ بن عُبَادة: عبدُ الله بن عمرو بن وهب بن ثَعلَبة بن وَقْشِ بن ثَعلَبة بن طَريفٍ، وضَمْرةُ حَليفٌ لهم من بني جُهَينة؛ رجلانِ.

ومن بني عَوْف بن الخَزرَج، ثمّ من بني سالمٍ ثمّ من بني مالك بن العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالمٍ: نَوفَلُ بن عبد الله، وعبّاسُ بن عُبَادة بن نَضْلة بن مالك بن العَجْلان، ونُعْمانُ بن مالك بن ثَعلَبة بن فِهْر بن غَنْم بن سالمٍ، والمُجذَّرُ بن ذِيَادٍ

---

(١) هكذا في نسخنا الخطية في هذا الموضع والذي يليه: عبد، بلا ياء، ويقع هذا الاسم في كتب الأنساب والتراجم هكذا وهكذا، وأكثر ما يقع فيها: عُبَيد، بياء مصغَّراً.

(٢) هكذا وقع في نسخنا الخطية غير نسخة (ش١) ففيها: اليَدِيّ، بياء في أوله وأخرى مشدَّدة في آخره، وهو الموافق لما قيّده أبو علي الجيّاني كما تقدم في تقييد اسم أبي أُسيد الساعدي عند ذكر من شهد بدراً من الأنصار ٢/ ٤٢٧، وذكر الدراقطني ثَقفاً هذا في «المؤتلف والمختلف» ١/ ١٨٣ وذكر اسم جدّه البَدَن، بباء ونون، وتبعه ابن ماكولا في «الإكمال» ١/ ٢١٧.

حَليفٌ لهم من بَلِيٍّ، وعُبَادةُ بن الحَسْحاس.

دُفِنَ نعمانُ بن مالكٍ والمُجذَّرُ وعُبادةُ في قَبْرٍ واحدٍ؛ خمسةُ نفرٍ.

ومن بني الحُبلَى: رِفاعةُ بن عمرٍو؛ رجلٌ.

ومن بني سَلِمةَ، ثمّ من بني حَرَامٍ: عبدُ الله بن عمرو بن حَرَام بن ثَعلَبة بن حَرامٍ، وعمرُو بن الجَمُوحِ بن زيد بن حَرامٍ، دُفِنا في قَبْرٍ واحدٍ، وخَلّادُ بن عمرو بن الجَمُوح، وأبو أيمَنَ مولى عمرو بن الجَمُوح؛ أربعةُ نفرٍ.

ومن بني سَوَاد بن غَنْمٍ: سُلَيمُ بن عمرو بن حَدِيدة، ومولاه عَنتَرةُ، وسَهلُ بن قيس بن أَبي كعب بن القَيْن؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني زُرَيقِ بن عامرٍ: ذَكْوانُ بن عبد قيسٍ، وعُبَيدُ بن المُعلَّى بن لَوْذانَ؛ رجلانِ.

قال ابن هشام: عُبَيدُ بن المعلَّى من بني حَبِيب[1].

قال ابن إسحاق: فجميع مَن استُشهِدَ من المسلمين مع رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار خمسةٌ وستّونَ رجلاً.

قال ابن هشام: وممَّن لم يذكر ابنُ إسحاق من السَّبعينَ الشُّهداءِ الّذين ذكرنا: من الأَوسِ، ثمّ من بني معاوية بن مالكٍ: مالكُ ابن نُمَيلةَ[2]، حَليفٌ لهم من مُزَينةَ.

---

(١) يعني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج، وحبيبٌ وزُريقٌ جدُّ زريق بن عامرٍ أَخوان، ورهطُ عُبيدٍ ـ وهم بنو مالك بن زيد مناة بن حبيب ـ حلفاءُ بني زُريق كما في «أسد الغابة» لابن الأثير ٣/ ٤٤٤.

(٢) ونُميلةُ أُمّه كما ذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٦٥٩، واسم أبيه ثابتٌ، وقال: لم يذكره ابن إسحاق في رواية ابن هشام، وذكره إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق.

ومن بني خَطْمَةَ ـ واسم خَطْمة عبدُ الله بن جُشَم بن مالك بن الأَوس ـ: الحارثُ ابن عَدِيّ بن خَرَشة بن أُميّة بن عامر بن خَطْمة.

ومن الخَزرَج، ثمّ من بني سَوَاد بن مالكٍ: مالكُ بن إياس.

ومن بني عمرو بن مالك بن النَّجّارِ: إياسُ بن عَدِيّ.

ومن بني سالم بن عَوفٍ: عمرُو بن إياس.

تسمية مَن قُتِل من المشركين يومَ أحدٍ

قال ابن إسحاق: وقُتِلَ من المشركين يومَ أُحدٍ من قريشٍ، ثمّ من بني عبد الدّار ابن قُصَيٍّ من أصحاب اللِّواءِ: طلحةُ بن أبي طلحةَ، واسم أبي طلحةَ عبدُ الله بن عبد العُزّى بن عثمانَ بن عبد الدّارِ، قتله عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، وأبو سعد بن أبي طلحة، قتله سعدُ بن أبي وَقّاص.

قال ابن هشام: ويقال: قتله عليُّ بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وعثمانُ بن أبي طلحة، قتله حمزةُ بن عبد المُطَّلِب، ومُسافِعُ ابن طلحة، والجُلَاسُ بن طلحة، قتلهما عاصمُ بن ثابت بن أبي الأَقلَح، وكِلَابُ بن طلحة والحارثُ بن طلحة، قتلهما قُزْمانُ حَليفٌ لبني ظَفَرٍ.

قال ابن هشام: ويقال: قتل كِلاباً عبدُ الرَّحمن بن عوف.

قال ابن إسحاق: وأَرْطاةُ بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار، قتله حمزةُ بن عبد المُطَّلِب، وأبو يزيدَ بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار، قتله قُزْمانُ، وصُؤَابٌ غلامٌ لهم[1] حَبَشيٌّ، قتله قُزْمانُ.

قال ابن هشام: ويقال: قتله عليُّ بن أبي طالبٍ، ويقال: سعدُ بن أبي وَقّاصٍ،

(١) في (ت) و(ص) و(م): له.

ويقال: أبو دُجَانةَ.

قال ابن إسحاق: والقاسِطُ بن شُرَيح بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار، قتله قُزْمانُ؛ أحدَ عشرَ رجلاً.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصيٍّ: عبدُ الله بن حُمَيد بن زهير بن الحارث ابن أسَد، قتله عليُّ بن أبي طالب؛ رجلٌ.

ومن بني زُهْرةَ بن كِلابٍ: أبو الحَكَم بن الأَخنَس بن شَرِيق بن عمرو بن وهبٍ الثَّقَفيّ، حَليفٌ لهم، قتله عليُّ بن أبي طالبٍ، وسِبَاعُ بن عبد العُزّى ـ واسم عبد العُزّى عمرُو بن نَضْلة بن غُبْشانَ بن سُلَيم بن مِلْكان بن أَفصَى ـ حليفٌ لهم من خُزَاعة، قتله حمزةُ بن عبد المطَّلب؛ رجلانِ.

ومن بني مَخزُوم بن يَقَظةَ: هشامُ بن أبي أُميّة بن المغيرة، قتله قُزْمانُ، والوليدُ ابن العاصِ بن هشام بن المغيرة، قتله قُزْمانُ، وأبو أُميّة بن أبي حُذَيفة بن المغيرة، قتله عليُّ بن أبي طالبٍ، وخالدُ بن الأَعلَمِ حليفٌ لهم، قتله قُزْمان؛ أربعةُ نفرٍ.

ومن بني جُمَحَ بن عمرٍو: عمرُو بن عبد الله بن عُمَير بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح، وهو أبو عَزّةَ، قتله رسولُ الله ﷺ صَبْراً، وأُبيُّ بن خَلَف بن وهب بن حُذَافة ابن جُمَح، قتله رسولُ الله ﷺ بيدِه؛ رجلانِ.

ومن بني عامر بن لُؤَيٍّ: عُبَيدةُ بن جابرٍ، وشَيْبةُ بن مالك بن المُضرِّب، قتلهما قُزْمانُ؛ رجلانِ.

قال ابن هشام: ويقال: قتل عُبيدةَ بن جابرٍ عبدُ الله بن مسعود.

قال ابن إسحاق: فجميع مَن قَتَلَ اللهُ تبارك وتعالى يومَ أُحدٍ من المشركين اثنانِ وعشرونَ رجلاً.

ذكرُ ما قيل من الشعر يومَ أحدٍ

قال ابن إسحاق: وكان ممّا قيلَ من الشِّعر في يومِ أُحدٍ، قولُ هُبَيرة بن أبي وهب ابن عمرو بن عائذ بن عبد بن عِمرانَ بن مخزومٍ ـ قال ابن هشام: عائذٌ ابنُ عِمرانَ بن مخزومٍ ـ:

مـا بـالُ هَـمٍّ عَميدٍ بـاتَ يَطرُقُنـي	بـالوُدِّ مـن هِنـدَ إذ تَعـدُو عَوادِيهـا[1]
باتَـتْ تُعـاتِبُني هِنـدٌ وتَعـذُلُني	والحربُ قد شُغِلَت عنّي مَوَالِيها
مَهْـلاً فـلا تَعـذُلِيني إنَّ مـن خُلُقـي	ما قد عَلِمتِ وما إنْ لستُ أُخفِيها
مُساعِفٌ لبنـي كعـبٍ بمـا كَلِفُـوا	حَمّـالُ عِـبْءٍ وأثقـالٍ أُعانِيهـا[2]
وقد حَمَلتُ سِلاحي فوقَ مُشتَرِفٍ	سـاطٍ سَبُوحٍ إذا يَجْـري يُبارِيهـا[3]
كأنّـه إذ جَـرَى عَيْـرٌ بفَدْفَـدةٍ	مُكَـدَّمٌ لاحِـقٌ بـالعُونِ يَحمِيهـا[4]
مـن آلِ أعـوَجَ يَرتـاحُ النَّـدِيُّ لـهُ	كجِذْعِ شَـعْراءَ مُسـتَعْلٍ مَرَاقِيهـا[5]

---

(١) العميد: المؤلم المُوجِع. ويطرقني، أي: ينزل بي ليلاً. والعوادي: الشواغل.

(٢) مساعف: مطيعٌ. وبما كَلِفوا: بما أُولِعوا به وأحبّوه. والعِبء: الحمل الثقيل، فاستعاره هنا لما يُكلَّفونه به من الأمور الشاقّة العِظام.

(٣) مشترف، روي بكسر الراء وفتحها، قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٣٧: من رواه بفتح الراء، فإنه يعني فرساً يستشرفه الناسُ، أي: ينظرون إليه لحُسْنه، ومن رواه بكسر الراء، فمعناه: على مُشرِف. والساطي: البعيد الخطو إذا مشى. والسَّبُوح: الذي يسبح في جَرْيه كأنه يَعُوم. ويباريها، أي: يعارضها، وأعاد الهاءَ على الخيل وإن لم يتقدّم لها ذِكرٌ، لأن الكلام يدلّ عليها.

(٤) العَير: الحمار الوحشي. والفَدفَدة: الفَلَاة. ومكدَّم: معضوض، عضَّته أُتُنه (إي: إناثه). ولاحقٌ: ضامر. والعُون: جماعات حُمُر الوحش، والقطيع منها: عانَةٌ.

(٥) قوله: من آل أعوج، أي: منسوب إلى أعوج، وهو فحلٌ كريم تُنسَب الخيل الكِرام إليه =

أعدَدتُـه ورُقَـاقَ الحَـدِّ مُنـتَخَلاً ... ومارِنـاً لخُطـوبٍ قـد أُلاقِيهـا[1]

هـذا وبَيضـاءَ مِثـلَ النِّهْي مُحكَمَـةً ... لُطَّـتْ علـيَّ فمـا تَبـدُو مَسـاوِيها[2]

سُـقْنا كِنانـةَ مـن أطـرافِ ذي يَمَـنٍ ... عُرْضَ البلادِ على ما كان يُزجِيها[3]

قالـت كِنانـةُ: أنَّـى تَـذْهبون بنـا؟ ... قلنـا: النَّخيـلَ فأُمُّوهـا ومَـن فيهـا[4]

نحنُ الفَوارسُ يومَ الجَرِّ من أُحدٍ ... هابَـتْ مَعَـدٌّ فقلنـا: نحـنُ نَأتِيهـا[5]

هابُوا ضِـراباً وطَعنـاً صـادقاً خَـذِماً ... ممّـا يَـرَونَ وقـد ضُـمَّت قَواصِـيها[6]

ثُمَّـتَ رُحْنـا كأنّـا عـارضٌ بَـرِدٌ ... وقـامَ هـامُ بنـي النَّجّـارِ يَبكِيهـا[7]

= كما في «لسان العرب» (عوج). ويرتاح: يستبشر ويهتزّ فرحاً به. والنديُّ: المجلس من القوم. والجِذْع: الفرع. وشَعْراء هنا: نخلة كثيرة الأغصان، قاله أبو ذر الخشنيُّ، ووقع هنا على حاشيتَي (ز) و(غ) حاشية منسوبة لابن عبد الرّحيم ـ وهو راوي السيرة عن ابن هشام ـ أنه قال: إنما هي شَعْواء، يريد طويلةً ممتدّةً لا تُنال، وهي الصَّعبة، كما يقال: غارةٌ شعواءُ. اهـ، ومَراقِيها: مَعالِيها.

(١) رُقاق الحدّ: يعني سيفاً. ومنتخلاً، أي: متخيَّراً. والمارن: هو الرمح الليِّن عند الهزّ. والخطوب: حوادث الدهر.

(٢) بيضاء: يعني دِرعاً. والنِّهي، بفتح النون وكسرها: الغدير من الماء. وقوله: لُطَّت، وفي (ز): لُظَّت، بالظاء، وكلاهما بمعنًى، أي: أُلزمَت وأُلصقَت، وفي (غ): نِيطَت، ومعناه: عُلِّقَت. ومساويها: عيوبُها.

(٣) عرض البلاد: سَعَتُها. ويزجيها: يسوقها.

(٤) يريد بالنَّخيل: مدينة النبي ﷺ، لكثرة ما فيها من النخيل. وأُمّوها: اقصدوها، وقُيِّدت في (ش١) بفتح الهمزة بمعنى: قَصَدوها.

(٥) الجرّ: أصل الجبل. ومعدٌّ: هو ابن عدنان، أبو العرب من ولد إسماعيل عليه السلام.

(٦) الخَذِم: الذي يقطع اللحم سريعاً. وقواصيها: ما تفرَّق منها وبَعُد.

(٧) العارض: السحاب، والبَرِد: الذي فيه بَرَدٌ. والهامُ هنا: جمع هامَةٍ، وهي الطائر الذي =

كـأنَّ هـامَهمُ عنـد الـوَغَى فِلَـقٌ ... مـن قَيضِ رُبْدٍ نَفَتْهُ عـن أَداحِيهـا[1]

أو حَنظَلٌ ذَعذَعَتْه الرِّيحُ في غُصُنٍ ... بـالٍ تَعـاوَرَه منهـا سَـوافِيها[2]

قد نَبذُلُ المالَ سَحّاً لا حِسابَ لهُ ... ونَطعُـنُ الخيـلَ شَـزْراً في مَآقِيهـا[3]

وليلـةٍ يَصطَلي بـالفَرْثِ جازِرُهـا ... يَختَصُّ بـالنَّقَرى المُثْرِينَ داعِيهـا[4]

وليلـةٍ مـن جُمـادَى ذاتِ أَنديَـةٍ ... جَرْبـا جُماديَّـةٍ قـد بِـتُّ أَسْـرِيها[5]

= كانت تَزعُم العرب أنه يخرج من رأس القتيل الذي لا يُدرَك بثأره فيقول: اسقوني، فإذا أُدرك بثأره طار.

(١) الهامُ هنا: جمع هامَةٍ، وهي الرأس. والوغى: الحرب. والفِلَق: جمع فِلْقة، وهي القطعة من الشيء. والقيض: قِشْر البيض الأعلى. والرُّبد هنا: النَّعام، لأن ألوانها بين البياض والسواد، وهو اللون الأربد. والأَداحيّ، بتشديد الياء وخُفف لضرورة الشعر: جمع أُدحيٍّ، وهو الموضع الذي تبيض فيه النَّعام.

(٢) الحنظل: النَّبت المعروف. وذعذعته: حرّكته. وتعاوَرَه، أي: تتداوله. والسوافي: الرياح التي تقلع التراب والرمل من الأرض.

(٣) سحّاً: صبّاً؛ يريد أنه عطاء كثير. والشَّزْر: الطعن عن يمين وشمال. والمآقي: مجاري الدموع من العين، والمآقي أيضاً: مقدَّمات العيون، وكلا المعنيين يستقيم به الكلام.

(٤) يصطلي بالفرث: يستدفئ به من شدة البرد، والفَرْث: ما يخرج من الكَرِش. والنَّقَرى: أن يدعو قوماً دون قومٍ، فإذا عمَّ قيل: هو يدعو الجَفَلى. والمُثْرين: الأغنياء؛ يريد: يختصّ الأغنياءَ طلباً لمكافأتهم، وليأكلَ عندهم، يصفُ شدّة الزمان.

(٥) جُمادَى: الشهر المعروف، وهما جُمادَيانِ. والأندية: قد يكون جمع نَدًى على غير قياس، والقياس أن يُجمع على أنداءٍ، والنَّدَى: بَلَل الماء، وقد يكون جمع نَدِيٍّ، والنَّدِيّ: هو المجلس، ويكون معناه ـ كما قال عبد القادر البغدادي في «شرح شواهد الشافية» ص٢٧٨ ـ: في ليلة من ليالي الشتاء ذات مجالس يجلس فيها الأشراف والأغنياء لإطعام الفقراء، فإنهم كانوا إذا اشتدّ الزمانُ وفَشَا القحطُ وذلك يكون عند العرب في الشتاء، يجلسون في مجالسهم ويلعبون =

لا يَنبحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... مِن القَريسِ ولا تَسري أَفاعيها[1]

أَوقَدتُ فيها لذي الضَّرّاءِ جاحِمةً ... كالبَرقِ ذاكيةَ الأركانِ أَحمِيها[2]

أورَثَني ذاكمُ عَمرٌو ووالدُه ... من قَبلِه كان بالمَثْنَى يُغالِيها[3]

كانوا يُبارُون أَنواءَ النّجومِ فما ... دَنَّتْ عن السُّورةِ العُلْيا مَساعِيها[4]

فأجابَه حسّانُ بن ثابتٍ فقال[5]:

سُقتُمْ كِنانةَ جَهلاً من سَفاهَتِكم ... إلى الرّسولِ فجُندُ اللهِ مُخزِيها

أورَدتُموها حِياضَ الموتِ ضاحيةً ... فالنّارُ مَوعِدُها، والقتلُ لاقِيها[6]

جَمَّعتُموها أَحابيشاً بلا حَسَبٍ ... أئمّةَ الكُفرِ غَرَّتكُم طَواغِيها[7]

= بالمَيسِر وينحرون الجُزُر ويُفرّقون لحومها على الفقراء. وانظر «الروض الأنف» للسهيليّ ٦/ ١٣٣-١٣٤.

وجَرْبا، أي: شديدة البرد مؤلمة، أو قَحِطة لا مطر فيها، وجاء على حاشية (ز) ما نصُّه: قَصَره للضرورة، والجَرْباء: السماء، وُصِفَت بذلك للنجوم التي تظهر فيها، فإذا لم تظهر النجوم فيها قيل لها: مَلْساء، لكنه جعلها هنا صفةً للّيلة، لأن النجوم إنما تظهر فيها.

وأَسريها: من السُّرَى، وهو السير في الليل.

(١) القريس: البرد مع الصقيع. والأفاعي: جمع أفعى.

(٢) لذي الضرّاء: يعني لذي الحاجة والفقر. وجاحمة: نار ملتهبة. وذاكية: مضيئة.

(٣) بالمثنى: يريد مرّةً بعد مرّة. وعمرٌو المذكور هو جدُّ هبيرة بن أبي وهب: وهو عمرو بن عائذ بن مخزوم.

(٤) يبارون: يعارضون. وأنواء النجوم: منازلها. ودنَّت: قَصُرَت. والسُّورة: الرِّفعة والمنزلة. والمساعي: ما يُسعَى فيه من المكارم.

(٥) انظر «ديوانه» ١/ ١٦٦.

(٦) الحياض: جمع حوض، وحِياض الموت كناية عن الحرب. وضاحيةً: بارزة للشمس.

(٧) الأحابيش: الجماعات من الناس ليسوا من قبيلة واحدة، مفرده: أُحبوشة. والحَسَب: =

أَلّا اعتبَـرتُم بخيـلِ اللهِ إذ قَتَلَـت   أهـلَ القَلِيـبِ ومَـن أَلقَينَـهُ فيهـا[1]

كـم مـن أَسـيرٍ فَكَكْنـاه بـلا ثَمَـنٍ   وجَـزِّ ناصـيـةٍ كُنّـا مَوَاليهـا[2]

قال ابن هشام: أنشَدَنِيها أبو زيدٍ الأنصاريّ لكعب بن مالك.

قال ابن هشام: وبيتُ هُبَيرة بن أبي وهبٍ الّذي يقول فيه:

وليلـةٍ يَصطَلي بـالفَرْثِ جازِرُهـا   يَختَصُّ بـالنَّقَرَى المُثرِينَ داعيهـا

يُروَى لجَنُوبَ أُختِ عمرٍو ذي الكَلْب الهُذَليِّ في أبياتٍ لها في غير يوم أُحد[3].

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن مالكٍ يُجِيبُ هُبَيرةَ بن أبي وهبٍ[4]:

أَلَا هـل أَتـى غسّـانَ عنّـا ودُونَهـمْ   مـن الأرضِ خَـرْقٌ سَـيرُه مُتَنعنِـعُ[5]

صَـحَارٍ وأعـلامٌ كـأنَّ قَتَامَهـا   مـن البُعـدِ نَقْـعٌ هامـدٌ مُتقطِّـعُ[6]

= الشَّرف. والطواغي: جمع طاغيةٍ، وهو المتكبِّر المتمرِّد.

(١) خيل الله: عنى بهم المسلمين. وأهل القَلِيب: عنى بهم من قُتل ببدر من المشركين.

(٢) جزّ ناصية، أي: قصّها، والناصية: شعر مقدَّم الرأس، قال الأزهريّ في «تهذيب اللغة» ١٠/ ٤٤: العرب كانوا إذا أسروا أسيراً خيَّروه بين التخلية وجزِّ الناصية أو الأسر، فإن اختار جزَّ الناصية جزُّوها وخلُّوا سبيله، ثم جعلوا ذلك الشعر في كنانتهم، فإذا افتخروا أخرجوه وأَرَوه مفاخرَهم. ومواليها: أهل النعمة عليها.

(٣) ذكر لها هذه الأبيات أبو الفضل بن طيفور في «بلاغات النساء» ص١٨٥-١٨٦، وهي في رثاء أخيها عمرو.

(٤) انظر «ديوان كعب بن مالك» صنعة مجيد طراد ص٥٨.

(٥) غسان: يريد قومه من الأوس والخزرج، فإنهما يرجعان في نسبهما إلى غسان من اليمن. والخَرْق، أي: الأرض الواسعة التي تَخرِق فيها الريح، أي: تمرُّ فيها ذهاباً وإياباً. والمتنعنع: المضطرِب، ويروى: متتعتع، بالتاء، أي: متردِّد.

(٦) الأعلام هنا: الجبال المرتفعة، والقَتَام منها: ما مال لونه إلى السواد. والنَّقع: الغبار. =

تَظَـلُّ بـه البُـزْلُ العَـراميسُ رُزَّحـاً ... ويَحلُـو[١] بـه غَيـثُ السِّنينَ فيُمـرِعُ

بـه جِيَـفُ الحَسْـرَى يَلُـوحُ صَـلِيبُها ... كمـا لاحَ كَتّـانُ التِّجـارِ المُوضَّـعُ[٢]

بـه العِـينُ والآرامُ يَمشِـينَ خِلْفَـةً ... وبَـيضُ نَعـامٍ قَيضُـه يتقلَّـعُ[٣]

مُجالِـدُنا عـن دينِنـا كـلُّ فَخمَـةٍ ... مُدرَّبَـةٍ فيهـا القَـوانِسُ تَلمَـعُ[٤]

وكـلُّ صَـمُوتٍ في الصِّـوَانِ كأنّهـا ... إذا لُبِسَـت نِهْـيٌ مـن المـاءِ مُتْـرَعُ[٥]

ولكـنْ ببـدرٍ سـائِلُوا مَـن لَقِيـتمُ ... مـن النّـاسِ والأنبـاءُ بالغيـبِ تَنفَـعُ

= والهامد: المتلبِّد الساكن.

(١) هكذا في (ش١) و(ص) و(غ) بالحاء، وفي (ت) و(ي): يخلو، بالخاء، وقيّدها في (ز) بالوجهين. والبُزْل: هي الإبل القويّة، واحدها: بازل. والعراميس: الشديدة. والرُّزّح: المُعيِيَة. ويُمرع، أي: يُخصِب ويكثر فيه النبات.

(٢) الحَسْرى: الإبل المهزولة التي أجهدها السير. والصليب: الوَدَك، وهو دسم اللحم وشحمه. والتِّجار: المتاجرون. والموضَّع: المبسوط المنقوش. شبَّه شحم الإبل بالأقمشة المزخرفة.

(٣) العِين: بقر الوحش الواسعة الأعيُن، واحدها: عَيْناء. والآرام: الظِّباء البِيض البطون السُّمر الظُّهور، واحدها: رِئم، وتُسهَّل الهمزة. وخِلفةً، أي: يمشين قطعةً خلفَ قطعة. والقيضُ: قشر البيض الأعلى. ويتقلّع (بالفاء والقاف): يتشقق ويتكسّر.

(٤) مُجالِدنا، أي: من يقاتلنا ويدافعنا. والفخمة: الكتيبة العظيمة. والمدرَّبة بالدال كما في (ز) و(غ)، يعني أنهم دَربوا بالقتال، ويروى: مذرَّبة، بالذال كما في (ت) و(ص) و(م) و(ي)، أي: محدَّدة، والذَّرِب: الحادُّ، وقيِّد في (ش١) بالوجهين. والقوانس: جمع قَونَس، وهي حديدة طويلة في أعلى خُوذَة الحديد التي يلبسها المحارب على رأسه.

(٥) الصَّموت: الدرع أُحكم نسجها وتقارب حلقُها فلا يسمع لها صوت. والصِّوان: كل ما يصان فيه الشيء، درعاً كان أو ثوباً أو غيرهما. والنِّهي، بفتح النون وكسرها: الغدير. والمُتْرع: المملوء.

وإنّا بأرضِ الخوفِ لو كان أهلُها ... سِوَانا لقد أَجلَوْا بلَيلٍ فأقشَعُوا[1]

إذا جاءَ منّا راكبٌ كان قولُهُ ... أعِدُّوا لمَا يُزْجي ابنُ حَرْبٍ ويَجمَعُ[2]

فمَهْما يُهِمُّ الناسَ ممّا يَكيدُنا ... فنحنُ له من سائرِ الناسِ أوسَعُ

فلو غيرُنا كانت جميعاً تَكِيدُه الـ ... ـبَرِيّةُ قد أَعطَوْا يداً وتَورَّعُوا[3]

نُجالِدُ لا تَبقَى علينا قبيلةٌ ... من الناسِ إلّا أن يَهابُوا ويُفظَعُوا[4]

ولمّا ابتَنَوا بالعِرْضِ قال سَرَاتُنا ... عَلامَ إذا لم نَمنَعِ العِرضَ نَزرَعُ[5]

وفينا رسولُ الله نَتبَعُ أمرَه ... إذا قال فينا القولَ لا نَتَظلَّعُ[6]

تَدَلّى عليه الرُّوحُ من عند ربِّهِ ... يُنزَّلُ من جَوِّ السماءِ ويُرفَعُ[7]

نُشاوِرُه فيما نريدُ وقَصْرُنا ... إذا ما اشتَهَى أنّا نُطِيعُ ونَسمَعُ[8]

وقال رسولُ الله لمّا بَدَوْا لنا: ... ذَرُوا عنكمُ هَوْلَ المَنِيّاتِ واطمَعُوا

وكونوا كمَن يَشْري الحياةَ تَقرُّباً ... إلى مَلِكٍ يُحيَا لديهِ ويُرجَعُ[9]

---

(١) أَجلوا: رحلوا. وأقشعوا، أي: فرُّوا وزالوا.

(٢) يزجي: يسوق إلى الحرب.

(٣) تورَّعوا، أي: ذلُّوا، وفي (ش١) و(غ) و(ي): توزّعوا، بالزاي، أي: تقسَّموا.

(٤) يُفظَعوا، أي: يفزعوا من هول ما يرون.

(٥) ابتنَوا، أي: ضربوا أبنيتهم. والعِرض: هو وادي المدينة، الذي فيه زروعهم وقُراهم. والسَّراة: أخيار القوم.

(٦) لا نتظلّع، أي: لا نتكاسل عن أمره ولا نتوانى فيه، وفي (ت) و(ي): لا نتطلع، بالطاء، أي: لا ننظر إليه إجلالاً وهيبةً له.

(٧) الروح: يريد جبريل عليه السلام. والجوّ: ما بين السماء والأرض.

(٨) قصرُنا، أي: غايتنا.

(٩) يشري الحياة: يبيعها.

ولكــنْ خُــذُوا أســيافَكم وتَوكَّلــوا   علــى الله إنَّ الأمــرَ لله أجمَــعُ
فسِــرْنا إلــيهمْ جَهْــرةً في رِحــالِهِمْ   ضُــحَيّاً علينــا البَـيْضُ لا نَتخَشَّــعُ(١)
بمَلمُومــةٍ فيهــا السَّــنَوَّرُ والقَنــا   إذا ضــربوا أقــدامَها لا تَــوَرَّعُ(٢)
فجِئْنـا إلـى مَـوجٍ مـن البحـرِ وَسْطَهُ   أحــابيشُ مــنهمْ حاســرٌ ومُقنَّــعُ(٣)
ثلاثــةُ آلافٍ ونحــنُ نَصِــيَّةٌ   ثــلاثُ مِئِــينٍ إن كَثُرْنــا وأربــعُ(٤)
نُغــاوِرُهم تَجــري المنيَّــةُ بيننــا   نُشــارِعُهم حــوضَ المَنَايــا ونَشــرَعُ(٥)
تَهــادَى قِسِــيُّ النَّبــعِ فينــا وفــيهمُ   ومــا هــو إلّا اليَثرِبــيُّ المُقطَّــعُ(٦)

---

(١) رحال: جمع رَحْل، وهو المنزل. وضُحيّاً: تصغير الضُّحى، وهو أول النهار. وجهرةً، أي: معاينة ومقابلة. والبَيض، هكذا قُيّد في (ز) و(ش١) و(م) بفتح الباء، فهو على هذا جمع بَيضة، وهي الخُوذة من حديدٍ يضعها المحارب على رأسه، ويمكن أن تقال بكسر الباء وتكون حينها جمع أبيض، وهو السيف. وقوله: لا نتخشّع، أي: لا نخضع ولا نذلّ.

(٢) الململومة: الكتيبة المجتمعة. والسَّنَوَّر: السلاح. والقنا: الرِّماح. ولا توَرَّع: لا تكفّ، ويروى: لا تَوزّع، بالزاي، أي: لا تتفرق.

(٣) الحاسر: الذي لا درع عليه ولا مِغفَر. والمقنَّع: الذي لبس المغفرَ على رأسه، وهو القِناع.

(٤) النصيّة: الخيار والأشراف من القوم.

وفي هذا البيت يذكر كعبٌ عدّة قريش وحلفائهم في ذلك اليوم، وهم ثلاثة آلاف، وعدّة المسلمين، وهم سبع مئة.

(٥) نغاورهم، أي: نبادلهم الغارةَ، يعني الكرَّ في الحرب، وقُيّدت في (ز) و(ش١) بغين وعين معاً، ومعناه بالعين: نناوبهم، يقال: تعاوَرَ القومُ، إذا تناوبوا. ونشارعهم، أي: نُشاربهم، ونشرع: نشرب.

(٦) تَهادى، أي: تتهادى، يعني: تتبادل الهدايا، وأراد هنا الضربات بالأسهم بينهم. والنَّبع: شجر تُصنَع منه القِسِيّ لشدّته ولِينه. واليَثربي: الأوتار، نُسِبت إلى يثرب، وهي المدينة.

ومَنْجُوفــــةٌ حِرْميَّـــــةٌ صــــاعديَّةٌ   يُــذَرُّ عليهــا السَّــمُّ ســاعةَ تُصــنَعُ[1]
تَصُــوبُ بأبــدانِ الرِّجــالِ وتــارةً   تَمُــرُّ بــأعراضِ البِصَــارِ تَقَعقَــعُ[2]
وخيــلٌ تَراهــا بالفَضــاءِ كأنّهــا   جَــرَادُ صَــباً في قَــرّةٍ يَتَريَّــعُ[3]
فلمّــا تَلاقَينــا ودارَت بنــا الرَّحَــى   ولــيس لأمــرٍ حَمَّــهُ اللهُ مَــدفَعُ[4]
ضَــرَبناهمُ حتّــى تَركْنــا سَــرَاتَهمْ   كــأنَّهمُ بالقــاعِ خُشْــبٌ مُصــرَّعُ[5]
لَــدُنْ غُــدْوةٍ حتّــى استَفَقْنا عَشــيَّةً   كــأنَّ ذَكَانــا حَــرُّ نــارٍ تَلَفَّــعُ[6]
وراحُــوا سِــراعاً مُــوجَعِينَ كــأنَّهمُ   جَهَــامٌ هَرَاقَــت مــاءَه الــرِّيحُ مُقلِــعُ[7]
ورُحْنــا وأُخرانــا بِطــاءٌ كأنّنــا   أُســودٌ علــى لحــمٍ ببِيشــةَ ضُــلَّعُ[8]

---

(١) المنجوفة: السِّهام المقشورة المنحوتة. والحِرْمية: نسبة إلى أهل الحَرَم، يقال: رجل حِرْميّ، إذا كان من أهله. والصاعدية: منسوبة إلى صانع اسمه صاعد.

(٢) تَصُوب: تصيب وتقع. والأعراض: الجوانب. والبِصار: جمع بَصِيرة، وهي الدرع أو الترس. وتَقعقَع، أي: تصوِّت، يقول: تشقّ هذه السهام أبدان الرجال حتى تبلغ البِصَار فتقعقعُ فيها.

(٣) الصَّبا: الريح الشرقيّة. والقَرّة: البَرْد. ويتريّع، أي: يجيء ويذهب.

(٤) الرحى: حجر عظيم يُطحَن به، واستُعيرت للحرب، لأنها تطحن الرجال وتهلكهم. وحمَّه الله: قدَّره.

(٥) سراتهم: خيارهم. والقاع: المنخفض من الأرض. ومصرَّع، أي: مطروحة ملقاة.

(٦) قوله: لدن غدوة، تقدم الكلام عليه ص٥٢. وذكانا، أي: التهابنا في الحرب. وتلفَّعُ: يشتمل حرُّها على من دنا منها.

(٧) قوله: موجَعين، من الوجع، ووقع في نسخة (غ) ـ وكذا هو عند أبي ذر الخشنيّ كما في «إملائه» ص٢٤٣ ـ: موجفين، أي: مسرعين. والجَهَام: السحاب الرقيق الذي ليس فيه ماء. ومقلع، أي: منقشع زائل.

(٨) بِطاء: جمع بطيء. وبيشةُ: وادٍ عظيم جنوب غرب الجزيرة، كان موطناً للأسود. =

فنِلْنــا ونــالَ القــومُ منّــا ورُبّمــا ... فَعَلْنـا ولكــنْ مـا لَـدَى اللهِ أوسَــعُ

ودارَت رَحَانــا واســتَدارَت رَحــاهُمُ ... وقـد جَعَلـوا كـلٌّ مـن الشَّـرِّ يَشـبَعُ

ونحــنُ أُنــاسٌ لا نَــرَى القتـلَ سُـبّةً ... على كـلِّ مَن يَحْمي الـذِّمارَ ويَمنَـعُ[1]

جِـلادٌ علـى رَيْـبِ الحـوادثِ لا تَـرَى ... علـى هالـكٍ عَينـاً لنـا الـدَّهرَ تَـدمَعُ[2]

بنـو الحَـربِ لا نَعْيـا بشــيءٍ نَقولُـه ... ولا نحنُ ممّا جَرَّتِ الحربُ نَجزَعُ[3]

بنـو الحـربِ إن نَظفَـرْ فلَسْنا بفُحَّشٍ ... ولا نحــنُ مــن أظفارِهــا نَتوجَّــعُ[4]

وكنّــا شِــهاباً يَتّقــي النــاسُ حَــرَّهُ ... ويَفــرُجُ عنــه مَــن يَليــهِ ويَســفَعُ[5]

فَخَرْتَ عليَّ ابنَ الزِّبَعرَى وقد سَرَى ... لكـم طَلَـبٌ مـن آخـرِ اللّيـلِ مُتبِـعُ[6]

فسَــلْ عنـك في عُلْيـا مَعَـدٍّ وغيرِهـا ... من الناسِ مَن أخـزَى مَقاماً وأشنَعُ[7]

= وضُلَّع: جمع ضالع، وفي (غ): ظُلّع، جمع ظالع، وكلاهما بمعنًى، وهو المشي بميلٍ أو اعوجاج، وكذلك هو مشي الأسود إذا شبعت من فريستها.

(١) الذِّمار: ما يجب على الرجل أن يحميه من عِرض ومال وغيرهما.

(٢) جِلاد: جمع جَلِيد، وهو الصبور. وريب الحوادث: ما يَريبك من تغيُّر الأحوال، أي: ما تكرهه من ذلك.

(٣) بنو الحرب، أي: أبطالها وفرسانها. ونجزع: نخاف.

(٤) أظفار الحرب: كناية عن ويلاتها ومآسيها.

(٥) الشهاب: القطعة من النار. ويسفع: يُحرِق ويغيِّر.

(٦) ابن الزِّبعرى: اسمه عبد الله من بني سَهْم، وكان من أشعر قريش، وله أشعار في يوم أُحد ستأتي لاحقاً، ثم أسلم يوم الفتح وحَسُن إسلامه. وقوله: سرى لكم طلبٌ، أي: سار وراءكم ليلاً جماعةٌ يطلبونكم، يريد المسلمين عندما استنفرهم النبيُّ ﷺ بعد يوم أُحد وسار بهم يلحق المشركين حتى نزل حمراء الأسد كما تقدّم ذكره في الكتاب.

(٧) عُليا معدٍّ: أشرافها، ويعني بهم قريشاً.

ومَن هو لم تَتْرُكْ له الحربُ مَفخَراً ... ومَن خَدُّه يومَ الكَريهةِ أضرَعُ[1]

شَدَدْنا بحَولِ اللهِ والنّصرِ شَدّةً ... عليكمْ وأطرافُ الأسِنّةِ شُرَّعُ[2]

نَكُرُّ القَنَا فيكمْ كأنّ فُروغَها[3] ... عَزَالَى مَزَادٍ ماؤُها يَتَهَزَّعُ

عَمَدْنا إلى أهلِ اللِّواءِ ومَن يَطِرْ ... بذِكْرِ اللّواءِ فهْوَ في الحَمدِ أسرَعُ[4]

فحانُوا وقد أعطَوْا يداً وتَخاذَلوا ... أَبَى اللهُ إلّا أمرَه وهْوَ أصنَعُ[5]

قال ابن هشام: وكان كعبُ بن مالكٍ قد قال:

مُجالِدُنا عن جِذْمِنا كلُّ فَخْمةٍ[6]

فقال رسولُ الله ﷺ: «أيَصلُحُ أن تقولَ: مُجالِدُنا عن دِينِنا؟» فقال كعبٌ: نَعَم، فقال رسولُ الله ﷺ: «فهو أحسَنُ»، فقال كعبٌ: مُجالِدُنا عن ديننا[7].

---

(١) أضرع: ذليل.

(٢) الأسنّة: الرماح. وشُرَّع هنا معناه: مائلة للطَّعن، يقال: أشرعتُ الرمح قِبَله، إذا أَمَلته إليه.

(٣) تصحفت في نسخنا الخطية إلى: فروعها، بالعَين، والفروغ ـ بالغَين ـ مفردها: فَرْغاء، والطعنة الفرغاء: الواسعة التي يسيل دمها، وهي المرادة هنا. والعَزالَى: جمع عَزْلاء، وهي فم قِربة الماء. ويتهزّع: يتقطّع، ويروى: يتهرّع، بالراء كما في (ش١)، أي: يتفرغ ويسرع سيلانُه.

(٤) عمدنا إلى أهل اللواء، أي: قصدنا إلى حَمَلته فقتلناهم واحداً تلو الآخر، وكانوا جميعاً من بني عبد الدار.

(٥) فحانوا، أي: هلكوا. وقوله: وقد أعطوا يداً، أي: انقادوا لهلاكهم. وتخاذلوا، أي: لم يستطيعوا حماية لوائهم من السقوط.

(٦) الجِذم: الأصل.

(٧) حديث حسن، فقد روي نحوه من طريقين عن يحيى بن سعيد الأنصاري، أن عبد الله بن أُنيس حدّثه عن أمِّه، وهي ابنة كعب بن مالك: أن رسول الله ﷺ خرج على كعب بن مالك في =

قال ابن إسحاق: وقال عبدُ الله بن الزِّبَعرَى في يوم أُحدٍ[1]:

يا غُرابَ البَيْنِ أسْمَعتَ فقُلْ ... إنّما تَنطِقُ شيئاً قد فُعِلْ[2]

إنَّ للخيرِ وللشّرِّ مَدًى ... وكِلا ذلك وجهٌ وقَبَلْ[3]

والعَطِيّاتُ خِسَاسٌ بينَهمْ ... وسَواءٌ قَبْرُ مُثْرٍ ومُقِلْ[4]

= مجلس في مسجد رسول الله ﷺ وهو يُنشِد، فلمّا رأى مكانه تقبَّض، فقال رسول الله ﷺ: «ما كنتم عليه؟» فقال كعب: كنت أُنشد، فقال رسول الله ﷺ: «فأَنشِد»، فأنشد حتى مرَّ بقوله: تقاتلُنا عن جِذْمنا كلُّ فخمة، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقل: تقاتلنا عن جِذْمنا، ولكن قل: تقاتلُنا عن ديننا»، أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٣٩١)، والطبري في مسند عمر من «تهذيب الآثار» ٢/ ٦٦٢-٦٦٣، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٩٨٤) و(٨٠٩٢)، وهذا إسناد ليّن من جهة جهالة عبد الله بن أُنيس هذا، فإنه لم يُذكر عنه راو سوى يحيى بن سعيد كما في «التاريخ الكبير» للبخاري ٥/ ٤٥ و«الثقات» لابن حبان ٧/ ٩، وعدّه ابن حبان من أتباع التابعين، وأخطأ محمود شاكر رحمه الله في تعليقه على «تهذيب الآثار»، فذهب إلى أنه عبد الله ابن أُنيس الجهني ثم الأنصاري الصحابي!

والخبر بنحوه عند الطبراني في «الكبير» ١٩/ (١٩٢) عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه كعب. وإسناده حسن في المتابعات والشواهد، وحسّنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ١٢٤.

(١) انظر «شعر عبد الله بن الزبعرى» صنعة يحيى الجبوري ص٤٠ وما بعدها.

(٢) قوله: غراب البَيْن، فالبَينُ: هو الذهاب والفِراق، وإنما لزم الغرابَ هذا الاسمُ لأنه إذا بان أهلُ الدار عنها، وقع في موضع بيوتهم يلتمس ويتقمّم، فتشاءَموا به وتطيَّروا منه، إذ كان لا يعتري منازلهم إلا إذا بانوا، فلذلك سمَّوه غرابَ البين. انظر «الحيوان» للجاحظ ٢/ ٤١٨.

(٣) المدى: الغاية. والقَبَل، أي: المواجهة والمقابلة، يريد أن كلّ ذلك مُلاقِيه الإنسان في مُستقبَل أيامه.

(٤) خِساس، أي: حقيرة، قاله أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٤٤، وقال ابن فارس في كتابه «مقاييس اللغة» ٢/ ١٥١: قول العرب: تَخاسَّ القومُ الأمرَ، إذا تداوَلوه وتسابَقوه أيُّهم يأخذه، =

كـــلُّ عَـــيشٍ ونَعــيمٍ زائـــلٌ ... وبنـــاتُ الـــدَّهرِ يَلعَـــبنَ بكُـــلْ[١]

أَبلِغَـــنْ حسّـــانَ عنّـــي آيـــةً ... فقَرِيضُ الشِّعرِ يَشْفي ذا الغُلَلْ[٢]

كـم تَـرَى بـالجَرِّ مـن جُمجُمـةٍ ... وأكُـــفٍّ قـــد أُتِـــرَّت ورِجِـــلْ[٣]

وسَـــرَابيلَ حِســـانٍ سُـــرِّيَت ... عـن كُمَـاةٍ أُهلِكـوا في المُنتَـزَلْ[٤]

كـــم قَتَلْنـــا مـــن كَـــريمٍ سـيِّدٍ ... ماجِـدِ الجَـدَّينِ مِقْـدامٍ بَطَـــلْ[٥]

صـــادقِ النَّجْـــدةِ قَـــرْمٍ بـــارعٍ ... غيرِ مُلْتاثٍ لَدَى وَقْـعِ الأَسَـلْ[٦]

فسَـــلِ المِهْـــراسَ مَـــن ســاكِنُهُ ... بـين أَقحـافٍ وهـامٍ كالحَجَـلْ[٧]

لَيـتَ أشـياخي ببـدرٍ شَـهِدُوا ... جَزَعَ الخَزرَجِ من وَقْـعِ الأَسَـلْ

= ويقال: هذه الأمور خِساسٌ بينهم، أي: دُوَل؛ ثمّ استشهد بشعر ابن الزبعرى هذا.

وانظر تعليق محمود شاكر على «طبقات فحول الشعراء» لابن سلّام ١/ ٢٣٧.

والمُثري: الغنيّ. والمُقلّ: الفقير.

(١) بنات الدهر: يعني به حوادث الدهر.

(٢) الآية هنا: العَلامة. والغُلَل: جمع غُلّة، وهي حرارة العطش.

(٣) الجرّ: أصل الجبل، يريد به جبل أُحد. وأُترّت: قُطِعت. والرِّجِل، أي: الأرجُل، وكسر الجيم إتباعاً لكسرة الراء.

(٤) السّرابيل هنا: الدروع. وسُرِّيت، أي: جُرِّدت. والكُماة: الشجعان. والمُنتزَل: موضع الحرب.

(٥) ماجد الجدَّين، أي: شريف النسب.

(٦) النَّجدة: القوة والشجاعة. وقَرْم: فَحْل كريم. والبارع: المبرِّز على غيره. والمُلتات: الضعيف. والأَسَل: الرماح.

(٧) المهراس: هو موضع ماءٍ بسفح جبل أُحد. والأقحاف: جمع قِحْف، وهو العظم الذي يكون فوق الدِّماغ من الجمجمة. والهامُ: جمع هامَةٍ، وهي الرأس. والحَجَل: طائر في حجم الحَمَام.

حـين حَكَّـتْ بقُبـاءٍ بَرْكَهـا ... واستَحَرَّ القتلُ في عبدِ الأَشَلْ[1]

ثـمَّ خَفُّـوا عنـد ذاكُـمْ رُقَّصـاً ... رَقَصَ الحَفّانِ يَعلُو في الجَبَلْ[2]

فقَتَلْنا الضِّعفَ من أشرافِهِمْ ... وعَدَلْنا مَيلَ بدرٍ فاعتَدَلْ

لا أَلومُ النَّفسَ إلّا أنّنا ... لو كَرَرْنا لَفَعَلْنا المُفتَعَلْ

بسُيوفِ الهِندِ تَعلُو هامَهمْ ... عَلَلاً تَعلُوهمُ بعدَ نَهَلْ[3]

فأجابَه حسّانُ بن ثابتٍ فقال[4]:

ذَهَبَت بابنِ الزِّبَعرَى وقعةٌ ... كان منّا الفضلُ فيها لو عَدَلْ

ولقد نِلْتُم ونِلْنا منكمُ ... وكذاكَ الحربُ أحياناً دُوَلْ

نَضَعُ الأسيافَ[5] في أكتافِكمْ ... حيثُ نَهوِي عَلَلاً بعدَ نَهَلْ

نُخرِجُ الأصبَحَ[6] من أستاهِكمْ ... كسُلَاحِ النِّيبِ يأكُلنَ العَصَلْ

---

(١) البَرْك: الصَّدر، وحكّت بَرْكَها، يريد: اشتدّت الحرب وحميَت، وهذا من المَجاز. واستحرَّ: اشتدَّ وكَثُر. وبنو عبد الأشل: يريد بني عبد الأشهل من الأَوس، فحذف الهاء لإقامة الوزن الشِّعري.

(٢) الرَّقَص: مشي سريع. والحَفّان: صغار النَّعام.

(٣) النَّهَل: الشرب الأول، والعَلَل: الشرب الثاني، يريد الضرب فيهم مرةً بعد أخرى.

(٤) انظر «ديوانه» ١/ ٦٧.

(٥) لأبي ذر الخشني في «إملائه» ص٢٤٤: نضع الخَطِّيَّ، وكذلك في «الديوان»، والخَطِّي: الرِّماح، نسبة إلى الخطّ، وهو موضع تقدَّم التعريف به ٢/ ٤٨١. ونهوي، أي: نهوي بهذه السيوف على أكتافهم مرةً بعد أخرى.

(٦) في (ش١): الأَضيَح، وفي نسخة على حاشية (ز): الأَضياح، جمع ضَيْح، وهو اللبن المخلوط بالماء، وذكر السهيليُّ في «الروض» ٦/ ١٤٠ أنها رواية أبي حنيفة الدِّينَوريّ اللُّغوي، ثم قال: وهو في معنى الأَصبَح، لأن الصُّبحة بياضٌ غير خالص، فجعله وصفاً للّبن الممذوق =

إذ تُوَلُّونَ على أعقابِكمْ هُرَّباً في الشِّعبِ أشباهَ الرَّسَلْ[1]

إذ شَدَدْنا شَدَّةً صادقةً فأَجَأْناكمْ إلى سَفْحِ الجَبَلْ[2]

بخَناطِيلَ كأَمْذاقِ[3] المَلَا مَن يُلاقُوهُ من النّاسِ يُهَلْ

ضاقَ عنّا الشِّعبُ إذ نَجزَعُهُ ومَلَأْنا الفُرْطَ منه والرِّجَلْ[4]

بِرجالٍ لَستُمُ أمثالَهمْ أُيِّدوا جِبريلَ نَصراً فنَزَلْ[5]

وعَلَوْنا يومَ بدرٍ بالتُّقَى طاعةِ الله وتصديقِ الرُّسُلْ

وقَتَلْنا كلَّ رأسٍ منهمُ وقَتَلْنا كلَّ جَحْجاحٍ رِفَلّ[6]

وتَرَكْنا في قريشٍ عَورةً يومَ بدرٍ وأحاديثَ المَثَلْ[7]

= المُخرَج من بطونهم.

والأستاه: الأدبار. وسُلاح النِّيب: هو ما تُخرجه من بطونها. والنِّيب: جمع نابٍ، وهي الناقة المُسنّة. والعَصَل: نبات تأكله الإبل فيخرج منها أحمر.

(١) الشِّعب: المنفرَج بين الجبلين. والرَّسَل: الإبل المرسَلة بعضها في إثر بعض.

(٢) فأَجأناكم، أي: ألجأناكم.

(٣) في (ز): كأشداف، وعلى حاشيتها: كأمذاق، كبقيّة النسخ الخطية. قال أبو ذر الخُشنيّ في «إملائه» ص٢٤٥: والأمذاق: الأخلاط من الناس هنا، ومن رواه: كأشداف، فالأشداف: الأشخاص.

والخناطيل: الجماعات. والملا: المتّسِع الفسيح من الأرض. ويُهَلْ: يرتاع، من الهَوْل: وهو الفزع.

(٤) نجزّعه، أي: نقطّعه عَرضاً. والفُرْط ـ ويقال بفتح الفاء ـ: ما علا من الأرض كالأَكَمة. والرِّجَل: جمع رِجْلة، وهو المطمئنّ من الأرض.

(٥) أُيِّدوا جبريلَ، أراد: أُيِّدوا بجبريل، فحذف حرف الجرّ وعدَّى الفعل.

(٦) الجحجاح: السيد. والرِّفَلّ، بتشديد اللام: طويل الثوب يجرّه خُيَلاء.

(٧) العورة: كل عيب وخَلَل يُتَخوَّف منه. والمَثَل هنا بمعنى العِبرة.

ورســـولُ الله حَقّـــاً شـــاهدٌ ... يـــومَ بـــدرٍ والتّنابيـــلُ الهُبَـــلْ[1]

في قـــريشٍ مـــن جُمـــوعٍ جُمِّعـــوا ... مِثلَ ما يُجمَعُ في الخِصْبِ الهَمَـلْ[2]

نحـــنُ لا أمثـــالَكمْ وُلْـــدَ اسْـــتِها ... نَحضُـــرُ البـــأسَ إذا البـــأسُ نَـــزَلْ[3]

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيدٍ الأنصاريّ: وأحاديثَ المَثَل، والبيتَ الّذي قبلَه. وقولُه: في قريشٍ من جُموعٍ جمّعوا، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن مالكٍ يبكي حمزةَ بن عبد المُطَّلِب وقتلى أُحدٍ من المسلمين رضي الله عنهم:

نَشَجْتَ وهـل لـك من مَنشِجِ ... وكنـتَ متـى تَـدَّكِرْ تَلجَـجِ[4]

تَـــذكُّرُ قـــومٍ أَتـــاني لهـــمْ ... أحاديـــثُ في الـــزَّمنِ الأعـــوَجِ

فقلبُـكَ مـــن ذِكـــرِهمْ خـــافقٌ ... مـن الشَّـوقِ والحَـزَنِ المُنضِـجِ[5]

وقَـــتْلاهمُ في جِنَـــانِ النَّعـــيمِ ... كِـــرامُ المَـــداخِلِ والمَخـــرَجِ

(١) التنابيل: القِصار اللِّئام، ويروى: القنابيل، يريد الخيل، الواحدة: قَنبَلَةٌ، وهي القِطعة من الخيل.

والهُبل، قال أبو ذر الخشنيّ: من رواه بضم الهاء والباء، فمعناه: الذين ثَقُلوا لكثرة اللحم عليهم، ومنه يقال: رجل مُهبَّل، إذا كَثُر لحمه، ومن رواه بفتح الهاء والباء، أو بضم الهاء وفتح الباء، فهو من الثُّكْل، يقال: هَبِلَته أمُّه، إذا ثَكِلَته؛ أي: فقدته.

(٢) الهمل: الإبل المُهمَلة، وهي التي تُرسَل في المرعى دون راع.

(٣) الوُلْد: جمع وَلَد. وقوله: ولد استها، كلمة تقولها العرب عند السبّ، كأنه يقول: أنتم أبناء إماء أو أبناء زنى، والاست: الدُّبر. والبأس هنا: شدّة الحرب.

(٤) نشجتَ: بكيتَ. وتدّكر، أي: تتذكّر. وتَلجَج: من اللَّجَاج، وهو التمادي في الشيء، وأراد التذكر مع حزنٍ.

(٥) الحزن المنضج: الشديد القويّ.

بمـا صَبَروا تحت ظِـلِّ اللِّـواءِ   لِـواءِ الرّسـولِ بـذي الأضـوُجِ[1]

غَـداةَ أجابَـتْ بأسـيافِها   جميعـاً بنـو الأَوسِ والخَـزرَجِ

وأشـياعُ أحمـدَ إذْ شـايَعُوا   على الحقِّ ذي النُّورِ والمَنهَجِ[2]

فمـا بَرِحُـوا يَضـرِبون الكُمَـاةَ   ويَمضُون في القَسطَلِ المُرهَجِ[3]

كـذلك حتّـى دعـاهمْ مَلِيـكٌ   إلـى جَنّـةٍ دَوْحـةِ المَـولِجِ[4]

فكلُّهـمُ مـات حُـرَّ الـبَلاءِ   علـى مِلّـةِ الله لـم يَحـرَجِ[5]

كحمـزةَ لمّـا وَفَـى صـادقاً   بـذِي هَبّـةٍ صـارمٍ سَـلجَجِ[6]

فلاقـاهُ عبـدُ بنـي نَوفَـلٍ   يُبَربِـرُ كالجَمَـلِ الأدعَـجِ[7]

فـأَوجَرَه حَرْبـةً كالشِّـهابِ   تَلَهَّـبُ في اللَّهـبِ المُـوهَجِ[8]

ونُعْمـانُ أَوفَـى بمِيثاقِـهِ   وحَنظَلَـةُ الخيـرِ لـم يُحـنَجِ[9]

---

(١) الأضوُج، بضم الواو: جمع ضَوْج، وهو جانب الوادي، وبفتح الواو كما عند ياقوت في «معجم البلدان» ١/ ٢١٥ وقال: موضع قرب أُحد بالمدينة.

(٢) أشياع: أتباع. وشايَعوا: تابعوا. والمنهج: الطريق الواضح.

(٣) الكُماة: الشُّجعان. والقسطل: الغبار. والمُرهَج: الغبار الذي أُثير حتى علا في الجوّ.

(٤) الدَّوحة: الكثيرة الأغصان. والمَولِج: المَدخَل.

(٥) حر البلاء: خالص الاختبار. والمِلّة: الدِّين. ولم يَحرَج: لم يأثم.

(٦) بذي هبّة: يعني سيفاً، وهبّةُ السيف: وقوعه بالعظم. والصارم: القاطع. وسلجج، أي: حادُّ الشفرة قاطعٌ أيضاً.

(٧) عبد بني نوفل: هو وحشيٌّ قاتل حمزة، وكان لجبير بن مُطعِم من بني نوفل. ويبربر: يصيح بكلام لا يُفهَم. والجمل الأدعج: الأسود.

(٨) أوجره: طعنه في صدره. والشهاب: القطعة من النار. والمُوهَج: المُوقَد.

(٩) نعمان: هو ابن عمرو بن رفاعة، وحنظلة: هو ابن أبي عامرٍ غسيلُ الملائكة، وكلاهما =

عـن الحـقِّ حتّـى غَـدَت روحُـهُ ... إلـى مَنـزِلٍ فـاخرِ الزِّبْـرِجِ [١]
أُولئـكَ لا مَـن ثَـوَى مـنكمُ ... مـن النـارِ في الـدَّرَكِ المُـرتَجِ [٢]

فأجابه ضِرارُ بن الخَطّاب الفِهْريُّ فقال:

أيَجـزَعُ كعـبٌ لأشـياعِهِ ... ويَبْكـي مـن الـزّمنِ الأعـوَجِ [٣]
عَجـيجَ المُـذكّي رأى إلفَـهُ ... تَـرَوَّحَ في صـادرٍ مُحـنَجِ [٤]
فـرَاحَ الرَّوايـا وغادَرنَـهُ ... يُعَجعِـجُ قَسْـراً ولـم يُحـدَجِ [٥]
فقـولا لكعـبٍ يُثنِّـي البُكَـا ... ولِلنِّـيءِ مـن لحمِـه يُنضِـجِ
لِمَصـرَعِ إخوانِـه في مَكَـرٍّ ... من الخيـلِ ذي قَسطَلٍ مُـرهَجِ [٦]
فيـا لَيـتَ عَمـراً وأشـياعَهُ ... وعُتْبـةَ في جَمعِنـا السَّـورَجِ [٧]

= من الأنصار ممن استُشهد بأُحد.

وقوله: لم يُحنَج، أي: لم يُصرَف عن وجهه الذي أراده من الحق.

(١) الزِّبرِج: الزينة من وَشْي أو جوهر، والزِّبرج: الذهب أيضاً.

(٢) الدَّرك ـ بالتحريك وبتسكين الراء ـ: ما كان أسفل. والمُرتَج: المُغلَق.

(٣) الأشياع: الأتباع.

(٤) العجيج: الصِّياح. والمذكّي هنا: المسنّ من الإبل، وأكثر ما يقال في الخيل. والصادر: اسم للجماعة الصادرة عن الماء، أي: الراجعة عنه. ومُحنَج، أي: مصروف عن وجهه.

(٥) الروايا: الإبل التي تحمل الماء، واحدتها: راوية. وغادرنه: تَركنه. ويعجعج: يصوّت. وقسراً: قهراً. ولم يُحدَج: لم يُجعَل عليه الحِدْج، وهو مركب من مراكب النساء على الإبل نحو المِحفَّة.

(٦) القسطل: الغبار. والمرهَج: الغبار الذي أُثير حتى علا في الجوّ.

(٧) السَّورج: المتوقّد المضيء. وعمرو: ابن هشام أبو جهل، وعتبة: ابن ربيعة، اللذان قُتلا ببدر.

فيَشْفُوا النُّفُوسَ بأَوتارِها ... بقتلَى أُصيبَت من الخَزرَجِ[1]

وقتلَى من الأَوسِ في مَعرَكٍ ... أُصيبوا جميعاً بذي الأضوُجِ[2]

ومَقتَلِ حمزةَ تحتَ اللِّواءِ ... بمُطَّرِدٍ مارِنٍ مِخلَجِ[3]

وحيثُ انثَنَى مُصعَبٌ ثاوِياً ... بضربةِ ذي هَبّةٍ سَلجَجِ[4]

بأُحْدٍ وأسيافُنا فيهمُ ... تَلَهَّبُ كاللَّهَبِ المُوهَجِ

غَدَاةَ لَقِيناكمُ في الحديدِ ... كأُسْدِ البَرَاحِ فلم نُعنَجِ[5]

بكلِّ مُجلِّحةٍ كالعُقابِ ... وأجرَدَ ذي مَيْعةٍ مُسرَجِ[6]

فدُسْناهمُ ثَمَّ حتّى انثَنَوا ... سوى زاهقِ النّفسِ أو مُحرَجِ[7]

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها لضِرارٍ.

وقولُ كعبٍ: ذي النُّور والمَنهَجِ، عن أبي زيدٍ الأنصاريّ.

قال ابن إسحاق: وقال عبدُ الله بن الزِّبَعرَى في يوم أُحدٍ[8]:

---

(١) الأوتار: جمع وَتْر، وهو طلب الثأر.

(٢) المعرك: موضع الحرب. وانظر تعريف الأضوُج في القصيدة السابقة.

(٣) المطَّرِد: الذي يهتزّ، ويعني به هنا رُمحاً. والمارن: هو الليِّن. والمِخلج: هو الذي يطعن بسرعة.

(٤) ثاوياً، أي: مقيماً ساكناً بعد مقتله. وانظر تفسير ذي الهبّة والسلجج في القصيدة السابقة.

(٥) البراح: الفسيح المتّسع من الأرض. ولم نُعنَج، أي: لم نُكَفّ ولم نُصرَف عن القتل والإثخان فيكم.

(٦) المجلِّحة: الماضية المتقدمة، ويعني بها فرساً. والأجرد: الفرس العتيق. والمَيعة: النشاط.

(٧) دسناهم: وَطِئناهم. وزاهق النفس، أي: هالكٌ ميّت. والمحرج: المضيَّق عليه.

(٨) زاد في (ش١): يبكي القتلى.

أَلَا ذَرَفَتْ مِنْ مُقلتَيْكَ دُموعُ ... وقد بانَ من حَبْلِ الشَّبابِ قُطُوعُ[1]

وشَطَّ بمَن تَهوَى المَزَارُ وفرّقت ... نَوَى الحيِّ دارٌ بالحَبيبِ فَجُوعُ[2]

وليس لِمَا وَلَّى على ذي حَرارةٍ ... وإن طالَ تَذْرافُ الدُّموعِ رُجوعُ

فذَرْ ذا ولكنْ هل أَتى أُمَّ مالكٍ ... أحاديثُ قَوْمي والحديثُ يَشِيعُ

ومَجنَبُنا جُرْداً إلى أهلِ يثربٍ ... عَناجيجَ منها مُتلَدٌ ونَزيعُ[3]

عَشيَّةَ سِرْنا في لُهامٍ يقودُنا ... ضَرُورُ الأَعادي للصَّديقِ نَفُوعُ[4]

نَشُدُّ علينا كلَّ زَغْفٍ كأنَّها ... غَديرٌ بضَوْجِ الواديَينِ نَقيعُ[5]

فلمّا رَأَونا خالَطَتهمْ مَهابةٌ ... وعايَنَهم أمرٌ هناكَ فَظِيعُ

ووَدُّوا لوَ انَّ الأرضَ يَنشَقُّ ظَهرُها ... بهم وصَبُورُ القومِ ثَمَّ جَزُوعُ

وقد عُرِّيَت بِيضٌ كأنّ وَميضَها ... حريقٌ تَرَقَّى في الأَبَاءِ سريعُ[6]

بأَيمانِنا نَعلُو بها كلَّ هامَةٍ ... ومنها سِمامٌ للعدوِّ ذَريعُ[7]

---

(١) ذرفت: سالت. والمُقلة: شحمة العين التي تجمع السواد والبياض.

(٢) شطَّ: بَعُد. ونوى الحي: بُعْده وفراقه.

(٣) مَجنبُنا، أي: قَوْدنا الخيل إلى أجناب إبلنا دون أن نركبها، يقال: جَنَبْتُ الفرسَ، إذا قدتها ولم تركبها. جُرداً، أي: عرايا من السُّرج. والعناجيج: الطِّوال الحِسان. ومُتلَد، أي: نسبه قديم عريق وُلد عندنا، ونزيع، أي: غريب نجيبٌ من بلد آخر.

(٤) اللُّهام: الجيش الكثير. وضرور الأعادي، أي: يوقع الضُّرَّ بأعاديه؛ يشير إلى أبي سفيان ابن حرب.

(٥) الزَّغف: الدروع الليّنة. والضَّوج: جانب الوادي. ونقيع: مملوء بالماء.

(٦) البِيض: السيوف. والوميض: لمعان الضَّوء. والأَباء: واحده: الأباءة، وهي الأجمة، الموضع ذو الشجر الكثير الملتفّ.

(٧) الهامة: الرأس. وسِمام: جمع سمٍّ. والذريع: الذي يَقتُل سريعاً.

فغادَرْنَ قتلَى الأَوسِ عاصِبةً بهم ... ضِباعٌ وطَيرٌ يَعتَفِينَ وُقوعُ[1]

وجَمْعُ بني النَّجّارِ في كلِّ تَلْعةٍ ... بأبدانِهم من وَقعِهنَّ نَجيعُ[2]

ولولا عُلوُّ الشِّعبِ غادَرْنَ أحمداً ... ولكنْ عَلَا والسَّمهَريُّ شُروعُ[3]

كما غادَرَت في الكَرِّ حمزةَ ثاوِياً ... وفي صَدرِه ماضي الشَّبَاةِ وَقِيعُ[4]

ونُعْمانَ قد غادَرْنَ تحت لوائِهِ ... على لحمِه طَيرٌ يَحُفْنَ وُقوعُ[5]

بأُحْدٍ وأرماحُ الكُمَاةِ يَرِدْنَهم ... كما غالَ أشطانَ الدِّلاءِ نُزوعُ[6]

فأجابَه حسّانُ بن ثابتٍ فقال[7]:

أشاقَكَ من أُمِّ الوليدِ رُبوعُ ... بَلاقِعُ ما من أهلِهنَّ جميعُ[8]

عَفَاهُنّ صَيْفيُّ الرّياحِ وواكِفٌ ... من الدَّلوِ رَجّافُ السَّحابِ هَمُوعُ[9]

---

(١) عاصبة: لاصقة بهم مجتمعة عليهم. يَعتفِين، أي: يطلبن الأكل من تلك الأجساد.

(٢) التلعة: ما علا من الأرض على الوادي كالتَّل. والنَّجيع: الدم.

(٣) الشِّعب: الطريق في الجبل. والسمهري: الرِّماح. وشُروع: مائلة للطعن.

(٤) الكرّ: عَوْد الفارس للقتال. وثاوياً: مقيماً ساكناً. وشَبَاة كل شيء: حدُّه. ووقيع، أي: محدَّد.

(٥) يحفن، أي: يطفن حوله. وعلى حاشية (غ): قال ابن هشام: يحفن بالحاء والجيم من الجائفة. قلنا: ومعنى يَجُفنَ: يدخلن جوفه، أو يطلبن ما في جوفه.

(٦) الكُماة: الشجعان. ويَرِدْنهم: يدخلن في أجسادهم. وغالَ: أهلَكَ. والأشطان: الحِبال. والدِّلاء: جمع دلو. والنُّزوع: جذب الدلو وإخراجها من البئر.

(٧) انظر «ديوانه» ١/ ٣٣٧.

(٨) ربوع: جمع رَبْع، وهو منزل القوم. والبلاقع: جمع بَلقَع، وهو المكان الخالي. يقول: ما أهلهنَّ مجتمعين.

(٩) عفاهنّ، أي: غيَّرهن ودَرَسهنّ. والواكف: المطر السائل. والدَّلو هنا: بُرج في السماء. =

فلـم يَبـقَ إلّا مَوقِـدُ النـارِ حولَـهُ رَواكِـدُ أمثـالُ الحَمـامِ كُنـوعُ[1]

فـدَعْ ذِكـرَ دارٍ بَـدَّدَت بـين أهلِهـا نَـوًى لِمَتينـاتِ الحِبـالِ قَطُـوعُ[2]

وقُـلْ: إن يكـنْ يـومٌ بأُحْـدٍ يَعُـدُّه سَـفيهٌ، فـإنَّ الحـقَّ سـوفَ يَشِـيعُ

فقد صابَرَت فيه بنو الأَوسِ كلُّهمُ وكـان لهـم ذِكـرٌ هنـاكَ رَفيـعُ

وحـامَى بنـو النَّجّـارِ فيـه وصـابَرُوا ومـا كـان مـنهم في اللِّقـاءِ جَـزُوعُ

أمـامَ رسـولِ الله لا يَخذُلونَـهُ لهـم ناصـرٌ مـن ربِّهـم وشَـفيعُ

وَفَـوْا إذ كَفَـرتُم يـا سَخِينَ بـربِّكمْ ولا يَسـتَوي عبـدٌ وَفَـى ومُضِـيعُ[3]

بأيـديهمْ بِـيضٌ إذا حَمِـشَ الـوَغَى فـلا بُـدَّ أن يَـرِدَى لهـنَّ صَـريعُ[4]

كما غادَرَت في النَّقْعِ عُتْبةَ[5] ثاوِيـاً وسـعداً صَـريعاً والوَشِـيجُ شُـروعُ

= ورجّاف، أي: متحرّك فيه صوت الرعد. وهَمُوع: سائل.

(١) الرواكد: الثوابت، يعني الأثافيّ، وهي الحجارة التي توضع حول النار. وكُنوع: لاصقة بالأرض.

(٢) النوى: البُعد. والمتينات: الغليظات الشديدات.

(٣) يا سخينَ: أراد سخينةَ، فرخّم، وكانت قريش في الجاهلية تُلقَّب سخينةَ لمداومتهم على أكل السَّخينة، وهي دقيق أغلظ من الحساء وأرقّ من العصيدة، وإنما تؤكل في الجَدْب وشدة الدهر.

(٤) حَمِشَ: اشتدّ. والوغى: الحرب. ويَرِدَى: يهلك.

(٥) هكذا في نسخنا كافة: عتبة، وعلى حاشية (ز) و(ش١) و(غ): عثمان، وهذه رواية «ديوان حسان»، وهو الصواب إن شاء الله، فليس في قتلى يوم أُحد من المشركين من يُسمّى عتبة، إنما هو عثمان بن أبي طلحة، قتله حمزةُ رضي الله عنه، وهو أخو أبي سعد بن أبي طلحة الذي ذكره حسان بعده باسم سعدٍ، وهذا قتله ذلك اليوم سعدُ بن أبي وقّاص رضي الله عنه، وكلاهما حمل لواء المشركين يو أُحد فقُتل وهو حامله. =

وقد غادَرَت تحت العَجَاجةِ مُسنِداً ... أُبيّاً وقد بَلَّ القميصَ نَجيعُ[1]

بكَفِّ رسولِ الله حيثُ تَنَصَّبَت ... على القومِ ممّا قد يُثِرنَ نُقوعُ[2]

أُولئكَ قومٌ سادةٌ من فُروعِكمْ ... وفي كلِّ قومٍ سادةٌ وفُروعُ

بِهِنَّ نُعِزُّ اللهَ حتّى يُعِزَّنا ... وإن كان أمرٌ يا سَخِينَ فَظيعُ

فلا تَذكُروا قتلَى وحمزةُ فيهمُ ... قتيلٌ ثَوَى لله وهْوَ مُطيعُ

فإنَّ جِنانَ الخُلْدِ مَنزِلةٌ لهُ ... وأمرُ الّذي يَقْضي الأُمورَ سريعُ

وقتلاكمُ في النارِ أفضَلُ رِزقِهم ... حَميمٌ معاً في جَوفِها وضَريعُ[3]

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها[4] لحسّان وابن الزِّبَعرَى، وقولُه: ماضي الشَّبَاة، وطَيرٌ يَحُفنَ[5]، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عمرو بن العاصِ في يوم أُحدٍ:

= وقوله: غادَرَت، يعني السيوف والرماح، أي: أنها تركَت هؤلاء بين القتلى. والنَّقع: الغبار. والوَشِيج: الرِّماح. وشروع: مائلة للطعن.

(١) العَجاجة: الغبرة. والنّجيع: الدم. وأُبيٌّ: هو أُبي بن خلف، رماه رسول الله ﷺ بحَرْبة فجرحته ومات منها قريباً من مكة.

وقوله: مُسنِداً، هكذا قُيِّد في (ص) بكسر النون، خلافاً لبقية النسخ حيث قُيّد فيها بفتحها، والصواب إن شاء الله ما وقع في (ص) على صيغة اسم الفاعل، ومعناه: مُصعِداً مُرتفِعاً في شِعب أُحد، فقد لحق أُبيٌّ برسول الله ﷺ وكان قد أَسنَد في الشِّعب، فأدركه هناك يريد قتله ﷺ، كما تقدم ص٦٩-٧٠.

(٢) نقوع: جمع نَقْع، وهو التراب.

(٣) الحميم: الماء الحارّ. والضريع: نبت ذو شوك.

(٤) في (ش١): ينكرهما.

(٥) وهما في البيتين الأخيرين في الشعر المنسوب لابن الزِّبعرى.

خَرَجنـا مـن الفَيْفـا علـيهمْ كأنّنـا
مع الصّبحِ من رَضوَى الحَبِيكُ المُنطَّقُ [1]

تَمَنَّت بنـو النَّجّـار جَهـلاً لقاءَنـا ... لَدَى جَنبِ سَلْعٍ والأمانيُّ تَصدُقُ [2]

فمـا راعَهـمْ بالشّـرِّ [3] إلّا فُجَـاءةً ... كَـرَاديسُ خيـلٍ في الأزِقّـةِ تَمـرُقُ

أَرادوا لكَيْمـا يَسـتَبيحوا قِبابَنـا ... ودونَ القِبابِ اليومَ ضربٌ مُحرِّقُ [4]

وكانت قِباباً أُومِنَت قبلَ ما تَرَى ... إذا رامَهـا قـومٌ أُبِيحـوا وأُحنِقـوا [5]

كـأنَّ رؤوسَ الخَـزْرَجيِّينَ غُـدْوةً ... لـدى جنـبِ سَلْعٍ حنظـلٌ متفلِّقُ [6]

كـأنَّ رؤوسَ الخَـزْرَجيِّينَ غُـدْوةً ... وأَيمـانَهم بالمَشـرَفيّةِ بَـرْوَقُ [7]

فأجابه كعبُ بن مالكٍ ـ فيما ذكرَ ابنُ هشام ـ فقال:

---

(١) الفيفاء: القَفْر الذي لا ينبت شيئاً، وقَصَرَه هنا للشِّعر.

وأما رضوى: فهو جبل شمال غربيّ يَنبُع النخل التي تقع غرب المدينة المنوّرة على بعد ١٣٠ كم تقريباً.

والحَبيك هنا، أراد به الدّرع، لأنه تُحبَك حلقاته ببعضها، أي: تُنسَج، والمنطَّق: المحزَّم الشديد، شبَّه الجيش بحلقات الدرع المتشابكة لكثرته وتراصّه.

(٢) سلع: اسم جبل مشهور في المدينة.

(٣) في (ز): بالسِّر، وعلى حاشيتها: بالشر. وراعهم: أفزعهم. والكراديس: جماعات الخيل. وتمرق، أي: تخرج.

(٤) القِباب، أي: الأخبية والخِيام.

(٥) أُحنقوا، أي: بُولغ في إغضابهم.

(٦) هذا البيت سقط من نسخة (ت).

(٧) المشرفية: السيوف، نُسبت إلى مَشارِف الشام (أي: أريافه) يعني هي مصنوعة فيها. والبَروَق: نبات له غصون دِقاق في رؤوسها أمثال الحمّص فيها حبّ أسود.

ألا أَبلِغا فِهْراً على نَأْيِ دارِها[1] وعندَهمُ من عِلْمِنا اليومَ مَصدَقُ
بأنّا غَداةَ السَّفحِ من بطنِ يَثرِبٍ صَبَرْنا وراياتُ المَنيَّةِ تَخفِقُ[2]
صَبَرْنا لهم والصّبرُ منّا سَجيّةٌ إذا طارَت الأَبرامُ نَسمُو ونَرتُقُ[3]
على عادةٍ تِلكُمْ جَرَينا بصَبْرِنا وقِدْماً لَدَى الغاياتِ نَجْري فنَسبِقُ
لنا حَوْمةٌ لا تُستَطاعُ يقودُها نبيٌّ أَتى بالحقِّ عَفٌّ مُصدَّقُ[4]
ألا هلْ أَتى أفْناءَ فِهْرِ بن مالكٍ مُقطَّعُ أطرافٍ وهامٌ مُفلَّقُ[5]

قال ابن إسحاق: وقال ضِرارُ بن الخطّاب:

إنّي وجَدِّك لولا مُقدَمي فَرَسي إذ جالتِ الخيلُ بين الجِزْعِ والقاعِ[6]
ما زالَ منكمْ بجَنبِ الجِزْعِ من أُحدٍ أصواتُ هامٍ تَزاقَى أمرُها شاعِي[7]
وفارسٌ قد أصابَ السّيفُ مَفرِقَهُ أفلاقُ هامَتِه كقَرْوةِ الرّاعي[8]

---

(١) أي: على بُعد دارها. وفِهر: هو فهر بن مالك بن النضر، أبو قريشٍ كلها. والمَصدَق، أي: الخبر الصادق.

(٢) السفح: جانب الجبل، يريد جبل أُحد. والمنيّة: الموت. وتخفق: تضطرب وتتحرك.

(٣) السجيّة: العادة والطبع. والأبرام: اللِّئام، الواحد: بَرَمٌ. نسمو، أي: نرتفع ونعلو. ونرتق، أي: نَسدّ ونُصلح.

(٤) الحَوْمة: يعني بها الجماعة، وأصل الحَوم: القطيع الضخم من الإبل. والعفّ: العفيف.

(٥) أفناء القبائل: جماعة مجتمعة من قبائل شتّى. والهام: جمع هامَةٍ، وهي الرأس.

(٦) قوله: مُقدَمي فرسي، أي: إقدامي لفرسي. والجِزع: منعطف الوادي. والقاع: المنخفض من الأرض.

(٧) الهامُ: جمع هامَةٍ، وهي الطائر التي كانت تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل الذي لم يُؤخَذ بثأره فيصيح. وتَزاقَى: تصيح. وشاعي، أراد: شائع، فقَلَب.

(٨) هكذا في (ش١): كقَرْوة، بالقاف، وهو الصواب إن شاء الله، وفي بقية النسخ: كفروة، =

إنّـي وجَـدِّك لا أنفَـكُّ مُنتَطِقـاً ... بصـارمٍ مِثْـلِ لـونِ المِلـحِ قَطّـاعِ[1]

علـى رِحَالـةِ مِلْـواحٍ مُثـابِرةٍ ... نحـوَ الصَّـريخِ إذا مـا ثَـوَّبَ الـدّاعي[2]

ومـا انتَمَيـتُ إلـى خُـورٍ ولا كُشُـفٍ ... ولا لئـامٍ غَـداةَ البـأسِ أَوراعِ[3]

بَل ضاربِينَ حَبيكَ البَيضِ إذ لَحِقوا ... شُـمِّ العَـرَانينِ عنـد المـوتِ لُـذّاعِ[4]

شُـمٍّ بَهالِيـلَ مُسـتَرخٍ حَمـائلُهمْ ... يَسعَون للمـوتِ سَعياً غيـرَ دَعـداعِ[5]

= بالفاء، لكن أشار في حاشية (ز) إلى حاشية في نسخة عنده ذهب صاحبها إلى أن هذه اللفظة بالفاء مصحّفة عن القَرْوة. وفي «الدلائل في غريب الحديث» لقاسم بن ثابت ١/ ٣٠٤: كقروة الراعي، بالقاف أيضاً، ثم فسّره فقال: القروة: قدح صغير يتخذه الراعي.

وقال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٥٢: من رواه بالقاف فهو إناء من خشب يحمله الراعي معه، ومن رواه بالفاء فهي الفروة المعروفة.

والمَفرِق: حيث تفرق الشعر فوق الجبهة.

(١) منتطِق: محتزِم. والصارم: السيف القاطع.

(٢) الرِّحَالة، أي: السَّرج. والمِلواح: الفرس الشديدة التي ضَمُر لحمها. ومثابِرة، أي: متابِعة. والصريخ: المستغيث. ثوَّب، أي: كرّر الدعاء.

(٣) الخُور: هم الضعفاء، الواحد: خائر. والكُشُف: جمع أَكشف، وهو الذي لا ترس له في الحرب. والأَوراع: جمع وَرِع، وهو الجبان هنا، ويروى: أوزاع، بالزاي، أي: متفرقون.

(٤) قوله: حبيك البَيض، البيض: جمع بَيضة، وهي الخُوذة التي يضعها المحارب على رأسه، والحَبيك: من الحبْك، وهو النَّسج، ولعله أراد بحبيك البيض: المِغفَر الذي يلبسه المحارب تحت البيضة، فإنه من حلقات منسوجة، ويعني بذلك أنهم يضربون رؤوس أعدائهم. وشمِّ العرانين، أي: مرتفعي الأنوف، يصفُهم بالعزّة. لُذّاع، أي: يَلذَعون كما تَلذَع النار، وهو أن تصيب بحرّها.

(٥) البهاليل: السادة، الواحد: بُهلول. ومسترخٍ حمائلهم: يعني حمائل سيوفهم، وفيه إشارة إلى طولهم وحُسن هيئتهم. و الدَّعداع: المشي الضعيف البطيء.

وقال ضِرارُ بن الخطّاب أيضاً:

لمّا أتَتْ من بني كعبٍ مُزيَّنةٌ ... والخَزرَجيَّةُ فيها البِيضُ تأتلِقُ[1]

وجَرَّدوا مَشرَفيّاتٍ مُهنَّدةً ... ورايةً كجَناحِ النَّسرِ تَختفِقُ[2]

فقلتُ: يومٌ بأيّامٍ ومَعرَكةٌ ... تُنبي لمَا خَلْفَها ما هُزهِزَ الوَرَقُ[3]

قد عُوِّدوا كلَّ يومٍ أن تكونَ لهمْ ... ريحُ القتالِ وأسلابُ الّذين لَقُوا[4]

خَيّرتُ[5] نفسي على ما كان من وَجَلٍ ... منها وأيقَنتُ أنّ المجدَ مُستَبَقُ

أكرَهتُ مُهْري حتّى خاضَ غَمْرتَهم ... وبَلَّهُ من نَجيعٍ عانِدٍ عَلَقُ[6]

فظَلَّ مُهْري وسِرْبالي جَسِيدُهما ... نَفحُ العُروقِ رَشَاشُ الطَّعنِ والوَرَقُ[7]

---

(١) مزيّنة: يعني كتيبة فيها ألوان من السلاح. والبِيض هنا: السيوف. وتأتلق، أي: تضيء وتلمع.

(٢) المشرفيات: سيوف منسوبة إلى مشارف الشام، أي: أريافه، كما تقدم قريباً. ومهنَّدة، أي: مصنوعة من حديد الهند.

(٣) هُزهز، أي: حُرّك، والورق: يعني به ورق الشجر؛ يقول: تبقى أنباء هذه المعركة مدى الدهر.

(٤) الأسلاب: جمع سَلَبٍ، وهو ما يؤخذ عن القتيل من سلاح وثياب.

(٥) في (ز): جَبَرتُ، وعلى حاشيتها: خيّرت، كبقية النسخ. والوَجَل: الفزع. ومستَبَق، أي: يتسابق فيه الناس.

(٦) غمرتهم: جماعتهم. والنَّجيع: الدم. والعَلَق من أسماء الدم.

وعاند (كما في: ز، ص، غ) أي: لا ينقطع، ومن رواه: عانِك (كما في: ت، ش١، م، ي) فمعناه: أحمر.

(٧) السِّربال: كل ما يُلبَس، ويريد به هنا الدرع. وجسيدهما: يعني به هنا لونهما أو صبغهما. ونفح العروق: ما ترمي به من الدم. والورق: الدم المنقطع، ويروى: العَرَق.

أيقَنــتُ أنّــي مُقــيمٌ في ديــارِهمُ حتّـى يُفـارِقَ مـا في جَوفِـه الحَـدَقُ[1]
لا تَجزَعـوا يـا بنـي مَخـزُومَ إنَّ لكـمْ مِثـلَ المغيـرةِ فـيكمْ مـا بـه رَهَـقُ[2]
صَـبْراً فِـدًى لكـمُ أُمّـي ومـا وَلَـدَت تَعاوَرُوا الضَّربَ حتّى يُدبِرَ الشَّفَقُ[3]

وقال عمرُو بن العاص:

لمّـا رأيـتُ الحـربَ يَنْـ ـزُو شَـرُّها بالرَّضْـفِ نَـزْوا[4]
وتَناوَلَـت شَـهْباءُ تَلْـ ـحُو النـاسَ بالضَّـرّاءِ لَحْـوا[5]
أَيقَنـتُ أنّ المـوتَ حَـقٌّ والحَيـاةَ تكـونُ لَغْـوا[6]
حَمَّلـتُ أَثـوابي علـى عَتِـدٍ يَبُـذُّ الخيـلَ رَهْـوا[7]
سَـلِسٍ إذا نَكَّـبنَ في البَيْـ ـداءِ يَعلُـو الطِّـرْفَ عُلْـوا[8]
وإذا تَنَــزَّلَ مــاؤُه مـن عِطفِـه يَـزدادُ زَهْـوا[9]

(١) الحدق: جمع حَدَقة، وهي سواد العين. ويريد بقوله: حتى يفارق... التأبيد، يعني أنه مقيم في بلادهم أبداً.

(٢) تصحف في (ز) و(ص) و(م) إلى: زهق، بالزاي. والرَّهق ـ بالراء ـ: العيب. والمغيرة: هو ابن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، وكان سيّدهم في الجاهلية، وهو جدُّ خالد بن الوليد.

(٣) تعاوروا: تداولوا. والشفق: الحُمرة عند غروب الشمس.

(٤) ينزو: يقفز ويرتفع. والرَّضْف: الحجارة المحماة بالنار.

(٥) شهباء، أي: كتيبة كثيرة السلاح. وتلحو: تقشِّر وتُضعِف، تقول: لَحَوتُ العودَ، إذا قشرتَه، يريد أنها تُلحق الضرر بأعدائها.

(٦) اللَّغو: السقط وكل شيء لا يُعتدُّ به.

(٧) العَتِد: الفرس الشديد. ويبذّ: يسبق. والرَّهو: المشي بسكون.

(٨) الطِّرف: الكريم من الخيل. ومعنى يعلو الطرف: يتقدّمه.

(٩) ماؤه، أي: عرقه. والعِطْف: الجانب. والزَّهو: الإعجاب والتكبر.

رَبِــذٍ كيَعفُــورِ الصَّريـــ ـمـةِ راعَـهُ الرّامُـونَ دَحْـوا[1]

شَــنِجٍ نَسَــاهُ ضــابطٍ للخيــلِ إرخــاءً وعَــدْوا[2]

ففِــدًى لهــمْ أُمّــي غَــدا ةَ الــرَّوعِ إذ يَمشُــون قَطْـوا[3]

سَــيراً إلــى كَــبْشِ الكَتيــ ـبـةِ إذ جَلَتْـه الشّـمسُ جَلْـوا[4]

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها لعمرٍو.

قال ابن إسحاق: فأجابهما كعبُ بن مالكٍ فقال:

أَبلِـغْ قريشـاً وخيـرُ القـولِ أصـدَقُهْ والصِّـدقُ عند ذَوِي الألبابِ مقبولُ[5]

أنْ قــد قَتَلْنــا بقتلانــا سَــرَاتَكمُ أهـلَ اللِّـواءِ ففـيمَ[6] يَكثُـرُ القِيـلُ

ويــومَ بــدرٍ لَقِينـاكم لنـا مَــدَدٌ فيـه مـع النّصـرِ مِيكـالٌ وجِبريـلُ

إن تَقتُلونـا فـدِينُ الحـقِّ فِطرَتُنـا والقتـلُ في الحـقِّ عنـدَ الله تفضيـلُ

وإن تَــرَوْا أمرَنـا في رأيِكـمْ سَـفَهاً فـرأيُ مَـن خـالَفَ الإسـلامَ تضـليلُ

فـلا تَمنَّـوْا لِقـاحَ الحـربِ واقتعِـدُوا إنّ أخا الحـربِ أَصدَى اللَّونِ مشغولُ[7]

---

(١) رَبِذ: سريع. واليعفور: ولد الظَّبية. والصَّريمة: الرملة المتقطعة. وراعه: أفزعه. والدَّحو هنا: الرَّمي.

(٢) شَنِج: منقبض. والنَّسا: عِرق مُستبطِن الفخذين. وضابط: ممسك. والإرخاء والعَدْو: ضربان من السَّير.

(٣) الرَّوع: الفزع. والقطو: مشي في تبختر كمشي طير القَطَاة.

(٤) كبش الكتيبة: رئيسها. وجَلَتْه: أبرزته.

(٥) الألباب: العقول، واحدها: لُبٌّ.

(٦) في (ت) و(ز): ففيهم، وعلى حاشية (ز): ففيمَ، وصحَّح على كليهما. وسَرَاة القوم: خِيارهم. والقِيل: القول.

(٧) لقاح الحرب: زيادتها ونموّها. وأصدى اللون، أي: أصدأُ اللون، والأصدأُ: الذي لونه =

إنَّ لكُم عندنا ضرباً تَراحُ له ... عُرْجُ الضِّباعِ له خَذْمٌ رَعابيلُ[1]

إنّا بنو الحربِ نَمْرِيها ونَنتُجُها ... وعندنا لذَوِي الأضغانِ تنكيلُ[2]

إن يَنجُ منها ابنُ حَربٍ بعدَ ما بَلَغَت ... منه التَّراقِي وأمرُ الله مفعولُ[3]

فقد أفادَت له حِلْماً ومَوعِظةً ... لمن يكون له لُبٌّ ومعقولُ

ولو هَبَطتُمْ ببَطنِ السَّيلِ كافَحَكمْ ... ضَرْبٌ بشاكِلةِ البَطْحاءِ تَرعيلُ[4]

تَلْقاكمُ عُصَبٌ حولَ النبيِّ لهمْ ... ممّا يُعِدُّون للهَيْجا سَرَابيلُ[5]

من جِذْمِ غسّانَ مُسترَخٍ حَمائلُهمْ ... لا جُبَناءُ ولا مِيلٌ مَعازِيلُ[6]

= بين السواد والحُمرة. ومشغول: من الشُّغل، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٥٥: من رواه بالعين المهملة فمعناه: متَّقِد مُلتهِب.

(١) تَرَاح: تفرح وتهتزّ. والخذم: القطع بالأسنان. ورعابيل، أي: قطع متمزّقة.

(٢) بنو الحرب، أي: أبطالها وفرسانها. ونَمريها: نستدرُّها، وهو مستعار من: مَرَيتُ الناقةَ، إذا استدررتَ لبنَها واستخرجته من ضَرعها، ونتجتَها: إذا استخرجتَ منها ولداً، يقول: نحن فرسان الحروب وأبطالها، نُنشئها ونخوضها ولا نهابها. والأضغان: العداوات. والتنكيل: العقوبة والزَّجر المؤلم.

(٣) ابن حرب: يعني أبا سفيان بن حرب. والتراقي: جمع تَرقُوَة، وهي العظم الذي بين ثُغْرة النَّحر والكتف، وهما تَرقُوَتان من الجانبين.

(٤) كافحكم: واجهكم. والشاكلة: الطرف والناحية. والبطحاء: الأرض السهلة. والترعيل: الضرب السريع.

(٥) العُصَب: الجماعات. والهيجاء: الحرب. والسرابيل: جمع سِربال، وهو كل ما يُلبَس، ويريد بها هنا الدروع.

(٦) الجِذم: الأصل. وغسّان: يريد قومه من الأوس والخزرج، فإنهما يرجعان في نسبهما إلى غسان من اليمن. وحمائلهم، أي: حمائل سيوفهم. والمِيل: جمع أَمْيَل، وهو الذي لا ترس له. والمعازيل: الذين لا رماح معهم، مفرده: مِعزال.

يَمشُون تحت عَمَاياتِ القتالِ كما ... تمشي المَصَاعبةُ الأُدْمُ المَراسيلُ [1]
أو مِثلُ مَشيِ أُسودِ الظِّلِّ ألْثَقَها ... يومٌ رَذَاذٌ من الجَوزاءِ مَشمُولُ [2]
في كلِّ سابغةٍ كالنِّهْيِ مُحكَمةٍ ... قيامُها فَلَجٌ كالسّيفِ بُهلولُ [3]
تَرُدُّ حَدَّ قِرَانِ النَّبلِ خاسئةً ... ويَرجِعُ السّيفُ عنها وهْوَ مَفلولُ [4]
ولو قَذَفتُم بسَلْعٍ عن ظُهورِكمُ ... ولِلحَياةِ ودَفْعِ الموتِ تأجيلُ [5]
ما زالَ في القومِ وِترٌ منكمُ أبداً ... تَعفُو السَّلَامُ عليه وهْوَ مَطلولُ [6]
عبدٌ وحُرٌّ كريمٌ مُوثَقٌ قَنَصاً ... شَطْرَ المدينةِ مأسورٌ ومقتولُ [7]

---

(١) عمايات القتال: ظُلماته، ويروى: غيابات، أي: سحابات. والمَصاعبة: الفحول من الإبل، واحدها: مُصعَب. والأُدْم: الإبل البيض، والأُدمة في الإبل: البياض الخالص. والمراسيل: جمع مِرسال، وهي السهلة في السَّيرِ.

(٢) قوله: الظِّل، بالظاء في (ت) و(ص) و(غ) و(ي)، وفي نسختَي (ز) و(ش١) و(م) إشارة إلى أنها تُقيَّد بالظاء والطاء، وهي بالطاء عند أبي ذر الخُشنيّ كما في «إملائه» ص٢٥٦ فقال: الطَّلّ المطر الخفيف. قلنا: وأما على رواية الظاء، فالمراد: الظِّل من الشمس، ومن عادة الأسود الإكثار من الاستظلال بالأشجار. ومعنى ألثَقَها: بلَّها. والرَّذاذ: المطر الخفيف. والجوزاء: اسم لبرج من أبراج السماء معروف. والمشمول: الذي هبّت فيه ريح الشَّمال.

(٣) السابغة: الدرع الكاملة. والنِّهي: الغدير من الماء. وقيامها، أي: ملاكُ أمرها ومعظمُها. وفلجٌ، أي: نهر صغير يسيل إليها فيحرّك مياه الغدير فتتموّج. والبُهلول: الأبيض.

(٤) قِران النَّبل، أي: جماعة النبل، واحدها: قَرَنٌ. وخاسئة: ذليلة. ومفلول، أي: مكسور الحدِّ.

(٥) سلع: اسم جبل بالمدينة.

(٦) الوتر، بكسر الواو وفتحها: الثأر. وتعفو: تنمحي وتتغير. والسِّلام: الحجارة، واحدها: سَلِمَة. ومطلول، أي: لم يؤخذ بثأره.

(٧) القَنَص: الصيد. وشطر المدينة: نحوها وقصدها.

كُنّا نُؤمِّلُ أُخْراكمْ فأعجَلَكمْ منّا فوارسُ لا عُزْلٌ ولا مِيلُ[1]
إذا جَنَى فيهمُ الجاني فقد عَلِموا حقّاً بأنَّ الّذي قد جَرَّ محمولُ[2]
ما يَجْنِ لا يَجْنِ من إثمٍ مُجاهَرةً ولا مَلُومٌ ولا في الغُرْمِ مخذولُ[3]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ، يذكر عِدَّة أصحاب اللّواءِ يومَ أُحدٍ ـ قال ابن هشام: هذه أحسنُ ما قيلَ ـ[4]:

مَنَعَ النّومَ بالعِشاءِ الهُمومُ وخَيالٌ إذا تَغُورُ النّجومُ[5]
مِن حَبيبٍ أصابَ قلبَك[6] منه سَقَمٌ فهْوَ داخلٌ مكتومُ
يا لَقومٍ هل يَقتلُ المَرْءَ مِثْلي واهنُ البَطْشِ والعِظامِ سَؤُومُ[7]
لو يَدِبُّ الحَوْليُّ من ولدِ الذَّ رِّ عليها لَأَندَبَتْها الكُلُومُ[8]
شأنُها العِطرُ والفِراشُ ويَعلُو ها لُجَينٌ ولُؤلُؤٌ منظومُ[9]

---

(١) العُزْلُ: الذين لا رماح لهم. والمِيل: الذين لا تروس معهم.

(٢) يريد: أن الجاني منهم إذا جرَّ على نفسه جناية فإنهم يحملون عنه جنايته.

(٣) الغُرم: ما يتحمّله من الدَّين وغيره، يريد: أنهم يُعِينونه بأموالهم ويتحمّلون معه إذا غَرِمَ ولا يخذلونه.

(٤) انظر «ديوانه» ١/ ٤٠.

(٥) تغور: تغيب.

(٦) هكذا في نسخنا الخطية، بالصاد، وكذلك هو في «الديوان»، وهو معلوم، ومن رواه: أضاف، بالضاد كما عند أبي ذر الخشنيِّ في «إملائه» ص٢٥٧، فمعناه: نزل وزار.

(٧) الوَهْن: الضَّعف. والسَّؤُوم: المَلُول. يريد حبيبته التي يشبِّب بها.

(٨) الذرُّ: النمل الصغير، والحَوليّ: الصغير من ولده. وأندَبَتها، أي: أثَّرت فيها، وهو أثر الجرح. والكُلوم: الجِراحات.

(٩) اللُّجين: الفضة.

لم تَفُتْها[1] شمسُ النَّهارِ بشيءٍ   غيرَ أنّ الشَّبابَ ليس يَدُومُ

إنَّ خالي خطيبُ جابيَةِ الجَوْ   لانِ عند النُّعمانِ حينَ يقومُ[2]

وأنا الصَّقرُ عند بابِ ابنِ سَلْمَى   يومَ نُعمانُ في الكُبولِ سَقيمُ[3]

وأُبيٌّ وواقِدٌ أُطلِقا لي   يومَ راحا وكَبْلُهم محطومُ[4]

ورَهَنتُ اليدَينِ عنهمْ جميعاً   كلُّ كَفٍّ جُزءٌ لها مقسومُ[5]

وَسَطَت نِسبَتي الذَّوائبَ منهمْ   كلُّ دارٍ فيها أبٌ لي عظيمُ[6]

وأَبي في سُمَيحةَ القائلُ الفا   صِلُ يومَ الْتَقَت عليه الخُصومُ[7]

تلك أفعالُنا، وفِعلُ الزِّبَعرَى   خاملٌ في صَديقِه مذمومُ

---

(١) أي: لم تسبقها، وفي رواية «الديوان»: لم تَفُقها.

(٢) الجولان: هي الهضبة الواقعة جنوب غربيّ دمشق، والجابية المضافة إليها: هي المعروفة اليوم بتلّ الجابية، وتقع شمال غرب نوى.

والنعمان هذا: هو ابن الحارث بن أبي شمر الغسّاني أحد ملوك الغساسنة في أطراف الشام قبل الإسلام.

(٣) ابن سلمى: هو النعمان بن الحارث الغسّاني، كما في «نسب معدّ واليمن الكبير» لابن الكلبي ١/ ٤٠٧، قال: وقد قالوا: بل هو النعمان بن المنذر اللَّخمي.

والكُبول: القيود، واحدها: كَبْلٌ. ونعمان وأُبيّ وواقد الذين أُطلقوا لحسان: فهم نعمان بن مالك بن قَوقَل وأُبي بن كعب ووواقد بن عمرو ابن الإطنابة، ذكر ذلك البرقوقي في «شرح ديوان حسان» ص٣٧٧، وثلاثتهم من الخزرج رَهْط حسان بن ثابت.

(٤) محطوم، أي: مكسور.

(٥) أي: ضَمِنتهم عند النعمان، من قول الرجل لصاحبه: لك يدي بكذا وكذا.

(٦) وسطت: توسّطَت. والذوائب: الأعالي، أي: الأشراف.

(٧) سُميحة: بئر بالمدينة، كان عندها احتكام الأوس والخزرج في بعض حروبهم إلى ثابت ابن المنذر والد حسان بن ثابت.

رُبَّ حِلْمٍ أضاعَه عَدَمُ المـالِ، وجَهلٍ غَطَّى عليه النَّعيمُ

لا تَسُبَّنَّني فلستَ بسِبِّي — إنَّ سِبِّي من الرِّجالِ الكريمُ[1]

ما أُبالي أَنَبَّ بالحَزْنِ تَيسٌ — أمْ لَحَاني بظَهرِ غَيبٍ لئيمُ[2]

وَلِيَ البأسَ منكمُ إذْ رَحَلتُمْ — أُسرةٌ من بني قُصَيٍّ صَميمُ[3]

تِسعةٌ تَحمِلُ اللِّواءَ وطارَتْ — في رَعَاعٍ من القَنَا مخزومُ[4]

وأَقاموا حتّى أُبيحوا جميعاً — في مَقامٍ وكلُّهمْ مذمومُ[5]

بدَمٍ عانِكٍ[6] وكان حِفَاظاً — أن يُقيموا إنَّ الكريمَ كَريمُ

وأقاموا حتّى أُزِيروا شَعُوباً — والقَنَا في نُحورِهم محطومُ[7]

---

(١) السِّبّ: هو الذي يقاوم الرجلَ في السَّب، ويكون شرفه مثل شرفه.

(٢) نبَّ: صاح. والحَزْن: ما غَلُظ من الأرض. والتيس: أراد به تيسَ الجبل. ولَحَاني: شتمني وذكرني عائباً.

يقول: إنه يتساوى عندي نبيبُ التيس بالحَزْن وشتم اللئيم إيّايَ من ورائي، فإني لا أكترث به.

(٣) البأس: الحرب. والصميم: الخالص النَّسب. يريد التنويه ببني عبد الدار بن قصيٍّ حَمَلة لواء المشركين إذ صبروا يوم أُحد، ويريد التشهير ببني مخزومٍ إذ انهزموا.

(٤) الرَّعاع: الضعفاء. ومن القنا، أي: خوفاً من القنا، وهي الرِّماح.

(٥) حتى أُبيحوا، أي: حتى أُبيدوا وقُتلوا. وقوله: وكلهم مذموم، قال البرقوقيُّ في «شرحه»: يروى بالذال المعجمة ومعناه: يسيل دمه دون انقطاعٍ من قولهم: بئرٌ ذَمِيمة، أي: غزيرة المياه، ويروى بالدال المهملة، أي: جريح مطليّ بالدم.

(٦) هكذا في (ت) و(ش١) و(ص) و(غ)، ومعناه: أحمر، وفي (ي): عاتك، بتاءٍ، ومعناه: شديد الحُمرة، وفي (ز): عاند، أي: لا ينقطع. والحِفاظ: يعني به المحافظة على العهد والدفاع عن الحُرَم.

(٧) شَعُوبُ: اسم للمنيّة، لا يُصرَف، وإنما صُرِف هنا للضرورة الشِّعرية.

وقــريشٌ تَفِــرُّ منّــا لِــوَاذاً أن يُقِيمـوا وخَفَّ منهـا الحُلـومُ[1]

لـم تُطِـقْ حَملَـهُ العَواتِـقُ مـنهمْ إنّمـا يَحمِـلُ اللِّـواءَ النُّجـومُ[2]

قال ابن هشام: قال حسّانُ هذه القصيدةَ: مَنَعَ النّومَ بالعِشاءِ الهمومُ، ليلاً، فدعا قومَه فقال لهم: خَشِيتُ أن يُدرِكَني أَجَلي قبل أن أُصبِحَ فلا تَروُوها عنّي[3].

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدةَ للحَجّاج بن عِلَاطٍ السُّلَميّ يمدحُ أبا الحسن عليَّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، ويذكرُ قتلَه طلحةَ بن أبي طلحة بن عبد العُزّى بن عثمانَ بن عبد الدّار صاحبَ لواءِ المشركين يومَ أُحدٍ:

لله أيُّ مُــذبِّبٍ عــن حُرمــةٍ أَعني ابنَ فاطمـةَ المُعَمَّ المُخْوَلا[4]

سَـبَقَت يـداكَ لـه بعاجِـلِ طَعنـةٍ تَرَكَـت طُلَيحـةَ للجَبـينِ مُجَـدَّلا[5]

وشَـدَدتَ شَـدّةَ باسِـلٍ فكَشَـفتَهمْ بـالجَرِّ إذ يَهْـوُون أَخـوَلَ أَخـوَلا[6]

---

(١) لِواذاً: مستترين. والحُلوم: العُقول، الواحد: حِلْم.

(٢) العواتق: جمع عاتق، وهي هنا المرأة، يشير حسان إلى عَمْرةَ بنت علقمة الحارثية حين رفعت لواء قريش بعد أن قُتل حَمَلَتُه من بني عبد الدار كما تقدم ص٥٦. والنجوم هنا: الأشراف المشاهير من الناس.

(٣) قول ابن هشام هذا من (غ) ونسخة على حاشية (ش١).

(٤) المذبِّب: المدافع عن الشيء، يقال: ذَبَّب عن حُرَمه: إذا دفع عنها. وابن فاطمة: يريد عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فأمُّه هي فاطمة بنت أسد بن هاشم، قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٥٨: وهي أول هاشميّة وَلَدَت لهاشميّ.

ومُعَمٌّ مُخوَل، أي: كثير الأعمام والأخوال كريمُهم، يقالانِ بفتح العين والواو وبكسرهما، ومنع الأصمعيُّ الكسرَ فيهما.

(٥) المجدَّل: اللاصق بالأرض.

(٦) الباسل: الشجاع. والجرّ: أصل الجبل، ويعني به هنا جبل أُحد. ويهوون: يسقطون. =

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ يبكي حمزةَ بن عبد المُطَّلِب ومَن أُصيبَ من أصحاب رسول الله ﷺ يومَ أُحدٍ:

يــا مَــيَّ قُــومِي فانــدُبِي بسُــحَيرةٍ شَــجْوَ النّــوائحْ[1]

كالحــاملاتِ الــوِقرَ بالــ ـثِّقَــلِ المُلِحّــاتِ الــدَّوالحْ[2]

المُعْـــوِلاتِ الخامشـــا تِ وُجــوهَ حُــرّاتٍ صَــحائحْ[3]

وكــأنّ سَــيلَ دُموعِهــا الــ أنصــابُ تُخضَــبُ بالــذّبائحْ[4]

يَنقُضــنَ أشــعاراً لَهُــ ـنَّ هُنــاكَ باديــةَ المَســائحْ[5]

وكأنّهــا أذنــابُ خَيــ ـلٍ بالضُّــحَى شُــمْسٍ رَوامِــحْ[6]

مــن بــينِ مَشــرورٍ ومَجــ ـزُورٍ يُذَعــذَعُ بــالبَوارحْ[7]

= وأخوَلَ أخوَلاً، أي: واحداً بعد واحد.

(١) قوله: فاندبي بسُحيرة، وفي (ز) و(ش١): فاندُبِنَّ بسُحْرة، وفي (ي): فاندُبين بسُحرة، أي: ابكي وقت السَّحَر. والشَّجو: الحُزن.

(٢) الوِقْر: الحِمْل. والمُلحّات، أي: الثابتات التي لا تَبرح. والدوالح: جمع دالحة، وهي المُثقَلة.

(٣) المُعوِلات: الباكيات بصوت. والخامشات: الخادشات.

(٤) الأنصاب: حجارة كانوا يذبحون لها ويطلونها بالدم. وتُخضَب: تُطلَى.

(٥) المسائح: جدائل الشَّعر، الواحدة: مَسِيحة.

(٦) الشُّمس: النوافر، وهي جمع شَمُوس. والروامح: التي تَرمَح بأرجلها، أي: تدفع عنها.

(٧) مشرور (كما في: ز، ي) أي: مفرَّق، قال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ١٤٩: يقال: شَرَرتُ المِلحَ، إذا فرّقتَه. اهـ، وفي (غ) وحاشية (ش١): مشزور، ومعناه: مفتول، وفي (ت) و(ص) و(م) وحاشية (ز): مشذور، ولعلّ معناه: مفرَّق أيضاً. ومجزور: مذبوح. ويُذعذَع: يُفرَّق. والبوارح: الرياح الشديدة.

يَبكِــينَ شَــجْوَ مُســلَّبا تٍ كَــدَّحَتهُنّ الكَــوادِحْ [1]

ولقــد أصــابَ قلوبَهــا مَجْــلٌ لــه جُلَــبٌ قَــوارِحْ [2]

إذْ أَقصَــدَ الحَــدَثانُ مَــن كُنّــا نُرجِّــي إذْ نُشــايِحْ [3]

أصــحابَ أُحْــدٍ غــالَهمْ دَهــرٌ أَلَــمَّ لــه جَــوارحْ [4]

مَــن كــان فارِسَــنا وحــا مِيَنــا إذا بُعِــثَ المَســالِحْ [5]

يــا حَمْــزَ، لا واللهِ لا أنســاكَ مــا صُــرَّ اللَّقــائحْ [6]

لِمُنــاخِ أَيتــامٍ وأضيــ ــافٍ وأَرمَلــةٍ تُلامِــحْ [7]

ولِمَــا يَنُــوبُ الــدَّهرُ في حــربٍ لحــربٍ وهْــيَ لاقِــحْ [8]

يــا فارســاً يــا مِــدرَهاً يا حَمْزَ قد كنتَ المُصامِحْ [9]

---

(١) الشَّجو: الحُزن. والمسلَّبات ـ بفتح اللام وكسرها ـ: اللائي يلبسن السِّلَاب، وهي ثياب الحزن. وكدَّحتهن: أثَّرت فيهن. والكوادح: نوائب الدهر.

(٢) مَجْل، أي: جرح فيه ماء. وجُلَب: جمع جُلْبة، وهي قشرة الجرح التي تكون عند الشفاء منه. وقوارح: مُوجِعة.

(٣) أَقصَد: أصاب. والحَدَثان: حادث الدهر. ونُشايح: نحاذر.

(٤) غالَهم: أهلكهم. وألَمَّ: نزل.

(٥) المَسالح: القوم معهم السلاح يُقدِّمون طليعةً للجيش.

(٦) صُرَّ، أي: رُبطت ضروعها ليجتمع فيها اللَّبن. واللقائح: جمع لِقْحة، وهي الناقة التي لها لبنٌ.

(٧) المُناخ: المنزل. وتلامح، أي: تنظر بعينيها نظراً سريعاً ثم تغضّها.

(٨) ينوب الدهر، أي: ما يأتي به الدهر من النوائب، وهي الشدائد والمصائب. واللَّاقح من الحروب: التي يتزايد شرُّها.

(٩) المِدرَه: المدافع عن القوم بلسانه ويده. والمصامح: المدافع الشديد، ويروى بالفاء: =

عنّـــا شَــديداتِ الخُطـــو بِ إذا يَنُـــوبُ لهــنَّ فــادِحْ[1]

ذَكّرتَنـــي أسَـــدَ الرَّسُـــو لِ، وذاكَ مِــدرَهُنا المُنــافِحْ[2]

عنّــــا وكـــان يُعَـــدُّ إذْ عُـدَّ الشَّـريفُونَ الجَحـاجِحْ[3]

يَعلُـــو القَمــاقِمَ جَهْــرةً سَبْطَ اليـدَينِ أغَـرَّ واضِـحْ[4]

لا طـــائشٌ رَعِـــشٌ ولا ذو عِلّـــةٍ بالحِمْـــلِ آنِـــحْ[5]

بحـــرٌ فلـــيس يُغِـــبُّ جـــا راً منـــه سَـــيْبٌ أو مَنــادِحْ[6]

أَودَى شَــبابُ أُولِـي الحَفـا ئـظِ والثَّقِيلـونَ المَــراجِحْ[7]

المُطعِمـــــونَ إذا المَشَـــا تِي مـــا يُصـــفِّقُهُنَّ ناضِـــحْ[8]

= المصافح، وهو الرادُّ للشيء، تقول: أتاني فلان فصَفَحتُه عن حاجته، أي: رَدَدته عنها.

(١) الفادح: الثقيل الشديد.

(٢) المنافح: المدافع عن القوم، وكان حمزة ينافح عن رسول الله ﷺ.

(٣) الجحاجح: جمع جَحْجاح، وهو السيِّد.

(٤) القماقم: السادة، وسَبْط اليدين: جواد، ويقال للبخيل: جَعْد اليدين. وأغرُّ: أبيض. وواضح: مضيء مشرق.

(٥) الطائش: الخفيف الذي ليس له وَقارٌ. ورَعِش، أي: جبان. والآنح: البعير الذي إذا حمل الشيء الثقيل أخرج من صدره صوت المعتصِر.

(٦) يُغِبّ: من الغبِّ، وهو أن يعطيه يوماً ويتركه يوماً. والسَّيب: العطاء. والمنادح: جمع مَندَحة، وهي الكَثْرة والسَّعَة، ويروى: منائح، والمنائح: العطايا.

(٧) أَودى: هَلَك. والحفائظ: جمع حفيظة، وهي الغضب. والمراجح: الذين يزيدون على غيرهم في الحِلْم.

(٨) المشاتي: جمع مَشْتاة، وهي زمن الجَدْب. وما يُصفّقهن، أي: ما يحلبهن مرّة واحدة في اليوم، ومن رواه: ما يصفّفهن، بالفاء، فمعناه: ما يحلبهن بجميع الكفّ. والناضح: الذي يشرب دون الرِّيّ.

لحـــمَ الجِــلَادِ وفَوقَـــهُ ... مـن شَـحمِه شُـطَبٌ شَـرائحْ[1]
ليُـــدافِعوا عـــن جـــارِهمْ ... ما رامَ ذو الضِّغْنِ المُكاشِحْ[2]
لَهْفـــي لشُـــبّانٍ رُزِئْـــ ... ـنـاهمْ كـــأنّهمُ المَصـــابِحْ[3]
شُـــمٌّ بَطارِقَـــةٍ غَطـــا ... رِفَـــةٍ خَضـــارِمةٍ مَســـامِحْ[4]
المُشْـــتَرونَ الحَمْـــدَ بالْـــ ... أَمْـــوالِ إنَّ الحمـــدَ رابِـــحْ
والجـــامِزُونَ بلُجْمِهِـــمْ ... يومـاً إذا مـا صـاحَ صـائحْ[5]
مَـــن كـــان يُرمَـــى بـــالنَّوا ... قِـرِ مـن زمـانٍ غيـرِ صـالحْ[6]
مـــا إنْ تَـــزالُ رِكابُـــهُ ... يَرسُـمنَ في غُبْـرٍ صَحاصِـحْ[7]
راحَـــتْ تَبـــارَى وهْـــوَ في ... رَكْـبٍ صُـدورُهمُ رَواشِـحْ[8]

---

(١) الجِلاد: الإبل القوية، أو الغزيرة اللبن. والشُّطَب: جمع شَطْبة، وهي قطعة من سنام البعير تُقطَع طولاً.

(٢) ما رامَ، أي: إذا أراد. والضِّغن: العداوة. والمكاشح: المعادي.

(٣) رُزِئناهم: أُصبنا بهم وفقدناهم.

(٤) شُمّ: أعزّاء. وبطارقة: رؤساء. وغطارفة: سادة. والخضارمة: الذين يُكثِرون العطاء. والمَسامح: الأجواد.

(٥) الجامزون: الواثبون. ولُجْم: جمع لِجام، وهو بضم الجيم وسُكّن للشِّعر، وهو الحبل الذي يوضع في فم الخيل.

(٦) النواقر: غوائل الدهر التي تنقِّر عن الإنسان، أي: تبحث عنه، ويروى: البواقر، بالباء، وهي الدواهي.

(٧) الرِّكاب: الإبل. ويَرسُمن، من الرَّسْم: وهو ضربٌ من سير الإبل. والصحاصح: جمع صَحصَح، وهو الأرض المستوية الملساء.

(٨) تَبارَى، أي: تتبارى، أي: تتعارض. ورواشح، أي: أنها تَرشَح بالعَرَق.

حتّـى تـؤُوبَ لـه المَعـا لـي لـيس مِـن فَـوْرِ السَّـفائحْ[1]

يـا حَمْـزَ قـد أوحَـدْتَني كـالعُودِ شَـذَّبه الكَـوافِحْ[2]

أشـكو إليـكَ وفوقَـكَ الـ ـتُّـربُ المُكـوَّرُ والصَّـفائحْ[3]

مـن جَنـدَلٍ نُلقِيـهِ فَـو قَكَ إذْ أجادَ الضَّرحَ ضارِحْ[4]

في واسِـعٍ يَحشُـونَهُ بـالتُّربِ سَـوَّتْه المَماسِـحْ[5]

فعَزاؤُنـا أنّـا نَقـو لُ وقولُنـا بَـرْحٌ بَـوارِحْ[6]

مَـن كـان أَمسى وهْـوَ عمّـا أَوقَـعَ الحَـدَثانُ جـانِحْ[7]

فليَأتِنـا فلتَبـكِ عَيْـ ـنـاهُ لهَلْكانـا النَّـوافِحْ[8]

القـائلِينَ الفـاعلِينَ ذَوِي السَّماحةِ والمَمـادِحْ

مَـن لا يَـزالُ نَـدَى يَدَيـ ـهِ لـه طَـوَالَ الـدَّهرِ مـائحْ[9]

---

(١) تؤوب: ترجع. والسفائح: جمع سَفِيح، وهو من قِداح المَيسِر. وفَورُها ـ بالراء ـ: حركتها قبل أن تسكن. يقول: إن المعالي ترجع تأوي إليه، فهي من طبعه وفعاله وليست ضربة حظٍّ من قداح حُرِّكت في مَيسِر، والله تعالى أعلم.

(٢) شذَّبه: أزال أغصانه وشوكه. والكوافح: الذين يتناولونه بالقطع.

(٣) المكوَّر: الذي بعضه فوق بعض. والصفائح: الحجارة العريضة.

(٤) الجندل: الحجارة. والضَّرح: الشَّق، ويعني به شَقَّ القبر.

(٥) يحشونه: يملؤونه. والمماسح: ما يُمسح به التراب ويُسوّى.

(٦) البَرْح: الأمر الشاقّ.

(٧) الحَدَثان: حادث الدهر. والجانح: المائل إلى جهة.

(٨) النوافح: الذين كانوا يَنفَحون بالمعروف، أي: يُعطُون العطاءَ ويَسعَون به.

(٩) المائح: الذي ينزل في البئر فيملأ الدَّلو إذا كان ماؤها قليلاً، ويروى: الماتح، بالتاء، أي: الذي يَجذِب الدَّلو عليه، فضربهما مثلاً للقاصدين له، الذين يتقصَّدون معروفَه.

قال ابن هشام: وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها لحسّان، وبيتُه: المُطعِمون إذا المَشَاتي، وبيتُه: والجامِزُون بلُجْمِهم، وبيتُه: مَن كان يُرمَى بالنّواقر، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً يبكي حمزةَ بن عبد المُطَّلِب[1]:

أتعـرِفُ الـدّارَ عَفَـا رَسْـمَها ... بعدَكَ صَوْبُ المُسبِلِ الهاطِلِ[2]

بـينَ السَّـراديحِ فأُدمانِـهِ ... فمَـدفَعِ الرَّوحـاءِ في حائـلِ[3]

سـاءَلْتُها عـن ذاكَ فاستَعجَمَت ... لـم تَـدْرِ مـا مَرجُوعـةُ السّـائلِ[4]

دَعْ عنـكَ داراً قـد عَفَـا رَسْـمُها ... وابْـكِ علـى حمـزةَ ذي النّائـلِ[5]

المـالِئِ الشِّـيزَى إذا أعصَـفَت ... غَبْـراءُ في ذي الشَّـبَمِ الماحـلِ[6]

---

(١) انظر «ديوان حسان» ١/ ٣٢١.

(٢) عفا: مَحَا وغيّر. والرَّسم: الأثر. والصَّوب: المطر. والمُسبِل: المطر السائل. والهاطل: الكثير السَّيلان.

(٣) سراديح: جمع سِرداح، وهو الوادي، أو المكان المتّسع. والمَدفَع: الموضع الذي يندفع فيه السَّيل.

وأما أُدْمان: فهو اسم شِعب قريب من بدر، بينهما ثلاثة أميال.

والروحاء: تقع في الجنوب الغربي من المدينة على قرابة ٧٠ كم على الطريق إلى بدر.

وحائل: اسم جبل فيما قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٦٢.

(٤) استعجمت، أي: لم تردَّ جواباً. ومرجوعة السائل: يعني به رجوع الجواب.

(٥) النائل: العطاء.

(٦) الشِّيزى: قِصَاع من خشب يقدَّم فيها الطعام للأضياف. وأَعصَفَت: اشتدّ هبوبها. والغبراء: الريح التي تثير الغبار. والشَّبَم: البَرْد، ويريد بذي الشَّبم: زمن اشتداد البرد والقحط. والماحل: من المَحْل، وهو الجَدْب.

والتّـاركِ القِـرْنَ لَـدَى لِبْـدةٍ ... يَعثُـرُ في ذي الخُـرُصِ الـذّابلِ[1]

واللّابسِ الخيـلَ إذا أَجحَمَـت ... كاللَّيْـثِ في غابتِـهِ الباسِـلِ[2]

أبـيَضُ في الـذِّرْوةِ مـن هاشـمٍ ... لـم يَمْـرِ دونَ الحـقِّ بالباطـلِ[3]

مـالَ شـهيداً بـين أسـيافِكمْ ... شَـلَّتْ يَـدَا وَحْشـيَّ مِـن قاتـلِ[4]

أيَّ امـرِئٍ غـادَرَ في أَلّـةٍ ... مَطـرُورةٍ مارِنَـةِ العامـلِ[5]

أظلَمَـت الأرضُ لِفقْدانِـهِ ... واسـوَدَّ نـورُ القمـرِ النّاصـلِ[6]

صَـلَّى عليـه اللهُ في جَنّـةٍ ... عاليـةٍ مُكرَمـةِ الـدّاخلِ

كنّـا نَـرَى حمـزةَ حِـرْزاً لنـا ... في كـلِّ أمـرٍ نابَنـا نـازِلِ[7]

---

(١) القِرن: الكفء في الشجاعة. واللِّبدة: الغبار المتلبّد، ويروى: لدى لبدِه، بالهاء، واللِّبد: ما يوضع فوق الفرس تحت السّرج. وذو الخُرص: الرّمح، والخُرص: سِنانُه. والذابل: الرقيق الشديد.

(٢) اللابس الخيلَ، أي: الذي يخالطها ويغشاها في ساحة الوغى. وأجحَمَت، وفي (م): أحجمت، وقيِّد في (ش١) بالوجهين: تأخّرت وهابت. والباسل: الكريه الشديد.

(٣) أبيض: يريد بياض عِرضه ونقاءَه. وفي الذّروة من بني هاشم، أي: في المنزلة الرفيعة منها. لم يَمْرِ: من المِراء، وهو الجِدال، أي: لا يدفع حقّاً بباطل.

(٤) ترك التنوين من وحشيٍّ للضرورة، والعَلَم قد يُترَك صرفُه كثيراً. قاله السهيليُّ في «الروض الأنف» ٦/ ١٥١.

(٥) والألّة: الحَرْبة لها سِنان طويل. والمطرورة: المحدَّدة. ومارنة، أي: ليّنة. والعامل: أعلى الرمح.

وفي «الديوان»: إن امرأً غُودِر في ألّة. ومعنى غُودر: تُرِك.

(٦) الناصل: الخارج من السّحاب، يقال: نَصَلَ القمرُ من السحاب، إذا خرج منه.

(٧) حِرزاً: حافظاً. ونابنا: أصابنا.

وكــان في الإســلامِ ذا تُــدْرَأٍ ... يَكْفيـكَ فَقْـدَ القاعـدِ الخـاذلِ(١)
لا تَفرَحي يا هِندُ واستَحْلِبي ... دمعـاً وأَذْرِي عَبْـرةَ الثّاكـلِ(٢)
وابكـي علـى عُتْبـةَ إذْ قَطَّـهُ ... بالسّيفِ تحت الرَّهَجِ الجائـلِ(٣)
إذا خَـرَّ في مَشْـيَخةٍ مـنكمُ ... مـن كـلِّ عـاتٍ قَلبُـه جاهـلِ(٤)
أَرْداهـمُ حمـزةُ في أُسـرةٍ ... يَمشُون تحت الحَلَقِ الفاضلِ(٥)
غَـداةَ جِبريـلُ وَزِيـرٌ لـهُ ... نِعـمَ وزيـرُ الفـارسِ الحامـلِ(٦)

وقال كعبُ بن مالكٍ يبكي حمزةَ بن عبد المُطَّلِب:

طَرَقَـت همومُـك فالرُّقـادُ مُسـهَّدُ ... وجَزِعـتَ أن سُلِخَ الشَّبابُ الأَغيَدُ(٧)
ودَعَـتْ فُـؤادَكَ للهَـوَى ضَـمْريَّةٌ ... فهَـوَاكَ غَـوْرِيٌّ وصَـحْبُكَ مُنجِـدُ(٨)

---

(١) ذا تُدرَأ، أي: ذا قوة على دفع أعدائه، لا يتوقّاهم ولا يهابهم.

(٢) هند: هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، زوج أبي سفيان.

وقوله: استحلبي دمعاً، أي: اسكبيه واذرفيه. وأَذري: صُبّي. والعَبْرة: الدمعة. والثاكل: الفاقد لحبيبه.

(٣) قطَّه: قَطَعه. والرَّهَج: الغبار. والجائل: المتحرك ذاهباً راجعاً.

(٤) خرَّ: سقط. ومشيخة: يريد من قتل يوم بدر من عِلْية قريش. والعاتي: الشديد الفساد المتمرد الذي لا يقبل موعظة.

(٥) أرداهم: أهلكهم. والأسرة: عشيرة الرجل ورهطه. والحَلَق: الدروع. والفاضل: الذي يفضل من الدرع وينجرّ على الأرض.

(٦) وزير، أي: مُعِين. والحامل: الذي يحمل عن الناس ما يهمّهم.

(٧) طَرَقَت، أي: زارته ليلاً. والمسهَّد: القليل النوم. وسُلِخ: أُزيل. والأَغيَد: الناعم.

(٨) ضمريّة: امرأة منسوبة إلى بني ضمرة. وغَوريّ: نسبة إلى الغَور، وهو المنخفض من الأرض. ومُنجِد: نسبة إلى النَّجد، وهو المرتفع عمّا حوله من الأرض.

فَدَعِ التَّمادي في الغَوَايةِ سادِراً قد كنتَ في طَلَبِ الغَوَايةِ تُفنَدُ[1]

ولقد أَنَى لك أن تَناهَى طائعاً أو تَستفِيقَ إذا نَهاكَ المُرشِدُ[2]

ولقد هُدِدتُ لفَقْدِ حمزةَ هَدّةً ظَلَّت بَناتُ الجَوفِ منها تُرعَدُ[3]

ولوَ انَّهُ فُجِعَت حِراءُ بمِثلِهِ لَرأيتَ راسِيَ صَخرِها يَتَبَدّدُ[4]

قَرْمٌ تَمكَّنَ في ذُؤابةِ هاشمٍ حيثُ النُّبوّةُ والنَّدَى والسُّودَدُ[5]

والعاقِرُ الكُومَ الجِلادَ إذا غَدَتْ ريحٌ يكادُ الماءُ منها يَجمُدُ[6]

والتّاركُ القِرْنَ الكَمِيَّ مُجدَّلاً يومَ الكَريهةِ والقَنا يَتقصَّدُ[7]

وتَراه يَرفُلُ في الحديدِ كأنَّهُ ذو لِبْدةٍ شَثْنُ البَراثِنِ أَربَدُ[8]

---

(١) الغَواية: الضلال. والسادر: المتحيِّر. وتُفنَد: تُلام وتُكذَّب.

(٢) أَنَى: حان. وتَناهى، أي: تتناهى، فحذف تاء المضارع، وتناهى عن الشيء: كفَّ عنه.

(٣) بنات الجوف: يعني قلبه وما اتّصل به من كبده وأمعائه، وسمّاها بنات الجوف، لأن الجوف يشتمل عليها.

(٤) حراء: الجبل المعروف بمكة، وأنّثه هنا حملاً على البُقعة. والرَّاسي: الثابت. ويتبدّد، أي: يتفرّق.

(٥) القَرْم: السيّد الشريف. وذؤابة بني هاشم: أعاليهم. والنّدى: الكرم. والسُّودَد: السيادة والشرف.

(٦) العاقر: يعني الذابح والناحر. والكُوم: جمع كَوماء، وهي العظيمة السّنام من الإبل. والجِلاد: الإبل القوية، أو الغزيرة اللبن. يقول: إنه كان يُطعِم في زمن القحط والجفاف.

(٧) القِرن: النظير في الشجاعة. والكَميّ: الشجاع. ومجدَّلاً: مطروحاً على الجَدَالة، وهي الأرض. والقنا: الرماح. ويتقصد: ينكسر.

(٨) يرفل: يجرّ. ذو لبدة: يعني أَسداً، واللِّبدة: الشعر الذي على كتفي الأسد. وشَثْن: غليظ. والبراثن للسِّباع بمنزلة الأصابع للناس. والأَربَد: الأغبر يخالطه سواد.

عَمُّ النبيِّ محمّدٍ وصَفِيُّهُ ... وَرَدَ الحِمامَ فطابَ ذاكَ المَوردُ[1]

وأَتى المَنيَّةَ مُعلِماً في أُسْرةٍ ... نَصَروا النبيَّ ومنهم المُستشهَدُ[2]

ولقد إِخَالُ بذاكَ هِنداً بُشِّرَت ... لتُميتَ داخلَ غُصّةٍ لا تَبْرُدُ[3]

مِمّا صَبَحْنا بالعَقَنقَلِ قومَها ... يوماً تَغيَّبَ فيهِ عنها الأَسعَدُ[4]

وببئرِ بدرٍ إذ يَرُدُّ وُجوهَهمْ ... جِبريلُ تحتَ لوائِنا ومحمّدُ

حتّى رأيتُ لَدَى النبيِّ سَراتَهمْ ... قِسمَينِ يَقتُلُ مَن يَشاءُ ويَطرُدُ[5]

فأقامَ بالعَطَنِ المُعطَّنِ منهمُ ... سبعونَ عُتْبةُ منهمُ والأسوَدُ[6]

وابنَ المُغيرةِ قد ضَرَبْنا ضربةً ... فوقَ الوَريدِ لها رَشَاشٌ مُزبِدُ[7]

وأُميّةُ الجُمَحيُّ قَوَّمَ مَيلَهُ ... عَضْبٌ بأيدي المؤمنينَ مُهنَّدُ[8]

فأَتاكَ فَلُّ المشركينَ كأنَّهمْ ... والخيلُ تَثفِنُهمْ نَعَامٌ شُرَّدُ[9]

---

(١) صفيّه: صاحبه الذي اختاره واصطفاه. والحِمام: الموت.

(٢) مُعلِماً: مُشهِراً نفسه بعلامة يعرف بها في الحرب. والأُسرة: الرَّهط.

(٣) إخال، بكسر الهمزة وفتحها: أظنّ. والغُصّة: ما يعترض في الحلق فيَشرَق به. وقوله: لا تبرد، أي: لا ينتهي حزنها أبداً.

(٤) العقنقل: التلّ من الرمل. والأسعد: السَّعد والسرور.

(٥) سَراتهم: خِيارهم وسادتهم.

(٦) العطن: مبرك الإبل حول الماء، يريد بئر بدر. والمعطن: الذي قد اعتيد أن يُتَّخذ عطناً. وعتبة: هو ابن ربيعة بن عبد شمس والد هند، والأسود: هو ابن عبد الأسد المخزومي.

(٧) ابن المغيرة: يريد عمرو بن هشام بن المغيرة أبا جهل. والوريد: عرق في جانب العنق. والرَّشاش المُزبِد: الدم تعلوه رَغْوة.

(٨) العَضْب: السيف القاطع. والمهنَّد: المصنوع من حديد الهند.

(٩) الفَلّ: القوم المنهزمون. وتثفنهم: تطردهم وتتبع آثارهم.

شَتّانَ مَن هوَ في جهنّمَ ثاوِياً أبداً ومَن هوَ في الجِنانِ مُخلَّدُ[1]

وقال كعبٌ أيضاً يبكي حمزةَ[2]:

صَفيَّةُ قومي ولا تَعجِزي وبَكِّي النّساءَ على حمزةِ[3]

ولا تسأَمي أن تُطِيلي البُكَا على أسَدِ الله في الهَزَّةِ[4]

فقد كان عِزّاً لأيتامِنا وليثَ المَلاحمِ في البِزَّةِ[5]

يريدُ بذاكَ رِضا أحمدٍ ورِضوانَ ذي العَرشِ والعِزّةِ

وقال كعبٌ أيضاً في أُحدٍ[6]:

إنّكِ عَمْرُ أبيكِ الكَريـ ـمِ إنْ تَسأَلي عنكِ مَن يَجتَدينا[7]

فإنْ تَسأَلي ثُمّ لا تُكذَبي يُخبِّرْكِ مَن قد سألتِ اليَقِينا

بأنّا لَياليَ ذاتِ العِظا مِ كُنّا ثِمالاً لمَن يَعترينا[8]

تَلوذُ النَّجُودُ بأَذْرائِنا مِن الضُّرِّ في أَزَماتِ السِّنِينا[9]

(١) شتّان، أي: بَعُدَ ما بينهما. وثاوياً، أي: مقيماً.

(٢) انظر «ديوانه» صنعة مجيد طراد ص٣١.

(٣) بكِّي النساء، أي: هيِّجيهنّ على البكاء.

(٤) الهزة: الاهتزاز والاختلاط في الحرب.

(٥) الملاحم: جمع ملحمة، وهي الحرب التي يكثر القتل فيها. والبِزّة: السلاح.

(٦) انظر «ديوانه» ص١٠١.

(٧) عَمرُ أبيك، قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٦٦: يجوز فيه الرفع والنصب، وإذا أدخلت عليه اللام فقيل: لعَمرُ أبيك، لم يجز فيه إلا الرفع. ويجتدينا: يطلب معروفنا.

(٨) ليالي ذات العظام: ليالي الجوع التي تجمع فيها العظام فتطبخ، فيستخرج دهنها فيُؤتدَم به. والثِّمال: الغِياث. ويعترينا: يزورنا.

(٩) النَّجود، بفتح النون: المرأة المكروبة، ويروى: البُجُود (كما في: غ): وهو جمع بَجْد، =

بجَـدْوى فُضـولِ أُولـي وُجْـدِنا وبالصّبـرِ والبَـذْلِ في المُعـدِمينا[1]
وأَبقَـتْ لنـا جَلَمـاتُ الحُـرو بِ ممَّـن نُـوازِي لَـدُنْ أنْ بُرِينـا[2]
مَعـاطِنَ تَهـوِي إليهـا الحُقـو قُ يَحسِـبُها مَـن رَآهـا الفَتِينـا[3]
تُخـيَّسُ فيهـا عِتـاقُ الجِمـا لِ صُـحْماً دَواجِـنَ حُمْـراً وجُونـا[4]
ودُفّـاعُ رَجْـلٍ كمَـوجِ الفُـرا تِ يَقـدُمُ جَـأْواءَ جُـولاً طَحُونـا[5]
تَـرَى لونَهـا مِثـلَ لـونِ النّجـو مِ رَجْراجـةً تُبْـرِقُ النّاظِرينـا[6]
فـإن كُنـتَ عـن شَـأنِنا جـاهلاً فسَـلْ عنـكَ ذا العِلـمِ ممَّـن يَلِينـا
بنـا كيـفَ نَفعـلُ إن قَلَّصَـتْ عَوَاناً ضَرُوساً عَضُوضاً حَجُونا[7]

= وهو الجماعة من الناس. وبأَذرائنا، أي: بنواحينا، واحدها: ذَرًى. والأَزَمات: الشدائد.

(١) الجدوى: العطيّة. والفضول: جمع فَضْل، وهو هنا ما زاد من المال. وأُولي وُجدنا: أصحاب الأموال الواسعة منا، والوُجْد: سَعَة المال.

(٢) جَلَمات الحروب: يعني ما أبقت الحروب من المال. ونوازي: نساوي. وبُرِينا: خُلقنا، وأصله الهمز فسُهِّل.

(٣) المعاطن: مواضع الإبل حول الماء، وأراد بها هنا الإبل بعينها. والفَتين: الحِرار، وهي الأراضي التي فيها حجارة سُود، سميت بذلك لأنها تشبه ما فُتِن بالنار، أي: أحرق.

(٤) تُخيَّس: تذلَّل. والعِتاق: الكريمة الأصل. والصُّحم: السُّود. والدواجن: المُقيمة بين الناس. والجُون: السُّود، وقد تكون البيض أيضاً، وهو من الأضداد.

(٥) الدَّفّاع: ما يندفع من السَّيل، شبَّه كثرةَ الرَّجْل به، والرَّجل: الرَّجّالة. والفرات: اسم نهر. والجَأْواء: الكتيبة التي لونها بين السَّواد والحُمرة من كثرة السلاح فيها. والجُول: الحركة والاضطراب. والطَّحون: التي تُهلِك ما مرّت به.

(٦) الرجراجة: التي يموج بعضها في بعض. وتُبرق، أي: تحيِّر وتُبهِت .

(٧) قلَّصت، أي: صارت قَلُوصاً، والقَلُوص في الأصل: الناقة الشابّة الشديدة، وهي هنا كناية عن الشدّة في الحرب. والعَوَان: الحرب التي قوتل فيها مرّةً بعد مرّة. والضَّروس: الشديدة =

أَلَسْــنا نَشُــدُّ عليهــا العِصــا ... بَ حتّــى تَــدُرَّ وحتّــى تَلِينــا[1]

ويــوم لــه رَهَــجٌ دائــمٌ ... شــديدُ التّهــاوُلِ حــامِي الإرِينــا[2]

طويــلٌ شــديدُ أُوَارِ القِتــا ... لِ تَنْفــي قَــواحِزُه المُقْرِفينــا[3]

تَخــالُ الكُمــاةَ بأعراضِــهِ ... ثِمــالاً علــى لَــذّةٍ مُتْرَفينــا[4]

تَعــاوَرُ أَيمــانُهمْ بيــنَهمْ ... كُـؤوسَ المَنايَـا بحَـدِّ الظُّبِينـا[5]

شَــهِدْنا فكُنّــا أُولِــي بأسِــهِ ... وتحــتَ العَمَايــةِ والمُعلِمينــا[6]

بخُـرْسِ الحَسيسِ حِسانٍ رِواءٍ ... وبُصْـريَّةٍ قـد أَجِمْـنَ الجُفُونـا[7]

= الفتّاكة. والعَضُوض: الكثيرة العضّ، كناية عن الشدة. والحَجُون: المعوجّة الأسنان.

(١) العِصاب: ما يُعصَب به ضَرْع الناقة ليزيد دَرُّه، قال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ١٥٥: هذا كله من صفة الحرب، شبَّهها بناقة صعبة قلَّصت، أي: صارت قَلُوصاً، أي: إنّا نذلِّل صعبَها، ونليِّن من ضِراسها.

(٢) الرَّهج: الغبار، ويروى: الوهج، وهو الحَرّ. والتهاول: الهول والشدة.

والإرِين: جمع إرَةٍ، وهي الحفرة التي توقد فيها النار، وقد جُمع كجمع المذكَّر السالم، لأنه مؤنَّث محذوف اللام ولام فعله حرف علّة. قاله السهيليُّ.

(٣) الأُوار: الحرّ. والقواحز: من القَحْز، وهو القلق وعدم التثبّت. والمُقرِفون: اللِّئام.

(٤) الكُماة: الشجعان. وبأعراضه، أي: بنواحيه، وثِمالاً: سُكارى. ومترفينا: جمع مُترَف، وهو المُسرِف في التنعّم، ويروى: مُنزِفينا، أي: ذهبت الخمرُ بعقولهم.

(٥) تعاوَرُ: تتداوَلُ. والظُّبين: جمع ظُبَة، وهي حدُّ السيف.

(٦) أُولي: أصحاب. والعَمَاية، وفي (ش١) و(ي): الغَمامة، وكلاهما بمعنًى، وهي السَّحابة. والمُعلِمون: من يُعلِمون أنفسهم بعلامة في الحرب يعرفون بها.

(٧) الخُرْس: التي لا صوت لها، ويعني بها هنا السيوف. ورِواءً، أي: ممتلئة من الدم. وبُصريّة: سيوف منسوبة إلى بُصرَى، مدينة بالشام. وأَجِمن: مَلَلن وكَرِهن. والجفون: أغماد السيوف.

فمـــا يَـــنفَلِلنَ ومـــا يَنحَنِـــينَ ... ومـــا يَنتَهِـــينَ إذا مـــا نُهِينـــا[1]

كبَـرْقِ الخَريـفِ بأَيـدي الكُمـاةِ ... يُفجِّعـنَ بالطَّـلِّ هامـاً سُـكونا[2]

وعَلَّمَنـــا الضَّـــربَ آباؤُنـــا ... وســوفَ نُعلِّــمُ أيضــاً بَنِينــا

جِـــلادَ الكُمـــاةِ وبَـــذْلَ الـــتِّلا ... دِ عـن جُـلِّ أحسـابِنا مـا بَقِينـا[3]

إذا مَـــرَّ قَـــرْنٌ كَفَـــى نَســـلُهُ ... وأَورَثَـــهُ بعـــدَه آخَرِينـــا[4]

نَشِـــبُّ وتَهلِـــكُ آباؤُنـــا ... وبَيْنـــا نُرَبّـــي بَنِينَـــا فَنِينـــا

سـألتُ بـكَ ابـنَ الزِّبَعـرَى فلَـمْ ... أُنبَّـــأْكَ في القَـــومِ إلّا هَجِينـــا

خَبيثـاً تُطِيـفُ بـك المُنـدِياتُ ... مُقِيماً على اللُّؤمِ حِيناً فحِينا[5]

تَبجَّســتَ تَهجُــو رســولَ المَلِيــ ... ــكِ قاتَلَــك اللهُ جِلْفــاً لَعِينــا[6]

تقــولُ الخَنَــا ثــمَّ تَرمِــي بــهِ ... نَقــيَّ الثِّيــابِ تَقيّــاً أَمِينــا[7]

قال ابن هشام: أنشَدَني بيتَه: بنا كيفَ نَفعلُ، والبيتَ الذي يَليهِ والبيتَ الثّالثَ منه وصَدْرَ الرّابع، وبيتَه: نَشِبُّ وتَهلِكُ آباؤُنا، والبيتَ الذي يَليه، والبيتَ الثّالثَ منه، أبو زيدٍ الأنصاريُّ.

---

(١) ينفللن، أي: تنكسر حدودهنّ، يقال: انفلَّ السيفُ، إذا انكسر حدُّه من شدة الضرب.

(٢) الكُماة: الشجعان. والطَّل: ما سال من دمهم ولم يؤخذ له بثأر، وفي (ش١) و(غ): بالظِّل، بظاء، أي: ظلال السيوف. والهام: جمع هامَة، وهي الرأس. وسكوناً: جمع ساكنة، وهو خلاف الحركة والاضطراب.

(٣) الجلاد: المضاربة بالسيوف. والتِّلاد: المال القديم. وجُلُّ الشيء: معظمه.

(٤) القَرْن: الأُمّة من الناس، وبكسر القاف: الذي يقاوم نظيره في شدّة أو قتال أو عِلم.

(٥) المُندِيات: المخزيات يَندَى منها الجبين، والأمور الشَّنيعة.

(٦) تبجّستَ: نطقتَ وأكثرتَ كما يتبجّس الماءُ؛ إذا تفجّر وسال. والجِلف: الغليظ الجافي.

(٧) الخنا: الكلام الذي فيه فُحش. وأراد بنقيّ الثيابِ رسولَ الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن مالكٍ أيضاً في يوم أُحدٍ:

سائِلْ قريشاً غَداةَ السَّفحِ من أُحُدٍ ... ماذا لَقِينا وما لاقَوْا من الهَرَبِ[1]

كنّا الأُسودَ وكانوا النُّمْرَ إذْ زَحَفوا ... ما إن نُراقِبُ من إلٍّ ولا نَسَبِ[2]

فكم تَرَكْنا بها من سيِّدٍ بَطَلٍ ... حامي الذِّمارِ كريمِ الجَدِّ والحَسَبِ[3]

فينا الرّسولُ شِهابٌ ثَمَّ نَتبَعُهُ ... نورٌ مُضِيءٌ له فضلٌ على الشُّهُبِ

الحقُّ مَنطِقُه والعَدلُ سِيرتُهُ ... فمَن يُجِبْه إليه يَنجُ من تَبَبِ[4]

نَجْدُ المُقدَّمِ ماضي الهَمِّ مُعتزِمٌ ... حين القلوبُ على رَجْفٍ من الرُّعُبِ[5]

يَمضي ويَذمُرُنا عن غيرِ معصيةٍ ... كأنّه البدرُ لم يُطبَعْ على الكَذِبِ[6]

بَدَا لنا فاتّبَعناه نُصدِّقُهُ ... وكذَّبوه فكنّا أسعَدَ العربِ

جالُوا وجُلْنا فما فاؤُوا وما رَجَعوا ... ونحنُ نَثْفِنُهمْ لم نَألُ في الطَّلَبِ[7]

ليسا سَواءً وشَتَّى بين أمرِهما ... حِزبُ الإلٰهِ وأهلُ الشِّركِ والنُّصُبِ[8]

قال ابن هشام: أنشدني من قوله: يمضي ويَذمُرنا إلى آخرِها، أبو زيدٍ الأنصاريُّ.

---

(١) السفح: جانب الجبل مما يلي أصله.

(٢) النُّمر: جمع نَمِرٍ، وهو معروف. والإلّ: العهد والقرابة. يقول: كان القتال دائراً بين هؤلاء الشجعان لا ينظرون إلى الأحساب والأنساب.

(٣) الذِّمار: ما يجب على الرجل أن يحميه من عِرض ومال وغيرهما.

(٤) التَّبب: الهلاك والخسران.

(٥) النَّجد: الشجاع، ونجد المقدَّم، أي: شجاع مِقدام غير هيّاب صاحب نَجْدة. والرَّجف: الاضطراب والارتجاف. والرُّعب: الفزع.

(٦) يذمرنا: يحضُّنا. ولم يطبع، أي: لم يُخلَق.

(٧) جالوا: تحرّكوا. وفاؤوا: رَجَعوا. ونثفنهم: نطردهم ونتبع آثارهم. ولم نألُ: لم نقصّر.

(٨) النُّصب: ما نُصِبَ وعُبِد من دون الله تعالى.

قال ابن إسحاق: وقال عبدُ الله بن رَوَاحة يبكي حمزةَ بن عبد المُطَّلِب ـ قال ابن هشام: أنشدَنِيها أبو زيدٍ الأنصاريُّ لكعب بن مالكٍ[1] ـ:

بَكَتْ عَيْني وحُقَّ لها بُكَاها ... وما يُغْني البكاءُ ولا العَويلُ[2]

على أَسَدِ الإلٰهِ غَداةَ قالوا ... أحمزةُ ذاكمُ الرّجُلُ القَتيلُ

أُصيبَ المسلمونَ به جميعاً ... هناكَ وقد أُصيبَ به الرّسولُ

أبا يَعلَى لك الأركانُ هُدَّتْ ... وأنتَ الماجِدُ البَرُّ الوَصُولُ[3]

عليك سَلامُ ربِّك في جِنانٍ ... مُخالِطُها نَعيمٌ لا يَزُولُ

ألا يا هاشمُ الأخيارُ صَبْراً ... فكلُّ فِعالِكمْ حَسَنٌ جميلُ

رسولُ الله مُصطبِرٌ كريمٌ ... بأمرِ الله يَنطِقُ إذ يقولُ

ألا مَن مُبلِغٌ عنّي لُؤَيّاً ... فبعدَ اليومِ دائلةٌ تَدُولُ[4]

وقبلَ اليومِ ما عَرَفوا وذاقُوا ... وقائعَنا بها يُشفَى الغَليلُ[5]

نَسِيتُمْ ضَرْبَنا بقَليبِ بدرٍ ... غَداةَ أتاكمُ الموتُ العَجيلُ

غَداةَ ثَوَى أبو جهلٍ صَريعاً ... عليه الطَّيرُ حائمةٌ تَجُولُ[6]

---

(١) انظر «ديوان كعب» صنعة مجيد طراد ص٨١.

(٢) العويل: البكاء مع رفع الصوت.

(٣) أبو يعلى: هي كنية حمزة بن عبد المطّلب رضي الله عنه، ويُكنى أيضاً أبا عُمارة. والماجد: السيّد الشريف.

(٤) الدائلة: الحرب.

(٥) الوقائع: الحروب. والغليل: حرارة العطش أو الحزن.

(٦) ثوى: أقام. وحائمة: مستديرة، يقال: حام الطائر حول الماء، إذا استدار حوله. وتجول: تجيء وتذهب.

وعُتْبــةُ وابنُــه خَــرَّا جميعــاً ... وشَيْبةُ عَضَّه السّيفُ الصَّقيلُ[1]
ومَتْرَكُنــا أُميّــةَ مُجلَعِبّــاً ... وفي حَيزُومِــهِ لَــدْنٌ نَبيــلُ[2]
وهــامَ بنــي ربيعــةَ سـائِلُوها ... ففــي أسـيافِنا منهـا فُلــولُ[3]
ألا يــا هِنــدُ لا تُبْـدي شَـمَاتاً ... بحمــزةَ إنَّ عِــزَّكمُ ذَليــلُ
ألا يــا هِنــدُ فـابْكِي لا تَمَلِّـي ... فأنـتِ الوالِـهُ العَبْـرَى الهَبُـولُ[4]

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن مالكٍ أيضاً:

ألَا أبلِـغْ قريشـاً علـى نَأيِهـا ... أتَفخَــرُ منّــا بمــا لــم تَــلِ[5]
فَخَــرتُمْ بقَتلَــى أصــابَتهمُ ... فَواضِـلُ مـن نِعَـمِ المُفضِـلِ
فحَلُّـوا جِنانـاً وأبقَـوْا لكـمْ ... أُسوداً تُحامِي عـن الأشبُـلِ[6]
تُقاتِــلُ عــن دينِهــا وَسْـطَها ... نبـيٌّ عـن الحـقِّ لـم يَنكُـلِ[7]
رَمَتْــه مَعَــدٌّ بعُــورِ الكَــلامِ ... ونَبْــلِ العــداوةِ لا تَــأتَلي[8]

(١) خرّا: سَقَطا. وعضّه السيف، أي: نال منه. والصقيل: الحادُّ.

(٢) أُميّة: هو ابن خلف الجُمَحيّ. ومجلعبّاً: ممتدّاً مع الأرض. والحيزوم: أسفل الصدر. واللَّدْن: الرمح الليّن. ونبيل، أي: عظيم.

(٣) الهامُ: جمع هامَة، وهي الرأس. والفلول: جمع فَلٍّ، وهو الكسر في حدّ السيف.

(٤) الواله، وكذا الهَبول: التي فقدت عزيزاً عليها. والعَبرى: الكثيرة الدمع.

(٥) النَّأي: البُعد. وقوله: بما لم تلِ، أي: بما قتلته منا وليس ذلك من فعلها، فقد كان معها أحلافها وبعض عبيدها.

(٦) فحلُّوا، أي: نزلوا. وتحامي: تدافع وتمنع. والأشبُل: جمع شِبْل، وهو ولد الأسد.

(٧) لم ينكل: لم يرجع.

(٨) مَعَدٌّ: هو ابن عدنان من ولد إسماعيل، وأراد هنا العرب عامّة. وعُور الكلام: قبيحه والفاحش منه، واحده: عَوْراء. والنَّبل: السَّهم. ولا تأتلي، أي: لا تقصّر.

قال ابن هشام: أنشدني قولَه: لم تَلِ، وقولَه: من نِعَمِ المُفضِلِ، أبو زيدٌ الأنصاريّ.

قال ابن إسحاق: وقال ضِرارُ بن الخَطّاب في يوم أُحدٍ:

ما بالُ عَينِكَ قد أَزرَى بها السُّهُدُ ... كأنّما جالَ في أجفانِها الرَّمَدُ[1]

أمِنْ فِراقِ حَبيبٍ كنتَ تألَفُهُ ... قد حالَ من دونِه الأعداءُ والبُعُدُ

أم ذاكَ من شَغْبِ قومٍ لا جَدَاءَ بهمْ ... إذِ الحُروبُ تَلَظَّت نارُها تَقِدُ[2]

ما يَنتَهُون عن الغَيِّ الّذي رَكِبوا ... وما لهمْ من لُؤَيٍّ وَيحَهُم عَضُدُ

وقد نَشَدْناهمُ باللهِ قاطبةً ... فما تَرُدُّهمُ الأرحامُ والنِّشَدُ[3]

حتّى إذا ما أَبَوْا إلّا مُحارَبةً

واستَحصَدَت بيننا الأضغانُ والحِقَدُ[4]

سِرْنا إليهمْ بجيشٍ في جوانبِهِ ... قَوانِسُ البَيضِ والمحبوكةُ السُّرُدُ[5]

والجُرْدُ تَرفُلُ بالأبطالِ شازِبةً ... كأنَّها حِدَأٌ في سَيرِها تُؤَدُ[6]

---

(١) أزرى: قصّر، يقال: أزرَيتُ بالرجل، إذا قصَّرتَ به. والسُّهد: عدم النوم. والرَّمد: وجع العين.

(٢) لا جداءَ، أي: لا منفعة ولا قوة. وتلظَّت: التهَبَت.

(٣) قاطبة: جميعاً. والنِّشَد: جمع نِشْدة، وهي اليمين، كقولهم: نَشَدتُك اللهَ، أي: سألتك بالله.

(٤) استحصدت، أي: تقوَّت واستحكمت، من قولك: حبلٌ مُحصَد، إذا كان شديد الفَتْل مُحكمَه.

(٥) القوانس: جمع قَونَس، وهي حديدة طويلة في أعلى خُوذَة الحديد التي يلبسها المحارب على رأسه. والمحبوكة: المشدودة، والسُّرُد: المنسوجة، يعني الدُّروع.

(٦) الجُرد: الخيل العِتاق. وتَرفُل، أي: تتبختر في مشيها. وشازبة: ضامرة شديدة اللحم. والحِدَأ: جمع حِدَأة، وهو طائر من الجوارح يشبه الصقر. وتُؤَد: ترفُّق وتمهُّل.

جَيشٌ يقودُهمُ صَخرٌ ويَرأسُهمْ ... كأنّه ليثُ غابٍ هاصِرٌ حَرِدُ(١)

فأبرَزَ الحَينُ قوماً من مَنازِلِهمْ ... وكان منّا ومنهمْ مُلتَقًى أُحُدُ(٢)

فغُودِرَت منهم قَتلَى مُجدَّلةً ... كالمَعْزِ أَصرَدَه بالصَّردَحِ البَرَدُ(٣)

قَتلَى كِرامٌ بنو النَّجّارِ وَسْطَهمُ ... ومُصعَبٌ من قَنَانا حولَه قِصَدُ(٤)

وحمزةُ القَرْمُ مصروعٌ تُطِيفُ بهِ ... ثَكْلى وقد حُزَّ منه الأنفُ والكَبِدُ(٥)

كأنّه حين يَكبُو في جَدِيّتِهِ ... تحت العَجَاجِ وفيه ثَعْلبٌ جَسِدُ(٦)

حُوَارُ نابٍ وقد وَلّى صحابتُهُ ... كما تَولّى النَّعامُ الهاربُ الشَّرِدُ(٧)

مُجلِّحِينَ ولا يَلْوُون قد مُلِئُوا ... رُعْباً، فنَجَّتهمُ العَوْصاءُ والكُؤُدُ(٨)

تَبْكي عليهمْ نساءٌ لا بُعُولَ لها ... من كلِّ سالبةٍ أثوابُها قِدَدُ(٩)

---

(١) صخر: اسم أبي سفيان. وغاب: جمع غابة، وهي موضع الأسد. وهاصر: كاسر، أي: يكسر فريسته إذا أخذها. وحَرِد: غاضب.

(٢) الحَيْن، أي: وقت هلاكهم.

(٣) مجدَّلة، أي: صرعى على الأرض، واسم الأرض: الجَدَالة. وأصرده، أي: بالغ في بَرْده، والصَّرْد: البَرْد. والصردح: المكان الصُّلب الغليظ.

(٤) قِصَد، أي: قطع متكسرة.

(٥) القَرْم: الرجل السيّد. وثكلى: حزينة فاقدة. وحُزَّ: قُطع.

(٦) يَكبُو: يسقط. والجَديّة: الدم السائل على جسده. والعَجَاج: الغبار. والثعلب هنا: ما دخل من الرمح في السِّنان. وجَسِدٌ، أي: قد لصق به الدمُ ويبس عليه.

(٧) الحُوار: ولد الناقة، والنّاب: المُسنّة من الإبل. والشَّرِد: النافِر.

(٨) مجلِّحين، أي: مصمِّمين لا يردّهم شيء. والعوصاء: عَقَبة صعبة تعتاص على سالكها. والكُؤُد: جمع كَؤُود، وهي عَقَبة صعبة المُرتقى.

(٩) السالبة هنا: التي لبست السِّلاب، وهي ثياب الحُزن. وقِدَد، أي: قِطَع، يعني أنها مزَّقت =

وقــد تَرَكْنــاهمُ للطّيــرِ مَلحَمــةً ... وللضِّــباعِ إلــى أجســادِهِمْ تَفِــدُ[1]

قال ابن هشام: وبعضُ أهلِ العلم بالشِّعر يُنكِرُها لضِرار.

قال ابن إسحاق: وقال أبو زَعْنةَ[2] بن عبد الله بن عمرو بن عُتْبة أخو بني جُشَمَ ابن الخَزرَج يومَ أُحدٍ:

أنا أبـو زَعْنـةَ يَعـدُو بِيْ الهُـزَمْ ... لـم تُمنَـعِ المَخْـزاةُ إلّا بـالألَمْ[3]

يَحْمي الذِّمارَ خَزرَجيٌّ من جُشَمْ[4]

قال ابن إسحاق: وقال عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه ـ قال ابن هشام: قالها رجلٌ من المسلمين في يوم أُحدٍ، فيما ذَكَرَ لي بعضُ أهل العلم بالشِّعر، ولم أرَ أحداً يَعرِفُها لعليٍّ رضي الله عنه ـ:

لاهُـمّ إنَّ الحـارثَ بـنَ الصِّـمَّهْ ... كــان وَفِيّــاً وبِنَــا ذا ذِمَّــهْ[5]

أقبَــلَ في مَهامِــهٍ مُهِمَّــهْ ... كلَيلــةٍ ظَلْمــاءَ مُدلَهِمَّــهْ[6]

= ثيابها قِطعاً.

(١) الملحمة: الموضع الذي تقع فيه القتلى في الحرب. وتَفِد: تَقدَم وتزور.

(٢) كذا وقع هنا بالنون، قال ابن ناصر الدين الدمشقيُّ في «توضيح المشتبه» ٤/ ٢٠٩-٢١٠: كذا قيّده الأمير (يعني ابنَ ماكُولا) ووجدته بخطّ الحافظ عبد الغني المقدسيّ في كتاب الدارقطنيّ بالموحَّدة بدل النون، ووجدته بالموحَّدة أيضاً وبالغين المعجمة في «التلقيح» لابن الجَوْزي، والمشهور الأول.

(٣) يعدو: يُسرِع. والهُزَم: اسم فرسه، ومن رواه: الهَزِم، فهو الكثير الجَرْي.

(٤) الذمار: ما يجب على المرء أن يحميه من عِرض ومال ونحوهما.

(٥) الذِّمّة: العهد. والحارث بن الصِّمّة ممن شهد بدراً وأُحداً، واستُشهد يوم بئر مَعُونة.

(٦) المهامه: جمع مَهمَهٍ، وهو القَفْر. والمُدلهِمّة: الشديدة السواد.

بـيـنَ سُـيـوفٍ ورِمـاحٍ جَمَّـهْ ... يَبْغـي رسـولَ اللهِ فيمـا ثَمَّـهْ[1]

قال ابن هشام: قوله: كلَيلةٍ، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عِكْرمةُ بن أبي جهلٍ في يوم أُحدٍ:

كلُّهـمُ يَزجُرُه أَرحِبْ هَلَا[2] ... ولـن يَـرَوهُ اليـومَ إلّا مُقـبِلا

يَحمِلُ رُمحاً ورئيساً جَحْفَلا[3]

وقال الأعشَى بن زُرَارة بن النَّبّاش التَّميميّ ـ قال ابن هشام: ثمّ أحدُ بني أُسيِّد بن عمرو بن تَميمٍ ـ يبكي قَتلَى بني عبد الدّارِ يومَ أُحدٍ:

حُيِّـيَ مـن حيٍّ علـى نَـأيِهمْ ... بنـو أبـي طلحـةَ لا تُصـرَفُ[4]

يَمُـرُّ سـاقِيهِمْ علـيهم بهـا ... وكـلُّ سـاقٍ لهـمُ يُعـرَفُ

لا جارُهم يَشكُو ولا ضَيفُهمْ ... مِن دونِـهِ بـابٌ لهـمْ يَصـرِفُ[5]

وقال عبدُ الله بن الزِّبَعرَى يومَ أُحدٍ:

قَتَلْنا ابـنَ جَحشٍ فاغتَبَطْنا بقتلِهِ ... وحمـزةَ في فُرسـانِه وابـنَ قَوقَـلِ[6]

---

(١) الجَمّة: الكثيرة. وثَمَّهْ، أي: هناك، والهاء للسَّكت.

(٢) أَرحِب هلا: كلمتان لزجر الخيل.

(٣) الجحفل هنا: الرجل العظيم القَدْر، أو السيّد الكريم.

(٤) على نأيهم: على بُعدهم. ولا تصرف: لا تُرَدّ، يعني التحيّة، ودل على ذلك قوله: حُيِّي.

(٥) يَصرِف، أي: يُغلَق فيسمع له صوت، والصريف: صوت الباب إذا أُغلق أو فُتح.

(٦) اغتبطنا، أي: سُرِرنا.

وابن جحش: هو عبد الله بن جحش الأسديّ، أخو زينب أم المؤمنين وابن عمّة النبيّ ﷺ أُميمة بنت عبد المطَّلب. وابن قوقل: هو النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دَعْد الخزرجي، وجدُّه ثعلبة هو الذي كان يقال له: قوقل.

وأفلَتَنـا مـنهم رجـالٌ فأَسـرَعوا ... فلَيـتَهمُ عـاجُوا ولـم نَتعَجّـلِ[1]

أقـاموا لنـا حتّى تَعَـضَّ سـيوفُنا ... سَـراتَهمُ وكلُّنـا غيـرُ عُـزَّلِ[2]

وحتّى يكـونَ القتـلُ فينا وفـيهمُ ... ويَلْقَوا صَبُوحاً شَرُّه غيرُ مُنجَلي[3]

قال ابن هشام: قوله: وكلُّنا، وقوله: ويَلقَوا صَبُوحاً، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقالت صَفيَّةُ بنتُ عبد المُطَّلِب تبكي أخاها حمزةَ بن عبد المُطَّلِب رضي الله عنه:

أسـائلةٌ أصـحابَ أُحْـدٍ مَخافـةً ... بَنـاتُ أَبـي مـن أعجَـمٍ وخَبيـرِ[4]

فقال الخَبيـرُ: إنَّ حمـزةَ قد ثَوَى ... وزيـرُ رسـولِ الله خيـرُ وَزيـرِ[5]

دَعَاه إلٰهُ الحـقِّ ذو العَـرشِ دَعـوةً ... إلـى جنّـةٍ يَحْيـا بهـا وسُـرورِ

فـذلكَ مـا كُنّـا نُرجِّـي ونَرتَجـي ... لحمـزةَ يـومَ الحَشـرِ خيـرُ مَصيـرِ

فـوالله لا أنسـاكَ مـا هَبَّـتِ الصَّـبَا ... بُكاءً وحُزنـاً مَحضَـري ومَسِيري[6]

علـى أسَـدِ الله الّـذي كـان مِـدْرَهاً ... يَـذُودُ عـن الإسـلام كـلَّ كَفُـورِ[7]

---

(١) هكذا في (ش١) و(غ)، وفي (ت) و(ز) و(ص) و(م) و(ي): يتعجّلوا، وهذا إقواءٌ. وعاجُوا، أي: عطفوا وأقاموا.

(٢) سَرَاتهم: خِيارهم. والعُزَّل: الذين لا سلاح لهم، جمع أَعزل.

(٣) الصَّبوح: شرب الغَدَاة من أول النهار، وأراد أنهم يسقونهم كأس المنيّة. ومُنجلي، أي: منكشف.

(٤) الأعجم: هو الذي لا يُفصِح.

(٥) ثوى: أقام مكانه. والوزير: المُعِين.

(٦) الصَّبا: الريح الشرقية. ومسيري: تعني به هنا: مَغِيبي.

(٧) المِدرَه: الذي يدفع عن القوم. ويذود، أي: يدفع ويمنع.

فيا لَيتَ شِلْوي عند ذاكَ وأعظُمي لَـدَى أضـبُعٍ تَعتـادُني ونُسُـورِ[1]
أقولُ وقد أعلَى النَّعِيُّ عَشِيرتي جَـزَى اللهُ خيـراً من أخٍ ونَصِيرِ[2]

قال ابن هشام: وأنشدني بعضُ أهل العلم بالشِّعر قولَها:

بُكاءً وحُزناً مَحضَري ومَسِيري

قال ابن إسحاق: وقالت نُعْمٌ امرأةُ شَمّاس بن عثمان[3] تبكي شَمّاساً، وأُصيبَ يومَ أُحدٍ:

يا عَينُ جُودِي بفَيضٍ غيرِ إبساسِ على كَـريمٍ مـن الفِتْيـانِ لبّـاسِ[4]
صعبِ البَديهـةِ ميمـونٍ نَقِيبتُـهُ حَمّـالِ ألويـةٍ رَكّـابِ أفـراسِ[5]
أقـولُ لمّـا أَتـى النّـاعي لـه جَزَعـاً أَودَى الجَوادُ وأَودَى المُطعِمُ الكاسِي[6]
وقلـتُ لمّـا خَلَـتْ منـه مجالسُـهُ لا يُبعِـدُ اللهُ منّـا قُـرْبَ شَـمّاسِ

---

(١) الشِّلو: البقيّة. تعتادني، أي: تتعاهدني.

(٢) النعيُّ: يروى بالرفع على أنه فاعل، ومعناه: الذي يأتي بخبر الميت، ومن رواه بالنصب على أنه مفعول، فمعناه: النوح والبكاء بصوت.

(٣) وهو من بني مخزومٍ، رضي الله عنه.

(٤) غير إبساس، أي: غير قليل، والإبساس: أن يُمسَح ضرع الناقة لتدرَّ، ويقال لها: بس بس، لتسكُن، وقد استعارت هذا المعنى للدمع الفائض بغير تكلف. ولَبّاس: من اللُّبس، أي: هو صاحب لباس حسن، ويروى: أبّاس، بهمزة، وهو الشديد الذي يغلب غيرَه. قاله الخشنيّ.

(٥) البديهة: أول الرأي والأمر. وميمون النّقيبة: سعيد النفس محظوظ. والألوية: جمع لواء، وهو العَلَم.

(٦) أَودى: هلك. والمطعم الكاسي: الجواد الذي يطعم الناس ويكسوهم.

فأجابَها أخوها ـ وهو أبو الحَكَم بن سعيد بن يَربُوع ـ يُعزِّيها، فقال:

إقنَيْ حَياءَكِ في سِتْرٍ وفي كَرَمٍ فإنّما كان شَمّاسٌ من النّاسِ[1]

لا تَقتُلي النّفسَ إذْ حانَت مَنيّتُهُ في طاعةِ الله يومَ الرَّوعِ والباسِ[2]

قد كان حمزةُ ليثَ الله فاصطَبِري فذاقَ يومَئذٍ من كأسِ شَمّاسِ

وقالت هندٌ بنتُ عُتْبة، حين انصَرَفَ المشركون عن أُحدٍ:

رَجَعتُ وفي نفسي بَلابلُ جَمّةٌ وقد فاتَني بعضُ الّذي كان مَطلَبي[3]

منَ اصحابِ بدرٍ من قريشٍ وغيرِهمْ بني هاشمٍ منهمْ ومن أهلِ يَثرِبِ

ولكنَّني قد نِلتُ شيئاً ولم يكنْ كما كنتُ أَرجو في مَسِيري ومَركِبي

قال ابن هشام: وأنشدني بعضُ أهل العلم بالشِّعر قولها:

وقد فاتَني بعضُ الّذي كان مَطلَبي

قال: وبعضُهم يُنكِرُها لهندٍ، والله أعلم.

---

(١) اقنَي حياءك، أي: الزمي حياءك.

(٢) يوم الرَّوع: يوم الفزع، وهو يوم البأس والقتال.

(٣) البلابل: الأحزان. وجمّة، أي: كثيرة.

ذكرُ يوم الرَّجِيع
في سنة ثلاثٍ[1]

حدَّثنا أبو محمّد عبدُ الملك بن هشامٍ النَّحْويُّ قال: حدَّثنا زيادُ بن عبد الله البَكّائيُّ، عن محمّد بن إسحاق المُطَّلِبيّ قال: حدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة قال: قَدِمَ على رسول الله ﷺ بعدَ أُحدٍ رَهْطٌ من عَضَلٍ والقارَةِ ـ قال ابن هشام: عَضَلٌ والقارَةُ من الهُوْنِ بن خُزَيمة بن مُدرِكة، ويقال: الهَوْن[2] ـ فقالوا له: يا رسولَ الله، إنَّ فينا إسلاماً،

---

(١) وعليه فإنه عند ابن إسحاق كان في آخر هذه السنة في ذي القَعدة أو ذي الحِجّة منها، فإن يوم أُحد كان في النصف من شهر شوّال، أي: أن بين يومَي الرجيع وبئر مَعُونة عنده قرابة ثلاثة أشهر، فإن بئر معونة كانت في صَفَر من سنة أربعٍ كما سيأتي، أما عند الواقديّ وصاحبه ابن سعد فإن يوم الرجيع كان في أوائل سنة أربع في شهر صَفَرٍ منها، وقد جاء النبيَّ ﷺ خبرُ ما أصاب أصحابَه ذلك اليوم وخبرُ أصحابه في بئر مَعُونة في اليوم نفسه كما في «الطبقات» لابن سعد ٢/ ٤٩.

والراجح ـ فيما نرى ـ قولُ الواقديِّ وصاحبه، من أن يومَي الرجيع وبئر معونة كانا في زمن متقارب، بدليل أن النبي ﷺ جمع بين بني لِحيان، وهم الذين غدروا بأصحاب الرجيع، وبين رِعل وذكوان وعُصيَّة، وهم الذين قتلوا أصحاب بئر معونة، جمع بينهم في الدعاء عليهم في بعض صلواته كما في حديث أنس بن مالك عند البخاري (٤٠٩٠) ومسلم (٦٧٧)، وحديث خُفَاف الغِفاري عند مسلم (٦٧٩)، والله تعالى أعلم.

والرَّجيع: ماءٌ يُعرَف اليوم باسم الوَطْية، يقع شمال مكة على قرابة ٧٠ كم قُبيل عُسْفان، على طرف الهَدَأة ـ ويقال: الهَدَة ـ وهو وادٍ يمرُّ شمال مكّة. انظر «معجم المعالم الجغرافية» ص١٣٨، و«معجم معالم الحجاز» ص٦٧٦، كلاهما لعاتق البِلادي.

(٢) زاد في طبعة السقا وصاحبيه: بضم الهاء. وليس هذا في شيء من نسخنا الخطية، وهو =

فابعَثْ معنا نَفَراً من أصحابك يُفقِّهوننا في الدِّين ويُقرِئوننا القرآنَ، ويُعلِّموننا شرائعَ الإسلام.

فبَعَثَ رسولُ الله ﷺ معهم نَفَراً ستّةً[1] من أصحابه، وهم مَرثَدُ بن أبي مَرثَدٍ الغَنَويُّ حليفُ حمزة بن عبد المُطَّلِب، وخالدُ بن البُكَير اللَّيثيُّ حليفُ بني عَدِيّ ابن كعبٍ، وعاصمُ بن ثابت بن أبي الأَقلَحِ أخو بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأَوس، وخُبَيبُ بن عَدِيٍّ أخو بني جَحْجَبى بن كُلْفة بن عمرو بن عوف، وزيدُ بن الدَّثِنّة بن معاوية أخو بني بَيَاضة بن عمرو، وعبدُ الله بن طارقٍ حليفُ بني ظَفَر، وأمَّرَ رسولُ الله ﷺ على القوم مَرثَدَ بن أبي مَرثَدٍ الغَنَويَّ[2].

فخرجوا مع القوم حتّى إذا كانوا على الرَّجيع، ماءٍ لهُذَيلٍ بناحية الحِجاز على

= خلاف ما وقع في هذه النسخ من ضبطه بالقلم في هذا الموضع بالفتح.

وقد قيّده ابن دُريد في «الاشتقاق» ص١٧٨ بالوجهين؛ بفتح الهاء وضمّها، واقتصر الجوهري في «الصحاح» والفيروزآبادي في «القاموس» على تقييده بضمّ الهاء.

(١) وذكر الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٣٥٥: أنه ﷺ بعث معهم سبعة نفر، فزاد فيهم معتِّبَ بن عبيدٍ أخا عبد الله بن طارق لأمّه، وهو أيضاً حليف لبني ظَفَر، ثم قال: ويقال: كانوا عشرة. قلنا: وكونهم عشرةً وقع هذا في حديث لأبي هريرة في قصة يوم الرَّجيع عند البخاري (٣٠٤٥) و(٣٩٨٩) و(٤٠٨٦) و(٧٤٠٢).

وانظر «زاد المعاد» لابن القيّم ٣/ ٢٤٤، و«سبل الهدى والرشاد» للصالحي ٦/ ٣٩.

(٢) قال الواقديُّ: ويقال: أميرهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح. قلنا: وهذا ما وقع في حديث أبي هريرة السابق عند البخاري: أن النبيَّ ﷺ أمَّر عليهم عاصمَ بن ثابت. لكن المشهور عند أهل السير والمغازي أن مرثداً هو كان أمير السَّريّة، وسيأتي في آخر الكلام على خبر الرجيع في الشعر المنسوب لحسان بن ثابت: أن الأمير مرثدٌ، لكن أكثر أهل العلم بالشعر ينكر كون تلك القصيدة لحسان كما قال ابن هشام، فالله تعالى أعلم.

صُدور الهَدَأة، غَدَروا بهم فاستَصرَخوا[1] عليهم هُذَيلاً، فلم يَرُعِ القومَ وهم في رِحَالهم إلّا الرِّجالُ بأيديهم السّيوفُ قد غَشَوْهم، فأخذوا أسيافهم ليُقاتِلوا القوم، فقالوا لهم: إنّا والله ما نريدُ قتلَكم، ولكنّا نريدُ أن نُصِيبَ بكم شيئاً من أهل مكّة، ولكم عهدُ الله ومِيثاقُه أن لا نَقتُلَكم.

فأمّا مَرثَدُ بن أبي مَرثَد وخالدُ بن البُكَير وعاصمُ بن ثابتٍ فقالوا: والله لا نَقبَلُ من مشركٍ عهداً ولا عَقْداً أبداً، فقال عاصم بن ثابتٍ:

مـا عِلَّتـي وأنـا جَلْـدٌ نابـلُ ... والقَـوسُ فيهـا وَتَـرٌ عُنابِـلُ[2]

تَـزِلُّ عـن صَـفْحتِها المَعابِـلُ ... الموتُ حقٌّ والحياةُ باطـلُ[3]

وكـلُّ مـا حَـمَّ الإلٰـهُ نـازِلُ ... بـالمَرءِ والمَـرءُ إليـه آيِـلُ[4]

إن لم أُقاتِلْكُم فأُمّي هابِـلُ[5]

وقال[6] عاصمٌ أيضاً:

أبـو سـليمانَ ورِيـشُ المُقعَـدِ ... وضالَةٌ مِثلُ الجَحيمِ المُوقَـدِ[7]

---

(١) استصرخوا: استنصروا.

(٢) النابل: صاحب النَّبل، ويروى: بازل، وهو القوي. وعُنابل: غليظ شديد.

(٣) صفحتها: جانبها. والمعابل: جمع مِعبَلة، وهو نصل عريض طويل، يريد السِّهام.

(٤) حَمَّ الإلٰه: قدَّره. وآيل: صائر. هابل: فاقد.

(٥) هابل: فاقدٌ ثاكلٌ.

(٦) زاد قبله في (ش١): قال ابن هشام: هابل: ثاكل.

(٧) الرِّيش: جمع رِيشة، توضع في آخر السهم بعد بَرْيه، وقُيِّد في بعض النسخ بفتح الراء، على المصدر. والمُقعَد: رجل كان يَرِيش النَّبل في المدينة. والضَّالَة: شجر تصنع منه القِسيّ والسهام، والجمع: ضالٌ، ويعني بالضالَة هنا: القوس.

إذا النَّواحي افترُشَت لم أُرعَدِ ومُجنَأٌ مِن جِلْدِ ثَورٍ أجرَدِ[1]

ومؤمنٌ بما على محمَّدِ[2]

وقال عاصمٌ أيضاً:

أبو سليمانَ ومِثْلي رامَى وكان قومي مَعشَراً كِراما

وكان عاصمٌ يُكنى أبا سُلَيمان.

ثمّ قاتَلَ القومَ حتّى قُتِلَ وقُتِلَ صاحباه.

فلمّا قُتِلَ عاصمٌ أرادت هُذَيلٌ أخذَ رأسه ليَبِيعوه من سُلَافة بنت سعد بن شُهَيدٍ، وكانت قد نَذَرَت حين أصاب ابنَيها يومَ أُحدٍ: لئن قَدَرَت على رأس عاصمٍ لتَشربَنَّ في قِحْفِه الخمرَ، فمَنَعَته الدَّبْرُ[3]، فلمّا حالت بينهم وبينه قالوا: دَعُوه حتّى يُمسيَ فتذهبَ عنه فنأخُذَه، فبَعَثَ الله الوادي فاحتَمَلَ عاصماً، فذَهَبَ به، وقد كان عاصمٌ قد أعطَى اللهَ عهداً أن لا يَمَسَّه مشركٌ ولا يَمَسَّ مشركاً أبداً، تَنَجُّساً.

فكان عمرُ بن الخَطّاب رضي الله عنه يقول حين بَلَغَه أنّ الدَّبرَ مَنَعَته: يَحفَظُ اللهُ العبدَ المؤمن، كان عاصمٌ نَذَرَ أن لا يَمَسَّه مشركٌ ولا يَمَسَّ مشركاً أبداً في حياته، فمَنَعَه الله بعدَ وفاته كما امتَنَعَ منه في حياته.

وأمّا زيدُ بن الدَّثِنّة وخُبَيبُ بن عَدِيّ وعبدُ الله بن طارقٍ، فلانُوا ورَقُّوا ورَغِبوا في الحياة، فأعطَوْا بأيديهم فأسَرُوهم ثمّ خرجوا إلى مكّة ليَبِيعوهم بها، حتّى إذا كانوا

(١) النواحي، بالحاء: جمع ناحية، ومن رواه بالجيم فهي الإبل السريعة. وافترُشت: عُمِرَت. والمُجنَأ: التُّرس لا حديد فيه. والأجرد: الأملس.

(٢) أي: مؤمن بما أُنزل على محمد.

(٣) القِحْف: العظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة.

والدَّبْر: الزنابير أو النحل.

بالظَّهْرانِ[1] انتَزَعَ عبدُ الله بن طارقٍ يدَه من القِرَان[2]، ثمّ أَخذ سيفَه واستأخَرَ عنه القومُ فرَمَوه بالحجارة حتّى قتلوه، فقبـرُه ـ رحمه الله ـ بالظَّهران، وأمّا خُبَيبُ بن عَدِيّ وزيدُ بن الدَّثِنّة فقَدِموا بهما مكّة.

قال ابن هشام: فباعوهما من قريشٍ بأسيرَينِ من هُذَيلٍ كانا بمكّة.

قال ابن إسحاق: فابتاعَ خُبيباً حُجَيرُ بن أبي إهابٍ التَّميميّ حليفُ بني نَوفَلٍ لعُقْبة بن الحارث بن عامر بن نَوفَل ـ وكان أبو إهابٍ أخا الحارث بن عامرٍ لأُمّه ـ ليقتلَه بأبيه.

قال ابن هشام: الحارثُ بن عامرٍ خالُ أبي إهابٍ، وأبو إهابٍ أحدُ بني أُسيِّد بن عمرو بن تَميمٍ، ويقال: أحدُ بني عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارمٍ من بني تَميم.

قال ابن إسحاق: وأمّا زيدُ بن الدَّثِنّة فابتاعه صفوانُ بن أُميّة ليقتلَه بأَبيه أُميّة بن خَلَفٍ، فأمّا زيدٌ فبَعَثَ بـه صفوانُ بـن أُميّة مع مولًى له يقال لـه: نِسطاسُ، إلى التّنعيم[3] وأخرَجوه من الحَرَم ليَقتُلوه.

واجتمع رَهْطٌ من قريشٍ فيهم أبو سفيانَ بن حَرْبٍ، فقال له أبو سفيانَ حين قُدِّمَ ليُقتَلَ: أنشُدُكَ اللهَ يا زيدُ، أتحبُّ أنّ محمّداً عندنا الآنَ في مكانك نَضرِبُ عُنُقَه وأنّك في أهلِك؟ قال: والله ما أُحِبُّ أنّ محمّداً الآنَ في مكانه الّذي هو فيه تصيبُه شَوْكةٌ تُؤْذِيه وأنّي جالسٌ في أهلي. قال: يقول أبو سفيان: ما رأيتُ من النّاس أحداً يحبُّ أحداً، كحُبِّ أصحابِ محمّدٍ محمّداً. ثمّ قتله نِسطاسُ؛ يرحمُه الله.

---

(١) الظَّهران: وادٍ قرب مكة يمرُّ شمالها على قرابة ٢٢ كم.

(٢) القِران: الحبل يُربَط به الأسير مع غيره.

(٣) التنعيم: موضع يقع في الجزء الغربيّ من مكّة المكرّمة على مسافة ٧ كم عن المسجد الحرام، ويُسمَّى اليوم: العُمْرة، أو عُمْرة التنعيم؛ لأن الناس يُحرِمون بالعمرة منه.

وأمّا خُبَيبُ بن عَدِيٍّ، فحدّثني عبدُ الله بن أبي نَجيحٍ، أنه حُدِّثَ عن ماوِيَّةَ مولاة حُجَير بن أبي إهابٍ ـ وكانت قد أسلَمَت ـ قالت: كان خُبَيبٌ حُبِسَ في بيتي، فلقد اطَّلَعتُ عليه يوماً وإنَّ في يده لَقِطْفاً من عِنَبٍ مثلَ رأس الرَّجل يأكلُ منه، وما أعلمُ في أرض الله عِنَباً يُؤكَل[1].

وحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة وعبدُ الله بن أبي نَجيحٍ جميعاً، أنَّها قالت: قال لي حين حَضَرَه القتلُ: ابعَثِي إليَّ بحديدةٍ أتطهَّرُ بها للقتل، قالت: فأعطَيتُ غلاماً من الحيِّ المُوسَى، فقلت له: ادخُلْ بها على هذا الرَّجلِ البيتَ، قالت: فواللهِ ما هو إلّا أن وَلَّى الغلامُ بها إليه فقلت: ماذا صَنَعتُ! أصابَ واللهِ الرّجلُ ثأرَه بقتلِ هذا الغلام، فيكون رجلاً برجلٍ، فلمّا ناوَلَه الحديدةَ أخذَها من يده ثمّ قال: لَعَمرُكَ، ما خافَت أُمُّك غَدْري حين بَعَثَتْك بهذه الحديدة إليَّ، ثمّ خَلَّى سبيلَه.

قال ابن هشام: ويقال: إنَّ الغلامَ ابنُها[2].

قال ابن إسحاق: قال عاصمٌ: ثمّ خرجوا بخُبَيبٍ، حتّى إذا جاؤوا به التّنعيمَ ليَصلُبوه قال لهم: إن رأيتُم أن تَدَعُوني حتّى أركَعَ ركعتَينِ فافعلوا، قالوا: دُونَك فاركَعْ. فرَكَعَ ركعتَينِ أَتمَّهما وأحسنَهما، ثمّ أقبَلَ على القوم فقال: أمَا والله لولا أن تَظُنُّوا أنّي إنّما طوَّلتُ جَزَعاً من القتل، لاستَكثَرتُ من الصّلاة. قال: فكان خُبَيبُ بن عَديٍّ أوّلَ مَن سَنَّ هاتَينِ الرّكعتَينِ عند القتل للمسلمين.

قال: ثمّ رَفَعوه على خَشَبتِه، فلمّا أَوثَقُوه قال: اللّهمَّ إنّا قد بَلَّغْنا رسالةَ رسولك،

---

(١) هذا الحديث والذي يليه في قصة خبيبٍ صحيحان، وقد رواهما بنحو ما هنا موصولين الزهريُّ عن عبيد الله بن عِياض عن ابنة الحارث بن عامر، أخرجه البخاري (٣٠٤٥)، وانظر أيضاً فيه (٣٩٨٩).

(٢) ووقع في حديث ابنة الحارث عند البخاري: أن الغلام ابنُها هي.

فبَلِّغْه الغَداةَ ما يُصنَعُ بنا، ثمّ قال: اللّهمَّ أَحصِهم عَدَداً، واقتُلْهم بَدَداً[1]، ولا تُغادِرْ منهم أَحداً. ثمّ قتلوه، رحمه الله.

فكان معاويةُ بن أبي سفيانَ يقول: حَضَرتُه يومَئذٍ فيمن حَضَرَه مع أبي سفيانَ، فلقد رأيتُه يُلقِيني إلى الأرض فَرَقاً من دعوة خُبَيبٍ، وكانوا يقولون: إنّ الرّجلَ إذا دُعِيَ عليه فاضطَجَعَ لجَنْبِه، زلَّت عنه[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّادٍ، عن عُقْبة بن الحارث؛ قال: سمعتُه يقول: ما أنا واللهِ قتلتُ خُبَيباً، لَأنا كنت أصغرَ من ذلك، ولكنَّ أبا مَسَرّة[3] أخا بني عبد الدّار أَخذ الحَرْبةَ فجَعَلَها في يدي، ثمّ أَخذ بيدي وبالحَرْبة ثمّ طَعَنَه بها حتّى قتله[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ أصحابنا قال: كان عمرُ بن الخَطّاب استعمَل سعيدَ بن عامر بن حِذْيَمٍ الجُمَحيَّ على بعض الشّام، فكانت تُصِيبُه غَشْيةٌ وهو بين ظَهرَيِ القوم، فذُكِرَ ذلك لعمر بن الخَطّاب، وقيل: إنّ الرّجلَ مُصابٌ، فسأله عمرُ في قَدْمةٍ قَدِمَها عليه فقال: يا سعيدُ، ما هذا الذي يُصِيبُك؟ فقال: والله يا أميرَ

---

(١) أحصهم عدداً، أي: عُمَّهم بالهلاك، وبَدَداً: متفرِّقين.

(٢) هذا من تتمة حديث عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً، وقد أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٣٠٩ عن عبد الله بن إدريس، عن ابن إسحاق، عنه.

(٣) في (غ) ونسخة على حاشية (ش١): ميسرة. وهذا خلاف في الاسم، وقد ذكر الخلاف فيه أيضاً ابن الأثير في ترجمة ابنه عبد الله من «أسد الغابة» ٣/ ٢٩٨.

(٤) إسناده صحيح. وصححه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٢٢٣.

وأخرجه الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٢/ ٦٣٠ من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

المؤمنين ما بي من بأسٍ، ولكنّي كنت فيمن حَضَرَ خُبَيبَ بن عَديٍّ حين قُتِلَ وسمعتُ دَعْوتَه، فوالله ما خَطَرَت على قلبي وأنا في مَجلِسٍ قَطُّ، إلّا غُشِيَ عليَّ. فزادَتْه عند عمر خيراً[1].

قال ابن هشام: أقامَ خُبَيبٌ في أيديهم حتّى انقَضَت أشهُرُ الحُرُم، ثمّ قتلوه.

قال ابن إسحاق: وكان ممّا نَزَلَ من القرآن في تلك السَّرِيَّة كما حدّثني مولًى لآلِ زيد بن ثابتٍ، عن عِكْرمة مولى ابن عبّاسٍ أو عن سعيد بن جُبَيرٍ، عن ابن عبّاس؛ قال: قال ابن عبّاسٍ: لمّا أُصيبَت السَّرِيَّةُ التي كان فيها مَرثَدٌ وعاصمٌ بالرَّجيع، قال رجالٌ من المنافقين: يا وَيْحَ هؤلاءِ المفتُونِينَ الّذين هَلَكوا هكذا، لا هم قَعَدوا في أهلِيهم، ولا هم أدَّوْا رسالةَ صاحبِهم! فأنزَلَ الله في ذلك من قول المنافقين، وما أصابَ أولئِكَ النّفرَ من الخيرِ بالّذي أصابَهم، فقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: لِمَا يُظهِرُ من الإسلام بلسانِه ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾ وهو مُخالفٌ لمَا يقول بلسانِه ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ [البقرة:٢٠٤] أي: ذو جِدالٍ إذا كَلَّمَك وراجَعَك[2].

قال ابن هشام: الألَدُّ: الذي يُشغِّبُ فتَشتدُّ خُصومتُه، وجمعُه: لُدٌّ، وفي كتاب الله:

---

(١) إسناده ضعيف لإعضاله وإبهام رواته.

وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٨٩١) ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢١/ ١٥٧ ـ عن ابن إسحاق، به.

(٢) إسناده ضعيف لجهالة مولى آل زيد بن ثابت، واسمه محمد بن أبي محمد كما تقدم مراراً.

وأخرجه مقطَّعاً ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٦٣-٣٦٧ و٣٦٩ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم:٩٧]، وقال المُهلهِلُ بن رَبِيعة التَّغلِبيُّ، واسمه امرُؤُ القيس، ويقال: عَدِيٌّ[1]:

إنَّ تحتَ الأحجارِ حَدّاً ولِيناً وخَصِيماً ألَدَّ ذا مِعْلاقِ[2]

ويُروَى: مِغْلاقِ ـ فيما قال ابن هشام ـ وهذا البيتُ في قصيدةٍ له[3].

وهو الألَندَدُ، قال الطِّرِمّاحُ بن حَكيمٍ الطّائيُّ يَصِفُ الحِرباءَ:

يُوفِي على جِذْمِ الجُذولِ كأنَّه خَصمٌ أبَرَّ على الخُصومِ ألَندَدُ[4]

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾، قال ابن إسحاق[5]: أي: خرج من عندك ﴿سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ

---

(١) في القصيدة ما يرجح أن اسمه عَديّ، وهو قوله:

ضربَتْ صدرَها إليَّ وقالت يا عديّاً لقد وَقَتْك الأَواقي

وانظر الكلام على تحقيق القول في اسمه مقدّمةَ شرح «ديوانه» لطلال حرب ص٦.

(٢) يقول: إن فيه حدّة لأعدائه ولِيناً لأوليائه. والألدّ: الشديد الخصومة. والمِعلاق: اللسان البليغ. وأما المِغلاق: فالقول الذي يُغلِق فم الخصم ويُسكِته.

(٣) انظر «ديوانه» ص٥٨-٥٩.

(٤) ورواية «الديوان» ص١١٣: يَلَندَدُ.

ويوفي: يُشرِف، يعني الحِرباء: وهي دُوَيبّة تصعد على أعلى الشجر وتدور مع الشمس حيثما دارت. والجِذم: القطعة من الشيء، وقد يكون الأصل أيضاً. والجذول: الأصول، يريد أصول الشجر، الواحد: جِذْل. وأبرَّ، أي: زاد وظهر عليهم، قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٧٨: ومن رواه: أَبَنَّ، بالنون، فمعناه: أقام ولم يسأَم الخصومة، يقال: أَبَنَّ فلانٌ بالمكان، إذا أقام به.

(٥) تكرر هنا في (ش١) و(ي) ونسخة في (ز) و(م) الإسناد السابق عن ابن عباس: حدثني مولًى لزيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال.

وقوله: قال ابن إسحاق، ليس في (ت) و(غ).

فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ أي: لا يُحِبُّ عملَه ولا يَرْضاه ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة:٢٠٥-٢٠٧] أي: قد شَرَوْا أنفُسَهم من الله بالجهاد في سبيلِه والقيام بحَقِّه حتّى هَلَكوا على ذلك؛ يعني تلك السَّرِيَّة.

وقال ابن هشام: يَشْري نفسَه: يبيعُ نفسَه، وشَرَوْا: باعُوا، قال يزيدُ بن رَبيعة بن مُفرِّغٍ الحِمْيريُّ[1]:

وشَرَيتُ بُرْداً لَيتَني ... من بعدِ بُردٍ كنتُ هامَهْ[2]

بُردٌ غُلامٌ له باعَه. وهذا البيتُ في قصيدةٍ له.

وشَرَى أيضاً: اشتَرى، قال الشّاعرُ:

فقلتُ لها: لا تَجزَعي أُمَّ مالكٍ ... على ابنَيكِ أنْ عبدٌ لَئيمٌ شَرَاهما[3]

قال ابن إسحاق: وكان ممّا قيل في ذلك من الشِّعر، قولُ خُبَيب بن عَديٍّ حين بَلَغَه أنّ القومَ قد أجمَعُوا لصَلْبِه ـ قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها له ـ:

لقد جَمَّعَ الأحزابُ حولي وألَّبُوا ... قبائلَهمْ واستَجمَعوا كلَّ مَجمَعِ[4]

---

(١) انظر «ديوانه» جمع وتحقيق عبد القدوس أبو صالح ص٢١٣.

(٢) كنت هامة، يريد: كنت هالكاً.

(٣) لم نقف على هذا البيت عند غير ابن هشام.

(٤) الأحزاب: جمع حِزْب، وهم كل قوم تشاكلت أهواؤهم وأعمالهم. وألَّبوا: جمعوا، يقال: أَلَّبَ القوم على فلان، إذا جمعهم عليه وحضّهم.

وكلُّهــمُ مُبْــدِي العَــداوةِ جاهــدٌ ... علــيَّ لأنّــي في وَثــاقٍ مُضــيَّعِ [1]

وقــد جَمَّعــوا أبنــاءَهم ونســاءَهم ... وقُرِّبــتُ مــن جِــذعٍ طويــلٍ مُمنَّــعِ

إلــى الله أَشــكُو غُرْبتــي ثــمّ كُرْبتــي ... وما أَرصَدَ الأحزابُ لي عند مَصرَعي [2]

فذا العَرْشِ صَبِّرْني على ما يُرادُ بي ... فقد بَضَّعوا لحمي وقد ياسَ مَطمَعي [3]

وذلــك في ذاتِ الإلٰــهِ وإن يَشَــأْ ... يُبــارِكْ علــى أَوصــالِ شِــلْوٍ مُمــزَّعِ [4]

وقــد خَيَّــروني الكُفــرَ والمــوتُ دونَــهُ ... وقــد هَمَلَــت عينــايَ مــن غيــر مَجــزَعِ [5]

ومــا بــي حِــذارُ المــوتِ إنّــي لَميّــتٌ ... ولكــنْ حِــذارُ جَحْــمِ نــارٍ مُلفَّــعِ [6]

ووالله مــا أَرجــو إذا مِــتُّ مُســلِماً ... علــى أيِّ جَنــبٍ كــان لله مَضــجَعي [7]

فلســتُ بمُبْــدٍ للعــدوِّ تَخشُّــعاً ... ولا جَزَعــاً إنِّــي إلــى الله مَرجِعــي [8]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ [9]:

---

(١) في نسخة على حاشية (غ): بمَضيَع، وعلى حاشية (ز): قيل: صوابه: بمضيع.
وقوله: في وثاق مضيَّع، أي: ضُيِّعَت حقوقه، يريد نفسَه.

(٢) أرصد: أعدَّ.

(٣) بضّعوا: قطّعوا. وياسَ: لغة في يَئِسَ.

(٤) الأوصال: أعضاء الجسد. والشِّلو: العضو من اللحم. والممزَّع: المقطَّع.

(٥) هَمَلَت: سال دمعها.

(٦) الجَحْم: الملتهِب المتَّقد، ومنه سُمِّيت الجحيم. وملفَّع: مُشتمِل، يقال: تلفَّع بالثوب، إذا اشتمل به، أي: التفَّ به.

(٧) أرجو هنا بمعنى: أخاف، وهي لغة، وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣] أي: لا تخافون.

(٨) التخشُّع: التذلل.

(٩) زاد في (غ): يبكي خبيباً. وهذه القصيدة في «ديوان حسان» ١/ ٢١٣.

مـا بـالُ عَينِـك لا تَرْقـا مَـدامعُها ... سَحّاً على الصَّدرِ مِثلَ اللّؤلُؤِ القَلِقِ[1]

على خُبَيبٍ فتى الفِتيانِ قد عَلِموا ... لا فَشِـلٍ حـين تَلقـاهُ ولا نَـزِقِ[2]

فاذهَـبْ خُبَيـبُ جـزاك اللهُ طيِّبـةً ... وجَنّـةَ الخُلْدِ عنـد الحُورِ في الرُّفُـقِ[3]

مـاذا تقولـونَ إن قـال النبـيُّ لكـمْ ... حـين الملائكـةُ الأبـرارُ في الأُفُـقِ

فـيمَ قتلـتُمْ شـهيدَ الله في رجـلٍ ... طـاغٍ قـدَ اوْعَـثَ في البلـدانِ والرُّفَـقِ[4]

قال ابن هشام: ويُروَى: الطُّرُقِ[5]. وتركنا ما بقي منها، لأنّه أقذَعَ فيها[6].

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ أيضاً يبكي خُبَيباً[7]:

يا عَينُ جُودِي بدمعٍ منكِ مُنسكِبِ ... وابكِي خُبَيباً مع الفِتيانِ لم يَؤُبِ[8]

صَـقراً تَوسَّـطَ في الأنصـارِ مَنصِـبُه ... سَمْحَ السَّجِيّةِ مَحْضاً غيـرَ مُؤتَشِبِ[9]

---

(١) لا ترقأ مدامعها: لا تكفّ، وأصله الهمز فسهّله.

والقَلِق، أي: المتحرِّك الساقط، وفي (ز) و(م) ونسخة على حاشية (ش١) و«الديوان»: الفَلِق، وشرح عليه البرقوقي في «شرح ديوان حسان» ص٣٤٧ فقال: الفَلِق: المتفلّق، أي: المشقوق، يقول: إن دموعه مثل قطع اللؤلؤ!

(٢) الفَشِل: الجبان الضعيف القوّة. والنَّزِق: السيِّئ الخُلق.

(٣) الرُّفُق: جمع رَفيق.

(٤) أَوعَثَ: اشتدَّ فسادُه. والرُّفَق: جمع رُفْقة.

(٥) يعني: في البلدان والطُّرق، وهي رواية «الديوان».

(٦) يعني أَفحشَ القول فيها.

(٧) انظر «ديوانه» ١/ ٣٧٠.

(٨) منسكب: سائل. ولم يَؤُب، أي: لم يرجع.

(٩) السَّجِيّة، أي: الطبيعة. والمَحض: الخالص، وأراد به هنا: خلوص نسبه. والمؤتشِب: المختلِط.

قد هاجَ عَيْني على عِلّاتِ عَبْرَتها ... إذ قيلَ: نُصَّ إلى جِذْعٍ من الخَشَبِ[1]

يا أيّها الرّاكبُ الغادِي لطِيَّتِه ... أبلِغْ لَدَيكَ وعيداً ليس بالكَذِبِ[2]

بني كُهَيبةَ[3] إنّ الحربَ قد لَقِحَت ... مَحلُوبُها الصّابُ إذ تُمرَى لِمُحتلِبِ

فيها أُسودُ بني النَّجّارِ تَقدُمُهمْ ... شُهْبُ الأسِنّةِ في مُعصَوصِبٍ لَجِبِ[4]

قال ابن هشام: وهذه القصيدةُ مِثلُ الّتي قبلها، وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُهما لحسّان، وقد تركنا أشياءَ قالها حسّانُ في أمر خُبَيبٍ لما ذكرتُ[5].

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ أيضاً[6]:

لو كان في الدّارِ قَرْمٌ ماجدٌ بطلٌ ... أَلوَى من القوم صَقرٌ خالُه أنسُ[7]

---

(١) العِلّات: المَشقّات. ونُصَّ: رُفِع، مأخوذ من النَّصّ في السير، وهو أسرعه وأرفعُه.

(٢) الطِّيّة: ما انطوت عليه نيّتك من الجهة التي تتوجه إليها.

(٣) هكذا في (ز) و(م) وحاشية (ش١)، وتصحف في بعض النسخ إلى: كهينة، وفي «الديوان»: فُكيهة، والصواب: كُهيبة، بالباء، وعليه شرح السهيليُّ في «الروض» فقال: جعل كُهَيبةَ كأنه اسم عَلَمٍ لأُمِّهم، وهذا كما يقال: بنو ضَوطَرَى، وبنو الغَبْراء، وبنو دَرَزَة، وهذا كلّه اسمٌ لكلّ من يُسَبُّ، وعبارةٌ عن السَّفِلة من الناس، وكُهيبة من الكُهْبة، وهي الغُبْرة، وهذا كما قالوا: بني الغَبْراء. اهـ

ولَقِحت، أي: ازداد شرها. ومحلوبها: لبنها. والصابُ: العَلقَم. وتُمرَى: تُمسَح لتدرَّ.

(٤) المعصوصِب: الجيش الكثير. واللَّجِب: الكثير الأصوات.

(٥) يعني لِما أفحش فيها من القول.

(٦) انظر «ديوانه» ١/ ٢٢٧.

(٧) القَرْم: السيِّد، وأصله الفحل من الإبل. والماجد: الشريف. وألوى، أي: شديد الخصومة. وأنسٌ كما سيأتي خال المُطعِم بن عديٍّ النوفلي، وكان المُطعِم عزيزاً في قومه هلك على شركه قبل بدرٍ، وهو أحدُ الذين سَعَوْا في نقض الصحيفة التي علَّقتها قريش على الكعبة وفيها مقاطعة =

إذاً وَجدتَ خُبَيباً[1] مَجلِساً فَسِحاً ... ولم يُشَدَّ عليك السِّجنُ والحَرَسُ

ولم تَسُقكَ إلى التَّنعيمِ زِعنِفَةٌ ... من القبائلِ منهم مَن نَفَت عُدُسُ[2]

دَلَّوكَ غَدْراً وهم فيها أُولُو خُلُفٍ ... وأنتَ ضَيْمٌ لها في الدّارِ مُحتبِسُ[3]

قال ابن هشام: أنسُ الأصَمُّ السُّلَميُّ خالُ مُطعِم بن عَديّ بن نَوفَل بن عبد مَناف. وقوله: مَن نَفَت عُدُسُ، يعني حُجَيرَ بن أبي إهابٍ، ويقال: الأعشى بن زُرَارة بن النَّبّاش الأُسيِّديّ، وكان حَليفاً لبني نَوفَل بن عبد مَناف.

قال ابن إسحاق: وكان الّذين أَجلَبوا[4] على خُبَيبٍ في قتله حين قُتِلَ من قريش: عِكْرمةُ بن أبي جَهلٍ، وسعيدُ بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد وَدٍّ، والأخنَسُ بن شَرِيقٍ الثَّقَفيُّ حليفُ بني زُهْرة، وعُبَيدةُ بن حَكيمِ بن أُميّة بن حارثة بن الأَوقَص السُّلَميُّ حليفُ بني أُميّة بن عبد شمسٍ، وأُميّةُ بن أبي عُتْبة، وبنو الحَضْرميّ.

وقال حسّانُ أيضاً يَهجُو هُذَيلاً[5] فيما صَنَعوا بخُبَيب:

= بني هاشم وبني المطَّلِب لأنهم نصروا النبيَّ ﷺ، وهو الذي أجار النبيَّ ﷺ بمكّة عند رجوعه من الطائف.

(١) هكذا وقع في نسخنا الخطية منصوباً، وفي «الديوان»: خبيبُ، بالرفع على إرادة النداء مع حذف آلته، وهو أصحُّ.

(٢) الزِّعنفة: الذين ينتمون إلى القبائل ويكونون أتباعاً لهم، وأصل الزِّعنفة الأطراف التي تكون في الجلد. وعُدُس: قبيلة من بني تميم.

(٣) دلَّوك، أي: غرُّوك، ومنه قوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف:٢٢]. والخُلُف: الخُلْف، وضُمَّت لامه في الشِّعر إتباعاً للخاء، وهو من إخلاف العهد. والضَّيم: الذُّل، والمراد: ذو ضيم، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

(٤) أجلبوا، أي: اجتمعوا وصاحوا.

(٥) هجا حسانُ هذيلاً، لأن بني لِحْيان منهم، وهم الذين باعوا خبيباً لقريش. وانظر «ديوان =

أَبلِــغْ بنــي عمــرٍو بــأنَّ أخــاهمُ ... شَـرَاهُ امـرُؤٌ قـد كـان للغَـدرِ لازِمـا[1]

شَـرَاهُ زهيــرُ بــن الأغــرِّ وجــامعٌ ... وكانــا جميعــاً يَركَبــانِ المَحارِمـا

أجَــرْتُمْ فلمّــا أن أجَــرتُمْ غَــدَرتمُ ... وكنــتم بأكنــافِ الرَّجيــعِ لَهاذِمــا[2]

فلَيــتَ خُبَيبــاً لــم تَخُنْــه أمانــةٌ ... ولَيــتَ خُبَيبــاً كــان بـالقومِ عالِمـا

قال ابن هشام: زهيرٌ وجامعٌ الهُذَليّانِ اللّذانِ باعا خُبَيباً.

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً[3]:

إنْ سَرَّكَ الغَدرُ صِرْفاً لا مِزاجَ لـهُ[4] ... فأْتِ الرَّجيعَ فسَلْ عن دارِ لِحْيانِ

قـومٌ تَواصَـوْا بأكـلِ الجـارِ بيـنهمُ ... فالكلـبُ والقِـردُ والإنسـانُ مِثْلانِ[5]

لو يَنطِقُ التَّيسُ يوماً قام يَخطُبُهمْ ... وكـان ذا شَـرَفٍ فـيهم وذا شـانِ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيدٍ الأنصاريُّ قولَه:

لو يَنطِقُ التّيسُ يومـاً قـامَ يَخطُبُهم ... وكـان ذا شَـرَفٍ فـيهم وذا شـانِ

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً يَهجُو هُذَيلاً[6]:

سـالَتْ هُـذَيلٌ رسـولَ الله فاحشـةً ... ضَلَّتْ هُذَيلٌ بما سالَتْ ولم تُصِبِ[7]

= حسان» ١/ ٢٤٨.

(١) بنو عمرو: هم بنو عمرو بن عوف من الأوس، وهم رهطُ خُبيب. وشَرَاه: باعه.

(٢) اللهاذم: اللصوص وقطّاع الطرق.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ١٧١.

(٤) أي: خالصاً غير ممزوج بشيء.

(٥) في «الديوان»: فخيرُهم رجلاً والتيسُ مِثْلانِ.

(٦) انظر «ديوانه» ١/ ٤٤٣.

(٧) قوله: سالت هذيل، أراد: سأَلت، فخفَّف الهمزة، وهي لغةٌ، وأراد حسَّانُ أنّ هذيلاً =

سـالُوا رسـولَهمُ مـا لـيس مُعطِيَهمْ ... حتّى المماتِ وكـانوا سُبّةَ العَـرَبِ

ولـن تَـرَى لهُـذَيلٍ داعيـاً أبـداً ... يدعو لمَكرُمـةٍ عـن مَنـزِلِ الحَـرَبِ[1]

لقـد أَرادوا خِـلالَ الفُحشِ وَيحَهـمُ ... وأنْ[2] يُحِلُّوا حراماً كـان في الكُتُـبِ

وقال حسّانُ بن ثابتٍ يَهجُو هُذَيلاً[3]:

لَعَمْري لقد شانَتْ هُذيلَ بـنَ مُدرِكٍ ... أحاديثُ كانـت في خُبيـبٍ وعاصـمِ[4]

أحاديـثُ لِحيـانٍ صَـلُوا بقَبيحِهـا ... ولحيـانُ جَرّامُـون شَـرَّ الجـرائمِ[5]

أُنـاسٌ هـمُ مـن قومِهم في صَميمِهم ... بمَنزِلـةِ الزِّمْعـانِ دُبْـرَ القَـوادِمِ[6]

هـمُ غَـدَرُوا يـومَ الرَّجيـعِ وأسلَمَت ... أمـانَتُهمْ ذا عِفّـةٍ ومَكـارمِ

رسـولَ رسـولِ الله غَـدْراً ولـم تكـنْ ... هُـذَيلٌ تَـوَقَّى مُنكَـراتِ المَحـارمِ

فسـوفَ يَـرَونَ النّصـرَ يومـاً علـيهمُ ... بقتـلِ الّـذي تَحْميـهِ دونَ الحَـرائمِ[7]

= حين أرادت الإسلام، سأَلت رسولَ الله ﷺ أن يُحِلَّ لهم الزِّنى، فعيَّرهم بذلك. قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٨١.

(١) الحَرَب: السَّلَب، يقال: حُرِب الرجلُ، إذا سُلِبَ، أي: أُخذ ما عليه من سلاح ومتاع في الحرب. يصفهم بأنهم أهل نهبٍ وسلبٍ.

(٢) في (ت) و(ز) و(ص): ولن، وفي (م): ولم.

وخِلال الفُحش: خصاله.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ٥١٣.

(٤) شانت: قَبحَت وعابت.

(٥) صَلُوا بقبيحها، أي: أصابهم شرُّها. وجرّامون، أي: كاسبون.

(٦) صميم القوم: خالصهم في النسب. والزِّمعان: جمع زَمْعٍ، وهو الشَّعر الذي يكون فوق الرُّسغ من الدابة وغيرها. ودُبْرَ: خَلْفَ. والقوادم هنا: الأيدي، لأنها تَقدُم الأرجل.

(٧) تحميه: يعني عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الذي حَمَته النّحل. ودون الحرائم، أي: =

أبابيــلُ دَبْــرٍ شُــمَّسٍ دونَ لحمِـهِ ... حَمَتْ لحمَ شَهّادٍ عِظامَ المَلاحمِ[1]

لَعــلَّ هُــذَيلاً أن يَــرَوا بمُصابِــهِ ... مَصــارعَ قَتلَــى أو مَقامــاً لمَــاتَمِ[2]

ونُوقِــعَ فيهــا وَقْعــةً ذاتَ صَــولةٍ ... يُوافِي بها الرُّكبانُ أهلَ المَواسمِ[3]

بــأمرِ رســول الله إنَّ رســولَهُ ... رأَى رأيَ ذي حَزْمٍ بلِحْيانَ عالِمِ

قُبيِّلــةٌ لــيس الوَفــاءُ يُهِمُّهــمْ ... وإن ظُلِموا لم يَدفَعوا كَفَّ ظالمِ

إذا النــاسُ حَلُّــوا بالفَضــاءِ رأيــتَهمْ ... بمَجرَى مَسِيلِ الماءِ بين المَخارمِ[4]

مَحَلُّهــمُ دارُ البَــوَارِ ورأيُهــمْ ... إذا نــابَهمْ أمــرٌ كــرأْيِ البهــائمِ[5]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ يَهجُو هُذَيلاً[6]:

لَحَى اللهُ لِحياناً فليست دِماؤُهم ... لنــا مــن قَتِيلَــيْ غَــدْرةٍ بوَفــاءِ[7]

هــمُ قتلــوا يــومَ الرَّجيــعِ ابنَ حُــرّةٍ ... أخــا ثِقَــةٍ في وُدِّهِ وصَــفاءِ

= دون أن يمسَّه أحدٌ من الكفار.

والحرائم: جمع حَريم، وأراد بها هنا حُرْمة جسده فلا يُمثّل به.

(١) الأبابيل: الجماعات. والدَّبر: الزنابير أو النحل. والشُّمَّس: المُدافِعة. وشهّاد... أي: كثير الشهود للحروب. والمَلاحم: جمع مَلحَمة، وهي الحرب.

(٢) المأتم: جماعة النساء يجتمعن في حزن أو فرح، وأراد به هنا أنهن يجتمعن في مَناحةٍ، وقد سهّل همزة المأتم، لأن القافية هنا مؤسَّسة بالألف. قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٨٢.

(٣) الصَّولة: الشِّدّة. ويُوافي بها، أي: يأتون ويخبرون بها. والمواسم: مواسم الحج وغيرها من المواضع التي كانت العرب تجتمع فيها.

(٤) الفضاء: المتَّسع من الأرض. والمَخارم: مَسايِل الماء التي يَخرِمها (أي: يشقُّها) السيل.

(٥) البوار: الهلاك. ونابَهم، أي: نزل وحلَّ بهم.

(٦) انظر «ديوانه» ١/ ٤٠٦.

(٧) لَحَى اللهُ، أي: قبَّحهم ولَعَنهم.

فلو قُتِلوا يومَ الرَّجيعِ بأَسْرِهم   بذي الدَّبْرِ ما كانوا له بكِفَاءِ[1]

قتيلٌ حَمَتْه الدَّبْرُ بين بُيوتِهم   لَدَى أهلِ كُفرٍ ظاهرٍ وجَفاءِ

فقد قَتَلَت لِحْيانُ أكرَمَ منهمُ   وباعوا خُبَيباً وَيلَهُمْ بلَفَاءِ[2]

فأُفٍّ للِحْيانٍ على كلِّ حالةٍ   على ذِكْرِهِمْ في الذِّكرِ كلُّ عَفَاءِ[3]

قُبيِّلةٌ باللُّؤمِ والغَدْرِ تَغتَري   فلم تُمسِ يَخفَى لُؤمُها بخَفاءِ[4]

فلو قُتِلوا لم تُوفِ منه دِماؤُهم   بَلَى إنَّ قتلَ القاتِلِيهِ شِفائي

فإنْ لا أَمُتْ أَذعَرْ هُذَيلاً بغارةٍ   كغَادِي الجَهَامِ المُغتَدي بإفَاءِ[5]

بأمرِ رسولِ الله والأمرُ أمرُهُ   يَبِيتُ لِلحْيانَ الخَنَا بفِناءِ[6]

يُصبِّحُ قوماً بالرَّجيعِ كأنَّهمْ   جِدَاءُ شِتاءٍ[7] بِتْنَ غيرَ دِفاءِ

وقال حسّانُ بن ثابتٍ يَهجُو هُذَيلاً[8]:

فلا واللهِ ما تدري هُذَيلٌ   أصافٍ ماءُ زَمزَمَ أم مَشُوبُ[9]

---

(١) بأسرهم، أي: جميعهم. ويعني بذي الدَّبْر عاصمَ بن أبي الأقلح.

(٢) اللَّفَاء: الشيء الحقير اليسير، ومنه قولهم: اقنَعْ من الوفاء باللَّفاء.

(٣) العَفَاء: المحو والتغيّر.

(٤) تغتري، أي: يُغرِي بعضُها بعضاً. وفي (ز) و(ش١) و(غ): تَعتزي، ومعناه: تنتسب. وقيِّد في (م) بالوجهين.

(٥) أَذعَرُ: أُفزِعُ. والغادي: المبكِّر. والجَهَام: السحاب الرقيق. والإفاء هنا: الغنيمة.

(٦) الخنا: كأنه هنا أراد الهلاك، من قولهم: أخنى عليهم الدهرُ، أي: أَتى عليهم وأهلكهم.

(٧) هكذا في (غ) و(م)، وفي (ت) و(ش١): جداءٌ وشاءٌ، وفي (ز) و(ص) و(ي): جداءٌ وشتا، وهو خطأ، والصواب ما في (غ) و(م). والجِداء: جمع جَدْي، ودِفاء من الدِّفء.

(٨) انظر «ديوانه» ١/ ١٧٣.

(٩) المَشُوب: المخلوط.

ولا لهـمُ إذا اعتَمَـروا وحَجُّـوا ... من الحَجَرَينِ والمَسعَى نصيبُ[1]

ولكـنَّ الرَّجيـعَ لهـم مَحَـلٌّ ... بـه اللُّـؤمُ المُبـيَّنُ والعُيـوبُ

كـأنّهمُ لـدى الكَنّـاتِ أُصْـلاً ... تُيـوسٌ بالحِجـازِ لهـا نَبيـبُ[2]

هـمُ غَـرُّوا بـذِمَّتِهم خُبَيبـاً ... فبِئسَ العهدُ عهدُهمُ الكَذُوبُ

قال ابن هشام: آخرُها بيتاً عن أبي زيدٍ الأنصاريّ.

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ يبكي خُبَيباً وأصحابَه[3]:

صلَّى الإلٰـهُ على الّـذينَ تتابَعُوا ... يـومَ الرَّجيـعِ فـأُكرِموا وأُثِيبـوا

رأسُ السَّـرِيّة مَرثَـدٌ وأميـرُهم ... وابـنُ البُكَيـرِ إمـامُهمْ وخُبَيـبُ[4]

وابـنٌ لطـارقَ وابـنُ دَثْنـةَ مـنهمُ ... وافـاهُ ثَـمَّ حِمامُـه المكتُـوبُ[5]

والعاصمُ المقتولُ عند رَجيعِهِمْ ... كَسَـبَ المَعـالي إنّـه لكَسُـوبُ

---

(١) يعني بالحَجَرين: الحَجَر الأسود، والحِجْر الذي فيه مقام إبراهيم عليه السلام، ويروى: الحِجرَين، يعني حِجْر الكعبة، فثنّاه مع ما يليه. والمسعى: حيث يُسعَى بين الصَّفا والمَرْوة.

(٢) الكَنّات: جمع كَنّةٍ، وهي شيء يُلصَق بالبيت يُكَنُّ به، أي: يُستَتَر به. وأُصلاً، بضمّتين وسُكِّن تخفيفاً: جمع أَصيل، وهو العَشِيّ، وهو من الوقت بعد العصر إلى المغرب. والنَّبيب: صياح التيس عند الهياج والسِّفاد.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ١٧٩.

(٤) قوله: خُبَيب، في قافية واحدة مع قوله: المكتُوب، عيبٌ من عيوب قوافي الشِّعر كما ذكر أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٨٤، حيث إنه ذكر قبل حرف الرَّويّ في خُبيبٍ ياءً مفتوحاً ما قبلها، فخالف بذلك سائر القصيدة، وهذا يسمَّى: التوجيه، وهو أن يختلف ما قبل الرِّدْف، والرِّدف في الشِّعر: حرف ساكن من حروف المدّ واللِّين يقع قبل حرف الرَّوي ليس بينهما شيء.

(٥) الحِمام: الموت.

مَنَـعَ المَقَـادةَ أن يَنـالُوا ظَهـرَه حتّـى يُجالِـدَ إنَّـه لنَجِيـبُ[1]

قال ابن هشام: ويُروَى: حتّى يُجدَّلَ إنّه لنَجِيبُ[2].

قال ابن هشام: وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها لحسّان.

أمرُ بئر مَعُونة
في صَفَرٍ سنة أربعٍ

قال ابن إسحاق: فأقامَ رسولُ الله ﷺ بقيّةَ شوّالٍ وذا القَعْدة وذا الحِجّة ـ ووَلِيَ تلك الحَجّةَ المشركون ـ والمُحرَّمَ، ثمّ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ أصحابَ بئر مَعُونةَ في صَفَرٍ على رأس أربعة أشهرٍ من أُحد.

وكان من حديثهم، كما حدّثني أبي إسحاقُ بن يَسارٍ، عن المغيرة بن عبد الرَّحمن ابن الحارث بن هشام، وعبدُ الله بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حَزْمٍ، وغيرُه من أهل العلم، قالوا: قَدِمَ أبو بَراءٍ عامرُ بن مالك بن جعفرٍ مُلاعِبُ الأَسِنّة[3] على رسول الله ﷺ المدينةَ، فعَرَضَ عليه رسولُ الله ﷺ الإسلامَ ودعاه إليه فلم يُسلِمْ ولم يَبعُدْ من الإسلام، وقال: يا محمّدُ، لو بَعَثتَ رجالاً من أصحابك إلى أهل نَجدٍ فدَعَوهم إلى أمرِك، رَجَوتُ أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله ﷺ: «إنِّي أَخشَى عليهم أهلَ نَجدٍ»، قال أبو براءٍ: أنا لهم جارٌ، فابعَثْهم فليَدْعُوا الناسَ إلى أمرِك[4].

---

(١) المَقادة: المَذَلّة والانقياد لأعدائه. ويجالد: يضارب بالسيف.

(٢) يُجدَّل، أي: يقع بالأرض، واسم الأرض: الجَدَالة.

(٣) الأسنّة: الرِّماح.

(٤) خبر السَّريّة بطوله صحيح روي من أوجهٍ يشدُّ بعضها بعضاً منها مرسلٌ ومنها موصولٌ.
ومن طريق ابن إسحاق بهذا الإسناد أخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٤٥-٥٤٧، والطبراني في «الكبير» ٢٠/ (٨٤١)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٤٨٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» =

فبَعَثَ رسولُ الله ﷺ المنذرَ بن عمرٍو أخا بني ساعدةَ، المُعنِق ليموتَ[1]، في أربعين رجلاً[2] من أصحابه من خِيَار المسلمين، منهم الحارثُ بن الصِّمّة، وحَرَامُ ابن مِلْحانَ أخو بني عَديّ بن النَّجّار، وعُرْوةُ بن أسماءَ بن الصَّلْت السُّلَميّ، ونافعُ ابن بُدَيل بن وَرْقاءَ الخُزَاعيّ، وعامرُ بن فُهَيرةَ مولى أبي بكرٍ الصِّدّيق، في رجالٍ مُسمَّينَ من خِيَار المسلمين، فساروا حتّى نَزَلوا ببئرِ مَعُونةَ، وهي بين أرض بني عامرٍ وحَرَّة بني سُلَيمٍ، كِلا البلدَينِ منها قريبٌ، وهي إلى حَرَّة بني سُلَيمٍ أقرب[3].

فلمّا نَزَلُوها بَعَثُوا حَرَامَ بن مِلْحانَ بكتابِ رسول الله ﷺ إلى عدوِّ الله عامر بن الطُّفَيل[4].

= ٣/ ٣٣٩-٣٤١، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٣٦-٣٧ من طرق عن ابن إسحاق.

وروى خبر بئر معونة أيضاً موسى بن عقبة في مغازيه فيما أخرجه البيهقي ٣/ ٣٤٣ عن ابن شهاب الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ورجال من أهل العلم، مرسلاً.

ورواه أيضاً الواقدي في «مغازيه» ١/ ٣٤٦-٣٤٨ عن جماعة من شيوخه مرسلاً.

وروي عن أنس بن مالك أبعاضٌ منه في «الصحيحين» وغيرهما كما سيأتي لاحقاً.

(١) المُعنِق ليموت، أي: المُسرِع، وإنّما لُقِّب بذلك لأنه أسرعَ إلى الشهادة. قاله الخشنيُّ.

(٢) بل هم سبعون رجلاً، كما وقع في حديث أنس بن مالك عند البخاري (٤٠٩٠) ومسلم (١٤٧)(١٩٠٢).

وحديث أنس هذا قد رواه أيضاً ابن إسحاق نفسه عن حميد الطويل عن أنس فيما أخرجه الطبري ٢/ ٥٤٦ من طريق سلمة بن الفضل عنه.

وذكر الواقدي ١/ ٣٤٧ عن أبي سعيد الخدري: أنهم كانوا سبعين، ثم قال: ويقال: إنهم كانوا أربعين، ورأيت الثَّبَت على أنهم أربعون!

(٣) لا يعرف مكان بئر معونة اليوم بالتحديد، لكنه يقع غرب مدينة مهد الذهب (المعروف قديماً بمَعدِن بني سُليم) إلى الشمال، والمهد جنوب شرق المدينة المنوَّرة على قرابة ١٨٠ كم.

(٤) وهو ابن أخي أبي براءٍ عامر بن مالك.

فلمّا أتاه لم يَنظُرْ في كتابه حتّى عَدَا على الرَّجل فقتله[1]، ثمّ استَصرَخَ عليهم بني عامرٍ[2] فأبَوْا أن يُجِيبُوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا: لن نُخفِرَ أبا بَراءٍ[3]، وقد عَقَدَ لهم عَقْداً وجِواراً، فاستَصرَخَ عليهم قبائلَ من بني سُلَيمٍ من عُصيّةَ ورِعْلٍ وذَكْوانَ، فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتّى غَشُوا القومَ فأحاطوا بهم في رِحالِهم، فلمّا رَأَوهم أخذوا سيوفَهم ثمّ قاتلوهم حتّى قُتِلوا من عند آخرِهم رضي الله عنهم، إلّا كعبَ بن زيدٍ أخا بني دينار بن النَّجّار، فإنّهم تَرَكوه وبه رَمَقٌ، فارتُثَّ[4] من بين القتلى، فعاشَ حتّى قُتِلَ يومَ الخندق شهيداً.

وكان في سَرْحِ القوم[5] عمرُو بن أُميّة الضَّمْريُّ ورجلٌ من الأنصار أحدُ بني عمرو بن عوف.

قال ابن هشام: هو المنذرُ بن محمّد بن عُقْبة بن أُحَيحة بن الجُلَاح.

قال ابن إسحاق: فلم يُنبِئْهما بمُصابِ أصحابِهما إلّا الطّيرُ تَحُومُ على العسكر، فقالا: والله إنَّ لهذِه الطّيرِ لَشأناً.

فأقبَلا ليَنظُرا، فإذا القومُ في دمائهم، وإذا الخيلُ التي أصابتهم واقفةٌ، فقال الأنصاريُّ لعمرو بن أُميّة: ما تَرَى؟ قال: أَرى أن نَلحَقَ برسول الله ﷺ فنُخبِرَه الخبرَ، فقال الأنصاريّ: لكنّي ما كنتُ لأَرغَبَ بنفسي عن موطنٍ قُتِلَ فيه المنذرُ

(١) وذكر نحوَ هذا في قتل حرام بن مِلحان أنسُ بن مالك عند البخاري (٤٠٩١)، وحرامٌ خالُ أنس أخو أمِّه أمِّ سُليم.

(٢) أي: استغاث واستعان بهم، وهم قومه بنو عامر بن صَعصَعة من هَوَازن.

(٣) أي: لن ننقض عهده.

(٤) ارتُثَّ، أي: رُفع وبه جراح.

(٥) السَّرْح: الإبل والمواشي التي تَسرَح للرّعي.

ابن عمرٍو، وما كنتُ لتُخبِرَني عنه الرِّجالُ، ثمّ قاتل القومَ حتّى قُتِلَ، وأَخذوا عمرَو ابن أُميّة أسيراً، فلمّا أخبرهم أنّه من مُضَر، أطلَقَه عامرُ بن الطُّفَيل وجَزَّ ناصيَتَه وأعتَقَه عن رَقَبةٍ زَعَمَ أنّها كانت على أُمِّه.

فخرج عمرو بن أُميّة حتّى إذا كان بالقَرقَرةِ[1] من صَدْر قَنَاة، أقبَلَ رجلانِ من بني عامر.

قال ابن هشام: ثمّ من بني كِلابٍ، وذكر أبو عمرو المَدَنـيّ: أنّهما من بني سُلَيم.

قال ابن إسحاق: حتّى نَزَلا معه في ظِلٍّ هو فيه، وكان مع العامريَّينِ عَقدٌ من رسول الله ﷺ وجِوارٌ لم يَعلَمْ به عمرُو بن أُميّة، وقد سألهما حين نَزَلا: ممَّن أنتما؟ فقالا: من بني عامرٍ، فأمهَلَهما، حتّى إذا ناما عَدَا عليهما فقَتَلَهما، وهو يَرَى أنّه قد أصابَ بهما ثُؤْرةً[2] من بني عامرٍ فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ، فلمّا قَدِمَ عمرُو بن أُميّة على رسول الله ﷺ فأخبره الخبـرَ، قال رسول الله ﷺ: «لقد قَتَلتَ قَتيلَينِ لَأدِيَنَّهما»، ثمّ قال رسول الله ﷺ: «هذا عَمَلُ أبي بَرَاءٍ، قد كنتُ لهذا كارهاً مُتَخَوِّفاً».

فبَلَغَ ذلك أبا بَراءٍ، فشَقَّ عليه إخفارُ عامرٍ إيّاه وما أصابَ أصحابَ رسول الله ﷺ بسببه وجِوَارِه.

---

(١) هي قرقرة الكُدْر، موضع بناحية معدن بني سليم المعروف اليوم بمهد الذهب، المشار إليه قريباً.

وأما قناةُ: فهو أحد أودية المدينة الثلاثة، بُطحان وقناة والعقيق، وهو وادٍ كبير فحلٌ يمرّ من شرق المدينة إلى أن يصل إلى جهتها الشمالية الشرقية، ويمرّ من جنوبيّ جبل أُحد باتجاه الغرب ويميل قليلاً إلى الشمال.

(٢) الثُّؤرة: الثأر.

وكان فيمَن أُصيبَ عامرُ بن فُهَيرةَ، فحدّثني هشام بن عُرْوة، عن أبيه: أنّ عامرَ ابن الطُّفَيلِ كان يقول: مَن رجلٌ منهم لمّا قُتِلَ رأيتُه رُفِعَ بين السماءِ والأرض حتّى رأيتُ السماءَ من دُونِه؟ قالوا: هو عامرُ بن فُهَيرةَ[1].

وقد حدّثني بعضُ بني جَبّار بن سُلْمى[2] بن مالك بن جعفرٍ ـ قال: وكان جبّارٌ فيمن حَضَرَها[3] يومَئذٍ مع عامرٍ ثمّ أسلَمَ ـ قال: فكان يقول: إنَّ ممّا دعاني إلى الإسلام أنّي طَعَنتُ رجلاً منهم يومَئذٍ بالرُّمح بين كَتِفَيه، فنَظَرتُ إلى سِنانِ الرّمح حين خرج من صَدْره، فسمعته يقول: فُزْتُ والله، فقلتُ في نفسي: ما فازَ؟! ألستُ قد قتلتُ الرّجلَ! قال: حتّى سألتُ بعدَ ذلك عن قوله، فقالوا: لِلشّهادةِ، فقلت: فازَ

(١) مرسل رجاله ثقات.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٤٨ سلمة بن الفضل، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ١/ ١١٠، و«معرفة الصحابة» (٥١٥٨) من طريق إبراهيم بن سعد، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

ورواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق عند ابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٣٣، وفيه: أن عامر ابن الطفيل لما قدم إلى المدينة ـ وعرض عليه الإسلام فأبى ـ سأل رسولَ الله ﷺ عن ذلك فقال: «هو عامر بن فهيرة». وهذه رواية شاذّة.

وقد روى أبو أسامة حمادُ بن أسامة هذا الخبر عند البخاري بإثر الحديث (٤٠٩٣) عن هشام ابن عروة عن أبيه قال: لمّا قُتل الذين ببئر معونة وأُسر عمرو بن أُمية الضمري، قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ فأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أُمية: هذا عامر بن فُهَيرة، فقال: لقد رأيته بعدما قُتل رُفِعَ إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وُضِعَ. قلنا: وعمرو ابن أُمية قد تأخرت وفاته إلى خلافة معاوية، وتوفي بالمدينة وأدركه عروةُ بن الزبير، فلا يَبعُد أن يكون سمع هذا الخبر منه، والله تعالى أعلم.

(٢) قُيِّد في بعض نسخنا بفتح السين، وقد نصَّ ابن ماكولا في «الإكمال» ٤/ ٣٢٧ في هذا على أنه بضم السين والإمالة.

(٣) أي: حضر يوم بئر معونة.

لَعَمْرُ اللهِ[1].

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ يُحرِّضُ بني أبي بَراءٍ على عامر بن الطُّفَيل:

بَنِي أُمِّ البَنِينَ ألم يَرُعْكمْ وأنتم من ذَوائبِ أهلِ نَجدِ[2]

تَهكُّمُ عامرٍ بأبي بَراءٍ ليُخفِرَه وما خَطَأٌ كعَمدِ[3]

ألَا أبلِغْ ربيعةَ ذا المَساعي فما أحدَثْتَ في الحَدَثانِ بعدي[4]

أبوكَ أبو الحُروبِ أبو بَراءٍ وخالُك ماجدٌ حَكَمُ بن سعدِ[5]

قال ابن هشام: حَكَمُ بن سعدٍ من القَيْنِ بن جَسْرٍ.

وأمُّ البَنِين بنتُ عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صَعصَعة، وهي أمُّ أبي بَراءٍ.

قال ابن إسحاق: فحَمَلَ ربيعةُ بنُ عامر بن مالكٍ على عامر بن الطُّفَيل، فطَعَنَه بالرُّمح فوَقَعَ في فَخِذِه فأَشْواهُ[6] ووَقَعَ عن فرسه، فقال: هذا عَمَلُ أبي بَراءٍ، إن أمُتْ

(١) وروى هذا الخبر أيضاً الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٣٤٩ عن مصعب بن ثابت الزبيري، عن أبي الأسود يتيم عروة، عن عروة. وسمَّى هذا المطعون عامرَ بن فُهيرة.

لكن أخرج البخاري (٤٠٩١) و(٤٠٩٢)، ومسلم (١٩٠٢)(١٤٧) من طرق عن أنس بن مالك: أن هذا المطعون والقائل: فزتُ... هو خاله حَرَام بن مِلْحان.

(٢) الذوائب: الأعالي والأشراف.

(٣) التهكّم: الاستهزاء. ويُخفِره، أي: ينقض عهده.

(٤) ربيعة: هو ابن أبي براء عامر بن مالك. والمساعي: السعي في طلب المجد والمكارم. والحَدَثان: حوادث الدهر.

(٥) الماجد: السيّد الشريف.

(٦) أشواه، أي: أخطأ مَقتَلَه.

فدَمِي لعمِّي، فلا يُتبعَنَّ به، وإن أَعِشْ فسأَرى رَأْيِي فيما أُتِيَ إليّ.

وقال أنسُ بن عبّاسٍ السُّلَميّ - وكان خالَ طُعَيمة بن عَدِيّ بن نَوفَل - وقَتَلَ يومَئذٍ نافعَ بن بُدَيل بن وَرْقاءَ الخُزاعيّ:

تَرَكتُ ابنَ وَرْقاءَ الخُزاعيَّ ثاوِياً ... بمُعتَرَكٍ تَسْفي عليه الأعاصرُ[1]

ذكرتُ أبا الزَّبّانِ لمّا رأيتُهُ ... وأَيقَنتُ أنّي عندَ ذلك ثائرُ[2]

وأبو الزَّبّان: طُعَيمةُ بن عَدِيّ.

وقال عبدُ الله بن رَوَاحة يبكي نافعَ بن بُدَيلٍ:

رَحِمَ اللهُ نافعَ بنَ بُدَيلٍ ... رحمةَ المُبتَغِي ثوابَ الجِهادِ

صابرٌ صادقٌ وَفِيٌّ إذا ما ... أكثرَ القومُ قال قولَ السَّدَادِ

وقال حسّانُ بن ثابتٍ يبكي قتلى بئر مَعُونةَ ويَخُصُّ المنذرَ[3]:

على قَتلَى مَعُونةَ فاستَهِلِّي ... بدمعِ العَينِ سَحّاً غيرَ نَزْرِ[4]

على خيلِ الرَّسولِ غَداةَ لاقَوْا ... ولاقَتْهم مَنايَاهُم بقَدْرِ

أصابَهمُ الفَناءُ بعَقدِ قومٍ ... تُخُوِّنَ عَقدُ حَبلِهِم بغَدْرِ[5]

---

(١) المُعتَرَك: موضع الحرب.

وتَسفِي: تُثير عليه التراب.

والأعاصر والأعاصير: الرِّياح الشديدة التي يلتفُّ معها الغبار.

(٢) ثائر: آخذٌ بثأري.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ٢٠٧.

(٤) استهلِّي: أَظهري البكاء، يقال: استهلَّ الدمعُ، إذا سال وظَهَر. والسَّحّ: الصَّبّ. والنَّزْر: القليل.

(٥) تُخُوِّن، أي: تُنُقِّص.

فيــا لَهْفــي لمُنــذِرٍ اذْ تَــوَلَّى وأَعنَــقَ في مَنيّتِــهِ بصَــبْرِ [1]

وكـائِنْ قـد أُصـيبَ غَـداةَ ذاكُـم منَ ابْيَضَ ماجدٍ مـن سِـرِّ عَمـرِو [2]

قال ابن هشام: أنشَدَني آخرَها بيتاً أبو زيدٍ الأنصاريُّ، وأنشَدَني لكعبِ بن مالكٍ في يوم بئر مَعُونةَ يعني [3] بني جعفر بن كِلابٍ:

تَــرَكتُم جــارَكم لبنــي سُـلَيمٍ مَخافـةَ حَـربِهم عَجْـزاً وهُونـا [4]

فلـو حَـبْلاً تَنـاوَلَ مـن عُقَيـلٍ لَمَــدَّ بحَبلِهــا حَــبلاً مَتِينــا [5]

أو [6] القُرَطـاءِ مـا إنْ أسـلَمُوه وقِـدْماً مـا وَفَـوْا إذ لا يَفُونـا

قال ابن هشام: القُرَطاءُ قبيلةٌ من هَوَازِن، ويُروَى: من نُفَيلٍ، مكانَ عُقَيل، وهو الصّحيحُ؛ لأنَّ القُرَطاءَ من نُفَيلٍ قريبٌ [7].

---

(١) أَعنق: أسرع، والعَنَق بفتحتين: ضربٌ من السير السريع.

(٢) سرُّ القوم: خيارهم وخالصهم.

(٣) في نسخة في (م): يعيّر، وفي (ت): يعني يعيِّر.

(٤) الهُون: الذل والمهانة.

(٥) يعني بالحبل: العهد والذِّمّة.

وأراد كعبٌ تفضيل بني عُقيل على بني جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهم بطنٌ آخر من بني عامر بن صعصعة، فعُقيل: هو ابن كعب بن عامر ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

(٦) في (ت) و(ز) و(ص) و(م): أبو.

قال السهيليُّ والخشنيُّ: القُرَطاء: بطون من العرب من بني عامر ثم من بني كِلاب، وهم: قُرْط وقُرَيط وقَرِيط، وهم القروط أيضاً.

(٧) نفيل: هو نفيل بن عمرو بن كلاب بن عامر بن صعصعة.

أمرُ إجلاءِ بني النَّضير
في سنة أربعٍ[1]

(١) كذا وقع لابن إسحاق: أن غزوة بني النضير كانت سنة أربع بعد أُحدٍ بقرابة خمسة أشهر، ووافقه على ذلك أكثر أهل المغازي، وأما الزهري فقال: إنها كانت بعد وقعة بدرٍ بستة أشهر، وأشار إلى هذا الخلاف فيها بين الزهريِّ وابن إسحاقَ البخاريُّ في «صحيحه» في كتاب المغازي: باب حديث بني النضير، واختار هو قولَ الزهريِّ فبوَّب لهذه الغزوة قبل غزوة أُحد، وقد اختُلِف على الزهري فيه، فمرّةً يُسنَد عنه هذا القول إلى عُروة بن الزبير، ومرةً إلى عائشة رضي الله عنها، والمحفوظ فيه أنه من قوله هو كما هو مبيَّن في التعليق على «مستدرك الحاكم» (٣٨٣٩) طبعة دار الرسالة.

وقد رجّح السهيليُّ أيضاً في «الروض» ٦/ ٢٣٢ ما قال الزهريُّ، فقال: ذكر ابن إسحاق هذه الغزوة في هذا الموضع، وكان ينبغي أن يذكرها بعد بدرٍ لما روى عُقَيل بن خالد وغيره عن الزهري قال: كانت غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر.

وقال ابن القيّم في «زاد المعاد» ٣/ ٢٤٩: زعم محمدُ بن شهاب الزهريّ: أن غزوة بنى النضير كانت بعد بدر بستة أشهر، وهذا وهمٌ منه أو غلطٌ عليه، بل الذي لا شكَّ فيه أنها كانت بعد أُحد، والتي كانت بعد بدرٍ بستة أشهر هي غزوة بني قَينُقاع.

وصوَّب الصالحيُّ أيضاً في «سُبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» ٤/ ١٨١ إيرادها بعد أُحدٍ كما ذكر ذلك ابن إسحاق وغيره من أئمة المغازي.

كما اختُلف في سبب هذه الغزوة أيضاً، فبينما اتَّفق ابن إسحاق والواقدي وابن سعد وجُلُّ أهل المغازي على نحو ما ذكره ابن إسحاق هنا في قصة عمرو بن أُميّة الضَّمري، روى معمرٌ عن الزهري سبباً آخر غيرَ هذا، فقد روى عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧٣٣) ـ ومن طريقه أبو داود (٣٠٠٤) ـ عن معمر، عن الزهريِّ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ـ أو ابنه عبد الله بن عبد الرحمن ـ عن رجل من أصحاب النبيِّ ﷺ: أنّ كفار قريش كتبوا بعد وقعة بدرٍ إلى اليهود: إنكم أهل الحَلْقة (أي: السلاح) والحصون، وإنكم لتقاتلُنَّ صاحبَنا، أو لنفعلنَّ كذا وكذا... =

قال ابن إسحاق: ثمّ خرج رسولُ الله ﷺ إلى بني النَّضِير يَستَعينُهم في دِيَة ذَينِكَ القتيلين من بني عامرٍ اللّذَين قَتَلَ عمرُو بن أُميّة الضَّمْريّ، للجِوار الّذي كان رسولُ الله ﷺ عَقَدَ لهما ـ كما حدّثني يزيدُ بن رُومان ـ وكان بين بني النَّضيرِ وبين بني عامرٍ عَقْدٌ وحِلفٌ، فلمّا أتاهم رسولُ الله ﷺ يَستَعينُهم في دِيَة ذَينِك القتيلين قالوا: نعم يا أبا القاسم، نُعِينُك على ما أحبَبتَ ممّا استَعنتَ بنا عليه، ثمّ خَلَا بعضُهم ببعضٍ فقالوا: إنّكم لن تَجِدُوا الرّجلَ على مثلِ حاله هذه ـ ورسولُ الله ﷺ إلى جنبِ جِدارٍ من بيوتهم قاعدٌ ـ فمَن رجلٌ يَعلُو على هذا البيت فيُلقِي عليه

= فلمّا بلغ كتابُهم اليهودَ أجمعت بنو النَّضير على الغَدْر، فأرسلت إلى النبي ﷺ: اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، ولنخرج في ثلاثين حَبْراً، حتى نلتقيَ في مكان كذا، نِصْف بيننا وبينكم، فيسمعوا منك، فإن صدَّقوك وآمنوا بك، آمنّا كلُّنا، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حبراً من اليهود، حتى إذا برزوا في بَرَازٍ من الأرض، قال بعض اليهود لبعض: كيف تَخلُصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله، فأَرسلوا إليه: كيف تفهم ونفهم ونحن ستون رجلاً؟ اخرُج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا فليسمعوا منك، فإن آمنوا بك آمنّا كلُّنا وصدّقناك.

فخرج النبي ﷺ في ثلاثة نفر من أصحابه، واشتملوا على الخناجر وأرادوا الفَتْك برسول الله ﷺ، فأرسلت امرأةٌ ناصحةٌ من بني النضير إلى بني أخيها، وهو رجل مسلم من الأنصار، فأخبرته خبر ما أرادت بنو النضير من الغَدْر برسول الله ﷺ، فأقبل أخوها سريعاً حتى أدرك النبيَّ ﷺ، فسارَّه بخبرهم قبل أن يصلَ النبي ﷺ إليهم، فرجع النبي ﷺ، فلمّا كان من الغدِ غَدَا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحاصرهم، وقال لهم: «إنكم لا تأمَنُون عندي إلا بعهدٍ تعاهدوني عليه»، فأَبَوا أن يعطوه عهداً... وقصَّ خبرَهم. وهذا إسناد متَّصل رجاله ثقات.

قال ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ١١٢: فهذا أقوى ممَّا ذكر ابن إسحاق من أنَّ سبب غزوة بني النَّضير طلبُه ﷺ أن يُعِينُوه في دية الرَّجلين، لكن وافق ابنَ إسحاق جُلُّ أهل المغازي، فالله أعلم.

صخرةً فيُرِيحُنا منه؟ فانتَدَبَ لذلك عمرُو بن جِحَاش بن كعبٍ أحدُهم، فقال: أنا لذلك، فصَعِدَ ليُلْقيَ عليه صخرةً كما قال، ورسولُ الله ﷺ في نَفَرٍ من أصحابه فيهم أبو بكرٍ وعمرُ وعليٌّ، رِضوانُ الله عليهم.

فأَتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماءِ بما أراد القومُ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، فلمّا استَلبَثَ النبيَّ ﷺ أصحابُه قاموا في طَلَبِه، فلَقُوا رجلاً مُقبلاً من المدينة فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلاً المدينةَ، فأقبَلَ أصحابُ رسول الله ﷺ حتّى انتَهَوْا إليه ﷺ، فأخبرهم الخبرَ بما كانت اليهودُ أرادت من الغَدْر به، وأمَرَ رسولُ الله ﷺ بالتَّهيُّؤِ لحَرْبِهم والسَّير إليهم ـ واستَعمَلَ على المدينة ابنَ أمِّ مكتومٍ فيما قال ابن هشام ـ ثمّ سارَ حتّى نَزَلَ بهم.

قال ابن هشام: وذلك في شهر ربيعٍ الأوّل، فحاصَرَهم ستَّ لَيالٍ[1]، ونَزَلَ تحريمُ الخمر.

قال ابن إسحاق: فتَحصَّنوا منه في الحصون، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ بقَطْعِ النَّخل والتَّحريقِ فيها، فنادَوْه: أن يا محمّدُ، قد كنتَ تَنهَى عن الفساد وتَعِيبُه على مَن صَنَعَه، فما بالُ قَطْعِ النّخل وتحريقِها؟!

وقد كان رَهْطٌ من بني عوف بن الخَزرَج، منهم عبدُ الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ ووَدِيعةُ ومالكُ بن أبي قَوقَلٍ وسُوَيدٌ وداعسٌ قد بَعَثوا إلى بني النَّضير: أن اثبُتوا وتَمنَّعوا، فإنّا لن نُسلِمَكم، إن قُوتِلتُم قاتَلْنا معكم، وإن أُخرِجتُم خَرَجنا معكم، فتَربَّصُوا ذلك من نَصرِهم فلم يفعلوا، وقَذَفَ الله في قلوبهم الرُّعبَ، وسألوا رسولَ الله ﷺ أن يُجلِيَهم

(١) وقال الواقدي وابن سعد والبلاذُري وأبو مَعشَر وابن حبّان: خمسة عشر يوماً، وقيل: قريباً من عشرين ليلة، وقيل: ثلاثاً وعشرين، وقيل: خمساً وعشرين. انظر «سبل الهدى والرشاد» للصالحي ٤/ ٣٢٣-٣٢٤.

ويَكُفَّ عن دمائهم على أنّ لهم ما حَمَلَت الإبلُ من أموالهم إلّا الحَلْقةَ[1]، ففعَلَ، فاحتَمَلوا من أموالهم ما استَقَلَّت به الإبلُ[2]، فكان الرّجلُ منهم يَهدِمُ بيتَه عن نِجَافِ بابه[3] فيَضَعُه على ظَهْر بعيره فيَنطلِقُ به، فخرجوا إلى خَيبَر، ومنهم مَن سارَ إلى الشّام.

فكان أشرافُهم مَن سارَ منهم إلى خَيبَرَ: سَلامُ بن أبي الحُقَيق، وكِنانةُ بن الرَّبيع ابن أبي الحُقَيق، وحُيَيُّ بن أَخطَبَ، فلمّا نَزَلوها دانَ لهم أهلُها.

فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ، أنّه حُدِّثَ: أنّهم استَقَلُّوا بالنّساءِ والأبناءِ والأموالِ معهم الدُّفوفُ والمزاميرُ والقِيانُ يَعزِفنَ خلفَهم ـ وإنَّ فيهم لأُمَّ عمرٍو صاحبةَ عُرْوة ابن الوَرْد العَبْسيّ التي ابتاعوا منه، وكانت إحدى نساءِ بني غِفارٍ ـ بزُهاءٍ[4] وفَخرٍ ما رُئِيَ مِثلُه من حيٍّ من النّاس في زمانهم.

وخَلَّوُا الأموالَ لرسول الله ﷺ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصّةً يَضَعُها حيثُ شاء، فقَسَمَها رسولُ الله ﷺ على المهاجرين الأوَّلين دونَ الأنصار، إلّا أنّ سهلَ بن حُنَيفٍ وأبا دُجَانة سِماكَ بن خَرَشةَ ذَكَرا فقراً، فأعطاهما رسولُ الله ﷺ.

ولم يُسلِمْ من بني النَّضير إلّا رجلانِ: يامينُ بن عُمَير بن كعب بن عمرو بن جِحَاشٍ، وأبو سعد بن وهبٍ، أَسلَما على أموالهما فأحرَزَاها[5].

قال ابن إسحاق: وقد حدَّثني بعضُ آلِ يامِينَ: أنّ رسول الله ﷺ قال ليامِينَ: «ألم

(١) الحَلْقة: السلاح كله، أو خاصّ بالدُّروع.

(٢) أي: نهضت وارتفعت.

(٣) النِّجَاف: العَتَبة التي بأعلى الباب، والأُسكُفّة: العَتَبة التي بأسفله.

(٤) الزهاء: الإعجاب والتكبر.

(٥) أي: حَفِظاها لأنفسهما.

تَرَ ما لَقِيتُ من ابن عَمِّكَ، وما هَمَّ به من شَأْني؟!»، فجَعَلَ يامِينُ لرجلٍ جُعْلاً على أن يقتلَ عمرَو بن جِحَاشٍ، فقتله فيما يَزعُمون[1].

ونَزَلَ في بني النَّضيرِ سورةُ الحَشْر بأسْرِها، يُذكَرُ فيها ما أصابهم اللهُ به من نِقمَته، وما سَلَّطَ عليهم به رسولَه ﷺ وما عَمِلَ به فيهم، فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، وذلك لهَدْمِهم بيوتَهم عن نُجُفِ أبوابِهم إذِ احتَمَلوها ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ وكان لهم من الله نِقْمةٌ ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي: بالسَّيف ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾﴾ مع ذلك ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ واللِّينةُ ما خالَفَ العَجْوةَ من النَّخل ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: فبأَمرِ الله قُطِعَت لم يكن فساداً، ولكن كان نِقمةً من الله ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾.

قال ابن هشام: اللِّينةُ من الألوان، وهي ما لم تكن بَرْنيّةً ولا عَجوةً من النَّخل فيما حدَّثنا أبو عُبيدة، قال ذو الرُّمَّة[2]:

كأنَّ قُتُودي فوقَها عُشُّ طائرٍ على لِينةٍ سَوْقاءَ تَهفُو جُنوبُها[3]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

---

(١) ضعيف لإعضاله وإبهام رواته. وذكر نحوه الواقديُّ في «المغازي» ١/ ٣٧٤ بلا إسناد.

(٢) انظر «ديوانه» بشرح أبي نصر الباهلي ٢/ ٦٩٩.

(٣) القُتود: خشب الرَّحل، واحدها: قَتَدٌ. وسوقاء: طويلة الساق. وتهفو: تهتز وتضطرب. وجُنوبها: نواحيها. يريد: كأن قُتودي فوق نخلة سَوقاء، أي: أن الناقة طويلة يَصغُر الرَّحلُ عليها، وليس هذا بجيِّد.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ قال ابن إسحاق: يعني بني النَّضير ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ أي: له خاصّةً.

قال ابن هشام: ﴿أَوْجَفْتُمْ﴾ حَرَّكتُم وأَتعَبتُم في السَّير، قال تَميمُ بن أُبيّ بن مُقبلٍ أحدُ بني عامر بن صَعصَعة:

مَذاويدُ بالبِيضِ الحديثِ صِقالُها
عن الرَّكْبِ أحياناً إذا الرَّكبُ أَوجَفوا[1]

وهذا البيت في قصيدةٍ له[2].

وهو الوَجِيف، قال أبو زُبَيدٍ الطّائيُّ، واسمه حَرمَلةُ بن المُنذِر:

مُسنِفاتٌ كأنّهنَّ قَنَا الهِنْـ ـدِ لطُولِ الوَجيفِ جَدْبَ المَرُودِ[3]

---

(١) المذاويد: جمع مِذوَد، وهو الذي يدفع عن قومه. والبِيض: السيوف. والحديث صقالها، أي: القريب عهدُها بالصَّقل.

(٢) لعلّه يريد القصيدة التي في «ديوانه» ص١٤٧ يَفخَر فيها بقومه، والتي أولها:

عَفَا من سُليمى ذو كُلافٍ فمَنكِفُ　　مَبادي الجميعِ القيظُ والمُتصيَّفُ

فإنها من البحر والرويِّ نفسهما، لكن هذا البيت ليس في رواية «الديوان»، وذكره الزمخشري في «أساس البلاغة» (ذود) ونشوان الحميري في «شمس العلوم» ١١/ ٧٠٨٣ ونسباه كابن هشام إلى ابن مقبل.

وذو كُلاف ومَكنِف: واديان من أعمال المدينة كما في «معجم البلدان» لياقوت. والمَبادي: جمع مَبدَى، أي: حيث يَبدُو القوم، ضدّ الحاضر، وذلك طلباً للكلأ والمرعى.

(٣) مُسنِفات: يعني الإبلَ، أي: مشدودات بالسُّنُف، وهي الأحزمة. قنا الهند، أي: الرماح، والتشبيه هنا لضمور بطونهنّ. والجَدْب: المكان الذي لا نبات فيه، والمَرُود: الموضع الذي يرتاده الرائد، أي: الطالب للمرعى. قاله أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص٢٨٧. =

وهذا البيت في قصيدةٍ له[1].

والوَجِيفُ أيضاً: وَجِيفُ القلب والكَبِد، وهو الضَّرَبان، قال قيسُ بن الخَطِيم الظَّفَريّ:

إنّـا وإنْ قَـدَّموا الّتـي عَلِمـوا   أكبادُنـا مـن ورائِهـم تَجِـفُ[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾، قال ابن إسحاق: ما يُوجِفُ عليه المسلمون بالخيل والرِّكاب وفُتِحَ بالحربِ عَنْوةً ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧] يقول: هذا قِسمٌ آخرُ فيما أُصيبَ بالحربِ بين المسلمين على ما وَضَعَه اللهُ عليه.

ثمّ قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ يعني عبدَ الله بن أُبيٍّ وأصحابَه ومَن كان على مِثْل أمرِهم ﴿يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني بني النَّضير،

= يعني أن هذه الإبل ضَمِرَت بطونها فأُسنِفَت لطول حركتها وسيرها في الأرض المُجدِبة.

وهذا البيت من قصيدة يرثي بها ابنَ أخته. انظر «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي ص٥٨٨، و«أمالي اليزيدي» ص١٠، و«الاختيارين» للأخفش الأصغر ص٥٢٨، ورواية الشطر الثاني في هذه المصادر: ونَسَّى الوجيفُ شَغْبَ المرودِ.

(١) زاد بعده في حاشية (ش١) مصحّحاً عليه: قال ابن هشام: السّناف: البِطان. ووقع هذا أيضاً في نسخة أبي ذر الخشنيّ، وفسّر البِطان فقال: حزام منسوج.

(٢) يقول: وإن كانوا ـ يعني الخزرج ـ قدَّموا ما قدَّموا مما ننكر، فإنا نشفق عليهم من وراء غيبهم وتضطرب أكبادنا لذلك.

وهذا البيت من قصيدة قالها قيس في حرب كانت بين الأوس والخزرج، وهو أوسيٌّ مات على شركه قبل الهجرة. وانظر «ديوانه» بتحقيق ناصر الدين الأسد ص١١٦.

إلى قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبًاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥﴾ يعني بني قَيْنُقاعَ، ثمّ القِصّةَ إلى قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧﴾.

وكان ممّا قيل في بني النَّضير من الشِّعر قولُ ابن لُقَيمٍ العَبْسيِّ، ويقال: قالها قيسُ بن بَحْر بن طَرِيف ـ قال ابن هشام: قيس بن بَحْر الأشجَعيّ ـ فقال:

فأَهلي[1] فِداءٌ لامرِئٍ غيرِ هالكٍ ... أَحَلَّ اليهودَ بالحَسِيِّ المُزنَّمِ

يَقِيلُون في جَمْرِ الغَضاةِ وبُدِّلوا ... أُهَيضِبَ عَودَى بالوَدِيِّ المُكمَّمِ[2]

---

(١) هكذا في (ز)، وفي (ش١): وأهلي، وبهما يصحُّ الوزن الشِّعري، وفي بقية النسخ بإسقاط الفاء أو الواو، ويُسمَّى في علم العَروض خَرْماً.

وأما معنى البيت، فقال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٢٣٥: يريد: أحلَّهم بأرض غُربةٍ وفي غير عشائرهم، والزَّنيم والمزنَّم: الرجل يكون في القوم وليس منهم، أي: أنزلهم بمنزلة الحَسِيِّ، أي: المُبعَد الطَّريد، وإنما جُعل الطريد الذليل حَسِياً، لأنه عرضةُ الأكل، والحَسِيُّ والحَسوُّ: ما يُحسَى من الطعام حَسْواً، أي: أنه لا يمتنع على آكِلٍ، ويجوز أن يريد بالحسيِّ معنى الغَذِيِّ من الغنم، وهو الصغير الضعيف الذي لا يستطيع الرَّعي، يقال: بُدِّلوا بالمال الدَّثْرِ والإبل الكرامِ رُذَالَ المال وغِذاءَ الغنم، والمزنَّم منه، فهذا وجه يُحتمَل، وقد أكثرتُ التنقير عن الحسيِّ في مظانِّه من اللغة فلم أجد نصّاً شافياً أكثرَ من قول أبي علي: الحَسِيّة والحسيّ: ما يُحسَى من الطعام، وإذ قد وجدنا الغَذِيَّ واحدَ غِذاءِ الغنم، فالحسيُّ في معناه غيرُ مُمتنِعٍ أن يقال، والله أعلم.

قلنا: وأيسر من هذا الشرح أن يكون معنى الحسيِّ: الموضع السهل الذي يستنقع فيه الماء، وجمعه: أَحساء، والمزنَّم: الذي يكثر فيه الزَّنَمة، وهي بَقْلة تنبت في الأودية وتحت الشجر من شرِّ النبات، وهكذا جاء تفسيره في حاشية نسخة (ز).

(٢) الغضاة: واحدة الغَضَى، وهو شجر، وجمرها: يعني وهم يُوقِدونها. والأُهيضِب: المكان =

فـإنْ يَـكُ ظَنِّـي صـادقاً بمحمّـدٍ تَـرَوْا خيلَـه بـين الصَّـلا ويَرَمـرَمِ[1]

يَـؤُمُّ بهـا عمـرَو بـن بُهْثَـةَ إنَّهـمْ عـدوٌّ ومـا حـيٌّ صـديقٌ كمُجـرِمِ

عليهِنَّ أبطـالٌ مَسـاعيرُ في الـوَغَى يَهُزُّون أطـرافَ الوَشِـيجِ المُقـوَّمِ[2]

وكـلَّ رَقيـقِ الشَّـفرَتَينِ مُهنَّـدٍ تُـوُورِثْنَ مـن أزمـانِ عـادٍ وجُـرهُمِ[3]

فمَـن مُبلِـغٌ عنّـي قريشـاً رِسـالةً فهل بعدَهم في المجدِ من مُتكـرَّمِ

بـأنّ أخـاكمْ فـاعلَمُنَّ محمّـداً تَليدُ النَّدَى بين الحَجُونِ وزَمزَمِ[4]

فدِينُوا لـه بـالحقِّ تَجسُمْ أُمورُكم وتَسْمُوا من الدُّنيا إلى كـلِّ مُعظَمِ[5]

نبـيٌّ تَلاقَتـهُ مـن الله رحمـةٌ ولا تَسـأَلوه أمـرَ غَيـبٍ مُـرجَّمِ[6]

فقـد كـان في بـدرٍ لَعَمْـري عِبْـرةٌ إليكمْ يا قريشاً والقَليبِ المُلمَّمِ[7]

غَـداةَ أَتـى في الخَزرَجيَّـةِ عامـداً إلـيكمُ مُطِيعـاً للعظـيمِ المُكـرَّمِ

مُعاناً بـرُوحِ القُدْسِ يَنكِي عـدوَّه رسـولاً مـن الـرَّحمنِ حَقّـاً بمَعلَـمِ[8]

= المرتفع. وعَودَى: اسم موضع. والوديّ: صغار النخل. والمكمَّم: الذي خرج طَلْعه.

(١) الصَّلا ويَرمرَم: موضعان.

(٢) مساعير: يسعِّرون الحرب ويهيجونها. والوَشِيج: الرّمح.

(٣) رقيق الشفرتين مهنَّد: يعني السيف.

(٤) التليد: القديم. والنَّدى: الكَرَم. والحَجُون: جبل مشرف على مكة من جهة الشمال، وفي سفحه من الجنوب الغربي مقبرة أهل مكة القديمة المَعْلاة.

(٥) دِينوا، أي: أَطيعوا. وتجسم: تَعظُم. وتسمو: ترتفع.

(٦) المرجَّم: المظنون الذي لا يُتيقَّن.

(٧) الملمَّم: المجموع.

(٨) روح القُدس: جبريل عليه السلام، والقُدس ـ بسكون الدال وضمها ـ: الطُّهر. ويَنكِي عدوَّه: يبالغ في ضرره. والمَعلَم: الموضع المرتفع المشرِف.

رسـولاً مـن الـرَّحمنِ يَتلُـو كتابَـهُ   فلمّـا أنـارَ الحـقُّ لـم يَتَلَعـثَمِ[1]
أَرَى أمـرَه يـزدادُ في كـلِّ مـوطِنٍ   عُلـوّاً لأمـرٍ حَمَّـه اللهُ مُحكَـمِ[2]

قال ابن هشام: عمرُو بن بُهْثَةَ من غَطَفان، وقولُه: بالحَسِيِّ المُزنَّمِ، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عليُّ بن أبي طالبٍ يذكرُ إجلاءَ بني النَّضير وقتلَ كعبِ ابن الأشرَف ـ قال ابن هشام: قالها رجلٌ من المسلمين غيرُ عليّ بن أبي طالبٍ، فيما ذكرَ بعضُ أهل العلم بالشِّعر، ولم أرَ أحداً منهم يعرفُها لعليٍّ ـ:

عَرَفـتُ ومَـن يَعتـدِلْ يَعـرِفِ   وأَيقَنـتُ حقّـاً ولـم أَصـدِفِ[3]
عـن الكَلِـمِ المُحكَـمِ الآيِ مِـن   لَـدَى اللهِ ذي الرَّأفـةِ الأرأَفِ
رسـائلُ تُـدرَسُ في المُـؤمِنينْ   بهنَّ اصطَفَى أحمدَ المُصطَفِي
فأصـبَحَ أحمـدُ فينـا عَزيـزاً   عزيــزَ المُقامــةِ والموقِــفِ[4]
فيـا أيُّهـا المُوعِـدُوه سَـفَاهاً   ولـم يـأتِ جَـوْراً ولـم يُعنِـفِ[5]
ألستُم تخـافون أدنَـى العَـذابِ   ومــا آمِــنُ اللهِ كــالأخوَفِ
وأن تُصـرَعوا تحـت أسـيافِه   كمَصـرَعِ كعـبٍ أبـي الأشـرَفِ
غَــــداةَ رأَى اللهُ طُغيانَــــه   وأعـرَضَ كالجَمَـلِ الأجنَـفِ[6]

---

(١) لم يتلعثم: لم يتأخَّر ولم يتوقف.

(٢) حمَّه الله: قدَّره.

(٣) لم أَصدف: لم أُعرِض.

(٤) المُقامة، أي: الإقامة.

(٥) المُوعِدوه: المهدِّدوه. والسَّفاه: الضلال. ولم يُعنِف، أي: لم يأت بخلاف الرفق.

(٦) الأجنف: المائل إلى جهة.

فـأنزَلَ جِبريـلَ في قتلِـه | بـوَحيٍ إلـى عبـدِه مُلطَـفِ
فـدَسَّ الرسـولُ رسـولاً لـه | بـأبيَضَ ذي هَبَّـةٍ مُرهَـفِ[1]
فباتَـت عُيـونٌ لـه مُعـوِلاتٍ | متـى يُنْـعَ كعـبٌ لهـا تَـذرِفِ[2]
وقلـنَ لأحمـدَ ذَرْنـا قليـلاً | فإنّـا مـن النَّـوحِ لـم نَشـتَفِ
فخَلّاهـمُ ثـمّ قـال اظعَنُـوا | دُحـوراً علـى رَغْـمِ ألآنُـفِ[3]
وأَجلَـى النَّضـيرَ إلـى غُرْبـةٍ | وكـانوا بِـدارٍ ذَوِي زُخـرُفِ[4]
إلـى أَذرِعـاتٍ رُدافَـى وهُـمْ | علـى كـلِّ ذي دَبَـرٍ أعجَـفِ[5]

فأجابه سَمّالٌ[6] اليهوديُّ فقال:

إن تَفخَـروا فهْـوَ فخـرٌ لكـمْ | بمَقتَـلِ كعـبٍ أبـي الأشـرَفِ
غَـداةَ غَـدَوتُم علـى حَتفِـهِ | ولـم يـأتِ غَـدْراً ولـم يُخلِـفِ
فعَلَّ اللَّيـالي وصَرْفَ الدُّهورْ | يُـدِلنَ مـن العـادلِ المُنصِـفِ[7]

---

(١) بأبيض: يعني سيفاً. والهبّة: الاهتزاز. والمُرهَف: القاطع.

(٢) مُعوِلات: باكيات بصوت. وينعى: يذكر خبر قتله. وتذرف: تسيل بالدموع.

(٣) اظعنوا، أي: ارحلوا. والدُّحور: الذلّ والهوان. وعلى رغم الآنف: يريد على المذلّة، يقال: أَرغَمَ الله أنفَه، إذا أذلَّه، والآنُف: جمع أَنْف.

(٤) الغُربة: الاغتراب والبعد. والزُّخرف: الزينة وحُسْن التنعّم.

(٥) أذرعات: هي اليوم مدينة درعا في أقصى الجنوب السوري. ورُدافى، أي: مُرتدِفين، يُردِف بعضُهم بعضاً، وأردفَه: أركَبَه خلفَه. وذو دَبَر أعجف: يعني جملاً بظهره دَبَرٌ، أي: جُرْح. والأعجفُ: الهزيل الضعيف.

(٦) هكذا قُيّد في (ت) و(ز) و(ش١) و(م) و(ي)، وعلى حاشيتَي (ز) و(ش١) إشارة إلى نسخة فيها: سموال، وقُيّد في (ص): سِمَال، وعلى حاشيتها إشارة إلى نسخة فيها: سِمَاك.

(٧) يُدِلن: من الدَّولة، أي: نصيب منه مثل ما أصاب منّا. ويريد بالعادل المنصف ـ إن صحَّت =

بقتـلِ النَّضـيرِ وأحلافِهـا وعَقْـرِ النّخيـلِ ولـم تُقطَـفِ[1]
فـإن لا أمُـتْ نَـأتِكمْ بالقَنـا وكـلِّ حُسـامٍ مَعـاً مُرهَـفِ[2]
بكَـفِّ كَمِـيٍّ بـه يَحتَمـي متـى يَلْـقَ قِرْنـاً لـه يُتلِـفِ[3]
مـع القـومِ صَـخرٌ وأشـياعُهُ إذا غـاوَرَ القـومَ لـم يَضـعُفِ[4]
كلَيـثٍ بتَـرْجٍ حَمَـى غِيلَـهُ أَخـي غابـةٍ هاصِـرٍ أجـوَفِ[5]

وقال كعبُ بن مالكٍ يذكرُ إجلاءَ بني النَّضير وقتلَ ابن الأشرَف[6]:

لقد خَزِيَت[7] بغَدْرِتها الحُبُورُ كَـذاكَ الـدَّهرُ ذو صَـرْفٍ يـدورُ

= نسبة هذا الشعر له ـ: النبيَّ ﷺ، قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٩٠: فإن قيل: كيف قال اليهودي فيه: العادل المنصف، وهو لا يعتقد ذلك، فالجواب أن يقال: يجوز أن يكون ذلك ممّا لفظُه لفظُ المدح ومعناه الذَّمُّ، مثل قوله تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩] ... فهذا وإن كان ظاهره المدح فمعناه الذَّمُّ.

وقد قيل: إنَّه ممّا بُدِّل وأصله في الرواية لفظٌ آخر، فقيل: بدَّله بالعادل المنصف لأنّه في وصف النّبيِّ عليه السلام.

(١) الأحلاف: جمع حِلْف، وهو الصاحب، ومَن رواه: وإجلائها، فمعناه: وإخراجها من بلادها. ولم تُقطَف، أي: لم يؤخذ ثمرها.

(٢) القنا: الرماح. والحسام المُرهَف: السيف القاطع.

(٣) الكَميّ: الشجاع. والقِرْن: الكفء والنظير في الإقدام والشجاعة.

(٤) صخر: هو أبو سفيان بن حرب. وغاور القومَ: أغار عليهم.

(٥) تَرْج: واد في الجنوب من الجزيرة العربية جنوب بِيشة على قرابة ٩٠ كم منها. والغِيل: أَجمة الأسد، وهو المكان الذي يحميه من الغابة. والهاصر: الذي يكسر فريسته إذا أخذها. والأجوف: العظيم الجوف.

(٦) تقدم بعضُ أبيات هذه القصيدة في قصة مقتل كعب بن الأشرف قبل غزوة أُحد ص٢٤.

(٧) في (ز): جُزِيَت. =

وذلـك أنّهـم كَفَـروا بـرَبٍّ   عَزيـزٍ أمـرُه أمـرٌ كبيـرُ
وقـد أُوتـوا مَعـاً فَهْمـاً وعِلمـاً   وجـاءَهمُ مـن الله النَّـذيرُ
نَـذيرٌ صـادقٌ أدَّى كتابـاً   وآيـاتٍ مُبيَّنـةً تُنيـرُ
فقـالوا: مـا أَتيـتَ بـأمرِ صِدْقٍ   وأنـتَ بمُنكَـرٍ منّـا جَـديرُ[1]
فقـال: بَلَـى لقـدْ أدَّيـتُ حَقّـاً   يُصـدِّقُني بـه الفَهِـمُ الخَبيـرُ
فمَـن يَتبَعْـه يُهـدَ لكـلِّ رُشـدٍ   ومَـن يَكفُـرْ بـه يُجـزَ الكَفُـورُ[2]
فلمّـا أُشـرِبوا غَـدْراً وكُفـراً   وجـدَّ بهـم عـن الحـقِّ النُّفـورُ[3]
أَرَى اللهُ النبـيَّ بـرأيِ صِـدقٍ   وكـان اللهُ يَحكُـمُ لا يَجُـورُ
فأيَّـدَه وسَـلَّطَه علـيهمْ   وكـان نَصِـيرَه نِعـمَ النَّصـيرُ
فغُـودِرَ مـنهمُ كعـبٌ صَـريعاً   فـذَلَّت بعـدَ مَصـرَعِه النَّضيرُ
علـى الكَفَّـينِ ثَـمَّ وقَـدْ عَلَتْـهُ   بأيـدِينا مُشـهَّرةٌ ذُكـورُ[4]
بـأمرِ محمَّـدٍ إذ دَسَّ لـيلاً   إلـى كعـبٍ أخـا كعـبٍ يَسـيرُ[5]
فمـاكَرَهُ فأنزَلَـه بمَكْـرٍ   ومحمـودٌ أخـو ثِقـةٍ جَسُـورُ[6]

= والحُبور: جمع حَبْر، وهو العالِم، ويقال في جمعه أيضاً: أحبار، ويريد بهم علماء اليهود.

(١) جدير، أي: حقيق وخليق.

(٢) في نسخة على حاشيتي (ز) و(ش١): يخزَ الكفور.

(٣) جدَّ بهم، أي: اشتدَّ، وعند أبي ذر الخشنيِّ: حادَ بهم، أي: مال بهم.

(٤) مشهَّرة ذكور: سيوف مسلولة من أغمادها، قويّة مَتينة.

(٥) أراد بأخي كعبٍ أبا نائلة سِلكان بن سلامة، وهو أخوه من الرَّضاعة.

(٦) تقدم في قصة مقتل كعب بن الأشرف استظهارُنا بأن يكون محمودٌ لقباً لبعض من شارك في قتله، فإنه لم يُذكَر في النفر الذين قتلوه من اسمه محمود، والله تعالى أعلم.

فتلكَ بنو النَّضيرِ بدارِ سَوْءٍ ... أَبارَهُمُ بما اجترَمُوا المُبيرُ[1]

غَداةَ أتاهمُ في الزَّحفِ رَهْواً ... رسولُ الله وهْوَ بهم بَصيرُ[2]

وغسّانُ الحُمَاةُ مُوازِرُوهُ ... على الأعداءِ وهْوَ لهم وَزِيرُ[3]

فقال: السَّلْمُ وَيحَكُمُ فصَدُّوا ... وحالَفَ أمرَهمْ كَذِبٌ وزُورُ[4]

فذاقُوا غِبَّ أمرِهمِ وَبَالاً ... لكلِّ ثلاثةٍ منهمْ بَعيرُ[5]

وأَجْلَوْا عامدينَ لقَينُقاعٍ ... وغُودِرَ منهمُ نخلٌ ودُورُ[6]

فأجابه سَمّالٌ اليهوديُّ فقال:

أَرِقتُ وضافَني هَمٌّ كبيرُ ... بلَيلٍ غيرُه ليلٌ قصيرُ[7]

أَرَى الأحبارَ تُنكِرُه جميعاً ... وكلُّهمُ له عِلمٌ خَبيرُ

وكانوا الدّارِسينَ لكلِّ عِلمٍ ... به التّوراةُ تَنطِقُ والزَّبورُ

قتلتُمْ سيِّدَ الأحبارِ كعباً ... وقِدْماً كان يأمَنُ مَن يُجِيرُ

تَدلَّى نحوَ محمودٍ أَخيهِ ... ومحمودٌ سَريرتُه الفُجورُ

---

(١) أبَارَهم: أهلكهم. واجترموا: اكتسبوا من الجُرم.

(٢) الرَّهو: مشيٌ في سكون.

(٣) غسان: أراد بهم الأوس والخزرج، فنسبهم يرجع إلى غسان، وهم قبائل من الأزد. والوزير: المعاون والمساعد.

(٤) السّلم، بفتح السين وكسرها: الصلح. وحالَفَ: صاحَبَ، والحليف: الصاحب.

(٥) غبّ أمرهم، أي: بعد أمرهم وعاقبته. والوَبَال: الشدّة والمكروه.

(٦) عامدين: قاصدين. وقينقاع: قبيلة من اليهود، وكانوا قد أُجْلوا من المدينة قبلهم، وخرج بنو قَينُقاع إلى أذرعات من الشام كما في «مغازي الواقدي» ١/ ١٧٩-١٨٠.

(٧) أرقت: امتنع النوم عني. وضافَني: نزل بي.

فغـادَرَه كـأنَّ دمـاً نَجيعـاً يَسِـيلُ علـى مَدارعِـهِ عَبيـرُ[1]

فقَـدْ وأَبـيكمُ وأَبـي جميعـاً أُصِيبَت إذْ أُصيبَ به النَّضيرُ

فإنْ نَسلَمْ لكم نَتـرُكْ رِجالاً بكعـبٍ حـولَهمْ طَيـرٌ تـدُورُ

كـأنّهمُ عَتـائرُ يـومِ عيـدٍ تُـذبَّحُ وهْيَ لـيس لها نَكيـرُ[2]

ببِـيضٍ لا تُلِيـقُ لهـنَّ عَظْمـاً صَـوَافي الحَـدِّ أكثرُهـا ذُكـورُ[3]

كما لاقَيتُمُ مـن بـأسِ صَـخرٍ بأُحْدٍ حيثُ ليسَ لكم نَصيرُ[4]

وقال عبّاسُ بن مِرْداسٍ أخو بني سُلَيمٍ يَمتدِحُ رجالَ بني النَّضير:

لـو أنّ أهـلَ الـدّارِ لـم يَتَصـدَّعوا رأيـتَ خِـلالَ الـدّارِ مَلهًـى ومَلعَبـا[5]

وإنّـكَ عَمْـري هـل أُريـكَ ظَعائنـاً سَـلَكنَ علـى رُكْـنِ الشَّـطَاةِ فتَيْأَبـا[6]

علـيهِنَّ عِـينٌ مـن ظِبـاءِ تَبالـةٍ أَوانِـسُ يُصْـبِينَ الحليـمَ المُجرَّبـا[7]

---

(١) النَّجيع: الدم الطريّ. والمَدارع، بالدال (كما في: ت، ص، غ، ي): جمع مَدرَعة، وهي ثوب يُلبَس، وقال بعض اللُّغويِّين: لا تكون المدرعة إلا من صوف، ومَذارعه بالذال المعجمة (كما في: ز، ش١، م)، فالمذارع من البعير والدابة: قوائمها، وأراد به هنا: اليدين والرجلين. والعبير هنا: الزَّعفران، وبعضهم يقول: هو أخلاط من الطِّيب تُجمَع بالزَّعفران.

(٢) العتائر: جمع عَتِيرة، وهي الذَّبيحة.

(٣) لا تُلِيق: لا تُبقي.

(٤) صخر: هو أبو سفيان بن حرب.

(٥) لم يتصدعوا: لم يتفرقوا.

(٦) الظعائن: النساء في الهودج. والشَّطَاة ـ وتصحف في نسخة (ي) إلى: الشطاة ـ: من وادي قناة بالمدينة مما أقبل على أُحد، وانظر «معجم المعالم الجغرافية» للبِلاديّ ص١٦٨.
وتَيأَب: جبل إلى الشرق من جبل أُحد.

(٧) العِينُ: جمع عَيناء، وهي الواسعة العين. وتَبَالة: بلدة قريبة من بِيشة جنوب الجزيرة =

إذا جاءَ باغي الخيرِ قلنَ فُجاءَةً ... لـه بوُجوهٍ كالدَّنانيرِ مَرحَبا

وأهلاً فلا ممنوعَ خيرٍ طَلَبتَه ... ولا أنتَ تَخشَى عندنا أن تُؤَنَّبا

فلا تَحسَبنِّي كنتُ مولى ابن مِشكَمٍ ... سَلَامٍ ولا مولى حُيَيِّ بنِ أَخطَبا[1]

فأجابه خَوّاتُ بن جُبَيرٍ أخو بني عمرو بن عوفٍ فقال:

تُبكِّي على قَتلَى يهودَ وقد تَرَى ... من الشَّجْوِ لو تَبْكي أحبَّ وأقربا[2]

فهَلَّا على قَتلَى ببَطنِ أُرَينِقٍ ... بَكَيتَ ولم تُعوِلْ من الشَّجْوِ مُسهِبا[3]

إذا السِّلمُ دارَتْ في صَديقٍ رَدَدتَها ... وفي الدِّينِ صَدّاداً وفي الحربِ ثَعْلبا[4]

عَمَدتَ إلى قَدْرٍ لقومِك تَبتَغي ... لهم شَبَهاً كَيْما تَعِزَّ وتَغلِبا

فإنّكَ لمّا أن كَلِفتَ تَمدُّحاً ... لمن كان عَيْباً مَدْحُه وتَكَذُّبا

رَحَلتَ بأمرٍ كنتَ أهلاً لمِثلِه ... ولم تُلْفِ فيهِ قائلاً لك مَرحَبا

فهَلَّا إلى قومٍ ملوكٍ مَدَحتَهم ... تَبَنَّوْا من العِزِّ المُؤثَّلِ مَنصِبا[5]

= العربية. ويُصْبِين: يُذهِبن العقل.

(١) المولى هنا: الحليف والصاحب.

(٢) الشَّجو: الحزن.

(٣) أُرينق، قال عاتق البِلاديُّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢٨: لم أر من تعرَّض لأُرينق هذا فحدَّده، وواضح من الشعر أنه وادٍ لبني سُلَيم قُتِل فيه قوم لهم صلةٌ بعباس بن مِرداس رضي الله عنه، فأراد خصمُه أن يذكِّره بهم، وعباس قال شعرَه في بكاء يهود قبل إسلامه، وقد أسلم بعد ذلك وحَسُن إسلامه.

ولم تُعوِل: لم ترفع صوتك بالبكاء. والمُسهِب: المتغيِّر الوجه.

(٤) الصَّدّاد: الذي يصدُّ عن الدين والحق. وثعلباً، يعني: كثير الرَّوَغان، أي: لا يَصدُق في الحرب.

(٥) المؤثَّل: القديم.

إلـى مَعشَـرٍ صـاروا ملوكـاً وكُرِّمـوا ... ولـم يُلْفَ فيهم طالبُ العِزِّ مُجدِبا[1]

أولئِـكَ أَحــرَى مـن يهـودَ بمِدْحـةٍ ... تَـراهمْ وفـيهمْ عِـزّةُ المَجْـدِ تُرتَبـا[2]

فأجابه عبّاسُ بن مِرْداسٍ السُّلَميّ فقال:

هَجَـوتَ صَـريحَ الكـاهنَينِ وفـيكمُ ... لهـم نِعَـمٌ كانـت مـن الـدَّهرِ تُرتُبـا[3]

أولئِـكَ أَحـرَى لـو بَكَيـتَ علـيهمُ ... وقومُـك لـو أَدَّوا مـن الحـقِّ مُوجَبـا

مـن الشُّـكرِ إنَّ الشُّـكرَ خيـرٌ مَغَبّـةً ... وأوفَـقُ فِعـلاً للّـذي كـان أصْـوَبا[4]

فكنـتَ كمَـن أَمسـى يُقطِّـعُ رأسَـه ... ليَبلُـغَ عِـزّاً كـان فيـهِ مُركَّبـا

فبَـكِّ بنـي هـارونَ واذكُـرْ فَعـالَهمْ ... وقـتلَهُمُ للجـوعِ إذ كنـتَ مُجـدِبا[5]

أخَوّاتُ أذْرِ الدّمعَ بالـدّمعِ وابكِهِـمْ ... وأعرِضْ عن المكروهِ منهم ونَكِّبا[6]

فإنّــكَ لــو لاقَيــتَهمْ في ديــارِهمْ ... لَأُلفِيـتَ عمّـا قـد تقـولُ مُنكِّبـا

سِراعٌ إلى العَلْيا كِرامٌ لَدَى الـوَغَى ... يقـالُ لبـاغي الخيـرِ أهـلاً ومَرحَبـا

فأجابه كعبُ بن مالكٍ ـ أو عبدُ الله بن رَوَاحة، فيما قال ابن هشام ـ فقال:

---

(١) مُجدِب: من الجَدْب، وهو القحط وقلّة الخير.

(٢) تُرتَبا: جاء على حاشيتي (ز) و(م) في بيان هذه الكلمة: تُفتَعل من الرَّبوة، وهي ما علا من الأرض. وعلى حاشية (ش١): من ارتَبى الرَّبوة والمكان العالي يَرتَبِيها. قلنا: ويمكن أن تُقيَّد بضم التاء الثانية أيضاً كما في أول شعر عباسٍ التالي.

(٣) الصريح: الخالص النسب. والكاهنان: هما قُرَيظة والنَّضير. والتُّرتُب: الثابت الدائم.

(٤) خيرٌ مغبّةً، أي: خيرٌ عاقبةً فيما يُستقبَل بعدُ.

(٥) الفَعَال: اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه، وهو الذي أراده هنا، ويقال أيضاً في الفعل القبيح.

(٦) نكِّب، أي: عرِّج عنهم.

لَعَمْري لقد حَكَّت رَحَى الحربِ بعدما
أطارَت لُؤَيّاً قَبلُ شَرقاً ومَغرِبا

بقيّةَ آلِ الكاهنَين وعِزَّها فعادَ ذليلاً بعدَما كان أغلَبا[1]

فطاعَ[2] سَلَامٌ وابنُ سَعْيةَ عَنْوةً وقِيدَ ذليلاً للمَنايا ابنُ أخطَبا

وأجلَبَ يَبْغي العِزَّ والذُّلَّ يَبتَغي خِلافَ يدَيهِ ما جَنَى حينَ أجلَبا

كتاركِ سَهلِ الأرضِ والحَزْنُ هَمُّه وقد كان ذا في الناسِ أَكدَى وأَصعَبا[3]

وشَأْسٌ وعَزّالٌ وقد صَلِيَا بها وما غُيِّبا عن ذاكَ فيمَن تَغَيَّبا[4]

وعوفُ بن سَلْمى وابنُ عَوفٍ كلاهما
وكعبٌ رئيسُ القومِ حانَ وخُيِّبا[5]

فبُعْداً وسُحْقاً للنَّضيرِ ومِثلِها إنْ أَعقَبَ فتحٌ أو إنِ اللهُ أَعقَبا[6]

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدنيّ: ثمّ غَزَا رسولُ الله ﷺ بعدَ بني النَّضيرِ بني المُصطَلِق. وسأذكرُ حديثَهم إن شاءَ الله في الموضع الذي ذكره ابنُ إسحاق فيه[7].

---

(١) الأغلب: الشديد.

(٢) في (ت) و(ش١) ونسخة على حاشية (م): فطاحَ، أي: ذهب وهلك. والعَنْوة: القهر والذلّة.

(٣) الحَزْن: ما علا من الأرض وصَعُب. وأكدى: لم ينجح في سعيه.

(٤) صَلِيا بها، أي: باشرا حرَّها.

(٥) حان: هَلَك.

(٦) قوله: إنِ اللهُ أعقبا، أي: إنِ الله جاء بالنصر عليهم.

(٧) سيأتي ص٣٦٧.



غزوةُ ذات الرِّقاع

في سنة أربعٍ[1]

قال ابن إسحاق: ثمّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينة بعدَ غزوة بني النَّضير شهرَ ربيعٍ الآخر وبعضَ جُمادَى، ثمّ غَزَا نجداً يريد بني مُحاربٍ وبني ثَعْلبةَ من غَطَفان، واستَعمَل على المدينة أبا ذرٍّ الغِفاريَّ.

ويقال: عثمانَ بن عفّان، فيما قال ابن هشام[2].

قال ابن إسحاق: حتّى نَزَلَ نَخْلاً[3]، وهي غزوةُ ذاتِ الرِّقاع.

قال ابن هشام: وإنّما قيل لها: غزوةُ ذاتِ الرِّقاع، لأنّهم رَقَّعوا فيها راياتِهم،

---

(١) اختُلف في هذه الغزوة متى كانت، فعند ابن إسحاق: أنها بعد بني النضير سنة أربع في شهر ربيع الآخر وبعض جمادى، وعند الواقدي وابن سعد وابن حبّان: أنها في المحرَّم سنة خمس، وجزم أبو مَعشَر السِّندي بأنها بعد بني قريظة في ذي القَعْدة سنة خمس، فتكون ذات الرِّقاع فى آخر السنة الخامسة أو أول السادسة، وجَنَح البخاريُّ إلى أنها كانت بعد خيبر، وإليه ذهب ابنُ القيِّم في «زاد المعاد» ٣/ ٢٢٦، وهذه كانت في السنة السابعة، ورجَّح ابن حجر في «الفتح» أنها بعد بني قريظة، لأن صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شُرِعت، وأول ما صُلِّيَت في غزوة ذات الرِّقاع، وللكلام في هذا الخلاف مفصَّلاً انظر «فتح الباري» ١٢/ ٢٩٠ وما بعدها.

وكان المسلمون مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة أربع مئة، ويقال: سبع مئة أو ثمان مئة، ذكر ذلك الواقديُّ في «المغازي» ١/ ٣٩٦، وصاحبه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٥٧.

وكانت غَيبتُه ﷺ عن المدينة في هذه الغزوة خمس عشرة ليلةً.

(٢) وهو قول الواقدي وابن سعد أيضاً.

(٣) نخل ـ أو النُّخيل ـ: بلدة بنجد من أرض غطفان، شمال شرق المدينة على بعد ١١٥ كم تقريباً، وتقع شمال الحنّاكية على قرابة ٣٠ كم.

ويقال: ذاتُ الرِّقاع شجرةٌ بذلك الموضعِ يقال لها: ذاتُ الرِّقاع[1].

قال ابن إسحاق: فلَقِيَ بها جمعاً عظيماً من غَطَفان، فتَقارَبَ الناسُ ولم يكن بينهم حربٌ، وقد خافَ الناسُ بعضُهم بعضاً، حتّى صَلّى رسولُ الله ﷺ بالناس صلاةَ الخوف، ثمّ انصَرَفَ بالناس.

قال ابن هشام: حدّثنا عبدُ الوارث بن سعيدٍ التَّنُّوريّ قال: حدّثنا يونُسُ بن عُبيدٍ، عن الحَسَن بن أبي الحَسَن، عن جابر بن عبدالله في صلاةِ الخوفِ قال: صَلَّى رسولُ الله ﷺ بطائفةٍ رَكعتَينِ ثمّ سَلَّمَ، وطائفةٌ مُقبِلُون على العدوِّ، قال: فجاؤوا فصَلَّى بهم

---

(١) وقال السهيلي في «الروض» ٦/ ٢٤١-٢٤٢ بعدما عَرَضَ رأيَ ابن هشام: وذكر غيرُه أنها أرض فيها بُقَعٌ سُودٌ وبُقَعٌ بِيضٌ، كأنها مرقَّعة برقاع مختلفة، فسُمِّيت ذات الرِّقاع لذلك، وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغزاة، وأصحُّ من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري (٤١٢٨) من طريق أبي موسى الأشعري قال: خرجنا مع النبي ﷺ في غزاةٍ ونحن ستة نفرٍ بيننا بعير نعتقبُه فنَقِبَت أقدامُنا (أي: رقَّت جلودها وتنفَّطَت من المشي) ونَقِبَت قدماي وسقطت أظفاري، فكنّا نلفُّ على أرجلنا الخِرَقَ، فسُمِّيَت غزوةَ ذات الرِّقاع، لِمَا كنّا نَعصِبُ من الخِرَق على أرجلنا.

قلنا: وحديث أبي موسى هذا ليس فيه ذكر صلاة الخوف، وفيه أنهم كانوا ستةً، بينما في غزوة غطفان هذه كان المسلمون جمعاً كبيراً كما سبق، وأبو موسى إنما قَدِمَ على النبي ﷺ بعد هذه الغزوة وذلك عند فتح خيبر كما عند البخاري (٣٨٧٦) و(٤٢٣٠) ومسلم (٢٥٠٢)، ولذلك أشار البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٣٧٢ إلى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسماً لغزوتين مختلفتين.

وأما عن سبب تسميتها بذات الرِّقاع، وأنها أرض فيها بقعٌ مختلفة الألوان، وهو قول الواقدي وصاحبه ابن سعد، فهذا يؤيّده ما وقع في طريق وهب بن كَيسان عن جابر بن عبدالله عند البخاري (٤١٢٧) قال: خرج النبي ﷺ إلى ذات الرقاع من نخل، وفي طريق أبي سلمة عنه عند مسلم (٨٤٣) قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع؛ فالألفاظ في هذين الطريقين تشير إلى مكان يسمَّى ذاتَ الرقاع، فإن كان هذا هو المراد، فقد اندَثَر اسم هذا المكان على مرِّ الأزمان ولم يعد معروفاً، والله تعالى أعلم.

ركعتَينِ أُخرَيَينِ ثمّ سَلَّم[1].

(١) إسناده ضعيف لانقطاعه بين الحسن بن أبي الحسن البصريِّ وجابر، فرواية الحسن عن جابر مرسلة، فهو لم يسمع منه، وقد انفرد بذكر تسليم النبيّ ﷺ في الركعتين الأُوليين.

وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٥٢٢) عن عمران بن موسى، عن عبد الوارث بن سعيد، بهذا الإسناد.

ورواه عبد الأعلى الساميُّ عنده (١٩٥٥) عن يونس بن عبيد، به. إلا أنه لم يذكر فيه التسليم الأول.

وذكره عنده (١٩٥٣) قتادةُ بن دِعامة عن الحسن.

وروى صفةَ صلاة الخوف عن جابرٍ أيضاً في هذه الغزوة وأنها كانت ركعتين ركعتين لأصحاب النبي ﷺ وله أربع ركعات لكن دون تسليم منه في الأُوليين: أبو سلمة بن عبد الرحمن عند أحمد (١٤٩٢٨)، والبخاري معلَّقاً (٤١٣٦)، ومسلم (٨٤٣)، وابن حبان (٢٨٨٤)، وسليمانُ ابن قيس اليشكريُّ عند أحمد (١٤٩٢٩)، وابن حبان (٢٨٨٢)، والحاكم (٤٣٦٨).

وخالف هؤلاءِ أبو الزبير كما في الرواية التالية عند المصنِّف، وعطاءُ بن أبي رباح عند أحمد (١٤٤٣٦) ومسلم (٨٤٠)(٣٠٧) والنسائي في «الكبرى» (١٩٤٨)، فرويا عن جابر في صلاة الخوف صفة ثانية، وفيها: أن النبي ﷺ كانت له ركعتان كما لأصحابه؛ وهذا أصحُّ وأثبتُ إن شاء الله تعالى، لمجيء ما يشهدُ لهذه الصفة من حديث صالح بن خَوّات الأنصاري عند البخاري (٤١٢٩) ومسلم (٨٤٢)، عمّن شهد مع رسول الله ﷺ هذه الغزوة، فذكر صفتها وأنه كان لكل طائفة منهم ركعتان وللنبي ﷺ ركعتان، وقال الإمام مالك بإثرها: وذلك أحسنُ ما سمعت في صلاة الخوف. قلنا: ووافقه على هذا الترجيح غيرُ واحد من أهل العلم لسلامة هذه الرواية من كثرة المخالفة كما قال ابن حجر في «الفتح» ١٢/ ٣٠٢.

وروى يزيدُ الفقيرُ عن جابرٍ في صلاة الخوف صفةً ثالثةً، وفيها: أن النبي ﷺ صلَّى بكل طائفة ركعة، فكانت له ركعتان ولكل طائفة ركعة واحدة، أخرج ذلك أحمد (١٤١٨٠) والنسائي (١٩٤٦) وابن حبان (٢٨٦٩)، وإسناده صحيح.

فذهب بعضهم إلى أن هذا الاختلاف مبنيٌّ على تعدُّد الأحوال والوقائع، وهذا ما قوّاه =

حدّثنا عبدُ الوارث قال: حدّثنا أيّوبُ، عن أبي الزُّبَير، عن جابرٍ قال: صَفَّنا رسولُ الله ﷺ صَفَّينِ فرَكَعَ بنا جميعاً، ثمّ سَجَدَ رسولُ الله ﷺ وسَجَدَ الصّفُّ الأوّلُ، فلمّا رَفَعوا سَجَدَ الّذين يَلُونَهم بأنفُسِهم، ثمّ تأخَّرَ الصّفُّ الأوّلُ وتَقدَّمَ الصّفُّ الآخِرُ حتّى قاموا مَقامَهم، ثمّ رَكَعَ النبيُّ ﷺ بهم جميعاً، ثمّ سَجَدَ النبيُّ ﷺ وسَجَدَ الّذين يَلُونَه معه، فلمّا رَفَعوا رُؤوسَهم سَجَدَ الآخِرون بأنفُسِهم، فرَكَعَ النبيُّ ﷺ بهم جميعاً، وسَجَدَ كلُّ واحدٍ منهما بأنفُسِهم سجدتَينِ[1].

حدّثنا عبدُ الوارث بن سعيدٍ التَّنُّوريّ قال: حدّثنا أيّوبُ، عن نافعٍ، عن ابن عمر قال: يقومُ الإمامُ وتقومُ معه طائفةٌ، وطائفةٌ ممّا يَلِي عدوَّهم، فيَركَعُ بهم الإمامُ

= ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٣١٢. وانظر ما جاء في اختلاف صور صلاة الخوف في كتاب «زاد المعاد» لابن القيّم ١/ ٥٢٩-٥٣٢.

وروي عن جابر فيها صفة رابعة، وهي: أن الطائفة الآخِرةَ بقيت قاعدةً حتى أتمَّت الطائفة التي خلفه ﷺ ركعتها، أخرج ذلك ابن حبان (٢٨٨٨) والحاكم (١٢٦٤) من طريق شرحبيل ابن سعد عنه. وشرحبيلُ هذا الجمهورُ على تضعيفه، وروايته هذه منكرة لم يتابعه عليها أحد.

(١) إسناده صحيح. أيوب: هو ابن أبي تَميمة السَّختِياني، وأبو الزبير: هو محمد بن مسلم بن تَدرُس المكّي.

وأخرجه ابن ماجه (١٢٦٠)، وابن حبان (٢٨٧٤) من طريق أحمد بن عَبْدة، عن عبد الوارث ابن سعيد، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد (١٥٠١٩)، والبخاري معلَّقاً (٤١٣٠) من طريق هشام الدَّستُوائي، ومسلم (٨٤٠)(٣٠٨)، وابن حبان (٢٨٧٧) من طريق زهير بن معاوية، كلاهما عن أبي الزبير، به. لكن وقع بينهما تخالفٌ في تعيين الغزوة التي وقعت فيها هذه الصلاة، فقال هشام: في نخل، وقال زهير: في غزاة قوم من جُهينة. قلنا: والمحفوظ ـ إن شاء الله ـ قول هشام، فإن نخلاً هي من ديار غطفان، وهذه هي غزوة ذات الرقاع، وهي في شمال شرق المدينة من نجدٍ، أما جُهينة فإن ديارهم في غرب وشمال غرب المدينة باتجاه الساحل، وهي من الحجاز.

ويَسجُدُ بهم ثمّ يتأخَّرون فيكونون ممّا يَلِي العدوَّ، ويتقدَّمُ الآخِرُون فيَركَعُ بهم الإمامُ ركعةً ويَسجُدُ بهم، ثمّ تُصلِّي كلُّ طائفة بأنفُسِهم ركعةً، فكانت لهم مع الإمام ركعةٌ ركعةٌ، وصَلَّوا بأنفُسِهم ركعةً ركعةً[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عمرُو بن عُبيدٍ، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله: أنّ رجلاً من بني مُحارِبٍ يقال له: غَوْرَثٌ[2]، قال لقومِه من غَطَفانَ ومُحارِبٍ: ألا أقتُلُ لكم محمّداً؟ قالوا: بلى، وكيف تَقتُلُه؟ قال: أَفتِكُ به[3]. قال: فأقبَلَ إلى رسول الله ﷺ وهو جالسٌ، وسيفُ رسول الله ﷺ في حِجْرِه، فقال: يا محمّدُ، أنظُرُ إلى سيفك هذا؟! قال: «نعم» ـ وكان مُحلًّى بفِضَّةٍ فيما قال ابن هشام ـ قال: فأخذَه فاستَلَّه ثمّ

(١) إسناده صحيح. أيوب: الظاهر أنه ابن أبي تميمة السختِياني كالإسناد السابق، وقد تابعه سميُّه أيوب بن موسى عند أحمد (٦١٥٩) من رواية الأوزاعي عنه عن نافع، إلا أنه رفعه إلى النبي ﷺ.

وأخرجه بنحوه أحمد (٦٤٣١)، ومسلم (٨٣٩)(٣٠٦)، والنسائي في «المجتبى» (١٥٤٢) وفي «الكبرى» (١٩٤٣) من طريق موسى بن عقبة، والبخاري (٤٥٣٥) من طريق مالك، وابن ماجه (١٢٥٨)، وابن حبان (٢٨٨٧) من طريق عبيد الله بن عمر، ثلاثتهم عن نافع، به. لكن لم يصرّح نافع في رواية مالك عنه برفعه إلى النبي ﷺ، بل قال في آخره: لا أرى عبدَ الله بن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول الله ﷺ.

وقد رواه مرفوعاً أيضاً الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه فيما أخرجه أحمد (٦٣٥١) و(٦٣٧٧)، والبخاري (٩٤٢) و(٤١٣٣)، ومسلم (٨٣٩)(٣٠٥)، وأبو داود (١٢٤٣)، والترمذي (٥٦٤)، والنسائي في «المجتبى» (١٥٣٨) وفي «الكبرى» (١٩٤١) و(١٩٤٢)، وابن حبان (٢٨٧٩).

(٢) على وزن جَعفَر، وقيل بضمِّ أوله، ووقع عند الخطيب بالكاف بدل الثاء، وحكى الخطّابيُّ فيه: غُوَيرِث، بالتصغير. انظر «فتح الباري» لابن حجر ١٢/ ٣١٢.

(٣) أي: أقتله على غَفْلة.

جَعَلَ يَهُزُّه ويَهُمُّ فيَكبِتُه اللهُ[1]؛ ثمّ قال: يا محمّدُ، أما تَخافُني؟ قال: «لا، وما أَخافُ منكَ؟» قال: أما تَخافُني وفي يدي السّيفُ؟ قال: «لا، يَمنَعُني اللهُ منكَ»، ثمّ عَمَدَ إلى سيفِ رسول الله ﷺ فرَدَّه عليه. قال: فأنزَلَ الله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة: ١١][2].

---

(١) يهمُّ، أي: يريد أن يفعل. ويَكبِته الله، أي: يُذِلّه ويَقمَعه.

(٢) أصل الحديث صحيح دون ذكر نزول هذه الآية بسبب قصة الأعرابي غورث بن الحارثِ فقد انفرد به الحسن البصري عن جابر، والإسناد بينهما منقطع، فإن الحسن لم يسمع من جابر شيئاً، والظاهر أن ذكر سبب نزول الآية هنا من قول الحسن ورأيه، وهو مخالَفٌ فيه كما أشار إلى ذلك ابنُ إسحاق بإثر خبره هذا، والراوي عن الحسن هنا عمرُو بن عبيدٍ ليس بثقة عند أهل الحديث.

وأخرجه ابن بَشكُوال في «غوامض الأسماء المبهمة» ١/ ٣٩١-٣٩٢ من طريق محمد بن عبد الرحيم، عن ابن هشام.

ورواه عن ابن إسحاق أيضاً سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٥٧-٥٥٨، وإبراهيمُ ابن سعد عند أبي نعيم في «دلائل النبوة» (١٤٥).

وروى نحو هذا الخبر عن جابرٍ دون ذكر نزول الآية: سنانُ بن أبي سنان الدُّؤلي وأبو سلمة بن عبد الرحمن عند أحمد (١٤٣٣٥) و(١٤٩٢٨)، والبخاري (٢٩١٠) و(٢٩١٣) و(٤١٣٥) و(٤١٣٦) و(٤١٣٩)، ومسلم (٨٤٣)(٣١١) و(٢٢٨١)(١٣-١٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٧١٩)، وابن حبان (٤٥٣٧)، وسليمانُ بن قيس اليَشكُري عند أحمد (١٤٩٢٩)، وابن حبان (٢٨٨٢) و(٢٨٨٣)، والحاكم (٤٣٦٨).

وذكر الواقدي نحو هذه الواقعة في غزوة ذي أَمَرٍ، وسمَّى الأعرابيَّ دُعثورَ بن الحارث، وتقدّم كلامنا على روايته عند تلك الغزوة ص٩، وصوّبنا هناك ما وقع عند ابن إسحاق وغيره من أن هذه الحادثة كانت في غزوة ذات الرقاع.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيدُ بن رُومانَ: أنّها إنّما أُنزِلت في عمرو بن جِحَاشٍ أخي بني النَّضيرِ وما هَمَّ به[1]، فاللهُ أعلم أيُّ ذلك كان.

قال ابن إسحاق: وحدّثني وهبُ بن كَيْسانَ، عن جابر بن عبد الله قال: خرجتُ مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذاتِ الرِّقاع من نَخْلٍ، على جَمَلٍ لي ضعيفٍ، فلمّا قَفَلَ رسولُ الله ﷺ قال: جَعَلَت الرِّفاقُ تَمْضي، وجَعَلتُ أتخلَّفُ حتّى أدرَكَني رسولُ الله ﷺ فقال: «ما لكَ يا جابرُ؟» قال: قلت: يا رسولَ الله، أبطَأَ بي جَمَلي هذا، قال: «أَنِخْهُ» قال: فأنَخْتُه، وأناخَ رسولُ الله ﷺ ثمّ قال: «أَعطِني هذه العصا من يدِكَ ـ أو اقطَعْ لي عصاً من شَجَرةٍ ـ» قال: ففعلتُ، قال: فأخذَها رسولُ الله ﷺ فنَخَسَه بها نَخَساتٍ ثمّ قال: «اركَبْ»، فرَكِبتُ، فخرج والّذي بَعَثَه بالحقِّ يُواهِقُ[2] ناقتَه مُواهَقةً.

قال: وتَحدَّثتُ مع رسول الله ﷺ، فقال لي: «أتَبِيعُني جَمَلَك هذا يا جابرُ؟» قال: قلت: يا رسولَ الله، بل أهَبُه لك، قال: «لا، ولكنْ بِعْنِيهِ» قال: قلت: فسُمْنِيهِ[3]، قال: «قد أَخَذْتُه بدِرهَمٍ» قال: قلت: لا، إذاً تَغبِنَني[4] يا رسولَ الله، قال: «فبدِرهمَينِ» قال: قلت: لا، قال: فلم يَزَلْ يَرفَعُ لي رسولُ الله ﷺ حتّى بَلَغَ الأُوقِيّةَ[5]، قال: فقلت: أفقَدْ رَضِيتَ؟ قال: «نعم» قلت: فهو لك، قال: «قد أَخَذْتُه».

ثمّ قال: «يا جابرُ، هل تَزَوَّجتَ بَعْدُ؟» قال: قلت: نَعَم يا رسولَ الله، قال: «أثَيِّباً

---

(١) كما تقدم ٢/ ٢٣٩، ورواه ابن إسحاق أيضاً عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر الأنصاريَّين كما في «تفسير الطبري» ٨/ ٢٢٨، وهذا الذي رجَّحه الطبريُّ ٨/ ٢٣٣.

(٢) يواهق ناقته، أي: يُباري ناقة النبي ﷺ في السير ويماشيها.

(٣) المُساوَمة: المجاذبة بين البائع والمشتري على السِّلعة وفَصْل ثمنها.

(٤) أي: لم تُوفني ثمنه الذي يستحقّه.

(٥) الأوقيّة: أربعون درهماً فضّة، والدرهم: ٢,٩٧٥ غم.

أم بِكْراً؟» قال: قلت: بل ثَيِّباً، قال: «أفلا جارِيَةً تُلاعِبُها وتُلاعِبُك!» قال: قلت: يا رسولَ الله، إنَّ أَبي أُصيبَ يومَ أُحدٍ وتَرَكَ بناتٍ له سبعاً، فنَكَحتُ امرأةً جامعةً تجمَعُ رُؤوسَهُنَّ وتقومُ عليهِنَّ، قال: «أصَبْتَ إن شاءَ الله، أمَا إنَّا لو قد جِئْنا صِرَاراً[1]، أمَرْنا بجَزُورٍ فنُحِرَت، وأقَمْنا عليها يومَنا ذاكَ، وسَمِعَت بنا فنَفَضَت نَمارِقَها[2]»، قال: قلت: يا رسولَ الله، ما لنا من نَمارِقَ، قال: «إنَّها ستكونُ، فإذا أنتَ قَدِمتَ، فاعمَلْ عَمَلاً كَيِّساً[3]». قال: فلمّا جِئْنا صِرَاراً أمَرَ رسولُ الله ﷺ بجَزُورٍ فنُحِرَت، وأقَمْنا عليها يومَنا ذاك، فلمّا أَمسى رسولُ الله ﷺ دخل ودخلنا، قال: فحَدَّثتُ المرأةَ الحديثَ وما قال لي رسولُ الله ﷺ، قالت: فدُونَك، فسَمْعٌ وطاعةٌ.

قال: فلمّا أصبَحتُ أخذتُ برأس الجَمَلِ فأقبلْتُ به حتّى أنَخْتُه على باب رسول الله ﷺ، قال: ثمّ جلستُ في المسجد قريباً منه، قال: وخرج رسولُ الله ﷺ فرأى الجَمَلَ فقال: «ما هذا؟» قالوا: يا رسولَ الله، هذا جَمَلٌ جاءَ به جابرٌ، قال: «فأينَ جابرٌ؟» قال: فدُعِيتُ له، قال: فقال: «يا ابنَ أَخي، خُذْ برأسِ جَمَلِك، فهو لكَ»، ودَعَا بلالاً فقال له: «اذهَبْ بجابرٍ فأَعطِهِ أُوقِيَّةً»، قال: فذهبتُ معه فأعطاني أُوقيَّةً وزادَني شيئاً يَسِيراً. قال: فواللهِ ما زالَ يَنْمِي عندي ويُرَى مكانُه من بيتِنا، حتّى أُصيبَ أَمسِ فيما أُصيبَ لنا؛ يعني يومَ الحَرَّة[4].

---

(١) صِرَار: موضع فيه بئر شرق المدينة في حَرّة واقم، يبعد عن المسجد النبوي حوالي ٦ كم.

(٢) النمارق: جمع نَمرُقة، وهي الوسادة الصغيرة.

(٣) أراد بالعمل الكيِّس هنا: الجِماع.

(٤) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١٥٠٢٦) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه مطوَّلاً ومختصراً ببعض فِقَره البخاري (٢٠٩٧)، ومسلم (٧١٥) (٧٣) =

قال ابن إسحاق: وحدّثني عمّي صَدَقةُ بن يَسارٍ[1]، عن عَقيلِ بن جابرٍ، عن جابر ابن عبد الله الأنصاريِّ قال: خَرَجْنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذاتِ الرِّقاع من نَخْلٍ، فأصابَ امرأةَ رجلٍ من المشركين، فلمّا انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ قافلاً، أَتى زوجُها وكان غائباً، فلمّا أُخبِرَ الخبرَ حَلَفَ لا يَنتَهي حتّى يُهرِيقَ في أصحاب محمّدٍ دماً، فخرج يَتبَعُ أثَرَ رسولِ الله ﷺ، فنَزَلَ رسولُ الله ﷺ مَنزِلاً فقال: «مَن رجلٌ يَكلَؤُنا[2] لَيلَتَنا؟»، قال: فانتَدَبَ رجلٌ من المهاجرين ورجلٌ من الأنصار، فقالا: نحنُ يا رسولَ الله، قال: «فكُونَا بفَمِ الشِّعْبِ[3]»، قال: وكان رسولُ الله ﷺ وأصحابُه قد نَزَلوا

= و(١٤٦٦)(٥٧)، وابن حبان (٢٧١٧) و(٦٥١٨) و(٧١٤٣) من طريق عبيد الله بن عمر العُمَري، عن وهب بن كيسان، به. وليس في المطوّل عندهم ذكر قصة نحر الجزور، ولا النّمارق، ولا قوله ﷺ ـ غير البخاري فهذا في حديثه ـ: «فإذا أنت قدمتَ فاعمل عملاً كيّساً». ولزيادة تخريجه من طرق أخرى عن جابر رضي الله عنه انظر التعليق على «مسند أحمد».

ويومُ الحرّة: أراد بها الوقعة المشهورة بين أهل الشام وبين أهل المدينة سنة ٦٣هـ في أيام يزيد ابن معاوية، وكان أمير جيش يزيد مسلم بن عُقْبة المُرّي الذي لُقِّب بالمُسرِف لقُبْح صنيعه، فقد هَتَك مسرفٌ ـ أو مجرمٌ ـ الإسلامَ هتكاً، وأَنهب المدينةَ ثلاثاً، واستخفَّ بأصحاب النبي ﷺ، ومُدَّت الأيدي إليهم ونُهِبَت دورهم، والحَرّة التي وقع بها القتال هي حرّة واقمٍ، وهي في شرق المدينة المنورة.

(١) هكذا في النسخ كلها، وهو خطأ قديم تتابَعَت عليه النسخ، وأشار إليه الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٩٥ فقال: كذا وقع هنا، وذكرُ (عمِّي) في هذا الحديث خطأ، وصدقةُ هذا جَزَريٌّ سكن بمكّة، وليس بعمِّ محمد بن إسحاق. قلنا: وقد رواه ابن نصر المَروَزي في «قيام الليل» ـ كما في «مختصره» للمَقْريزي ص١٥٢ ـ عن عمرو بن زُرارة عن زياد البكّائي، فلم يقل فيه: عمّي، وكذلك كلُّ من رواه عن ابن إسحاق غيرُ البكّائي، انظر تخريجه في «مسند أحمد» (١٤٧٠٤).

(٢) يكلؤنا، أي: يحفظنا.

(٣) الشِّعب: هو الموضع المُنفرِج بين جبلين.

إلى شِعْبٍ من الوادي.

وهما عمّارُ بن ياسرٍ وعبّادُ بن بِشْرٍ، فيما قال ابن هشام[1].

قال: فلمّا خرج الرّجُلانِ إلى فمِ الشِّعب، قال الأنصاريُّ للمهاجريِّ: أيَّ اللّيلِ تحبُّ أن أَكفِيَكَه، أوّلَه أم آخرَه؟ قال: بل اكفِني أوّلَه، قال: فاضطَجَعَ المهاجريُّ فنامَ وقامَ الأنصاريُّ يُصلِّي.

قال: وأَتى الرّجلُ، فلمّا رأى شَخْصَ الرّجلِ عَرَفَ أنّه رَبيئةُ القوم[2]، قال: فرمى بسَهمٍ فوَضَعَه فيه، قال: فنَزَعَه ووَضَعَه فثَبَتَ قائماً، قال: ثمّ رماه بسَهمٍ آخرَ فوَضَعَه فيه، قال: فنَزَعَه فوَضَعه وثَبَتَ قائماً، ثمّ عادَ له بالثّالثِ فوَضَعَه فيه، قال: فنَزَعَه فوَضَعَه ثمّ رَكَعَ وسَجَدَ ثمّ أَهَبَّ[3] صاحبَه فقال: اجلِسْ فقد أُتِيتُ[4]، قال: فوَثَبَ، فلمّا رآهما الرّجلُ عَرَفَ أنْ قد نَذِرَا به[5]، فهَرَبَ، قال: فلمّا رأى المهاجريُّ ما بالأنصاريِّ من الدّماءِ قال: سُبحانَ الله، أفلا أهبَبْتَني أوّلَ ما رماك؟! قال: كنتُ في سورةٍ أقرَؤُها فلم أُحِبَّ أن أقطَعَها حتّى أُنفِذَها، فلمّا تابَعَ عليَّ الرَّميَ رَكَعتُ فآذَنتُك[6]، وايْمُ اللهِ لولا أن أُضيِّعَ ثَغْراً أمَرَني رسولُ الله ﷺ بحِفْظِه، لَقَطَعَ نَفْسي

---

(١) وسُمِّيا كذلك في حديث خوّات بن جُبير الأنصاري عند الواقدي في «المغازي» ١/ ٣٩٦-٣٩٧، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٣٧٨-٣٧٩، وسمّى السورة التي كان يقرأ بها، وهي الكهف.

(٢) الرَّبيئة: الطَّليعة الذي يحرس القومَ ويَرقُب العدوَّ.

(٣) أهبَّ، أي: أيقظ.

(٤) في (ش١) ونسخة على حاشية (ز): أُثبِتُّ. ومعناه: جُرِحتُ جرحاً لا يمكن التحرك معه. ومعنى أُتِيتُ: أُصِبتُ.

(٥) نذرا به، أي: عَلِما بمكانه.

(٦) أي: أعلمتُك بما حصل لي.

قبلَ أن أقطَعَها أو أُنفِذَها[1].

قال ابن هشام: ويقال: أُنفِّذها.

قال ابن إسحاق: ولمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ من غزوة ذات الرِّقاع، أقامَ بها بقيّةَ جُمادَى الأولى وجُمادَى الآخِرة ورَجَباً.

غزوةُ بدرٍ الآخرة
في شعبانَ سنة أربعٍ[2]

قال ابن إسحاق: ثمّ خرج في شعبانَ إلى بدرٍ لمِيعادِ أبي سفيانَ حتّى نَزَلَه[3].

قال ابن هشام: واستَعمَل على المدينة عبدَ الله بن عبدِ الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ الأنصاريَّ[4].

---

(١) إسناده حسن إن شاء الله، عَقِيل بن جابر - وإن لم يرو عنه غير صدقة بن يسار - تابعيٌّ كبيرٌ ابنُ صحابيٍّ، وهو لم يُجرَح وذكره ابن حبان في «الثقات»، وأما صدقة فثقةٌ معروفٌ.

وأخرجه أحمد (١٤٧٠٤) و(١٤٨٦٥)، وأبو داود (١٩٨)، وابن حبان (١٠٩٦)، والحاكم (٥٦٤) من طرق عن محمد بن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٢) وذهب الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٣٨٤ وصاحبه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٥٥ إلى أنها كانت بعد ذلك بثلاثة أشهر في ذي القَعْدة من هذه السنة، وسمَّياها بدرَ المَوعِد. قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٥/ ٥٧٨: والصحيحُ قول ابن إسحاق أنّ ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة، ووافق قولَ موسى بن عُقبة أنّها في شعبان، لكن قال (يعني موسى بن عقبة): في سنة ثلاثٍ، وهذا وهمٌ، فإنّ هذه تَواعَدُوا إليها من أُحد، وقد كانت أُحدٌ في شوّال سنة ثلاث.

(٣) وذلك أن أبا سفيان لمّا انصرف من أُحدٍ نادى: إنّ موعدكم بدرٌ للعام القابل، كما تقدّم ص٨٦.

(٤) وقال الواقدي وابن سعد: استخلف عبدَ الله بنَ رَوَاحة، وخرج ﷺ في ألف وخمس مئة من أصحابه.

قال ابن إسحاق: فأقامَ عليه ثمانيَ لَيالٍ ينتظرُ أبا سفيان، وخرج أبو سفيانَ في أهل مكَّة حتّى نَزَلَ مَجَنّةَ من ناحية الظَّهرانِ، وبعضُ الناس يقول: قد بَلَغَ عُسْفانَ[1]، ثمّ بَدَا له في الرُّجوع فقال: يا مَعشَرَ قريش، إنّه لا يُصلِحُكم إلّا عامٌ خَصيبٌ تَرعَوْنَ فيه الشّجرَ وتشربون فيه اللّبَنَ، وإنّ عامَكم هذا عامٌ جَدْبٌ، وإنّي راجعٌ فارجِعوا، فرجع النّاسُ، فسمّاهم أهلُ مكّة جيشَ السَّوِيق، يقولون: إنّما خرجتُم تشربون السَّوِيق[2].

وأقامَ رسولُ الله ﷺ على بدرٍ ينتظرُ أبا سفيانَ لمِيعادِه، فأتاه مَخْشيُّ بن عمرو الضَّمْريّ ـ وهو الّذي كان وادَعَه على بني ضَمْرة في غزوة وَدّانَ[3] ـ فقال: يا محمّدُ، أجِئتَ للِقاءِ قريشٍ على هذا الماءِ؟ قال: «نَعَم يا أَخا بني ضَمْرةَ، وإن شِئتَ مع ذلكَ رَدَدْنا إليكَ ما كان بينَنا وبينَك، ثمَّ جالَدْناكَ حتّى يَحكُمَ اللهُ بينَنا وبينَك»، قال: لا والله يا محمّدُ ما لنا بذلك منكَ من حاجةٍ[4].

---

(١) مَجَنّة: اسم مكانٍ كان فيه سوق من أسواق العرب مشهورة، وهي اليوم ـ على الأغلب ـ بلدة بَحْرة بين مكة وجُدّة، تبعد عن مكة حوالى ٣٥ كم غرباً، والظَّهران: وادٍ من أودية الحجاز يمرُّ شمال مكة متجهاً غرباً، ويسمَّى اليوم وادي فاطمة، وأما عُسفان: فبلدة شمال غرب مكة على بعد ٧٥ كم تقريباً.

(٢) هو من الأطعمة أن تُجفَّف الحنطة أو الشعير ثم تُطحَن، فإذا أرادوا أن يأكلوها مُزِجَت باللَّبن والعسل والسَّمن، فإن لم يكن شيء من ذلك مُزجت بالماء، وهو في الغالب طعام المسافر.

(٣) كما تقدم ٢/ ٢٧٦.

(٤) لم يسند ابن إسحاق هذا الخبر، وذكره موسى بن عقبة في «مغازيه» فيما أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٣٨٤-٣٨٥ عن الزهريِّ مرسلاً، وفيه: أن الضمريَّ قال لرسول الله ﷺ: والله إن كنّا لقد أُخبرنا أنه لم يبقَ منكم أحدٌ، فما أعمَلَكم إلى أهل هذا الموسم؟ فقال رسول الله ﷺ وهو يريد أن يبلغ ذلك عدوَّه من قريش... وذكر نحو ما عند ابن إسحاق.

فأقامَ رسولُ الله ﷺ ينتظرُ أبا سفيانَ، فمَرَّ به مَعبَدُ بن أبي مَعبَدٍ الخُزاعيّ، فقال وقد رأى مكانَ رسول الله ﷺ وناقتُه تَهوِي به[1]:

قـد نَفَـرَت مـن رُفْقتَـيْ محمَّـدِ   وعَجْـوةٍ مـن يَثـرِبٍ كالعَنجَـدِ[2]

تَهـوِي علـى دِيـنِ أَبيهـا الأتلَـدِ   قـد جَعَلَـت مـاءَ قُدَيـدٍ مَوعِـدي[3]

وماءَ ضَجْنانَ لها ضُحَى الغَدِ[4]

وقال عبدُ الله بن رَوَاحة في ذلك ـ قال ابن هشام: أنشَدَنيها أبو زيدٍ الأنصاريُّ لكعبِ ابن مالكٍ[5] ـ:

وَعَدْنا أبا سفيانَ بـدراً فلـم نَجِدْ   لميعـادِه صِـدقاً ومـا كـان وافِيـا

فأُقسِـمُ لـو وافَيتَنـا فلَقِيتَنـا   لَأُبتَ ذَميماً وافتَقَدتَ المَوالِيا[6]

تَرَكْنـا بـه أَوصـالَ عُتْبـةَ وابنَـهُ   وعَمـراً أبـا جَهـلٍ تَرَكنـاهُ ثاوِيـا[7]

عَصَيتُم رسـولَ الله أُفٍّ لـدِينِكمْ   وأمرِكمُ السَّيْءِ الّذي كان غاوِيا[8]

---

(١) تهوي به، أي: تُسرع به.

(٢) العنجد: حبُّ الزَّبيب، ويقال: هو الزبيب الأسود.

(٣) الدِّين: الدأب والعادة. والأتلد: الأقدم. وقُديد: وادٍ شمال غرب مكة على بعد ١٣٠ كم تقريباً.

(٤) ضَجنان: موضع شمال شرق مكّة على بعد ٥٥ كم تقريباً على طريق المدينة المنوَّرة، ويسمّى اليوم: حَرّة المُحسِنيّة.

(٥) وكذلك أنشدها لكعبٍ الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٣٨٩ وقال: أنشَدَنيها مشيخةُ آل كعب وأصحابُنا جميعاً. وأنشد البيت الأول منها البلاذُريُّ في «أنساب الأشراف» ١/ ٣٤٠.

(٦) افتقدتَ: فقدتَ. والموالي: القرابة والأحلاف.

(٧) الأوصال: أعضاء الجسد. وثاوياً: مقيماً ساكناً بعد مقتله.

(٨) السَّيْء بالتخفيف، أي: السيِّئ. والغَيُّ: الضلال والانهماك في الباطل.

فـإنّي وإن عَنّفتُمـوني لَقائـلٌ ... فِدًى لرسولِ الله أَهلي وماليا[1]

أَطَعْناه لـم نَعدِلْه فينا بغيرِهِ ... شِهاباً لنا في ظُلْمةِ اللّيلِ هادِيا[2]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ في ذلك[3]:

دَعُوا فَلَجاتِ الشّام قد حالَ دونَها ... جِلادٌ كأفواهِ المَخاضِ الأَوَارِكِ[4]

بأَيدي رِجالٍ هاجَرُوا نحوَ ربِّهِمْ ... وأنصارِه حَقّاً وأَيدي المَلائكِ

إذا سَلَكَتْ للغَورِ من بَطنِ عالجٍ ... فقولا لها: ليس الطّريقُ هنالكِ[5]

أقَمْنا على الرَّسِّ النَّزُوعِ ثَمانياً ... بأَرعَنَ جَرّارٍ عَريضِ المَبارِكِ[6]

بكلِّ كُمَيتٍ جَوْزُه نِصفُ خَلْقِه ... وقُبٍّ طِوَالٍ مُشرِفاتِ الحَوارِكِ[7]

---

(١) عنَّفتموني: لُمتُموني.

(٢) لم نَعدِله، أي: لم نسوِّه مع غيره.

(٣) انظر «ديوانه» ص٨٥.

(٤) الفَلَجات: جمع فَلَجٍ، وهي الأودية والأنهار الصِّغار. والجِلاد: المجالَدة في الحرب. والمخاض: الإبل الحوامل. والأَوارك: التي ترعى الأَراك، وهو شجر معروف دائم الخُضرة، وتُتَّخذ من جذوره المساويك.

(٥) في «الديوان»: إذا هبطَت حَورانَ من رَمْلِ عالجٍ. وعالج: هو المعروف اليوم بصحراء النّفود الكبير، يمرُّ في شمال نجد قرب مدينة حائل إلى شمال تَيماء. والغَور: المنخفض من الأرض.

(٦) الرَّس: البئر. والنَّزوع: القريبة القعر التي يُخرَج ماؤها بالأيدي. والأرعن هنا: الجيش الكثير المضطرب لكثرته.

(٧) بكل كُميتٍ، أي: بكل فرس كميتٍ، والكُميت: لون بين السواد والحُمرة. وجَوْزه: وسطه، ويريد بطنَه. والقُبُّ: جمع أَقَبَّ، وهو الفرس الضامر البطن. والحوارك: جمع حارِك، وهو أعلى الكتفين من الفرس.

تَـرَى العَـرْفَجَ العـامِيَّ تَـذْري أُصـولَه ... مَناسِـمُ أخفـافِ المَطِـيِّ الرَّواتِـكِ[1]

فـإنْ تَلْـقَ في تَطْوافِنـا والْتِماسِـنا ... فُـرَاتَ بـنَ حيّـانٍ يكـنْ رَهْـنَ هالـكِ[2]

وإنْ تَلْقَ قيسَ بنَ امرِئِ القيسِ بعدَه ... يُـزَدْ في سَـوادٍ لونُـه لـونُ حالـكِ[3]

فـأبلِغْ أبـا سـفيانَ عنّـي رِسـالةً ... فإنّـكَ مـن غُـرِّ الرِّجـالِ الصَّـعالكِ[4]

فأجابه أبو سفيانَ بن الحارث بن عبد المُطَّلِب فقال:

أحسّـانُ إنّـا يـا ابـنَ آكلـةِ الفَغَـا ... وجَـدِّكَ نَغتـالُ الخُـروقَ كـذلكِ[5]

خَرَجْنـا ومـا تَنجُـو اليَعـافيرُ بينَنـا ... ولـو وَأَلَـتْ منّـا بشَـدٍّ مُـدارِكِ[6]

(١) العَرفَج: نبات قدر ذراع أو أكثر له زهر أصفر. والعامِيُّ: الذي أتى عليه عامٌ. وتذري أصوله: تقلعها وتطرحها. ومناسم: جمع مَنسِم، وهو طرف خفّ البعير. والرَّواتك: المُسرِعة.

(٢) فرات بن حيّان من بني عِجْل من بكر بن وائل، كان عيناً لأبي سفيان في حروبه ودليلاً في تجاراتهم، ثم أسلم فحَسُن إسلامه.

(٣) قيس بن امرئ القيس جاء في بعض نسخ «ديوان حسان» ـ كما في تحقيقه لوليد عرفات ـ ٢/ ٨٤: أنه عِجليٌّ، وكان يجير عِيرَ قريش هو وفراتُ بن حيان لمّا قطع عليهم النبي ﷺ مِيرةَ الشام.

والحالك: الشديد السواد.

(٤) الغُرّ: البِيض، ورواية «الديوان»: من شرِّ الرجال الصعالك. والصعالك: جمع صُعلُوك، وأصله: الصعاليك، حذفت ياؤه لإقامة الوزن، وهو الفقير الذي لا مال له، أو الذي لا غَناء عنده.

(٥) الفغا: غبرة تعلو البُسر من التمر قبل أن يَطِيب فتفسده. ونغتال: نقطع. والجَدّ: الحظّ. والخُروق: جمع خَرْق، وهو الفلاة الواسعة. وفي «جمهرة اللغة» لابن دريد ٢/ ١٠٨١: لعَمرُك نغتال الحروب.

(٦) اليعافير: جمع يَعفُور، وهو ولد الظَّبْية، يريد أنهم لكثرتهم لا تنجو معهم الظِّباء. ووَأَلَت: اعتصمت ولجأَت، يقال: وَأَلْتُ إلى الجبل، أي: اعتصمتُ به، ومنه: المَوئِل، وهو المَلجَأ. والشَّدّ: الجَرْي. والمُدارِك: المتتابع.

إذا مـا انبَعَثْنـا مـن مُنـاخٍ حَسِبتَه مُـدمَّنَ أهـلِ الموسِـمِ المُتَعـارِكِ[1]
أَقَمـتَ علـى الـرَّسِّ النَّـزوعِ تريـدُنا وتتركُنـا في النَّخـلِ عنـد المَـدارِكِ[2]
علـى الـزَّرعِ تَمْشـي خيلُنـا ورِكابُنـا فمـا وَطِئَـت أَلصَـقْنَه بالـدَّكادِكِ[3]
أقَمْنـا ثلاثـاً بـين سَـلْعٍ وفـارعٍ بجُـرْدِ الجيـادِ والمَطِـيِّ الرَّواتِـكِ[4]
حَسِبتُم جِـلادَ القـومِ عنـد قِبـابِهم كمَأخَـذِكم بـالعَينِ أرطـالَ آنُـكِ[5]
فلا تَبعَثِ الخيـلَ الجِيـادَ وقـل لهـا على نحوِ قولِ المُعصِمِ المُتَماسِكِ[6]
سَـعِدتُم بهـا وغيـرُكم كـان أهلَهـا فـوارسُ مـن أبنـاءِ فِهْـرِ بـن مالـكِ
فإنّـكَ لا في هجـرةٍ إن ذَكَرتَهـا ولا حُرُمـاتِ الـدِّين أنـتَ بناسِـكِ[7]

قال ابن هشام: بَقِيَت منها أبياتٌ تركناها لقُبحِ اختلاف قَوافِيها، وأنشدني أبو زيدٍ

---

(١) المُناخ: الموضع الذي تُنيخ فيه الإبل، أي: تَبرُك وتقيم. والمُدمَّن: الموضع الذي ينزلون فيه فيتركون به الدِّمَن، أي: آثار الدوابّ والإبل، وأرواثها وأبعارها. وأهل المَوسِم، أي: جماعة الحُجّاج، وكل موضع كانت العرب تجتمع فيه فهو موسم، إذا كان ذلك عادةً منهم في ذلك المكان، كسوق عُكَاظ وذي المَجَاز وأشباههما. والمتعارِك: الذي يزدحم فيه الناس.

(٢) الرَّسّ النزوع: البئر التي تنزع ماؤها بالأيدي كما تقدم. والمدارك: المواضع القريبة، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٩٨: ومن رواه المَبارِك، فيعني به مبارك الإبل.

(٣) الدكادك: جمع دَكْداك، وهو الرمل الليّن.

(٤) سَلْع: جبل بالمدينة معروف، وفارع: اسم أُطُم فيها، وهو بناء مرتفع كالحِصن. والرَّواتك: المُسرعة.

(٥) القِباب: الأخبية والخِيام. والعين هنا: المال الحاضر، والعين أيضاً: الدينار، وكلاهما يصلح هاهنا، قاله الخشنيُّ. والآنُك: القزدير أو الرصاص.

(٦) المُعصِم: المستمسك بالشيء.

(٧) الناسك: المتتبِّع لمعالم الدِّين وشرائعه.

الأنصاريّ هذا البيتَ:

خَرَجنا وما تَنجُو اليَعافيرُ بيننا

والبيتَ الذي بعدَه لحسّان بن ثابتٍ في قوله:

دَعُوا فَلَجاتِ الشّامِ قد حالَ دونَها

وأنشدني له فيها بيتَه: فأبلِغْ أبا سفيانَ.

غزوةُ دُومَة الجَندَل

في شهر ربيع الأوّل سنة خمسٍ

قال ابن إسحاق: ثمّ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، فأقامَ بها حتّى مضى ذو الحِجّة، ووَلِيَ تلك الحَجّةَ المشركون، وهي سنة أربعٍ من مَقدَم رسول الله ﷺ المدينةَ، ثمّ غَزَا رسولُ الله ﷺ دُومةَ الجَندَل[1].

---

(١) دُومَة الجندل ـ بضمّ أوله ويُفتَح ـ بلدة في منطقة الجوف تتوسط شمال الجزيرة العربية، وتبعد عن المدينة المنوّرة قرابة ٦٠٠ كم.

وسبب هذه الغزوة كما ذكر الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٤٠٣ عن غير واحدٍ: أنه ذُكِر لرسول الله ﷺ أن بها جمعاً كثيراً من القبائل، وأنهم يظلمون من مرَّ بهم ممن يحملون المِيرة والطعام، وكان بها سوق عظيم، وهم يريدون أن يَدْنُوا من المدينة، فنَدَبَ رسولُ الله ﷺ الناسَ فخرج في ألفٍ من المسلمين، فكان يسير الليل ويَكمُن النهار، ومعه دليل له من بني عُذْرة يقال له: مذكور، فلما دنا من دومة الجندل أخبره دليله بمواضع سوائمهم، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورِعائهم، فأصاب من أصاب، وهرب من هرب في كلّ وجه، وجاء الخبر أهلَ دومة الجندل فتفرّقوا، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم، فلم يَجِدْ فيها أحداً، فأقام بها أياماً، وبثَّ السرايا ثم رجعوا، وأخذ محمد ابن مَسلَمة رجلاً منهم، فأتى به رسولَ الله ﷺ فسأله عن أصحابه فقال: هربوا أمسِ، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلامَ، فأسلم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة.

وذكر الواقديُّ: أنه ﷺ خرج من المدينة لخمس ليال بقين من ربيع الأول، وعاد لعشرٍ بقين =

قال ابن هشام: في شهر ربيعٍ الأوّل، واستَعمَل على المدينة سِبَاعَ بن عُرفُطَةَ الغِفاريّ.

قال ابن إسحاق: ثمّ رجع رسولُ الله ﷺ قبل أن يَصِلَ إليها ولم يَلْقَ كَيداً، فأقام بالمدينة بقيّةَ سنته[1].

= من ربيع الآخر. يعني أنه غاب عن المدينة في هذه الغزوة قرابة خمسة وعشرين يوماً.

(١) قوله: فأقام بالمدينة بقية سنته، من (غ) و(ي) وليس في بقية النسخ.

غزوةُ الخندق

في شوّالٍ سنة خمسٍ

حدّثنا أبو محمّدٍ عبد الملك بن هشام قال: حدّثنا زيادُ بن عبد الله البَكّائيّ، عن محمّد بن إسحاق المُطَّلِبيّ قال: ثمّ كانت غزوةُ الخندقِ في شوّالٍ سنة خمسٍ[1].

فحدّثني يزيدُ بن رُومانَ مولى آلِ الزُّبَير عن عُرْوةَ بن الزُّبَير، ومَن لا أتّهمُ عن عبدِ الله بن كعب بن مالكٍ ومحمّدِ بن كعبٍ القُرَظيّ، والزُّهْريُّ وعاصمُ بن عمر بن قَتَادة وعبدُ الله بن أبي بكرٍ وغيرُهم من عُلمائِنا، كلٌّ قد اجتَمَع حديثُه في الحديث عن الخندق، وبعضُهم يحدِّث ما لا يحدِّث بعضٌ؛ قالوا: إنَّه كان من حديث الخندقِ أنّ نَفَراً من اليهود، منهم سَلَامُ بن أبي الحُقَيق النَّضْريّ وحُيَيُّ بن أخطَبَ النَّضْريّ وكِنانةُ بن الرَّبيع بن أبي الحُقَيق النَّضْريّ وهَوْذةُ بن قيسٍ الوائليّ وأبو عمّارٍ الوائليّ، في نَفَرٍ من بني النَّضير ونَفرٍ من بني وائلٍ، وهم الّذين حَزَّبوا الأحزابَ على رسول الله

(١) وقال موسى بن عقبة: كانت في شوّال سنة أربعٍ، قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٢٤٠: هكذا رُويناه في «مغازيه»، وتابع موسى على ذلك مالكٌ، وقال ابن إسحاق: كانت في شوّال سنة خمس، وبذلك جَزَمَ غيرُه من أهل المغازي، ومال البخاريُّ إلى قول موسى بن عقبة وقوّاه بما أخرجه (٤٠٩٧) من قول ابن عمر: أنه عُرِض يومَ أُحدٍ وهو ابن أربعَ عشرةَ ويومَ الخندق وهو ابن خمسَ عشرةَ، فيكون بينهما سنةٌ واحدةٌ، وأُحد كانت سنة ثلاث، فيكون الخندق سنة أربع؛ ولا حُجّة فيه إذا ثبت أنها كانت سنة خمس، لاحتمال أن يكون ابنُ عمر في أُحدٍ كان في أول ما طَعَنَ في الرابعةَ عشرَ، وكان في الأحزاب قد استكمل الخمسَ عشرةَ، وبهذا أجاب البيهقيُّ. اهـ

ثمَّ رجَّح ابن حجر أنها في السنة الخامسة، فانظر تتمّة كلامه هناك. وصحَّح كونَها في الخامسة أيضاً ابنُ القيِّم في «زاد المعاد» ٣/ ٢٤٠.

ﷺ، خَرَجوا حتّى قَدِمُوا على قريشٍ مكّةَ، فدَعَوهم إلى حربِ رسول الله ﷺ وقالوا: إنّا سنكونُ معكم عليه حتّى نَستأصِلَه، فقالت لهم قريشٌ: يا مَعشَرَ يهودَ، إنّكم أهلُ الكتابِ الأوّلِ والعلمِ بما أصبَحْنا نَختلِفُ فيه نحنُ ومحمّدٌ، أفدِينُنا خيرٌ أم دينُه؟ قالوا: بل دينُكم خيرٌ من دينه، وأنتم أَولى بالحقِّ منه؛ فهم الّذين أنزَلَ الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ[1] وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: النّبوّة ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [النساء: ٥٤-٥٥][2].

فلمّا قالوا ذلك لقريشٍ سَرَّهم ونَشَطُوا لما دَعَوهم إليه من حربِ رسول الله ﷺ، فاجتَمَعوا لذلك واتَّعَدُوا له، ثمّ خرج أولئك النَّفرُ من يهودَ حتّى جاؤوا غَطَفانَ من قيس عَيْلان، فدَعَوهم إلى حربِ رسول الله ﷺ، وأخبَرُوهم أنّهم سيكونون معهم عليه، وأنَّ قريشاً قد تابَعُوهم على ذلك، فاجتَمَعوا معهم فيه.

فخرجت قريشٌ وقائدُها أبو سفيانَ بن حَرْبٍ، وخرجت غَطَفانُ وقائدُها عُيَينةُ ابن حِصْن بن حُذَيفة بن بدرٍ في بني فَزارة، والحارثُ بن عوف بن أبي حارثة المُرِّيُّ في بني مُرَّة، ومِسعَرُ بن رُخَيلة بن نُوَيرة بن طَرِيف بن سُحْمة بن عبد الله بن هلال بن خَلاوة[3] بن أشجَعَ بن رَيْثِ بن غَطَفان، فيمَن تابَعَه من قومه من أشجَعَ.

---

(١) تقدّم تفسير الجبت والطاغوت عند ابن هشام ٢/ ٢٣٧-٢٣٨.

(٢) انظر الكلام على الخبر في سبب نزول هذه الآيات فيما تقدّم ٢/ ٢٣٧.

(٣) أشار في حاشية (ز) إلى اختلاف النسخ في تقييده على أوجه: حُلاوة، خِلاوة، جِلاوة. وأشار الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٩٩ إلى أنه يقيّد بالخاء والحاء مضمومتين ومفتوحتين، وأن =

فلمّا سمع بهم رسولُ الله ﷺ وما أَجمعوا له من الأمر، ضَرَبَ الخندقَ على المدينة[1]، فعَمِلَ فيه رسولُ الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأَجر وعَمِلَ معه المسلمون فيه، فدَأَبَ فيه ودَأَبُوا[2]، وأبطَأَ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عَمَلِهم ذلك رِجالٌ من المنافِقين وجَعَلوا يُوَرُّون[3] بالضّعيف من العمل، ويَتسلَّلُون إلى أهليهم بغير علمٍ من رسول الله ﷺ ولا إذنٍ، وجَعَلَ الرّجلُ من المسلمين إذا نابَتْه النّائبةُ من الحاجة الّتي لا بُدَّ له منها، يَذكُرُ ذلك لرسول الله ﷺ ويَستأذِنُه في اللُّحوقِ بحاجته، فيأذَنُ له، فإذا قَضَى حاجتَه رجع إلى ما كان فيه من عَمَلِه رَغْبةً في الخير واحتساباً له.

فأنزَلَ الله عزَّ وجلَّ في أولئكَ من المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٦٢]، فنَزَلَت هذه الآيةُ فيمَن كان من المسلمين من أهل الحِسْبة والرَّغبة في الخير والطّاعة لله ولرسوله ﷺ.

= الجيّد فيه هو الخاء المعجمة. وقيّده كذلك بالمعجمة ابنُ ماكولا في «الإكمال» ٢/ ٥٧٦.

(١) وكان ذلك بإشارة من سلمان الفارسيّ كما سيأتي لابن هشام، وهو الذي ذكره أصحاب المغازي كما في «فتح الباري» لابن حجر ١٢/ ٢٣٩.

وكان موضع حفر الخندق في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة، بين حَرّة المدينة الغربية المسمّاة بالوَبَرة وبين حرّتها الشرقية المسمّاة بواقم، وتُقدَّر هذه المسافة بخمسة آلاف ذراع، وهو ما يعادل ٢,٥ كم تقريباً، وتمَّ حفره في ستة أيام كما في «مغازي الواقدي» ٢/ ٤٥٤ و«طبقات ابن سعد» ٢/ ٦٣.

(٢) أي: جدُّوا وتعبوا.

(٣) أي: يستترون.

ثمّ قال عزَّ وجلَّ يعني المنافقين الّذين كانوا يَتسلَّلُون من العَمَل ويذهبون بغير إذنٍ من النبيّ ﷺ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

قال ابن هشام: اللِّوَاذُ: الاستتارُ بالشّيءِ عند الهَرَب، قال حسّانُ بن ثابتٍ:

وقـــريشٌ تَفِـــرُّ منّـــا لِـــوَاذاً أن يُقِيموا وخَفَّ منها الحُلومُ

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له قد ذكرتُها في أشعار يوم أُحد[1].

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾، قال ابن إسحاق: من صَدقٍ أو كَذِب ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:٦٤].

قال ابن إسحاق: وعَمِلَ المسلمون فيه حتّى أحكَمُوه، وارتَجَزُوا فيه برجلٍ من المسلمين يقال له: جُعَيلٌ، سَمّاه رسولُ الله ﷺ عَمْراً، فقالوا:

سَمّاه من بعد جُعَيلٍ عَمْرا وكان للبائسِ يوماً ظَهْرا[2]

فإذا مَرُّوا بعمرٍو قال رسولُ الله ﷺ: «عَمْرا»، وإذا مَرّوا بظَهرٍ قال رسولُ الله ﷺ: «ظَهْرا»[3].

قال ابن إسحاق: وكان في حَفْر الخندقِ أحاديثُ بَلَغَتني، من الله فيها عِبرةٌ في تصديقِ رسولِه ﷺ وتحقيقِ نُبوّتِه، عايَنَ ذلك المسلمون.

---

(١) تقدّم ص١٦٧-١٧٠.

(٢) الظَّهر: القوة والمعونة، والضمير المستتر في قوله: سمّاه وكان، راجع إلى النبي ﷺ.

(٣) أي: قال معهم آخره فقط، كما أوضحت ذلك رواية الواقديِّ له في «مغازيه» ٢/ ٤٤٨ عن يحيى بن عبد العزيز الخزرجي عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً، وسمّى الرجل جُعيلَ ابن سُراقة.

فكان ممّا بَلَغَني: أنّ جابرَ بن عبدِ الله كان يحدِّث: أنّه اشتَدَّت عليهم في بعض الخندقِ كُدْيةٌ فشَكَوْها إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناءٍ من ماءٍ فتَفَلَ فيه ثمّ دعا بما شاءَ اللهُ أن يدعوَ به، ثمّ نَضَحَ ذلك الماءَ على تلك الكُدْية[1]، فيقول مَن حَضَرَها: فوالّذي بَعَثَه بالحقِّ، لَانهالَتْ حتّى عادت كالكَثِيبِ لا تَرُدُّ فأساً ولا مِسحاةً[2].

وحدّثني سعيدُ بن مِينا[3] أنه حُدِّثَ: أنّ ابنةً لبَشيرِ بن سعدٍ أُختِ النُّعمان بن بَشيرٍ قالت: دَعَتْني أُمّي عَمْرةُ بنتُ رَوَاحة، فأعطَتْني حَفْنةً من تمرٍ في ثَوْبي ثمّ قالت: أَيْ بُنيَّةُ، اذهبي إلى أبيك وخالك عبدِ الله بن رَوَاحة بغَدائِهما، قالت: فأخذتُها فانطَلَقتُ

---

(١) الكُدْية: قطعة من الأرض غليظة صُلْبة لا تعمل فيها الفأسُ. ونضح الماءَ، أي: رشَّه.

(٢) خبر هذه الكُدية صحيح من حديث جابر.

فقد أخرجه بنحوه البخاري (٤١٠١) عن خلّاد بن يحيى، عن عبد الواحد بن أيمن المخزومي، عن أبيه، عن جابر؛ إلا أنه لم يذكر فيه قصة الماء وقال: أخذ النبي ﷺ المِعوَل فضرب، فعاد كَثيباً أهيَلَ.

ورواه غيرُ خلّاد عن عبد الواحد فذكر فيه: أن النبي ﷺ أمرهم أن يرشُّوا عليها الماء قبل أن يأتيها، أخرجه ابن أبي شيبة ١٤/ ٤١٨، وأحمد (١٤٢١١)، والدارمي (٤٣)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (١١٥)، والحاكم في «معرفة علوم الحديث» ص٩٤، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٤١٥-٤١٦ من طرق عن عبد الواحد بن أيمن، به.

وذكر أيمنُ فيه عن جابر أيضاً قصةَ الطعام الآتية لاحقاً والبركة التي حصلت فيه.

والكَثيب: كُومة من الرمل.

والمِسحاة: المِجرَفة من الحديد.

(٣) سعيد بن مِينا ـ وأَلفُه تُمَدُّ وتُقصَر ـ من ثقات التابعين، روى عن غير واحد من الصحابة، إلا أن خبره هذا عن ابنة بشير بن سعد منقطعٌ، بينهما فيه واسطة مبهمة.

وأخرج هذا الخبر أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٣١)، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٤٢٧، وقوام السنة الأصبهاني في «الدلائل» أيضاً (٢٨٦) من طرق عن ابن إسحاق.

بها، فمَرَرتُ برسول الله ﷺ وأنا أَلتَمِسُ أَبي وخالي، فقال: «تَعالَيْ يا بُنيَّةُ، ما هذا معكِ؟» قالت: قلت: يا رسولَ الله، هذا تمرٌ بَعَثَتني به أُمّي إلى أبي بَشيرِ بن سعدٍ وخالي عبدِ الله بن رَوَاحة يَتَغَدَّيانِه، قال: «هاتِيه».

قالت: فصَبَبتُه في كَفَّي رسولِ الله ﷺ فما مَلأَتهما، ثمّ أمَرَ بثوبٍ فبُسِطَ ثمّ دَحَا بالتّمر عليه فتَبدَّدَ[1] فوقَ الثّوب، ثمّ قال لإنسانٍ عنده: «اصرُخْ في أهلِ الخَندَقِ: أن هَلُمَّ إلى الغَدَاءِ»، فاجتَمَعَ أهلُ الخندقِ عليه فجَعَلوا يأكُلُون منه، وجَعَلَ يزيدُ حتّى صَدَرَ أهلُ الخندقِ عنه وإنّه لَيَسقُطُ من أطرافِ الثّوب.

وحدّثني سعيدُ بن مِينا، عن جابر بن عبد الله قال: عَمِلْنا مع رسول الله ﷺ في الخندق، فكانت عندي شُوَيهةٌ غيرُ جِدِّ سَمينةٍ[2]، قال: فقلت: والله لو صَنَعْناها لرسولِ الله ﷺ، قال: فأمَرتُ امرأتي فطَحَنَت لنا شيئاً من شَعيرٍ، فصَنَعَت لنا منه خُبزاً، وذَبَحتُ تلك الشّاةَ فشَوَيْناها لرسول الله ﷺ، قال: فلمّا أمسَيْنا وأرادَ رسولُ الله ﷺ الانصرافَ عن الخندق - قال: وكنّا نعملُ فيه نهارَنا، فإذا أمسَيْنا رَجَعْنا إلى أهالينا - قال: فقلت: يا رسولَ الله، إنّي قد صَنَعتُ لك شُوَيهةً كانت عندنا، وصَنَعْنا معها شيئاً من خُبزِ هذا الشَّعير، فأُحِبُّ أن تَنصرِفَ معي إلى مَنزِلي؛ وإنّما أُريدُ أن يَنصرِفَ معي رسولُ الله ﷺ وحدَه، قال: فلمّا أن قلتُ له ذلك، قال: «نَعَم».

ثمّ أمَرَ صارخاً فصَرَخَ: أنِ انصَرِفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيتِ جابرِ بن عبدِ الله، قال: قلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قال: فأقبَلَ رسولُ الله ﷺ وأقبَلَ النّاسُ معه، قال: فجَلَسَ وأخرَجْناها إليه، قال: فبَرَّكَ وسَمَّى اللهَ ثمّ أكلَ، وتَوارَدَها الناسُ؛ كلّما

(١) دحا بالتمر، أي: بَسَطَه. فتبدَّد، أي: فتفرّق.

(٢) أي: غير كاملة السِّمَن.

فَرَغَ قومٌ قاموا وجاءَ ناسٌ حتّى صَدَرَ أهلُ الخندقِ عنها[1].

وحُدِّثتُ عن سلمانَ الفارسيِّ أنّه قال: ضربتُ في ناحيةٍ من الخندق فغَلُظَت عليَّ، ورسولُ الله ﷺ قريبٌ منّي، فلمّا رآني أضرِبُ ورأى شِدّةَ المكان عليَّ، نَزَلَ فأخذَ المِعوَلَ من يدي فضَرَبَ به ضربةً لَمَعَت تحت المِعوَلِ بَرْقةٌ، قال: ثمّ ضَرَبَ به ضربةً أُخرى، فلَمَعَت تحته بَرْقةٌ أُخرى، قال: ثمّ ضَرَبَ به الثّالثةَ فلَمَعَت تحته بَرْقةٌ أُخرى، قال: قلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسولَ الله، ما هذا الّذي رأيتُ لَمَعَ تحت المِعوَلِ وأنت تَضرِبُ؟ قال: «أوَقَدْ رأيتَ ذلكَ يا سلمانُ؟» قال: قلت: نَعَم، قال: «أمّا الأُولى فإنَّ الله فَتَحَ عليَّ بها اليمنَ، وأمّا الثّانيةُ فإنَّ الله فَتَحَ عليَّ بها الشّامَ والمَغرِبَ، وأمّا الثّالثةُ فإنَّ الله فَتَحَ عليَّ بها المَشرِقَ»[2].

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١٥٠٢٨) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه البخاري (٣٠٧٠) و(٤١٠٢)، ومسلم (٢٠٣٩)، والحاكم (٤٣٧٠) من طريق حنظلة بن أبي سفيان، عن سعيد بن مينا، به. وصرّح فيه أنهم كانوا ألفاً.

وبنحوه أيضاً أخرجه البخاري (٤١٠١) من طريق عبد الواحد بن أيمن المخزومي، عن أبيه، عن جابر.

(٢) أصل هذا الخبر حسنٌ إن شاء الله، فقد روي من أوجه ضِعاف لكن بمجموعها يمكن أن يحصل لأصل القصة قوّة، وانظر تخريج هذه الطرق مجموعة في «أنيس الساري في تخريج فتح الباري» لنبيل البصارة ٤/ ٢٥١١-٢٥١٤.

وأما طريق ابن إسحاق هذه فضعيفة لإبهام الواسطة فيها بين ابن إسحاق وسلمان الفارسي، لكن أشار البيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٤١٨ بعد أن ذكره عن ابن إسحاق إلى أن معناه منقول في مغازي عروة وموسى بن عقبة.

قلنا: وأحسنُ طرق هذا الخبر ما أخرجه أحمد (١٨٦٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٠٧) =

وحدّثني مَن لا أتّهمُ عن أبي هُرَيرةَ: أنّه كان يقول حين فُتِحَت هذه الأمصارُ في زمان عمرَ وزمان عثمانَ وما بعدَه: افتَتِحوا ما بَدَا لكم، والّذي نفسُ أبي هُرَيرةَ بيده، ما افتَتَحتُم من مدينةٍ ولا تفتحونَها إلى يومِ القيامة، إلّا وقد أَعطى اللهُ محمّداً ﷺ مَفاتِيحَها قبلَ ذلك[1].

قال ابن إسحاق: ولمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من الخندق، أقبلَت قريشٌ حتّى نَزَلَت بمُجتمَعِ الأسيال من رُومَةَ بين الجُرْفِ وزَغَابة[2] في عشرة آلافٍ من أحابيشهم

= من حديث ميمون أبي عبد الله، عن البراء بن عازب قال: أمَرَنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، قال: وعرض لنا صخرةٌ في مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول، قال: فشَكَوها إلى رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ فوضع ثوبه ثم هبط إلى الصخرة، فأخذ المِعوَل فقال: «باسم الله» فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر، وقال: «الله أكبر، أُعطِيتُ مفاتيحَ الشام، والله إني لأُبصر قصورها الحُمْر من مكاني هذا»، ثم قال: «باسم الله» وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر، فقال: «الله أكبر، أُعطِيتُ مفاتيحَ فارس، والله إني لأُبصر المدائن، وأُبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا» ثم قال: «باسم الله» وضرب ضربة أخرى فقلع بقيّة الحجر، فقال: «الله أكبر، أُعطِيتُ مفاتيح اليمن، والله إني لأُبصر أبواب صنعاءَ من مكاني هذا».

وميمون أبو عبد الله ضعيف، ومع ذلك فقد حسّن إسناد حديثه هذا ابنُ حجر في «فتح الباري» ١٢/٢٤٨.

(١) هذا خبر صحيح وإن كان إسناده عند ابن إسحاق ضعيفاً لإبهام الرواة بينه وبين أبي هريرة.

فقد أخرج معناه أحمد (٧٦٣٢)، والبخاري (٦٩٩٨) و(٧٢٧٣)، ومسلم (٥٢٣) (٦) وغيرهم عن أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: «بينما أنا نائمٌ البارحةَ إذ أُتِيتُ بمفاتيح خزائن الأرض حتى وُضِعَت في يدي»، ثم قال أبو هريرة: فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تَنتثِلُونها؛ أي: تستخرجون ما فيها.

(٢) رُومة: بئر معروفة مشهورة، تقع اليوم في حي الأزهري شمال غرب المدينة، وتبعد =

ومن تبعهم من بني كِنانةَ وأهل تِهامةَ، وأقبَلَت غَطَفانُ ومَن تَبِعَهم من أهل نَجدٍ حتّى نزلوا بذَنَبِ نَقَمَى[1] إلى جانب أُحد، وخرج رسولُ الله ﷺ والمسلمون حتّى جَعَلوا ظُهورَهم إلى سَلْع[2]، في ثلاثة آلافٍ من المسلمين، فضَرَبَ هنالك عسكرَه والخندقُ بينه وبين القوم.

قال ابن هشام: واستعمَل على المدينة ابنَ أُمِّ مكتومٍ.

قال ابن إسحاق: وأمَرَ بالذَّراريِّ والنّساءِ فجُعِلوا في الآطامِ[3].

وخرج عدوُّ الله حُيَيُّ بن أخطَبَ النَّضْريّ حتّى أتى كعبَ بن أسَدٍ القُرَظيَّ، صاحبَ عَقْدِ بني قُرَيظة وعهدِهم، وكان قد وادَعَ رسولَ الله ﷺ على قومه وعاقَدَه على ذلك.

فلمّا سمع كعبٌ بحُيَيٍّ بن أخطَبَ أغلَقَ دونَه بابَ حِصْنِه، فاستأذَنَ عليه فأَبى أن يفتحَ له، فناداه حُيَيٌّ: وَيحَك يا كعبُ، افتَحْ لي، قال: وَيحَك يا حُيَيُّ، إنّك امرُؤٌ مشؤومٌ، وإنّي قد عاهَدتُ محمّداً، فلستُ بناقِضٍ ما بيني وبينَه، ولم أرَ منه إلّا وَفاءً وصِدقاً، قال: وَيحَك، افتَحْ لي أُكلِّمْك، قال: ما أنا بفاعلٍ، قال: والله إنْ أغلَقتَ

= عن المسجد النبوي قرابة ٥ كم، وتسمَّى بئر عثمان أيضاً، لأن عثمان بن عفان رضي الله عنه اشتراها وسبَّلها للمسلمين.

والجُرف وزغابة موضعان قريبان من هذه البئر، انظر «معجم المعالم الجغرافية» للبِلادي ص٢٨١.

والأحابيش: حلفاء قريش من قبائل شتّى.

(١) وقُيِّد في بعض النسخ: نَقَميّ. وهو واد يمرّ شمال أحد عن قربٍ، وفيه جبل ثَوْر. قاله البِلاديُّ ص٢٨١.

(٢) سلع: جبل متاخم للمسجد النبوي من جهة الغرب.

(٣) الآطام: الحصون والأبنية المرتفعة، الواحد: أُطُم.

دوني إلّا تخوُّفاً على جَشِيشَتِك[1] أن آكلَ معك منها، فأَحفَظَ الرجلَ[2]، ففتح له، فقال: وَيحَك يا كعبُ، جِئتُك بعِزِّ الدَّهر وببَحرٍ طامٍ[3]، جئتُك بقريشٍ على قادتها وسادتها حتّى أنزَلتُهم بمُجتمَع الأسيال من رُومةَ، وبغَطَفانَ على قادتها وسادتها حتّى أنزَلتُهم بذَنَبِ نَقَمَى إلى جانب أُحدٍ، قد عاهَدُوني وعاقَدُوني على أن لا يَبْرَحوا حتّى نَستأصِلَ محمّداً ومَن معه، قال له كعبٌ: جِئتَني واللهِ بذُلِّ الدَّهرِ وبجَهَامٍ[4] قد هَرَاقَ ماءَه يَرعُدُ ويَبْرُقُ ليس فيه شيءٌ، وَيحَك يا حُيَيُّ فدَعْني وما أنا عليه، فإنّي لم أرَ من محمّدٍ إلّا صِدقاً ووَفاءً.

فلم يَزَلْ حُيَيٌّ بكعبٍ يَفتِلُه في الذِّرْوةِ والغارِبِ[5] حتّى سَمَحَ له على أن أعطاه عهداً من الله ومِيثاقاً: لَئِن رَجَعَت قريشٌ وغَطَفانُ ولم يُصيبوا محمّداً، أن أدخُلَ معك في حِصْنِك حتّى يُصيبَني ما أصابك. فنَقَضَ كعبُ بن أسَدٍ عهدَه وبَرِئَ ممّا كان بينه وبين رسول الله ﷺ.

فلمّا انتَهى إلى رسول الله ﷺ الخبرُ وإلى المسلمين، بَعَثَ رسولُ الله ﷺ سعدَ ابن مُعاذِ بن النُّعمان، وهو يومَئذٍ سيّدُ الأَوس، وسعدَ بن عُبادة بن دُلَيمٍ أحدَ بني ساعدة بن كعب بن الخَزرَج، وهو يومَئذٍ سيّدُ الخَزرَج، ومعهما عبدُ الله بن رَوَاحة

(١) الجشيشة: حنطة تُطحَن طحناً خشناً، وتُطبَخ مع لحم أو تمر، ويقال لها أيضاً: دَشِيشة.

(٢) أي: أغضَبَه.

(٣) بحرٌ طامٍ، أي: مرتفع، يريد كثرة الرجال.

(٤) الجَهَام: السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه.

(٥) الذّروة: أعلى سنام البعير، والغارب: مقدَّم السنام مما يلي الكتفين. وهذا مثل يُضرَب في المراوغة والمخادعة، والأصل فيه ـ كما قال ابن الأثير في «النهاية» (غرب) ـ أنّ الرجل إذا أراد أن يُؤنِّسَ البعير الصَّعب ليَزُمَّه وينقادَ له، جعل يُمِرُّ يده عليه ويمسح غاربَه ويَفتِل وَبَرَه حتى يستأنسَ ويضع فيه الزِّمام.

أخو بني الحارث بن الخَزرَج وخَوّاتُ بن جُبَيرٍ أخو بني عمرو بن عَوفٍ، فقال: «انطَلِقُوا حتّى تَنظُروا، أحَقٌّ ما بَلَغَنا عن هؤُلاءِ القومِ أم لا؟! فإنْ كانَ حَقّاً، فالْحَنُوا لي لَحْناً[1] أعرِفُه ولا تَفُتُّوا في أعضادِ النّاسِ، وإنْ كانوا على الوَفاءِ فيما بينَنا وبينَهم، فاجهَرُوا به للنّاسِ»، فخرجوا حتّى أتَوهُم فوَجَدُوهم على أخبَثِ ما بَلَغَهم عنهم فيما نالُوا من رسول الله ﷺ وقالوا: مَن رسولُ الله؟ لا عهدَ بيننا وبين محمّدٍ ولا عَقْدَ، فشاتَمَهم سعدُ بن مُعاذٍ وشاتَمُوه، وكان رجلاً فيه حِدّةٌ، فقال له سعدُ بن عُبادَةَ: دَعْ عنك مُشاتَمَتَهم، فما بيننا وبينهم أَربَى[2] من المُشاتَمة.

ثمّ أقبَلَ سعدٌ وسعدٌ ومَن معهما إلى رسول الله ﷺ، فسَلَّموا عليه ثمّ قالوا: عَضَلٌ والقارَةُ - أي: كغَدْرِ عَضَلٍ والقارَةِ بأصحاب الرَّجِيع، خُبَيبٍ وأصحابِه - فقال رسول الله ﷺ: «اللهُ أكبرُ، أبشِرُوا يا مَعشَرَ المسلمينَ».

وعَظُمَ عند ذلك البَلاءُ واشتدَّ الخوفُ، وأتاهم عدوُّهم من فوقِهم ومن أسفَلَ منهم حتّى ظَنَّ المؤمنون كلَّ ظَنٍّ، ونَجَمَ النِّفاقُ من بعض المنافقين حتّى قال مُعتِّبُ ابن قُشَيرٍ أخو بني عمرو بن عوفٍ: كان محمّدٌ يَعِدُنا أن نأكلَ كُنوزَ كِسرَى وقَيصَر، وأحدُنا اليومَ لا يأمَنُ على نفسه أن يذهبَ إلى الغائط.

قال ابن هشام: أخبرني مَن أثِقُ به من أهل العلم: أنّ مُعتِّبَ بن قُشَيرٍ لم يكن من

---

(١) اللحن: العدول بالكلام على الوجه المعروف عند الناس إلى وجهٍ لا يعرفه إلا صاحبه، كما أن اللحن الذي هو الخطأ عدولٌ عن الصواب المعروف. قاله السهيليُّ في «الروض الأنف» ٦/ ٣١٢.

وقوله: «لا تفتُّوا في أعضاد الناس» أي: لا تكسروا من قوّتهم وتُوهِنوهم، والعَضُد في الأصل: ما بين الذراع والكتف من اليد.

(٢) أَربى، أي: أعظم. يريد السيف والقتال.

المنافقين، واحتَجَّ بأنّه كان من أهل بدرٍ[1].

قال ابن إسحاق: وحتّى قال أَوسُ بن قَيْظيٍّ أحدُ بني حارثة بن الحارث: يا رسولَ الله، إنَّ بُيوتَنا عَوْرةٌ من العدوِّ، وذلك عن مَلَأٍ من رجال قومِه، فأْذَنْ لنا أن نَخرُجَ فنَرجِعَ إلى دارنا، فإنّها خارجٌ من المدينة.

فأقام رسولُ الله ﷺ وأقام المشركون بِضْعاً وعشرين ليلةً، قريباً من شهرٍ، لم يكن بينهم حربٌ إلا الرِّمِّيّا[2] بالنَّبْلِ والحِصارُ[3].

قال ابن هشام: ويقال: الرِّمِّيَا[4].

فلمّا اشتدَّ على النّاس البلاءُ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ - كما حدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة، ومَن لا أتّهمُ عن محمّدِ بن مُسلِمِ بن عُبيد الله بن شِهابٍ الزُّهْريِّ - إلى عُيَينة ابن حِصْن بن حُذَيفة بن بدرٍ وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرِّيّ، وهما قائدا

---

(١) انظر الكلام على هذه القضية فيما تقدّم ٢/ ١٨٢.

(٢) الرِّمِّيّا: فِعِّيلَى من الرَّمي للمبالغة، أي: ترامٍ شديدٌ.

(٣) هذا الخبر قويٌّ روي من عدّة أوجه مرسلة كما ذكر ابن إسحاق في أول الكلام على هذه الغزوة، وتعدُّد هذه الأوجه ممّا يقوّي الخبر.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١٩/ ٣٠-٣٣ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، عن غير واحد كما سبق.

أما مدّة حصار الأحزاب للمدينة، فعند ابن إسحاق - كما هو هنا - أنها كانت بضعاً وعشرين ليلة، وقريب منه قول موسى بن عقبة في «مغازيه»، حيث نقل عنه البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٤٠١ أنها كانت قريباً من عشرين ليلة، وأما الواقديُّ فذكر في «مغازيه» ٢/ ٤٤٠ أنها كانت خمس عشرة ليلة، وتابعه على ذلك صاحبه ابنُ سعد في «الطبقات» ٢/ ٦٦.

(٤) اختلف تقييد هذه الكلمة في نسخنا الخطية، ولعلَّ الصواب ما أثبتناه، فإنه الوجه الآخر في تقييدها كما في «تاج العروس» للزَّبيديّ ٣٨/ ١٨٥.

غَطَفان، فأعطاهما ثُلُثَ ثِمارِ المدينة على أن يَرجِعا بمَن معهما عنه وعن أصحابه، فجَرَى بينه وبينهما الصُّلحُ حتّى كتبوا الكتابَ ولم تَقَعِ الشَّهادةُ ولا عَزيمةُ الصُّلح إلّا المُراوَضةُ[1] في ذلك، فلمّا أرادَ رسولُ الله ﷺ أن يَفعَلَ، بَعَثَ إلى سعد بن معاذٍ وسعد بن عُبَادة فذَكَرَ ذلك لهما واستَشارَهما فيه، فقالا له: يا رسولَ الله، أمراً تُحِبُّه فنَصْنعَه، أم شيئاً أمَرَك اللهُ به لا بُدَّ لنا من العَمَل به، أم شيئاً تَصنعُه لنا؟ قال: «بل شيءٌ أَصنعُه لكم، واللهِ ما أَصنَعُ ذلك إلَّا لأنَّني رأيتُ العربَ قد رَمَتْكُم عن قَوسٍ واحدةٍ، وكالَبُوكُم[2] مِن كلِّ جانبٍ، فأرَدتُ أن أَكسِرَ عنكم مِن شَوكَتِهم إلى أَمرٍ ما».

فقال له سعدُ بن معاذٍ: يا رسولَ الله، قد كنّا نحنُ وهؤلاءِ القومُ على الشِّركِ بالله وعبادةِ الأوثان، لا نَعبُدُ اللهَ ولا نَعرِفُه، وهم لا يَطمَعُون أن يأكُلوا منها تمرةً إلّا قِرًى[3] أو بَيعاً، أفَحِينَ أكرَمَنا اللهُ بالإسلام وهَدَانا له وأعَزَّنا بك وبه نُعطِيهم أموالَنا! ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نُعطِيهم إلّا السّيفَ حتّى يَحكُمَ الله بيننا وبينهم، قال رسولُ الله ﷺ: «فأنتَ وذاكَ»، فتَناوَلَ سعدُ بن معاذٍ الصَّحيفةَ فمَحَا ما فيها من الكتاب ثمّ قال: ليَجهَدُوا علينا[4].

---

(١) المراوضة: المداراة والمجاذَبة في الحِوَار.

(٢) قوله: «رمتكم عن قوس واحدة» هذا مثلٌ يُضرَب في الاتفاق على أمرٍ ما. وكالَبُوكم، أي: اشتدوا عليكم.

(٣) القِرَى: ما يُصنَع للضيف من الطعام.

(٤) خبر صحيح لغيره، وإسناده هنا ضعيف لإرساله.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٧٢-٥٧٣، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٤٣٠-٤٣١ من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. =

فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون وعدوُّهم مُحاصِروهم ولم يكن بينهم قتالٌ إلّا أنّ فوارسَ من قريشٍ منهم عمرو بن عبد وَدّ بن أبي قيسٍ أخو بني عامر بن لُؤَيّ.

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن عبد بن أبي قيسٍ.

قال ابن إسحاق: وعِكْرمةُ بن أبي جَهلٍ وهُبَيرةُ بن أبي وهبٍ المخزوميّان، وضِرارُ بن الخَطّاب بن مِرْداسٍ أخو بني مُحارِب بن فِهْر، تَلَبَّسوا للقتال ثمّ خرجوا على خيلهم حتّى مَرُّوا بمَنازِلِ بني كِنانةَ، فقالوا: تَهيَّؤُوا يا بني كِنانة للحرب، فستعلمون مَن الفُرسانُ اليوم.

ثمّ أقبَلُوا تُعنِقُ[1] بهم خيلُهم حتّى وَقَفُوا على الخندق، فلمّا رَأَوه قالوا: والله إنَّ هذه لَمَكِيدةٌ ما كانت العربُ تَكِيدُها.

قال ابن هشام: يقال: إنّ سلمانَ أشارَ به على رسول الله ﷺ[2].

وحدّثني بعضُ أهل العلم: أنّ المهاجرين يومَ الخندق قالوا: سلمانُ منّا؛ وقالت الأنصارُ: سلمانُ منّا، فقال رسول الله ﷺ: «سلمانُ منَّا أهلَ البيتِ»[3].

قال ابن إسحاق: ثمّ تَيمَّمُوا مكاناً من الخندق ضيِّقاً، فضربوا خيلَهم فاقتَحَمَت

= ورواه الواقدي بنحوه في «المغازي» ٢/ ٤٧٧-٤٧٨ عن محمد بن عبد الله ابن أخي الزهري، عن عمّه محمد بن مسلم الزهري، عن سعيد بن المسيّب. وهذا مرسل أيضاً، إلا أن مراسيل ابن المسيب أقوى المراسيل إن كان محفوظاً.

ويشهد له حديث أبي هريرة بمعناه عند الطبراني في «الكبير» (٥٤٠٦)، وأبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٣١٣٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٢/ ٤١١-٤١٢. وإسناده حسن.

(١) أي: تُسرع.

(٢) وهذا الذي اتفق عليه أصحابُ المغازي كما أشار إلى ذلك ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٢٣٩.

(٣) ضعيف جدّاً مرفوعاً، وقد تقدم تخريجه والكلام عليه ١/ ٧٧.

منه، فجالَتْ بهم في السَّبَخة[1] بين الخندقِ وسَلْع، وخرج عليٌّ بن أبي طالبٍ في نَفَرٍ معه من المسلمين حتّى أَخذوا عليهم الثُّغْرةَ[2] التي أَقحَموا منها خيلَهم، وأقبلَت الفرسانُ تُعنِقُ نحوَهم.

وكان عمرُو بن عبد وَدٍّ قد قاتَلَ يومَ بدرٍ حتّى أثبتَته الجِراحةُ فلم يَشهَدْ يومَ أُحدٍ، فلمّا كان يومُ الخندق خرج مُعلِماً[3] ليُرَى مكانُه، فلمّا وَقفَ هو وخيلُه قال: مَن يُبارِزُ؟ فبَرَزَ له عليٌّ بن أبي طالبٍ فقال له: يا عمرو، إنّك قد كنت عاهدتَ اللهَ ألّا يَدعُوَك رجلٌ من قريش إلى إحدى خَلَّتَينِ[4] إلّا أخذتَها منه، قال له: أَجَلْ، قال له عليٌّ: فإنّي أدعوك إلى اللهِ وإلى رسولِه، وإلى الإسلام، قال: لا حاجةَ لي بذلك، قال: فإنّي أدعوك إلى النِّزال، فقال له: لِمَ يا ابنَ أخي؟ فوالله ما أُحِبُّ أن أقتُلَك، قال له عليٌّ: ولكنّي والله أُحِبُّ أن أقتُلَك؛ فحَمِيَ عمرو[5] عند ذلك فاقتَحَمَ عن فرسِه فعَقَرَه[6] وضَرَبَ وجهَه، ثمّ أقبَلَ على عليٍّ فتنازَلا وتَجاوَلا، فقتله عليٌّ، وخرجت خيلُهم مُنهزِمةً حتّى اقتَحَمَت من الخندق هاربةً.

وقال عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه في ذلك:

نَصَرَ الحِجارةَ من سَفاهةِ رأيِهِ ... ونَصَرتُ رَبَّ محمّدٍ بصَوابِ[7]

---

(١) السَّبَخة، بتحريك الباء وتسكينها: أرضٌ تربتها فيها ملوحة ونزُّ ماءٍ.

(٢) الثُّغرة: الثَّلم والخلل الذي كان هنالك في الخندق.

(٣) المُعلِم: الذي جعل لنفسه علامةً يعرف بها.

(٤) الخَلّة: الخَصْلة.

(٥) أي: اشتدَّ غضبه.

(٦) اقتحم عن فرسه، أي: رمى بنفسه عنه مسرعاً. وعقره، أي: ضرب قوائمه بالسيف.

(٧) الحجارة هنا: الأنصاب التي كانوا يعبدونها ويذبحون لها.

فصَدَدتُ حين تَركتُه مُتجَدِّلاً ... كالجِذْعِ بين دَكادِكٍ ورَوابي[1]

وعَفَفتُ عن أثوابِه ولَوَ انَّني ... كنتُ المُقطَّرَ بَزَّني أثوابي[2]

لا تَحسَبُنَّ اللهَ خاذِلَ دينِهِ ... ونبيِّهِ يا مَعشَرَ الأحزابِ

قال ابن هشام: وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر يَشُكُّ فيها لعليٍّ.

قال ابن هشام: وألقى عِكْرمةُ بن أبي جهلٍ رُمحَه يومَئذٍ وهو مُنهزِمٌ عن عمرو، فقال حسّانُ بن ثابتٍ في ذلك:

فرَّ وألقَى لنا رُمحَهُ ... لَعلَّكَ عِكْرِمَ لم تَفعلِ

ووَلَّيتَ تَعدُو كعَدْوِ الظَّليـ ... ـمِ ما إنْ تَجُورُ عن المَعدِلِ[3]

ولم تُلْقِ ظَهرَكَ مُستأنِساً ... كأنَّ قَفاكَ قَفا فُرعُلِ[4]

قال ابن هشام: فُرعُلٌ: صغيرُ الضِّباع.

وهذه الأبياتُ في أبياتٍ له[5].

وكان شِعارُ أصحاب رسول الله ﷺ يومَ الخندق وبني قُريظة: حٰمٓ، لا يُنصَرون.

---

(١) متجدِّلاً: لاصقاً بالأرض وهي الجَدَالة. والجِذع: ساق الشجرة وأصلها. والدّكادك: جمع دَكْداك، وهو من الرمل ما التبَد منه بالأرض ولم يرتفع. والرّوابي: جمع رابية، وهي التَّلّة المرتفعة.

(٢) المقطَّر: الذي أُلقي على أَحد قُطْريه، أي: جَنبَيه، والقُطْر: الناحية والجانب. وبَزَّني، أي: سَلَبَني وجرَّدني.

(٣) الظَّليم: ذكر النعام.

(٤) القفا: مؤخَّر العُنق. وأراد بقوله: لم تُلقِ ظهرَك مستأنساً، أي: لم تُدِره عند فرارك لترى حال مَن كان معك من رفقائك.

(٥) انفرد بنسبتها إليه ابنُ هشام.

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبو ليلى عبدُ الله بن سَهْل بن عبد الرَّحمن بن سَهلٍ الأنصاريُّ أخو بني حارثة: أنّ عائشةَ أمَّ المؤمنين كانت في حِصْن بني حارثة يومَ الخندق، وكان من أحرَزِ حصونِ المدينة، قال: وكانت أمُّ سعد بن معاذٍ معها في الحِصْن، فقالت عائشةُ: وذلك قبلَ أن يُضرَبَ علينا الحِجابُ، فمَرَّ سعدٌ وعليه دِرعٌ له مُقلِّصةٌ[1]، قد خرجت منها ذِراعُه كلُّها، وفي يده حَرْبتُه يَرقَدُّ بها[2] ويقول:

لَبِّثْ قليلاً يَشهَدِ الهَيْجا حَمَلْ لا بأسَ بالموتِ إذا حانَ الأجَلْ[3]

فقالت له أمُّه: الحَقْ أيْ بنيّ، فقد والله أخَّرتَ، فقالت عائشةُ: فقلت لها: يا أمَّ سعدٍ، والله لوَدِدتُ أنّ دِرعَ سعدٍ كانت أسبَغَ[4] ممّا هي، قالت: وخِفتُ عليه حيثُ أصاب السَّهمُ منه، فرُمِيَ سعدُ بن معاذٍ بسهمٍ فقَطَعَ منه الأكحَلَ[5].

---

(١) أي: قصيرة قد ارتفعت، يقال: تقلَّص الشيء، إذا ارتفع وانقبض.

(٢) أي: يُسرع بها، والارقداد: الإسراع في السير.

(٣) حَمَلٌ ـ بالحاء، وفي (ت) و(ص) و(م): جمل، بالجيم ـ اسمُ رجل، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٠٣: وهذا الرَّجَز قديم تمثَّل به سعد.

(٤) أسبغ: أكمل وأطول.

(٥) الأكحَل: عرق في الذراع، وهو قسمٌ من الوريد.

وأما الخبر فإسناده صحيح، وهو من رواية أبي ليلى عن عائشة كما يشير إلى ذلك بعض ألفاظ الخبر، وأبو ليلى هذا ثقة من رجال الشيخين، وقد اعتمد البخاريُّ في «تاريخه الكبير» ٥/ ٩٨ أن له سماعاً من عائشة رضي الله عنها.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٧٤-٥٧٥ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

وقد روى نحوه عن عائشة أيضاً محمدُ بن عمرو بن علقمة بن وقّاص الليثي عن أبيه عن جدّه علقمة بن وقّاص عنها، فيما أخرجه أحمد (٢٥٠٩٧)، وابن حبان (٧٠٢٨)، وإسناده محتمل للتحسين.

رَمَاه - كما حدّثني عاصمٌ[1] - حِبّانُ بن قيسٍ ابنُ العَرِقَة[2]، أحدُ بني عامر بن لُؤَيّ، فلمّا أصابه قال: خُذْها منّي وأنا ابنُ العَرِقة، فقال له سعد: عَرَّقَ اللهُ وجهَك في النار، اللهمَّ إن كنتَ أبقَيتَ من حربِ قريشٍ شيئاً، فأَبقِني لها، فإنّه لا قومَ أحبُّ إليّ أن أُجاهدَهم، من قومٍ آذَوْا رسولَك وكذَّبوه وأخرَجُوه، اللهمَّ وإن كنتَ قد وَضَعتَ الحربَ بيننا وبينهم، فاجعَلْه لي شهادةً، ولا تُمِتْني حتّى تُقِرَّ عَيْني من بني قُرَيظة[3].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني مَن لا أتّهمُ عن عبد الله بن كعب بن مالكٍ: أنه كان يقول: ما أصابَ سعداً يومَئذٍ إلّا أبو أُسامة الجُشَميُّ حَليفُ بني مخزومٍ[4].

وقد قال أبو أُسامة في ذلك شعراً لعِكْرمةَ بن أبي جَهلٍ:

أعِكـرِمَ هَـلّا لُمتَنـي إذ تقـولُ لـي ... فِــداكَ بآطــامِ المدينــةِ خالــدُ[5]

---

(١) هو عاصم بن عمر بن قَتَادة الأنصاري، من صغار التابعين، ثقةٌ عالم بالمغازي. وروايته هذه مرسلة، إلا أنه جاء عن عائشة ما يشهد لها. وانظر روايته مختصرة في «مستدرك الحاكم» (٤٩٨٥) والتعليق عليه.

(٢) ويقال: حبان بن أبي قيس، كما في «نسب قريش» لمصعب الزبيري ص٤٣٨، وهو من ولد عبد مناف بن الحارث من أولاد مَعِيص بن عامر بن لؤي، وزوجُ عبد مناف هي قِلابة بنت سُعيد بن سَهْمٍ المسمّاة بالعَرِقة، وسُمّيت كذلك لطِيب ريحها، وهي جدّة خديجةَ أمُّ أمِّها هالة.

(٣) هذا الخبر صحيح، قد روي نحوه في حديث عائشة السابق من طريق علقمة الليثي عنها عند أحمد وابن حبان.

ونحوه أيضاً من حديث عروة بن الزبير عنها عند البخاري (٤١٢٢) ومسلم (١٧٦٩).

(٤) هذا ضعيف من جهة إسناده، وأما متنه فمغايرٌ لما صحَّ عن عائشة كما سبق: أن الذي رمى سعداً هو حِبّان ابنُ العَرِقة.

(٥) الآطام: الحصون والأبنية المرتفعة، الواحد: أُطُم.

أَلَستُ الـذي أَلزمتُ سعداً مُرِشَّةً ... لهـا بـين أثنـاءِ المَرافِـقِ عانـدُ[1]

قَضى نَحْبَه منها سُعَيدٌ فأَعوَلَت ... عليه مع الشُّمْطِ العَذارَى النَّواهدُ[2]

وأنتَ الّذي دافعتُ عنه وقد دَعَا ... عُبَيـدةُ جَمْعـاً مـنهمُ إذ يُكايِـدُ[3]

على حِينِ ما همْ جائرٌ عن طريقِهِ ... وآخَرُ مرعوبٌ عن القَصْدِ قاصدُ[4]

والله أعلمُ أيُّ ذلك كان.

قال ابن هشام: ويقال: الذي رَمَى سعداً خَفَاجةُ بن عاصم بن حِبّان[5].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّادٍ قال: كانت صَفيَّةُ بنتُ عبد المُطَّلِب في فارعٍ، حِصْنِ حسّان بن ثابتٍ، قالت: وكان حسّانُ بن ثابتٍ معنا فيه مع النّساءِ والصِّبيان، قالت صَفيَّةُ: فمَرَّ بنا رجلٌ من يهودَ فجَعَلَ يُطِيفُ بالحِصْن، وقد حارَبَت بنو قُرَيظة وقَطَعَت ما بينَها وبينَ رسول الله ﷺ، وليس ما بيننا وبينهم أحدٌ يَدفَعُ عنّا، ورسولُ الله ﷺ والمسلمون في نُحورِ عدوِّهم لا يستطيعون أن يَنصَرِفوا عنهم إلينا إنْ أتانا آتٍ، قالت: قلت: يا حسّانُ، إنَّ هذا اليهوديَّ كما تَرَى يُطِيفُ بالحِصْن، وإنّي والله ما آمَنُه أن يَدُلَّ على عَوْرَتِنا مَن وراءَنا

---

(١) مُرِشّة: يعني رمية أصابته فأطارت رَشَاشَ الدم منه. والعاند: العرق الذي لا ينقطع منه الدم.

(٢) النَّحْب: الأجل. وأعولت: بكت بصوت مرتفع. والشُّمط: جمع شمطاء، وهي التي خالط شعرَها الشيبُ. والعذارى: الأبكار. والنواهد: جمع ناهدٍ، وهي التي برز نهدُها، والنَّهد: الثَّدي.

(٣) في (ص) و(م) ونسخة على حاشية (ز): يكابد.

(٤) جائر: مائل. والمرعوب: المُفزَع. والقصد: الطريق.

(٥) تفرّد ابن هشام بذكر هذا الرجل، وليس له ذكرٌ في مكان آخر من المغازي والسِّيَر.

من يهودَ، وقد شُغِلَ عنّا رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، فانزِلْ إليه فاقتُلْه، قال: يَغفِرُ اللهُ لك يا ابنةَ عبد المُطَّلِب، والله لقد عَرَفتِ ما أنا بصاحبِ هذا، قالت: فلمّا قال لي ذلك ولم أرَ عنده شيئاً، احتَجَزتُ[1] ثمّ أخذتُ عَمُوداً، ثمّ نزلتُ من الحِصْن إليه فضَرَبتُه بالعَمُود حتّى قتلتُه، قالت: فلمّا فَرَغتُ منه رجعتُ إلى الحِصْن فقلت: يا حسّانُ، انزِلْ إليه فاسلُبْه، فإنّه لم يَمنَعْني من سَلَبِه[2] إلّا أنّه رجلٌ، قال: ما لي بسَلَبِه من حاجةٍ يا ابنةَ عبد المُطَّلِب[3].

قال ابن إسحاق: وأقام رسولُ الله ﷺ وأصحابُه فيما وَصَفَ الله من الخوفِ والشِّدّةِ لتظاهُرِ عدوِّهم عليهم، وإتيانِهم إيّاهم من فوقِهم ومن أسفَلَ منهم[4].

ثمّ إنَّ نُعَيمَ بن مسعود بن عامر بن أُنَيف بن ثَعْلبة بن قُنفُذ بن هِلال بن خَلَاوة[5]

---

(١) أي: شددتُ وَسَطي، يقال: احتَجَزَ فلانٌ بإزاره، إذا شدَّه في وَسَطِه.

(٢) السَّلَب: ما يؤخذ من القتيل من سلاح ومتاع.

(٣) خبر صحيح، رجاله ثقات إلا أنه مرسل، فعبّاد بن عبد الله بن الزبير يرويه عن جدَّة أبيه صفيّة، وهو لم يدركها، وقد رواه غيره أيضاً من آل الزبير مرسلاً، فالخبر صحيح إن شاء الله يرويه ثقاتُ آل بيتٍ واحدٍ عن أنفسهم.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٧٧، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٦/ ٣٠٨، وفي «الدلائل» ٣/ ٤٤٢-٤٤٣ ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٢/ ٤٣١ ـ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وروى هذا الخبرَ أيضاً هشامُ بن عُروة بن الزبير عن أبيه عن جدَّته صفيّة مرسلاً، فإن عروة لم يدرك جدَّته، أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٧٠٤٠)، وإسناده قويٌّ، وانظر تخريجه هناك.

(٤) قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾.

(٥) تقدم ص٢٥٩ الكلام في تقييد هذا الاسم والخلاف فيه.

ابن أشجَعَ بن رَيْثِ بن غَطَفانَ أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، إنّي قد أسلَمتُ، وإنّ قومي لم يَعلَموا بإسلامي، فمُرْني بما شِئتَ، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّما أنتَ فينا رجلٌ واحدٌ، فخَذِّلْ عنَّا[1] إنِ استَطَعتَ، فإنَّ الحَرْبَ خَدْعةٌ»[2].

فخرج نُعَيمُ بن مسعودٍ حتّى أتى بني قُرَيظة، وكان لهم نَدِيماً في الجاهليَّة، فقال: يا بني قُرَيظة، قد عَرَفتُم وُدِّي إيّاكم وخاصّةَ ما بيني وبينكم، قالوا: صَدَقتَ، لستَ عندنا بمُتَّهَمٍ، فقال لهم: إنّ قريشاً وغَطَفانَ ليسوا كأنتم، البلدُ بلدُكم، به أموالُكم

---

(١) خذِّل عنا، أي: ادخل بين القوم حتى يَخذُلَ بعضُهم بعضاً.

(٢) الذي صحَّ من هذا الحديث المرفوع هو قوله ﷺ: «الحرب خدعة»، فقد روي عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ مرفوعاً من غير تقييدٍ بغزوة الخندق أو غيرها، فمنهم أبو هريرة عند أحمد (٨١١٢) والبخاري (٣٠٢٨) و(٣٠٢٩) ومسلم (١٧٤٠)، وجابر بن عبد الله عند أحمد (١٤٣٠٨) والبخاري (٣٠٣٠) ومسلم (١٧٣٩).

وأما بقيّة الحديث مع سياق قصة نعيم بن مسعود في تخذيله الأحزاب عن المدينة، فالغالب أنه عن بعض من ذكرهم ابن إسحاق في أول كلامه على غزوة الخندق، وهي مراسيل كلُّها.

وقد ساق معناها البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٤٠٤-٤٠٥ من مغازي موسى بن عقبة بلا إسناد أيضاً.

وقد أخرج الطبري في مسند علي من كتابه «تهذيب الآثار» ص١٣٠، وأبو عوانة في «صحيحه» (٧٠٠٢)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٣٩٣) من طريق ابنة نعيم بن مسعود الأشجعي، عن أبيها قال: قال لي رسول الله ﷺ يوم الخندق: «خذِّل عنّا، فإن الحرب خدعة». وإسناده واهٍ جداً.

وقوله ﷺ: «الحرب خدعة» قال النوويُّ في «شرح مسلم»: فيها ثلاث لغات مشهوراتٍ اتَّفقوا على أنّ أفصحهنَّ خَدْعةٌ، بفتح الخاء وإسكان الدال، قال ثعلب وغيره: وهي لغة النبي ﷺ، والثانية بضمِّ الخاء وإسكان الدال، والثالثة بضمِّ الخاء وفتح الدال، واتَّفق العلماءُ على جواز خداع الكفّار في الحرب وكيف أمكن الخداعُ إلا أن يكون فيه نقضُ عهدٍ أو أمانٍ، فلا يَحِلُّ.

وأبناؤُكم ونِساؤُكم، لا تَقدِرُون على أن تَحوَّلُوا منه إلى غيره، وإنَّ قريشاً وغَطَفانَ قد جاؤوا لحرب محمّدٍ وأصحابِه، وقد ظاهَرتُموهم عليه، وبلدُهم وأموالُهم ونساؤُهم بغيرِه، فليسوا كأنتم، فإن رَأَوْا نُهْزةً[1] أصابوها، وإن كان غيرَ ذلك لَحِقُوا ببلادِهم وخَلَّوا بينكم وبينَ الرجل ببلدِكم، ولا طاقةَ لكم به إنْ خَلَا بكم، فلا تُقاتِلوا مع القوم حتّى تأخُذوا منهم رُهُناً من أشرافِهم يكونون بأيديكم ثِقةً لكم على أن تقاتلوا معهم محمّداً حتّى تُناجِزوه، فقالوا: لقد أشَرْتَ بالرَّأي.

ثمّ خرج حتّى أَتى قريشاً، فقال لأبي سفيانَ بن حربٍ ومَن معه من رجال قريشٍ: قد عَرَفتُم وُدِّي لكم وفِرَاقي محمّداً، وإنّه قد بَلَغَني أمرٌ قد رأيتُ عليَّ حقّاً أن أُبلِّغَكُموه نُصحاً لكم، فاكتُمُوا عنّي، قالوا: نفعلُ، قال: تعلَّمُوا[2] أنّ مَعشَرَ يهودَ قد نَدِمُوا على ما صَنَعوا فيما بينهم وبين محمّدٍ، وقد أرسَلُوا إليه: إنّا قد نَدِمْنا على ما فعلنا، فهل يُرضِيكَ أن نأخُذَ لك من القَبيلتَينِ من قريشٍ وغَطَفانَ رجالاً من أشرافِهم فنُعطِيَكَهم فتَضرِبَ أعناقَهم، ثمّ نكونَ معك على مَن بَقِيَ منهم حتّى نَستأصِلَهم؟ فأرسَلَ إليهم: نَعَم؛ فإن بَعَثَت إليكم يهودُ يَلتَمِسون منكم رُهُناً من رجالكم، فلا تَدفَعُوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثمّ خرج حتّى أَتى غَطَفانَ فقال: يا مَعشَرَ غَطَفان، إنّكم أَصْلي وعَشِيرتي، وأحَبُّ الناس إليَّ، ولا أُراكم تَتَّهِموني، قالوا: صَدَقتَ، ما أنتَ عندنا بمُتَّهَم، قال: فاكتُمُوا عنّي، قالوا: نفعلُ، ثمّ قال لهم مِثلَ ما قال لقريشٍ، وحَذّرَهم ما حَذَّرَهم.

فلمّا كانت ليلةُ السَّبتِ من شوّالٍ سنةَ خمسٍ، وكان من صُنْع الله لرسوله ﷺ أنّه

(١) النُّهزة: الفُرْصة.

(٢) أي: اعلموا.

أرسَلَ أبو سفيانَ بن حَربٍ ورؤوسُ غَطَفانَ إلى بني قُرَيظةَ عِكْرمةَ بن أبي جهلٍ في نَفَرٍ من قريشٍ وغَطَفان، فقالوا لهم: إنّا لسنا بدارِ مُقامٍ، قد هَلَكَ الخُفُّ والحافرُ، فاغْدُوا للقتال حتّى نُناجِزَ محمّداً[1]، ونَفرُغَ ممّا بيننا وبينه، فأَرسلوا إليهم: إنّ اليومَ يومُ السَّبت، وهو يومٌ لا نَعمَلُ فيه شيئاً، وقد كان أحدَثَ فيه بعضُنا حَدَثاً، فأصابه ما لم يَخْفَ عليكم، ولسنا مع ذلك بالَّذين نقاتلُ معكم محمّداً حتّى تُعطُونا رُهُناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثِقةً لنا، حتّى نُناجِزَ محمّداً، فإنّا نخشى إنْ ضَرَّسَتْكم الحربُ[2] واشتَدَّ عليكم القتالُ، أن تَنشَمِروا[3] إلى بلادِكم وتتركونا، والرَّجلُ في بلادِنا، ولا طاقةَ لنا بذلك منه.

فلمّا رجعت إليهم الرُّسلُ بما قالت بنو قُرَيظة، قالت قريشٌ وغَطَفانُ: والله إنّ الذي حدَّثكم نُعَيم بن مسعودٍ لَحَقٌّ، فأَرسَلوا إلى بني قُرَيظة: إنّا والله لا نَدفَعُ إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتالَ فاخرُجُوا فقاتِلوا، فقالت بنو قُرَيظة حين انتَهَت الرُّسُلُ إليهم بهذا: إنّ الذي ذَكَرَ لكم نُعَيمُ بن مسعودٍ لَحَقٌّ، ما يريد القومُ إلّا أن يُقاتِلوا، فإن رَأَوْا فُرْصةً انتَهَزوها، وإن كان غيرَ ذلك انشَمَروا إلى بلادِهم وخَلَّوْا بينكم وبين الرّجلِ في بلدِكم، فأَرسَلُوا إلى قريشٍ وغَطَفانَ: إنّا والله لا نقاتلُ معكم حتّى تُعْطُونا رُهُناً، فأبَوْا عليهم وخَذَّلَ الله بينهم، وبَعَثَ الله عليهم الرِّيحَ في ليالٍ شاتيةٍ باردةٍ شديدةِ البَرْد، فجَعَلَت تَكفَأُ قُدورَهم[4] وتَطرَحُ آنيتَهم.

---

(١) المناجَزة: المبارَزة والمقاتَلة.

(٢) ضرَّستكم الحربُ: نالت منكم شدّةً، كما يصيب ذو الأضراس بأضراسه.

(٣) أي: أن تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم.

(٤) أي: تُميلها وتَقلِبها.

وقوله: «وتطرح آنيتهم» هكذا وقع في نسخنا الخطية، وعند الخُشنيّ ـ كما في «إملائه» =

فلمّا انتهَى إلى رسول الله ﷺ ما اختَلَفَ من أمرِهم وما فَرَّقَ اللهُ جماعَتَهم، دعا حُذَيفةَ بن اليَمَانِ فبعَثَه إليهم ليَنظُرَ ما فعل القومُ ليلاً.

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيدُ بن زيادٍ، عن محمّد بن كعبٍ القُرَظيِّ قال: قال رجلٌ من أهل الكُوفةِ لحُذَيفة بن اليَمَانِ: يا أبا عبد الله، أرأيتُم رسولَ الله ﷺ وصَحِبتُموه؟ قال: نعم يا ابنَ أخي، قال: فكيفَ كنتُم تَصنَعون؟ قال: والله لقد كنّا نَجهَدُ[1]، قال: فقال: والله لو أدرَكْناه ما تَرَكْناه يمشي على الأرض، ولَحَمَلْناه على أعناقِنا! قال: فقال حُذَيفةُ: يا ابنَ أخي، والله لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ بالخندقِ وصَلَّى رسولُ الله ﷺ هَوِيّاً من اللّيل[2]، ثمّ التَفَتَ إلينا فقال: «مَن رجلٌ يقومُ فيَنظُرَ لنا ما فَعَلَ القومُ ثمَّ يَرجِعُ - يَشرُطُ له رسولُ الله ﷺ الرَّجْعةَ - أَسأَلُ الله تعالى أنْ يكونَ رَفِيقي في الجَنَّةِ؟»، فما قامَ رجلٌ من القومِ من شِدَّة الخوفِ وشِدَّة الجوعِ وشِدَّة البَرْد، فلمّا لم يَقُمْ أحدٌ، دَعَاني رسولُ الله ﷺ، فلم يكن لي بُدٌّ من القيامِ حين دَعَاني، فقال: «يا حُذَيفةُ، اذهَبْ فادخُلْ في القومِ فانظُرْ ماذا يَفعَلُونَ، ولا تُحدِثَنَّ شيئاً حتَّى تَأتِيَنا».

قال: فذهبتُ فدخلتُ في القوم والرّيحُ وجنودُ الله تفعلُ بهم ما تفعلُ لا تُقِرُّ لهم قِدْراً ولا ناراً ولا بناءً، فقام أبو سفيانَ فقال: يا مَعشَرَ قريشٍ، ليَنظُرِ امرُؤٌ مَن جليسُه، قال حُذَيفةُ: فأخذتُ بيد الرَّجل الّذي كان إلى جَنْبي فقلت: مَن أنت؟ قال: فُلانُ ابن فُلانٍ[3].

= ص٣٠٥، وهي كذلك في نسخة على حاشية (م) ـ: أبنيتهم، وفسّرها بالأخبية، يعني الخِيام.

(١) أي: نتعب ونجتهد قدر طاقتنا.

(٢) هَوِيّاً من الليل، بفتح الهاء وضمها، أي: قطعة منه.

(٣) وفي «مغازي الواقدي» ٢/ ٤٨٩ بلا إسناد: أنه سأل مَن على يمينه فإذا هو عمرو بن العاص، ومَن على يساره فإذا هو معاوية بن أبي سفيان.

ثمّ قال أبو سفيان: يا معشرَ قريشٍ، إنّكم والله ما أصبَحتُم بدار مُقامٍ، لقد هَلَكَ الكُرَاعُ والخُفُّ[1]، وأخلَفَتْنا بنو قُرَيظة وبَلَغَنا عنهم الذي نَكرَه، ولَقِينا من شِدَّة الرِّيح ما تَرَون؛ ما تَطمئِنُّ لنا قِدْرٌ، ولا تقومُ لنا نارٌ، ولا يَستمسِكُ لنا بناءٌ، فارتَحِلوا فإنّي مُرتحِلٌ، ثمّ قامَ إلى جَمَلِه وهو معقولٌ[2] فجَلَسَ عليه ثمّ ضَرَبَه فوَثَبَ به على ثلاثٍ، فوالله ما أُطلِقَ عِقالُه إلّا وهو قائمٌ، ولولا عهدُ رسول الله ﷺ إليَّ «أن لا تُحدِثْ شيئاً حتّى تأتيَني» ثمّ شِئتُ، لقتلتُه بسَهْم.

قال حُذَيفةُ: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ وهو قائمٌ يُصلِّي في مِرْطٍ لبعض نسائه مَراجِلَ[3] ـ قال ابن هشام: المَراجِلُ ضربٌ من وَشْي اليَمَن ـ فلمّا رآني أدخَلَني إلى رِجلَيه وطَرَحَ عليَّ طَرَفَ المِرْطِ، ثمّ رَكَعَ وسَجَدَ وإنّي لفيهِ، فلمّا سَلَّمَ أخبرتُه الخبرَ، وسَمِعَت غَطَفانُ بما فَعَلَت قريشٌ، فانشَمَرُوا راجعينَ إلى بلادِهم[4].

---

(١) الكُراع: اسم لجميع الخيل، والخُفُّ: اسم للإبل.

(٢) أي: مربوط، والعِقال: أن يُثنى خفُّ البعير مع ذراعه فيُشدّانِ معاً في وسط الذراع بحبل.

(٣) وفي رواية أحمد عنه كما في أكثر نسخ «مسنده»: مرحَّل؛ يعني عليه نقوش الرِّحال التي توضع على ظهور الإبل، وأما المراجل: فهي جمع مِرجَل، وهو القِدْر. والمِرْط: الكساء.

(٤) حديث صحيح، وهذا إسناد جيّد لولا انقطاعه بين محمد بن كعب وحذيفة، فإنه لم يدركه، لكن روي الحديث من وجوه أخرى يصحُّ بها.

وأخرجه محمد بن نصر المَروَزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢١٥) عن عمرو بن زُرارة، عن زياد البكّائي، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد (٢٣٣٣٤)، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٧٩-٥٨١ و«تفسيره» ١٩/ ٢٦-٢٧ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه مختصراً مسلم (١٧٨٨)، وابن حبان (٧١٢٥) من طريق إبراهيم بن يزيد التيمي، عن أبيه، عن حذيفة. =

قال ابن إسحاق: ولمّا أصبَحَ رسولُ الله ﷺ، انصَرَفَ عن الخندقِ راجعاً إلى المدينة والمسلمون ووَضَعُوا السِّلاحَ[(١)].

غزوةُ بني قُرَيظة

في سنة خمسٍ

فلمّا كانت الظُّهرُ، أَتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ ـ كما حدّثني الزُّهْريّ ـ مُعتجِراً

= وأخرجه الحاكم (٤٣٧١) من طريق موسى بن أبي المختار، عن بلال العبسي، عن حذيفة. وإسناده حسن في المتابعات والشواهد. وانظر تتمة تخريج طرقه هناك.

(١) ذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٤٤٠: أن النبيَّ ﷺ عسكر عند الخندق يوم الثلاثاء لثمانٍ مضت من ذي القَعْدة، وأنه انصرف إلى المدينة يوم الأربعاء لسبعٍ بَقِين من ذي القَعْدة، فكان الحصار خمس عشرة ليلةً، بينما ذكر ابن إسحاق فيما تقدّم ص٢٦٩: أن المشركين أقاموا بِضْعاً وعشرين ليلةً، قريباً من شهر.

فائدة: لشدّة هذا الحصار في بعض أيامه، انشغل المسلمون عن صلواتهم كما وقع في حديث أبي سعيد الخُدْري قال: حُبِسنا يوم الخندق عن الصلوات حتى كان بعد المغرب هَوِيّاً (أي: زماناً طويلاً) وذلك قبل أن ينزل في القتال ما نزل (يعني صلاةَ الخوف) فلما كُفِينا القتالَ، أمر النبيُّ ﷺ بلالاً فأقام الظهر، فصلّاها كما يصلِّيها في وقتها، ثم أقام العصر فصلّاها كما يصلِّيها في وقتها، ثم أقام المغرب فصلّاها كما يصلِّيها في وقتها.

أخرجه أحمد (١١١٩٨)، والنسائي في «المجتبى» (٦٦١)، وابن حبان (٢٨٩٠)، وإسناده صحيح.

وروى عليٌّ قال: لما كان يومُ الأحزاب قال رسول الله ﷺ: «ملأ الله بيوتَهم وقبورَهم ناراً، شَغَلُونا عن الصلاة الوسطى ـ يعني صلاة العصر ـ حتى غابت الشمس». أخرجه أحمد (١١٣٢)، والبخاري (٢٩٣١)، ومسلم (٦٢٧).

وبعد أن انصرف الأحزاب عن المدينة، قال النبيُّ ﷺ: «الآنَ نَغزُوهم ولا يغزونَنا، نحن نَسِيرُ إليهم». أخرجه البخاري (٤١٠٩) و(٤١١٠) من حديث سليمان بن صُرَدٍ الخُزاعي.

بعِمامةٍ من إستَبـرَقٍ[1]، على بغلةٍ عليها رِحَالةٌ، عليها قَطيفةٌ من ديباجٍ[2]، فقال: أوَقد وَضَعتَ السلاحَ يا رسولَ الله؟ قال: «نَعَم» فقال جبـريلُ: فما وَضَعَت الملائكةُ السلاحَ بعدُ، وما رجعتُ الآنَ إلّا من طَلَبِ القوم، إنَّ الله يأمُرُك يا محمّدُ بالسَّيرِ إلى بني قُرَيظة، فإنّي عامدٌ إليهم فمُزَلزِلٌ بهم، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ مؤذِّناً فأذَّنَ في النّاس: «مَن كان سامعاً مُطِيعاً، فلا يُصلِّيَنَّ العَصْرَ إلَّا ببَنِي قُرَيظةَ»[3].

---

(١) الاعتجار: أن يتعمم الرجل بغير ذُؤابة بين كتفيه ودون تلحٍّ، أي: لا يُلقي منها تحت لحيته شيئاً. والإستبرق: نوع من الدِّيباج غليظ.

(٢) الرِّحالة: السَّرج. والقطيفة: كساء غليظ. والدّيباج: ما نُسج من أحسن الحرير.

(٣) أصل الحديث صحيح، ورواية الزهريِّ له هنا مرسلة لم يُسندها ابن إسحاق عنه، ومن طريق ابن إسحاق أخرجها كذلك الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٨١ و«تفسيره» ١٩/ ٧٣ من رواية سلمة بن الفضل عنه.

وقد أسندها الوليدُ بن مسلم عن مرزوق بن أبي الهُذيل الدمشقي عن الزهريِّ عند الطبراني في «الكبير» ١٩/ (١٦٠) عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب، عن عمّه عُبيد الله بن كعب، عن أبيه كعب بن مالك رضي الله عنه. وهذا إسناد رجاله ثقات مشهورون غير مرزوق بن أبي الهذيل، فهو صالح الحديث إن شاء الله، لكن خالفه معمرٌ وشعيبُ بن أبي حمزة كما في «الضعفاء» للعُقيلي ٤/ ٢٣، فروياه عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن عمّه، ولم يذكرا فيه كعباً، قال العقيلي: وهما أَولى من مرزوق؛ يعني أنه مرسلٌ، ورواية شعيب مخرَّجة في «دلائل النبوة» للبيهقي ٤/ ٧-٨.

ومن شواهده حديثُ عائشة عند البخاري (٤١١٧) ومسلم (١٧٦٩) قالت: لمّا رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل فقال: قد وضعتَ السلاحَ؟! والله ما وضعناه، فاخرُجْ إليهم، قال: «فإلى أين؟» قال: هاهنا؛ وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم.

وحديثُ ابن عمر عند البخاري أيضاً (٤١١٩) ومسلم (١٧٧٠) قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلِّيَنَّ أحدٌ العصرَ إلا في بني قريظة»، فأدرك بعضهم العصرَ في الطريق، فقال =

واستَعمَل على المدينة ابنَ أمِّ مكتومٍ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وقَدَّمَ رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ برايتِه إلى بني قُرَيظة، وابتَدَرَها النّاسُ، فسارَ عليُّ بن أبي طالبٍ، حتّى إذا دَنَا من الحصون سمع منها مَقالةً قبيحةً لرسول الله ﷺ، فرَجَعَ حتّى لَقِيَ رسولَ الله ﷺ بالطّريق فقال: يا رسولَ الله، لا عليك أن لا تَدنُوَ من هؤلاءِ الأخابثِ، قال: «لِمَ، أظُنُّكَ سمعتَ منهم لي أَذًى؟!» قال: نعم يا رسولَ الله، قال: «لو رَأَوْني لم يَقُولوا من ذلكَ شيئاً»، فلمّا دَنَا رسولُ الله ﷺ من حُصونِهم قال: «يا إخوانَ القِرَدةِ، هل أَخْزاكُم اللهُ وأَنزَلَ بكم نِقْمَتَه؟!» قالوا: يا أبا القاسم، ما كنتَ جَهُولاً[1].

ومَرَّ رسولُ الله ﷺ بنَفَرٍ من أصحابه بالصَّورَينِ[2] قبل أن يَصِلَ إلى بني قُرَيظة،

= بعضهم: لا نصلِّي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلِّي، لم يُرِدْ منّا ذلك، فذُكِر ذلك للنبي ﷺ، فلم يُعنِّف واحداً منهم. هذا لفظ البخاريِّ، وذكر مسلمٌ وغيرُه فيه الظُّهرَ مكانَ العصر، وانظر تفصيل الكلام عليه في «فتح الباري» لابن حجر ١٢/ ٢٧١-٢٧٤.

(١) الظاهر أن هذا الخبر وما بعده من رواية ابن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار عن معبد بن كعب بن مالك كما سيذكر لاحقاً، ومعبد بن كعب تابعيٌّ ثقة، وحديثه هذا مرسل، ولم نقف عليه مخرَّجاً عند غير ابن إسحاق.

وهو بنحوه بطوله عند موسى بن عقبة في «مغازيه» كما في «الدلائل» للبيهقي ٤/ ١١-١٤ عن ابن شهاب الزهري مرسلاً.

وروى نحوه أيضاً أبو الأسود يتيم عروة عن عروة بن الزبير مرسلاً، فيما ذكره البيهقيُّ.

(٢) تثنية صَوْرٍ: وهو النَّخل المجتمع الصِّغار، موضعٌ بأقصى البقيع ممّا يلي طريق بني قريظة، قال مالك: كنت آتي نافعاً مولى ابن عمر نصف النهار ما يُظِلُّني شيءٌ من الشمس، وكان منزله بالبقيع بالصَّورَين. قاله السمهوديُّ في «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» ٤/ ١٠٧.

وخبر مالك رواه ابن سعد في «الطبقات» ٧/ ٥٧١، وتصحّف البقيع فيه إلى النقيع، بالنون.

فقال: «هل مَرَّ بكم أَحدٌ؟» قالوا: يا رسولَ الله، قد مَرَّ بنا دِحْيةُ بن خَلِيفة الكَلْبيُّ على بغلةٍ بيضاءَ عليها رِحَالةٌ عليها قَطِيفةُ ديباجٍ، فقال رسول الله ﷺ: «ذلكَ جبريلُ بُعِثَ إلى بني قُرَيظةَ يُزَلزِلُ بهم حُصونَهم، ويَقذِفُ الرُّعْبَ في قُلوبِهم».

ولمّا أَتى رسولُ الله ﷺ بني قُرَيظة نَزَلَ على بئرٍ من آبارها من ناحيةِ أموالِهم يقال لها: بئرُ أَنّا. قال ابن هشام: بئرُ أَنَّي[1].

قال ابن إسحاق: وتلاحَقَ به الناسُ، فأَتى رجالٌ من بعد العِشاءِ الآخرةِ ولم يُصلُّوا العصرَ لقول رسول الله ﷺ: «لا يُصلِّيَنَّ أَحدٌ العصرَ إلّا ببني قُرَيظةَ»، فشَغَلَهم ما لم يكن لهم منه بُدٌّ في حربِهم وأبَوْا أن يُصَلُّوا، لقول رسول الله ﷺ: حتّى تأتُوا بني قُرَيظة، فصَلَّوا العصرَ بها بعدَ العِشاءِ الآخرةِ، فما عابَهم اللهُ بذلك في كتابه ولا عَنَّفَهم به رسولُ الله ﷺ[2].

حدَّثني بهذا الحديث أبي إسحاقُ بن يَسارٍ، عن مَعبَد بن كعب بن مالكٍ الأنصاريِّ[3].

---

(١) اختلفت النسخ في تقييد اسم هذه البئر، وفي «وفاء الوفا» ٣/ ١٢٤: بئر أُنَا: بضم الهمزة وتخفيف النون كهُنَا، وقيل: بالفتح وكسر النون المشدَّدة بعدها مثنّاة تحتية، وقيل: بالفتح والتشديد كحَتَّى، وضبطه في «النهاية» بفتح الهمزة وتشديد الباء الموحَّدة كحَتَّى، وذكره في «القاموس» أيضاً.

وذكره الحازميُّ في «الأماكن» ص٣٤ عن ابن إسحاق: بئر أُبَّا، ثم قال: كذا وجدته مضبوطاً مجوَّداً بخطّ أبي الحسن بن الفُرات، وقد سمعت بعض المحصِّلين يقول: إنما هو أُنَا، بضم الهمزة وبالنون الخفيفة.

(٢) قد جاء في حديث ابن عمر عند البخاري (٩٤٦) ومسلم (١٧٧٠) في هذه القصة: أن النبيَّ ﷺ لم يعنِّف واحداً من الفريقين.

(٣) إسحاقُ ومعبدٌ من جملة الثقات، وهما تابعيّان، فالخبرُ مرسلٌ، لكن يشهد لأصله =

وحاصَرَهم رسولُ الله ﷺ خمساً وعشرين ليلةً[1] حتّى جَهَدَهم الحِصارُ، وقَذَفَ الله في قلوبهم الرُّعبَ.

وقد كان حُيَيُّ بن أخطَبَ دخل مع بني قُرَيظة في حِصْنِهم حين رَجَعَت عنهم قريشٌ وغَطَفانُ، وفاءً لكعبِ بن أسَدٍ بما كان عاهَدَه عليه، فلمّا أَيقَنُوا بأنّ رسولَ الله ﷺ غيرُ مُنصرِفٍ عنهم حتّى يُناجِزَهم، قال كعبُ بن أسَدٍ لهم: يا مَعشَرَ يهودَ، قد نَزَلَ بكم من الأمر ما تَرَونَ، وإنّي عارضٌ عليكم خِلالاً ثلاثاً، فخُذُوا أيَّها شئتُم، قالوا: وما هي؟ قال: نُتابِعُ هذا الرّجلَ ونُصدِّقُه، فوالله لقد تَبيَّنَ لكم أنّه لنبيٌّ مُرسَلٌ، وأنّه لَلّذي تَجِدُونَه في كتابكم، فتأمَنُون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نُفارِقُ حُكْمَ التَّوراة أبداً، ولا نَستبدِلُ به غيرَه.

قال: فإذا أَبيتُم عليَّ هذه، فهَلُمَّ فلنَقتُلْ أبناءَنا ونساءَنا، ثمّ نَخرُجْ إلى محمدٍ وأصحابه رِجالاً مُصلِتِينَ بالسّيوف[2] لم نَترُك وراءَنا ثَقَلاً، حتّى يَحكُمَ الله بيننا وبينَه، فإن نَهلِكْ، نَهلِكْ ولم نَترُكْ وراءَنا نَسْلاً نَخشَى عليه، وإن نَظهَرْ، فلَعَمْري

= حديثُ ابن عمر المذكور سابقاً.

(١) وقال الواقديُّ وصاحبه ابنُ سعد: خمس عشرة ليلة، وقال موسى بن عقبة: بضع عشرة.

قلنا: وخبر حصار بني قريظة هذا مع قصة أبي لبابة التالية، ساقه بتمامه الطبري في «تفسيره» ١٩/ ٧٤-٧٨ من رواية سلمة بن الفضل، والبيهقيُّ في «الدلائل» ٤/ ١٥-١٦ من رواية يونس ابن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق بالإسناد السابق؛ عن أبيه إسحاق بن يسار عن معبد بن كعب ابن مالك مرسلاً.

وروى نحو خبر قصة أبي لبابة الآتي أبو سفيان المَعمَريُّ عند الطبري في «تفسيره» ١١/ ١٢١-١٢٢ عن معمرٍ عن الزهري مرسلاً.

قال ابن عبد البر في «التمهيد» ٢٠/ ٨٣: وقصّته مشهورة في السِّيَر محفوظة.

(٢) أي: مجرِّدين للسيوف من أغمادها. والثَّقَل: المتاع والحشم.

لنَتَّخِذنَّ النّساءَ والأبناءَ، قالوا: نَقتُلُ هؤلاءِ المساكينَ، فما خيرُ العيشِ بعدَهم!

قال: فإن أَبيتُم عليَّ هذه، فإنّ اللّيلةَ ليلةُ السَّبتِ، وإنّه عسى أن يكون محمّدٌ وأصحابُه قد آمَنُونا فيها، فانزِلُوا لَعلَّنا نُصيبُ من محمّدٍ وأصحابه غِرّةً[١]، قالوا: نُفسِدُ سَبْتَنا ونُحدِثُ فيه ما لم يُحدِثْ مَن كان قبلَنا إلّا مَن قد عَلِمتَ، فأصابه ما لم يَخْفَ عليك من المَسْخِ[٢]، قال: ما باتَ رجلٌ منكم منذُ وَلَدَته أمُّه ليلةً واحدةً من الدَّهر حازماً.

ثمّ إنَّهم بَعَثوا إلى رسول الله ﷺ: أنِ ابعَثْ إلينا أبا لُبابةَ بن عبد المُنذِر[٣] أخا بني عمرو بن عَوفٍ ـ وكانوا حُلَفاءَ الأَوس ـ نستشيرُه في أمرِنا، فأرسَلَه رسولُ الله ﷺ إليهم، فلمّا رَأَوه قامَ إليه الرِّجالُ، وجَهَشَ إليه[٤] النّساءُ والصِّبيانُ يَبكُون في وجهِه، فرَقَّ لهم، وقالوا له: يا أبا لُبابةَ، أتَرَى أن نَنزِلَ على حُكْم محمّدٍ؟ قال: نعم، وأشارَ بيده إلى حَلْقِه: أنّه الذَّبحُ، قال أبو لُبابةَ: فوالله ما زالت قَدَماي من مكانِهما حتّى عرفتُ أنّي قد خُنْتُ اللهَ ورسولَه ﷺ، ثمّ انطَلَقَ أبو لُبابةَ على وجهِه ولم يأتِ رسولَ الله ﷺ حتّى ارتَبَطَ في المسجد إلى عمودٍ من عَمَدِه وقال: لا أَبرَحُ من مكاني

---

(١) الغِرّة: الغفلة.

(٢) يشيرون إلى أصحاب القرية الذين قصَّ الله عزَّ وجلَّ خبرهم في سورة الأعراف، فقال: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾.

(٣) هو أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة.

(٤) الجَهْش: أن يفزع الإنسانُ إلى الإنسان ويلجأَ إليه، وهو مع ذلك يريد البكاء، كما يفزع الصبيُّ إلى أمّه وأبيه.

هذا حتّى يتوبَ الله عليَّ ممّا صَنَعتُ، وعاهَدَ اللهَ: أن لا أطَأَ بني قُرَيظة أبداً، ولا أُرَى في بلدٍ خُنْتُ اللهَ ورسولَه فيه أبداً.

قال ابن هشام: وأنزَلَ الله في أبي لُبَابةَ فيما قال سفيانُ بن عُيَينة، عن إسماعيل ابن أبي خالدٍ، عن عبد الله بن أبي قَتَادة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٢٧](١).

قال ابن إسحاق: فلمّا بَلَغَ رسولَ الله ﷺ خبرُه، وكان قد استَبطَأَه، قال: «أمَا لو كان جاءَني لاستَغفَرتُ له، فأمَّا إذْ فَعَلَ ما فَعَلَ، فما أنا بالّذي أُطلِقُه من مكانِه حتّى يَتُوبَ اللهُ عليه».

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيدُ بن عبد الله بن قُسَيطٍ: أنّ تَوْبَةَ أبي لُبَابةَ نَزَلَت على رسول الله ﷺ وهو في بيت أمِّ سَلَمة، قالت أمُّ سَلَمة: فسمعتُ رسولَ الله ﷺ من السَّحَر وهو يَضحَك، قالت: فقلت: مِمَّ تَضحَكُ أضحَكَ الله سِنَّك؟ قال: «تِيبَ على أبي لُبَابةَ» قالت: قلت: أفلا أُبشِّرُه يا رسول الله؟ قال: «بَلَى، إنْ شِئتِ». قال: فقامت على باب حُجْرتها ـ وذلك قبلَ أن يُضرَبَ عليهنَّ الحِجابُ ـ فقالت: يا أبا

(١) ورواه عن سفيانَ سعيدُ بن منصور في التفسير من «سننه» (٩٨٧)، وعبدُ الله بن الزبير الحميديُّ عند الطبري في «تفسيره» ١١/ ١٢٢، وكذا ابنُ أبي عمر العَدَني عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٦٨٤، ورجاله ثقات إلا أنه مرسل، فعبد الله بن أبي قتادة الأنصاري من أوساط التابعين.

وهذا هو قول الزهري أيضاً: أنها نزلت في أبي لبابة وقصته مع بني قريظة، فيما رواه عنه أبو سفيان المَعمَري عن معمر عنه، فيما أخرجه الطبري ١١/ ١٢١.

وهو قول قتادة أيضاً فيما أخرجه عنه الطبريُّ ١٩/ ٧٢، وعكرمة فيما ذكره عنه ابنُ عبد البر في «التمهيد» ٢٠/ ٨٥ عن بقيِّ بن مَخلَد بإسناده إلى عكرمة.

لُبابة، أبشِرْ، فقد تابَ اللهُ عليك، قالت: فثارَ النّاسُ إليه ليُطلِقوه، فقال: لا والله، حتّى يكونَ رسولُ الله ﷺ هو الّذي يُطلِقُني بيده، فلمّا مَرَّ عليه خارجاً إلى صلاةِ الصُّبح أطلَقَه(١).

قال ابن هشام: أقام أبو لُبابةَ مُرتبِطاً بالجِذْع ستَّ ليالٍ، تأتيه امرأتُه في كلِّ وقتِ صلاة فتَحُلُّه للصّلاة ثمّ يعودُ فيَرتبِطُ بالجِذْع ـ فيما حدّثني بعضُ أهل العلم ـ والآيةُ التي نَزَلَت في توبتِهِ قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ الآية [التوبة:١٠٢](٢).

قال ابن إسحاق: ثمّ إنَّ ثَعْلبةَ بن سَعْيةَ وأَسِيدَ بن سَعْيةَ وأَسَدَ بن عُبيدٍ، وهم نَفَرٌ من بني هَدَلٍ ليسوا من بني قُرَيظة ولا النَّضِير، نَسَبُهم فوقَ ذلك، هم بنو عمِّ القوم،

---

(١) ضعيف لإرساله، فابن قُسيطٍ من الطبقة الوسطى من التابعين، ولم يُروَ ما يشهد لحديثه.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٨٥، وابن عبد البر في «التمهيد» ٢٠/ ٨٤، والبيهقي في «السنن» ٧/ ٩٢ وفي «الدلائل» ٤/ ١٦-١٧ من طرق عن ابن إسحاق، به.

وقد رواه مسنَداً متصلاً الواقديُّ في «المغازي» ٢/ ٥٠٨-٥٠٩ عن عبد الله بن يزيد بن [عبد الله ابن] قُسيط، عن أبيه، عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان، عن أم سلمة. وهذا إسناد لا بأس برجاله إلا أن الواقدي متكلَّم فيه قد جرحه أهل الحديث.

(٢) نزول هذه الآية كان في حادثة أخرى وهي في غزوة تبوك على ما قال سعيد بن المسيّب، فقد قال البيهقي في «الدلائل» ٤/ ١٦: زَعَم سعيد بن المسيّب أن ارتباط أبي لُبابة بسارية التوبة كان بعد تخلُّفه عن غزوة تبوك، حين أعرض عنه رسولُ الله ﷺ وهو عليه عاتبٌ بما فعل يومَ قُرَيظة، ثمّ تخلّف عن غزوة تبوك فيمن تخلَّف، والله أعلم، وفي رواية علي بن أبي طلحة وعطيّة ابن سعدٍ عن ابن عباس في ارتباطه حين تخلَّف عن غزوة تبوك، ما يؤكِّد قول ابن المسيّب.

ثم خرَّج البيهقيُّ حديث ابن المسيّب ورواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في باب غزوة تبوك ٥/ ٢٧٠ و٢٧٢.

أسلَمُوا تلك اللّيلةَ التي نَزَلَت فيها قُرَيظةُ على حُكْم رسول الله ﷺ[1].

وخرج في تلك اللّيلةِ عمرُو بن سُعدَى القُرَظيُّ، فمَرَّ بحَرَسِ رسول الله ﷺ وعليه محمّدُ بن مَسلَمة تلك الليلةَ، فلمّا رآه قال: مَن هذا؟ قال: أنا عمرُو بن سُعدَى ـ وكان عمرٌو قد أَبَى أن يَدخُلَ مع بني قُرَيظة في غَدرِهم برسول الله ﷺ وقال: لا أَغدِرُ بمحمّدٍ أبداً ـ فقال محمّدُ بن مَسلَمة حين عَرَفَه: اللّهمَّ لا تَحرِمْني عَثَراتِ الكِرَام[2]، ثمّ خَلَّى سبيلَه، فخرج على وجهِه حتّى باتَ في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك اللّيلةَ، ثمّ ذهبَ فلم يُدْرَ أين تَوجَّهَ من الأرض إلى يومِه هذا، فذُكِرَ لرسول الله ﷺ شأنُه، فقال: «ذاكَ رجلٌ نَجَّاهُ الله بوَفَائِه»[3].

وبعضُ النّاس يَزعُم[4]: أنّه كان أُوثِقَ برُمَّةٍ فيمن أُوثِقَ من بني قُرَيظةَ حين نَزَلوا

---

(١) تقدّم ١/ ٢٣٧-٢٣٨ ذكرُ ابن إسحاق سبب إسلام هؤلاء النفر مسنَداً عن عاصم بن عمر ابن قتادة عن شيخ من بني قُريظة. وتقدّم ١/ ٢٢ بيانُ ضبط هدل.

(٢) في (ش١): إقالة عثرات الكرام.

(٣) ضعيف لإعضاله، إذ لم يبيِّن ابن إسحاق إسناده فيه.

وقد أسنده الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٥٠٣-٥٠٤، ومن طريقه ابن سعد في «الطبقات» ٥/ ٣٩٦ عن الضحاك بن عثمان الحِزامي، عن محمد بن يحيى بن حَبّان الأنصاري مرسلاً. وابن حَبّان تابعي ثقة حُجّة، والراوي عنه صدوق، لكن الواقدي متكلَّم فيه كما سبق.

ثم روى الواقديُّ ٢/ ٥٠٤ شيئاً مختصراً من الخبر دون المرفوع عن إبراهيم بن جعفر بن محمود الأنصاري عن أبيه مرسلاً أيضاً.

(٤) ومن هؤلاء الناس موسى بن عقبة في «مغازيه» كما في «الدلائل» للبيهقي ٤/ ٢٠، وفيه: أن النبيَّ قال: «أفلَتَنا بما علم اللهُ في نفسه»، ولم يُسنِده.

وذكر الواقديُّ ٢/ ٥١٧ عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم أيضاً أنه وُجِدَت رُمّته ونجا، ثم قال: خروجه من الحصن أثبت.

على حُكْم رسول الله ﷺ، فأصبَحَت رُمَّتُه[1] مُلْقاةً ولا يُدرَى أين ذهبَ، فقال رسولُ الله ﷺ فيه تلك المَقالةَ، والله أعلمُ أيُّ ذلك كان.

فلمّا أصبَحُوا نَزَلوا على حُكْم رسول الله ﷺ، فتَواثَبَتِ الأوسُ فقالوا: يا رسولَ الله إنَّهم مَوالِينا دون الخَزرَج، وقد فعلتَ في موالي إخوانِنا بالأمسِ ما قد عَلِمتَ.

وقد كان رسولُ الله ﷺ قبلَ بني قُرَيظة قد حاصَرَ بني قَينُقاعَ، وكانوا حُلَفاءَ الخَزرَج، فنَزَلوا على حُكمِه، فسأَلَه إيّاهم عبدُ الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ، فوَهَبَهم له[2].

فلمّا كَلَّمَته الأوسُ، قال رسولُ الله ﷺ: «ألَا تَرضَوْنَ يا مَعشَرَ الأَوسِ أن يَحكُمَ فيهم رجلٌ منكم؟» قالوا: بلى، قال: «فذلِكَ إلى سعدِ بن مُعاذٍ».

وكان رسولُ الله ﷺ قد جَعَلَ سعدَ بن معاذٍ في خَيْمةٍ لامرأة من أسلَمَ يقال لها: رُفَيدةُ، في مسجدِه، كانت تُداوِي الجَرحَى وتحتسِبُ بنفسها على خِدْمة مَن كانت به ضَيْعةٌ من المسلمين، وكان رسولُ الله ﷺ قد قال لقومِه حين أصابَه السَّهمُ بالخندق: «اجعَلُوه في خَيْمةِ رُفَيدةَ حتَّى أَعُودَه من قَريبٍ»[3].

---

(١) الرُّمّة: قطعة من الحبل بالية.

(٢) انظر خبرهم فيما تقدَّم ص١٢.

(٣) جاء التصريح باسم هذه المرأة أيضاً في حديث محمود بن لَبيدٍ ـ وهو صحابيٌّ صغير ـ عند البخاري في «الأدب المفرد» (١١٢٩) قال: لمّا أُصيب أَكحَلُ سعدٍ يوم الخندق فثَقُلَ، حوَّلوه عند امرأة يقال لها: رُفَيدة، وكانت تداوي الجَرحَى، فكان النبي ﷺ إذا مرَّ به يقول: «كيف أمسيتَ؟» وإذا أصبح: «كيف أصبحتَ؟»، فيخبره. وإسناده جيّد.

وفي معنى هذه الفِقرة روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: أُصيب سعدٌ يوم الخندق، رماه رجل من قريشٍ يقال له: حِبّان ابن العَرِقةِ، في الأَكحَل، فضرب عليه رسولُ الله ﷺ خيمةً في المسجد ليعودَه من قريبٍ. أخرجه أحمد (٢٤٢٩٤)، والبخاري (٤٦٣) و(٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩)، وغيرهم.

فلمّا حَكَّمَه رسولُ الله ﷺ في بني قُرَيظة، أتاه قومُه فحَمَلُوه على حمارٍ قد وَطَّؤُوا له بِوِسادةٍ من أَدَمٍ[1]، وكان رجلاً جَسِيماً جميلاً، ثمّ أقبَلُوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو، أحسِنْ في مَوالِيك، فإنَّ رسولَ الله ﷺ إنّما وَلَّاكَ ذلك لتُحسِنَ فيهم، فلمّا أَكثروا عليه قال: لقد أَنَى[2] لسعدٍ أن لا تأخُذَه في الله لَوْمةُ لائم. فرجع بعضُ مَن كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهَل، فنَعَى لهم رجالَ بني قُرَيظة قبلَ أن يَصِلَ إليهم سعدٌ؛ عن كَلِمتِه التي سمع منه.

فلمّا انتَهَى سعدٌ إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسولُ الله ﷺ: «قُومُوا إلى سَيِّدِكُم»، فأمّا المهاجرون من قريشٍ فيقولون: إنّما أراد رسولُ الله ﷺ الأنصارَ، وأمّا الأنصارُ فيقولون: قد عَمَّ بها رسولُ الله ﷺ المسلمين، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرٍو، إنَّ رسولَ الله ﷺ قد وَلَّاك أمرَ مَوالِيكَ لتَحكُمَ فيهم، فقال سعدٌ: عليكم بذلك عهدُ الله ومِيثاقُه: أنّ الحُكمَ فيهم لَمَا حَكَمتُ؟ قالوا: نَعَم، قال: وعلى مَن هاهُنا؟ في النّاحية التي فيها رسولُ الله ﷺ، وهو مُعرِضٌ عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: «نَعَم»، قال سعدٌ: فإنّي أَحكمُ فيهم أن تُقتَلَ الرّجالُ، وتُقسَمَ الأموالُ، وتُسبَى الذَّرَاريُّ والنِّساءُ[3].

(١) الأدَم: الجلد.

(٢) في (ش١): آنَ. وكلاهما بمعنى، أي: حانَ.

(٣) لم يذكر ابن إسحاق إسناده في قصة سعد بن معاذ مع بني قريظة بهذا السياق، ولعلها تكون بإسناده التالي عن علقمة بن وقّاص الليثي مرسلاً، وممّا يؤيّد ذلك أن يزيد بن هارون قد روى بعضاً من هذا السياق ـ فيما أخرجه أحمد (٢٥٠٩٧) وابن حبان (٧٠٢٨) ـ عن محمد بن عمرو بن علقمة بن وقّاص عن أبيه عن جدّه علقمة، إلا أنه أسنده عن عائشة. وإسناده محتمل للتحسين. =

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة، عن عبد الرَّحمن بن عمرو ابن سعد بن معاذٍ، عن عَلقَمة بن وَقّاصٍ اللَّيْثيّ قال: قال رسول الله ﷺ لسعدٍ: «لقد حَكَمتَ فيهم بحُكْمِ اللهِ من فوقِ سَبْعةِ أَرقِعَةٍ»[1].

= وأصل الحديث في قصة بني قريظة وحكم سعدٍ فيهم صحيح عن عائشة من غير هذا الوجه، فقد أخرج أحمد (٢٤٢٩٥)، والبخاري (٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عنها: أن رسول الله ﷺ أتاهم ـ أي بني قريظة ـ فنزلوا على حكمه، فردَّ الحكم إلى سعد، قال: فإني أحكمُ فيهم أن تُقتَل المُقاتِلة، وأن تُسبَى النساء والذُّرّية، وأن تُقسَم أموالهم. زاد فيه أحمد ومسلم: قال هشام: قال أبي: فأُخبرت أن رسول الله ﷺ قال: «لقد حكمتَ فيهم بحكم الله عز وجل».

وأخرج أحمد (١١١٦٨) و(١١٦٨٠)، والبخاري (٣٠٤٣) و(٣٨٠٤) و(٤١٢١)، ومسلم (١٧٦٨) عن أبي سعيد الخُدْري قال: لمّا نزلت بنو قريظة على حكم سعدٍ، بعث رسول الله ﷺ إليه ـ وكان قريباً منه ـ فجاء على حمار، فلمّا دنا قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيّدكم»، فجاء فجلس إلى رسول الله ﷺ، فقال له: «إن هؤلاء نزلوا على حكمك»، قال: فإني أحكم أن تُقتَل المقاتلة، وأن تُسبَى الذُّرّية، قال: «لقد حكمتَ فيهم بحكم الملِك»، أو «بحكم الله».

(١) مرسلٌ رجاله ثقات كما قال ابن حجر في «موافقة الخُبْرِ الخَبَر» ٢/ ٤٣٩، وعلقمة من كبار التابعين.

وأخرجه ابن زنجويه في «الأموال» (٥٣٨)، وإبراهيم الحربي في «غريب الحديث» ٢/ ١٠٣٠، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٨٨ و«تفسيره» ١٩/ ٧٨، والخطيب في «المتفق والمفترق» (٨٩٧) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرج النسائي في «الكبرى» (٥٩٠٦)، والحاكم (٢٦٠٢) من حديث سعد بن أبي وقّاص قصة حُكْم سعد بن معاذ في بني قريظة، وفي آخره قول النبي ﷺ: «حكمتَ فيهم بحكم الله الذي حكم به فوق سبع سماوات». وقد اختُلف في إسناده ولفظه، والمحفوظ فيه أنه من حديث أبي سعيد الخدري كما هو مبيَّن في التعليق على «مستدرك الحاكم» طبعة دار الرسالة، وحديث أبي سعيد هذا في «الصحيحين» وغيرهما كما تقدم في الحاشية السابقة ولفظه: «حكمتَ فيهم =

قال ابن هشام: حدّثني مَن أَثِقُ به من أهل العلم: أنّ عليّ بن أبي طالبٍ صاحَ وهم مُحاصِرو بني قُرَيظةَ: يا كَتِيبةَ الإيمان، وتَقدَّمَ هو والزُّبَيرُ، وقال: والله لَأَذُوقَنَّ ما ذاقَ حمزةُ أو لَأَفتَحَنَّ حِصنَهم، فقالوا: يا محمّدُ، نَنزِلُ على حُكْم سعدٍ[1].

قال ابن إسحاق: ثمّ استُنزِلوا، فحَبَسَهم رسولُ الله ﷺ بالمدينة في دار بنتِ الحَدَثِ[2]، امرأةٍ من بني النَّجّار، ثمّ خرج رسولُ الله ﷺ إلى سوقِ المدينة التي هي سوقُها اليومَ، فخَندَقَ بها خنادِقَ، ثمّ بَعَثَ إليهم فضَرَبَ أعناقَهم في تلك الخنادق، يُخرَجُ بهم إليه أَرسالاً[3]، وفيهم عدوُّ الله حُيَيُّ بن أخطَبَ، وكعبُ بن أَسدٍ رأسُ

= بحُكْم المَلِك»، أو «بحُكْم الله».

الأرقعة: السماوات، الواحدة: رَقِيع، وهو من أسماء السماء، وفي «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس ٢/ ٤٢٩: قال بعضُ أهل العلم: إنما قيل لها: أرقعة، لأن كل واحد كالرُّقعة للأخرى.

(١) هذا خبر ضعيف لإعضاله وإبهام رواته، ولم نقف عليه في غير هذا الموضع، لكن تقدّم ص٢٨٥ عن ابن إسحاق: أن رسول الله ﷺ قدَّم عليَّ بن أبي طالبٍ برايتِه إلى بني قريظة.

(٢) هكذا في (ت) و(ز) و(غ) و(ي)، بالدال، وفي (ش١) و(ص) و(م): الحرث، بالراء، ولعل الناسخ فيها ظنَّ أنه الحارث على الأصل، وليس كذلك، فقد أشار السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٣٣٣ إلى أنه هكذا وقع في «السيرة»؛ يعني بالدال، وكذا كان الواقديُّ يقول ـ كما في «الإصابة» لابن حجر ٧/ ٦٥١ ـ: رَمْلة بنت الحَدَث، بفتح الدال المهملة بغير ألفٍ قبلها، وسمَّاها رَمْلة. قلنا: وقد ذكر النَّسّابةُ الأخباريُّ محمد بن حبيب في كتابه «المحبَّر» ص٤٣٠ رملةَ هذه في المبايعات من نساء الأنصار، وصرَّح هناك بأن الحَدَث هذا هو الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد، وهذا من بني غَنْم بن مالك بن النَّجّار.

وعليه فقد أخطأ السهيليُّ رحمه الله في كتابه فسمَّى هذه المرأة كيِّسة بنت الحارث بن كُريز بن حبيب بن عبد شمس، وجعلها قرشيّةً، بينما ينصُّ ابن إسحاق على أنها امرأة من بني النجّار، فهي أنصاريّة، وهو قول ابن حبيبٍ ومقتضى قول الواقديّ.

(٣) أرسالاً، أي: طائفة بعد طائفة.

القوم، وهم ستُّ مئةٍ أو سبعُ مئةٍ، والمُكثِّرُ لهم يقول: كانوا بين الثّمانِ مئةٍ والتّسعِ مئةٍ، وقد قالوا لكعبِ بن أسَدٍ وهم يُذهَبُ بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعبُ، ما تُرَاهُ يُصنَعُ بنا؟ قال: أَفي كلِّ مَوطِنٍ لا تَعقِلون؟! ألا تَرون الدّاعي لا يَنزِعُ[1]، وأنّه مَن ذُهِبَ به منكم لا يَرجِعُ؟ هو واللهِ القتلُ. فلم يَزَلْ ذلك الدَّأْبَ[2] حتّى فَرَغَ منهم رسولُ الله ﷺ.

وأُتي بحُيَيِّ بن أخطَبَ عدوِّ الله وعليه حُلّةٌ له فُقّاحيَّةٌ[3] - قال ابن هشام: فقّاحيَّةٌ ضربٌ من الوَشْي - قد شَقَّها عليه من كلِّ ناحية قَدْرَ أَنمَلةٍ أَنمَلةٍ[4] لئلّا يُسلَبَها، مجموعةً يداه إلى عُنُقِه بحبل، فلمّا نَظَرَ إلى رسول الله ﷺ قال: أمَا والله ما لُمْتُ نفسي في عداوَتِك، ولكنّه مَن يَخذُلِ اللهُ يُخذَلْ، ثمّ أقبَلَ على الناس فقال: أيّها الناسُ، إنّه لا بأسَ بأمرِ الله، كتابٌ وقَدَرٌ ومَلحَمةٌ كَتَبَها الله على بني إسرائيلَ، ثمّ جَلَسَ فضُرِبَت عُنُقُه.

فقال جَبَلُ بن جَوّالٍ الثَّعلَبيُّ[5]:

---

(١) أي: لا يكفُّ ولا ينتهي، والداعي هنا: المُنادي.

(٢) الدَّأْب: العادة والشأن، وقد تُحرَّك همزته.

(٣) فُقّاحيّة، أي: تضرب إلى الحُمْرة، كلون الورد حين همَّ أن يتفتّح.

(٤) الأَنمَلة: طرف الإصبع.

(٥) على حاشية (ز): ثعلبة بن الفِطيَون. يعني أن جبلاً منسوب إلى هؤلاء، وهم قوم من اليهود من بني إسرائيل، قال السهيليُّ في «الروض» ٤/ ٣٩٧: والفِطيَون كلمة عبرانيّة، وهي عبارة عن كل من وَلِيَ أمرَ اليهود ومَلَكَهم، كما أن النّجاشيَّ عبارة عن كل من مَلَكَ الحبشة، وخاقانَ من مَلَكَ التُّرك.

قلنا: وقد نَسَبَ ابنُ الكلبيّ - فيما ذكر ابن الأثير في «أسد الغابة» ١/ ٣١٨ - جبلَ بن جوّال هذا إلى بني ثعلبة بن سعد بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيث بن غَطَفان، فجعله عربيّاً، وقال: كان يهودياً =

لَعَمرُكَ ما لامَ ابنُ أخطَبَ نفسَهُ ... ولكنَّه مَن يَخذُلِ اللهُ[1] يُخذَلِ

لَجاهَدَ حتّى أبلَغَ النَّفسَ عُذْرَها ... وقَلقَلَ يَبْغي العِزَّ كلَّ مُقَلقَلِ[2]

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُرْوة بن الزُّبَير، عن عائشةَ أمِّ المؤمنين أنّها قالت: لم يُقتَلْ من نِسائهم إلّا امرأةٌ واحدةٌ، قالت: والله إنّها لعندي تَحدَّثُ معي وتَضحَكُ ظَهْراً وبَطْناً[3]، ورسولُ الله ﷺ يَقتُلُ رجالَها في السُّوق، إذ هَتَفَ هاتفٌ باسمِها: أين فُلانةُ؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت لها: وَيلَكِ، ما لكِ؟ قالت: أُقتَلُ، قلت: ولِمَ؟ قالت: لحَدَثٍ أحدَثتُه، قالت: فانطُلِقَ بها فضُرِبَت عُنُقُها؛ فكانت عائشةُ تقول: فوالله ما أَنسَى عَجَباً منها طِيبَ نفسِها وكَثْرةَ ضَحِكِها، وقد عَرَفَت أنّها تُقتَلُ[4].

قال ابن هشام: هي التي طَرَحَت الرَّحَا على خَلّاد بن سُوَيدٍ فقَتَلَته[5].

قال ابن إسحاق: وقد كان ثابتُ بن قيس بن الشَّمّاس ـ كما ذكر ابنُ شِهابٍ الزُّهْريُّ ـ أَتى الزَّبِيرَ بن باطَا القُرَظيَّ، وكان يُكْنى أبا عبد الرَّحمن ـ وكان الزَّبيرُ قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن الشَّمّاس في الجاهليَّة ـ ذكرَ لي بعضُ ولد الزَّبيرِ أنّه كان مَنَّ عليه

= فأسلم، ثم ذكر ابن الأثير عن الدارقطني وابن ماكولا أنهما قالا: له صحبة.

(١) هكذا هو مقيَّد في نسخنا بضمّ الهاء مرفوعاً، وقيّده السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٣٣٧ بفتح الهاء منصوباً، وكلاهما في المعنى صحيح.

(٢) قَلقَل: تحرَّك وسارَ.

(٣) أي: تضحك ضحكاً شديداً.

(٤) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٣٦٤)، وأبو داود (٢٦٧١)، والحاكم (٤٣٨١) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٥) وسمّاها ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٤٩١: بُنانة، قال: وكانت امرأة الحكم القُرظي.

يومَ بُعَاثَ، أخَذَه فجَزَّ ناصيتَه[1] ثمّ خَلَّى سبيلَه - فجاءَه ثابتٌ وهو شيخٌ كبيرٌ فقال: يا أبا عبد الرَّحمن، هل تَعرِفُني؟ قال: وهل يَجهَلُ مِثْلي مِثلَك، قال: إنّي قد أرَدتُ أن أَجزِيَك بيدِك عندي، قال: إنّ الكريمَ يَجْزي الكريم.

ثمّ أَتى ثابتُ بن قيسٍ رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، إنّه كانت للزَّبيرِ عليَّ مِنّةٌ، وقد أحبَبتُ أن أَجزِيَه بها، فهَبْ لي دَمَه، فقال رسول الله ﷺ: «هوَ لكَ»، فأتاه فقال: إنّ رسولَ الله ﷺ قد وَهَبَ لي دمَك، فهو لك، قال: شيخٌ كبيرٌ لا أهلَ له ولا ولدَ، فما يَصنَعُ بالحياة؟ قال: فأَتى ثابتٌ رسولَ الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأُمّي يا رسولَ الله، امرأتَه ووَلَدَه، قال: «هم لكَ»، قال: فأتاه فقال: قد وَهَبَ لي رسولُ الله ﷺ أهلَك ووَلَدَك، فهم لك، قال: أهلُ بيتٍ بالحِجازِ لا مالَ لهم، فما بَقاؤُهم على ذلك؟ فأَتى ثابتٌ رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، مالَه، قال: «هوَ لكَ»، فأتاه ثابتٌ فقال: قد أعطاني رسولُ الله ﷺ مالَك، فهو لك.

قال: أيْ ثابتُ، ما فَعَلَ الّذي كأنَّ وجهَه مِرآةٌ صِينيَّةٌ يَتَراءَى فيها عَذَارَى الحيِّ، كعبُ بن أَسدٍ؟ قال: قُتِلَ، قال: فما فَعَلَ سيِّدُ الحاضر والبادي، حُيَيُّ بن أَخطَبَ؟ قال: قُتِلَ، قال: فما فَعَلَ مُقدَّمَتُنا إذا شَدَدْنا، وحامِيَتُنا إذا فَرَرْنا، عَزّالُ بن سِمْوالَ؟ قال: قُتِلَ، قال: فما فَعَلَ المَجلِسانِ؟ يعني بني كعب بن قُرَيظة وبني عمرو بن قُرَيظة، قال: ذَهَبوا قُتِلوا، قال: فإنّي أسألُك يا ثابتُ بيدي عندك إلّا ألْحَقْتَني بالقوم، فوالله ما في العيشِ بعدَ هؤلاءِ من خيرٍ، فما أنا بصابرٍ لله فَتْلةَ دَلْوِ ناضحٍ[2] حتّى أَلقَى الأَحبّةَ.

---

(١) أي: قطعها، والناصية: شعر مقدَّم الرأس.

(٢) قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٠٧: الناضح الجمل الذي يُستخرَج عليه الماء من البئر بالسّانيَة (وهي الدَّلو الكبيرة)، وأراد بقوله له: فتلة دلو ناضح، مقدار ما يأخذ الرجل الدلوَ إذا أُخرجت فيصبّها في الحوض، ثم يَفتِلها، أي: يردّها إلى موضعها. =

فقَدَّمَه ثابتٌ فضَرَبَ عُنُقَه[1].

فلمّا بَلَغَ أبا بكرٍ الصِّدّيقَ رضي الله عنه قولُه: أَلقَى الأحبّة، قال: يَلْقاهم واللهِ في نار جهنَّم خالداً فيها مُخلَّداً.

قال ابن هشام: قَبْلَةَ دَلْوِ ناضحٍ، وقال زهيرُ بن أبي سُلْمى في قَبْلَةَ:

وقابـلٌ يَتَغنَّـى كلَّمـا قَـدَرَت   على العَرَاقـي يـداهُ قائمـاً دَفَقَـا[2]

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له.

قال ابن هشام: وتفسيرُ بيت زهيرٍ يعني: قابلٌ: الّذي يتلقَّى الدَّلوَ إذا خرج من

= ومن رواه: قَبْلَةَ، بالقاف والباء (أي: كما سيأتي لابن هشام) فهو بمقدار ما يَقبَل الرجلُ الدلوَ فيصبّها في الحوض ثم يَصرِفها، وهذا كلّه لا يكون إلا عن استعجال وسرعة.

(١) خبر صحيح إن شاء الله، مشهور عند أصحاب المغازي، قد رواه غيرُ الزهري بنحو ما رواه.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٨٩-٥٩٠، والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٢٣-٢٤ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، عن الزهري.

وروى بعضه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٤/ ٤٤ من طريق محمد بن عائذ في «مغازيه» بإسناده عن الزهري عن محمد بن قيس بن مَخرَمة بن المُطَّلِب مرسلاً. ومحمد بن قيس هذا يقال: له رؤية.

وروى الخبـرَ أيضاً بنحو ما رواه الزهري: محمد بن يحيى بن حَبّان وداود بن الحُصين عند الواقدي في «المغازي» ٢/ ٥١٨-٥٢٠.

ورواه أيضاً ابن لهيعة عند البيهقي في «السنن» ٩/ ٦٦ في مغازي عروة بن الزبير عن أبي الأسود يتيم عروة عنه.

قلنا: فباجتماع هؤلاء على رواية هذا الخبر يَثبُت مثله إن شاء الله وإن كانت كلها مراسيل.

(٢) القابل: الذي يَقبَل الدلوَ ويأخذها. ودَفَقَ الماءَ: صَبَّه. والعَرَاقي: جمع عَرقُوَة، وهو العود الذي يكون في فم الدلو. وانظر «ديوان زهير» ص٧٢.

البئر، والناضحُ: البعير الذي يُستَقى الماء [عليه] لسقي النَّخل[1].

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ الله ﷺ قد أمَرَ بقتل كلِّ مَن أَنبَتَ[2] منهم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني شُعْبةُ بن الحَجّاج، عن عبد الملك بن عُمَير، عن عَطيَّةَ القُرَظيِّ قال: كان رسولُ الله ﷺ قد أمَرَ أن يُقتَلَ من بني قُرَيظةَ كلُّ مَن أَنبَتَ، وكنتُ غُلاماً، فوَجَدُوني لم أُنبِتْ فخَلَّوْا سَبِيلي[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أيّوبُ بن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن أبي صَعصَعة، أخو بني عَدِيّ بن النَّجّار: أنّ سَلْمَى بنتَ قيسٍ أمَّ المُنذِر، أختَ سَلِيطِ بن قيسٍ - وكانت إحدى خالاتِ رسول الله ﷺ، قد صَلَّتْ معه القِبلتَينِ وبايَعَته بيعةَ النّساءِ - سألَتْه رِفاعةَ بن سِمْوالَ القُرَظيِّ، وكان رجلاً قد بَلَغَ، فلَاذَ بها[4]، وكان يَعرِفُهم قبلَ ذلك، فقالت: يا نبيَّ الله بأبي أنتَ وأُمّي، هَبْ لي رِفاعةَ، فإنّه زَعَمَ أنّه سيُصلّي ويأكُلُ لحمَ الجَمَل، قال: فوَهَبَه لها، فاستَحيَتْه[5].

---

(١) تفسير ابن هشام هذا من (ت)، وليس في بقيّة النسخ.

(٢) أي: كل من نبت الشعرُ على عانته، وهو علامة على البلوغ.

(٣) إسناده صحيح.

وأخرجه النسائي في «المجتبى» (٤٩٨١) وفي «الكبرى» (٧٤٣٢)، والحاكم (٢٦٠٠) من طرق عن شعبة، بهذا الإسناد.

وأخرجه أيضاً أحمد (١٨٧٧٦) و(١٩٤٢١) و(١٩٤٢٢) و(٢٢٦٥٩)، وأبو داود (٤٤٠٤) و(٤٤٠٥)، وابن ماجه (٢٥٤١)، والترمذي (١٥٨٤)، والنسائي في «المجتبى» (٣٤٣٠) وفي «الكبرى» (٥٥٩٤) و(٨٥٦٦) و(٨٥٦٧)، وابن حبان (٤٧٨٠-٤٧٨٣) و(٤٧٨٨)، والحاكم (٤٣٨٠) و(٨٣٧٢) من طرق عن عبد الملك بن عمير، به.

(٤) أي: احتمى بها ولجأ إليها.

(٥) إسناده ضعيف لإرساله، وأيوب صدوق من أتباع التابعين، وقد ذكر هذا الخبر الواقديُّ =

قال ابن إسحاق: ثمّ إنَّ رسولَ الله ﷺ قَسَمَ أموالَ بني قُرَيظة ونساءَهم وأبناءَهم على المسلمين، وأعلَمَ في ذلك اليوم سُهمانَ الخيل وسُهمانَ الرِّجال وأخرَجَ منها الخُمُسَ، فكان للفارس ثلاثةُ أسهمٍ؛ للفَرَس سَهْمانِ ولفارسه سهمٌ، وللرَّاجلِ مَن ليس له فرسٌ سهمٌ، وكانت الخيلُ[1] يومَ بني قُرَيظة ستّةً وثلاثين فرساً، وكان أوّلَ فَيْءٍ وَقَعَت فيه السُّهمانُ، وأُخرِجَ منها الخُمُسُ، فعلى سُنَّتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وَقَعَت المَقاسِمُ ومَضَت السُّنّةُ في المغازي.

ثمّ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ سعدَ بن زيدٍ الأنصاريَّ أخا بني عبد الأشهَل بسَبَايا من سَبَايا بني قُرَيظة إلى نَجدٍ، فابتاعَ لهم بهم خيلاً وسلاحاً.

وكان رسولُ الله ﷺ قد اصطَفَى لنفسه من نسائهم رَيْحانةَ بنتَ عمرو بن خُنَافة إحدى نساءِ بني عمرو بن قُرَيظة[2]، فكانت عند رسول الله ﷺ حتّى تُوفِّي عنها وهي في مِلْكِه، وقد كان رسولُ الله ﷺ عَرَضَ عليها أن يتزوَّجَها ويَضرِبَ عليها الحِجابَ، فقالت: يا رسولَ الله، بل تَترُكُني في مِلْكِك، فهو أَخَفُّ عليَّ وعليك، فتَرَكَها.

وقد كانت حين سَبَاها قد تَعَصَّت بالإسلام وأبَتْ إلّا اليهوديّةَ، فعَزَلها رسولُ الله ﷺ ووَجَدَ في نفسه لذلك من أمرِها، فبَيْنا هو مع أصحابه إذ سمع وَقْعَ نَعلَينِ خلفَه فقال: «إنَّ هذا لَثَعْلبةُ بن سَعْيةَ يُبشِّرُني بإسلامِ رَيْحانةَ»، فجاءَه فقال: يا رسولَ الله،

= في «مغازيه» ٢/ ٥١٤-٥١٥ بلا إسناد.

(١) يعني الخيل التي كانت مع المسلمين.

(٢) وذكر الواقدي في «المغازي» ٢/ ٥٢٠: أنها كانت من بني النَّضير متزوجةً في بني قريظة. وماتت ريحانة قبل وفاة النبي ﷺ، قيل: عند مرجعه من حجة الوداع، ودُفنت بالبقيع. انظر «الإصابة» لابن حجر ٧/ ٦٥٩.

قد أسلَمَت رَيْحانةُ، فسَرَّه ذلك من أمرِها[1].

وأنزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ في أمرِ الخندق وأمرِ بني قُرَيظة من القرآن القِصّةَ في سورة الأحزاب، يذكرُ فيها ما نَزَلَ من البلاءِ ونِعْمتَه عليهم وكِفايتَه إيّاهم حين فرَّج ذلك عنهم بعدَ مَقالةِ مَن قال من أهل النِّفاق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾، والجنودُ: قريشٌ وغَطَفانُ وبنو قُرَيظة، وكانت الجنودُ التي أرسَلَ الله عليهم مع الرِّيحِ الملائكةَ، يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾، فالّذين جاؤوهم من فوقِهم بنو قُرَيظة، والّذين جاؤوهم من أسفَلَ منهم قريشٌ وغَطَفانُ.

يقول الله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ لقول مُعتِّبِ بن قُشَيرٍ إذ يقول ما قال ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ لقول أَوس بن قَيْظيٍّ ومَن كان على رأيِه من قومه.

﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ﴾ أي: المدينة.

قال ابن هشام: الأقطارُ: الجوانبُ، وواحدُها: قُطْرٌ، وهي الأقتارُ، وواحدُها: قُتْرٌ، قال الفَرَزدَقُ:

---

(١) خبر ضعيف، لم يسنده ابن إسحاق.

وقد أسنده ابن سعد في «الطبقات» ١٠/ ١٢٧ عن محمد ابن عمر الواقدي، حدثني عمر بن سلمة، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم مرسلاً. وإسناده ضعيف جداً، عمر بن سلمة لم نعرفه، والواقديُّ فيه مقال عند أهل الحديث.

كم من غِنًى فَتَحَ الإلٰهُ لهم بهِ   والخيلُ مُقعِيَةٌ على الأقطارِ[1]

ويُروَى: على الأقتارِ[2]. وهذا البيت في قصيدةٍ له.

﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ أي: الرُّجوعَ إلى الشِّرك ﴿لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥)﴾، فهم بنو حارثةَ، وهم الّذين هَمُّوا أن يَفشَلوا يومَ أُحدٍ مع بني سَلِمةَ حين هَمَّتا بالفَشَل يومَ أُحد، ثمّ عاهَدُوا اللهَ أن لا يَعُودوا لمثلِها، فذكر لهم اللهُ الّذي أعطَوْا من أنفُسِهم[3].

ثمّ قال: ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ أي: أهلَ النِّفاق[4] ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨)﴾ أي: إلّا دَفْعاً وتعذيراً[5].

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أي: للضِّغْن[6] الّذي في أنفسهم ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ﴾ أي: إعظاماً له وفَرَقاً منه ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب:١٩] في القول بما لا تُحِبُّون، لأنّهم لا يَرجُون

---

(١) مُقعِيَة، أي: ساقطة على أجنابها جالسة على مؤخراتها، كما تُقعي الكلاب على أذنابها وأفخاذها، يَصِفُهم بأنهم أصحاب هِمَم والناس متثاقلون متخاذلون.

(٢) وهي رواية «الديوان» ص٢٦٥. والقصيدة في مدح بني المُهلَّب بن أبي صُفْرة الأزديّ.

(٣) أسند ذلك ابنُ إسحاق إلى يزيد بن رُومان أحد ثقات التابعين، فيما رواه عنه سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تفسيره» ١٩/ ٤٦-٤٧.

وقد تقدّم ذكر خبر هاتين الطائفتين في غزوة أُحد ص١٠٩-١١٠.

(٤) والمعوِّق: هو الذي يُمسِك صاحبه عن وجهه الذي يريد.

(٥) التعذير: أن يفعل الرجلُ الشيءَ بغير نيّة، وإنما يريد أن يقيم به العذرَ عند من يراه.

(٦) الضِّغن: الحقد والعداوة.

آخرةً ولا تَحمِلُهم حِسْبةٌ[1]، فهم يَهابُون الموتَ هَيْبةَ مَن لا يرجو ما بعدَه.

قال ابن هشام: ﴿سَلَقُوكُم﴾: بالَغُوا فيكم بالكلام فأحرَقُوكم وآذَوْكم، تقول العرب: خطيبٌ سَلّاقٌ، وخطيبٌ مِسلَقٌ، قال أَعشى بني قيس بن ثَعْلبة:

فيهمُ المجدُ والسَّماحةُ والنَّجْـ ـدةُ منهم والخاطبُ السَّلّاقُ[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

[قال ابن إسحاق]: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾ قريشٌ وغَطَفانُ ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾.

ثمّ أقبَلَ على المؤمنين فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١] أي: لئلّا يَرغَبوا بأنفُسِهم عن نفسِه ولا عن مكانٍ هو به.

ثمّ ذَكَرَ المؤمنين وصِدقَهم وتصديقَهم بما وَعَدَهم الله من البلاءِ يَختبِرُهم به فقال: ﴿قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ أي: صبراً على البلاءِ وتسليماً للقضاءِ وتصديقاً للحَقِّ لِمَا كان اللهُ وَعَدَهم ورسولُه.

ثمّ قال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ أي: فَرَغَ من عملِه ورَجَعَ إلى ربِّه، كمَن استُشهِدَ يومَ بدرٍ ويومَ أُحد.

---

(١) الحِسبة: طلب الأجر والثواب.

(٢) ورواية «الديوان» ٢/ ٦١:

فيهم الخِصْب والسماحة والنَّجـ ـدةُ فيهم والخاطبُ المِصْلاقُ

والصَّلْق: الصوت الشديد، والسَّلق بالسين لغة فيه. ويقال للخطيب البليغ: مِسلَق ومِسْلاق وسَلّاق، لشدّة صوته وكلامه.

قال ابن هشام: ﴿قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾: مات، والنَّحْبُ: النَّفْس، فيما أخبرني أبو عُبيدة[1]، وجمعُه: نُحُوبٌ، قال ذو الرُّمَّة[2]:

عَشــيَّةَ فَــرَّ الحــارثيُّونَ بعــدَما   قَضَى نَحْبَه في مُلتَقى الخيلِ هَوبَرُ

وهذا البيت في قصيدةٍ له، وهَوبَرٌ من بني الحارث بن كعبٍ، أراد يزيدَ بن هَوبَرٍ[3].

والنَّحْبُ أيضاً: النَّذْر، قال جَريرٌ:

بطِخْفَـةَ جالَـدْنا الملـوكَ وخيلُنـا   عَشـيَّةَ بِسْـطامٍ جَـرَينَ علـى نَحْـبِ[4]

يقول: على نَذْرٍ كانت نَذَرَت أن تقتلَه فقتَلَته. وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وبِسطامٌ: بِسطامُ بن قيس بن مسعودٍ الشَّيباني، وهو ابنُ ذي الجَدَّينِ، حدّثني أبو عُبيدة: أنه كان فارسَ ربيعة بن نِزَار[5]. وطِخْفةُ: موضعٌ[6].

---

(١) وهو معمر بن المثنّى، وانظر «مجاز القرآن» له ٢/ ١٣٥-١٣٦.

(٢) انظر «ديوانه» ٢/ ٦٤٧.

(٣) وبنو الحارث هؤلاء من مَذحِج، وهم من قحطانية اليمن، وبلادهم نَجْران، وكان يزيد بن هوبر من أشراف اليمن الذين قُتلوا يوم الكُلاب، وهو يومٌ بينهم وبين بني تميم بنجدٍ. وانظر «شرح نقائض جرير والفرزدق» لأبي عبيدة معمر بن المثنَّى ١/ ٣٢١، و«الأغاني» للأصفهاني ٢٢/ ٢٢٠.

(٤) يعني العشيّةَ التي قُتل فيها بسطام بن قيس. وانظر «ديوانه» ص٥٤.

(٥) وهو من سادات بكر بن وائل من ربيعة بن نزار، وقُتل يوم نَقَا الحَسَن، وهو يوم بينهم وبين بني سعد بن ضَبّة من مُضَر بن نزار، وكان ذلك بعد البعثة النبويّة. وانظر حديث هذا اليوم في «شرح النقائض» ١/ ٣٦٢ وما بعدها.

ثم إن عاصم بن خليفة هذا قد أسلم، لكنه لم يرَ النبيَّ ﷺ، فلذا عُدَّ من المُخضرَمين، وذكره ابن حجر في القسم الثالث من حرف العين في «الإصابة» ٥/ ٧٤.

(٦) ويقع في عالية نجدٍ قريباً من مدينة ضريّة في الشمال الشرقي منها على قرابة ٢٨ كم.

والنَّحْبُ أيضاً: الخِطَارُ، وهو الرِّهان، قال الفَرَزدَقُ:

وإذْ نَحَّبَت كلبٌ على النـاسِ أيُّنـا على النَّحْبِ أَعطى للجَزيلِ وأَفضلُ[1]

والنَّحْبُ أيضاً: البُكاء، وقولُهم: يَنتحِبُ، منه.

والنَّحْبُ أيضاً: الحاجةُ والهِمّةُ، تقول: ما لي عندهم نَحْبٌ، قال مالك بن نُوَيرةَ اليَربُوعيّ:

ومـا لـيَ نَحْـبٌ عنـدَهمْ غيـرَ أنّنـي تَلَمَّستُ ما تَبْغي من الشُّدُنِ الشُّجْرِ[2]

وقال نَهارُ بن تَوسِعةَ أحدُ بني تَيْمِ اللّاتِ بن ثَعْلبة بن عُكَابة بن صعب بن عليّ ابن بكر بن وائل ـ قال ابن هشام: هؤلاءِ موالي بني حَنيفة ـ:

ونَجّى يوسُـفَ الثّقَفـيَّ رَكْـضٌ دِرَاكٌ بعـــدَما وَقَـــعَ اللّـــواءُ[3]

---

(١) انفرد ابن هشام برواية هذا البيت على هذا النحو، وأنشده شيخه أبو عُبيدة في «مجاز القرآن» ٢/ ١٣٦، وكذا هو عند غيره ممّن استشهد به، وكذلك هو في رواية «الديوان» ص٥٢٩:

وإذ نحَّبَت كلبٌ على الناس أيُّهم أحـقُّ بتـاج المـاجـدِ المتـكـرِّمِ

وكلبٌ: المراد بنو كلبٍ، وكان من حديثهم: أنه اجتمع ثلاثة نفرٍ منهم فاختاروا نفراً من سادات العرب: غالباً والد الفرزدق، وطلبة بن قيس بن عاصم، وعُمير بن السَّليل، وتراهنوا أيهم أجود، فجعلوا لا يأتون رجلاً منهم فيسألونه إلا سألهم عن نسبهم فينصرفون عنه، حتى أَتوا غالباً فأعطاهم ولم يسألهم، ولم يقبلوا منه شيئاً، فكان أجودَهم. وانظر «المحبَّر» لمحمد ابن حبيب ص١٤٢، و«أنساب الأشراف» للبلاذُريّ ١٢/ ٦٣-٦٤.

(٢) الشُّدُن: الإبل منسوبة إلى شَدَن، وهو موضع باليمن، والشُّجْر: التي في أعينها حُمْرة. ولم نقف على هذا البيت عند غير ابن هشام.

(٣) الرَّكض: الجري. ودراكٌ، أي: متتابع. وانظر «المعارف» لابن قتيبة ص٣٩٥-٣٩٦، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٢٩٢.

ونهار بن توسعة هذا هو قائل البيت السائر: =

وَلَـو أدرَكْنَـه لَقَضَـينَ نَحْبـاً ... بـه ولكـلِّ مُخطَـأَةٍ وِقـاءُ

والنَّحْبُ أيضاً: السَّيرُ الخفيفُ المَرُّ.

قال ابن إسحاق[1]: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ ما وَعَدَ اللهُ به من نُصْرةٍ، والشّهادةَ على ما مضى عليه أصحابُه، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ أي: ما شَكُّوا وما تَردَّدوا في دينهم وما استبدَلُوا به غيرَه ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ﴾ أي: قريشاً وغَطَفانَ ﴿لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي: بني قُرَيظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾، والصَّياصِي: الحُصونُ والآطام التي كانوا فيها.

قال ابن هشام: قال سُحَيمٌ عبدُ بني الحَسْحاس، وبنو الحَسْحاسِ من بني أَسَد ابن خُزَيمة:

وأصبَحَتِ الثِّيرانُ صَرْعى وأصبَحَت

نسـاءُ تَمـيمٍ يبتَـدِرنَ الصَّياصِـيا[2]

= أبي الإسلامُ لا أبَ لي سواهُ ... إذا افتخـروا بقيسٍ أو تميـمِ

انظر «الكتاب» لسيبويه ٢/ ٢٨٢، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة ١/ ٥٣٧، و«الكامل في اللغة والأدب» للمبرد ٣/ ١٣٣.

(١) قوله: قال ابن إسحاق، من نسخة على حاشية (ش١).

(٢) انظر «ديوان سحيم» ص٣٣.

وقد تعقَّب الشيخ أبو بحر الأسديّ ـ كما في «الروض الأنف» ٦/ ٣٣٩ ـ ابنَ هشامٍ فقال: الصَّياصي: قرون الثيران المذكورة في البيت، لا ما توهَّم ابن هشام أنها الحصون والآطام؛ يقول: لمّا أَهلك هذا السيل الثِّيران وغرَّقها، أصبحت نساءُ تمم يبتدرن أخذَ قرونها، ليَنسِجنَ بها =

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

والصَّياصِي أيضاً: القُرون، قال النابغةُ الجَعْديّ:

وسـادَةِ رَهْطـي حتّـى بَقِيـتُ فـرداً كصِيصِـيَةِ الأعضَـبِ[1]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقال أبو دُؤَادٍ الإياديّ[2]:

فـذَعَرْنا سُـحْمَ الصَّياصِـي بأيدِيـ ـهِـنَّ نَضْـحٌ مـن الكُحَيـلِ وقَـارُ[3]

والصَّياصِي أيضاً: الشَّوكُ الذي للنَّسّاجين فيما أخبرني أبو عُبيدة[4]، وأنشدني لدُرَيد بن الصِّمّة الجُشَميِّ، جُشَمَ بنِ معاوية بن بكر بن هَوازِنَ:

نَظَـرتُ إليـه والرِّمـاحُ تَنُوشُـه كوَقْعِ الصَّياصِي في النَّسيجِ المُمدَّدِ[5]

= البُجُدَ، وهي الأكسية، قال هذا يعقوبُ عن الأصمعيّ، ويصحِّح هذا أنه لا حصونَ في بادية الأعراب.

(١) قوله: وسادةِ رهطي، مجرور معطوف على مجرور في البيت السابق، يقول: أتت المَنُونُ ـ وهو حوادث الدهر ومنها الموت ـ على إخوتي وسادةِ قومي. انظر «ديوانه» ص٣١ جمع وتحقيق واضح الصمد.

والرهط: القوم. والأعضب: المكسور القرن.

(٢) انظر «ديوانه» ص١٠٥.

(٣) ذَعَرنا: من الذُّعر، وهو الفزع. والسُّحم: السُّود. والصياصي: القرون، وهو يريد بسُحْم الصياصي: الوعول التي في الجبال. ونَضْح: لَطْخ.

والكُحيل: القَطِران. والقار: الزِّفت، شبَّه ما في أيديها من السَّواد، بلطخٍ من ذلك الكُحيل والقار.

(٤) انظر «مجاز القرآن» له ٢/ ١٣٦، ولم يسمِّ فيه قائل البيت.

(٥) تَنُوشه، أي: تتناوله من قرب.

وهذا البيت في قصيدةٍ له[1].

والصَّياصي أيضاً: التي تكون في أرجُلِ الدِّيَكة ناتئةً كأنّها القُرونُ الصِّغارُ.

والصَّياصِي أيضاً: الأُصول، أخبرني أبو عُبيدة أنّ العرب تقول: جَذَّ اللهُ صِيصِيَتَه[2] أي: أصلَه.

قال ابن إسحاق: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝٢٦﴾: أي: قُتِل الرِّجال وسُبِيَ الذَّرارِيّ والنّساءُ ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ يعني: خيبرَ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ۝٢٧﴾.

قال ابن إسحاق: فلمّا انقَضى شأنُ بني قُرَيظةَ، انفَجَرَ بسعد بن معاذٍ جُرْحُه، فمات منه شهيداً.

حدّثني معاذُ بن رِفاعةَ الزُّرَقيّ قال: حدّثني مَن شئتُ من رجال قومي: أنّ جبريلَ أَتى رسولَ الله ﷺ حين قُبِضَ سعدُ بن معاذٍ من جَوْفِ اللّيل مُعتجِراً بعِمامةٍ من إستَبرَقٍ فقال: يا محمّدُ، مَن هذا الميّتُ الّذي فُتِحَت له أبوابُ السماءِ واهتَزَّ له العَرشُ؟ قال: فقامَ رسولُ الله ﷺ سريعاً يَجُرُّ ثوبَه إلى سعدٍ، فوَجَدَه قد ماتَ[3].

---

(١) وهي في رثاء أخيه، وانظرها في «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي ص٤٦٦-٤٧٤، و«الأصمعيات» ص١٠٦-١١٠، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٢/ ٧٥٠-٧٥١، و«التعازي» للمبرد ص٥٨.

(٢) تُهمَز ولا تُهمَز، وقيّدها بالوجهين صاحب نسخة (ز). وفي «مجاز القرآن» ٢/ ١٣٦: صِيصةَ فلان، بإسقاط الياء الثانية.

(٣) خبرٌ حسنٌ إن شاء الله، معاذ بن رفاعة صدوق ليس به بأس، وأما شيوخه الذين رووا هذا الخبر فأحدهم هو جابر بن عبد الله، فقد رواه الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن معاذ بن رفاعة عن جابر بن عبد الله فيما أخرجه الطبري في مسند عمر من «تهذيب الآثار» ٢/ ٥٩٧-٥٩٨، =

وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ، عن عَمْرةَ بنتِ عبد الرَّحمن قالت: أقبَلَت عائشةُ قافلةً من مكّة ومعها أُسَيدُ بن حُضَيرٍ، فلَقِيَه موتُ امرأةٍ له فحَزِنَ عليها بعضَ الحُزْن،

= والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٢٩، ولم يذكرا فيه اعتجارَ جبريل بعمامةٍ من إستبرق.

وأما حديث ابن إسحاق، فقد رواه عنه هكذا أيضاً يونسُ بنُ بكير عند محمد بن عثمان بن أبي شيبة في «العرش» (٥١)، والبيهقي ٤/ ٢٩، ويحيى بنُ سعيد الأُموي عند الخطيب في «الفصل للوصل» ١/ ٤٢١.

ورواه سلمةُ بن الفضل عند الحاكم (٤٩٨٥) ضمن حديث آخر عن ابن إسحاق، عن عاصم ابن عمر بن قتادة، عن عبد الله بن كعب بن مالك مرسلاً. والظاهر أنه بهذا الإسناد وهمٌ من سلمة، فهو على صدقه كثيرُ الخطأ.

وأخرج أحمد (١٤٥٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٦٧)، والحاكم (٤٩٨٧) من طريق محمد بن عمرو بن علقمة، عن يحيى بن سعيد ويزيد بن الهاد، عن معاذ بن رفاعة بن رافع، عن جابر بن عبد الله: أنّ النبيَّ ﷺ قال لسعدٍ وهو يُدفَن: «إن هذا العبد الصالح تحرَّك له العرشُ، وفُتِحَت له أبواب السماء». وفي إسناده خلاف كما هو مبيَّن في التعليق على «مستدرك الحاكم».

وصحَّ ذكر تحرُّك العرش أو اهتزازُه لموت سعد بن معاذٍ عن جابر من غير وجهٍ عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ، فيما أخرجه أحمد (١٤١٥٣) و(١٤٤٠٠) و(١٤٧٦٨)، والبخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦) وغيرهم. وفيه: «اهتزَّ عرشُ الرَّحمن».

قال النوويُّ في «شرح مسلم» ما ملخَّصه: اختلف العلماءُ في تأويله، فقالت طائفة: هو على ظاهره واهتزاز العرش: تحرُّكه فرحاً بقدوم روح سعد، وجعل الله تعالى في العرش تمييزاً حصل به هذا، ولا مانع منه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٧٤]، وهذا القول هو ظاهر الحديث، وهو المختار، وقال آخرون: المراد اهتزاز أهل العَرْش، وهم حَمَلتُه وغيرُهم من الملائكة، فحذف المضاف، والمراد بالاهتزاز الاستبشارُ والقَبُول، ومنه قول العرب: فلان يهتزُّ للمكارم، لا يريدون اضطرابَ جسمه وحركته، وإنما يريدون ارتياحَه إليها وإقبالَه عليها، وقال الحَرْبي: هو كناية عن تعظيم شأن وفاته، والعرب تنسب الشيءَ المعظَّم إلى أعظم الأشياء فيقولون: أظلَمَت لموت فلانٍ الأرضُ، وقامت له القيامة.

فقالت له عائشةُ: يَغفِرُ الله لك أبا يحيى، أتحزَنُ على امرأةٍ وقد أُصِبتَ بابن عمِّك، وقد اهتَزَّ له العَرْشُ؟![1]

وحدّثني مَن لا أتّهِمُ عن الحسن البَصْريِّ قال: كان سعدٌ رجلاً بادِناً، فلمّا حَمَلَه الناسُ وَجَدُوا له خِفّةً، فقال رجالٌ من المنافقين: والله إن كان لَبادِناً، وما حَمَلْنا من جِنازةٍ أخفَّ منه! فبَلَغَ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: «إنَّ له حَمَلةً غيرَكم، والَّذي نَفْسي بيدِه، لقد استَبشَرَتِ الملائكةُ برُوحِ سعدٍ، واهتَزَّ له العَرْشُ»[2].

---

(١) إسناده صحيح. ولم نقف عليه بهذا الإسناد عند غير ابن إسحاق.

وأخرج نحوه أحمد (١٩٠٩٥)، والحاكم (٤٩٩١) من طريق محمد بن عمرو بن علقمة اللَّيثي، عن أبيه، عن جدّه، عن عائشة قالت: قدمنا من سفر، فتلقَّونا بذي الحُلَيفة... فلقوا أُسيدَ بن حُضيرٍ فنَعَوْا إليه امرأته، فتقنَّع يبكي، قالت: فقلت له: سبحان الله! أنت من أصحاب رسول الله ﷺ، ولك من السابقة ما لك، تبكي على امرأة؟! فكشف عن رأسه فقال: صدقتِ لعَمرُو الله، والله ليحقُّ لي أن لا أبكيَ على أحدٍ بعد سعد بن معاذ، وقد قال رسول الله ﷺ ما قال، قالت له: وما قال له؟ قال: «لقد اهتزَّ العرشُ لوفاة سعد بن معاذ». وهذا إسناد فيه لِينٌ من أجل عمرو بن علقمة والد محمد، فقد تفرَّد بالرواية عنه ابنه، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبّان، وسياق حديث عَمْرة أصحُّ.

(٢) صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإرساله وإبهام شيخ ابن إسحاق فيه. ولم نقف عليه من مرسل الحسن في غير هذا الموضع.

لكن يشهد له حديث قَتَادة عن أنس بن مالك عند ابن حبان (٧٠٣٢): أن نبيَّ الله ﷺ قال وجنازةُ سعدٍ موضوعةٌ: «اهتَزَّ لها عرشُ الرَّحمن»، فطَفِقَ المنافقون في جنازته وقالوا: ما أخفَّها! فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «إنّما كانت تحملُه الملائكةُ معهم».

ورواه الترمذي (٣٨٤٩)، والحاكم (٤٩٩٠) عن أنس بلفظ: لمّا حُمِلَت جنازةُ سعد بن معاذٍ قال المنافقون: ما أخفَّ جنازتَه، وذلك لحكمه في بني قُرَيظة! فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «إن الملائكة كانت تحملُه». قال الترمذي: حديث حسن صحيح. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني معاذُ بن رِفاعةَ، عن محمود بن عبد الرَّحمن بن عمرو ابن الجَمُوح، عن جابر بن عبد الله قال: لمّا دُفِنَ سعدٌ ونحنُ مع رسول الله ﷺ، سَبَّحَ رسولُ الله ﷺ فسَبَّحَ الناسُ معه، ثمّ كَبَّرَ فكَبَّرَ الناسُ معه، فقالوا: يا رسولَ الله، مِمَّ سَبَّحتَ؟ فقال: «لقد تَضايَقَ على هذا العَبْدِ الصّالحِ قَبْرُه، حتَّى فَرَّجَه اللهُ عنه»[1].

قال ابن هشام: ومَجَازُ هذا الحديثِ[2] قولُ عائشة: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ للقَبْرِ لَضَمّةً لو كان أَحدٌ منها ناجِياً، لكان سعدُ بن مُعاذٍ»[3].

قال ابن إسحاق: ولسعدٍ يقول رجلٌ من الأنصار:

وما اهتَزَّ عرشُ الله من موتِ هالكٍ ... سَمِعْنا به إلّا لسعدٍ أبي عمرِو

وقالت أمُّ سعدٍ حين احتُمِلَ نَعشُه وهي تَبكِيه ـ قال ابن هشام: وهي كَبْشةُ[4] بنتُ رافع بن معاوية بن عُبيد بن ثَعْلبة بن عبد بن الأَبجَر ـ وهو خُدْرةُ ـ بن عَوْف بن

= قلنا: ويغلب على ظنّنا أن الحسن البصريَّ إنما حمل حديثه الذي حدَّث به ابنُ إسحاق عن أنس بن مالك، فقد روى بعضَه ـ وهو اهتزاز العرش ـ مباركُ بن فَضَالة عن الحسن عن أنس، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥٣٤٣).

وفي الباب أيضاً عن عبد الله بن شدّاد مرسلاً عند أحمد في «فضائل الصحابة» (١٥٠٤).

(١) إسناده حسن.

وأخرجه أحمد (١٤٨٧٣) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٢) يعني: تأويل هذا الحديث.

(٣) حديث صحيح.

وأخرجه من حديث عائشةَ أحمد (٢٤٢٨٣) و(٢٤٦٦٣)، وابن حبان (٣١١٢) وغيرهما، وإسناده صحيح.

(٤) في (ز) و(ش١) و(غ) و(ي): كُبَيشة، والمثبت من (ت) و(ص) و(م)، وهو الصواب، ولم يُختلَف في اسمها.

الحارث بن الخَزرَج:

وَيـلُ أمِّ سـعدٍ سـعدا صَـرامةً وحَـدّا

وسُـوددًا ومَجْـدا وفارسـاً مُعَـدّا

سُـدَّ بـه مَسَـدّا[1]

قال: يقول رسولُ الله ﷺ: «كلُّ نائحةٍ تَكذِبُ إلّا نائحةَ سعدِ بن مُعاذٍ»[2].

قال ابن إسحاق: ولم يُستَشهَدْ من المسلمين يومَ الخندق إلّا ستّةُ نَفَرٍ:

من بني عبد الأَشهَل: سعدُ بن معاذٍ، وأنسُ بن أَوس بن عَتِيك بن عمرو، وعبدُ الله ابن سَهْل؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني جُشَمَ بن الخَزرَج، ثمّ من بني سَلِمةَ: الطُّفَيلُ بن النُّعمان، وثَعْلبةُ بن عَنَمة؛ رجلانِ.

ومن بني النَّجّار ثمّ من بني دينارٍ: كعبُ بن زيدٍ، أصابه سهمٌ غَرْبٌ فقتله.

قال ابن هشام: سهمُ غَرْبٍ وسهمٌ غَرْبٌ، بإضافةٍ وغير إضافة، وهو الّذي لا يُعرَفُ من أين جاءَ ولا مَن رَمَى به[3].

---

(١) زاد في نسخة (ش١): يَقُدُّ هاماً قَدّا. والقَدُّ: الشَّقّ. والهام: جمع هامة، وهو الرأس.

(٢) حديث قوي.

وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٣٩٥ ضمن حديثٍ من طريق عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لَبيد. وإسناده جيّد.

ورواه بنحوه ابن سعد ٣/ ٣٩٦ من طريق سعد بن إبراهيم الزهريّ، عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه. لكن شيخه فيه هو الواقديّ، وفيه مقال، والمحفوظ أنه عن سعد بن إبراهيم مرسلاً، وهو مخرَّج عند ابن سعد أيضاً ٣/ ٣٩٧.

(٣) تفسير ابن هشام هذا من (ش١)، وبعضه على حاشية (غ) دون نسبة لابن هشام.

وقُتِلَ من المشركين ثلاثةُ نَفَرٍ:

من بني عبد الدّار بن قُصَيّ: مُنبِّهُ بن عثمان بن عُبَيد بن السَّبّاق بن عبد الدّار، أصابه سهمٌ فمات منه بمكّة.

قال ابن هشام: هو عثمانُ بن أُميّة بن مُنبِّه بن عُبيد بن السَّبّاق.

قال ابن إسحاق: ومن بني مخزوم بن يَقَظَةَ: نَوفَلُ بن عبد الله بن المغيرة؛ سألوا رسولَ الله ﷺ أن يَبيعَهم جسدَه ـ وكان اقتَحَمَ الخندقَ فتورَّطَ فيه، فقُتِلَ، فغَلَبَ المسلمون على جسدِه ـ فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجَةَ لنا بجَسَدِه ولا ثَمَنِه»، فخَلَّى بينَهم وبينَه[1].

قال ابن هشام: أعطَوْا رسولَ الله ﷺ بجَسَدِه عشرةَ آلافِ درهمٍ فيما بَلَغَني عن الزُّهْريِّ[2].

قال ابن إسحاق: ومن بني عامر بن لُؤَيٍّ ثمّ من بني مالك بن حِسْلٍ: عمرُو بن عبدِ وَدٍّ، قتله عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه.

قال ابن هشام: وحدّثني الثِّقةُ، أنّه حُدِّث عن ابن شِهابٍ أنّه قال: قَتَلَ عليُّ بن أبي طالبٍ يومَئذٍ عمرَو بن عبدِ وَدٍّ وابنَه حِسْلَ بن عمرو.

---

(١) حديث محتمل للتحسين.

وقد أخرج معناه أحمد (٢٢٣٠) و(٢٤٤٢)، والترمذي (١٧١٥) من طريقين فيهما ضعفٌ عن الحكم بن عُتيبة، عن مِقسَم، عن ابن عباس. ولم يسمِّ الرجل المشرك.

وروي أيضاً من مرسل الزهري عند أبي إسحاق الفَزَاري في كتابه «السِّيَر» (٣٢)، فهذا مما يشهد لحديث ابن عباس.

(٢) هذا ضعيف لا يصحُّ لإعضاله بين ابن هشام والزهريِّ، ثم إن الفزاري في «سِيَره» (٣٢) لم يذكره فيما رواه عن الزهري.

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن عبدِ وَدٍّ، ويقال: عمرو بن عبدٍ.

قال ابن إسحاق: واستُشهِدَ يومَ بني قُرَيظة من المسلمين ثمّ من بني الحارث بن الخَزرَج:

خلّادُ بن سُوَيد بن ثَعْلبة بن عمرو، طُرِحَت عليه رَحاً، فشَدَخَته شَدْخاً شديداً، فزَعَمُوا أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ له لَأجْرَ شهيدَينِ»[1].

ومات أبو سِنان بن مِحصَن بن حُرْثانَ أخو بني أَسَد بن خُزَيمة، ورسولُ الله ﷺ مُحاصِرٌ بني قُرَيظة، فدُفِنَ في مقبرة بني قُرَيظة التي يَدفِنون فيها اليومَ، وإليه دَفَنُوا أمواتَهم في الإسلام.

ولمّا انصَرَفَ أهلُ الخندقِ عن الخندق، قال رسولُ الله ﷺ فيما بَلَغَني: «لن تَغزُوَكم قريشٌ بعدَ عامِكُم هذا، ولكنَّكم تَغزُونَهم»[2]، فلم تَغزُهم قريشٌ بعدَ ذلك، وكان هو يَغزُوها حتّى فَتَحَ اللهُ عليه مكّةَ.

ما قيلَ من الشِّعر في أمر الخندق وبني قُرَيظة

وقال ضِرارُ بن الخَطّاب بن مِرْداسٍ أخو بني مُحارِب بن فِهْرٍ، في يوم الخندق:

---

(١) حديث ضعيف منكر.

وقد أخرجه أبو داود (٢٤٨٨) من طريق فَرَج بن فَضَالة، عن عبد الخبير بن قيس بن ثابت بن قيس بن شَمّاس، عن أبيه، عن جدّه. وهذا إسناد ضعيف لضعف فرج بن فضالة وعبد الخبير ونكارة حديثهما.

(٢) حديث صحيح.

وقد أخرجه بنحوه أحمد (١٨٣٠٨)، والبخاري (٤١٠٩) و(٤١١٠) من حديث سليمان بن صُرَدٍ قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول حين أَجلى الأحزابُ عنه: «الآنَ نَغزُوهم ولا يَغزُونَنا، نحن نسيرُ إليهم».

ومُشْفِقةٍ تَظُنُّ بنا الظُّنونا ... وقد قُدْنا عَرَنْدَسةً طَحُونا[1]

كأنَّ زُهاءَها أُحُدٌ إذا ما ... بَدَت أركانُه للنّاظِرينا[2]

تَرَى الأبدانَ فيها مُسبَغاتٍ ... على الأبطالِ واليَلَبَ الحَصِينا[3]

وجُرْداً كالقِدَاحِ مُسوَّماتٍ ... نَؤُمُّ بها الغُواةَ الخاطئِينا[4]

كأنّهمُ إذا صالُوا وصُلْنا ... بباب الخَندقَينِ مُصافِحونا[5]

أُناسٌ لا تَرَى فيهم رَشِيداً ... وقد قالوا: ألَسْنا راشِدِينا

فأحجَرْناهمُ شهراً كَرِيتاً ... وكُنّا فوقَهمْ كالقاهِرِينا[6]

نُراوِحُهم ونَغدُو كلَّ يومٍ ... عليهمْ في السّلاح مُدَجَّجينا[7]

بأَيدينا صَوارِمُ مُرهَفاتٌ ... نَقُدُّ بها المَفارِقَ والشُّؤُونا[8]

---

(١) العَرنْدَسة: الشديدة القوّة، يريد: كتيبةً من الخيل. والطَّحون: التي تطحن كلَّ ما مرت به.

(٢) كأنّ زُهاءها، أي: تقدير عددها. وأركانه: جوانبه وأطرافه.

(٣) الأبدان هنا: الدروع. ومسبغات: كاملة وافية. واليَلَب: التروس من الحديد، واحدها: يَلَبَة، والألَبة لغةٌ فيها.

(٤) الجُرْد: الخيل العِتاق. والقِداح: السِّهام. ومسوَّمات: مُرسَلات أو مُعلَمات، ويقال: هي الغالية الأثمان. ونؤمّ: نَقصِد.

(٥) صال، أي: وَثَبَ للقتال. والمصافحة: أخذ الرجل بيد الرجل عند السلام، يريد قربَ الفريقين من بعضهما.

(٦) أحجرناهم: حصرناهم. وشهراً كَرِيتاً، أي: تامّاً كاملاً.

(٧) المدجَّج: الكامل السلاح.

(٨) الصوارم: السيوف. ومُرهَفات، أي: قاطعة. ونقدُّ، أي: نقطع. والمَفارق: جمع مَفرِق، وهو حيث يتفرّق الشَّعر في أعلى الجبهة. والشؤون هنا: مجتمع العِظام في أعلى الرأس.

كـأنّ وَمِيضَهُنّ مُعرَّيـاتٍ ... إذا لاحَتْ بأيدي مُصلِتِينا[1]

وَمِيضُ عَقيقةٍ لَمَعَت بلَيلٍ ... تَرَى فيها العَقائقَ مُستَبِينا[2]

فلولا خندقٌ كانوا لَدَيهِ ... لَدَمَّرنا عليهم أجمَعِينا

ولكنْ حالَ دُونَهمُ وكانوا ... به من خوفِنا مُتَعوِّذينا

فإنْ نَرحَلْ فإنّا قد تَرَكْنا ... لَدَى أبياتِكمْ سعداً رَهِينا

إذا جَنَّ الظّلامُ سمعتَ نَوحاً ... على سعدٍ يُرَجِّعنَ الحَنِينا[3]

وسوفَ نَزورُكم عمَّا قريبٍ ... كما زُرْناكمُ مُتَوازِرينا[4]

بجَمْعٍ من كِنانةَ غيرِ عُزْلٍ ... كأُسدِ الغابِ قد حَمَتِ العَرِينا[5]

فأجابه كعبُ بن مالكٍ أخو بني سَلِمةَ فقال:

وسائلةٍ تُسائلُ ما لَقِينا ... ولو شَهِدَت رَأَتنا صابرِينا

صَبَرْنا لا نَرَى لله عِدْلاً ... على ما نابَنا مُتوكِّلِينا[6]

وكان لنا النبيُّ وَزِيرَ صِدقٍ ... به نَعلُو البَرِيَّةَ أجمَعِينا

نُقاتِلُ مَعشَراً ظَلَموا وعَقُّوا ... وكانوا بالعَداوةِ مُرصِدِينا[7]

---

(١) الوميض: اللمعان. والمُصلِت: الذي جرَّد سيفه وعرَّاه من غِمْده.

(٢) العقيقة هنا: السحابة التي تنشقُّ عن البرق.

(٣) النَّوح والنَّوحى: جماعة النساء اللاتي يَنُحن، أي: يبكين بصوت.

(٤) متوازرين، أي: متعاونين.

(٥) العُزْل: هم الذين لا سلاح معهم، الواحد: أعزل. والغاب: جمع غابةٍ. والعَرين: موضع إقامة الأَسد.

(٦) العِدل: المِثْل والنَّظير. وما نابَنا، أي: ما أصابنا وحلَّ بنا من شدّة.

(٧) المُرصِد: المعدُّ للأمر عُدّته.

نُعـاجِلُهم إذا نَهَضُـوا إلينـا ... بضـربٍ يُعجِـلُ المُتَسـرِّعينا

تَرانـا في فَضـافِضَ سـابغاتٍ ... كغُـدْرانِ المَـلَا مُتَسَـربِلينا[1]

وفي أَيمانِنـا بـيضٌ خِفـافٌ ... بهـا نَشْـفي مِـرَاحَ الشّـاغِبينا[2]

ببـاب الخنـدقَينِ كـأنَّ أُسْـداً ... شـوابِكُهنَّ يَحمِـينَ العَرِينـا[3]

فوارسُـنا إذا بَكَـروا وراحُـوا ... على الأعـداءِ شُوسـاً مُعلِمينـا[4]

لِنَنصُـرَ أحمـداً واللهَ حتّـى ... نكـونَ عِبـادَ صِدقٍ مُخلِصينا

ويَعلَمَ أهـلُ مكّـةَ حين ساروا ... وأحـزابٌ أتَـوْا مُتَحزِّبينـا

بـأنَّ الله لـيس لـه شـريكٌ ... وأنَّ الله مَـوْلى المُؤمِنينـا

فإمّـا تقتُلـوا سـعداً سَـفَاهاً ... فـإنّ الله خيـرُ القادِرينـا

سـيُدخِلُه جِنانـاً طيِّبـاتٍ ... تكـون مُقامـةً للصّـالِحينا

كمـا قـد رَدَّكـم فَـلّاً شَـرِيداً ... بغَـيظِكُمُ خَزَايـا خائبينـا[5]

خَزَايـا لـم تَنـالُوا ثَـمَّ خيـراً ... وكِـدتُمْ أن تكونـوا دامِرينـا[6]

بـريحٍ عاصـفٍ هَبَّـت علـيكمْ ... فكنـتُمْ تحتَهـا مُتكمِّهينـا[7]

---

(١) المَلَا: المتَّسع من الأرض. ومتسربلون: لابسون للدُّروع. وشبَّه لمعان دروعهم بلمعان المياه في الغُدران.

(٢) أراد بالبِيض: السيوف. والمِراح: النَّشاط والحركة.

(٣) الشوابك: التي تتشبّث بما تأخذ فلا يفلت منها.

(٤) الشُّوس: جمع أَشوَس، وهو الذي ينظر نظر المتكبِّر بمُؤخِر عينه. والمُعلِم: الذي أعلَمَ نفسه بعلامة في الحرب ليشتهر بها.

(٥) الفلُّ: القوم المنهزمون. والشَّريد: الطّريد.

(٦) دامرين: هالكين، من الدَّمار.

(٧) العاصف: الريح الشديدة. والمتكمِّه: الأعمى الذي لا يُبصِر، شبَّههم هنا بالعُمْي.

وقال عبدُ الله بن الزِّبَعرَى السَّهْميّ في يوم الخندق:

حَيِّ الدِّيارَ مَحَا معارفَ رَسْمِها ... طولُ البِلَى وتَراوُحُ الأَحقابِ[1]

فكأنّما كَتَبَ اليهودُ رُسومَها ... إلّا الكَنِيفَ ومَعقِدَ الأَطنابِ[2]

قَفْراً كأنّك لم تَكُن تَلهُو بها ... في نَعْمةٍ بأوانِسٍ أَترابِ[3]

فاترُكْ تذكُّرَ ما مضى من عِيشةٍ ... ومَحَلّةٍ خَلَقِ المُقامِ يَبابِ[4]

واذكُرْ بَلاءَ معاشرٍ واشكُرهمُ ... سارُوا بأجمَعِهم من الأنصابِ[5]

أنصابِ مكّةَ عامِدِينَ ليَثرِبٍ ... في ذي غَياطِلَ جَحفَلٍ جَبْجابِ[6]

يَدَعُ الحَزُونَ مَناهجاً معلومةً ... في كلِّ نَشْزٍ ظاهرٍ وشِعابِ[7]

فيه الجِيادُ شَوازِبٌ مجنوبةٌ ... قُبُّ البُطونِ لواحقُ الأقرابِ[8]

---

(١) الرَّسم: الأثر. والأحقاب: جمع حُقْب، وهو الدَّهر.

(٢) الكَنيف: الحظيرة تُصنَع للإبل، وسُمّي كنيفاً، لأنه يَكنُفها، أي: يسترها. والأطناب: الحبال التي تُشدُّ بها الأخبية وبيوت العرب. ويريد بمَعقِدها: الأوتاد التي تُربَط بها.

(٣) القَفْر: الأرض الخالية من السكّان. والأوانس: جمع آنسةٍ، وهي الجارية الطيّبة النفس، تحب قُربَك وحديثك. والأتراب: جمع تِرْب، وهنَّ المتساويات في السنّ.

(٤) خَلَقُ المقام: يريد أن محلَّ إقامتهم بالٍ مُهمَل. واليَباب: القَفْر.

(٥) الأنصاب هنا: الحجارة التي يُعلَم بها حرم مكّة، يريد أهلها من قريش وأحلافهم فيها.

(٦) يريد بذي غياطل: جيشاً كثير الأصوات، والغياطل: جمع غَيطَلة، وهي الصوت هنا. وجحفل: جيش. وجبجاب: كثير.

(٧) الحَزون: جمع حَزْن، وهو ما ارتفع من الأرض. والمناهج: جمع مَنهَج، وهو الطريق البيِّن الواضح. والنَّشْز: المرتفِع من الأرض، ويقال فيه: نشرٌ أيضاً، بالراء. والشِّعاب: جمع شِعْب، وهو الطريق المنخفض بين جبلين.

(٨) الشوازب: الضامرة البطون. والمجنوبة: المُقادَة بجانب الإبل ليس عليها أحد راكبها. =

مِن كلِّ سَلْهَبةٍ وأجرَدَ سَلْهبٍ … كالسِّيدِ بادَرَ غَفْلةَ الرُّقّابِ[1]

جيشٌ عُيَينةُ قاصِدٌ بلِوائِهِ … فيه وصَخرٌ قائدُ الأحزابِ[2]

قَرْمانِ كالبدرَينِ أصبَحَ فيهما … غَيثُ الفقيرِ ومَعقِلُ الهُرّابِ[3]

حتّى إذا وَرَدُوا المدينةَ وارتَدَوْا … للموتِ كلَّ مُجرَّبٍ قَضّابِ[4]

شهراً وعَشراً قاهرينَ محمّداً … وصِحابُه في الحربِ خيرُ صِحابِ

نادَوْا برِحْلتِهِمْ صَبيحةَ قلتمُ … كِدْنا نكونُ بها مع الخُيّابِ

لولا الخنادقُ غادَرُوا من جَمعِهِمْ … قَتْلى لطَيرٍ سُغَّبٍ وذئابِ[5]

فأجابه حسّانُ بن ثابتٍ فقال[6]:

هل رَسْمُ دارسةِ المُقامِ يَبابِ … متكلِّمٌ لمُحاوِرٍ بجَوابِ[7]

قَفْرٌ عَفَا رِهَمُ السَّحابِ رُسومَه … وهُبوبُ كلِّ مُطِلّةٍ مِرْبابِ[8]

= وقَبُّ البطون: ضامرة، ولواحق: ضامرة أيضاً. والأقراب: جمع قُرْبٍ، وهي الخاصرة وما يليها.

(١) السَّلْهب من الخيل: ما عَظُمَ وطالت عظامه. والسِّيد: الذئب.

(٢) عيينة: هو ابن حِصن الفَزَاري، قائد غطفان. وصخر: هو ابن حرب أبو سفيان، قائد قريش وأحلافها.

(٣) قرمانِ، أي: فحلان سيِّدان. ومعقل الهرّاب: ملجؤهم.

(٤) ارتَدَوا: تقلَّدوا. وكل مجرَّب، أي: كل سيف قد جُرّب. والقضّاب: القاطع.

(٥) سُغَّب، أي: جائعة.

(٦) انظر «ديوانه» ١/ ٨٠.

(٧) دارسة: مندثرة. والمُحاور: الذي يراجعك ويتكلّم معك.

(٨) عفا، أي: تغيَّر واندثر. والرِّهَم: جمع رِهْمة، وهو المطر. ومُطلّة: مُشرِفة، يعني الريح. ومِرباب: دائمة ثابتة.

ولقد رأيتُ بها الحُلولَ يَزِينُهم ... بِيضُ الوجوهِ ثواقبُ الأحسابِ[1]

فدَعِ الدِّيارَ وذِكرَ كلِّ خَريدةٍ ... بيضاءَ آنِسةِ الحديثِ كَعَابِ[2]

واشكُ الهمومَ إلى الإلٰهِ وما تَرَى ... من مَعشَرٍ ظَلَموا الرسولَ غِضابِ

ساروا بجَمعِهِم إليه وألَّبوا ... أهلَ القُرَى وبَوادِيَ الأعرابِ[3]

جيشٌ عُيَينةُ وابنُ حَربٍ فيهمِ ... مُتخمِّطون بحَلْبةِ الأحزابِ[4]

حتّى إذا وَرَدُوا المدينةَ وارتَجَوْا ... قَتْلَ الرّسولِ ومَغنَمَ الأسلابِ[5]

وغَدَوْا علينا قادِرينَ بأَيْدِهمْ ... رُدُّوا بغَيظِهم على الأعقابِ[6]

بهُبوبِ مُعصِفةٍ تُفرِّقُ جَمْعَهمْ ... وجنودِ ربِّكَ سيِّدِ الأربابِ[7]

فكَفَى الإلٰهُ المؤمنينَ قتالَهمْ ... وأثابَهم في الأجرِ خيرَ ثوابِ

من بعدِ ما قَنَطُوا ففرَّقَ جَمْعَهمْ ... تنزيلُ نَصْرِ مَليكِنا الوهّابِ

وأقَرَّ عَيْنَ محمّدٍ وصِحابِهِ ... وأذلَّ كلَّ مُكذِّبٍ مُرتابِ

عاتي الفُؤادِ مُوقَّعٍ ذي رِيبةٍ ... في الكفرِ ليس بطاهرِ الأثوابِ[8]

---

(١) الحلول: البيوت المجتمعة. وثواقب: مُشرِقة، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾.

(٢) الخريدة: المرأة الناعمة. والكَعَاب: التي نهد ثديها في أول ما ينهد.

(٣) ألَّبوا: جمعوا.

(٤) متخمّطون (وفي غ: متخمِّطين، بالنصب على الحال) أي: مختلطون، ويقال: المتخمِّط: الشديد الغضب المتكبِّر، قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٣١٣. والحَلْبة: جماعة الخيل التي تُعدّ للسباق.

(٥) الأسلاب: جمع السَّلَب، وهو ما يؤخذ عن القتيل من سلاح ومتاع.

(٦) الأَيْد: القوّة.

(٧) المُعصِفة: الريح الشديدة.

(٨) عاتي الفؤاد: قاسيه. وموقَّع: ذو عيب، وأصله من التوقيع في ظهر الدابّة، وهو انسلاخ =

عَلِقَ الشَّقاءُ بقَلبِه ففُؤادُه[1] ... في الكفرِ آخرَ هذه الأحقابِ

وأجابه كعبُ بن مالكٍ أيضاً فقال:

أبقَى لنا حَدَثُ الحُروبِ بقيّةً ... من خيرِ نِحْلةِ ربِّنا الوهّابِ[2]

بيضاءَ مُشرِفةَ الذُّرَى ومَعاطِناً ... حُمَّ الجُذوعِ غَزيرةَ الأحلابِ[3]

كاللُّوبِ يُبذَلُ جَمُّها وحَفِيلُها ... للجارِ وابنِ العمِّ والمُنتابِ[4]

ونَزائعاً مِثلَ السِّراحِ نَمَى بها ... عَلَفُ الشّعيرِ وجِزّةُ المِقضابِ[5]

عَرِيَ الشَّوَى منها وأردَفَ نَحْضُها ... جُرْدَ المتونِ وسارَ في الآرابِ[6]

= يكون فيه.

(١) في «الديوان»: فأرانَه، من الرَّين، وهو ما غطَّى القلب وركبه من القسوة للذَّنب بعد الذَّنب. والأحقاب: جمع الحُقُب، وهو الدَّهر.

(٢) النِّحلة: العطاء.

(٣) الذُّرى: الأعالي، ويعني بها حصون المدينة. وأراد بالمعاطن هنا: منابت النخل عند الماء، تشبيهاً لها بمعاطن الإبل، وهي مَباركُها حول الماء.

وقوله: حُمَّ الجذوع، وصفها بالحُمّة ـ وهي السواد ـ لأنها تضرب إلى السواد من الخضرة والنعمة، وشبَّه ما يُجتَنى منها بالحَلَب، فقال: غزيرة الأحلاب.

(٤) اللُّوب: جمع لُوبةٍ، وهي الحَرّة، وهي أرض ذات حجارة سود. وجمُّها وحفيلها: ما اجتمع من لبنها. والمنتاب: القاصد الزائر.

(٥) النزائع: الخيل العربية التي حُملت من أرضها إلى غيرها، وقيل: التي نُزِعت من الأعداء. والسِّراح: الذئاب، الواحد: سِرْحان. وجِزّة المِقضاب، أي: ما يُجَزُّ لها من النبات فتطعَمُه. والمِقضاب: من القَضْب، وهو القَطْع.

(٦) الشَّوى: القوائم. والنَّحض: اللحم، وكأنه عنى بقوله: أردف نحضُها، أن لحمها قد تجمّع واكتنز. وجُرْد المتون: مُلْس الظهور. والآراب: المفاصل والأعضاء، واحدها: إِرْب.

قُوداً تَـراحُ إلـى الصِّياح إذ غَـدَتْ ... فِعـلَ الضِّـراءِ تَـراحُ للكَـلّابِ[1]
وتَحُـوطُ سـائمةَ الـدِّيارِ وتـارةً ... تُـرْدي العِـدَا وتَـؤُوبُ بالأسـلابِ[2]
حُوشَ الوُحوشِ مُطارَةً عند الوَغَى ... عُـبُسَ اللّقـاءِ مُبينـةَ الإنجـابِ[3]
عُلِفَـت علـى دَعَـةٍ فصـارت بُـدَّناً ... دُخُسَ البَضيـعِ خفيفـةَ الأقصـابِ[4]
يَغْدُونَ بـالزَّغَفِ المُضـاعَفِ شَكُّه ... وبمُتْرَصـاتٍ في الثِّقـافِ صِيَـابِ[5]
وصَـوارمٍ نَـزَعَ الصَّـياقلُ غُلْبَهـا ... وبكـلِّ أروَعَ ماجـدِ الأنسـابِ[6]
يَصِـلُ اليمـينَ بمـارِنٍ مُتقـارِبٍ ... وُكِلَـت وَقِيعتُـه إلـى خَبّـابِ[7]
وأغَـرَّ أزرَقَ في القَنـاةِ كأنّـه ... في طُخْيـةِ الظّلمـاءِ ضَـوءُ شِـهابِ[8]

---

(١) القُود: طوال الأعناق، الواحد: أَقوَدُ وقَوْداء. وتَراح: تَنشَط. والضِّراء: الكلاب الضارية في الصيد، أي: المتعوِّدة به. والكَلّاب: الصائد صاحب الكِلاب.

(٢) السائمة: الماشية المرسلة في المرعى، إبلاً كانت أو غيرها. وتُردي: تُهلِك. وتؤوب بالأسلاب: ترجع بالغنائم.

(٣) الحُوش: النافرة. والمُطارة: الخفيفة السريعة الحركة. والوغى: الحرب، والإنجاب، أي: كريمة عتيقة النسب.

(٤) البُدَّن: السِّمان. ودُخُس البضيع: كثيرة اللحم. والأقصاب: الأمعاء، الواحد: قُصْب، يريد أنها مع اكتنازها باللحم بطُونها ضامرة، وهذا من صفة جياد الخيل.

(٥) الزَّغَف: الدروع الليّنة. وشكّها: نسجها. والمُترَصات: الرماح المحكمة التثقيف. والثِّقاف: الخشبة التي تُقوَّم بها الرماح والسهام. وصياب: صائبة.

(٦) الصوارم: السيوف القاطعة. وغُلْبها: خشونتها وما عليها من الصدأ. والأَروع: الذي يَرُوع بكماله وجماله. والماجد: الشريف.

(٧) المارن: الرمح الليّن. ووقيعته: صَنْعته وصقله. وخباب: اسم حدّاد.

(٨) يعني بالأغر الأزرق: سنان الرمح، والقناة: الرّمح. والطُّخية: شدّة السواد.

وكَتيبــةٍ يَنفــي القِــرانَ قَتيرُهــا ... وتَــرُدُّ حَــدَّ قَــواحزِ النُّشّــابِ[1]

جَــأْوَى مُلَملَمــةٍ كــأنّ رِماحَهــا ... في كــلِّ مَجمَعــةٍ صَــرِيمةُ غــابِ[2]

تــأوي إلــى ظِــلِّ اللّــواءِ كأنّــه ... في صَــعْدةِ الخَطِّــيِّ فَــيْءُ عُقَــابِ[3]

أعيَــتْ أبــا كَــرِبٍ وأعيَــتْ تُبَّعــاً ... وأبَــتْ بَسَــالَتُها علــى الأعــرابِ[4]

ومــواعظٌ مــن ربِّنــا نُهــدَى بهــا ... بلســانِ أزهَــرَ طيِّــبِ الأثــوابِ[5]

عُرِضَــت علينــا فاشــتَهَينا ذِكرَهــا ... من بعدِ ما عُرِضَت على الأحـزابِ

حِكَماً يَراهـا المجرمونَ بـزَعمِهِمْ ... حَرَجــاً ويَفهَمُهــا ذَوُو الألبــابِ[6]

جـاءَت سَخِينةُ كَيْ تُغالِـبَ ربَّهـا ... فلَيُغلَــبَنَّ مُغالِــبُ الغَــلّابِ[7]

---

(١) القِران: تقارن النَّبل واجتماعه. والقتير: مسامير حَلَق الدرع، ويريد الدروع. وقواحز النُّشاب: النِّبال التي تصيب الأفخاذ، والقحز: الوَثْب.

(٢) جأوى، الأصل فيه المد: جأواء، وقُصِر للضرورة: وهي الكتيبة التي لونها بين السَّواد والحُمرة من كثرة السلاح فيها. وململمة: مجتمعة.

وقوله: صريمة غاب، هكذا في نسخنا الخطية بالصاد، أي: كأن هذه الرماح قطعة ضخمة من غابة، وقد قيّدها في (ش١) بالصاد والضاد معاً، والضريمة: اللهب المتوقد. والغاب: الشجر الكثيف.

(٣) الصَّعدة: عصا الرمح المستوية. والخَطِّيُّ: الرماح، نسبة إلى الخطِّ، وهو موضع تقدم التعريف به ٢/ ٤٨١. والفَيء: الظِّل. والعُقاب: طائر من الطيور الجوارح كالصقر.

(٤) أبو كرب وتبّع: ملكان من ملوك اليمن. وبسالتها: شدّتها؛ يريد المدينة وأهلها.

(٥) الأزهر: الأبيض؛ يريد النبيَّ ﷺ.

(٦) حرجاً، أي: شديدة عصيّة على الفهم. والألباب: العقول.

(٧) سخينةُ: لقب قريش في الجاهلية، وذكروا أن قُصيّاً كان إذا ذبح ذبيحةً أو نحر نحيرة بمكة، أَتى بعَجُزِها فصنع منه خَزِيرة ـ وهو لحم يطبخ ببُرٍّ ـ فيطعمه الناس، فسُمِّيَت قريش بها سَخِينةَ، وقيل: إن العرب كانوا إذا أَسنَتوا أكلوا العِلهِز، وهو الوَبَر والدم، وتأكل قريش =

قال ابن هشام: حدّثني مَن أثِقُ به قال: حدّثني عبدُ الملك بن يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير قال: لمّا قال كعبُ بن مالكٍ:

جاءَت سَخِينةُ كَيْ تُغالبَ ربَّها ... فلَيُغلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلّابِ

قال له رسول الله ﷺ: «لقد شَكَرَكَ اللهُ يا كعبُ على قولِكَ هذا»[1].

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن مالكٍ في يوم الخندق:

مَن سَرَّه ضربٌ يُمَعمِعُ بعضُهُ ... بعضاً كمَعمَعةِ الأَباءِ المُحرَقِ[2]

فليأْتِ مَأسَدةً تَسُنُّ سُيوفَها ... بين المَذادِ وبين جِزْعِ الخندقِ[3]

دَرِبوا بضربِ المُعلِمينَ وأسلَموا ... مُهَجاتِ أنفُسِهم لربِّ المَشرقِ[4]

في عُصبةٍ نَصَرَ الإلٰهُ نبيَّهُ ... بهمِ وكان بعبدِه ذا مَرفِقِ[5]

= الخزيرةَ، فنَفَسَت عليهم ذلك، فلقَّبوهم سَخِينةَ، ولم تكن قريش تكره هذا اللقب. انظر «الروض الأنف» ٦/ ٣٧٣.

(١) إسناده ضعيف لإبهام الراوي بين ابن هشام وعبد الملك بن يحيى، ثم إن عبد الملك هذا قد أرسله، وهو مجهول الحال في الرواية وإن كان معروف النسب، فهو من سادات قريش وذوي الفضل منهم، وانظر ترجمته في «تاريخ بغداد» للخطيب ١٢/ ١٥٣.

(٢) المعمعة: صوت الحريق في القَصَب ونحوه، وصوت الأبطال في الحرب. والأَباء: القَصَب، ويقال: الأغصان الملتفّة.

(٣) المأسدة: موضع الأسود، ويعني بها هنا موضع الحرب، وقال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٣٧٤: ويجوز أن يكون مَأسَدة جمع أَسد، كما قالوا: مَشْيَخة.

والمَذَاد: موضع قريب من الخندق. وجِزْع الخندق: جانبه.

(٤) دَرِبوا: حَذِقوا وتمرّنوا. والمُعلِمون: الذين يُعلِمون أنفسهم في الحرب بعلامة يُعرَفون بها. والمُهَجات: الأنفُس، الواحدة: مُهْجة.

(٥) العصبة: الجماعة. والمَرفِق: الرِّفق.

فِي كُلِّ سابغةٍ تَخُطُّ فُضولُها ... كالنِّهْيِ هَبَّتْ ريحُه المُتَرَقرِقِ[1]

بَيضاءَ مُحكَمةٍ كأنّ قَتيرَها ... حَدَقُ الجَنادِبِ ذاتُ شَكٍّ مُوثَقِ[2]

جَدْلاءَ يَحفِزُها نِجادُ مُهنَّدٍ ... صافي الحَديدةِ صارمٍ ذي رَونَقِ[3]

تِلكُمْ مع التّقوَى تكون لباسَنا ... يومَ الهِياجِ وكلَّ ساعةِ مَصدَقِ

نَصِلُ السّيوفَ إذا قَصُرنَ بخَطْوِنا ... قُدُماً، ونُلحِقُها إذا لم تَلحَقِ[4]

فتَرَى الجماجمَ ضاحياً هاماتُها ... بَلْهَ الأكُفِّ كأنّها لم تُخلَقِ[5]

نَلقَى العدوَّ بفَخْمةٍ ملمومةٍ ... تَنفي الجُموعَ كقَصْدِ رأسِ المُشرِقِ[6]

---

(١) السابغة: الدرع الكاملة. وتخطّ فضولُها، أي: ينجرُّ على الأرض ما فَضَلَ منها. والنِّهي: الغدير من الماء. والمترقرق: صفة له، وهو الذي تَصفِقه الريح فيجيء ويذهب.

(٢) القَتير: مسامير الدروع. والجنادب: ذكور الجراد. والشَّكّ: إحكام سَرْد الدرع، وهو متابعة نسج حلق الدّرع وموالاته شيئاً فشيئاً حتى تتناسق.

(٣) الجدلاء: الدرع المحكمة النَّسج. ويحفزها: يرفعها ويشمّرها. والنِّجاد: حمائل السيف. والمهنَّد: السيف. وصارم: قاطع. والرَّونق: اللَّمَعان.

(٤) قُدُماً، أي: نتقدم ونمضي إلى الأمام جرأةً وجسارةً. ونُلحقها، أي: نُلحِق سيوفنا بأعدائنا. وهذا البيت ـ فيما قيل ـ أشجع بيتٍ قالته العرب، انظر «ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري ١/ ١١٥.

(٥) ضاحياً: بارزاً للشمس. والهامات: جمع هامَة، وهي الرأس.
وقوله: بَلْهَ الأكفِّ، قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٦/ ٣٧٦: بخفض الأكفِّ هو الوجه، وقد روي بالنصب، لأنه مفعولٌ، أي: دعِ الأكفَّ... و«بَلْهَ» كلمةٌ بمعنى: دَعْ، وهي من المصادر المضافة إلى ما بعدها، وهي عندي من لفظ البَلَه والتباله، وهو من الغفلة، لأن مَن غَفَلَ عن الشيء تَرَكَه ولم يسأل عنه، وكذلك قوله: بلهَ الأكفّ، أي: لا تسأل عن الأكفّ إذا كانت الجماجم ضاحيةً مقطَّعة.

(٦) يريد بالفخمة: الكتيبةَ، أو الجيش العظيم، من الفخامة. والملمومة: المجتمعة. وتنفي =

ونُعِـدُّ للأعـداءِ كـلَّ مُقلَّـصٍ ... وَرْدٍ ومَحجُـولِ القـوائمِ أبلَـقِ[1]

تَـرْدِي بفُرسـانٍ كـأنّ كُمـاتَهم ... عنـد الهِيـاجِ أُسـودُ طَـلٍّ مُلثِـقِ[2]

صُـدُقٌ يُعـاطُونَ الكُمـاةَ حُتـوفَهم ... تحـت العَمايـةِ بالوَشـيجِ المُزهِـقِ[3]

أمَـرَ الإلٰـهُ برَبطِهـا لعـدوِّهِ ... في الحـربِ إنَّ اللهَ خيـرُ مُوفِّـقِ

لتكـونَ غَيظـاً للعـدوِّ وحُيَّطـاً ... للـدّارِ إن دَلَفَـت خيـولُ النُّـزَّقِ[4]

ويعينُنـا اللهُ العزيـزُ بقـوّةٍ ... منـه وصِـدْقِ الصّبـرِ ساعةَ نَلتَقـي

ونُطيـعُ أمـرَ نبيِّنـا ونُجيبُـه ... وإذا دعـا لكريهـةٍ لـم نُسـبَقِ

ومتـى يُنـادِ إلـى الشّـدائدِ نأتِهـا ... ومتـى نَـرَ الحَوْمـاتِ فيهـا نُعنِـقِ[5]

مَـنْ يَتّبِـعْ قـولَ النبـيِّ فإنّـه ... فينـا مُطـاعُ الأمـرِ حـقُّ مُصـدَّقِ

= الجموع، أي: تفرّقها.

والمُشرِق: هكذا قُيِّد في نسخنا الخطية، وذكر ياقوت في «معجمه» ٥/ ١٣٣ بهذا الاسم جبلاً بناحية القَصيم من نجد، لكنه قيّده بفتح الميم في أوله. وسيأتي في آخر القصيدة عن ابن هشام: أن شيخه أبا زيد الأنصاريَّ رواه له: كرأس قُدْس المَشرِق، وهو ما صحّحه السهيليُّ فيه. وانظر تتمة الكلام عليه هناك.

(١) المقلَّص: الفرس الطويل القوائم المنضمّ البطن. والورد: الفرس الذي تضرب حُمرتُه إلى الصُّفرة. والمحجول: الفرس الذي ابيضَّت قوائمه. والأبلق: ما لونُه أسود وأبيض.

(٢) تَرْدي: تُسرِع. والكُماة: الشجعان. والهِياج: القتال في ساحة الحرب. والطَّلّ: الضعيف من المطر. والمُلثِق: ما يكون من الطل من زَلَقٍ وطينٍ، والأسود أجوع وأجرأ ما تكون في ذلك الحين.

(٣) يريد بالعَماية: سحابة الغبار وظلمته. والوشيج: الرّماح. والمُزهِق: المُذهِب للنفوس.

(٤) حُيَّط: جمع حائط، وهو اسم الفاعل من حاط يحوط. ودَلَفَت: قَرُبَت. والنُّزَّق: جمع نازقٍ، وهو الغاضب السيّئُ الخلق.

(٥) الحومات: مواطن القتال، الواحدة: حَوْمة. ونُعنِق: نسرع.

فبذاكَ يَنصُرُنا ويُظهِرُ عِزَّنا ويصيبُنا من نَيلِ ذاكَ بمَرفِقِ
إنَّ الذين يكذِّبون محمّداً كَفَروا وضَلُّوا عن سبيلِ المُتَّقي

قال ابن هشام: أنشدني بيتَه: تِلكُم مع التّقوى تكون لباسَنا، وبيتَه: مَن يتّبعْ قولَ النبيِّ؛ أبو زيدٍ، وأنشدني: تَنفي الجُموعَ كرأس قُدْس المَشرِقِ[1].

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن مالكٍ في يوم الخندق:

لقد عَلِمَ الأحزابُ حين تألَّبُوا علينا ورامُوا دينَنا ما نُوادِعُ[2]
أَضامِيمُ من قيسِ بن عَيْلانَ أَصفَقَت وخِندِفُ لم يَدْرُوا بما هو واقِعُ[3]
يَذُودُونَنا عن دينِنا ونَذُودُهم عن الكفرِ والرَّحمنُ راءٍ وسامِعُ[4]

---

(١) وصحَّح السهيليُّ هذه الرواية، وقال: لأن قُدْس جبل معروف من ناحية المشرق.
وتعقَّبه عبد القادر البغدادي في «خزانة الأدب» ٦/ ٢٢٥ فقال: وظاهره أنه بفتح الميم، وقولُ الشامي (يعني الصالحي الشامي صاحب «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد»، والكلام المنقول فيه ٤/ ٤٢٠): المشرق نعتٌ لقُدْس بمعنى جبل؛ إشارةٌ إلى ضمَّة الميم، وهو اسم فاعلٍ من الإشراق، والظاهر أن هذا هو الجيّد، قال البكريُّ في «معجم ما استعجم» (٣/ ١٠٥٠): قُدْس بضم القاف وسكون الدال: من جبال تِهامة، وهو جبل العَرْج. (يعني أنه في جهة غرب المدينة وليس شرقها) ثم نقل البغداديُّ أيضاً عن غير واحد من البلدانيين كلامهم في مكانه، ثم قال: فظهر بهذا أنه ليس جبل في المَشرِق اسمه قُدْس، فالصواب ما قاله الشاميُّ.
قلنا: وجبل قُدْس هذا أو إدقس كما يعرف الآن، ويلقَّب بجبل عوف الأخضر، وهو من جبال الحجاز المرتفعة، يقع جنوب غرب المدينة على قرابة ١٠٠ كم.
(٢) تألَّبوا: تجمَّعوا. وما نوادع، أي: لا نصالح ولا نهادن.
(٣) أضاميم: جماعات انضمّ بعضها إلى بعض. وأصفقت: اجتمعت وتوافقت على الأمر. وخِندِفُ أمُّ أولاد الياس بن مضر، وقريشٌ منهم، وعَيلانُ والياسُ أخوان.
(٤) يذودوننا: يدفعوننا ويمنعوننا.

إذا غايَظُونـــا في مَقـــامٍ أعانَنـــا عـلى غَـيظِهِمْ نصـرٌ مـن الله واسـعُ
وذلـــك حِفـــظُ الله فينـــا وفضـــلُه علينـا ومَـن لـم يَحفَـظِ اللهُ ضـائعُ
هَـدانا لـدينِ الحـقِّ واختـارَه لنـا ولله فـوقَ الصّـانعينَ صـنائعُ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن مالكٍ في يوم الخندق:

ألا أبلِـغْ قريشـاً أنّ سَـلْعاً وما بـين العُـرَيضِ إلـى الصِّـمادِ[1]
نواضِـحُ في الحـروبِ مُـدرَّباتٌ وخُـوصٌ ثُقِّبَـت مـن عهـدِ عـادِ[2]
رَواكِـدُ يَزخَـرُ المَـرّارُ فيهـا فليسـت بالجِمَـامِ ولا الثِّمـادِ[3]

---

(١) سَلْع: جبل مشهور في المدينة. والعُرَيض: واد بالمدينة، وهو الآن حيٌّ معروف من أحياء شرقيّ المدينة المنوَّرة.

والصِّماد: جمع صَمْد، قال مؤرخ المدينة المنورة أبو الحسن السمهودي في «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» ٤/ ١٠٧: الصَّمْد: موضع بقُباء، وجَمَعه كعب بن مالك في شعره؛ وذكر له هذا البيت.

(٢) يعني بالنواضح: الإبل التي يُسقى عليها الماء. ومدرَّبات: جمع مدرَّبة، أي: قد أَلِفَت الركوب والسير، وتعوّدت المشي في الدروب فصارت تألفُها وتعرفها فلا تَنفِرُ منها. والخُوص: الآبار الضيقة، وثُقِّبت، أي: حُفِرَت.

(٣) رواكد: ثابتة دائمة. ويزخر: يعلو ويرتفع، يقال: زَخَر البحرُ والنهر، إذا ارتفع ماؤه وعلا.

والمَرّار: الماء الذي يمرُّ فيها، وهو هكذا براءين في (ش١) و(ط) و(غ) و(ف) و(ق٢)، وفي (ت) و(ش٢) و(ص) و(م) و(ي): تُزجَر المُرّان، والمُرّان: الرماح، إلا أنا لم نتبيَّن وجه الكلام ومعناه هنا.

والجِمَام: جمع جُمّة، وهو الماء الكثير المجتمع. والثِّماد: الماء القليل.

كـأنَّ الغـابَ والبَـرْديَّ فيهـا   أجَـشُّ إذا تَبقَّـعَ للحَصـادِ[1]
ولـم نَجعَـلْ تِجارتَنـا اشـتراءَ الـ   ـحَميـرِ لأرضِ دَوْسٍ أو مُـرادِ[2]
بـلادٌ لـم تُثَـرْ إلّا لكَيْمـا   نُجالِـدُ إن نَشِـطتُم للجِـلادِ[3]
أثَرْنـا سِـكّةَ الأنبـاطِ فيهـا   فلـم تَـرَ مِثلَهـا جَلَهـاتِ وادِ[4]
قَصَـرْنا كـلَّ ذي حُضْـرٍ وطَـوْلٍ   علـى الغايـاتِ مُقتـدِرٍ جَـوادِ[5]
أَجيبونـا إلـى مـا نَجتَـدِيكُم   مـن القـول المبـيَّنِ والسَّـدادِ[6]
وإلّا فاصـبِروا لجِـلادِ يـومٍ   لكـم منّـا إلـى شَـطْرِ المَـذَادِ[7]
نُصبِّحُكم بكـلِّ أخي حُـروبٍ   وكـلِّ مُطهَّـمٍ سَـلِسِ القِيـادِ[8]
وكـلِّ طِمِـرَّةٍ خَفِـقٍ حَشَـاها   تَـدِفُّ دَفِيـفَ صـفراءِ الجَـرادِ[9]

---

(١) الغاب: الشجر الملتفّ. والبَرْديّ: نبات ينبت في البِرَك تصنع منه الحُصُر الغِلاظ. وأجشُّ: عالي الصوت. وتبقَّع: صارت فيه بقع صُفر.

(٢) دوس ومراد: قبيلتان من اليمن. وهو هنا يفخر على قريشٍ بأن أهل المدينة اكتفوا بما فيها من خيراتٍ كثيرةٍ عن عناء التجارة إلى البلاد البعيدة.

(٣) لم تُثَر: لم تحرث.

(٤) السِّكة: الصف من النخل. والأنباط: قوم من العجم، يريد: حرثناها وغرسناها كما تفعل الأنباط في أمصارها لا نخاف عليها كيد كائدٍ. وجَلَهات الوادي: جمع جَلْهةٍ، وهو ما استقبلك من جانب الوادي إذا نظرتَ إليه من الجانب الآخر.

(٥) الحُضْر: الجري بين الخيل واشتداد الفرس في عَدْوه. والطَّول: الفضل. والغايات: جمع غاية، وهي حيث ينتهي طلقُ فرسه.

(٦) نجتديكم: نطلب منكم.

(٧) الشطر: الناحية. والمَذَاد: موضع قريب من الخندق.

(٨) المطهَّم: الفرس التامّ الخَلْق.

(٩) الطِّمِرّة: الفرس الخفيفة. وخَفِق، أي: مضطرب، يعني أنها سريعة. تدفُّ، أي: تطير =

وكــلِّ مُقلَّــصِ الآرابِ نَهْــدٍ تَمـيمِ الخَلْـقِ مـن أُخُـرٍ وهـادِ[1]

خُيــولٌ لا تُضـاعُ إذا أُضِـيعَت خيـولُ النـاسِ في السَّـنةِ الجَمـادِ[2]

يُنــازِعنَ الأعِنّــةَ مُصــغِياتٍ إذا نـادى إلـى الفَـزَعِ المُنـادي[3]

إذا قالــت لنـا النُّـذُرُ: اسـتَعِدُّوا تَوكَّلْنــا علــى ربِّ العِبــادِ

وقلنــا: لــن يُفـرِّجَ مـا لَقِينـا سوى ضربِ القَـوانِسِ والجِهادِ[4]

فلـم تَـرَ عُصْـبةً فـيمن لَقِينـا مـن الأقـوام مـن قـارٍ وبـادِ[5]

أشــدَّ بَســالةً منّــا إذا مــا أرَدْنــاه وألْــيَنَ في الــوِدادِ[6]

إذا مــا نحــنُ أشـرَجْنا عليهـا جيـادَ الجُـدْلِ في الأُرَبِ الشِّـدادِ[7]

قَـذَفْنا في السّـوابغِ كـلَّ صَـقرٍ كــريمٍ غيــرِ مُعتلِـثِ الزِّنـادِ[8]

= في جريها، يقال: دفَّ الطائرُ، إذا حرَّك جناحيه ليطير. وصفراء الجراد: الجراد التي ألقت بيضها، وهي أخفُّ طيراناً.

(١) المقلَّص: الفرس الطويل القوائم المنضمّ البطن. والآراب: الأعضاء والأطراف. والنَّهد: الغليظ. والهادي: العُنق، يريد أنه تامّ الخلق من مقدَّمه ومؤخَّره.

(٢) السَّنة الجماد: سنة القحط.

(٣) الأعنّة: جمع عِنان، وهو لجام الفرس. ومصغيات: مستمعات.

(٤) القوانس: جمع قَونَس، وهي الحديدة في أعلى الخُوذَة التي يلبسها المحارب على رأسه.

(٥) القارِي: من كان من أهل القُرى. والبادي: من كان من أهل البادية.

(٦) البسالة: الشدة والشجاعة.

(٧) أشرجنا: ربطنا. والجُدْل: جمع جَدْلاء، وهي الدرع المحكمة النَّسج.

والأُرَب: جمع أُرْبة، وهي العقدة الشديدة. وهي في (ت) و(ص) و(ط) و(ف) و(م): الأُزَب، بالزاي، جمع أَزْبة، وهي الشدة والقَحط. وقُيِّدت في (ش١) بالراء والزاي معاً.

(٨) السوابغ: الدروع الطويلة الوافية.

وقوله: غير معتلِث الزِّناد، يعني: ليس بفاسد الأصل والنسب، وهو مجاز من قولهم: اعتَلَث =

أَشَمَّ كأنّه أَسدٌ عَبُوسٌ غَداةَ نَدَّى ببَطنِ الجِزْعِ غادِ[1]
يُغشِّي هامةَ البطلِ المُذكِّي صَبِيَّ السّيفِ مُسترْخي النِّجادِ[2]
لنُظهِرَ دينَك اللّهمَّ إنّا بكَفِّكَ فاهْدِنا سُبُلَ الرَّشادِ

قال ابن هشام: بيتُه: قَصَرْنا كلَّ ذي حُضرٍ وطَولٍ، والبيتُ الذي يتلوه، والبيتُ الثّالثُ منه، والبيتُ الرّابعُ منه، وبيتُه: أَشَمَّ كأنّه أسدٌ عبوسٌ، والبيتُ الذي يتلوه؛ عن أبي زيدٍ الأنصاريِّ.

قال ابن إسحاق: وقال مُسافِعُ بن عبد مَنَاف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَحَ، يبكي عمرَو بن عبد وَدٍّ ويذكرُ قتلَ عليِّ بن أبي طالبٍ إيّاه:

عمرُو بن عبدٍ كان أوّلَ فارسٍ جَزَعَ المَذادَ وكان فارسَ يَلْيَلِ[3]

= الرجل زَنْداً، أخذه من شجر لا يدري أيُوقد أم لا، والزَّند: هو العود الذي تُقدَح به النار.

(١) الأشمّ: العزيز، وأصله من الشَّمَم: وهو ارتفاع قصبة الأنف.

ندَّى: هكذا هو في نسخنا الخطية غير (ش١) و(غ) ففيهما: بَدَا، بمعنى: ظهر، وأما بالنون فقال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٢٠: من رواه بالنون فهو من النَّديّ: وهو المَجلِس. قلنا: وهذا المعنى غير واضح هنا، والصواب أنه من النَّدَى: وهو ارتفاع الصوت، يريد: كالأسد يزأر وهو يروح ويجيء في واديه.

والجِزْع: جانب الوادي وما انعطف منه.

(٢) يغشِّي هامةَ البطل، أي: يضرب رأسه. والمذكّي: الذي بلغ الغاية في القوة والشجاعة. وصبيُّ السيف: وسطه الحادّ. والنِّجاد: حمائل السيف، ومسترخيها: طويلها.

(٣) جَزَع: قطع. والمَذاد: موضع بقرب الخندق.

ويَلْيَل: موضع يعرف اليوم بوادي بدر، ولم يعد يعرف اسم يَليَل، وإنما نسبه هنا إلى هذا الوادي، لأن عمرو بن عبد ودٍّ فيما يبدو قاتل المسلمين في يوم بدرٍ فيه قتالاً شديداً حتى كثرت فيه الجِراح ذلك اليوم.

سَمْحُ الخلائقِ ماجدٌ ذو مِرّةٍ ... يَبْغي القتالَ بشِكّةٍ لم يَنكُلِ[1]

ولقد عَلِمتُم حين وَلَّوْا عنكم ... أنَّ ابنَ عبدٍ فيهم لم يَعجَلِ

حتّى تَكنَّفَه الكُماةُ وكلُّهمْ ... يَبْغي مَقاتِلَه وليس بمُؤتَلِ[2]

ولقد تَكنّفتِ الأَسِنّةُ فارساً ... بجُنوبِ سَلْعٍ غيرَ نِكْسٍ أميَلِ[3]

يَسَلُ النِّزالَ عليٌّ فارسَ غالبٍ ... بجُنوبِ سَلْعٍ لَيتَهُ لم يَنزِلِ

فاذهَبْ عليُّ فما ظَفِرتَ بمِثلِه ... فخراً ولا لاقَيتَ مِثلَ المُعضِلِ[4]

نَفْسي الفِداءُ لفارسٍ من غالبٍ ... لاقَى حِمامَ الموتِ لم يَتحَلحَلِ[5]

أَعني الذي جَزَعَ المَذادَ بمُهرِه ... طَلَباً لثأرِ مَعاشرٍ لم يَخذُلِ

وقال مسافعٌ أيضاً يُؤنِّبُ فرسانَ عمرٍو الّذين كانوا معه فأَجلَوْا عنه وتركوه:

عمرُو بن عبدٍ والجيادُ يقودُها ... خيلٌ تُقادُ له وخيلٌ تُنعَلُ[6]

أجلَتْ فوارسُه وغادَرَ رَهطُه ... رُكْناً عظيماً كان فيها أوّلُ[7]

عَجَباً وإن أعجَبْ فقد أبصَرتُه ... مَهْما تَسُومُ عليٌّ عَمراً يَنزِلُ[8]

---

(١) المِرّة: الشدة والقوة. والشِّكّة: السلاح. ولم ينكل: لم يرجع من هيبة ولا خوف.

(٢) تكنَّفه: أحاط به. والكُماة: الشجعان. وليس بمؤتلي: ليس بمقصِّر.

(٣) بجُنوب، أي: بنواحيه. وسَلْع: جبل معروف بالمدينة. والنِّكس: الضعيف من الرجال. والأميَل: الذي لا رمح معه، وقيل: الذي لا ترس معه.

(٤) المُعضِل، أي: الشديد البأس الذي لا يعرف كيف التخلّص منه.

(٥) لم يتحلحل، أي: لم يبرح من مكانه.

(٦) تُنعَل: تُلبَس النعال من الحديد لتقوى.

(٧) أجلت: تفرَّقت وولَّت وفرَّت.

(٨) تسوم، أي: تطلبه للنِّزال وتكلّفه إياه.

لا تَبعَدَنَّ فقد أُصِبتُ بقتلِه ... ولَقِيتُ قبلَ الموتِ أمراً يَثقُلُ
وهُبَيرةُ المسلوبُ وَلَّى مُدبِراً ... عند القتالِ مَخافةً أنْ يُقتَلوا
وضِرارُ كانَ البأسُ منه مُحضَراً ... وَلَّى كما ولَّى اللّئيمُ الأعزَلُ[1]

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها له. وقولُه: عَمراً يَنزِلُ، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال هُبَيرةُ بن أبي وهبٍ يعتذرُ من فِرَارِه ويبكي عَمراً، ويذكرُ قتلَ عليٍّ إيّاه:

لَعَمْري ما وَلّيتُ ظَهْري محمّداً ... وأصحابَه جُبناً ولا خِيفةَ القتلِ
ولكنّني قَلَّبتُ أَمري فلم أجِدْ ... لسيفي غَناءً إن ضَرَبتُ ولا نَبْلي
وَقَفتُ فلمّا لم أجِدْ لي مُقدَّماً ... صَدَدتُ كضِرْغامٍ هِزَبرٍ أبي شِبْلِ[2]
ثَنَى عِطْفَه عن قِرْنِه حين لم يَجِدْ ... مَكَرّاً وقِدْماً كان ذلك من فِعْلي[3]
فلا تَبعَدَنْ يا عمرُو حيّاً وهالكاً ... وحُقَّ لحُسنِ المَدحِ مِثلُك من مِثْلي
ولا تَبعَدَنْ يا عمرُو حيّاً وهالكاً ... فقد بِنْتَ محمودَ الثَّنا ماجدَ الأصلِ[4]

---

(١) ضرار: هو ابن الخطّاب بن مِرداس الفِهري، ممن حضر الخندق مشركاً، وأسلم في فتح مكة. والأعزل: الذي لا سلاح معه.

(٢) الضِّرغام: الأسد. والهِزَبر: الشديد. والشِّبل: ولد الأسد.

(٣) العِطْف: الجانب. والقِرْن: المكافئ في الشجاعة والإقدام.

(٤) الثَّنا: الذِّكر الطيّب، وفي نسخة في حاشية (ش١): النَّثا، وهو كذلك في (ش٢) وجاء في حاشيتها: النَّثا بتقديم النون مقصوراً يكون في الخير والشر، والثناء بتأخيرها ممدوداً يكون في الخير لا غير، والله أعلم. اهـ

وماجد الأصل، أي: شريف النسب.

فمَـن لطِـرَادِ الخيـلِ تُقـدَعُ بالقَنـا ... وللفَخـرِ يومـاً عنـد قَرقَـرةِ البُـزْلِ[1]

هنالـكَ لـو كـان ابـنُ عبدٍ لَزارَها ... وفَرَّجَها حقّاً فتًى غيـرُ ما وَغْـلِ[2]

فعنـكَ علـيٌّ لا أَرَى مِثْـلَ مَوقِـفٍ ... وَقَفتَ على نَجْدِ المُقـدَّمِ كالفَحـلِ[3]

فمـا ظَفِـرَت كَفّـاكَ فخـراً بمِثلِـه ... أَمِنتَ به ما عِشتَ من زَلّـةِ النَّعـلِ[4]

وقال هُبَيرةُ بن أبي وهبٍ يبكي عمرَو بن عبد وَدٍّ ويذكرُ قتلَ عليٍّ إيّاه:

لقد عَلِمَتْ عُلْيا لُؤَيِّ بن غالبٍ ... لَفارسُها عمـرٌو إذا نـابَ نائـبُ

لَفارسُـها عمـرٌو إذا مـا يَسُـومُه ... علـيٌّ وأنّ اللَّيـثَ لا بُـدَّ طالـبُ[5]

عَشـيَّةَ يـدعوهُ علـيٌّ وإنَّـه ... لَفارسُـها إذْ خـامَ عنـه الكتائـبُ[6]

فيـا لَهْـفَ نفسي إنّ عَمـراً تَرَكتُـه ... بيَثرِبَ لا زالت هنـاكَ المصـائبُ[7]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ يفتخرُ بقتل عمرو بن عبد ودٍّ:

بَقيّـتُكم عمـرٌو أبَحْنـاهُ بالقَنـا ... بيَثـرِبَ نَحْمـي والحُمـاةُ قليـلُ

---

(١) تُقدَع بالقنا، أي: تُكَفّ وتُدفَع بالرماح. والقَرقَرة: من أصوات فحول الإبل البُزْل: وهي القوية الشديدة، وضربه مثلاً للمفاخرين إذا رفعوا أصواتهم بالفخر.

(٢) الوَغْل: الفاسد من الرجال.

(٣) عنكَ: اسم فعل أمرٍ بمعنى: تباعَدْ. والنَّجد: الشجاع، ونجدُ المقدَّم: شجاع مِقدام غير هيّاب.

(٤) أراد بالنعل القَدَم، وزلّة النعل كناية عن الخطأ والعَيْب.

(٥) يسومه، أي: يطلبه للنِّزال ويكلِّفه إياه.

(٦) خام عنه الكتائب، أي: جَبُنت ورجعت. وفي (ت) و(م): حامَ، بحاء مهملة، من الحِماية، أي: احتمت وامتنعت منه الكتائب، انظر «إملاء الخشنيّ» ص١٨٧.

(٧) يا لهف نفسي، أي: يا حُزنها ويا حسرتها.

ونحــنُ قَتَلنــاكمْ بكــلِّ مُهنَّــدٍ ... ونحنُ وُلاةُ الحربِ حينَ نَصُولُ

ونحـنُ قَتَلنـاكمْ ببـدرٍ فأصبَحَت ... مَعاشـرُكم في الهـالِكينَ تَجُـولُ

قال ابن هشام: وبعضُ أهلِ العلم بالشِّعر يُنكِرُها لحسّان.

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً في شأن عمرٍو[1]:

أَمسى الفتى عمرُو بن عبدٍ يَبتَغي ... بجُنـوبِ يَثـرِبَ ثـأرَه لـم يُنظَـرِ[2]

فلقـد وجـدتَ سـيوفَنا مشـهورةً ... ولقـد وجـدتَ جيادَنـا لـم تُقصَـرِ[3]

ولقـد لَقِيـتَ غَـداةَ بـدرٍ عُصْبـةً ... ضربوكَ ضرباً غيرَ ضـربِ الحُسَّـرِ[4]

أصـبحتَ لا تُـدعَى ليـومِ عظيمـةٍ ... يـا عمـرُو أو لجَسـيمِ أمـرٍ مُنكَـرِ[5]

قال ابن هشام: وبعضُ أهلِ العلم بالشِّعر يُنكِرُها لحسّان.

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً[6]:

ألا أبلِــغْ أبــا هِــدْمٍ رســولاً ... مُغَلغَلــةً تَخُــبُّ بهــا المَطِــيُّ[7]

---

(١) انظر «ديوان حسان» ١/ ٢٠٩.

(٢) جُنوب يثرب، أي: نواحيها. ولم يُنظَر: لم يُمهَل ولم يؤخَّر.

(٣) لم تُقصَر: لم تُكَف عن الحرب.

(٤) الحُسَّر، هكذا بالحاء في (ت) و(ش١) و(ش٢) و(ق٢) ـ وهي كذلك في رواية محمد بن حبيب لديوان حسّان ـ: جمع حاسر، وهو الذي لا دِرعَ له، وفي (ش١) و(ص) و(ط) و(غ) و(ف) و(م) و(ي): الخُسَّر، بالخاء، وهو جمع خاسرٍ من الخُسران، وهو الهلاك. ويروى: الخُشَّر، بالخاء والشين، وهم الضعفاء من الناس. قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٢٢.

(٥) الأمر الجسيم: الأمر المهم العظيم.

(٦) لم يروها لحسّان غير ابن إسحاق.

(٧) المُغَلغَلة: الرسالة تحمل من بلد إلى بلد. وتخبّ: تُسرِع.

أكنتُ وليَّكم في كلِّ كُرهٍ   وغيريَ في الرَّخاءِ هو الوليُّ
ومنكمْ شاهدٌ ولقد رآني   رُفِعتُ له كما احتُمِلَ الصّبيُّ

قال ابن هشام: تُروَى هذه الأبيات لربيعة بن أُميّة الدِّيلِيّ[1]، ويُروَى فيها آخرُها:

كَبَبتُ الخَزرَجيَّ على يدَيهِ   وكان شِفاءَ نفسي الخَزرَجيُّ

وتُروَى أيضاً لأبي أُسامة الجُشَميّ.

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً في يوم بني قُرَيظة يبكي سعدَ بن معاذٍ ويذكرُ حُكمَه فيهم[2]:

لقد سَجَمَت من دمعِ عينيَ عَبْرةٌ   وحُقَّ لعَيْنِي أن تَفِيضَ على سعدِ[3]
قتيلٌ ثَوَى في مَعرَكٍ فُجِعَت بهِ   عيونٌ ذَوارِي الدَّمعِ دائمةُ الوَجْدِ[4]

---

(١) ونسبه إلى ربيعة أيضاً البلاذُريُّ في «أنساب الأشراف» ١١/ ١٠٧، لكنه لم يذكر سوى البيت الأول، وزعم أنه هو الذي قتل كعبَ بن زيد الأنصاري الخزرجي يوم الخندق، وأن كعباً كان قد قتل عمرو بن الحضرميّ يوم بدرٍ، وأن عمراً هو أبو هِدْم المذكور في البيت، وهذا مخالف لما ذكره الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٤٩٦ وصاحبُه ابن سعد في «طبقاته» ٣/ ٤٨٢ من أن قاتل كعب بن زيد يوم الخندق هو ضرار بن الخطاب الفِهْري، وقد تقدَّم ٢/ ٢٩٢: أن عمرو بن الحضرمي قُتِل في سريّة عبد الله بن جحش قبل بدرٍ وأن قاتله هو واقد بن عبد الله التميمي، كما تقدم ٢/ ٤٣٩: أن المقتول يوم بدرٍ هو عامر بن الحضرميِّ أخو عمرو، قتله عمارُ بن ياسر.

وربيعةُ هذا لم نقف له على ذكرٍ في شيء من كتب السِّيَر والتراجم في غير هذا الموضع، وكذا أبو أسامة الجُشميّ الآتي ذكره، غير ما ذكره أبو نعيم في «معرفة الصحابة» ٣/ ١٢٢٧ من أن أبا أسامة هذا اسمه زهير بن معاوية وأنه شهد الخندق، وقد انفرد بذلك، والله تعالى أعلم.

(٢) انظر «ديوان حسان» ١/ ٤١٥.

(٣) سَجَمَت: سالت. والعَبْرة: الدمعة.

(٤) ثَوَى: أقام. والمَعرَك: موضع القتال. وذواري الدمع: سائلة الدمع. والوجد: الحزن.

عَلى مِلَّةِ الرَّحمنِ وارثِ جَنَّةٍ ... مَعَ الشُّهداءِ وَفْدُها أكرمُ الوَفدِ
فإنْ تَكُ قد وَدَّعتَنا وتَركتَنا ... وأمسَيتَ في غَبْراءَ مُظْلمةِ اللَّحدِ[1]
فأنتَ الّذي يا سعدُ أُبْتَ بمَشهَدٍ ... كريمٍ وأثوابِ المَكارمِ والحمدِ[2]
بحُكمِكَ في حيَّيْ قُرَيظةَ بالّذي ... قَضَى اللهُ فيهم ما قَضيتَ على عَمْدِ
فوافَقَ حُكمَ الله حُكمُكَ فيهمِ ... ولم تَعْفُ إذ ذُكِّرتَ ما كان من عهدِ
فإن كان رَيْبُ الدّهرِ أمضاكَ في الأُلَى ... شَرَوْا هذه الدّنيا بجَنّاتِها الخُلْدِ[3]
فنِعمَ مَصيرُ الصّادقِينَ إذا دُعُوا ... إلى الله يوماً للوَجَاهةِ والقَصْدِ[4]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً يبكي سعدَ بن معاذٍ ورجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ من الشُّهداء، ويذكرُهم بما كان فيهم من الخير[5]:

ألا يا لَقومٍ هل لِمَا حُمَّ دافعُ ... وهل ما مضى من صالحِ العَيشِ راجعُ[6]
تذكَّرتُ عَصراً قد مضى فتهافَتَتْ ... بَناتُ الحَشَا وانهَلَّ منّي المَدامعُ[7]
صَبَابةَ وَجْدٍ ذَكّرَتني أُخوّةً ... وقَتلَى مضى فيها طُفَيلٌ ورافعُ[8]

---

(١) الغبراء: الأرض. واللحد: ما يُشَقُّ للميت في جانب القبر.

(٢) أُبتَ، أي: رجعتَ.

(٣) رَيب الدهر: صروفه وحوادثه. والأُلَى: الّذين. وشَرَوا، أي: باعُوا.

(٤) الوجاهة: العزّ والحظوة. والقَصد: العدل.

(٥) انظر «ديوانه» ١/ ٢٦٧.

(٦) حُمَّ، أي: قُدِّر.

(٧) تهافتت، أي: سقطت بسرعة. وبنات الحشا: القلبُ والكبدُ ونحوهما، يريد أنه أصابه الهمُّ والحزن. وانهلّ: سال وانصبّ.

(٨) الصَّبابة: رِقّة الشوق. والوَجْد: الحزن والشَّوق. وطفيل: هو طفيل بن النعمان =

وسعدٌ فأَضحَوْا في الجِنانِ وأَوحَشَت ... منازِلُهم فالأرضُ منهم بَلاقِعُ[1]

وَفَوْا يومَ بدرٍ للرّسولِ وفوقَهمْ ... ظِلالُ المَنايا والسّيوفُ اللَّوامعُ

دعا فأَجابوه بحَقٍّ وكلُّهمْ ... مطيعٌ له في كلِّ أمرٍ وسامعُ

فما نَكَلُوا حتّى تَوَالَوْا[2] جماعةً ... ولا يَقطَعُ الآجالَ إلّا المَصارعُ

لأنَّهمُ يَرجُونَ منه شفاعةً ... إذا لم يكن إلّا النبيِّينَ شافعُ

فذلك يا خيرَ العِبادِ بَلاؤُنا ... إجابَتُنا لله والموتُ ناقعُ[3]

لنا القَدَمُ الأُولَى إليكَ وخَلْفُنا ... لأوَّلِنا في مِلَّةِ الله تابعُ[4]

ونعلمُ أنّ المُلكَ لله وحدَه ... وأنَّ قَضاءَ الله لا بُدَّ واقعُ

وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً في يوم بني قُرَيظة[5]:

لقد لَقِيَت قُرَيظةُ ما سَآها ... وما وَجَدَت لذُلٍّ من نَصيرِ[6]

= الأنصاري، وقد تقدم ص٣١٣ ذكره فيمن استُشهِد يوم الخندق، أما رافعٌ: فلعلّه رافع بن مالك بن العجلان الأنصاري، وهو أحد النقباء الاثني عشر يوم بيعة العقبة، فقد ذكر ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٥٧٣ أنه استُشهِد يوم أُحد، وأما ابن إسحاق فلم يذكره في الشهداء يومئذٍ!

(١) بلاقع: قِفار خالية.

(٢) هكذا في (ش١) و(ش٢) و(ق٢) و(م) و(ي)؛ أي: تتابعوا، بعضهم يتبع بعضاً. وفي (ت) و(ص) و(ط) و(غ) و(ف): تولَّوا؛ أي: أدبروا وذهبوا.

ومعنى نَكَلوا: رجعوا هائبين. والمَصارع: المواضع التي يُصرَعون فيها، أي: يُقتلون فيها.

(٣) بلاؤنا: اختبارنا. وناقع، أي: دائم.

(٤) القدم الأُولى، أي: السَّبق إلى الإسلام. وخَلْفُنا، أي: آخرنا وذرِّيّاتنا.

(٥) انظر «ديوانه» ١/ ٣٢٨.

(٦) قوله: ما سآها، يريد: ما ساءَها، فقَلَب، والعرب تفعل ذلك في بعض الأفعال، مثل قولهم: رأَى وراءَ، بمعنى واحدٍ على جهة القلب، انظر «الكتاب» لسيبويه ٣/ ٤٦٧.

أصـــابَهمُ بَــلاءٌ كــان فيــهِ ... سوى ما قد أصابَ بني النَّضيرِ

غَــداةَ أتــاهمُ يَهْــوي إلــيهمْ ... رســولُ الله كــالقمرِ المُنيــرِ

لــه خيــلٌ مُجنَّبَــةٌ تَعــادَى ... بفُرســانٍ عليهــا كالصُّــقورِ[1]

تَركنــاهمْ ومــا ظَفِـروا بشــيءٍ ... دِمــاؤُهمُ علــيهم كــالعَبيرِ[2]

فهم صَرعَى تَحُومُ الطّيرُ فيهمْ ... كذلكَ دِينُ ذي العَنَدِ الفَخُورِ[3]

فأُنــذِرُ مِثلَهــا نُصــحاً قريشــاً ... من الرَّحمنِ إن قَبِلَت نَذيرِى[4]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ في بني قُرَيظة[5]:

لقـد لَقِيَـت قُرَيظـةُ مـا سَـآها ... وحَــلَّ بحِصْــنِها ذُلٌّ ذليــلُ

وســعدٌ كــان أنــذَرَهم بنُصحٍ ... بــأنَّ إلٰهَكــم ربٌّ جليــلُ

فما بَرِحوا بنَقْضِ العهدِ حتّى ... فَلَاهُــم في بلادِهــمُ الرَّســولُ[6]

---

(١) الخيل المجنَّبة: هي التي تُقاد في المسير إلى جانب الإبل ولا تُركَب. وتَعادَى: تجري وتسرع.

(٢) العبير هنا: الزعفران، وأراد التشبيه بلونه الذي يضرب إلى الحُمْرة.

(٣) هكذا في (ش٢) و(ص) و(ط) و(ف) و(م)، وفي (ت) و(ش١) و(غ) و(ق٢) و(ي) وكذا في «الديوان»: كذاك يُدانُ ذو العَنَد الفَخُور، وفي بعض النسخ: الفَجُور، بالجيم، وهو واضح، وأما الفَخُور: فالمتكبِّر. وتقييدُ الراء بالكسر على ما في هذه النسخ الأخيرة للمجاوَرة، وقُيِّدت في بعضها بالرفع، وهو إقواءٌ في القافية.

ومعنى تَحُوم: تجتمع حولهم محلّقة. والدِّين هنا: الجزاء، ويُدان: يجازى. والعَنَد: الخروج عن الحقّ، ووقع في المطبوع من «الديوان»: الفَنَد؛ والفَنَد: الكذب والخطأ في الرأي.

(٤) النذير: الإنذار.

(٥) «الديوان» ١/ ٣٢٧.

(٦) فَلَاهم: قتلهم بالسيوف.

أحـاطَ بحِصـنِهم منّـا صـفوفٌ ... لـه مـن حَـرِّ وَقْعـتِهم صَـليلُ [1]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً في يوم بني قُرَيظة [2]:

تَفاقَـدَ مَعشَـرٌ نَصَـروا قريشـاً ... ولـيس لهـمْ ببَلـدَتِهم نَصـيرُ [3]

هـمُ أُوتـوا الكتـابَ فضَـيَّعوهُ ... وهـمْ عُمـيٌ مـن التّـوراة بُـورُ [4]

كَفَـرتُم بـالقُرَانِ وقـد أُتِيـتُم ... بتصـديقِ الّـذي قـال النّـذيرُ

فهـانَ علـى سَـرَاةِ بنـي لُـؤَيٍّ ... حريـقٌ بـالبُوَيرةِ مُسـتَطيرُ [5]

فأجابه أبو سفيانَ بن الحارث بن عبد المُطَّلِب فقال:

---

(١) الصَّليل: الصوت كصليل الفَخّار.

(٢) «الديوان» ١/ ٢١٠.

(٣) تفاقد معشرٌ: فَقَدَ بعضهم بعضاً، وهو دعاءٌ عليهم.

(٤) الكتاب، أي: التوراة. وبُورٌ: ضُلّال، أو هَلْكى.

(٥) سَرَاة القوم: سادتهم. والمستطير: المنتشر.

والبُوَيرة: موضع منازل بني النَّضير، وذكرهم حسان في شعره هنا استطراداً، وأخطأ الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٢٤ فنسب البويرة إلى بني قريظة، وتحريق النخل إنما وقع يوم بني النضير وليس بني قريظة، وقد وقع التصريح بنسبتها إلى بني النضير في حديث ابن عمر عند البخاري (٢٣٢٦) و(٤٠٣٢) ومسلم (١٧٤٦)، وفي شعر جبل بن جوّال الآتي لاحقاً ما يشير أيضاً إلى أنها منازل بني النضير، فقد نَسَبَ إليها سلامَ بن أبي الحُقيق وحُييَّ بن أخطبَ، وهما من سادة بني النضير.

وحسانُ رضي الله عنه بهذا الشِّعر يعيّر قريشاً، وهم المرادون بقوله: سراة بني لؤيٍّ، وذلك أن قريشاً كانوا يُظاهِرون كلَّ من عادى النبيَّ ﷺ عليه ويَعِدُونهم النصر والمساعدة، فلما وقع لبني النضير من الخِذْلان ما وقع، قال حسان الأبيات المذكورة موبِّخاً لقريش كيف خذلوا أصحابهم. قاله ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ١١٧-١١٨.

أدامَ الله ذلــك مــن صَـنيعٍ ... وحَـرَّقَ في طَرائقِهـا السَّـعيرُ[1]

ســتعلمُ أيُّنـا منهـا بنُــزْهٍ ... وتعلــمُ أيَّ أرضَـيْنا تَضِــيرُ[2]

فلـو كـان النّخيـلُ بهـا رِكابـاً ... لقـالوا: لا مُقـامَ لكـم فسِـيرُوا

وأجابه جَبَلُ بن جَوّال الثّعلَبيُّ أيضاً، وبكى النّضيرَ وقُرَيظةَ، فقال:

ألا يـا سـعدُ سـعدَ بنـي معـاذٍ ... لِمَـا لَقِيَـت قُرَيظـةُ والنّضـيرُ

لَعَمـرُكَ إنَّ سـعدَ بنـي معـاذٍ ... غَـداةَ تَحمَّلـوا لَهُـوَ الصَّـبورُ

فأمّـا الخَزرَجيُّ أبـو حُبـابٍ[3] ... فقـال لقَينُقـاعٍ: لا تَسِـيروا

وبُـدِّلَت المَـوَالي مـن حُضَـيرٍ ... أُسَـيداً والـدّوائرُ قـد تَـدُورُ[4]

وأقفَـرَت البُـوَيرةُ مـن سَـلَامٍ ... وسَعْيةَ وابنِ أخطَبَ فهْيَ بُورُ[5]

---

(١) الطرائق: النواحي. والسعير: النار المشتعلة.

(٢) النُّزه: البُعد، وتضير: تضرّ، وذلك لأن أرض بني النضير مجاورة لأرض الأنصار، فإذا خَرِبَت أضرَّت بما جاورها، بخلاف أرض قريش، فإنها بعيدة منها بعداً شديداً فلا يبالى بخرابها. قاله ابن حجر في «الفتح» ١٢/ ١١٩.

(٣) هو عبد الله بن أُبيِّ ابنِ سَلُول، وكانت بنو قينقاع حلفاءَ له.

(٤) الموالي، أي: الحلفاء.

وقوله: من حُضيرٍ أُسيداً، يعني أُسيدَ بنَ حضيرٍ، وهو من سادات الأوس، وكانت بنو قريظة حلفاءَهم قبل الإسلام، وأُسيداً منصوب بفعل مقدَّر، يمكن تقديره بأَعني؛ يريد أن أُسيداً قد تخلَّى عن مواليه القدماء من قريظة واستبدل بهم آخرين، ويعني بهم المسلمين.

وقد سقط هنا أبو ذرٍّ الخشنيُّ رحمه الله في بيانه لحُضير وأُسيد سقطة شنيعة، فقال في «إملائه» ص٣٢٥: حضير هنا قبيلة، وأُسيد قبيلة أيضاً! قلنا: ولا يُعرَف في قبائل العرب ـ فيما وقفنا عليه ـ شيءٌ من ذلك.

(٥) بُور، أي: هالكة خالية من أهلها.

وقـد كـانوا ببَلْـدَتِهم ثِقـالاً　　كما ثَقُلَت بمَيْطانَ الصّخورُ[1]

فإن يَهلِكْ أبو حَكَمٍ سَلَامٌ　　فلا رَثُّ السلاحِ ولا دَثُورُ[2]

وكلُّ الكاهنَينِ وكان فيهم　　مع اللِّينِ الخَضارِمَةُ الصُّقورُ[3]

وَجَدْنا المجدَ قد ثَبَتُوا عليه　　بمَجدٍ لا تُغيِّبُه البُدورُ[4]

أَقيموا يا سَراةَ الأوسِ فيها　　كأنّكمُ من المَخْزاةِ عُورُ[5]

تَرَكتُم قِدْرَكم لا شيءَ فيها　　وقِدرُ القومِ حاميةٌ تَفُورُ[6]

قال ابن إسحاق: ولمّا انقَضَى شأنُ الخندق وأمرُ بني قُرَيظة، وكان سَلَامُ بن أبي الحُقَيق ـ وهو أبو رافعٍ ـ فيمن حَزَّبَ الأحزابَ على رسول الله ﷺ، وكانت الأوسُ قبلَ أُحدٍ قد قَتَلَت كعبَ بن الأشرَفِ في عداوتِه لرسول الله ﷺ وتحريضِه عليه، استأذَنَت الخَزرَجُ رسولَ الله ﷺ في قتلِ سَلَام بن أبي الحُقَيقِ وهو بخَيبَر، فأَذِنَ لهم.

مقتلُ سَلَام بن أبي الحُقَيق

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّد بن مُسلِم بن شِهابٍ الزُّهْريّ، عن عبد الله بن

---

(١) ميطان: جبل شرقيّ بني قريظة، ويعرف أيضاً بجبل الأغوات، جنوب شرقيّ المدينة على بعد ٣٥ كم تقريباً.

(٢) الرَّث: الخَلَق البالي. والدَّثور: الدارس المتغيّر.

(٣) الكاهنان: هما قريظة والنَّضير. والخضارمة: الأجواد الكرماء، الواحد: خِضْرم.

(٤) البُدور: الشُّهور والدُّهور، لأن البَدْر ـ وهو القمر ـ يتكرر فيها.

(٥) عُور: جمع أَعور.

(٦) أي: حارّة تَغْلي، يريد عزّةَ جانبهم وشدّةَ شوكتهم وحميّتهم. قاله ابن الأثير في «النهاية» (حما).

كعب بن مالكٍ قال: وكان ممّا صَنَعَ اللهُ به لرسوله ﷺ أنّ هذَينِ الحيَّينِ من الأنصار، الأوسَ والخَزرَجَ، كانا يَتَصاوَلانِ[1] مع رسول الله ﷺ تَصاوُلَ الفَحلَينِ، لا تَصنَعُ الأوسُ شيئاً فيه عن رسول الله ﷺ غَناءٌ[2] إلّا قالت الخَزرَجُ: والله لا تذهبون بهذه فَضْلاً علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام. قال: فلا يَنتَهُون حتّى يُوقِعوا مِثلَها، وإذا فعلت الخَزرَجُ شيئاً قالت الأوسُ مِثلَ ذلك.

ولمّا أصابَت الأوسُ كعبَ بن الأشرَفِ في عداوتِه لرسول الله ﷺ قالت الخَزرَجُ: والله لا تذهبون بها فَضْلاً علينا أبداً، قال: فتَذاكَرُوا؛ مَن رجلٌ لرسول الله ﷺ في العداوةِ كابنِ الأشرَف! فذكروا ابنَ أبي الحُقَيق، وهو بخَيبَر، فاستأذَنُوا رسولَ الله ﷺ في قتلِه فأَذِنَ لهم، فخرج إليه من الخَزرَجِ من بني سَلِمةَ خمسةُ نَفَرٍ: عبدُ الله بن عَتيكٍ، ومسعودُ بن سِنانٍ، وعبدُ الله بن أُنَيسٍ، وأبو قَتَادة الحارثُ بن رِبْعيٍّ، وخُزاعيُّ ابن أسوَدَ حَليفٌ لهم من أسلَم، فخرجوا، وأمَّرَ عليهم رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بن عَتيكٍ، ونَهاهُم عن أن يَقتُلوا وَلِيداً أو امرأةً.

فخرجوا، حتّى إذا قَدِموا خيبرَ أتَوْا دارَ ابن أبي الحُقَيق ليلاً، فلم يَدَعُوا بيتاً في الدّار إلّا أغلَقُوه على أهلِه. قال: وكان في عِلِّيّةٍ له إليها عَجَلةٌ[3]، قال: فأَسنَدوا فيها[4] حتّى قاموا على بابه فاستأذَنُوا عليه، فخرجت إليهم امرأتُه فقالت: مَن أنتم؟

---

(١) يتصاولان، أي: يتفاخران، إذا فعل أحدهما شيئاً فعل الآخر مثله، من قولهم: تصاوَلَ الفحلانِ، إذا حَمَلَ هذا على هذا، وهذا على هذا.

(٢) أي: منفعةٌ ودفعٌ عنه.

(٣) قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٢٦: العجلة هنا: جِذْع النخلة يُنقَر في مواضع منه ويُجعَل كالسُّلَّم فيُصعَد عليه إلى العلالي والغرف.

(٤) أسندوا فيها، أي: عَلَوْا.

قالوا: ناسٌ من العرب نَلتَمِسُ المِيرةَ[١]، قالت: ذاكم صاحبُكم فادخُلُوا عليه، قال: فلمّا دَخَلْنا[٢] عليه أغلَقْنا علينا وعليها الحُجْرةَ تخوُّفاً أن تكون دونَه مُجاوَلةٌ[٣] تَحُولُ بيننا وبينه، قال: فصاحت امرأتُه فنَوَّهَت بنا[٤]، وابتَدَرْناه وهو على فراشِه بأسيافنا، والله ما يَدُلُّنا عليه في سواد اللّيل إلّا بياضُه كأنّه قُبْطيَّةٌ[٥] مُلْقاةٌ.

قال: ولمّا صاحت بنا امرأتُه، جَعَلَ الرّجلُ منّا يَرفَعُ عليها سيفَه ثمّ يذكرُ نهيَ رسول الله ﷺ فيَكُفُّ يدَه، ولولا ذلك لفَرَغْنا منها بليلٍ.

قال: فلمّا ضربناه بأسيافِنا، تحامَلَ عليه عبدُ الله بن أُنَيسٍ بسيفه في بطنِه حتّى أنفَذَه، وهو يقول: قَطْني قَطْني، أي: حَسْبي حَسْبي. قال: وخرجنا، وكان عبدُ الله ابن عَتيكٍ رجلاً سيّئَ البصر، قال: فوَقَعَ من الدَّرجة فوُثِئَت[٦] يدُه وَثْأً شديداً - ويقال: رِجلُه، فيما قال ابن هشام - وحَمَلْناه حتّى نأتيَ به مَنهَراً[٧] من عُيونِهم فنَتدخَّلَ فيه. قال: فأَوقَدُوا النِّيرانَ واشتَدُّوا في كلِّ وجهٍ يَطلُبونَنا، قال: حتّى إذا يَئِسُوا رَجَعُوا إلى صاحبِهم فاكتَنَفوه وهو يَقْضي بينهم.

---

(١) المِيرة: الطعام ونحوه مما يُجلَب للبيع.

(٢) استخدام ضمائر المتكلم في هذا الخبر يدلُّ أن عبد الله بن كعب رواه عن أحد هؤلاء النفر الذين ذهبوا لقتل ابن أبي الحقيق، فيتصل بذلك الإسناد ويصحُّ، أما عبد الله بن كعب فمن كبار التابعين، وهو أكبر أولاد كعب بن مالك الأنصاريّ وبه كان يُكنى.

(٣) مجاوَلة، أي: حركة تكون بينهم وبينه.

(٤) نوَّهت بنا، أي: رفعت صوتها تُشهِرُ بنا.

(٥) القُبطية - بضم القاف وكسرها -: ضرب من الثياب البيض تُصنَع بمصر.

(٦) وُثِئَت: أصاب عظمَها شيءٌ ليس بكسر، وقيل: هو أن يصاب اللحم دون العظم.

(٧) المَنهَر: مدخل الماء من خارج الحصن إلى داخله.

قال: فقلنا: كيف لنا بأن نعلمَ بأنَّ عدوَّ الله قد مات؟ قال: فقال رجلٌ منّا: أنا أذهبُ فأنظُرُ لكم؛ فانطَلَقَ حتّى دخل في الناس. قال: فوَجَدتُها ورجالَ يهودَ حولَه وفي يدها المِصباحُ تَنظُرُ في وجهِه وتُحدِّثُهم وتقول: أمَا والله لقد سمعتُ صوتَ ابن عَتيكٍ ثمّ أكذَبتُ نفسي وقلتُ: أنَّى ابنُ عَتيكٍ بهذه البلاد؟! ثمّ أقبَلَت عليه تَنظُرُ في وجهِه ثمّ قالت: فاظَ[1] وإلٰهِ يهودَ، فما سمعتُ من كَلِمةٍ كانت ألَذَّ إلى نفسي منها.

قال: ثمّ جاءَنا فأخبرنا الخبرَ، فاحتَمَلْنا صاحبَنا فقَدِمْنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدوِّ الله، واختَلَفْنا عنده في قتلِه كلُّنا يَدَّعِيه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «هاتُوا أَسيافَكُم»، قال: فجِئْناه بها، فنَظَرَ إليها فقال لسيفِ عبد الله بن أُنَيسٍ: «هذا قَتَلَه، أَرَى فيه أثَرَ الطَّعامِ»[2].

فقال حسّانُ بن ثابتٍ، وهو يذكرُ قتلَ كعب بن الأشرَف وقتلَ سَلَام بن أبي الحُقَيق[3]:

---

(١) فاظ، أي: مات.

(٢) إسناده صحيح متصل إن كان عبد الله بن كعب سمعه من أحد النَّفر الذين خرجوا في هذه السَّرِيّة كما سبق تقريره، وإلّا فهو مرسلٌ رجاله ثقات.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٩٥-٤٩٧ من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، عن ابن إسحاق، به.

وروى خبر هذه السَّريّة أيضاً أبو إسحاق السَّبيعي عن البراء بن عازب عند البخاري (٤٠٣٩) و(٤٠٤٠) بسياق فيه بعض التغاير، فزاد في النفر رجلاً اسمه عبد الله بن عُتبة، وذكر فيه: أن عبد الله بن عَتيك انفرد بالدخول على ابن أبي الحُقيق وبقتله، وأصحاب المغازي كابن إسحاق وموسى بن عقبة والواقدي وابن سعد وغيرهم يذكرون خلاف ذلك: أن هؤلاء النفر اشتركوا في الدخول عليه وفي قتله، والله تعالى أعلم.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ٢١١.

للّٰـــــهِ دَرُّ عِصـــــابةٍ لاقَيــــتَهمْ   يا ابنَ الحُقَيقِ وأنتَ يا ابنَ الأشرفِ[١]

يَســرُونَ بـالبِيضِ الخِفـافِ إلـيكمُ   مَرَحـاً كأُسـدٍ في عَـرِينٍ مُغـرِفِ[٢]

حتّـى أتَـوكُم في مَحَـلِّ بلادِكـمْ   فسَـقَوكمُ حَتْفـاً ببِـيضٍ ذُفَّـفِ[٣]

مُستَبصـرِينَ لنَصـرِ ديـنِ نبـيِّهمْ   مُستَصـغِرينَ لكـلِّ أمـرٍ مُجحِـفِ[٤]

قال ابن هشام: قولُه: ذُفَّف، عن غير ابن إسحاق.

إسلام عمرو بن العاص

قال ابن إسحاق: حدّثني يزيدُ بن أبي حَبيبٍ، عن راشدٍ مولى حَبيب بن أبي أَوسٍ الثَّقَفيّ، عن حَبيب بن أبي أَوسٍ الثَّقَفيّ قال: حدّثني عمرُو بن العاصِ من فيهِ قال: لمّا انصَرَفْنا مع الأحزاب عن الخندق جَمَعتُ رجالاً من قريشٍ كانوا يَرَونَ رأيي، ويسمعون منّي، فقلت لهم: تَعلَّمُوا، واللهِ إنّي أرَى أمرَ محمّدٍ يَعلُو الأُمورَ عُلوّاً مُنكَراً، وإنّي قد رأيتُ أمراً، فما تَرَونَ فيه؟ قالوا: وماذا رأيتَ؟ قال: رأيتُ أن نَلحَقَ بالنَّجَاشيِّ فنكونَ عنده، فإن ظَهَرَ محمّدٌ على قومِنا، كنّا عند النَّجَاشيّ، فإنّا أن نكونَ تحت يَدَيهِ أحبُّ إلينا من أن نكونَ تحت يَدَيْ محمّد، وإن ظَهَرَ قومُنا، فنحنُ مَن قد عَرَفُوا، فلن يأتيَنا منهم إلّا خيرٌ، قالوا: إنَّ هذا لَرأيٌ، قلت: فاجمَعُوا ما نُهْديهِ له، وكان أحبَّ ما يُهدَى إليه من أرضِنا الأَدَمُ[٥]، فجَمَعْنا له أَدَماً كثيراً، ثمّ

(١) العصابة: الجماعة من الناس.

(٢) يَسْرون: من السُّرى، وهو السَّير في الليل. والبِيض الخِفاف: السيوف. ومرحاً: نشاطاً. والعرين: موضع الأسد. والمُغرِف: الأَجَمة، وهي الموضع الذي يكثر فيه الشجر كالغابة.

(٣) ذُفّف، أي: سريعة القتل.

(٤) المُجحف: الذي يذهب بالأموال والأنفس.

(٥) الأَدَم: الجِلد.

خرجنا حتّى قَدِمْنا عليه.

فوالله إنّا لَعِندَه إذ جاءَه عمرُو بن أُميّة الضَّمْريُّ، وكان رسولُ الله ﷺ قد بَعَثَه إليه في شأنِ جعفرٍ وأصحابه، قال: فدخل عليه ثمّ خرج من عندِه، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أُميّة الضَّمريّ، لو قد دخلتُ على النَّجَاشيِّ وسألتُه إيّاه فأعطانِيهِ فضربتُ عُنُقَه، فإذا فعلتُ ذلك رَأَتْ قريشٌ أنّي قد أجزأتُ عنها[1] حين قتلتُ رسولَ محمّد.

قال: فدخلتُ عليه فسَجَدتُ له كما كنتُ أصنَعُ، فقال: مَرحَباً بصَدِيقي، أأهدَيت إليَّ من بلادِك شيئاً؟ قال: قلت: نَعَم أيّها الملكُ، قد أهدَيتُ إليك أَدَماً كثيراً، قال: ثمّ قَرَّبتُه إليه، فأعجَبَه واشتَهاه، ثمّ قلت له: أيّها الملكُ، إنّي قد رأيتُ رجلاً خرج من عندِك، وهو رسولُ رجلٍ عدوٍّ لنا، فأعطِنيهِ لأقتُلَه، فإنّه قد أصابَ من أشرافِنا وخِيارِنا، قال: فغَضِبَ ثمّ مَدَّ يدَه فضَرَبَ بها أنفَه[2] ضربةً ظَنَنتُ أنّه قد كَسَرَه، فلو انشَقَّت لي الأرضُ لَدخلتُ فيها فَرَقاً منه[3]، ثمّ قلت له: أيّها الملكُ، والله لو ظَنَنتُ أنّك تَكرَهُ هذا ما سألتُكَه، قال: أتسألُني أن أُعطِيَك رسولَ رجلٍ يأتيه النّاموسُ الأكبر[4] الّذي كان يأتي موسى لتَقتُلَه؟! قال: قلت: أيّها الملكُ، أكَذاكَ هو؟ قال: وَيحَك يا عمرُو، أطِعْني واتّبِعْه، فإنّه والله لعلى الحقِّ، ولَيَظهَرَنَّ على مَن خالَفَه كما ظَهَرَ موسى على فِرْعَونَ وجنودِه، قال: قلت: أفتُبايِعُني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبَسَطَ يدَه فبايعتُه على الإسلام.

---

(١) أجزأت عنها: كفيتها.

(٢) أي: ضرب النجاشيُّ أنف نفسه.

(٣) أي: خوفاً منه.

(٤) الناموس في الأصل: هو صاحب سرِّ الرجل في خيره وشرِّه، فعبَّر عن الملَك الذي يجيئه بالوحي به.

ثمّ خرجتُ إلى أصحابي وقد حالَ رأيي[1] عمّا كان عليه، وكَتَمتُ أصحابي إسلامي.

ثمّ خرجتُ عامداً إلى رسول الله ﷺ لأُسلِمَ، فلَقِيتُ خالدَ بن الوليد ـ وذلك قُبَيلَ الفتح[2] ـ وهو مُقبِلٌ من مكّة، فقلت: أين يا أبا سليمانَ؟ قال: والله لقد استقامَ المِيسَمُ[3]، وإنّ الرَّجلَ لنبيٌّ، أَذهَبُ واللهِ أُسلِمُ، فحتّى متى! قال: قلت: والله ما جئتُ إلّا لأُسلِمَ.

قال: فقَدِمْنا المدينةَ على رسول الله ﷺ، فتَقدَّمَ خالدُ بن الوليدِ فأسلَمَ وبايعَ، ثمّ دَنَوتُ فقلت: يا رسولَ الله، إنّي أُبايِعُك على أن يُغفَرَ لي ما تَقدَّمَ من ذَنْبي، ولا أذكُرُ ما تأخَّرَ، قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عَمرُو، بايِعْ، فإنَّ الإسلامَ يَجُبُّ[4] ما كان قَبْلَه، وإنَّ الهِجْرةَ تَجُبُّ ما كان قَبْلَها»، قال: فبايعتُه، ثمّ انصَرفتُ[5].

---

(١) حالَ رأيي، أي: تحوّل وتغيّر.

(٢) يعني فتح مكة.

(٣) هكذا في كافة النسخ الخطية، وعلى حاشيتي (ش١) و(غ): المَنسِم، بالنون، زاد في (غ): وهو الصواب.

قال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٣٨٦: من رواه: المِيسَم بالياء، فهي العَلَامة، أي: قد تبيَّن الأمر واستقامت الدّلالة، ومن رواه: المَنسِم، بفتح الميم وبالنون، فمعناه: استقام الطريق ووَجَبَت الهجرة، والمَنسِم: مقدَّم خُفّ البعير، وكُني به عن الطريق للتوجُّه به فيه.

أما أبو ذر الخشنيُّ فقال في «إملائه» ص٣٢٧: المَنسِم بالنون هو الصواب، وهو مثلٌ ومعناه: تبيَّن الطريق ووضح.

(٤) يجبُّ، أي: يقطع.

(٥) إسناده حسن من أجل راشد ومولاه حبيب.

وأخرجه أحمد (١٧٧٧٧) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. =

قال ابن هشام: ويقال: «فإنَّ الإسلامَ يَحُتُّ[1] ما كان قبلَه، وإنَّ الهجرةَ تَحُتُّ ما كان قبلَها».

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ: أنّ عثمانَ بن طلحة بن أبي طلحةَ كان معهما، فأسلَمَ حين أسلَما.

قال ابن إسحاق: فقال ابن الزِّبَعرَى السَّهْميّ:

أَنشُدُ عثمانَ بنَ طَلْحةَ حِلْفَنا ... ومُلقَى نِعالِ القومِ عند المُقبَّلِ[2]

وما عَقَدَ الآباءُ من كلِّ حَلْقةٍ ... وما خالدٌ من مِثلِها بمُحلَّلِ

أمِفتاحَ بيتٍ غيرِ بيتِك تَبتَغي ... وما تَبتَغي من مَجدِ بيتٍ مُؤثَّلِ[3]

فلا تأمَنَنَّ خالداً بعدَ هذِه ... وعثمانَ جاءَا بالدُّهَيمِ المُعضَّلِ[4]

= وهو في «مستدرك الحاكم» (٥٣٧٧) و(٦٠٢٥) من طريق ابن إسحاق أيضاً لكن مختصر جداً بقصة التقاء عمرٍو بخالدٍ في الطريق إلى المدينة.

وآخر الخبر في كون الإسلام والهجرة يَجُبّان ما كان قبلَهما، صحيحٌ، أخرجه أحمد (١٧٧٨٠) ومسلم (١٢١) من طريقين عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الرحمن بن شُمَاسة، عن عمرو بن العاص قال: لمّا جعل اللهُ الإسلام في قلبي أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: ابسُطْ يمينك فلأُبايعك، فبسط يمينَه، فقبضتُ يدي، قال: «ما لك يا عمرُو؟» قلت: أردتُ أن أشترطَ، قال: «تشترطُ بماذا؟» قلت: أن يُغفَرَ لي، قال: «أمَا علمتَ أن الإسلام يَهدِمُ ما كان قبلَه، وأن الهجرة تَهدِمُ ما كان قبلَها، وأن الحج يَهدِمُ ما كان قبلَه؟!».

وروي نحو هذا أيضاً من طريق قيس بن سُمَيّ عن عمرٍو، انظر «مسند أحمد» (١٧٨١٣).

(١) يحتُّ، أي: يُسقِط.

(٢) يريد بالمقبَّل: موضع تقبيل الحجر الأسود.

(٣) المؤثَّل: القديم.

(٤) الدُّهيم: اسم من أسماء الداهية. والمعضَّل، أي: الشديدة.

وكان فتحُ بني قُرَيظة في ذي القَعْدة وصَدْرِ ذي الحِجّة، ووَلِيَ تلك الحَجّةَ المشركون.

غزوةُ بني لِحْيانَ

قال ابن إسحاق: ثمّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينة ذا الحِجّة والمحرَّمَ وصَفَراً وشهرَي ربيعٍ، وخرج في جُمادَى الأولى[1] على رأس ستّة أشهرٍ من فتح قُرَيظة إلى بني لِحْيانَ يَطلُبُ بأصحاب الرَّجيع: خُبَيبِ بن عَديٍّ وأصحابِه، وأظهَرَ أنه يريد الشّام، ليُصِيبَ من القوم غِرّةً[2].

فخرج من المدينة ﷺ، واستَعمَلَ على المدينة ابنَ أمِّ مكتومٍ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فسَلَكَ على غُرابٍ[3]، جبلٍ بناحية المدينة على طريقِه إلى الشّام، ثمّ على مَخِيضٍ[4]، ثمّ على البَتْراء، ثمّ صَفَقَ[5] ذاتَ اليسار فخرج على

---

(١) يعني من السنة السادسة.

(٢) الغِرّة: الغفلة.

(٣) هو جبل أسود غرب المدينة، يبعد عنها ٧ كم تقريباً، ويسمَّى اليوم: جبل حُبْشي.

(٤) تصحف في (ت) إلى: مَخبِص، وفي سائر الأصول كما أثبتنا: مَخِيض، كمَخِيض اللَّبن، وهكذا قيَّده ياقوت في «معجم البلدان» ٥/ ٧٣ ومؤرِّخ المدينة أبو الحسن السمهودي في «وفاء الوفا» ١/ ٨٣ و٤/ ١٤١، وهو وادٍ يعرف الآن باسم وادي مَخِيط، وهو حدُّ حِمَى المدينة من جهة الغرب، يبعد عن المسجد النبوي قرابة ١٢ كم.

وأما ما وقع عند الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» ٥/ ٣١، والزُّرقاني في «شرح المواهب اللدنّية» ٣/ ١٠٧، من أنه مَحِيصٌ، بالحاء والصاد المهملتين، فتصحيفٌ.

والبَتْراء: حَرّة بطرف مخيض من الغرب.

(٥) صفق، أي: عَدَل وانصرف.

يَيْنٍ[1]، ثمّ على صُخَيراتِ اليَمَام، ثمّ استقام به الطّريقُ على المَحَجّة[2] من طريق مكّة، فأغَذَّ[3] السّيرَ سريعاً حتى نَزَلَ على غُرَان، وهي منازلُ بني لِحْيانٍ، وغُرَانُ وادٍ بين أَمَجٍ وعُسْفانَ[4] إلى بلدٍ يقال له: سايَةُ، فوَجَدَهم قد حَذِروا وتَمنَّعُوا في رؤوس الجبال، فلمّا نَزَلها رسولُ الله ﷺ وأخطأَه من غِرَّتهم ما أرادَ، قال: «لو أنَّا هَبَطْنا عُسْفانَ لَرأَى أهلُ مكّةَ أنَّا قد جِئْنا مكّةَ»[5]، فخرج في مئتَي راكبٍ من أصحابه حتّى نَزَلَ عُسْفان، ثمّ بَعَثَ فارسَينِ من أصحابه حتّى بَلَغا كُرَاعَ الغَمِيم[6]، ثمّ كَرَّا وراحَ رسولُ الله ﷺ قافلاً.

فكان جابرُ بن عبد الله يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول حين وَجَّهَ راجعاً:

---

(١) في بعض النسخ الخطية: بين، بباء في أوله، وفي بعضها: يين، بياءين، وهو الصواب، وهو نفسه مَرَيَين الذي تقدم ذكره في طريقه ﷺ إلى بدرٍ ص٣٠٧.

وصُخَيرات اليمام التي بعده تبعد عن المدينة قرابة ٥٠ كم. وانظر «معجم المعالم الجغرافية» للبِلاديّ ص٢٢٤.

(٢) المَحجّة: جادّة الطريق، وهي الطريق المسلوكة.

(٣) أي: أسرع.

(٤) وهو يقع شمال غرب مكة على قرابة ٨٥ كم، وأما سايةُ ـ وهو وادٍ تسمَّى قاعدته اليوم: الكامل ـ فإلى الشرق منه على قرابة ٥٠ كم.

(٥) صحيح متصل إن كان عبد الله بن كعب سمع هذا الحرف من جابر بن عبد الله بالسند المذكور لاحقاً، وإلا فهو مرسلٌ قويٌّ رجاله ثقات، وعبد الله بن كعب من كبار التابعين.

وعُسفان: شمال غرب مكة على قرابة ٧٥ كم.

(٦) كُراع الغميم: موضع يقع جنوب عُسفان بقرابة ١٦ كم على الطريق إلى مكة، ويبعد عن مكة ٦٤ كم تقريباً، ويعرف اليوم ببَرْقاء الغميم، ذلك أن أرضه بَرْقاء في تكوينها، والبَرْقاء والأبرق والبُرْقة: مرتفع تختلط فيه الحجارة بالرمل. قاله البِلاديُّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢٦٤.

«آيِبُونَ تائِبُونَ إن شاءَ الله، لِرَبِّنا حامِدُون، أعوذُ بالله من وَعْثاءِ السَّفَر وكَآبةِ المُنقَلَب[1] وسُوءِ المَنظَرِ في الأهلِ والمالِ»[2].

(١) الوعثاء: المشقّة والشدّة. والكآبة: تغيّر النفس من حزنٍ وغيره. والمُنقلَب: الرجوع.

(٢) حديث صحيح، وهو من رواية عبد الله بن كعب عن جابر بالإسناد اللاحق.

وخالف إبراهيمُ بن يحيى بن محمد بن عبّاد الشَّجَريُّ فرواه عن أبيه عن ابن إسحاق عند المحاملي في «الدعاء» (٨٦)، والطبراني في «الأوسط» (٦٠٤٤)، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن سعيد بن المسيّب، عن جابر. وإبراهيم وأبوه فيهما ضعفٌ، وعبد الله بن كعب عن جابر أصحُّ.

ورواه إبراهيم بن يزيد ـ وهو الخُوزِيّ ـ عن أبي الزبير عن جابر عند عبد الرزاق في «المصنف» (٩٢٤١)، ومن طريقه الطبراني في «الدعاء» (٨٤٥). والخوزيُّ هذا ضعيف جداً، لكن الحديث قد صحَّ من غير طريقه كما سبق.

والمحفوظ في حديث أبي الزبير أنه رواه عن عليٍّ الأزديّ عن ابن عمر، هكذا رواه عنه ابنُ جريج فيما أخرجه أحمد (٦٣٧٤) ومسلم (١٣٤٢) وغيرهما.

وروي نحو هذا الدعاء في السفر من حديث عبد الله بن سَرجِس أيضاً عند أحمد (٩٢٠٥) ومسلم (١٣٤٣). وليس في هذه الأحاديث تعيين اسم الغزوة.

فائدة: في هذه الغَزَاة حرَّم النبيُّ ﷺ المدينةَ فجعلها حراماً، ذكر ذلك أبو سعيد الخُدْري فيما أخرجه مسلم (١٣٧٤) من حديثه قال: خرجنا مع نبي الله ﷺ حتى قدمنا عُسفانَ، فأقام بها ليالِيَ، فقال الناس: والله ما نحن هاهنا في شيءٍ، وإنّ عيالنا لخُلُوفٌ ما نأمَنُ عليهم! فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فقال: «ما هذا الذي بلغني من حديثكم؟! والذي أَحلِفُ به، إن شئتم لآمرنَّ بناقتي تُرحَلُ، ثم لا أَحُلُّ لها عُقدةً حتى أَقدَمَ المدينة»، وقال: «اللهمَّ إن إبراهيم حرَّم مكة فجعلها حَرَماً، وإني حرَّمتُ المدينةَ حراماً ما بين مَأزِمَيها (أي: جبلَيها)، أن لا يُهراقَ فيها دم، ولا يُحمَلَ فيها سلاح لقتال، ولا تُخبَطَ فيها شجرةٌ إلا لعَلَف، اللهمّ بارك لنا في مدينتنا، اللهمّ بارك لنا في صاعنا، اللهمّ بارك لنا في مُدِّنا، اللهمّ بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مُدِّنا، اللهمّ بارك لنا في مدينتنا، اللهمّ اجعل مع البركة بركتين، والذي نفسي بيده، ما من المدينة شِعبٌ ولا نَقْبٌ إلا عليه ملكان يَحرُسانها =

والحديثُ عن غزوة بني لِحْيانَ عن عاصمِ بن عمر بن قَتَادة وعبدِ الله بن أبي بكرٍ عن عبد الله بن كعب بن مالكٍ.

فقال كعبُ بن مالكٍ في غزوة بني لِحْيان:

لَوَ انَّ بني لِحيانَ كانوا تَناظَرُوا ... لَقُوا عُصَباً في دارِهِمْ ذاتَ مَصدَقِ[1]

لَقُوا سَرَعاناً يَملأُ السَّرْبَ رَوْعُه ... أمامَ طَحُونٍ كالمَجَرّةِ فَيلَقِ[2]

ولكنَّهم كانوا وِبَاراً تَتبَّعَت ... شِعابَ حِجَارٍ غيرَ ذي مُتَنفَّقِ[3]

= حتى تَقدَمُوا إليها»، ثم قال للناس: «ارتَحِلوا»، فارتحلنا، فأقبلنا إلى المدينة، فوالذي نَحلِفُ به، ما وضعنا رحالَنا حين دخلنا المدينةَ حتى أغار علينا بنو عبد الله بن غَطَفان، وما يَهِيجُهم قبل ذلك شيءٌ.

(١) تناظروا: انتظر بعضُهم بعضاً. والعُصَب: جمع عُصْبة، وهي الجماعة. والمَصدَق: الصدق.

(٢) السَّرَعان: أول القوم. والسَّرْب: الطريق، والسِّرْب: النَّفْس، وكلا المعنيين محتمل. والرَّوع: الفَزَع. والطَّحُون: الكتيبة تطحن كلَّ ما تمرُّ به.

والمَجرّة: مجرّة السماء، وهي نجوم كثيرة يختلط ضوؤها في السماء، أراد التشبيه بها في الكَثرة. والفيلق: الكتيبة الشديدة.

(٣) الوِبار: جمع وَبْرٍ، وهي دُوَيبّة على قدر الهرّ، تشبِّه بها العربُ الضعفاءَ. والشِّعاب: جمع شِعْب، وهو المُنخفِض من الأرض والمنفرَج بين الجبلين.

وأما حِجارٌ، فهي هكذا في (ت) و(ش٢) و(ص) و(غ) و(ي): جمع حَجَر، وفي (ق٢): جِحار، جمع جُحْر، وفي (ش١) و(ف): حِجاز، وهو الإقليم المعروف، وقُيِّد في (م) بالأوجه الثلاث، ويروى: حِجَان، بالنون، كما وقع عند أبي ذر الخشنيّ في «إملائه» ص٣٢٩، أي: معوجّة.

وقوله: غير ذي متنفّق، أي: ليس له باب يخرج منه، وأصله من النّافِقاء، وهو أحد أبواب جُحرة اليربوع أو الوَبْر.

غزوة ذي قَرَدٍ

ثمّ قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، فلم يُقِمْ بها إلّا لياليَ قلائلَ حتّى أغار عُيَينةُ بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدرٍ الفَزَاريُّ[1] في خيلٍ من غَطَفانَ على لِقَاحِ[2] رسول الله ﷺ بالغابة[3]، وفيها رجلٌ من بني غِفارٍ[4] وامرأةٌ له، فقتلوا الرّجلَ واحتَمَلوا المرأة في اللِّقاح.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة وعبدُ الله بن أبي بكرٍ، ومَن لا أتّهمُ عن عبدالله بن كعب بن مالكٍ، كلٌّ قد حدَّث عن غزوة ذي قَرَدٍ بعضَ الحديث[5]: أنه كان أوّلَ مَن نَذِرَ بهم[6] سَلَمةُ بن عمرو بن الأكوَع الأسلَميّ، غَدَا يريد الغابةَ مُتَوَشِّحاً قوسَه ونَبْلَه ومعه غلامٌ لطلحة بن عُبيد الله معه فرسٌ له يقودُه،

---

(١) وفي حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم (١٨٠٧): أن الذي أغار هو ابنه عبد الرحمن بن عيينة، وفيه أنه قُتل في ملاحقة المسلمين له، قتله أبو قتادة الأنصاري. فالظاهر أن كليهما كان حاضراً، وأن الابن هو الذي تقدَّم للإغارة.

(٢) اللِّقاح: الإبل الحوامل ذوات الألبان، مفردها: لِقْحة.

(٣) الغابة: موضع في الشمال الغربي من المدينة على ثمانية أميال منها، وهي غرب أُحد وتمتد شمالاً إلى منطقة العيون، وسُمّيت الغابة للتجمّع الكثيف لشجيرات الطَّرفاء فيها لانتشار المستنقعات في ذلك الموضع، وقد امتدَّ إليها اليوم العمرانُ.

وتسمى هذه الغزوة بها أيضاً فيقال: غزوة الغابة.

(٤) هذا الرجل الغفاري هو ابن أبي ذرٍّ، كما ذكر الواقديُّ وصاحبه ابن سعد.

(٥) ويشهد لحديثهم المرسل هذا حديث سلمة بن الأكوع الطويل بنحوه في قصة هذه الغزوة عند مسلم في «صحيحه» (١٨٠٧)، وأصله عند البخاري أيضاً (٣٠٤١) و(٤١٩٤).

وذو قرد: جبل أسود بأعلى وادي النُّقمَى شمال شرقيّ المدينة على قرابة ٣٥ كم.

(٦) أي: عَلِمَ بهم.

حتّى إذا عَلَا ثَنِيَّةَ الوَدَاع[1] نَظَرَ إلى بعض خيولهم، فأشرَفَ في ناحيةٍ من سَلْعٍ ثمّ صَرَخَ: واصَبَاحاه، ثمّ خرج يَشتَدُّ في آثار القوم، وكان مثلَ السَّبُع، حتّى لَحِقَ بالقوم فجَعَلَ يَرُدُّهم بالنَّبْل، ويقول إذا رَمَى: خُذْها

وأنـا ابـنُ الأكـوَعِ   اليومُ يومُ الرُّضَّـعِ[2]

فإذا وَجَّهَت الخيلُ نحوه انطَلَقَ هارباً، ثمّ عارَضَهم، فإذا أمكَنَه الرّميُ رمى ثمّ قال: خُذها

وأنـا ابـنُ الأكـوَعِ   اليومُ يومُ الرُّضَّـعِ

قال: فيقول قائلُهم: أُوَيكِعُنا هو أوّلَ النّهار!

قال: وبَلَغَ رسولَ الله ﷺ صياحُ ابن الأكوَع، فصَرَخَ بالمدينة: «الفَزَعَ الفَزَعَ»، فتَرامَتِ الخيولُ إلى رسول الله ﷺ.

فكان أوّلَ مَن انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفُرسانِ المِقدادُ بن عمرٍو ـ وهو الذي يقال له: المِقدادُ بن الأسوَد ـ حليفُ بني زُهْرة، ثمّ كان أوّلَ فارسٍ وَقَفَ على رسول الله ﷺ بعدَ المِقدادِ من الأنصار عبّادُ بن بِشْر بن وَقْش بن زُغْبة بن زَعُوراءَ أحدُ بني عبد الأشهَل، وسعدُ بن زيدٍ أحدُ بني كعب بن عبد الأشهَل، وأُسَيدُ بن ظُهَيرٍ أخو بني حارثة بن الحارث ـ يُشَكُّ فيه ـ وعُكّاشةُ بن مِحصَنٍ أخو بني أسد بن خُزَيمة، ومُحرِزُ بن نَضْلة أخو بني أَسد بن خُزَيمة، وأبو قَتادةَ الحارثُ بن رِبْعيٍّ

---

(١) الثَّنيّة: الطريق في الجبل، وهذه الثنية من جبل سَلْع على طرفه الشرقي الشمالي، وفيها عُبِّد الطريق الذاهب إلى العيون والشام، وهي اليوم في قلب عمران المدينة، كما قال البِلاديُّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٣٣٢.

(٢) الرُّضَّع: جمع راضع، وهو هنا اللئيم، والمعنى: اليوم يوم هلاك اللِّئام.

أخو بني سَلِمةَ، وأبو عيّاشٍ ـ وهو عُبَيدُ بن زيد بن الصّامت ـ أخو بني زُرَيقٍ، فلمّا اجتَمَعوا إلى رسول الله ﷺ أمَّرَ عليهم سعدَ بن زيدٍ، ثمّ قال: «اخرُجْ في طَلَبِ القومِ حتّى أَلحَقَك في النّاس».

وقد قال رسولُ الله ﷺ ـ فيما بَلَغَني عن رجالٍ من بني زُرَيقٍ لأبي عيّاشٍ ـ: «يا أبا عيَّاشٍ، لو أعطَيتَ هذا الفَرَسَ رجلاً هو أفرَسُ منك، فلَحِقَ بالقومِ!»، قال أبو عَيّاشٍ: فقلت: يا رسول الله، أنا أفرَسُ النّاس؛ وضَرَبتُ الفرسَ، فوالله ما جَرَى بي خمسين ذِراعاً حتّى طَرَحَني، فعَجِبتُ أنّ رسول الله ﷺ يقول: «لو أعطَيتَه أفرَسَ منك»، وأنا أقول: أنا أفرسُ النّاس[1].

فزَعَمَ رجالٌ من بني زُرَيق: أن رسول الله ﷺ أعطى فرسَ أبي عيّاشٍ معاذَ بن ماعِصٍ أو عائذَ بن ماعص بن قيس بن خَلْدة[2]، وكان ثامناً، وبعضُ الناس يَعُدُّ سَلَمةَ بن عمرو بن الأكوَع أحدَ الثّمانية ويَطرَحُ أُسيدَ بن ظُهَيرٍ أخا بني حارثة، والله أعلمُ أيُّ ذلك كان، ولم يكن سَلَمةُ يومَئذٍ فارساً، قد كان أوّلَ مَن لَحِقَ بالقوم على رِجلَيه، فخرج الفرسانُ في طَلَب القوم حتّى تَلاحَقُوا.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنّ أوّلَ فارسٍ لَحِقَ بالقوم مُحرِزُ بن نَضْلة أخو بني أَسد بن خُزَيمة ـ وكان يقال لمُحرزٍ: الأخرَمُ، ويقال له: قُمَيرٌ ـ وأنَّ الفَزَعَ لمّا كان جالَ فرسٌ لمحمود بن مَسلَمة في الحائط حين سَمِعَ صاهلةَ

(١) قصة أبي عياش هذه من بلاغات ابن إسحاق التي لم نقف له فيها على إسناد، فهي ضعيفة لإبهام رواتها، وقد رواها أيضاً إبراهيم بن المنذر الحِزامي عن محمد بن طلحة بن عبد الله التَّيمي مرسلاً عند الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٢٧٨)، ومحمد بن طلحة هذا صدوق ممّن عاصر صغار التابعين، وهو من شيوخ ابن إسحاق، فلعلّه حملها عنه، والله تعالى أعلم.

(٢) ومعاذ وعائذ أخوان، وقد شهدا بدراً.

الخيل، وكان فرساً صَنِيعاً جامّاً[1]، فقال نساءٌ من نساءِ بني عبد الأشهَل حين رأَينَ الفرسَ يَجُولُ في الحائط بجِذْعِ نخلٍ هو مربوطٌ به: يا قُمَيرُ، هل لك في أن تَركَبَ هذا الفرسَ، فإنّه كما تَرى، ثمّ تَلحَقَ برسول الله ﷺ وبالمسلمين؟ قال: نعم، فأعطَيْنَه إيّاه، فخرج عليه، فلم يَلبَثْ أن بَذَّ الخيلَ بجَمَامِه[2] حتّى أدرَكَ القومَ، فوَقَفَ لهم بين أيديهم ثمّ قال: قِفُوا يا معشرَ بني اللَّكِيعةِ[3] حتّى يَلحَقَ بكم مَن وراءَكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار. قال: وحَمَلَ عليه رجلٌ منهم فقتله، وجالَ الفرسُ فلم يُقدَرْ عليه حتّى وَقَفَ على آرِيِّهِ[4] في بني عبد الأشهَل، فلم يُقتَل من المسلمين غيرُه[5].

قال ابن هشام: وقُتِل يومَئذٍ من المسلمين مع مُحرِزٍ وقّاصُ بن مُجزِّزٍ المُدلِجيّ،

(١) جال الفرسُ: نَفَرَ من مكانه. والحائط: البستان. والفرس الصَّنيع: هو الذي يُخدِمُه أهلُه ويقومون عليه ويعتنون به. وجامّاً، أي: مرتاحاً له مدّة لم يُركَب.

(٢) بذَّ الخيل بجَمَامه، أي: سبقها بنشاطه.

(٣) اللَّكيعة: اللَّئيمة.

(٤) الآريّ: الحبل الذي تُشدّ به الدابة، وقد يسمى الموضع الذي تُحبَس فيه الدابة آريّاً أيضاً.

(٥) وذكر قصةَ مقتله سلمةُ بن الأكوع في سياق حديثه عند مسلم (١٨٠٧) فقال: ما بَرِحتُ مكاني حتى رأيت فوارسَ رسول الله ﷺ يتخلَّلون الشجرَ، فإذا أوّلهم الأخرمُ الأسديّ على إثره أبو قتادة الأنصاري، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكِندي، فأخذتُ بعِنان الأخرم، قال: فولَّوا (أي: الغطفانيُّون) مُدبِرين، قلت: يا أخرم، احذرهم لا يَقتطِعوك، حتى يَلحَقَ رسولُ الله وأصحابُه، قال: يا سلمة، إن كنتَ تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلمُ أن الجنة حقٌّ والنار حقٌّ، فلا تَحُلْ بيني وبين الشهادة، قال: فخلَّيته، فالتقى هو وعبد الرحمن (يعني الفَزَاري) فعَقَرَ بعبد الرحمن فرسَه (أي: ضرب قوائمه بالسيف)، وطعنه عبدُ الرحمن فقتله وتحوَّل على فرسه، ولَحِقَ أبو قتادة فارسُ رسول الله ﷺ بعبد الرحمن، فطعنه فقتله.

فيما ذكر غيرُ واحدٍ من أهل العلم.

قال ابن إسحاق: وكان اسمُ فرس محمودٍ ذا اللِّمّة[1].

قال ابن هشام: وكان اسمَ فرس سعد بن زيدٍ: لاحقٌ، واسمَ فرس المِقْداد: بَعزَجةُ، ويقال: سَبْحةُ[2]، وفرسَ عُكّاشة بن مِحصَن: ذو اللِّمّة، وفرسَ أبي قَتَادة: حَزْوةُ[3]، وفرسَ عبّاد بن بِشْر: لمّاعٌ، وفرسَ أُسَيد بن ظُهَير: مسنونٌ، وفرسَ أبي عيّاشٍ: جُلْوة[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ من لا أتّهمُ عن عبد الله بن كعب بن مالكٍ: أنّ مُحرِزاً إنّما كان على فرسٍ لعُكّاشة بن مِحصَن يقال له: الجَناحُ، فقُتل مُحرِزٌ واستُلِبَت الجَناحُ.

ولمّا تلاحَقَت الخيلُ قَتَل أبو قَتَادة الحارثُ بن رِبْعيٍّ أخو بني سَلِمةَ حَبيبَ بن عُيَينة بن حِصْن[5] وغَشّاه بُرْدَه ثمّ لَحِقَ بالناس، وأقبَلَ رسولُ الله ﷺ في المسلمين

---

(١) اللِّمّة: الشعر الطويل.

(٢) قال السهيلي في «الروض» ٦/ ٤٢١: البَعزَجة: شدّة جريٍ في مُغالَبة، كأنه منحوت من: بَعَجَ، إذا شَقَّ، وعَزَّ، أي: غَلَبَ، وأما سَبْحة، فمن: سَبَحَ، إذا علا علوّاً في اتّساع.

(٣) في (ت) و(ص): حزورة، والمثبت من بقية النسخ، قال السهيلي: حَزْوةُ: من حَزَوتُ الطيرَ، إذا زَجَرْتها، أو من: حَزَوتُ الشيءَ، إذا أظهرته.

(٤) وهو ـ كما قال السهيلي ـ من: جَلَوتُ السيفَ، كأنها تجلو الهمَّ عن قلب صاحبها. أما مسنونٌ فمن: سننتُ الحديدةَ، إذا صَقَلْتها.

(٥) كذا وقع لابن إسحاق، وذكر الواقدي وصاحبه ابن سعد: أن الذي قتل حبيباً هو المقداد ابن عمرو.

وأما أبو قتادة الأنصاري فقتل أخاه عبدَ الرحمن على ما في حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم (١٨٠٧).

ـ واستَعمَلَ على المدينة ابنَ أمِّ مكتومٍ، فيما قال ابن هشام ـ فإذا حَبيبٌ مُسجَّى[1] ببُرْد أبي قَتَادة، فاستَرجَعَ الناسُ[2] وقالوا: قُتِلَ أبو قَتَادة، فقال رسول الله ﷺ: «ليس بأَبي قَتَادةَ، ولكنَّه قتيلٌ لأبي قَتَادةَ، وَضَعَ عليه بُرْدَه لتَعرِفوا أنَّه صاحبُه».

وأدرَكَ عُكّاشةُ بن مِحصَن أَوْباراً وابنَه عمرَو بن أَوبارٍ، وهما على بعيرٍ واحدٍ، فانتظَمَهما بالرُّمح فقتلهما جميعاً، واستَنقَذوا بعضَ اللِّقاح، وسارَ رسولُ الله ﷺ حتّى نَزَلَ بالجبلِ من ذي قَرَدٍ، وتلاحَقَ به الناسُ، فنَزَلَ رسولُ الله ﷺ به وأقامَ عليه يوماً وليلةً، وقال له سَلَمةُ بن الأكوَع: يا رسول الله، لو سَرَّحتَني في مئة رجلٍ لاستَنقَذتُ بقيّةَ السَّرْحِ وأخذتُ بأعناقِ القوم، فقال له رسول الله ﷺ ـ فيما بَلَغَني ـ: «إنَّهم الآنَ لَيُغبَقُونَ في غَطَفانَ»[3].

---

(١) أي: مُغطّى.

(٢) أي: قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٣) يُغبَقون، أي: يُسقَون اللَّبن.

وفي حديث سلمة عند مسلم (١٨٠٧) من حديث إياسٍ ابنه عنه قال: قلت: يا رسول الله، خَلِّني فأَنتخِب من القوم مئةَ رجل فأتّبع القوم، فلا يبقى منهم مُخبِرٌ إلا قتلتُه، فضحك رسول الله ﷺ حتى بَدَتْ نواجذُه في ضَوْء النار، فقال: «يا سلمةُ، أتُراكَ كنتَ فاعلاً؟» قلت: نعم والذي أكرمك، فقال: «إنّهم الآن ليُقرَونَ (أي: يُطعَمون الطعام) في أرض غَطَفان»، قال: فجاء رجل من غطفان فقال: نَحَرَ لهم فلانٌ جَزُوراً، فلمّا كشفوا جلدَها رأَوا غباراً، فقالوا: أتاكم القوم! فخرجوا هاربين.

وفي حديث يزيد بن أبي عبيد عن سلمة عند البخاري (٣٠٤١) و(٤١٩٤) ومسلم (١٨٠٦) قال: قلت: يا نبيَّ الله، إني قد حَمَيتُ القومَ الماءَ (أي: منعتهم من الشرب) وهم عِطاشٌ، فابعَثْ إليهم الساعةَ، فقال: «يا ابنَ الأكوع، مَلَكتَ فأَسجِحْ».

قوله: «فأسجِحْ»، أي: أحسِن وارفُقْ.

فقَسَمَ رسولُ الله ﷺ في أصحابه في كلِّ مئة رجلٍ جَزُوراً[1]، وأقاموا عليها، ثمّ رجع رسولُ الله ﷺ قافلاً حتّى قَدِمَ المدينة.

وأفلَتَت[2] امرأةُ الغِفاريِّ على ناقةٍ من إبلِ رسول الله ﷺ حتّى قَدِمَت عليه فأخبرته الخبرَ، فلمّا فَرَغَت قالت: يا رسول الله، إنّي قد نَذَرتُ لله أن أَنحَرَها إن نَجّاني اللهُ عليها! قال: فتَبسَّمَ رسولُ الله ﷺ ثمّ قال: «بئسَ ما جَزَيتِها أنْ حَمَلَكِ اللهُ عليها ونَجّاكِ بها ثمّ تَنحَرِينَها، إنَّه لا نَذْرَ في مَعصِيَةِ الله، ولا فيما لا تَملِكِينَ، إنَّما هي ناقةٌ من إبِلِي، ارجِعِي إلى أهلِكِ على بَرَكةِ الله».

والحديثُ عن امرأة الغِفاريّ وما قالت وما قال لها رسولُ الله ﷺ عن أبي الزُّبَير المكِّيِّ عن الحسن بن أبي الحسن البَصْريّ[3].

وكان ممّا قيلَ من الشِّعر في يومِ ذي قَرَدٍ قولُ حسّان بن ثابتٍ[4]:

---

(١) الجزور: البعير، وهذه القسمة للإطعام وليست للفَيْء. وكانوا فيما قيل: خمس مئة رجل أو سبع مئة، كما في «مغازي الواقدي» ٢/ ٥٤٦ و«طبقات ابن سعد» ٢/ ٧٧، وذلك أن الأمداد من المدينة تلاحَقَت بالنبيّ ﷺ، فلم تزل الخيلُ تأتيه والرِّجالُ على أقدامهم، والإبلُ، والقومُ يعتقبون البعيرَ والحمارَ، حتى انتهَوْا إلى رسول الله ﷺ بذي قَرَد.

وأقام النبيُّ ﷺ في هذه الغزوة من مخرجه من المدينة إلى أن عاد إليها خمسة أيام.

(٢) في (ش١) و(ش٢): وأقبلت.

(٣) وهو حديث صحيح وإن كان وقع هنا مرسلاً، فقد وصله بنحوه عن الحسن البصريِّ عن عِمران بن الحُصينِ منصورُ بن المعتمر عند أحمد (١٩٨٥٦)، والنسائي في «الكبرى» (٨٧٠٩)، وابن حبان (٤٣٩٢). ورجاله ثقات إلا أن الحسن البصريَّ لم يسمع من عمران، لكن تابعه عن عمرانَ أبو المهلَّب الجَرْميُّ عند أحمد (١٩٨٦٣)، ومسلم (١٦٤١)، وأبي داود (٣٣١٦)، فصحَّ الحديث واتَّصل. وسمَّى أبو المهلَّب في حديثه هذه الناقة، وهي العَضْباء.

(٤) انظر «ديوانه» ١/ ٢٧٦.

لولا الّذي لاقَتْ ومَسَّ نُسورَها ... بجُنوبِ سايةَ أَمسِ في التَّقْوادِ[1]

لَلَقِينكُم يَحمِلنَ كلَّ مُدجَّجٍ ... حامي الحَقيقةِ ماجِدِ الأجدادِ[2]

ولَسَرَّ أولادَ اللَّقيطةِ أنّنا ... سِلْمٌ غَداةَ فوارسِ المِقدادِ[3]

كنّا ثمانيةً وكانوا جَحْفلاً ... لَجِباً فشُكُّوا بالرِّماحِ بَدَادِ[4]

كنّا من القومِ الذينَ يَلُونَهمْ ... ويُقدِّمون عِنانَ كلِّ جَوادِ

كلَّا وربِّ الرّاقصاتِ إلى منًى ... يَقطَعنَ عُرْضَ مَخارمِ الأطوادِ[5]

---

(١) أضمر ذكر الخيل وإن لم يقدِّم لها ذكراً، لأن الكلام عليها، والنُّسور: ما يكون في باطن حافر الدابة مثل الحصى والنوى.

وجُنوب ساية: نواحيه، وساية: وادٍ كثير القرى والزروع شمال مكة، قاعدته تُسمّى اليوم: الكامل، وتبعد عن مكة قرابة ١٠٠ كم.

والتَّقواد: جرُّها بمقاودِها، وهي لُجُم الخيل.

(٢) المدجَّج: الكامل السلاح. والحامي: المانع. والحقيقة: ما يحقُّ على الرجل أن يحميه من عِرض ومتاع وغيرهما. والماجد: الشريف النسب.

(٣) أولاد اللَّقيطة: الملتقَطون الذين لا يُعرَف آباؤهم. والسّلْم، بفتح السين وكسرها: الصُّلح.

(٤) الجحفل: الجيش الكثير. واللَّجِب: الكثير الأصوات.

وقوله: شُكُّوا، أي: طُعِنوا، وفي رواية محمد بن حبيب للديوان: فشُلُّوا، باللام، وهي التي صحَّحها الشيخ أبو بحر الأسديُّ النحوي على حاشية نسخته من «السيرة» خلافاً لما في رواية ابن إسحاق، ذكر ذلك السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٤٢٧، ثم فسّرها فقال: والشَّلّ: الطَّرد.

وبَدَادِ: من التبدُّد، وهو التفرُّق. وهو في موضع نصبٍ غير أنه مبنيٌّ، ونصبُه كانتصاب المصدر إذا قلت: مشيتُ القَهقَرى، وقعدتُ القُرفُصاءَ، وكأنه قال: طُعِنوا الطعنة التي يقال لها: بَدَادِ. قاله السهيليُّ.

(٥) الراقصات: يعني الإبل، والرَّقص: نوع من مشيها. والمخارم: جمع مَخرَم، وهو ما بين الجبلين. والأطواد: الجبال المرتفعة.

حتّى نُبِيلَ الخيلَ في عَرَصاتِكم ... ونَــؤُوبَ بالمَلَكــاتِ والأولادِ[١]

رَهْــواً بكــلِّ مُقلِّــصٍ وطِمِــرَّةٍ ... في كــلِّ مُعتَــرَكٍ عَطَفْــنَ رَوَادِ[٢]

أفنَــى دَوابرَهــا ولاحَ مُتونَهــا ... يــومٌ تُقــادُ بــه ويــومُ طِــرَادِ[٣]

فكَــذاكَ إنَّ جيادَنــا مَلبُونــةٌ ... والحــربُ مُشــعَلةٌ بــريحِ غَــوَادِ[٤]

وسيوفُنا بيضُ الحدائدِ تَختَلي ... جُــنَنَ الحديــدِ وهامــةَ المُرتــادِ[٥]

أخــذَ الإلٰــهُ علــيهمِ لحَرامِــهِ ... ولعِــزّةِ الــرَّحمنِ بالأســـدادِ[٦]

كــانوا بــدارٍ نــاعمِينَ فبُــدِّلوا ... أيّــامَ ذي قَــرَدٍ وُجــوهَ عِبــادِ[٧]

قال: فلمّا قالها حسّانُ، غَضِبَ عليه سعدُ بن زيدٍ وحَلَفَ أن لا يكلِّمَه أبداً، قال: انطَلَقَ إلى خيلي وفوارسي فجَعَلها للمِقْداد! فاعتَذَرَ إليه حسّانُ وقال: والله ما ذاكَ

---

(١) نُبِيل، أي: نجعلها تبول. والعَرَصات: جمع عَرْصة، وهي وسط الدار. ونؤوب: نرجع. والمَلَكات: النساء اللائي أُملِكنَ في الحرب.

(٢) الرَّهو: المشي في سكون. ومقلِّص: مشمِّر مسرع. وطِمِرّة: فرس وثّابة سريعة. والمعترك: موضع الحرب. ورَوَادي، بفتح الراء: سريعات، أي: تَرْدي بفُرسانها، يعني: تُسرِع بهم، ومن رواه: رِوَادِ، بكسر الراء: فهو المشي الرُّوَيد، وهو الذي فيه فتورٌ.

(٣) دوابرها: أواخرها. ولاحَ: غيَّر وأضعف. ومتونها: ظهورها. والطِّراد: مطاردة الأبطال بعضهم بعضاً.

(٤) ملبونة: تُسقَى اللبن. ومشعلة: مُوقَدة. وغَوَادِ: جمع غاديةٍ، والغدوُّ: أول النهار.

(٥) تختلي، بالخاء وروي بالجيم، أي: تُقطَع. والجَنَن: جمع جُنّة، وهي هنا ما يستر جسد المحارب من خُوذة ودرع وترس، أو المراد: السلاح كله. والهامة: الرأس. والمرتاد: الطالب للحرب.

(٦) الأسداد: جمع سَدٍّ، وهو ما يُسَدُّ به على الإنسان فيمنعه عن وجهه.

(٧) عِباد، أي: عَبيد.

أردتُ، ولكنّ الرَّوِيَّ[1] وافقَ اسمَ المِقْداد، وقال أبياتاً يُرضي بها سعداً:

إذا أرَدتُـمُ الأشَـدَّ الجَلْـدا   أو ذا غَنـاءٍ فعلـيكُمْ سـعداً
سـعدَ بـن زيـدٍ لا يُهَـدُّ هَـدّا

فلم يَقبَل منه سعدٌ ولم تُغنِ شيئاً.

وقال حسّانُ بن ثابتٍ في يوم ذي قَرَدٍ[2]:

أظَـنَّ عُيَينـةُ إذ زارَهـا   بـأنْ سـوفَ يَهـدِمُ فيها قُصـورا[3]
فأُكـذِبتَ مـا كنـتَ صـدَّقتَه   وقلـتُم سـنَغنَمُ أمـراً كبيـرا
فعِفْـتَ المدينـةَ إذ زُرتَهـا   وآنسـتَ للأُسـدِ فيهـا زَئيـرا[4]
ووَلَّـوْا سِـراعاً كشَـدِّ النَّعـامِ   ولم يَكشِفوا عن مُلِطٍّ حَصيرا[5]
أميـرٌ علينـا رسـولُ المليـكِ   أَحبِـبْ بـذاكَ إلينـا أَميـرا
رسـولٌ نصـدّقُ مـا جـاءَه   ويَتلُـو كتابـاً مُضـيئاً مُنيـرا

وقال كعبُ بن مالكٍ في يوم ذي قَرَدٍ للفوارس:

---

(١) الرَّويّ: هو آخر حرف صحيح في البيت، وعليه تُبنى القصيدة كلها وإليه تُنسَب، فيقال: قصيدة داليّة أو ميمية أو نونية أو عينية، إذا كان الرويُّ فيها دالاً أو ميماً أو نوناً أو عيناً.

(٢) انظر «ديوانه» ١/ ١٦٩.

(٣) زارها، أي: المدينة.

(٤) عِفتَ: كرهتَ. وآنستَ: أحسستَ ووجدتَ. والزئير: صوت الأسد.

(٥) الشدّ: الجري.

وقوله: لم يكشفوا عن مُلطٍّ حصيراً، أي: لم يصيبوا بعيراً ولا كشفوا عنه حصيراً، ويعني بالحصير: ما يُجعَل حول الإبل من عيدان الحظيرة لتسترها وتحفظها، والمُلِطّ: من قولهم: لطَّت الناقةُ وألطَّت بذَنَبها، إذا أدخلته بين رجليها.

أتحسَبُ أولادُ اللَّقيطةِ أنّنا ... على الخيل لسنا مِثلَهم في الفوارسِ

وإنّا أُناسٌ لا نَرَى القتلَ سُبّةً ... ولا نَنثَني عند الرِّماحِ المَداعسِ[1]

وإنّا لنَقْري الضَّيفَ من قَمَعِ الذُّرَى ... ونضربُ رأسَ الأبلَخِ المُتَشاوِسِ[2]

نَرُدُّ كُماةَ المُعلِمينَ إذا انتَخَوْا ... بضربٍ يُسلِّي نَخْوةَ المُتَقاعسِ[3]

بكلِّ فتًى حامي الحقيقةِ ماجدٍ ... كريمٍ كسِرْحانِ الغَضاةِ مُخالِسِ[4]

يَذودُون عن أحسابِهم وتِلادِهم ... ببِيضٍ تَقُدُّ الهامَ تحت القَوانِسِ[5]

فسائِلْ بني بدرٍ إذا ما لَقِيتَهم ... بما فعلَ الإخوانُ يومَ التَّمارُسِ[6]

إذا ما خَرَجتُم فاصدُقوا[7] مَن لَقيتُمُ ... ولا تَكتُموا أخبارَكم في المجالسِ

---

(١) المداعس: المَطاعن، يقال: دَعَسَه بالرمح، إذا طعنه.

(٢) القَمَع: جمع قَمَعةٍ، وهي رأس سنام البعير. والذُّرى: الأسنمة. والأبلخ: المتكبِّر. والمتشاوس: الذي ينظر بمُؤخِر عينه نظر المتكبِّر.

(٣) الكُماة: الشجعان. والمُعلِم: الذي يضع علامة في الحرب يُعرَف بها لإقدامه وشجاعته. وانتخَوْا، هكذا في بعض النسخ بالخاء بمعنى: تكبَّروا، وفي بعضها بالحاء بمعنى: عَرَضوا لنا وقصدونا. ويسلِّي، أي: يكشف عنه هذه النخوة ويُنسيه إياها. والمتقاعس: الذي لا يَلِين ولا ينقاد.

(٤) السِّرحان: الذئب. والغضاة: شجرة، وجمعها: غَضًى. والمُخالس: الذي يخطف الشيءَ بسرعة على غفلة، ويقال: إن أخبث الذئاب وأشدها مكراً ذئاب الغضى.

(٥) يذودون: يمنعون ويدفعون. والأحساب: جمع حَسَبٍ: ما يُعدُّ من المآثر. والتِّلاد: المال القديم. وتقد: تقطع. والقوانس: جمع قَونَس، وهي حديدة طويلة في أعلى خُوذَة الحديد التي يلبسها المحارب على رأسه.

(٦) بنو بدر، أي: الذين شهدوا معركة بدرٍ. والتمارس: المضارَبة في الحرب والمقارَبة.

(٧) في (ت) و(ص) و(ط) و(ف) و(م): فاكتموا. وهو خطأ.

وقولوا: زَلَلْنا عن مَخالبِ خادِرٍ به وَحَرٌ في الصّدرِ ما لم يُمارِسِ[1]

قال ابن هشام: أنشدني بيتَه: وإنّا لنَقْري الضّيفَ، أبو زيدٍ.

قال ابن إسحاق: وقال شدّادُ بن عارضٍ الجُشَميُّ في يوم ذي قَرَدٍ لعُيَينةَ بن حِصْن، وكان عُيَينةُ يُكْنى بأبي مالك:

فهَلَّا كَرَرتَ أبا مالكٍ وخيلُكَ مُدبرةٌ تُقتَلُ

ذكرتَ الإيابَ إلى عَسجَرٍ وهَيْهاتَ قد بَعُدَ المَقفَلُ[2]

وطَمَّنتَ نفسَك ذا مَيْعةٍ مِسَحَّ الفضاءِ إذا يُرسَلُ[3]

إذا قَبّضَتْه إليك الشِّما لُ جاشَ كما اضطَرَمَ المِرجَلُ[4]

فلمّا عَرَفتُم عِبادَ الإلٰـ ـهِ لم يَنظُرِ الآخِرَ الأوّلُ[5]

عَرَفتُم فوارسَ قد عُوِّدُوا طِرادَ الكُماةِ إذا أَسهَلوا[6]

إذا طَرَدوا الخيلَ تَشقَى بهم فِضاحاً وإن يُطرَدُوا يَنزِلوا[7]

فيَعتَصِموا في سَواءِ المُقا مِ بالبِيضِ أخلَصَها الصَّيقَلُ[8]

---

(١) خادر، أي: أَسد في خِدْره، وهو الذي يلزم غابتَه ويحميها. والوَحَر: الحقد.

(٢) عسجر: اسم موضع لا يعرف اليوم. والمَقفَل: الرجوع.

(٣) ذا ميعة، أي: فرساً ذا نشاط. والمِسَحّ: الكثير الجَرْي. والفضاء: المتسع من الأرض.

(٤) جاش: تحرَّك وعلا. واضطرم: الْتَهَب، ويروى: اضطرب. والمِرجل: القِدر على النار.

(٥) لم ينظر، أي: لم ينتظر.

(٦) الكُماة: الشجعان. وأسهلوا: نزلوا السهل.

(٧) وإن يُطرَدوا ينزلوا، أي: إن طردتهم الخيل ينزلوا لملاقاتها وقتالها.

(٨) سواء المقام، أي: وسط إقامتهم في ساحة المعركة. والبِيض: يعني السيوف. وأخلَصَها الصَّيقلُ، أي: أزال الحدّاد ما عليها من الصدأ، فهي بيضاء تلمع.



غزوةُ بني المُصطَلِق بالمُرَيسيع
في شعبان سنة ستٍّ

قال ابن إسحاق: وأقامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينة بعضَ جُمادَى الآخرة ورَجَباً، ثمّ غَزَا بني المُصطَلِق من خُزَاعة في شعبانَ سنة ستٍّ(١).

قال ابن هشام: واستَعمَل على المدينة أبا ذرٍّ الغِفاريَّ، ويقال: نُمَيلة بن عبد الله اللَّيْثيّ.

---

(١) في وقت هذه الغزوة خلافٌ بين أصحاب المغازي والسير، فقول ابن إسحاق ومن تبعه كخليفة بن خيّاط والطبري: أنها كانت في شعبان من سنة ستٍّ بعد الخندق، وقول عُروة بن الزبير وقَتَادة والزهري وموسى بن عقبة والواقدي وابن سعد: أنها كانت في شعبان من سنة خمسٍ؛ أي: قبل غزوة الخندق التي كانت في شوّال سنة خمسٍ على الراجح كما تقدّم.

قال الحاكم في «الإكليل» كما في «فتح الباري» لابن حجر ١٢/ ٣١٦: قولُ عروة وغيره: أنها كانت سنة خمسٍ أشبهُ من قول ابن إسحاق. ثم قال ابن حجر: ويؤيّده ما ثَبَتَ في حديث الإفك (يعني عند البخاري: ٤١٤١): أنّ سعد بن معاذ تنازع هو وسعدُ بن عبادة في أصحاب الإفك، فلو كانت المريسيعُ في شعبان سنة ستٍّ مع كون الإفك كان فيها، لكان ما وقع في «الصحيح» من ذكر سعد بن معاذٍ غلطاً، لأن سعد بن معاذ مات أيام قُرَيظة، وكانت سنةَ خمس على الصحيح... فيظهر أن المريسيع كانت في سنة خمس في شعبان لتكون قد وَقَعَت قبل الخندق، لأن الخندق كانت في شوّال سنة خمس أيضاً فتكون بعدها، فيكون سعد بن معاذ موجوداً في المريسيع ورُمِيَ بعد ذلك بسهم في الخندق ومات من جِرَاحته في قُريظة.

وقال الذهبيُّ في الترجمة النبوية من «تاريخ الإسلام» ١/ ١٧٠: كانت (أي: غزوة المريسيع) في شعبان سنة خمس على الصحيح، بل المجزومُ به.

قلنا: وكان خروج رسول الله ﷺ من المدينة لملاقاة بني المصطلق في سبع مئة رجل فيما قيل، في يوم الاثنين لليلتين خَلَتا من شعبان، ورجع إليها لهلال شهر رمضان، فكان غيابه في هذه الغزاة ثمانية وعشرين يوماً.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة وعبدُالله بن أبي بكرٍ ومحمّدُ بن يحيى بن حَبّان، كلٌّ قد حدّثني بعضَ حديث بني المُصطَلِق؛ قالوا[1]: بَلَغَ رسولَ الله ﷺ أنّ بني المُصطَلِق يَجمَعُون له وقائدُهم الحارثُ بن أبي ضِرارٍ أبو جُوَيرِيَة بنت الحارث، زوجِ رسول الله ﷺ، فلمّا سمع رسولُ الله ﷺ بهم خرج إليهم حتّى لَقِيَهم على ماءٍ من مياههم يقال له: المُرَيسِيعُ، من ناحية قُدَيدٍ إلى السّاحل[2]، فتَزاحَفَ الناسُ واقتتلوا، فهَزَمَ اللهُ بني المُصطَلِق، وقَتَلَ مَن قَتَلَ منهم، ونَفَّلَ رسولَ الله ﷺ أبناءَهم ونساءَهم وأموالَهم فأفاءَهم عليه[3].

---

(١) وهؤلاء من ثقات التابعين وأهل العلم منهم، فمراسيلهم يقوّي بعضها بعضاً فيصحُّ حديثهم، وقد رُوِيَت أبعاضه من وجوه أخرى كما سيأتي في محالّها.

ورواه من طريق ابن إسحاق الطبريُّ في «تاريخه» ٢/ ٦٠٤-٦٠٧، وفي «تفسيره» ٢٢/ ٦٦٦-٦٦٩، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٥٢-٥٣.

(٢) أي: ساحل البحر الأحمر، وبين هذا الساحل وبين المريسيع قرابة ٦٠ كم، والمريسيع: موضع فيه ماءٌ في أعالي وادي قُديد شمال غرب مكة، ويبعد عنها قرابة ١٣٠ كم.

(٣) روى عبدُ الله بن عمر بن الخطّاب، وكان في الجيش في هذه الغزوة: أن النبي ﷺ أغار على بني المُصطلِق وهم غارُّون (أي: غافلون)، وأنعامُهم تُسقَى على الماء، فقتل مُقاتِلتَهم، وسَبَى ذراريَّهم، وأصاب يومئذٍ جويريةَ. أخرجه البخاري (٢٥٤١) ومسلم (١٧٣٠).

وقد ذكر القصةَ ابنُ سعد في «الطبقات» ٢/ ٦٠ نحوَ ما ذكر ابن إسحاق، ثم أشار إلى حديث ابن عمر، ثم قال: والأول أثبت!

قال ابن حجر في «الفتح» ١٢/ ٣١٨: والحُكم بكون الذي في السير أثبت مما في «الصحيح» مردود، ولا سيما مع إمكان الجمع، والله أعلم.

قلنا: وكون النبي ﷺ أتاهم على الماء وهم غافلون، لا يعني أنهم لم يقاتلوا، بل يكونون عندما دَهَمَهم وهم على الماء قد ثبتوا وتصافُّوا ووقع بينهم وبين المسلمين قتالٌ، ثمّ غُلِبوا، فقُتل منهم من قُتل وأُسر أكثرهم. وبنحو هذا جمع ابنُ حجر.

وقد أُصيبَ رجلٌ من المسلمين من بني كَلْب بن عَوْف بن عامر بن ليث بن بكرٍ يقال له: هشام بن صُبَابة، أصابه رجلٌ من الأنصار من رَهْط عُبَادة بن الصّامت وهو يُرَى أنه من العدوِّ فقتله خطأً.

فبَيْنا رسولُ الله ﷺ[1] على ذلك الماءِ وَرَدَت واردةُ الناس، ومع عمر بن الخَطّاب أَجيرٌ له من بني غِفارٍ يقال له: جَهْجاهُ بن مسعودٍ، يقودُ فرسَه، فازدَحَمَ جَهْجاهٌ وسِنانُ بن وَبْرٍ[2] الجُهَنيُّ حليفُ بني عَوْف بن الخَزرَج على الماءِ فاقتَتَلا، فصَرَخَ الجُهَنيّ: يا معشرَ الأنصار، وصَرَخَ جَهْجاه: يا معشرَ المهاجرين، فغَضِبَ عبدُالله بن أُبيّ ابنِ سَلُولَ وعنده رَهْطٌ من قومه، فيهم زيدُ بن أرقَمَ غلامٌ حَدَثٌ، فقال: أقد فَعَلُوها، قد نافَرُونا وكاثَرُونا في بلادنا، والله ما أعُدُّنا وجلابِيبَ قريش هذه[3]، إلّا كما قال الأوّلُ: سَمِّنْ كلبَك يأكُلْك، أمَا والله لئِنْ رَجَعْنا إلى المدينة ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، ثمّ أقبَلَ على مَن حَضَرَه من قومه فقال: هذا ما فعلتُم بأنفُسِكم، أحلَلتُموهم بلادَكم وقاسَمتُموهم أموالَكم، أمَا والله لو أمسَكتُم عنهم ما بأيديكم، لتَحَوَّلوا إلى غير داركم.

فسَمِعَ ذلك زيدُ بن أرقَمَ فمَشَى به إلى رسول الله ﷺ، وذلك عند فراغِ رسول الله ﷺ من عدوِّه، فأخبره الخبرَ وعنده عمرُ بن الخَطّاب، فقال: مُرْ به عبّادَ بن بِشْرٍ فليَقتُلْه، فقال له رسول الله ﷺ: «فكيفَ يا عمرُ إذا تَحدَّثَ النّاسُ أنَّ محمّداً يَقتُلُ أصحابَه؟! لا، ولكنْ أذِّنْ بالرَّحِيل»، وذلك في ساعةٍ لم يكن رسولُ الله ﷺ يَرتحِلُ

---

(١) في (ش١) و(ش٢) و(غ) و(ق٢) و(ي): فبَيْنا الناس.

(٢) ويقال: سنان بن تَيْم.

(٣) الجلابيب: قد يُعنَى بها الغرباء، كما وقع في شعر حسّان الآتي ص٣٩١، وقد يراد بها الأُزر الغِلاظ حيث كانوا يلتحفون بها لفقرهم، فلقّبهم المشركون والمنافقون بذلك.

فيها، فارتَحَلَ الناسُ.

وقد مَشَى عبدُ الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ إلى رسول الله ﷺ حين بَلَغَه أنّ زيدَ بن أرقَمَ قد بَلَّغَه ما سمعَ منه، فحَلَفَ بالله ما قلتُ ما قال ولا تكلَّمتُ به، وكان في قومه شريفاً عظيماً، فقال مَن حَضَرَ رسولَ الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلامُ قد أَوهَمَ في حديثه ولم يَحفَظْ ما قال الرّجلُ؛ حَدَباً[1] على ابن أُبيٍّ ودَفْعاً عنه[2].

---

(١) الحَدَب: التحنُّن والعطف.

(٢) وقصة عبد الله بن أُبيٍّ هذه وخبر زيد بن أرقم قد رُوِيَت من حديث زيدٍ نفسه، فقد أخرج البخاري (٤٩٠٠) و(٤٩٠١) ومسلم (٢٧٧٢) عنه قال: كنت في غزاةٍ فسمعتُ عبدَ الله بن أُبي يقول: لا تُنفقوا على من عندَ رسول الله حتى ينفضُّوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليُخرِجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فذكرتُ ذلك لعمّي، فذكره للنبيِّ ﷺ، فدعاني فحدَّثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبيٍّ وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذَّبني رسول الله ﷺ وصدَّقه، فأصابني همٌّ لم يُصِبْني مثلُه قطُّ، فجلست في البيت، فقال لي عمّي: ما أردتَ إلى أن كذَّبك رسولُ الله ومَقَتَك! فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾، فبعث إليَّ النبيُّ ﷺ فقرأ فقال: «إنّ الله قد صدَّقك يا زيدُ».

وأخرج البخاري أيضاً (٣٥١٨) و(٤٩٠٥) ومسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله قال: كنّا في غزاةٍ فكَسَعَ رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار (أي: ضربه على دُبره)، فقال الأنصاري: يا لَلأنصارِ، وقال المهاجري: يا لَلمهاجرين، فسمع ذلك رسولُ الله ﷺ، فقال: «ما بالُ دعوى الجاهليّةِ» قالوا: يا رسول الله، كَسَعَ رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «دَعُوها فإنّها مُنتِنةٌ».

فسمع بذلك عبدُ الله بن أُبيٍّ فقال: فعلوها، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فبلغ النبيَّ ﷺ، فقام عمر فقال: يا رسول الله، دعني أضربْ عنقَ هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «دَعْه، لا يتحدَّثُ الناس أن محمداً يقتل أصحابه».

قال ابن إسحاق: فلمّا استَقَلَّ رسولُ الله ﷺ وسارَ[1] لَقِيَه أُسَيدُ بن حُضَيرٍ فحيَّاهُ بتحيّة النُّبوّة وسَلَّمَ عليه، ثمّ قال: يا نبيَّ الله، والله لقد رُحْتَ في ساعةٍ مُنكَرةٍ ما كنتَ تَرُوحُ في مِثلِها! فقال له رسول الله ﷺ: «أوَما بَلَغَك ما قالَ صاحبُكم؟» قال: أيُّ صاحبٍ يا رسول الله؟ قال: «عبدُ الله بن أُبَيٍّ» قال: وما قالَ؟ قال: «زَعَمَ أنّه إنْ رَجَعَ إلى المدينةِ لَيُخرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ» قال: فأنتَ يا رسولَ الله واللهِ تُخرِجُه إن شئتَ، هو واللهِ الذَّليلُ وأنت العزيزُ، ثمّ قال: يا رسول الله، ارفُقْ به، فوالله لقد جاءَ اللهُ بك وإنَّ قومَه لَيَنظِمونَ له الخَرَزَ ليُتوِّجُوه، فإنّه لَيَرَى أنّك قد استَلَبتَه مُلْكاً.

ثمّ مَشَى رسولُ الله ﷺ بالناس يومَهم ذلك حتّى أَمسى، وليلتَهم حتّى أصبَحَ، وصَدْرَ يومِهم ذلك حتّى آذَتْهم الشّمسُ، ثمّ نَزَلَ بالنّاس فلم يَلبَثوا أن وَجَدُوا مَسَّ الأرض فوَقَعوا نِياماً، وإنّما فعلَ ذلك ليَشغَلَ النّاسَ عن الحديث الذي كان بالأمسِ من حديث عبد الله بن أُبيٍّ.

ثمّ راحَ رسولُ الله ﷺ بالنّاس وسَلَكَ الحِجازَ حتّى نَزَلَ على ماءٍ بالحِجازِ فُوَيقَ النَّقِيع يقال له: بَقْعاء[2]، فلمّا راحَ رسولُ الله ﷺ هَبَّتْ على الناس ريحٌ شديدةٌ آذَتْهم وتَخَوَّفوها، فقال رسول الله ﷺ: «لا تَخافُوها، فإنَّما هَبَّتْ لموتِ عَظِيمٍ من عُظَماءِ الكُفّارِ»[3]، فلمّا قَدِموا المدينةَ، وَجَدُوا رِفاعةَ بن زيد بن التّابوتِ أحدَ بني قَينُقاعَ

---

(١) أي: ارتفع ونهض ﷺ بدابّته وسارَ بها.

(٢) بقعاء لا يُعرَف اليوم، وأما النَّقيع فهو وادٍ عظيم يقع جنوب المدينة، فأوله مما يليها يبعد عنها قرابة ٤٠ كم، وأقصاه على قرابة ١٢٠ كم، قاله عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٣٢٠.

(٣) هذا الخبر صحيح، وقد أخرجه بنحوه أحمد (١٤٣٧٨) و(١٤٦٧٦)، ومسلم (٢٧٨٢)، وابن حبان (٦٥٠٠) من حديث جابر بن عبد الله. وقد تقدّم الكلام عليه ٢/ ١٩٠.

ـ وكان عظيماً من عُظَماءِ يهودَ، وكَهْفاً للمنافقين ـ مات في ذلك اليوم.

ونزلت السّورةُ التي ذكرَ اللهُ فيها المنافقين في ابن أُبيٍّ ومَن كان على مِثْل أمرِه، فلمّا نزلت أخَذَ رسولُ الله ﷺ بأُذُن زيدِ بن أرقَمَ ثمّ قال: «هذا الَّذي أَوفَى اللهُ بأُذُنِه»[1].

وبَلَغَ عبدَ الله بن عبد الله بن أُبيٍّ الذي كان من أمرِ أبيه.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة: أنّ عبدَ الله أَتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّه بَلَغَني أنّك تريدُ قتلَ عبدالله بن أُبيٍّ فيما بَلَغَك عنه، فإن كنتَ فاعلاً فمُرْني به، فأنا أَحمِلُ إليك رأسَه، فوالله لقد عَلِمَت الخَزرَجُ ما كان لها من رجلٍ أبَرَّ بوالِدِه منّي، إنّي أَخشى أن تأمُرَ به غيري فيَقتُلَه، فلا تَدَعُني نفسي أنظُرُ إلى قاتل عبد الله بن أُبيٍّ يمشي في الناس فأقتُلَه، فأقتُلَ رجلاً مؤمناً بكافرٍ فأدخُلَ النارَ، فقال رسول الله ﷺ: «بل نَتَرَفَّقُ به ونُحسِنُ صُحبَتَه ما بَقِيَ معنا»[2].

---

(١) تقدّم تخريجه قريباً من حديث زيد بن أرقم في «الصحيحين»، وفيه أن النبيَّ ﷺ قال له: «إنّ الله قد صدَّقك يا زيدُ».

أما بهذا اللفظ الذي ذكره ابن إسحاق، فوقع في حديث أنس بن مالك عند البخاري (٤٩٠٦) في التفسير: باب قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ [المنافقون:٧]: أنّ بعض من كان عنده سأله عن زيد بن أرقم، فقال: هو الذي يقول رسول الله ﷺ: «هذا الذي أَوفَى اللهُ له بأُذنه».

(٢) الخبر في استئذان عبد الله أن يقتل أباه ونهي النبيِّ ﷺ له عن ذلك خبرٌ حسنٌ، فهو وإن كان هنا مرسلاً قد جاء ما يشهد له كما سيأتي.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٦٠٨، و«تفسيره» ٢٢/ ٦٦٩-٦٧٠، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٦٢ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

ويشهد لأصله حديث أبي هريرة: أن عبد الله بن عبد الله بن أُبيٍّ قال: يا رسول الله، لئن أمرتَني لأتيتُك برأس أَبي، قال: «لا، بِرَّ أباك وأحسِنْ صحبتَه». أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» =

وجَعَلَ بعدَ ذلك إذا أحدَثَ الحَدَثَ كان قومُه هم الذين يُعاتِبونَه ويأخُذونَه ويُعنِّفونَه، فقال رسولُ الله ﷺ لعمر بن الخطّابِ حين بَلَغَه ذلك من شأنِهم: «كيفَ تَرَى يا عمرُ؟! أمَا واللهِ لو قَتَلتُه يومَ قلتَ لي: اقتُلْه، لأُرعِدَت له آنُفٌ لو أمَرْتُها اليومَ بقتلِه لقَتَلَتْه»، قال: قال عمرُ: قد والله عَلِمتُ لَأمرُ رسول الله ﷺ أعظمُ بَرَكةً من أَمري[1].

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ مِقيَسُ بن صُبَابة من مكّة مُسلِماً فيما يُظهِرُ، فقال: يا رسول الله، جئتُك مسلماً، وجئتُك أطلُبُ دِيَةَ أَخي، قُتِلَ خطأً. فأمَرَ له رسولُ الله ﷺ بدِيَةِ أخيه هشامِ بن صُبَابة، فأقامَ عند رسول الله ﷺ غيرَ كثيرٍ ثمّ عَدَا على قاتلِ أخيه فقَتَلَه، ثمّ خرج إلى مكّة مُرتَدّاً، فقال في شعرٍ يقوله:

= (٤٢٣٦)، وزاد ابن حجر في «فتح الباري» ١٣/ ٣٥٨ نسبته إلى ابن مَندَه، وحسَّن إسناده.

وحديث عُروة بن الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن أُبيٍّ: أنه استأذن النبيَّ ﷺ في أن يقتل أباه، فقال: «لا تقتل أباك». أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٩٦٧)، والحاكم (٦٦٣٣)، ورجاله ثقات إلا أنه منقطع، فعروة لم يدرك عبدَ الله.

وبنحوه مرسل عكرمة عند عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٦٢٧)، قال: قال عبد الله بن عبد الله ابن أُبيٍّ للنبي ﷺ: دعني أقتل أَبي، فإنه يُؤذي الله ورسوله، قال النبي ﷺ: «لا تقتل أَباك»، وفيه: أنه استأذنه في ذلك ثلاثاً والنبيُّ ﷺ ينهاه. ولا بأس برجاله.

(١) وروى نحوَ ما روى عاصم بن عمر بن قتادة في قصة عبد الله بن أُبيٍّ هذه عبدُ الرحمن بن زيد بن أسلم مرسلاً فيما أخرجه الطبري في«تفسيره» ٢٢/ ٦٦٥-٦٦٦، وزاد في آخر: أن عبد الله ابن عبد الله وقف لأبيه على باب المدينة بالسيف ومنع أباه من دخولها حتى أمره رسولُ الله ﷺ بأن يخلِّيَه.

وبنحوه مع الزيادة أخرجه ابن شبّة في «تاريخ المدينة» ١/ ٣٦٦-٣٦٧ من مرسل محمد بن سيرين، ورجاله لا بأس بهم.

شَفَى النّفسَ أنْ قد باتَ بالقاعِ مُسنَداً ... تُضــرِّجُ ثَوبَيــهِ دِمــاءُ الأخــادِعِ[1]

وكانت همومُ النّفسِ من قبلِ قتلِه ... تُلِـمُّ فتَحمِينـي وِطَـاءَ المَضـاجِعِ[2]

حَلَلـتُ بـه وِتْـري وأدرَكـتُ ثُـؤْرتي ... وكنـتُ إلـى الأوثـانِ أوّلَ راجـعِ[3]

ثـأَرتُ بـه فِهْـراً وحَمَّلـتُ عَقْلَـه ... سَـرَاةَ بنـي النَّجّـارِ أربـابَ فـارعِ[4]

وقال مِقيَسُ بن صُبَابة أيضاً:

جَلّلتُه ضـربةً باتَـتْ[5] لهـا وَشَـلٌ ... من نـاقعِ الجَوفِ يَعلُوهُ ويَنصـرِمُ

فقلـتُ والمـوتُ تَغشَـاه أسِـرّتُه ... لا تـأمَنَنَّ بنـي بكـرٍ إذا ظُلِمـوا[6]

قال ابن هشام: وكان شِعارُ المسلمين يومَ بني المُصطَلِق: يا منصور، أمِتْ أمِتْ[7].

---

(١) القاع: المنخفض من الأرض. وتضرِّج، أي: تلطِّخ. والأخادع: إنما هما أَخدَعان، وهما عِرقان في جانبي العُنق، فجمعهما مع ما يليهما.

(٢) تُلمّ، أي: تنزل وتَزُور. وتحميني: تمنعني. ووِطاء المضاجع: ليّناتها.

(٣) الوتر، بكسر الواو وفتحها: الثأر. والثُّؤرة: الثأر أيضاً.

(٤) العقل: الدِّيَة. وسراة بني النجار: سادتهم وكبراؤهم. وفارع: اسم حصنٍ لهم.

(٥) هكذا في (ت) و(ش١) و(ش٢) و(ط) و(غ) و(ق٢)، وفي (ص) و(ط) و(ف) و(م): بانت، بالنون، بمعنى: ظَهَرَت، وعند الخشنيّ في «إملائه» ص٣٣٤: باءت، قال: وباءَت: أخَذَت بالثأر، يقال: بُؤْتُ بفلان، إذا أخذت بثأره.

وجلّلته ضربة، أي: عَلَوتُه بها. ولها وشل، أي: قَطْرٌ. ويريد بناقع الجوف: الدَّم. وينصرم: ينقطع.

(٦) الأسرّة: الخطوط التي تكون في جلد الوجه والجبهة. وبنو بكر: هم بنو بكر بن عبد مناة ابن كِنانة، قوم ابني صُبابة، فهما ليثيّان من بني بكر.

(٧) أي: هذه كانت العلامة التي يتعارف بها المسلمون في ساحة القتال عند التحامهم بالعدوّ، =

قال ابن إسحاق: وأُصيبَ من بني المُصطَلِق يومَئذٍ ناسٌ، وقَتَل عليٌّ بن أبي طالبٍ رضوان الله عليه منهم رجلين، مالكاً وابنَه[1].

وكان رسولُ الله ﷺ قد أصاب منهم سَبْياً كثيراً، فَشَا قَسْمُه في المسلمين، وكان فيمن أُصيبَ يومَئذٍ من السَّبايا جُوَيرِيَةُ بنتُ الحارث بن أبي ضِرارٍ، زوجُ رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُرْوة، عن عائشة قالت: لمّا قَسَمَ رسولُ الله ﷺ سَبَايا بني المُصطَلِق وَقَعَت جُوَيريَةُ بنتُ الحارثِ في السَّهمِ لثابت بن قيس بن الشَّمّاس ـ أو لابن عمٍّ له ـ فكاتَبَتْه على نفسها[2]، وكانت امرأةً حُلْوةً مُلّاحةً[3] لا يراها أحدٌ إلّا أخَذَت بنفسه، فأتَتْ رسولَ الله ﷺ تستعينُه في كِتابَتِها، قالت عائشةُ: فوالله ما هو إلا أن رأيتُها على باب حُجْرتي فكرهتُها، وعرفتُ أنّه سيرى منها ما رأيتُ، فدَخَلَت عليه فقالت: يا رسول الله، أنا جُوَيريةُ بنتُ الحارثِ بن أبي ضِرارٍ، سيِّدِ قومِه، وقد أصابني من البَلاءِ ما لم يَخْفَ عليك، فوَقَعتُ في السَّهم لثابت بن قيس بن الشَّمّاس ـ أو لابن عمٍّ له ـ فكاتَبتُه على نفسي،

= فالمخاطَب بقول: يا منصور، كل واحد من المقاتلين، وهو تفاؤل بالنصر، وقوله: أمِت أمِت، صيغة أمر من الإماتة، والمخاطَب هو الله، فهو مع كونه شعاراً دعاءٌ على الأعداء، أو المُخاطَب كلُّ واحد من المقاتلين، فهو حثٌّ لهم على القتال.

(١) في طبعة السقا وصاحبيه زيادة: وقتل عبدُ الرحمن بن عوفٍ رجلاً من فرسانهم يقال له: أحمرُ، أو أُحَيمِر. وهذه الزيادة ليست في شيء من نسخنا الخطية.

(٢) المكاتَبة: أن يكاتب الرجلُ مملوكَه على مال يؤدِّيه إليه مفرّقاً مقسَّطاً، فإذا أدّاه صار حرّاً.

(٣) المُلّاحة: الشديدة المَلَاحة.

فجِئتُك أستَعِينُك على كِتابَتي، قال: «فهَلْ لكِ في خيرٍ من ذلك؟» قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أَقضِي عنكِ كِتابَتَك وأتَزوَّجُك» قالت: نَعَم يا رسول الله، قال: «قد فَعَلتُ».

قالت: وخرج الخبرُ إلى الناس: أنّ رسولَ الله ﷺ قد تَزوَّجَ جُوَيريةَ ابنةَ الحارثِ ابن أبي ضِرارٍ، فقال الناسُ: أصهارُ رسول الله ﷺ! فأرسَلُوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أُعتِقَ بتزويجِه إيّاها مئةُ أهلِ بيتٍ من بني المُصطَلِق، فما أعلمُ امرأةً كانت أعظمَ على قومِها بَرَكةً منها[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيدُ بن رُومانَ: أنّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَ إليهم بعدَ إسلامهم الوليدَ بن عُقْبة بن أبي مُعَيطٍ[2]، فلمّا سمعوا به رَكِبوا إليه، فلمّا سمع بهم

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٣٦٥)، وأبو داود (٣٩٣١)، وابن حبان (٤٠٥٤)، والحاكم مختصراً (٦٩٤٢) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه بنحوه الواقدي في «مغازيه» ١/ ٤١١ - ومن طريقه الحاكم (٦٩٤٥) - عن عبد الله بن يزيد ابن قُسيط، عن أبيه، عن محمد بن عبد الرحمن بن ثَوْبان، عن عائشة. وإسناده ضعيف لكنه يُعتبَر به في المتابعات والشواهد.

تنبيه: زاد بعد هذا في طبعة السقا وصاحبيه - أخذاً عن الطبعة الألمانية - عن ابن هشام سياقاً آخر في قصة جويرية، وفيها قصة إخفاء أَبيها البعيرَينِ في أحد شعاب العقيق لما جاء لفدائها، وهذه القصة ذكرها هنا ناسخ (ش١) على حاشية النسخة وذكر في آخرها أنه أخذها من نسخة وليست في السماع، ومهما يكن من أمرٍ فستأتي في آخر الكتاب في ذكر أزواج النبي ﷺ.

(٢) وكان هذا بعد أن أَوقع بهم النبيُّ ﷺ بثلاث أو أربع سنوات تقريباً، ذلك أن الوليد بن عقبة لم يسلم باتفاقٍ إلا في السنة الثامنة في فتح مكة.

وهذه القصة في إرسال الوليد إلى بني المصطلق وإن كانت هنا مرسلة، فقد روي نحوها من =

هابَهم، فرَجَعَ إلى رسول الله ﷺ فأخبره أنّ القومَ قد هَمُّوا بقتلِه، ومَنَعُوه ما قِبَلَهم من صَدَقتِهم، فأكثَرَ المسلمون في ذكر غَزْوِهم حتّى هَمَّ رسولُ الله ﷺ بأن يَغزُوَهم، فبَيْنا هم على ذلك قَدِمَ وَفْدُهم على رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسولَ الله، سمعنا برسولِك حين بَعَثْتَه إلينا، فخرجنا إليه لنُكرِمَه ونُؤَدِّي إليه ما قِبَلَنا من الصَّدَقة، فانشَمَرَ[1] راجعاً، فبَلَغَنا أنه زَعَمَ لرسول الله ﷺ: أنّا خَرَجْنا إليه لنَقتُلَه، وواللهِ ما جِئْنا لذلك؛ فأنزَلَ الله تعالى فيه وفيهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ إلى آخر الآية [الحجرات:٦-٧].

وقد أقبَلَ رسولُ الله ﷺ من سَفَرِه ذلك كما حدّثني مَن لا أتّهمُ عن الزُّهْريّ[2]

= أوجُهٍ يشدُّ بعضها بعضاً، فالخبر فيها قويٌّ.

فقد رُوِيَت عن أم سلمة عند ابن راهويه كما في «المطالب العالية» (٣٧٢٣)، والطبري في «تفسيره» ٢١/ ٣٤٩-٣٥٠، والطبراني في «الكبير» ٢٣/ (٩٦٠)، والإسناد ضعيف.

وعن ابن عباس عند الطبريّ أيضاً ٢١/ ٣٥٠-٣٥١، والبيهقي في «السنن» ٩/ ٥٤، وإسناده ضعيف.

وعن الحارث بن أبي ضرار والد جويرية نفسه فيما أخرجه أحمد (١٨٤٥٩) بسياق طويل، وإسناده ضعيف.

ورُوِيَت أيضاً عن غير واحد من التابعين مرسلة كقتادة وعكرمة ومجاهد فيما أخرجه الطبريُّ وعبدُ بن حميد في «تفسيره» كما في «الإصابة» لابن حجر ٦/ ٦١٥.

وذكرها ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٧٥١، وقال: لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمتُ أن هذه الآيات نزلت في الوليد بن عقبة.

(١) انشمر، أي: جدَّ وأسرع.

(٢) ذكر سلمة بن الفضل في روايته لهذا الخبر عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» =

عن عُرْوة عن عائشة، حتّى إذا كان قريباً من المدينة، وكانت معه عائشةُ في سفرِه ذلك، قال فيها أهلُ الإفْكِ ما قالوا.

خبرُ الإفك في غزوة بني المُصطلِق
من سنة ستٍّ[1]

قال ابن إسحاق: حدّثنا الزُّهْريّ، عن عَلقَمة بن وقّاصٍ وعن سعيد بن المُسيّب[2] وعن عُروة بن الزّبَير وعن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة؛ قال[3]: كلٌّ قد حدّثني بعضَ

= ٢/ ٦١٠-٦١١ أنه رواه عن أبيه إسحاق بن يسار عن الزهري عن عروة عن عائشة. ومهما يكن من أمرٍ، فقد رواه غير واحد من الثقات عن الزهري كما سيأتي في تخريجه لاحقاً.

(١) تقدّم في أول غزوة بني المصطلق ترجيحنا أنها كانت سنة خمسٍ لا ستٍّ.

وفي حادثة الإفك هذه وفيما تعرّض له النبيُّ ﷺ وأهلُ بيته الطاهرون والمؤمنون من الابتلاء والامتحان، كثيرٌ من المعاني والحِكَم، وقد فصَّل القولَ فيها العلّامة ابن القيّم في «زاد المعاد» ٣/ ٢٦٠-٢٦٤ أحسن تفصيلٍ، فانظره للفائدة.

(٢) جاء تقييد سعيد هذا بابن جبير في (ت) و(ص) و(ط) و(ف) و(ق٢) و(م)، والصواب: ابن المسيّب، كما وقع في (ش١) و(ش٢) و(ي)، وجاء على حاشية (م): صوابه ابن المسيب كما في «الصحيحين» وغيرهما. وفي (غ): سعيد، دون نسب.

(٣) القائل هو الزُّهري، فهو قد رواه عن هؤلاء الأربعة: علقمة بن وقّاص، وسعيد بن المسيّب، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة.

وهذا إسناد صحيح، وقد رواه عن الزهري أيضاً عن هؤلاء الأربعة: معمرٌ فيما أخرجه أحمد (٢٥٦٢٣)، ومسلم (٢٧٧٠)، وصالحُ بن كَيسان فيما أخرجه أحمد (٢٥٦٢٤)، والبخاري (٤١٤١)، ومسلم أيضاً، ويونسُ بن يزيد الأَيلي فيما أخرجه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم، وفُلَيحُ ابن سليمان فيما أخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم. وانظر تتمة تخريجه مطوَّلاً ومختصراً في «مسند أحمد».

هذا الحديث، وبعضُ القوم كان أَوعَى له من بعضٍ، وقد جَمَعتُ لك الذي حدّثني القوم.

قال محمّدُ بن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه، عن عائشة[1].

وعبدُ الله بن أبي بكرٍ، عن عَمْرة بنت عبد الرَّحمن، عن عائشة[2]، عن نفسِها حين قال فيها أهلُ الإفك ما قالوا، فكلٌّ قد دَخَلَ في حديثها عن هؤلاءِ جميعاً، يحدِّث بعضُهم ما لم يحدِّثْ صاحبُه، وكلٌّ كان عنها ثِقةً، فكلُّهم حدَّث عنها ما سَمِعَ.

قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا أرادَ سَفَراً أقرَعَ بين نسائِه، فأيَّتُهنَّ خرج سَهْمُها خرج بها معه، فلمّا كانت غزوةُ بني المُصطلِق أقرَعَ بين نسائِه كما كان يَصنَعُ، فخرج سَهْمي عليهنَّ معه، فخرج بي رسولُ الله ﷺ.

---

(١) وهذا إسناد صحيح أيضاً. وأخرجه من طريق ابن إسحاق به ابنُ شبّة في «تاريخ المدينة» ١/ ٣٢٨-٣٣٥، والطبري في «تفسيره» ١٧/ ٢٠٤-٢٠٦، وفي «تاريخه» ٢/ ٦١١-٦١٦، وابن المنذر في «الأوسط» (٦٥١٤)، والطبراني في «الكبير» ٢٣/ (١٦٠). وبعضهم لم يقتصَّ الخبر بتمامه.

(٢) وهذا إسناد صحيح أيضاً. وهو من هذا الوجه في المصادر السابقة كذلك، وعبد الله بن أبي بكر: هو ابن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاريّ.

وأخرج منه آخره في ضرب من تكلّم بالفاحشة الحدَّ: أحمد (٢٤٠٦٦)، وأبو داود (٤٤٧٤)، وابن ماجه (٢٥٦٧)، والترمذي (٣١٨١).

وروى الخبر أيضاً بطوله أبو أُوَيس عبد الله بن عبد الله الأصبحيّ عن عبد الله بن أبي بكر فيما أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٣/ (١٥١)، ومن طريقه عبد الغني المقدسي في «حديث الإفك» برقم (٥).

قـالـت: وكان النّساءُ إذ ذاكَ إنّما يأكُلْنَ العُلَقَ[1] لم يُهبِّجْهنَّ[2] اللّحمُ فيَثقُلْنَ، وكنتُ إذا رُحِلَ لي بَعِيري[3] جلستُ في هَوْدَجي، ثمّ يأتي القومُ الذين يَرحَلُون لي ويَحمِلونني، فيأخُذون بأسفلِ الهَودَجِ فيَرفَعُونَه فيَضَعُونَه على ظَهْر البعير فيَشُدُّونَه بحِبالِه، ثمّ يأخذون برأس البعير فيَنطَلِقون به.

قالت: فلمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من سفرِه ذلك وَجَّهَ قافلاً، حتّى إذا كان قريباً من المدينة نَزَلَ مَنزِلاً، فباتَ به بعضَ اللّيل ثمّ أذَّنَ في الناس بالرَّحيل، فارتَحَلَ الناسُ، وخرجتُ لبعضِ حاجَتِي وفي عُنُقي عِقْدٌ لي فيه جَزْعُ ظَفَارِ[4]، فلمّا فَرَغتُ انسَلَّ من عُنُقي ولا أدري، فلمّا رجعتُ إلى الرَّحْلِ ذهبتُ ألتَمِسُه في عُنُقي فلم أجِدْه، وقد أخَذَ الناسُ في الرَّحيل، فرجعتُ إلى مكاني الذي ذهبتُ إليه فالتَمَستُه حتّى وَجَدتُه، وجاءَ القومُ خِلَافي، الّذين كانوا يَرحَلُون لي البعيرَ وقد فَرَغُوا من رِحْلتِه، فأخذوا

---

(١) العُلَق: جمع عُلْقة، وهو الشيء اليسير من الطعام.

(٢) هكذا هو بالباء في (ش١) و(ش٢) و(ط) و(ف) و(ق٢)، وهو الذي شرح عليه الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٣٥ فقال: التهبيج كالوَرَم في الجسد. قلنا: وهو قول أهل اللغة، تريد عائشة أنهنَّ لم يَسمَنَّ.

وفي (ت) و(ص) و(غ) و(م) و(ي): لم يهيجهن، بالياء. وهذا أيضاً له وجه، فالتهييج: إثارة الشيء، فالمعنى: أن اللحم لم يُثِرْ أجسادهنَّ فينتفخن. والأول أصحُّ.

وعند غير ابن إسحاق في بعض الروايات: لم يَثقُلن ولم يغشهنَّ اللحم، وفي بعضها: لم يَهبُلْنَ ولم يغشهنّ اللحم. ويَهبُلنَ: يكثر لحمهنَّ من السِّمَن.

(٣) أي: جُعل الرَّحْل عليه. والهَودَج: المركب الذي يوضع فوق البعير للنساء، ويكون في العادة مغطًّى بالستائر.

(٤) الجَزْع: نوع من الخَرَز اليماني، وظَفَارِ: مبنيٌّ على كسر الراء، وهو اسم مدينة باليمن جنوب صنعاء على قرابة ١٣٠ كم، يُنسَب إليها الجزع الظَّفَاري.

الهَودَجَ وهم يَظُنّون أنّي فيه كما كنت أصنَعُ، فاحتَمَلوه فشَدُّوه على البعير ولم يَشُكُّوا أنّي فيه، ثمّ أَخذوا برأس البعير فانطَلَقوا به، فرجعتُ إلى العَسكَر وما فيه من داعٍ ولا مُجيبٍ، قد انطَلَقَ الناسُ. قالت: فتَلَفَّفتُ بجِلْبابي ثمّ اضطَجَعتُ في مكاني، وعَرَفتُ أن لو قد افتُقِدتُ لَرُجِعَ إليَّ.

قالت: فوالله إنّي لَمُضطَجِعةٌ إذ مَرَّ بي صَفْوانُ بن المُعطَّلِ السُّلَميّ، وقد كان تَخلَّفَ عن العَسكَر لبعض حاجتِه[1] فلم يَبِتْ مع النّاس، فلمّا رأى سَوادي، فأقبَلَ حتّى وَقَفَ عليَّ، وقد كان يَراني قبلَ أن يُضرَبَ علينا الحِجابُ، فلمّا رآني قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ظَعِينةُ رسول الله ﷺ! وأنا مُتلَفِّفةٌ في ثيابي، قال: ما خَلَّفَكِ يَرحَمُكِ اللهُ؟! قالت: فما كلَّمتُه، ثمّ قَرَّبَ البعيرَ فقال: ارْكَبي، واستأخَرَ عنّي، قالت: فرَكِبتُ وأخَذَ برأس البعير فانطَلَقَ سريعاً يَطلُبُ الناسَ، فوالله ما أدرَكْنا الناسَ وما افتُقِدتُ حتّى أصبَحتُ ونَزَلَ الناسُ، فلمّا اطمأنُّوا طَلَعَ الرّجلُ يَقُودُ بي، فقال أهلُ الإفك ما قالوا، فارتَعَجَ العَسكَرُ[2] وواللهِ ما أعلمُ بشيءٍ من ذلك.

ثمّ قَدِمْنا المدينةَ، فلم ألبَثْ أنِ اشتَكَيتُ شكوَى شديدةً، لا يَبلُغُني من ذلك شيءٌ،

(١) وعند الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٤٢٨: وكان صفوان على ساقة الناس من ورائهم. قال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٤٣٧: يلتقط ما يَسقُط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به، ولذلك تخلَّف في هذا الحديث الذي قال فيه أهلُ الإفك ما قالوا.

قلنا: وما ذكره السهيليُّ جاء مصرَّحاً به في حديث أبي هريرة عند البزار في «مسنده» (٨٠١١) حيث قال: وكان صفوان بن المعطَّل يتخلّف عن الناس فيصيب القَدَح والجِرَاب والإداوة.

وفي مرسل مقاتل بن حيّان عند الحاكم في «الإكليل» كما في «فتح الباري» ١٤/ ٣٥: فيَحمِلُه فيَقدَم به فيُعرِّفه في أصحابه.

(٢) ارتعج العسكر، أي: تحرك واضطرب، يعني فَشَتْ فيهم القالةُ.

وقد انتهى الحديثُ إلى رسول الله ﷺ وإلى أبَوَيَّ، لا يَذكُرون لي منه قليلاً ولا كثيراً، إلّا أنّي قد أنكَرتُ من رسول الله ﷺ بعضَ لُطْفِه بي، كنتُ إذا اشتَكَيتُ رَحِمَني ولَطَفَ بي، فلم يَفعَلْ ذلك بي في شَكْوايَ تلك، فأنكَرْتُ ذلك منه، كان إذا دخل عليَّ وعندي أُمّي تُمرِّضُني ـ قال ابن هشام: وهي أمُّ رُومانَ، واسمها زينبُ بنتُ عبدِ دُهْمان أحدِ بني فِرَاس بن غَنْم بن مالك بن كِنَانة ـ قال: «كيفَ تِيكُمْ؟»[1]، لا يزيدُ على ذلك، قالت: حتّى وَجَدتُ في نفسي، فقلت: يا رسولَ الله ـ حين رأيتُ ما رأيتُ من جَفَائِه لي ـ لو أَذِنتَ لي فانتَقَلتُ إلى أُمّي، فمَرَّضَتْني، قال: «لا عليكِ».

قالت: فانتَقَلتُ إلى أُمّي، ولا عِلمَ لي بشيءٍ ممّا كان حتّى نَقِهتُ[2] من وَجَعي بعدَ بِضْعٍ وعشرينَ ليلةً، وكنّا قوماً عَرَباً لا نَتَّخِذُ في بيوتِنا هذه الكُنُفَ[3] التي تتَّخذُها الأعاجمُ، نَعافُها ونَكرَهُها، إنّما كنّا نذهبُ في فُسَحِ المدينة، وإنّما كانت النّساءُ يَخرُجنَ كلَّ ليلة في حوائجِهنَّ، فخرجتُ ليلةً لبعضِ حاجتي ومعي أمُّ مِسطَحٍ ابنةُ أبي رُهْمِ ابن المُطَّلِب بن عبد مَنافٍ، وكانت أمُّها بنتَ صَخْر بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْمٍ خالةَ أبي بكرٍ الصِّدِّيق، قالت: فوالله إنّها لَتَمْشي معي إذ عَثَرَت في مِرْطِها[4]، فقالت: تَعِسَ مِسطَحٌ ـ ومِسطحٌ لَقَبٌ واسمه عوفٌ ـ قالت: قلت: بِئسَ لَعَمْرُ الله ما قلتِ لرجلٍ من المهاجرين قد شَهِدَ بدراً، قالت: أوَما بَلَغَكِ الخَبَرُ يا بنتَ أبي بكرٍ؟ قالت: قلت: وما الخَبَرُ؟ فأخبرتني بالّذي كان من قول أهلِ الإفْكِ، قالت: قلت: أوَقَد كان هذا؟

(١) تِي: من أسماء الإشارة للمؤنث.

(٢) نَقِهَ، بكسر القاف وفتحها: صحَّ من علّته وكان قريب العهد بالمرض لم يرجع إليه كمالُ صحّته وقوّته.

(٣) جمع كَنِيف: وهو المكان المستور من بناءٍ ونحوه يُتَّخذ لقضاء الحاجة.

(٤) المِرْط: الكِساء.

قالت: نَعَم واللهِ لقد كان. قالت: فوالله ما قَدَرتُ على أن أقضِيَ حاجتي ورجعتُ، فوالله ما زِلتُ أَبكي حتّى ظَنَنتُ أنّ البُكاءَ سيَصدَعُ كَبِدي[١]، قالت: وقلت لأُمّي: يَغفِرُ اللهُ لك، تَحدَّثَ النّاسُ بما تَحدَّثوا به ولا تَذكُرينَ لي من ذلك شيئاً! قالت: أيْ بُنَيَّةُ، خَفِّضي عليكِ[٢] الشَّأنَ، فوالله لقَلَّ ما كانت امرأةٌ حَسْناءُ عند رجلٍ يحبُّها لها ضَرائرُ، إلّا كَثَّرنَ وكَثَّرَ الناسُ عليها.

قالت: وقد قام رسولُ الله ﷺ في الناس يَخطُبُهم ولا أعلمُ بذلك[٣]، فحَمِدَ اللهَ وأَثنَى عليه ثمّ قال: «أيُّها النّاسُ، ما بالُ رِجالٍ يُؤْذُونَني في أَهلي ويقولونَ عليهم غيرَ الحَقِّ! واللهِ ما عَلِمتُ منهم إلَّا خيراً، ويقولونَ ذلك لرجلٍ[٤] واللهِ ما عَلِمتُ منه إلَّا خيراً، وما يَدخُلُ بيتاً من بُيُوتي إلَّا وهو معي».

قالت: وكان كِبْرُ ذلك[٥] عند عبد الله بن أُبيّ ابنِ سَلُولَ في رجالٍ من الخَزرَجِ مع الّذي قال مِسطَحٌ وحَمْنةُ بنتُ جَحْشٍ، وذلك أنّ أُختَها زينبَ بنتَ جَحشٍ كانت عند رسول الله ﷺ، ولم تكن من نسائِه امرأةٌ تُناصِيني[٦] في المَنزِلة عنده غيرُها، فأمّا زينبُ فعَصَمَها الله تعالى بدِينِها فلم تقلْ إلّا خيراً، وأمّا حَمْنةُ فأشاعَتْ من ذلك ما

---

(١) أي: سيشقّه.

(٢) أي: هوِّني عليك.

(٣) إنّما قام رسول الله ﷺ خطيباً بهذا الكلام بعد استشارته عليّاً وأسامةَ في أمر عائشة وسؤاله لبَريرة عن حالها، وليس قبل ذلك، هكذا وقع في رواية جمهور أصحاب الزهري عنه خلافاً لابن إسحاق.

(٤) يعني صفوانَ بنَ المعطَّل.

(٥) أي: مُعظَم ذلك الإفك يجمعه ويزيّنه لجلسائه.

(٦) تناصيني، أي: تنازعني في الرُّتبة عنده والمنزلة.

أشاعَتْ تُضَادُّني[1] لأُختها، فشَقِيَت بذلك.

فلمّا قال رسولُ الله ﷺ تلك المَقَالةَ، قال أُسَيدُ بن حُضَيرٍ[2]: يا رسول الله، إنْ يكونوا من الأَوس نَكفِيكَهم، وإنْ يكونوا من إخواننا من الخَزرَج، فمُرْنا بأَمرِك، فوالله إنَّهم[3] لَأهلٌ أن تُضرَبَ أعناقُهم، قالت: فقامَ سعدُ بن عُبَادة ـ وكان قبلَ ذلك يُرَى رجلاً صالحاً ـ فقال: كَذَبتَ لَعَمْرُ الله لا تُضرَبُ أعناقُهم، أمَا والله ما قلتَ هذه المقالةَ إلّا أنّك قد عَرَفتَ أنَّهم من الخَزرَج[4]، ولو كانوا من قومك ما قلتَ هذا، قال أُسَيدٌ: كَذَبتَ لَعَمرُ الله، ولكنَّك منافقٌ تُجادِلُ عن المنافقين[5]، قالت: وتَثاوَرَ[6]

(١) في (ف): تُعادِي.

(٢) كذا وقع لابن إسحاق: أن المتكلِّم هنا أُسيدُ بن حُضَير، وهذا وهمٌ منه، حمله عليه أنَّ غزوة بني المُصطلِق التي وقعت في عقبها حادثةُ الإفك، هي عنده في السنة السادسة بعد الخندق التي مات فيها سعدُ بنُ معاذٍ، والصواب أنها في السنة الخامسة قبل الخندق كما تقدَّم تحريرُه في أول الكلام على هذه الغزوة ص٣٦٧، وقد خالف ابنَ إسحاق غيرُ واحد من ثقات أصحاب الزهريِّ عنه في «الصحيحين» وغيرهما ـ وتقدم تخريج هذا الخبر ص٣٧٨ ـ وذكروا: أن سعدَ ابن معاذٍ هو المتكلِّم هنا أوَّلاً ثمَّ قام أُسيد بن حُضير فنصره وأيّده بردِّه على سعد بن عُبادة.

(٣) أي: من تكلَّم بالإفك في أهل النبي ﷺ.

(٤) ذلك أن عبد الله بن أُبيٍّ ابنِ سلولَ الذي تولّى كِبْر هذا الأمر من الخزرج، وكذا حسّان بن ثابتٍ أحدُ من تكلّم فيه.

(٥) قال ابن بطّال في «شرح البخاري» ٨/ ٤١: ولم يكن سعدٌ منافقًا، لكن لمجادلته عنهم استحلَّ منه أُسيدٌ أن يرميه بالنفاق. وقال ابن حجر في «الفتح» ١٤/ ٦٠: أطلق أُسيد ذلك مبالغةً في زَجْره عن القول الذي قاله، وأراد بقوله: فإنك منافق، أي: تصنع صنيع المنافقين، وفسّره بقوله: تجادل عن المنافقين.

(٦) بالثّاء من الثَّورة، أي: نهض بعضُهم إلى بعضٍ من الغضب.

وفي (ي) ونسخة في (ش٢): وتساور. بالسين، وهو صحيح أيضاً، فالسَّوْرة: الوَثْبة، يقال: =

النّاسُ حتّى كادَ يكون بين هذَينِ الحيَّينِ الأَوسِ والخَزرَجِ شَرٌّ[1]، ونَزَلَ رسولُ الله ﷺ فدخل عليَّ.

قالت: فدعا عليَّ بن أبي طالبٍ وأُسامةَ بن زيدٍ فاستَشارَهما؛ فأمّا أُسامةُ فأَثنَى خيراً وقاله، ثمّ قال: يا رسول الله، أهلُك ولا نعلمُ إلّا خيراً، وهذا الكذبُ والباطلُ، وأمّا عليٌّ فإنّه قال: يا رسول الله، إنَّ النّساءَ لكثيرٌ، وإنّك لَقادرٌ على أن تَستخلِفَ، وسَلِ الجاريةَ فإنّها ستَصدُقُك. فدعا رسولُ الله ﷺ بَرِيرةَ ليسألَها، قالت: فقامَ إليها عليُّ بن أبي طالبٍ فضَرَبَها ضرباً شديداً[2]، ويقول: اصدُقي رسولَ الله ﷺ، قالت: فتقول: والله ما أعلمُ إلّا خيراً، وما كنت أَعِيبُ على عائشة شيئاً، إلّا إنّي كنت أعجِنُ عَجِيني فآمُرُها أن تَحفَظَه، فتَنامُ عنه فتأتي الشّاةُ فتأكلُه.

قالت: ثمّ دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ وعندي أبَوايَ، وعندي امرأةٌ من الأنصار وأنا أَبكي وهي تَبْكي معي، فجَلَسَ[3]، فحَمِدَ اللهَ وأَثنَى عليه ثمّ قال: «يا عائشةُ، إنَّه قد كان ما قد بَلَغَكِ من قولِ النّاسِ، فاتَّقِي اللهَ، وإن كنتِ قد قارَفْتِ سُوءاً[4] مِمَّا يقولُ النّاسُ، فتُوبِي إلى الله، فإنَّ الله يَقبَلُ التَّوْبةَ عن عِبادِه».

= تَساوَرَ الرجلانِ، إذا تَواثَبا.

(١) في رواية «الصحيحين» وغيرهما زيادة: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفِّضهم حتى سَكَتوا وسَكَتَ.

(٢) انفرد ابن إسحاق من بين أصحاب الزهريِّ بذكر ضرب عليٍّ لها، وهذا حرف شاذٌّ. وانظر «فتح الباري» ١٤/ ٥٠-٥١.

(٣) في رواية «الصحيحين» وغيرهما زيادة: ولم يجلس عندي منذُ قيل ما قيل قبلَها، وقد لَبِثَ شهراً لا يوحى إليه في شأني.

(٤) قارفتِ سوءاً، أي: دخلتِ فيه.

قالت: فوالله ما هو إلّا أن قال لي ذلك فقَلَصَ دَمْعي[1] حتّى ما أُحِسُّ منه شيئاً، وانتَظَرتُ أبَوَيَّ أن يُجِيبا عنّي رسولَ الله ﷺ، فلم يَتكلَّما.

قالت: وايْمُ اللهِ، لَأنا كنت أحقَرَ في نفسي وأصغرَ شأْناً من أن يُنزِلَ الله فيَّ قرآناً يُقرَأُ به في المساجد ويُصلَّى به، ولكنّي قد كنت أرجو أن يُرَى رسولُ الله ﷺ في نومِه شيئاً يُكذِّبُ به اللهُ عنّي، لمَا يَعلَمُ من بَراءَتي، أو يُخبَرُ خَبَراً، فأمّا قرآنٌ يُنزَلُ فيَّ، فوالله لنفسي كانت أحقَرَ عندي من ذلك.

قالت: فلمّا لم أرَ أبوَيَّ يَتكلَّمانِ، قالت: قلت لهما: ألا تُجِيبانِ رسولَ الله ﷺ؟ قالت: فقالا: والله ما نَدْري بماذا نُجِيبُه، قالت: ووالله ما أعلمُ أهلَ بيتٍ دَخَلَ عليهم ما دَخَلَ على آلِ أبي بكرٍ في تلك الأيّام، قالت: فلمّا أن استَعجَما عليَّ استَعبَرتُ فبَكَيتُ ثمّ قلت: والله لا أتوبُ إلى الله ممّا ذَكَرتَ أبداً، والله إنّي لَأعلمُ لئِنْ أقرَرْتُ بما يقول الناسُ، واللهُ يَعلَمُ أنّي منه بَرِيئةٌ، لَأقولَنَّ ما لم يكن، ولَئِنْ أنا أنكَرْتُ ما يقولون، لا تُصدِّقونَني، قالت: ثمّ التَمَستُ اسمَ يعقوب فما أذكُرُه، فقلت: ولكن سأقولُ كما قال أبو يوسُفَ: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨].

قالت: فوالله ما بَرِحَ رسولُ الله ﷺ مَجلِسَه حتّى تَغشّاهُ من الله ما كان يَتَغشّاهُ، فسُجِّيَ بثوبِه ووُضِعَت وِسادةٌ من أَدَمٍ[2] تحت رأسه، فأمّا أنا حين رأيتُ من ذلك ما رأيتُ، فوالله ما فَزِعتُ ولا باليَتُ، قد عَرَفتُ أنّي بَرِيئةٌ وأنَّ الله غيرُ ظالمي، وأمّا أبوايَ فوالّذي نفسُ عائشة بيده، ما سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ حتّى ظَنَنتُ لتخرُجَنَّ

---

(١) قَلَصَ دمعي، أي: استمسك نزوله فانقطع.

(٢) سُجِّي: غُطِّي.

والأَدَم: الجلد.

أنفسُهما، فَرَقاً[1] من أن يأتيَ من الله تحقيقُ ما قال الناسُ، قالت: ثمّ سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ، فجَلَسَ وإنَّه لَيَتَحدّرُ منه مِثلُ الجُمَانِ[2] في يومٍ شاتٍ، فجَعَلَ يَمسَحُ العَرَقَ عن جَبِينِه ويقول: «أَبشِري يا عائشةُ، فقد أنزَلَ اللهُ بَراءَتَكِ»، قالت: قلت: بحَمْدِ الله[3].

ثمّ خرج إلى الناس فخَطَبَهم وتَلَا عليهم ما أنزَلَ الله عليه من القرآن في ذلك، ثمّ أمَرَ بمِسطَحِ بن أُثَاثَةَ، وحسّانَ بن ثابتٍ، وحَمْنَةَ بنتِ جَحْشٍ، وكانوا ممَّن أفصَحَ بالفاحشة، فضُرِبوا حَدَّهم.

وحدَّثني أَبي إسحاقُ بن يَسارٍ، عن بعض رجال بني النَّجّار: أنّ أبا أيّوب خالدَ ابن زيدٍ قالت له امرأتُه أمُّ أيّوبَ: يا أبا أيّوب، ألا تَسمَعُ ما يقول الناسُ في عائشة؟! قال: بَلَى، وذلك الكَذِبُ، أكنتِ يا أمَّ أيّوبَ فاعلةً؟ قالت: لا والله، ما كنتُ لأفعلَه، قال: فعائشةُ واللهِ خيرٌ منك[4].

---

(١) أي: خوفاً.

(٢) الجُمَان: حبٌّ من فضة يصنع على مثال الدُّرّ.

(٣) وفي بعض الروايات كما عند أحمد (٢٧٠٧٠) والبخاري (٣٣٨٨) و(٤١٤٣) وغيرهما أنها قالت: بحمد الله لا بحمد أحدٍ، وفي بعضها زيادة: ولا بحمدك؛ تعني النبيَّ ﷺ.

(٤) خبر أبي أيوب هذا مرسلٌ، وهو محتمل للتحسين إن شاء الله، وإسحاق بن يسار ثقة من صغار التابعين.

وأخرجه ابن شبّة في «تاريخ المدينة» ١/ ٣٣٥، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٦١٧، وفي «تفسيره» ١٧/ ٢١٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٨/ ٢٥٤٦، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٦/ ٤٨-٤٩ من طرق عن ابن إسحاق، به.

ورواه مرسلاً إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٦٩٨) من طريق محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبيه، عن بعض الأنصار. وعمرو بن علقمة لم يرو عنه غير ابنه محمد، وذكره ابن حبان =

قالت: فلمّا نَزَلَ القرآنُ بذِكْرِ مَن قال من أهلِ الفاحشة ما قال من أهلِ الإفك، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١١]، وذلك[1] حسّانُ بن ثابتٍ وأصحابُه الّذين قالوا ما قالوا.

قال ابن هشام: ويقال: وذلك عبدُ الله بن أُبيٍّ وأصحابُه. وقال ابن هشام: والذي تَوَلَّى كِبْرَه عبدُ الله بن أُبيٍّ، وقد ذكر ذلك ابنُ إسحاق في هذا الحديث قبلَ هذا[2].

ثمّ قال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ أي: فقالوا كما قال أبو أيّوبَ وصاحبتُه ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

فلمّا نَزَلَ هذا في عائشة وفيمن قال لها ما قال، قال أبو بكرٍ ـ وكان يُنفِقُ على

= في «ثقاته» ولم يؤثر توثيقه عن غيره، ففيه جهالة، لكنه يصلح في الاعتبار.

ورواه الواقديّ في «مغازيه» ٢/ ٤٣٤ ـ ومن طريقه ابن عساكر ١٦/ ٤٩ ـ عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحُصين، عن أبي سفيان، عن أفلح مولى أبي أيوب: أن أم أيوب قالت لأبي أيوب، فذكره. والواقديُّ وشيخه ابن أبي حبيبة ضعيفان.

وروى الطبراني في «الكبير» ٢٣/ (١٤٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (٦٣٦) بإسناد حسن إن شاء الله عن الزهري، عن عروة، عن عائشة حديثَ الإفك، وقالت فيه: وكان أبو أيوب حين أخبرته امرأتُه فقالت: يا أبا أيوب، ألم تسمع بما يتحدث الناس؟ قال: وما يتحدثون؟ فأخبرته بقول أهل الإفك، فقال: ما يكون لنا أن نتكلَّم بهذا، سبحانك هذا بهتان عظيم. قالت: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦].

(١) تعني الإشارة إلى العصبة الذين جاؤوا بالإفك.

(٢) وهو من قول عائشة رضي الله عنها.

مِسطَحٍ لقَرابتِه وحاجتِه ـ: والله لا أُنفِقُ على مِسطَحٍ شيئاً أبداً، ولا أَنفَعُه بنفعٍ أبداً، بعدَ الّذي قال لعائشةَ وأدخَلَ علينا، قالت: فأنزَلَ الله في ذلك: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢].

قال ابن هشام[١]: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ ولا يَأْلُ[٢] أُولُو الفضلِ منكم، قال امرُؤُ القيس بن حُجْرٍ الكِنْديّ[٣]:

ألا رُبَّ خَصمٍ فيكِ أَلْوَى رَدَدتُهُ نَصيحٍ على تَعْذالِه غيرِ مُؤتَلِ[٤]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

ويقال: ولا يَأتَلِ أُولو الفضل: ولا يَحلِفْ أُولو الفضل، وهو قولُ الحسن بن أبي الحسن[٥]، فيما بَلَغَنا عنه، وفي كتاب الله: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ [البقرة:٢٢٦]،

---

(١) قبل هذه الفِقْرة في نسخة على حاشيتي (ط) و(م): قال ابن هشام: يقال: كُبْرُه وكِبْرُه في الرّواية، وأمّا القرآن فكِبْرُه.

(٢) أي: لا يقصِّر. وأُولو الفضل، أي: ذوو السَّعَة والغنى.

(٣) وهو من معلَّقته السائرة، وأولها:

قِفَا نَبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومَنـزِلِ بسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُولِ فحَومَلِ

وانظر «شرح ديوانه» لأبي سعيد السكري ص٢٣٨.

(٤) الأَلوى: الشديد الخصومة. والتَّعذال: العَذْل، وهو اللَّوم. وغير مؤتلٍ، أي: غير مقصِّر بجُهده في نصحي.

ومعنى البيت: أن هذا الخصم الذي يلومه على هواه هو ناصحٌ له، لأنه إنما يلومه على ما يراد به من فتنته بالنساء، إلا أن الشاعر يردّه ويصدّه لشدّة هواه بهذه المرأة. وانظر «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي ص١٣١-١٣٢.

(٥) يعني البصريَّ، وهو أيضاً قول جمهور أهل التفسير.

وهو من الأَلِيّة، والأَلِيّةُ: اليمينُ، قال حسّانُ بن ثابتٍ:

آلَيتُ ما في جميعِ الناسِ مُجتهِداً مِنِّي أَلِيَّةَ بَرٍّ غيرَ إفْنادِ[1]

وهذا البيت في أبياتٍ له، سأذكرُها إن شاءَ الله في موضعِها[2].

فمعنى: ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ﴾ في هذا المَذهَب: أن لا يُؤتُوا، وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء:١٧٦]، يريد: أن لا تَضِلُّوا، ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج:٦٥] يريد: أن لا تَقَعَ على الأرض.

وقال ابن مُفرِّغٍ الحِمْيريّ[3]:

لا ذَعَرتُ السَّوَامَ في وَضَحِ الصُّبْـ ـحِ مُغِيراً ولا دُعِيتُ يزيدا[4]

يومَ أُعْطي مَخافةَ الموتِ ضَيْماً والمَنايا يَرصُدْنَني أن أَحِيدا[5]

---

(١) رواية الشطر الأول من البيت في «الديوان» برواية محمد بن حبيب ١/ ٢٧٢:

آليتُ حِلفةَ بَرٍّ غيرِ ذي دَخَلٍ

والتقدير ـ كما قال البرقوقي في «شرح ديوان حسان» ص٩٩ ـ هكذا: آليتُ أَلِيّةَ بَرٍّ غيرَ إفنادٍ مني مجتهداً. أي: حلفتُ حِلفةَ صادق غير كذبٍ وأنا مجتهد في يميني، والإفناد: الكذب.

(٢) في آخر الكتاب، وهي في رثاء النبي ﷺ.

(٣) انظر «ديوانه» ص١٠٣-١٠٤.

(٤) ذَعَرتُ: أفزعتُ. والسَّوَام: المال المُرسَل في المَرعَى. ووضح الصبح: ضياؤه وبياضه حين تنفلق الظلماء عن الضوء، وفيه تُشنُّ الغارات غالباً.

وفي معنى قوله: لا دُعِيتُ يزيدا، قال ابن جِنّي في «الخصائص» ٣/ ٢٧٣: لا دُعِيتُ الفاضلَ المُغْني، هذا يريد، وليس يتمدّح بأن اسمه يزيد؛ لأن يزيد ليس موضوعاً بعد النقل عن الفِعلية إلا للعَلَميّة، فإنما تمدَّح هنا بما عُرِف من فضله وغَنَائه؛ وهذا كثير، فإذا مرَّ بك شيءٌ منه فقد عرَّفتُك طريقَه.

(٥) قوله: يوم أُعطي ضيماً، يريد: يوم أنقادُ لأحدٍ ذلّاً، والضَّيم: الذلّ. ويرصدنني: يراقبنني. =

يريد: أن لا أَحِيدَ، وهذان البيتان في أبياتٍ له.

قال ابن إسحاق: قالت[1]: فقال أبو بكرٍ: بَلَى واللهِ إنّي لَأُحِبُّ أن يَغفِرَ الله لي؛ فرَجَعَ إلى مِسطَحٍ نَفَقتَه التي كان يُنفِقُ عليه، وقال: والله لا أَنزِعُها منه أبداً.

قال ابن إسحاق: ثمّ إنَّ صفوانَ بن المُعطَّلِ اعتَرَضَ حسّانَ بن ثابتٍ بالسَّيفِ حين بَلَغَه ما كان يقول فيه، وقد كان حسّانُ قال شعراً مع ذلك يُعرِّضُ بابن المُعطَّل فيه وبمَن أسلَمَ من العرب من مُضَرَ، فقال:

أَمسى الجَلَابيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا ... وابنُ الفُرَيعةِ أَمسى بَيْضةَ البلدِ[2]

قد ثَكِلَت أُمُّه مَن كنتُ صاحبَه ... أو كان مُنتَشِباً في بُرثُنِ الأسَدِ[3]

= وأَحِيد: أَعدِل وأَمِيل.

(١) أي: عائشة رضي الله عنها، وهذا الخبر من تتمة حديثها في قصة الإفك، وهو مخرَّج أيضاً في «الصحيحين» وغيرهما، وقد تقدم تخريجه في أول الخبر.

(٢) الجلابيب: الغُرباء، وفي «ديوان حسان» برواية محمد بن حبيب ١/ ٢٨٤: الخَلابيس؛ وهم المتفرّقون من كل وجهٍ، واحدها: خِلْبيس. والفُريعة: هي أمُّ حسّان.

وبيضة البلد، قال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٤٤١: يعني: منفرداً، وهي كلمة يُتكلَّم بها في المدح تارةً وفي معنى القُلِّ أخرى، يقال: فلانٌ بيضة البلد، أي: أنه واحد في قومه عظيم فيهم، وفلانٌ بيضة البلد، يريد: أنه ذليل ليس معه أَحد.

قلنا: وذهب الأزهريُّ في «تهذيب اللغة» ١٢/ ٦٠ إلى أن المعنى الثاني هو المراد، فقال: معنى قول حسّان: أنّ سَفِلَ الناس عزُّوا بعد ذِلّتهم، وكثروا بعد قِلّتهم، وابن الفُرَيعة الذي كان ذا ثروة وثراءِ عزٍّ أُخِّر عن قديم شرفِه وسُودَدِه واستُبِدَّ بإمضاء الأمور دونه ودون ولده، فهو بمنزلة بيضة البلد التي تبيضها النَّعامة، ثم تتركها بالفَلَاة فلا تَحضُنها، فتبقى تريكةً بالفَلاة لا تُصان ولا تُحضَن.

(٣) ثَكِلَته أمُّه، أي: فَقَدَته. وقوله: من كنت صاحبه، أراد: من لقيتُه وأنا عدوٌّ له، يفتخر بأنه =

مـا لقَتيلِـي الـذي أَغـدُو فآخُـذُه ... مـن دِيَـةٍ فيـه يُعطَاهـا ولا قَـوَدِ[1]

مـا البحـرُ حـين تَهُبُّ الـرِّيحُ شـاميَةً ... فيَغطَئِـلُّ ويَرمـي العِبْـرَ بالزَّبَـدِ[2]

يومـاً بأغلَـبَ منّـي حـين تُبصِـرُني ... مِلْغَيظِ أَفْري كفَرْيِ العارضِ البَرِدِ[3]

أمّـا قـريشٌ فـإنّي لـن أُسـالمَهم ... حتّـى يُنِيبـوا مـن الغَيّـاتِ للرَّشَـدِ[4]

ويَتـرُكوا الـلّاتَ والعُـزَّى بمَعزِلـةٍ ... ويَسـجُدوا كلُّهـم للواحـدِ الصَّـمَدِ

ويَشـهَدوا أنّ مـا قـال الرّسـولُ لهـم ... حـقٌّ ويُوفُـوا بعهـدِ الله والوُكُـدِ[5]

فاعتَرَضَه ابن المُعطَّل فضربه بالسّيف، ثمّ قال كما حدّثني يعقوبُ بن عُتْبة:

تَلَـقَّ ذُبَـابَ السّـيفِ عنّـي فـإنَّني ... غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعرِ[6]

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّدُ بن إبراهيم بن الحارث التَّيْميّ: أنّ ثابتَ بن قيس بن الشَّمّاس وَثَبَ على صفوانَ بن المُعطَّل حين ضرب حسّانَ، فجَمَعَ يَدَيهِ إلى عُنُقِه بحبلٍ ثمّ انطَلَقَ به إلى دار بني الحارثِ بن الخَزرَج، فلَقِيَه عبدُ الله بن رَوَاحة

= من الشجاعة بحيث أن كلَّ من يلقاه تفقده أمُّه.

ومنتشباً: متعلِّقاً. والبُرثُن: مِخلَب الأسد.

(١) القَوَد: قتل النفس بالنفس.

(٢) شامية، يريد ريح الشَّمال، وتسمَّى أيضاً: الجِربِياء. ويغطئلّ: يضطرب ويتحرك. والعِبْر: جانب النهر أو البحر. والزَّبَد: الرغوة التي تعلو الماء.

(٣) بأغلبَ مني، أي: بأشدَّ مني غلبةً وقهراً لخصمي. مِلْغيظِ، أي: من الغيظ. أفري: أقطع. والعارض: السَّحاب. والبَرِد: الذي فيه بَرَدٌ.

(٤) يُنِيبوا: يرجعوا. والغيّات: جمع غَيّة، من الغَيّ، وهو خلاف الرُّشد.

(٥) يريد بالوُكُد: العهود المؤكَّدة.

(٦) ذباب السيف: طرفه الذي يضرب به. وقوله: لست بشاعر، يريد أنه لا يكتفي بالقول كالشعراء، إنما يردّ على من هاجاه بالفعل.

فقال: ما هذا؟! قال: أمَا أُعجِّبُك[1]، ضَرَبَ حسّانَ بالسّيف، والله ما أُراه إلّا قد قتله، قال له عبدُ الله بن رَوَاحة: هل عَلِمَ رسولُ الله ﷺ بشيءٍ ممّا صنعتَ؟ قال: لا والله، قال: لقد اجتَرَأتَ، أَطلقِ الرَّجلَ، فأطلَقَه، ثمّ أتَوْا رسولَ الله ﷺ فذكروا ذلك له، فدعا حسّانَ وصفوانَ بن المُعطَّل، فقال ابن المُعطَّل: يا رسول الله، آذاني وهَجَاني، فاحتَمَلَني الغضبُ فضربتُه، فقال رسولُ الله ﷺ لحسّان: «يا حسَّانُ، أتَشَوَّهتَ على قَوْمي[2] أنْ هَدَاهم اللهُ للإسلامِ؟!»، ثمّ قال: «أَحسِنْ يا حسَّانُ في الَّذي أَصابَك» قال: هي لك.

قال ابن هشام: ويقال: «أنْ هَدَاكم اللهُ»[3].

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمّدُ بن إبراهيمَ: أنّ رسولَ الله ﷺ أعطاه عِوَضاً منها بَيرَحاءَ[4]، وهي قصرُ بني حُدَيلةَ اليومَ بالمدينة، وكانت مالاً لأبي طلحة بن سهلٍ

---

(١) قد اختلفت نسخنا الخطية في تقييد هذا الحرف، فالأكثر على ما قيّدناه به، ومعناه: أما أجعلُك تتعجّب، وقُيِّد في بعضها بالتخفيف: أما أُعجِبُك، وقُيّد في بعضها الآخر: أما أَعجَبَك، وهو الوجه الذي شرح عليه السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٤٤٤ فقال: معناه: أما جَعَلَك تَعجَبُ.

(٢) يريد بقومه مُضَرَ، وقوله: «أتشوَّهت على قومي» قال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٤٤٥: معناه: أقبّحتَ ذلك من فعلهم حين سمَّيتهم بالجلاليب من أجل هجرتهم إلى الله وإلى رسوله.

(٣) زاد في (ش١) و(غ): للإسلام. ثم زاد في (ش١) بعده: وقوله: «أتشوّهتَ على قومي» يريد: أترفّعتَ على قومي.

(٤) اختُلف في ضبط هذه اللفظة على أوجه كثيرة، أشهرها بفتح الباء والراء، قال أبو الوليد الباجيُّ في «المنتقى شرح الموطّا» ٧/ ٣٢٠: وعلى ذلك أدركتُ أهل الحفظ والعلم بالمَشرِق. وانظر أيضاً «الروض الأنف» للسهيليّ ٦/ ٤٤٥-٤٤٦، و«فتح الباري» لابن حجر ٥/ ١٣٤.

وأمّا بنو حُديلة: فهم من الخزرج، وهم بنو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجّار، وحُديلة أُمُّهم يُنسَبون إليها، ذكر ذلك ابن هشام فيما تقدم ٢/ ٨٦ و٤٣٤.

تَصدَّقَ بها إلى رسول الله ﷺ، فأعطاها رسولُ الله ﷺ حسّانَ في ضربته، وأعطاه سِيرِينَ؛ أَمَةً قِبْطيَّة، فوَلَدَت له عبدَ الرَّحمن بن حسّان، قال: وكانت عائشةُ تقول: لقد سُئِلَ عن ابن المُعطَّل فوَجَدُوه رجلاً حَصُوراً ما يأتي النِّساءَ، ثمّ قُتِلَ بعدَ ذلك شهيداً[1].

---

(١) خبر ضعيف لإرساله، فإن محمد بن إبراهيم التيميّ من صغار التابعين ولم يدرك عائشة، وهو مع ثقته يروي أحاديث مناكير كما قال أحمد بن حنبل.

قلنا: وهذا منها، والنَّكارة فيه في مواضع:

الأول: كون النبيِّ ﷺ هو الذي أعطى حسانَ بيرحاءَ التي كانت مالاً لأبي طلحة، لأنه قد ثبت وصحَّ من حديث أنس بن مالك ـ وكان أبو طلحة زوجَ أمّه أم سليمٍ ـ: أن أبا طلحة لمّا تصدَّق بها وجعل أمرها إلى رسول الله ﷺ، ردَّها عليه وقال له: «اجعله في الأقربِينَ»، فتولّى أبو طلحة قسمتَها بين أقاربه وبني عمّه، فأعطى منها نصيباً لحسّان بن ثابت. أخرجه البخاري (٢٧٥٨).

الثاني: كون النبيِّ ﷺ أعطاه سِيرِين في هذه الحادثة، فقد ذكر ابن عبد البر في ترجمة حاطب ابن أبي بلتعة من «الاستيعاب» ص١٧١: أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة في سنة ستٍّ من الهجرة إلى المقوقس صاحب مصر والإسكندرية، فأتاه من عنده بهديّة، منها مارية القِبطية وسيرين أختُها، فاتَّخذ رسول الله ﷺ مارية لنفسه ووهب سيرينَ لحسان بن ثابت. قلنا: وعلى ما تقدّم في أول غزوة بني المصطلق من ترجيحنا أنها كانت في سنة خمسٍ لا ستٍّ، فإن سيرين لم تكن في المدينة في ذلك الوقت، بل قدمت إليها مع أختها ماريةَ بعد ذلك بمدّة.

وقال ابن عبد البر أيضاً في ترجمة حسان ص١٦٦: أما إعطاء رسول الله ﷺ سيرين أخت مارية لحسانَ فمرويٌّ من وجوه، وأكثرها أن ذلك ليس لضربة صفوان، بل لذبِّه بلسانه عن النبي ﷺ في هجاء المشركين له، والله أعلم.

الثالث: كون ابن المعطَّل كان رجلاً حصوراً لا يأتي النساءَ، فقد ثبت وصحَّ أنه كانت له امرأة، فقد روي بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدريّ: أن امرأة صفوان بن المعطَّل جاءت إلى النبيّ ﷺ وشَكَتْ إليه صفوانَ في أمور ثلاثة، أحدها: أنه كان يفطّرها إذا صامت ـ يعني تنفّلاً ـ فسأله =

ثمّ قال حسّانُ بن ثابتٍ يَعتذِرُ من الّذي كان قال في شَأْن عائشة رضي الله عنها[1]:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ ... وتُصبِحُ غَرْثَى من لُحومِ الغوافلِ[2]

عَقِيلةُ حيٍّ من لُؤَيِّ بن غالبٍ ... كِرامِ المَسَاعي مَجدُهم غيرُ زائلِ[3]

مُهذَّبةٌ قد طَيَّبَ الله خِيمَها ... وطَهَّرَها من كلِّ سوءٍ وباطلِ[4]

فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زَعَمتمُ ... فلا رَفَعَت سَوْطي إليَّ أناملي[5]

وكيفَ ووُدِّي ما حَيِيتُ ونُصْرتي ... لآلِ رسولِ الله زَينِ المَحافِلِ

له رَتَبٌ عالٍ على الناسِ كلِّهمْ ... تَقاصَرَ عنه سَوْرةُ المُتَطاوِلِ[6]

= النبيَّ ﷺ عمّا قالت فقال له: إنها تصوم وأنا رجل شابٌّ فلا أصبر، فقال رسول الله ﷺ يومئذٍ: «لا تصومنَّ امرأة إلا بإذن زوجها». أخرجه أحمد (١١٧٥٩) وأبو داود (٢٤٥٩) وغيرهما.

وأما مرسل محمد بن إبراهيم، فقد أخرجه ابن شبّة في «تاريخ المدينة» ١/ ٣٤٤-٣٤٥، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٦١٨-٦١٩، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٧٤-٧٥ من طرق عن ابن إسحاق، به.

(١) انظر «ديوانه» ١/ ٢٩٢.

(٢) الحَصَان: العفيفة. والرَّزان: الملازمة موضعها، التي لا تتحرك كثيراً؛ يقول: عفيفة كاملة العقل، ذات ثبات ووقار وسكون. وما تُزَنّ، أي: ما تُتَّهم. وغَرْثى: جائعة، والغَرَث: الجوع. والغوافل: جمع غافلة. وقوله: وتصبح غَرثَى من لحوم الغوافل، أي: خميصة البطن من لحوم الناس، أي: اغتيابهم، فهي كافّةٌ عن أعراض الناس.

(٣) العقيلة: الكريمة الحُرّة. والمساعي: جمع مَسْعاة، وهو ما يُسعَى فيه من طلب المجد والمكارم.

(٤) مهذّبة، أي: صافية مُخلَصة. والخِيْم: الطَّبع والأصل.

(٥) الأنامل: الأصابع.

(٦) الرَّتَب، بالفتح: ما ارتفع من الأرض وعلا، فاستعاره هنا للشرف والمجد، ومن رواه بضم الراء فهو جمع رُتْبة: وهي المنزلة. والسَّورة، بالفتح: الوَثْبة، يقال: تساوَرَ الرجلانِ، إذا =

فـإنَّ الـذي قـد قيـلَ لـيس بلائـطٍ ولكنَّـه قـولُ امـرِئٍ بـي ماحِـلِ[1]

قال ابن هشام: بيتُه: عَقِيلةُ حيٍّ، والبيتُ الذي بعدَه وبيتُه: له رَتَبٌ عالٍ، عن أبي زيدٍ الأنصاريّ.

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة: أنّ امرأةً مَدَحَت بنتَ حسّانَ بن ثابتٍ عند عائشة فقالت:

حَصَـانٌ رَزَانٌ مـا تُـزَنُّ بِرِيبـةٍ وتُصبِحُ غَرْثَى من لُحومِ الغوافِلِ

فقالت عائشةُ: لكِنْ أَبوها[2].

قال ابن إسحاق: وقال قائلٌ من المسلمين في ضربِ حسّانَ وأصحابِه في فِرْيتِهم

= تواثُبا، وبضم السين: المنزلة الرفيعة.

(١) ليس بلائط، أي: ليس بلاصق بي. والماحل: الواشي النمّام.

قلنا: من أجل هذه الأبيات الأخيرة أنكر قومٌ أن يكون حسان خاض بالإفك وجُلد فيه كما ذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص١٦٦، والسهيليّ في «الروض» ٦/ ٤٤٩، لكن هذا مردودٌ بما رواه ابن إسحاق سابقاً في آخر خبر الإفك أنه حُدَّ فيه، وبما صحَّ عن عائشة أيضاً أنها أشارت إلى خوضه في الإفك كما في الخبر المذكور لاحقاً.

وأما شعره هذا فهو اعتذار منه وتنصُّل مما وقع فيه ولومه لمن نقله عنه، والله تعالى أعلم.

(٢) هذا خبر مُعضَل ليس له سند، لكن الذي صحَّ ما رواه مسروق عن عائشة عند البخاري (٤١٤٦) و(٤٧٥٥) ومسلم (٢٤٨٨): أنَّ حسان بن ثابت نفسه جاء يستأذن عليها، فقال لها مسروق: أتأذنين لهذا؟! قالت: أوليسَ قد أصابه عذابٌ عظيمٌ - تعني ذهابَ بصره - فقال:

حصـانٌ رزانٌ مـا تُـزنُّ بـريبـةٍ وتصبح غرثى من لحوم الغوافلِ

فقالت له: لكن أنتَ. وفي رواية عند البخاري ومسلم: لكنك لستَ كذلك. قال ابن الملقِّن في «التوضيح» ٢٣/ ٥١: تعني: لكن أنت لم تصبح غرثانَ من لحوم الغوافل، وهو دالٌّ على أنه خاض فيمن خاض.

على عائشة ـ قال ابن هشام: في ضربِ حسّانَ وصاحبَيه ـ:

لقد ذاقَ حسّانُ الّذي كان أهلَهُ ... وحَمْنةُ إذ قالوا هَجِيراً ومِسطَحُ[1]

تَعاطَوْا برَجْمِ الغيبِ زوجَ نبيِّهم ... وسَخْطةَ ذي العرشِ الكريمِ فأُترِحُوا[2]

وآذَوْا رسولَ الله فيها فجُلِّلوا ... مَخازيَ تبقَى عُمِّمُوها وفُضِّحُوا

وصُبَّت عليهم مُحصَداتٌ كأنّها ... شَآبِيبُ قَطْرٍ من ذُرَا المُزْنِ تَسفَحُ[3]

---

(١) الهَجِير: الهُجْر، وهو قول الفاحش القبيح.

(٢) رجم الغيب: الظن. وأُترحوا، أي: أُحزنوا، من التَّرَح، وهو الحُزن، ويروى: فأُبرحوا، بالباء، وهو من البَرْح، وهو المشقّة والشدّة.

(٣) مُحصَدات: يعني سِياطاً محكمة الفَتْل شديدات. والشآبيب: جمع شُؤبُوب، وهو الدُّفعة من المطر. والذُّرى: الأعالي. والمُزْن: السحاب. وتَسفَح: تَسِيل.

أمرُ الحُدَيبيَة
في آخر سنة ستٍّ[1]
وذكرُ بيعة الرِّضوان والصُّلح بين رسول الله ﷺ وبين سُهَيل بن عمرو

قال ابن إسحاق: ثمّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينة شهرَ رمضانَ وشوّالاً، وخرج في ذي القَعْدة مُعتمِراً، لا يريد حرباً.

قال ابن هشام: واستَعمَل على المدينة نُمَيلةَ بن عبدِ الله اللَّيثيّ.

قال ابن إسحاق: واستَنفَرَ العربَ ومَن حولَه من أهل البَوَادي من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يَخشَى من قريشٍ الذي صَنَعوا أن يَعرِضُوا له بحربٍ أو يَصُدُّوه عن البيت، فأبطَأَ عليه كثيرٌ من الأعراب، وخرج رسولُ الله ﷺ بمَن معه من المهاجرين والأنصار ومَن لَحِقَ به من العرب، وساقَ معه الهَدْيَ وأحرَمَ بالعُمْرة ليأمَنَ الناسُ من حربِه، وليَعلَمَ الناسُ أنّه إنَّما خرج زائراً لهذا البيت ومُعظِّماً له.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمّد بن مُسلِم بن شِهابٍ الزُّهْريّ، عن عُرْوة بن الزُّبَير، عن مِسوَر بن مَخرَمة ومروانَ بن الحَكَم، أنَّهما حدَّثاه قالا: خرج رسولُ الله ﷺ عامَ الحُدَيبِيَةِ يريد زيارةَ البيتِ لا يريد قتالاً، وساقَ معه الهَدْيَ سبعين بَدَنةً، وكان الناسُ سبعَ مئةِ رجلٍ، فكانت كلُّ بَدَنةٍ عن عَشَرةِ نَفَرٍ[2].

---

(١) الحُدَيبية، بتخفيف الياء الثانية وتشديدها: قرية تقع غرب مكة وتبعد عن وسطها قرابة ٢٢ كم، وعن حدّ حَرَمها ٢ كم تقريباً، وتُعرَف الآن بالشميسي.

(٢) قد وهمَ ابنُ إسحاق على شيخه ابن شهاب الزهريِّ في هذا الخبر في عدّةِ مَن صحب النبيَّ ﷺ في الحديبية، فذكر أنهم كانوا سبعَ مئةٍ، وخالفه من هو أوثقُ منه في الزهري فقال فيه: كانوا بضعَ عشرةَ مئةٍ، بنحو قول جابرٍ الآتي عنده، هكذا رواه عن الزهريِّ معمرٌ ـ وهو من أروى =

وكان جابرُ بن عبد الله ـ فيما بَلَغَني ـ يقول: كنّا أصحابَ الحُدَيبيةِ أربعَ عشرةَ مئةٍ[1].

قال الزُّهْريّ[2]: وخرج رسولُ الله ﷺ حتّى إذا كان بعُسْفان[3] لَقِيَه بِشرُ بن سفيانَ الكَعْبيّ ـ قال ابن هشام: ويقال: بُسْر ـ فقال: يا رسول الله، هذه قريشٌ قد سمعت

= الناس عنه ـ عند أحمد (١٨٩٢٨)، والبخاري (١٦٩٤)، وأبي داود (٢٧٦٥)، والنسائي في «المجتبى» (٢٧٧١) و«الكبرى» (٣٧٣٧) و(٨٧٨٩)، وابن حبان (٤٨٧٢)، وكذا سفيانُ بن عُيينة عند أحمد (١٨٩٠٩)، والبخاري (٤١٥٧) و(٤١٧٨)، والنسائي في الكبرى (٨٥٢٨).

وأما حديثُ ابن إسحاق عن شيخه الزهريِّ في قصة الحديبية بطوله الآتي، فقد أخرجه أحمد (١٨٩١٠) عن يزيد بن هارون، عن ابن إسحاق، به. ورجال إسناده ثقات.

(١) يعني ألفاً وأربعَ مئةٍ، وهذا خبر صحيح.

وأخرجه من حديث جابرٍ أحمد (١٤١٨١)، والبخاري (٤١٥٢-٤١٥٤) و(٥٦٣٩)، ومسلم (١٨٥٦)، وابن حبان (٦٥٣٨) و(٦٥٤١) و(٦٥٤٢) من طرق عنه. لكن اختلف أصحاب جابر في عدّتهم بين ألف وأربع مئة وبين ألف وخمس مئة، والجمع بين هذا الاختلاف ـ كما قال ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٣٣٤ ـ: أنهم كانوا أكثر من ألف وأربع مئة، فمن قال: ألفاً وخمس مئة، جَبَر الكسرَ، ومن قال: ألفاً وأربع مئة، ألغاه، ويؤيّده قوله في رواية في حديث البراء بن عازب عند البخاري (٤١٥١): كانوا ألفاً وأربع مئة أو أكثر، واعتمد على هذا الجمع النوويُّ، وأما البيهقيُّ فمال إلى الترجيح وقال: إن رواية من قال: ألف وأربع مئة، أصحّ. وانظر تتمة الكلام في «الفتح».

(٢) يعني تتمّة للخبر السابق. وهذا من مراسيل الزهري، انفرد به عنه ابن إسحاق، وقد روى معمرٌ خبر قصة الحديبية بطوله عن الزهري كما عند أحمد (١٨٩٢٨) والبخاري (٢٧٣١) وابن حبان (٤٨٧٢) وغيرهم، فلم يذكر فيه بِشر أو بُسر بن سفيان هذا، وجعل ما وقع في هذه المحاورة كائناً بين بُديل بن ورقاء الخُزاعي وبين النبي ﷺ.

(٣) بلدة شمال غرب مكة على قرابة ٧٥ كم.

بمَسِيرِك، فخرجوا معهم العُوذُ المَطافِيلُ قد لَبِسوا جُلودَ النُّمور[1]، وقد نَزَلوا بذي طُوًى[2]، يُعاهِدون الله لا تَدخُلُها عليهم أبداً، وهذا خالدُ بن الوليد في خيلِهم قد قَدَّموها إلى كُرَاعِ الغَمِيم[3]، قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا وَيْحَ قريشٍ، لقد أكَلَتهُم الحربُ، ماذا عليهم لو خَلَّوْا بيني وبينَ سائرِ العربِ، فإنْ هم أَصابُوني كان الَّذي أَرادُوا، وإنْ أظهَرَني اللهُ عليهم دَخَلوا في الإسلامِ وافِرينَ[4]، وإنْ لم يَفعَلُوا قاتَلُوا وبهم قوّةٌ، فما تَظُنُّ قريشٌ، فواللهِ لا أَزالُ أُجاهِدُ على الَّذي بَعَثَني اللهُ به حتّى يُظهِرَه اللهُ أو تَنفَرِدَ هذه السّالِفةُ[5]».

ثمّ قال: «مَن رجلٌ يَخرُجُ بنا على طريقٍ غيرِ طريقِهم الَّتي هُم بها؟».

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ: أنّ رجلاً من أسلَمَ قال: أنا يا رسول الله، قال: فسَلَكَ بهم طريقاً وَعْراً أجرَلَ[6] بين شِعابٍ، فلمّا خرجوا منه وقد شَقَّ ذلك على المسلمين وأفضَوْا إلى أرضٍ سَهْلةٍ عند مُنقطَعِ الوادي، قال رسولُ الله ﷺ للناس: «قولوا: نَستغفِرُ اللهَ ونتوبُ إليه»، فقالوا ذلك، فقال: «والله

(١) العُوذ: جمع عائذ، وهي الناقة ذات اللّبن. والمطافيل: الأمّهات اللّاتي معهن أطفالهن، يريد أنهم خرجوا بذوات الألبان ليتزوّدوا ألبانها، ولا يرجعوا حتى يمنعوه.
وقوله: لبسوا جلود النمور: كناية عن شدّة الحقد والغضب، تشبيهاً بأخلاق النمور، وقيل: هو مثلٌ يُكنَى به عن إظهار العداوة والتنكّر، ويقال للرجل الذي يُظهِر العداوة: لبس لي جلدَ نَمِرٍ.

(٢) ذو طُوى: وادٍ من أودية مكة في شمالها، كلُّه معمور اليوم، فيه عدّة أحياء من أحياء مكة.

(٣) كُراع الغميم: موضع يقع جنوب عُسفان على قرابة ١٦ كم.

(٤) أي: كاملين لم تنقصهم الحربُ بالقتل.

(٥) السالفة: صَفْحة العُنق، وهما سالفتان من جانبيه، وكنّى بانفرادها عن الموت.

(٦) الأجرل: الكثير الحجارة، والجَرَل والجَرْوَل: الحجارة.

إنَّها لَلحِطَّةُ[1] التي عُرِضَت على بني إسرائيلَ فلم يَقُولُوها»[2].

قال ابن شِهاب[3]: فأمَرَ رسولُ الله ﷺ النّاسَ فقال: «اسلُكُوا ذاتَ اليَمينِ بين

---

(١) يريد قول الله تعالى لبني إسرائيل كما في سورة البقرة: ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

وقد ذكر الطبري في «تفسيره» ١/ ٧١٦ وما بعدها الخلافَ في تفسير الحِطّة، وخلص إلى القول بأن الأقرب إلى الصواب عنده أن يكون أمرهم الله أن يقولوا تلك الكلمة، أي: يقولوا: دخولُنا ذلك الباب إلى القرية سجَّداً حِطّةٌ لذنوبنا، والحِطّة: فِعلةٌ من قول القائل: حطَّ الله عنك خطاياك، فهو يحطُّها حِطَّةً.

(٢) إسناده ضعيف لإرساله، فعبد الله بن أبي بكر ـ وهو ابن محمد بن عمرو بن حزم ـ من صغار التابعين.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٦٢٣ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

والأسلميّ الذي سلك بهم هذا الطريق الوَعْر هو ناجية بن جندب سائق بُدْن رسول الله ﷺ فيما رواه موسى بن عُبيدة الرَّبَذي عن عبد الله الأسلمي ـ وسمّاه بعضهم عبد الله بن عمرو بن أسلم ـ عن ناجية قال: لمّا كنا بالغَمِيم لقي رسولَ الله ﷺ خبرُ قريش أنها بعثت خالدَ بن الوليد في جَريدةِ خيل تتلقّى رسولَ الله ﷺ، فكره رسولُ الله ﷺ أن يلقاه، وكان بهم رحيماً، فقال: «من رجلٌ يَعدِلُنا عن الطريق؟» فقلت: أنا بأَبي أنت وأمّي يا رسول الله.

قال: فأخذتُ بهم في طريقٍ قد كان بها حَزْن (أي: صعوبة ووعورة) بها فدافدُ وعِقابٌ، فاستوت بي الأرض حتى أنزلتُه على الحديبية، وهي نَزَحٌ (أي: قد أُخذ ماؤها)، قال: فألقى فيها سهماً أو سهمين من كِنانته، ثم بَصَقَ فيها ثم دعا، قال: فعادت عيونُها حتى إني لأقول ـ أو نقول ـ: لو شئنا لاغترفنا بأقداحنا.

أخرجه ابن أبي شيبة ١٤/ ٤٥٢-٤٥٣، والطبراني (١٧٢٧)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٣١٩) وفي «معرفة الصحابة» (١٥٩٢) و(١٥٩٣) و(٦٤٥٣) و(٦٤٥٤). وموسى بن عُبيدة ضعيف، وشيخه الأسلميُّ لم نعرفه.

(٣) يعني في حديثه عن عروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

ظَهرَي الحَمْضِ[1]»، في طريقٍ تُخرِجُه على ثَنِيّةِ المُرَار[2] مَهبِطِ الحُدَيبيَةِ من أسفل مكّة، قال: فسَلَكَ الجيشُ ذلك الطّريقَ، فلمّا رأَت خيلُ قريشٍ قَتَرةَ الجيشِ[3] قد خالَفُوا عن طريقِهم، رَكَضُوا راجعين[4] إلى قريش، وخرج رسولُ الله ﷺ حتّى إذا سَلَكَ في ثَنيَّة المُرَار بَرَكَت ناقتُه، فقال الناسُ: خَلأَت[5]، قال: «ما خَلأَتْ وما هو لها بخُلُقٍ، ولكنْ حَبَسَها حابسُ الفيلِ عن مكّةَ، لا تَدْعُوني قريشٌ اليومَ إلى خُطَّةٍ[6] يَسأَلُوني فيها صِلَةَ الرَّحِمِ إلّا أَعطَيتُهم إيَّاها».

---

(١) تحرف في طبعة السقا وصاحبيه إلى: الحمش.

والحَمْض: أرض يكثر فيها نبات العَصَل بين يدي ثنيّة المُرار، وهو شجر تأكله الإبل وتشرب عليه الماء كل يوم.

(٢) بتثليث الميم فيها، وقُيّدت في أكثر نسخنا الخطية بالضم، وفي بعضها بالفتح، والثَّنيَة: الفرجة بين جبلين. وهذه الثنية تُعرَف اليوم باسم فجّ الكَريمي، قريبة من الحديبية.

فائدة: روى مسلم في «صحيحه» (٢٧٨٠) من حديث جابر بن عبد الله أن النبيَّ ﷺ قال: «من يَصعَد الثَّنيّةَ، ثنيّةَ المُرَار، فإنه يُحَطُّ عنه ما حُطَّ عن بني إسرائيل» قال: فكان أولَ من صعدها خيلُنا، خيلُ بني الخزرج، ثم تتامَّ الناسُ، فقال رسول الله ﷺ: «كلُّكم مغفورٌ له إلا صاحب الجمل الأحمر»...

قال ابن الأثير في «النهاية» ١/ ٢٢٦: إنّما حثَّهم على صعودها لأنها عقبة شاقّة وصلوا إليها ليلاً حين أرادوا مكةَ سنة الحديبية، فرغَّبهم في صعودها. والذي حُطَّ عن بني إسرائيل هو ذنوبهم، من قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾.

(٣) قترة الجيش: غباره.

(٤) في (ق٢): رجعوا راكضين.

(٥) خلأَت: بَرَكَت، قال أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص٣٤٠: الخِلاء في الإبل بمنزلة الحِرَان في الدوابّ، وقال بعضهم: لا يقال إلا للناقة خاصّةً.

(٦) خُطّة، أي: خصلة جميلة من خير وصلاح وإنصاف.

ثمّ قال للنّاس: «انزِلُوا»، قيل له: يا رسولَ الله، ما بالوادي ماءٌ نَنزِلُ عليه! فأخرَجَ سَهْماً من كِنانَتِه، فأعطاه رجلاً من أصحابه فنَزَلَ في قَلِيبٍ[1] من تلك القُلُب، فغَرَزَه في جَوْفِه فجاشَ بالرَّوَاءِ[2] حتّى ضَرَبَ الناسُ عنه بعَطَنٍ[3].

قال ابن إسحاق: فحدّثني بعضُ أهل العلم عن رجالٍ من أسلَمَ: أنّ الذي نَزَلَ في القَلِيبِ بسَهمِ رسول الله ﷺ ناجيَةُ بن جُندُب بن عُمَير بن يَعمَرَ بن دارِم بن عمرو ابن واثلة بن سَهْم بن مازن بن سَلامانَ بن أسلَمَ بن أَفصَى بن أبي حارثة، وهو سائقُ بُدْنِ رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: أَفصَى بن حارثة.

قال ابن إسحاق: وقد زَعَمَ لي بعضُ أهل العلم: أنّ البَراءَ بن عازبٍ كان يقول: أنا الذي نزلتُ بسَهْمِ رسول الله ﷺ. فاللهُ أعلم أيُّ ذلك كان.

وقد أنشدَتْ أسلمُ أبياتاً من شعرٍ قالها ناجيةُ قد ظننَّا أنّه هو الذي نَزَلَ بالسَّهم، فزَعَمَت أسلمُ: أنّ جاريةً من الأنصار أقبلَت بدَلْوِها وناجيةُ في القَلِيب يَمِيحُ على الناس[4]، فقالت:

يا أيُّها المائحُ دَلْوي دُونَكا ... إنّي رأيتُ الناسَ يَحمَدُونَكا
يُثْنونَ خيراً ويُمجِّدُونَكا[5]

قال ابن هشام: ويُروَى:

---

(١) الكنانة: وِعاء توضع فيه السهام. والقَليب: البئر.

(٢) جاش: كثر وارتفع. والرَّوَاء: العَذْب.

(٣) العَطَن: مَبْرك الإبل حول الماء.

(٤) يَمِيح على الناس، أي: يملأ الدِّلاءَ لهم في أسفل البئر.

(٥) يمجِّدونك: يُشرِّفونك، والتمجيد: التشريف.

إنّي رأيتُ الناسَ يَمدَحونَكا

قال ابن إسحاق: فقال ناجيةُ، وهو في القَليبِ يَمِيحُ على الناس:

قَـد عَلِمَـت جاريــةٌ يَمانِيَــهْ ... أنّي أنا المائحُ واسمي ناجيَهْ

وطَعنــةٍ ذاتِ رَشَـاشٍ واهِيَــهْ ... طَعنتُها عنـد صُـدورِ العادِيَـهْ[1]

فقال الزُّهْريُّ في حديثه[2]: فلمّا اطمأنَّ رسولُ الله ﷺ أتاه بُدَيلُ بن وَرْقاءَ في رِجالٍ من خُزَاعة، فكلَّموه وسأَلوه ما الذي جاءَ به؟ فأخبرهم أنّه لم يأتِ يريد حرباً، وإنّما جاءَ زائراً للبيت ومُعظِّماً لحُرْمتِه، ثمّ قال لهم نحواً ممّا قال لبِشْر بن سفيانَ، فرَجَعوا إلى قريشٍ فقالوا: يا مَعشَرَ قريش، إنّكم تَعجَلُون على محمّدٍ، إنَّ محمّداً لم يأتِ لقتال، إنّما جاءَ زائراً لهذا البيت، فاتَّهَمُوهم وجَبَهُوهم[3] وقالوا: وإن كان جاءَ ولا يريد قتالاً، فواللهِ لا يدخُلُها علينا عَنْوةً أبداً، ولا تَحدَّثُ بذلك عنّا العربُ.

قال الزُّهْريّ: وكانت خُزَاعةُ عَيْبةَ رسولِ الله[4] ﷺ، مسلمُها ومشركُها، لا يُخْفُون عليه شيئاً كان بمكّة.

قال: ثمّ بَعَثُوا إليه مِكرَزَ بن حفص بن الأَخْيَف، أخا بني عامر بن لُؤيٍّ، فلمّا رآه

---

(١) الواهية: المسترخية الواسعة الشّقّ. والعادية: القوم الذين يَعدُون، أي: يُسرِعون العَدْو.

(٢) يعني في حديثه عن عُروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم. وهو كذلك في خبر مَعمَرٍ الطويل في قصة الحديبية عن الزهريّ عند أحمد (١٨٩٢٨) والبخاري (٢٧٣١) وابن حبان (٤٨٧٢).

(٣) جَبَهوهم، أي: خاطبوهم بما يكرهون، يقال: جَبَهتُ الرجلَ، إذا قابلتَه بما يكره.

(٤) في (ش١) و(غ) ونسخة على حاشية (ش٢): عيبة نصح رسول الله.

والعَيْبة في الأصل: ما يوضع فيه الثّياب لحفظها، أي: أنهم موضع النُّصح له والأمانة على سرِّه، كأنه شبَّه الصدرَ الذي هو مُستودَع السِّر بالعَيْبة التي هي مستودع الثياب.

رسولُ الله ﷺ مُقبِلاً قال: «هذا رجلٌ غادِرٌ»[1]، فلمّا انتَهَى إلى رسول الله ﷺ وكلَّمه، قال له رسولُ الله ﷺ نحواً ممّا قال لبُدَيلٍ وأصحابِه، فرجع إلى قريشٍ فأخبرهم بما قال له رسولُ الله ﷺ.

ثمّ بَعَثوا إليه الحُلَيسَ بن عَلقَمة أو ابنَ زَبّانَ، وكان يومَئذٍ سيّدَ الأحابيش[2]، وهو أحدُ بني الحارث بن عبد مَنَاة بن كِنَانة، فلمّا رآه رسولُ الله ﷺ قال: «إنَّ هذا من قومٍ يَتألَّهُونَ[3]، فابعَثُوا الهَدْيَ في وجهِه حتَّى يَرَاه»، فلمّا رأى الهديَ يَسِيلُ عليه من عُرْضِ الوادي في قَلائدِه[4]، وقد أَكَلَ أَوبارَه من طول الحَبْس عن مَحِلِّه[5]، رجع إلى قريشٍ ولم يَصِلْ إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لِمَا رأَى، فقال لهم ذلك، قال: فقالوا له: اجلِسْ، فإنّما أنت أعرابيٌّ لا عِلمَ لك.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ: أنّ الحُلَيسَ غَضِبَ عند ذلك وقال: يا معشرَ قريش، والله ما على هذا حالَفْناكم ولا على هذا عاقَدْناكم، أيُصَدُّ عن

---

(١) في خبر معمر عن الزهري: «هذا مِكرَز، وهو رجل فاجر». قلنا: ومكرز هذا لم يعرف أنه أسلم، ولم يذكره أحد ممن صنّف في الصحابة، وقد انفرد ابن حبان في «ثقاته» ٣/ ٣٩٢ فذكر له صُحبة، وأغلب الظن أنه واهمٌ في ذلك. وانظر «الإصابة» لابن حجر ٦/ ٢٠٦.

(٢) الأحابيش: بعض القبائل التي حالفت قريشاً ودخلت في عهدها وذمّتها. وأما الحُلَيس، فلم يرد ما يدلُّ على إسلامه فيما بعد، ولا ذكره أحدٌ ممن ألّف في الصحابة.

(٣) يتألّهون، أي: يتعبّدون ويعظّمون أمر الإله. وفي خبر معمر عن الزهري لم يسمِّ حليساً، وفيه: قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان، وهو من قوم يعظّمون البُدْنَ، فابعثوها له»، فبُعِثَت له، واستقبله القوم يلبُّون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البُدنَ قد قُلِّدت وأُشعِرَت، فلم أرَ أن يُصَدُّوا عن البيت.

(٤) عُرض الوادي: جانبه. والقلائد: ما يُعلَّق في أعناق الهَدْي ليُعلَم أنه هديٌ.

(٥) الأوبار: جمع الوَبَر، وهو صوف الإبل. ومَحِلّه، أي: موضعه الذي يُنحَر فيه من الحَرَم.

بيتِ الله مَن جاءَ مُعظِّماً له؟! والّذي نفسُ الحُلَيسِ بيده، لتُخَلُّنَّ بين محمّدٍ وبين ما جاءَ له، أو لَأنفِرَنّ بالأحابيشِ نَفْرةَ رجلٍ واحدٍ، قال: فقالوا له: مَهْ، كُفَّ عنّا يا حُلَيسُ حتّى نأخُذَ لأنفُسِنا ما نَرضَى به[١].

قال الزُّهْريّ في حديثه[٢]: ثمّ بَعَثوا إلى رسول الله ﷺ عُرْوةَ بن مسعودٍ الثَّقَفيّ، فقال: يا مَعشَرَ قريش، إنّي قد رأيتُ ما يَلقَى منكم مَن بَعَثتُموه إلى محمّدٍ إذا جاءَكم من التَّعنيفِ وسوءِ اللَّفظِ، وقد عَرَفتُم أنّكم والدٌ[٣] وأنّي ولدٌ ـ وكان عُرْوةُ لسُبَيعة بنتِ عبد شمسٍ ـ وقد سمعتُ بالّذي نابَكُم[٤]، فجَمَعتُ مَن أطاعني من قومي ثمّ جئتُكم حتّى آسَيْتُكم بنفسي[٥]، قالوا: صَدَقتَ، ما أنتَ عندنا بمُتَّهَم. فخرج حتّى أَتى رسولَ الله ﷺ، فجلَسَ بين يديه ثمّ قال: يا محمّدُ، أجَمَعتَ أَوشابَ الناسِ[٦] ثمّ جئتَ بهم إلى بَيضَتِك لتَفُضَّها[٧] بهم، إنّها قريشٌ قد خَرَجَت معها العُوذُ المَطافيلُ قد لَبِسوا جُلودَ النُّمور[٨]، يُعاهِدون اللهَ لا تَدخُلُها عليهم عَنْوةً أبداً، وايْمُ اللهِ لَكأنّي

(١) هذا خبر مرسل، ورواه عن ابن إسحاق أيضاً سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٦٢٨.

وذكره الواقديُّ أيضاً في «مغازيه» ٢/ ٥٩٩-٦٠٠، ولم يبيِّن من حدّثه به.

(٢) يعني في حديثه عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

(٣) أي: كل واحد منكم كالوالد، وقيل: أي: أنكم حيٌّ قد وَلَدَني، لأنه كان لسُبَيعة بنت عبد شمس من قريش.

(٤) أي: الذي أصابكم ونزل بكم.

(٥) آسيتكم: عاونتكم.

(٦) الأوشاب: الأخلاط من أنواع شتَّى.

(٧) بيضة الرجل: أهله وقبيلته. وتفضّها، أي: تكسرها.

(٨) تقدّم شرح هذه الكلمات قريباً في أول خبر الحديبية.

بهؤلاءِ قد انكَشَفُوا عنك غداً! قال: وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ خَلْفَ رسولِ الله ﷺ قاعدٌ، فقال: امصَصْ بَظْرَ اللّاتِ[1]، أنحنُ نَنكشِفُ عنه؟! قال: مَن هذا يا محمّدُ؟ قال: «هذا ابنُ أَبي قُحَافةَ»، قال: أمَا والله لولا يدٌ كانت لك عندي لكافَأتُك بها[2]، ولكنْ هذه بها.

قال: ثمّ جَعَلَ يَتناوَلُ لحيةَ رسولِ الله ﷺ وهو يكلِّمُه، قال: والمغيرةُ بن شُعْبة واقفٌ على رأسِ رسول الله ﷺ في الحديد، قال: فجَعَلَ يَقرَعُ يدَه إذا تَناوَلَ لحيةَ رسولِ الله ﷺ ويقول: اكفُفْ يدَك عن وجهِ رسول الله ﷺ قبلَ أن لا تَصِلَ إليك، قال: فيقول عُرْوةُ: وَيحَك، ما أَفظَّكَ وأغلَظَك! قال: فتَبسَّمَ رسولُ الله ﷺ، فقال له عُرْوةُ: مَن هذا يا محمّدُ؟ قال: «هذا ابنُ أَخيكَ المغيرةُ بن شُعْبةَ»، قال: أيْ غُدَرُ[3] وهل غَسَلتُ سَوْأَتَك إلّا بالأمسِ؟!

قال ابن هشام: أرادَ عُرْوةُ بقوله هذا أنّ المغيرةَ قبلَ إسلامه قتل ثلاثةَ عَشَرَ رجلاً من بني مالكٍ من ثَقِيف، فتَهايَجَ الحَيّانِ من ثَقيفٍ: بنو مالكٍ رَهْطُ المقتولين، والأحلافُ رَهْطُ المغيرةِ، فوَدَى عُرْوةُ المقتولين ثلاثَ عَشْرةَ دِيَةً، وأصلَحَ ذلك

(١) البَظْر: لحمة ناتئة في أعلى فَرْج المرأة، واللّات: اسم أحد الأصنام التي كانت قريشٌ وثقيفٌ يعبدونها، وكانت عادة العرب الشّتم بذلك، لكن بلفظ الأمّ، فأراد أبو بكر المبالغةَ في سبِّ عُروة بإقامة من كان يعبد مقامَ أمّه، وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبة المسلمين إلى الفِرار. من «فتح الباري» لابن حجر ٨/ ٤٦٥-٤٦٦.

(٢) أي: لجازَيتُك بهذه الشَّتيمة، وأراد باليد النعمةَ والمعروفَ إليه، وبيَّن عبدُ الرحمن بن عبد العزيز الأُمَاميّ عن الزهريّ في هذا الحديث عند ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٤/ ٤٤٧: أن اليد المذكورة أن عروة كان تحمَّل بدِيَةٍ، فأعانه أبو بكر فيها بعونٍ حسنٍ، وفي رواية الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٥٩٥: بعشر فرائض؛ والفرائض: المُسِنّات من الإبل، الواحدة: فارضٌ.

(٣) غُدَر: معدولٌ عن غادرٍ مبالغةً في وصفه بالغَدْر.

الأمر[1].

قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: فكَلَّمَه رسولُ الله ﷺ بنحوٍ ممّا كَلَّمَ به أصحابَه، وأخبره أنّه لم يأتِ يريد حرباً.

فقامَ من عندِ رسول الله ﷺ وقد رأَى ما يَصنَعُ به أصحابُه؛ لا يتوضّأُ إلّا ابتَدَرُوا وَضُوءَه، ولا يَبصُقُ بُصاقاً إلّا ابتَدَرُوه، ولا يَسقُطُ من شَعرِه شيءٌ إلّا أَخذوه، فرجع إلى قريشٍ فقال: يا مَعشَرَ قريش، إنّي قد جئتُ كِسرَى في مُلكِه، وقَيصَرَ في مُلكِه، والنَّجَاشيَّ في مُلكِه، وإنّي والله ما رأيتُ مَلِكاً في قومٍ قَطُّ مثلَ محمّدٍ في أصحابه، ولقد رأيتُ قوماً لا يُسلِمُونَه لشيءٍ أبداً، فرَوْا رأيَكُم[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ أهل العلم: أنّ رسولَ الله ﷺ دعا خِراشَ بن أُميّة الخُزَاعيّ، فبَعَثَه إلى قريشٍ بمكّة وحَمَلَه على بعيرٍ له يقال له: الثَّعلَبُ، ليُبلِّغَ أشرافَهم عنه ما جاءَ له، فعَقَرُوا به جَمَلَ رسول الله ﷺ[3]، وأرادوا قتلَه، فمَنَعَته

(١) قد جاء معنى هذا مختصراً في رواية عبد الرزاق عن معمرٍ عن الزهريِّ في هذا الخبر عند أحمد (١٨٩٢٨) والبخاري (٢٧٣١) وابن حبان (٤٨٧٢) بلفظ: كان المغيرةُ صَحِبَ قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلَمَ، فقال النبيُّ ﷺ: «أمّا الإسلامُ فأقبَلُ، وأمّا المالُ فلستُ منه في شيءٍ». وفي رواية محمد بن ثور عن معمرٍ عن الزهري فيه عند أبي داود (٢٧٦٥) والطبري في «تفسيره» ٢١/ ٢٩٩: «أما الإسلامُ فقد قَبِلْنا، وأما المالُ فإنه مالُ غدرٍ لا حاجة لنا فيه».

(٢) هذه الفِقْرة من تتمة حديث الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور ومروان بن الحكم كما هو ظاهر رواية معمر عنه عند أحمد والبخاري وابن حبان، وليست من مراسيل الزهري، وفي حديثه عند هؤلاء الثلاثة: قال لهم عروة بن مسعود: وإنه قد عَرَضَ عليكم خُطّةَ رُشدٍ فاقبلوها.

(٣) أي: ضربوا قوائم الجمل بالسيف فجرحوه ليسقط على الأرض.

الأحابيشُ، فخَلَّوا سبيلَه حتّى أَتى رسولَ الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني بعضُ مَن لا أتّهمُ عن عِكْرمةَ مولى ابن عبّاسٍ[1]: أنّ قريشاً كانوا بَعَثُوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين رجلاً، وأمَرُوهم أن يُطِيفُوا بعسكر رسول الله ﷺ ليُصِيبوا لهم من أصحابه أحداً، فأُخِذوا أَخذاً فأُتي بهم رسولُ الله ﷺ، فعفَا عنهم وخَلَّى سبيلَهم، وقد كانوا رَمَوْا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنَّبْل.

ثمّ دعا[2] عمرَ بن الخطّابِ ليَبْعثَه إلى مكّة فيُبلِّغَ عنه أشرافَ قريشٍ ما جاءَ له، فقال: يا رسولَ الله، إنّي أخافُ قريشاً على نفسي، وليس بمكّة من بني عَدِيّ بن كعبٍ أحدٌ يَمنَعُني، وقد عَرَفَت قريشٌ عداوتي إيّاها، وغِلْظَتي عليها، ولكنّي أدُلُّك على رجلٍ أعزَّ بها منّي، عثمانَ بنِ عفّان.

(١) زاد بعده في طبعة السقا وصاحبيه: عن ابن عباس، وليست هذه الزياة في شيء من النسخ الخطية، فهذا من مراسيل عكرمة مولى ابن عباس، وهو كذلك في رواية سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تفسيره» ٢١/ ٢٨٩ و«تاريخه» ٢/ ٦٣١.

وهذا المرسل ضعيفٌ وراويه عن عكرمة مبهمٌ.

(٢) ظاهر السياق أن هذا ـ أي: قصة عمر وعثمان ودخول عثمان مكة وتبليغه قريشاً رسالةَ رسول الله ﷺ ـ من تتمة حديث عكرمة، وهكذا جعله سلمةُ بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تفسيره» ٢١/ ٢٧٢-٢٧٣ و«تاريخه» ٢/ ٦٣١.

لكن رواه يزيد بن هارون عند أحمد (١٨٩١٠)، وعبد الله بن إدريس الأَودي عند الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥٧٧١)، كلاهما عن ابن إسحاق، فجعلاه من حديثه عن الزهري عن عروة في خبره عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

ورواه في خبر عُروة بن الزبير أيضاً ابنُ لَهيعة عن أبي الأسود عنه فيما أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ١٣٣ . وهذا هو المحفوظ إن شاء الله أنه عن عروة في خبره عن الحديبية.

فدعا رسولُ الله ﷺ عثمانَ بن عفّان، فبَعَثَه إلى أبي سفيانَ وأشرافِ قريشٍ يُخبِرُهم أنّه لم يأتِ لحربٍ، وأنّه إنَّما جاءَ زائراً لهذا البيتِ ومُعظِّماً لحُرْمتِه.

فخرج عثمانُ إلى مكّة، فلَقِيَه أبانُ بن سعيد بن العاصِ حين دخل مكّةَ، أو قبلَ أن يدخُلَها، فحَمَلَه بين يدَيهِ ثمّ أجارَه حتّى بَلَّغَ رسالةَ رسول الله ﷺ، فانطَلَقَ عثمانُ حتّى أَتى أبا سفيانَ وعُظَماءَ قريش، فبَلَّغَهم عن رسول الله ﷺ ما أَرسَلَه به، فقالوا لعثمان حين فَرَغَ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئتَ أن تَطُوفَ بالبيت فطُفْ، فقال: ما كنتُ لأفعلَ حتّى يَطُوفَ به رسولُ الله ﷺ. واحتَبَسَته قريشٌ عندها، فبَلَغَ رسولَ الله ﷺ والمسلمين أنّ عثمانَ قد قُتِل.

بيعةُ الرِّضْوان

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ قال حين بَلَغَه أنّ عثمانَ قد قُتِلَ: «لا نَبْرَحُ حتّى نُناجِزَ[1] القومَ»، فدعا رسولُ الله ﷺ الناسَ إلى البَيْعةِ.

فكانت بيعةُ الرِّضوان تحت الشَّجَرة.

فكان الناسُ يقولون: بايعَهم رسولُ الله ﷺ على الموت، وكان جابرُ بن عبدِ الله يقول: إنَّ رسولَ الله ﷺ لم يُبايِعْنا على الموتِ، ولكنْ بايَعَنا على أن لا نَفِرَّ.

فبايع رسولُ الله ﷺ الناسَ ولم يَتَخلَّفْ عنه أحدٌ من المسلمين حَضَرَها إلّا الجَدُّ ابن قيسٍ أخو بني سَلِمةَ، فكان جابرُ بن عبدِ الله يقول: والله لكأنّي أنظُرُ إليه لاصقاً بإبْطِ ناقتِه قد ضَبأَ[2] إليها يَستَتِرُ بها من الناس.

---

(١) المناجزة: المبارَزة والمقاتَلة.

(٢) ضبأ إليها، أي: لصق بها واستتر.

ثمّ أَتى رسولَ الله ﷺ أنّ الذي ذُكِرَ من أمر عثمانَ باطلٌ[1].

---

(١) خبر عبد الله بن أبي بكر هذا - وهو ابن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاري - مرسل، وروايته عن جابر منقطعة، فإنه لم يدرك السماعَ منه، لكن حديث جابر قد صحَّ من غير هذا الوجه.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٢١/ ٢٧٣ وفي «تاريخه» ٢/ ٦٣٢ من طريق سلمة بن الفضل، والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ١٣٥ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

وأما حديث جابرٍ: أنهم بايعوا رسولَ الله ﷺ على أن لا يَفرُّوا وليس على الموت، فصحيح، فقد أخرجه أحمد (١٤١١٤) و(١٤٨٢٣)، ومسلم (١٨٥٦)، والترمذي (١٥٩١) و(١٥٩٤) وغيرهم من طرق عنه.

وفي الباب عن مَعقِل بن يسار عند مسلم (١٨٥٨) قال: لم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه على أن لا نفرّ.

وعن عبد الله بن زيد عند البخاري (٢٩٥٩) ومسلم (١٨٦١): لما كان زمن الحَرّة أتاه آتٍ فقال له: إن ابن حنظلة (وهو عبدُ الله بنُ حنظلةَ غسيلِ الملائكة، وكان أميراً على الأنصار يوم الحرّة) يبايع الناس على الموت، فقال: لا أبايع على هذا أحداً بعد رسول الله ﷺ.

وعن سلمة بن الأكوع عند البخاري (٢٩٦٠) ومسلم (١٨٦٠)، وقد سئل: على أيّ شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت.

ولا تنافي بين قولهم: بايعوه على الموت، وعلى عدم الفِرار، لأن المراد بالمبايعة على الموت أن لا يفرُّوا ولو ماتوا، وليس المراد أن يقع الموتُ ولا بدَّ، قاله ابن حجر في «الفتح» ٩/ ٢١٧.

ويمكن أن يقال: بايعه قوم من أصحابه على الموت كأن يقولوا: لا نزال بين يديك حتى نُقتَل، وبايعه آخرون فقالوا: لا نفرُّ، أشار إلى ذلك الترمذيُّ بإثر حديث جابر عنده برقم (١٥٩٤).

وأما حديث جابرٍ في قصة الجدّ بن قيس، فهو صحيح أيضاً، فقد أخرجه أحمد (١٥٢٥٩) ومسلم (١٨٥٦)(٦٩) من رواية أبي الزُّبير عنه.

وروى عمرو بن دينار عن جابرٍ عند البخاري (٤١٥٤) ومسلم (١٨٥٦)(٧١): أن النبي ﷺ قال لهم يوم الحديبية: «أنتم خيرُ أهل الأرض».

قال ابن هشام: قد ذكرَ وكيعٌ، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ، عن الشَّعْبيّ: أنّ أوّلَ مَن بايعَ النبيَّ ﷺ بيعةَ الرِّضوان أبو سِنانٍ الأَسَديّ[1].

وحدّثني مَن أثِقُ به عمّن حدَّثه بأسنادٍ له عن ابن أبي مُلَيكة، عن ابن عمر: أنّ رسولَ الله ﷺ بايعَ لعثمانَ، فضرب بإحدى يديهِ على الأُخرى[2].

الهُدْنـة

قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: ثمّ بَعَثَت قريشٌ سُهَيلَ بن عمرٍو أخا بني عامر

(١) رجاله ثقات، وقد رواه غير واحد عن إسماعيل عن الشعبي، منهم وكيع وسفيان بن عيينة وعبد الله بن نمير وعبد الله بن إدريس عند ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٩٦ و٣/ ٨٧، وابن أبي شيبة ١٢/ ٢٠٤ و١٤/ ٧٦، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٦٨٩)، والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ١٣٧.

وكذلك رُوي عن زرّ بن حُبيش بإسناد حسن عنه عند ابن منده في «معرفة الصحابة» ص٨٩٠.

وذكرُ أبي سنان الأسديّ في الحديبية مناقضٌ لما تقدّم عند ابن إسحاق ص٣١٥ في غزوة بني قريظة: أن أبا سنان ـ وهو ابن مِحصَن أخو عُكّاشة ـ توفي مع النبي ﷺ وهو محاصر بني قريظة، فدُفِن هناك. وكذلك قال الواقديُّ فيما نقله عنه ابن سعدٍ في «الطبقات» ووَهَّم رواية بيعته في الحديبية، وذكر أن الذي بايع يومئذٍ أوّل القوم هو ابنه سنانُ بن أبي سنان، فالله أعلم أيّ ذلك كان.

(٢) حديث صحيح، وإسناد ابن هشام هذا ضعيف لإبهام الواسطة بينه وبين ابن أبي مليكة ـ وهو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ـ لكن صحَّ هذا الخبر من وجه آخر عن ابن عمر.

فقد أخرجه أحمد (٦٠١١)، والبخاري (٣٦٩٨)، والترمذي (٣٧٠٦) من طريق عثمان بن مَوهَب: أن ابن عمر قال لمن سأله عن عثمان: أما تغيُّبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانَه، فبعث رسول الله ﷺ عثمانَ، وكانت بيعةُ الرضوان بعدما ذهب عثمانُ إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يدُ عثمان»، فضرب بها على يده فقال: «هذه لعثمان».

ابن لُؤَيٍّ إلى رسول الله ﷺ، وقالوا له: ائتِ محمّداً فصالِحْه، ولا يكن في صُلحِه إلّا أن يَرجِعَ عنّا عامَه هذا، فوالله لا تَحَدَّثُ العربُ عنّا أنّه دخلها علينا عَنْوةً أبداً. فأتاه سُهَيلُ بن عمرو، فلمّا رآه رسولُ الله ﷺ مُقبِلاً قال: «قد أرادَ القومُ الصُّلحَ حين بَعَثُوا هذا الرَّجلَ»[1]، فلمّا انتهَى سُهَيلُ بن عمرو إلى رسول الله ﷺ، تكلَّمَ فأطال الكلامَ وتَراجَعا، ثمّ جَرَى بينهما الصُّلحُ.

فلمّا الْتأَمَ الأمرُ ولم يَبْقَ إلّا الكتابُ، وَثَبَ عمرُ بن الخَطّاب فأَتى أبا بكرٍ فقال: يا أبا بكرٍ، أليس برسولِ الله؟! قال: بَلَى، قال: أوَلَسنا بالمسلمينَ؟! قال: بَلَى، قال: أوَليسوا بالمشركينَ؟! قال: بَلَى، قال: فعَلَامَ نُعطي الدَّنِيّةَ[2] في دينِنا؟! قال أبو بكرٍ: يا عمرُ، الزَمْ غَرْزَه[3]، فإنّي أشهَدُ أنّه رسولُ الله، قال عمرُ: وأنا أشهَدُ أنّه رسولُ الله؛ ثمّ أَتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أَلَستَ برسولِ الله؟! قال: «بَلَى» قال:

---

(١) وفي خبر معمر الطويل في قصة الحديبية عند أحمد (١٨٩٢٨)، والبخاري (٢٧٣١)، وابن حبان (٤٨٧٢)، قال معمر: فأخبرني أيوبُ عن عكرمة: أنه لمّا جاء سهيل بن عمرٍو قال النبيُّ ﷺ: «لقد سَهُلَ لكم من أمرِكم».

وهذا مرسل، وقد رواه موصولاً أبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٣١٧، والخطيب في «المتفق والمفترق» (٧٠٠) من حديث عبد الله بن المؤمَّل، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس. وعبد الله هذا ضعيف، واختُلف عليه فيه فروي عنه أيضاً عن أبيه عن عبد الله بن السائب عند الطبراني كما في «مجمع الزوائد» للهيثمي ٦/ ١٤٦.

لكن له شاهد موصول بنحو لفظه من حديث سلمة بن الأكوع عند ابن أبي شيبة ١٤/ ٤٤٠ بإسناد ضعيف. وهو بمجموع هذه الطرق حسنٌ إن شاء الله.

(٢) الدَّنيّة: الذل والأمر الخسيس.

(٣) الزم غرزَه، أي: الزم أمرَه، والأصل في الغَرْز هو موضع القدم في رَحْل البعير، وهو كالرّكاب في سَرْج الفرس.

أوَلسنا بالمسلمينَ؟! قال: «بَلَى» قال: أوَليسوا بالمشركينَ؟! قال: «بَلَى» قال: فعَلَامَ نُعطي الدَّنِيّةَ في دينِنا؟! قال: «أنا عبدُ اللهِ ورسولُه، لن أُخالِفَ أمرَهُ، ولن يُضَيِّعَني»؛ قال: فكان عمرُ يقول: ما زِلتُ أتَصدَّقُ وأصومُ وأُصَلِّي وأُعتِقُ من الّذي صَنَعتُ يومَئذٍ، مخافةَ كلامي الّذي تكلَّمتُ به حينَ رَجَوتُ أن يكون خيراً[1].

قال[2]: ثمّ دعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه فقال: «اكتُبْ: بسمِ الله الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ» قال: فقال سُهَيلٌ: لا أعرفُ هذا، ولكن اكتُبْ: باسمِكَ اللّهمَّ، فقال رسول الله ﷺ: «اكتُبْ: باسمِكَ اللّهُمَّ» فكَتَبَها، ثمّ قال: «اكتُبْ: هذا ما صالَحَ عليه محمَّدٌ رسولُ الله سُهَيلَ بنَ عمرٍو» قال: فقال سُهَيلٌ: لو شَهِدتُ أنّك رسولُ الله لم أُقاتِلْك، ولكن اكتُبْ اسمَك واسمَ أبيك، قال: فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) هذه الفِقرة من تتمة حديث الزهري عن عروة عن المسور ومروان بن الحكم، وهذه المراجعة من عمر لرسول الله ﷺ وأبي بكر كانت بعدما كُتب كتابُ الصلح كما وقع في رواية معمرٍ عن الزهري عند أحمد (١٨٩٢٨) والبخاري (٢٧٣١) وابن حبان (٤٨٧٢)، وفيها أن مراجعة عمر لأبي بكر كانت بعد مراجعته لرسول الله ﷺ.

وروى مراجعةَ عمر هذه أيضاً سهلُ بن حُنَيف الأنصاري فيما أخرجه البخاري (٣١٨٢) و(٤٨٤٤)، ومسلم (١٧٨٥).

قلنا: وهذه المراجعة من عمر رضي الله عنه لم تكن شكّاً منه في حقِّيّة ما هم عليه، إنما كان شكّاً منه في وجود مصلحة لهم من هذا الصلح مع المشركين وتوقُّفاً منه فيه ليقفَ على الحكمة في القصّة وتنكشفَ عنه الشُّبهة. وانظر «فتح الباري» ٨/ ٤٧٩.

(٢) يعني الزهريَّ في حديثه عن عروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

وقد روى نحو قصة كتاب الصلح هذا أيضاً البراءُ بن عازبٍ عند البخاري (٢٦٩٨-٢٦٩٩)، ومسلم (١٧٨٣).

وأنس بن مالك عند مسلم (١٧٨٤).

«اكتُبْ: هذا ما صالَحَ عليه محمَّدُ بن عبدِ الله سُهَيلَ بنَ عمرٍو؛ اصطَلَحا على وَضْعِ الحربِ عن النّاسِ عَشْرَ سِنينَ يأمَنُ فيهِنَّ النّاسُ ويَكُفُّ بعضُهم عن بعضٍ، على أنَّه مَن أَتى محمَّداً من قريشٍ بغيرِ إذْنِ وَلِيِّه رَدَّه عليهم، ومَن جاءَ قريشاً ممَّن معَ محمَّدٍ لم يَرُدُّوه عليه، وأنَّ بيننَا عَيْبةً مَكْفوفةً، وأنَّه لا إسلالَ ولا إغلالَ[1]، وأنَّه مَن أَحَبَّ أن يَدخُلَ في عَقْدِ محمَّدٍ وعَهدِه دَخَلَ فيه، ومَن أَحَبَّ أن يَدخُلَ في عَقْدِ قريشٍ وعَهدِهم دَخَلَ فيه».

فتَواثَبَت خُزَاعةُ فقالوا: نحن في عَقْدِ محمّدٍ وعَهدِه، وتَواثَبَت بنو بكرٍ فقالوا: نحن في عَقْدِ قريشٍ وعَهدِهم.

وأنّك تَرجِعُ عنّا عامَك هذا فلا تَدخُلُ علينا مكّةَ، وأنّه إذا كان عامُ قابلٍ خرجنا عنك فدَخَلتَها بأصحابك فأقمتَ بها ثلاثاً، معك سِلاحُ الرّاكبِ؛ السُّيوفُ في القُرُبِ[2] لا تَدخُلُها بغيرِها.

فبَيْنا رسولُ الله ﷺ يكتبُ الكتابَ هو وسهيلُ بن عمرٍو، إذ جاءَ أبو جَندَلِ بن سُهَيلِ بن عمرٍو يَرسُفَ في الحديد[3] قد انفَلَتَ إلى رسول الله ﷺ، وقد كان أصحابُ رسول الله ﷺ حين خرجوا وهم لا يَشُكُّون في الفَتْحِ لرُؤيا رآها رسولُ الله ﷺ[4]، فلمّا

(١) العَيْبة: وعاء تجعل فيه الثياب ونفيس المتاع، والمكفوفة: المُشرَجة، وهي المشدودة بشَرَجِها، أي: بعُرَاها. وهنا ضربها مثلاً، أي: بينهم صدور نقية من الغِلّ والخداع، مطويّة على الوفاء بالصلح. والإسلال: السرقة الخفيّة. والإغلال: الخيانة.

(٢) جمع قِراب: وهو غِمْد السيف.

(٣) الرَّسْف: مشي المقيَّد إذا جاء يتحامل برِجْله مع القَيْد.

(٤) وهذه الرؤيا كما عند الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٦٠٧: أنه ﷺ رأى أنه حلق رأسه، وأنه دخل البيت فأخذ مفتاح الكعبة.

رَأَوا ما رَأَوا من الصُّلحِ والرُّجوعِ وما تَحمَّلَ عليه رسولُ الله ﷺ في نفسه، دخل النّاسَ من ذلك أمرٌ عظيمٌ حتّى كادُوا يَهلِكون، فلمّا رأى سُهَيلٌ أبا جَندَلٍ، قام إليه فضَرَبَ وجهَه وأخذَ بتَلْبيبِه[1] ثمّ قال: يا محمّدُ، قد لَجَّتِ القضيَّةُ[2] بيني وبينَك قبل أن يأتيَك هذا، قال: «صَدَقتَ»[3]، فجعل يَنتُرُه[4] بتَلْبيبِه، ويَجُرُّه ليَرُدَّه إلى قريش، وجعل أبو جَندَلٍ يَصرُخُ بأعلى صوته: يا مَعشَرَ المسلمين، أأُرَدُّ إلى المشركين يَفتِنونني في ديني؟! فزادَ ذلك الناسَ إلى ما بهم، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا جَندَلٍ، اصبِرْ واحتَسِبْ، فإنَّ الله جاعلٌ لك ولمَن معك من المُستضعَفِينَ فَرَجاً ومَخرَجاً، إنَّا قد عَقَدْنا بينَنا وبينَ القوم صُلْحاً، وأعطَيْناهم على ذلك وأعطَوْنا عَهْدَ الله، وإنَّا لا نَغدِرُ بهم».

قال[5]: فوَثَبَ عمرُ بن الخَطّاب مع أبي جَندَلٍ يمشي إلى جنبِه ويقول: اصبِرْ يا

---

(١) أي: جمع ثوبه عند صدره ونحره ثم جرّه به، من اللَّبّة: وهو موضع النّحر.

(٢) أي: انعقدت وتمّت.

(٣) وفي حديث معمر عن الزهري عند أحمد (١٨٩٢٨) والبخاري (٢٧٣١) وابن حبان (٤٨٧٢): أن سهيلاً قال: هذا يا محمد أوّل ما أُقاضيك عليه أن تردَّه إلي، فقال النبي ﷺ: «إنّا لم نقضِ الكتابَ بعدُ» (يعني أنه لم يتمَّ الإشهادُ عليه بعدُ فينقضي بذلك الكتاب) قال: فوالله إذاً لم أصالحك على شيءٍ أبداً، قال النبي ﷺ: «فأَجِزْه لي» قال: ما أنا بمُجيزِه لك، قال: «بلى فافعَلْ» قال: ما أنا بفاعل.

(٤) أي: يجذبه جذباً شديداً عنيفاً.

(٥) يعني الزهريَّ في حديثه عن عروة عن المسور ومروان بن الحكم. وقصة تحريض عمرَ لأبي جندل على والده سهيل ذكرها أيضاً عن الزهريِّ عبدُ الرحمن بن عبدالعزيز الأُماميُّ عند ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٤/ ٤٥٠، ووقعت الإشارة إليها أيضاً في مرسل عروة بن الزبير من حديث ابنه هشام عنه عند ابن أبي شيبة ١٤/ ٤٣٣.

أبا جَندَلٍ، فإنّما هم المشركون، وإنّما دمُ أحدِهم دمُ كلبٍ، قال: ويُدْني قائمَ السّيفِ منه. قال يقول عمرُ: رَجَوتُ أن يأخذَ السيفَ فيضربَ به أباه، قال: فضَنَّ الرّجلُ بأبيه[1] ونَفَذَت القضيَّةُ.

فلمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من الكتاب أشهَدَ على الصُّلحِ رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين: أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وعمرُ بن الخَطّاب، وعبدُ الرَّحمن بن عَوفٍ، وعبدُ الله بن سُهَيل بن عمرو، وسعدُ بن أبي وَقّاصٍ، ومحمودُ بن مَسلَمة، ومِكرَزُ بن حفصٍ ـ وهو يومَئذٍ مشركٌ ـ وعليُّ بن أبي طالبٍ وكَتَبَ، وكان هو كاتبَ الصَّحيفة.

وكان رسولُ الله ﷺ مُضطَرِباً في الحِلِّ[2] وكان يُصلّي في الحَرَم، فلمّا فَرَغَ من الصُّلحِ قَدِمَ إلى هَدْيِه فنَحَرَه، ثمّ جَلَسَ فحَلَقَ رأسَه، وكان الذي حَلَقَه ـ فيما بَلَغَني ـ في ذلك اليوم خِرَاشَ بن أُميّة بن الفضل الخُزَاعيّ، فلمّا رأى النّاسُ أنّ رسولَ الله ﷺ قد نَحَرَ وحَلَقَ، تَواثَبُوا يَنحَرُون ويَحلِقون[3].

---

(١) أي: حرص على حياته ولم يفرِّط به.

(٢) مضطرباً في الحل، أي: أن أبنيته كانت مضروبةً في الحِلّ، وكانت صلاته في الحَرَم، وهذا لقرب الحديبية من الحَرَم.

(٣) فصَّل معمرٌ في حديثه عن الزهريِّ عند أحمد والبخاري وابن حبان في قصة النحر والحلق هذه، فقال: لمّا فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحَرُوا ثمّ احلِقُوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاث مرّات، فلما لم يقم منهم أحدٌ دخل على أم سَلَمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبيَّ الله، أتحبُّ ذلك، اخرج ثم لا تكلِّمْ أحداً منهم كلمةً حتى تنحر بُدنَك، وتدعوَ حالقَك فيَحلِقَك، فخرج فلم يكلِّمْ أحداً منهم حتى فعل ذلك؛ نحر بُدنَه ودعا حالقه فحَلَقَه، فلما رأَوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يَحلِقُ بعضاً حتى كاد بعضُهم يقتل بعضاً غمّاً.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عبّاس قال: حَلَقَ رجالٌ يومَ الحُدَيبِيَة وقَصَّرَ آخرون، فقال رسول الله ﷺ: «يَرحَمُ اللهُ المُحلِّقينَ» قالوا: والمُقصِّرين يا رسولَ الله؟ قال: «يَرحَمُ اللهُ المُحلِّقينَ» قالوا: والمُقصِّرين يا رسولَ الله؟ قال: «يَرحَمُ اللهُ المُحلِّقينَ» قالوا: والمُقصِّرين يا رسولَ الله؟ قال: «والمُقصِّرينَ» قالوا: يا رسولَ الله، فلِمَ ظاهَرْتَ التَّرحيمَ[1] للمُحلِّقين دون المُقصِّرين؟ قال: «لم يَشُكُّوا»[2].

---

(١) ظاهرت الترحيم، أي: قوّيته وأكّدته بتكريرك إياه، والمظاهَرَة: القوّة والمعاوَنة.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٣٣١١)، وابن ماجه (٣٠٤٥) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. ورواية ابن ماجه مختصرة.

ويشهد له ـ دون ذكر الشك ـ حديثُ ابن عمر من رواية أيوب السَّختِياني عن نافع عنه عند أحمد (٤٨٩٧)، وإسناده صحيح. وفيه أن ذلك كان بالحديبية، وهو عند البخاري (١٧٢٧) ومسلم (١٣٠١) من غير طريق أيوب مطلقاً من غير ذكر الحديبية.

وروي أيضاً حديثُ ابن عمر بذكر الحديبية من رواية موسى بن عُبيدة عن أبي مرّة يزيدَ مولى أمّ هانئ عنه فيما أخرجه ابن أبي شيبة ١٤/ ٤٥٢. وإسناده ضعيف لضعف موسى، لكنه يصلح للاعتبار.

وفي الباب أيضاً عن أبي سعيد الخُدري عند أحمد (١١١٤٩) بإسنادٍ فيه ضعفٌ. وفيه أن ذلك كان بالحديبية.

وروي أيضاً: أن النبي ﷺ قد دعا في حجّة الوداع للمحلِّقين ثلاثاً وللمقصِّرين واحدة. وانظر تفصيل الكلام في هذه القضية عند ابن حجر في «فتح الباري» ٥/ ٥٩٦-٥٩٨.

وأما معنى الشكّ المذكور في حديث ابن عباس، فهو أنهم لم يسرعوا إلى امتثال الأمر والاقتداء برسول الله ﷺ في الحلق فقصّروا أشعارهم طمعاً في أن يدخلوا مكة فيطوفوا بالبيت ويحلقوا عنده، والله تعالى أعلم.

وقال عبدُ الله بن أبي نَجيحٍ: حدّثني مُجاهدٌ، عن ابن عبّاسٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ أهدَى عامَ الحُدَيبيَة في هَدَاياه جملاً لأبي جهلٍ في رأسه بُرَةٌ[1] من فِضّة؛ يَغيظُ بذلك المشركين[2].

قال الزُّهْريُّ في حديثه[3]: ثمّ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ من وجهِه ذلك قافلاً، حتّى إذا كان بين مكّة والمدينة نزلت سورةُ الفَتْح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾.

ثمّ كانت القصّةُ فيه وفي أصحابه حتّى انتهَى إلى ذِكْر البَيْعة فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾.

ثمّ ذكرَ مَن تَخلَّفَ عنه من الأعراب، ثمّ قال حين استَنفَرهم[4] للخروج معه

---

(١) البُرَة: حلقة تجعل في أنف البعير ليذلّ ويرتاض.

(٢) إسناده صحيح، وصرَّح ابن إسحاق بسماعه من ابن أبي نجيح عند أحمد والحاكم.

وأخرجه أحمد (٢٣٦٢)، وأبو داود (١٧٤٩)، والحاكم (١٧٣٣) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وفي رواية أحمد: أن هذا الجمل كان ممّا استُلِب يوم بدرٍ من المشركين.

(٣) يعني في حديثه عن عروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم. وهو عند أحمد في آخر حديث الحديبية هذا برقم (١٨٩١٠) عن يزيد بن هارون، عن ابن إسحاق، عن الزهري.

وأخرجه مختصراً بهذا القدر الحاكم (٣٧٥٢) من طريق محمد بن سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: أُنزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية، من أوّلها إلى آخرها.

ويشهد له حديث أنس عند مسلم (١٧٨٦).

وحديث ابن مسعود عند أحمد (٣٧١٠)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٠٢)، وإسناده حسن.

(٤) في (ق٢) و(ي): استفزَّهم.

فأبطؤوا عليه: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ ثمّ القصّةُ عن خَبَرِهم حتّى انتهَى إلى قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾، ثمّ القصّةُ عن خَبَرِهم وما عُرِضَ عليهم من جهادِ القوم أُولي البَأْس الشَّديد.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدُ الله بن أبي نَجِيحٍ، عن عطاءِ بن أبي رَبَاحٍ، عن ابن عبّاسٍ قال: فارسُ[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ عن الزُّهْريِّ أنّه قال: أُولو البأس الشّديد حَنِيفةُ مع الكذّاب[2].

ثمّ قال: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ

---

(١) إسناده صحيح عن ابن عباس.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٢١/ ٢٦٦ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

وقد اختلف المفسرون في المراد بهؤلاء القوم أُولي البأس الشديد، فقال بعضهم: هم أهل فارس، كقول ابن عباس هذا، وقال بعضهم: هم فارس والروم، وقال آخرون: هم هوازن بحُنينٍ، وقال آخرون: بل هم بنو حَنِيفة مع مُسيلِمة الكذاب.

قال الطبريُّ رحمه الله: وأَولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكرُه أخبر عن هؤلاء المخلَّفين من الأعراب أنهم سيُدعَون إلى قتال قوم أُولي بأس في القتال، ونَجْدة في الحروب، ولم يُوضَع لنا الدليل من خبر ولا عقل على أن المعنيَّ بذلك هوازنُ ولا بنو حنيفة ولا فارسُ ولا الرّومُ، ولا أعيانٌ بأعيانهم، وجائز أن يكون عُنِيَ بذلك بعضُ هذه الأجناس، وجائز أن يكون عُنِيَ بهم غيرهم، ولا قولَ فيه أصحُّ من أن يقال كما قال الله جلَّ ثناؤه: إنهم سيُدعَون إلى قوم أُولي بأس شديد. قلنا: يعني مطلقاً دون تعيين.

(٢) ورواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٥١٧)، والطبري في «تفسيره» ٢١/ ٢٦٨ من طريقين عن ابن إسحاق عن الزهري.

فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢٠﴾ وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴿٢١﴾﴾ .

ثمّ ذكرَ مَحبَسَه وكَفَّه إيّاه عن القتال بعدَ الظَّفَرِ منه بهم؛ يعني النَّفَرَ الذين أصابَ منهم وكَفَّهم عنه[1] ، ثمّ قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ .

---

(١) وقد ذكر خَبَرَهم أنسُ بن مالكٍ فقال: إن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلِّحين، يريدون غِرّةَ النبيِّ ﷺ وأصحابه، فأخذهم سَلَماً فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ . أخرجه أحمد (١٢٢٥٤) ومسلم (١٨٠٨) وغيرهما.

وذكره أيضاً سلمةُ بن الأكوع في حديثٍ طويلٍ بشيء من التفصيل فقال: لمّا اصطلحنا نحن وأهلُ مكة، واختلط بعضُنا ببعض، أتيتُ شجرةً فكَسَحتُ شوكَها فاضطجعتُ في أصلها، فأتاني أربعةٌ من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يَقَعُون في رسول الله ﷺ، فأبغضتُهم، فتحوَّلتُ إلى شجرةٍ أخرى، وعلَّقوا سلاحهم واضطجعوا، فبينما هم كذلك إذ نادى منادٍ من أسفل الوادي: يا لَلمهاجرين، قُتِلَ ابنُ زُنَيم، قال: فاخترطتُ سيفي ثم شَدَدتُ على أولئك الأربعة وهم رُقود، فأخذتُ سلاحهم فجعلتُه ضِغثاً (أي: حُزمةً) في يدي ثم قلت: والذي كرَّم وجهَ محمّدٍ، لا يرفعُ أحدٌ منكم رأسَه إلا ضربتُ الذي فيه عيناه، قال: ثم جئتُ بهم أسُوقُهم إلى رسول الله ﷺ، وجاء عمّي عامرٌ برجل من العَبَلات (بطنٌ من قريش) يقال له: مِكرَز، يقودُه إلى رسول الله ﷺ على فرس مُجفَّف (أي: عليه تَجْفافٌ، وهو ثوب يُلبَسه الفرس ليقيَه السلاح) في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: «دَعُوهم، يكن لهم بَدْءُ الفجور وثِنَاه» (أي: ثانيه، يعني: لهم أوله وآخره)، فعَفَا عنهم رسول الله ﷺ، وأنزل الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ ...﴾ . أخرجه أحمد (١٦٥١٨) ومسلم (١٨٠٧).

ثمّ قال: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾.

قال ابن هشام: المعكوفُ: المحبوسُ، قال أعشَى بني قيس بن ثَعْلبة:

وكأنَّ السُّموطَ عَكَّفَه السِّلْـ ـكُ بعِطفَيْ جَيْداءَ أمِّ غَزالِ[1]

وهذا البيت في قصيدةٍ له[2].

قال ابن إسحاق: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، والمَعَرّةُ: الغُرْم، أن تُصِيبوا منهم مَعَرّةً بغير عِلمٍ فتُخرِجوا دِيَتَه، فأمّا إثمٌ فلم يَخشَهُ عليهم[3].

قال ابن هشام: بَلَغَني عن مجاهدٍ أنه قال: نَزَلَت هذه الآيةُ في الوليد بن الوليد بن المغيرةِ وسَلَمة بن هشامٍ وعَيّاش بن أبي ربيعةَ وأبي جَندَل بن سُهَيلٍ وأشباهِهم.

قال ابن إسحاق: ثمّ قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ يعني سُهَيلَ بن عمرٍو حين حَمِيَ أن يَكتُبَ بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ، وأنَّ

---

(١) السُّموط: جمع سِمْط، وهو ما يُعلَّق من القلائد على الصدر. وعكَّفه، أي: أداره. والسِّلك: الخيط الذي يُنظَم فيه الخرز وغيره. والعِطْف: الجانب. والجَيْداء: الطويلة الجِيدِ، وهو العُنُق.

(٢) انظر «ديوانه» ١/ ١٠٣.

(٣) وذكر هذا عن ابن إسحاق الطبريُّ في «تفسيره» ٢١/ ٣٠٦، ثم اختار هو أن المراد بالمَعَرّة هنا كفّارة قتل الخطأ لا ديتُه، وذلك عتقُ رقبة مؤمنة مَن أطاق ذلك، ومن لم يُطِقْ فصيام شهرين متتابعين. ثم قال: وإنما اخترتُ هذا القولَ دون القول الذي قاله ابنُ إسحاق، لأن الله إنما أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يكن هاجَرَ منها، ولم يكن قاتلُه عَلِمَ إيمانَه، الكفّارةَ دون الدِّيَة، فقال: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢] ولم يوجب على قاتله خطأً ديةً، فلذلك قلنا: عُنِيَ بالمَعَرّة في هذا الموضع الكفّارةُ.

محمّداً رسولُ الله.

ثمّ قال: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ أي: التّوحيدَ؛ شهادةُ أن لا إلٰهَ إلّا الله، وأنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه.

ثمّ قال: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ أي: لِرُؤيا رسولِ الله ﷺ التي رأَى أنّه سيدخُلُ مكّةَ آمناً لا يَخافُ[1]، يقول: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ معه ﴿لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ﴾ من ذلك ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧] صُلحَ الحُدَيبيَةِ.

يقول الزُّهْريّ: فما فُتِحَ في الإسلام فتحٌ قبلَه كان أعظَمَ منه، إنّما كان القتالُ حيثُ التَقَى الناسُ، فلمّا كانت الهُدْنةُ ووُضِعَت الحربُ وأَمِنَ الناسُ، كَلَّمَ بعضُهم بعضاً، والتَقَوْا فتفاوَضُوا في الحديث والمُنازَعة، ولم يُكلَّمْ أحدٌ بالإسلام يَعقِلُ شيئاً إلّا دخل فيه، ولقد دخل في تَينِكَ السَّنتَينِ مثلُ مَن كان في الإسلام قبلَ ذلك أو أكثرُ.

قال ابن هشام: والدّليلُ على قول الزُّهْريّ: أنّ رسولَ الله ﷺ خرج إلى الحُدَيبيَة في ألفٍ وأربعِ مئةٍ في قول جابر بن عبدالله[2]، ثمّ خرج عامَ فتح مكّة بعدَ ذلك بسنتَينِ في عَشَرةِ آلاف.

---

(١) وفي «مغازي الواقديّ» ٢/ ٦٠٧: أنه ﷺ رأى أنه حلق رأسه، وأنه دخل البيت فأخذ مفتاح الكعبة.

(٢) انظر تخريجه والكلام عليه فيما تقدَّم ص٣٩٩.

ما جَرَى عليه أمرُ قوم من المستضعَفِين بعد الصُّلح

قال ابن إسحاق[1]: فلمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ أتاه أبو بَصِيرٍ عُتْبةُ بن أَسِيد بن جارِيةَ[2]، وكان ممَّن حُبِسَ بمكّة، فلمّا قَدِمَ على رسول الله ﷺ كَتَبَ فيه أزهَرُ بن عبد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهْرةَ والأخنَسُ بن شَرِيق بن عمرو بن وهبٍ الثَّقَفيُّ إلى رسول الله ﷺ، وبَعَثا رجلاً من بني عامر بن لُؤيٍّ ومعه مَولًى لهم، فقَدِما على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهَرِ والأخنَسِ، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بَصِيرٍ، إنّا قد أعطَيْنا هؤلاءِ القومَ ما قد عَلِمتَ، ولا يَصلُحُ لنا في دينِنا الغَدْرُ، وإنَّ اللهَ جاعلٌ لك ولمَن معَك من المُستضعَفِينَ فَرَجاً ومَخرَجاً، فانطَلِقْ إلى قَومِك» قال: يا رسولَ الله، أتَرُدُّني إلى المشركين يَفتِنونَني في ديني؟! قال: «يا أبا بَصِير، انطَلِقْ فإنَّ الله سيَجعَلُ لك ولمَن معَك من المُستضعَفِينَ فَرَجاً ومَخرَجاً».

فانطَلَقَ معهما، حتّى إذا كان بذي الحُلَيفة[3] جَلَسَ إلى جِدارٍ وجَلَسَ معه صاحباه، فقال أبو بَصيرٍ: أصارمٌ سيفُك هذا يا أخا بني عامرٍ؟ فقال: نعم، قال: أنظُرُ إليه؟ قال: انظُرْ إن شئتَ، قال: فاستَلَّه أبو بَصيرٍ ثمّ عَلاه به حتّى قَتَلَه، وخرج المولى سريعاً حتّى أَتى رسولَ الله ﷺ وهو جالسٌ في المسجد، فلمّا رآه رسولُ الله ﷺ طالعاً قال: «إنَّ هذا الرّجُلَ قد رأَى فَزَعاً»، فلمّا انتَهَى إلى رسول الله ﷺ قال: «وَيحَكَ، ما لكَ؟»

---

(١) لم يذكر ابن إسحاق إسناده في خبر أبي بصيرٍ هذا، وهو حديث صحيح، قد أسنده معمرٌ في حديثه عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المِسوَر بن مَخرَمة ومروان بن الحكم فيما أخرجه أحمد (١٨٩٢٨)، والبخاري (٢٧٣١)، وأبو داود (٢٧٦٥)، وابن حبان (٤٨٧٢).

(٢) وهو من ثَقِيف، وكان حليفاً لبني زُهْرة من قريش.

(٣) ذو الحليفة: بلدة عامرة تبعُد عن المدينة ٩ كم جنوباً، وهي التي تُعرَف اليوم عند العامّة بأبيار عليّ.

قال: قَتَلَ صاحبُكم صاحبي، فوالله ما بَرِحَ حتّى طَلَعَ أبو بَصيرٍ مُتَوَشِّحاً السّيفَ حتّى وَقَفَ على رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، وَفَتْ ذِمَّتُك وأدَّى اللهُ عنك، أسلَمْتَني بيدِ القوم وقد امتَنَعتُ بدِيني أن أُفتَنَ فيه أو يُعبَثَ بي، قال: فقال رسول الله ﷺ: «وَيْلُ أُمِّهِ مِحَشَّ حَرْبٍ[1] لو كانَ معَه رِجالٌ!».

ثمّ خرج أبو بَصيرٍ حتّى نَزَلَ العِيصَ من ناحية ذي المَرْوة[2] على ساحلِ البحر بطريقِ قريشٍ التي كانوا يأخُذونَ إلى الشّام، وبَلَغَ المسلمين الّذين كانوا احتُبِسوا بمكّة قولُ رسول الله ﷺ لأبي بَصيرٍ: «ويلُ أُمِّه، مِحَشَّ حَرْبٍ لو كان معَه رِجالٌ!»، فخَرَجوا إلى أبي بصيرٍ بالعِيصِ، فاجتَمَع إليه قريبٌ من سبعين رجلاً منهم، فكانوا قد ضَيَّقُوا على قريش، لا يَظفَرُون بأحدٍ منهم إلّا قتلوه ولا تَمُرُّ بهم عِيرٌ إلّا اقتَطَعُوها، حتّى كَتَبَت قريشٌ إلى رسول الله ﷺ تسألُه بأَرحامِها إلّا آواهم، فلا حاجةَ لهم بهم، فآواهم رسولُ الله ﷺ، فقَدِمُوا عليه المدينةَ[3].

---

(١) المِحَشُّ: حديدة تُحَشُّ بها النار، أي: تُحرّك، ومعنى مِحَش حربٍ: مُوقِد حربٍ ومهيّجها، يقال: حشَّ النارَ يحشُّها، إذا أَوقدها وضمَّ الحطبَ إليها، وفي رواية معمر في «الصحيح» وغيره كما سبق: «ويل أُمّه مِسعرَ حربٍ».

(٢) العِيص: وادٍ يقع شمال غرب المدينة على قرابة ١٧٠ كم، وبين العِيص وساحل البحر الأحمر ٩٠ كم تقريباً.

وأما ذو المروة: فبلدةٌ شمال شرق العِيص، وتبعد عنها قرابة ٧٥ كم، وعن المدينة في الشمال الغربي منها على قرابة ١٨٠ كم، وهي معدودة من وادي القُرى.

(٣) هو خبرٌ صحيحٌ، وهو قطعة من حديث الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المِسوَر بن مَخرَمة ومروان بن الحَكَم، عند أحمد (١٨٩٢٨) والبخاري (٢٧٣١) وابن حبان (٢٧٣١).

وقد ذكر موسى بن عقبة في «مغازيه» كما في «دلائل النبوة» للبيهقي ٤/ ١٧٢-١٧٥ خبر أبي بصيرٍ بأتمِّ ألفاظ وأكمل سياقة، وفي آخره قال: فقَدِمَ كتابُ رسول الله ﷺ - زعموا - على أبي =

قال ابن هشام: أبو بَصيرٍ ثَقَفيٌّ.

قال ابن إسحاق: فلمّا بَلَغَ سُهَيلَ بن عمرٍو قتلُ أبي بَصيرٍ صاحبَهم العامريَّ، أسنَدَ ظهرَه إلى الكعبة ثمّ قال: والله لا أُؤخِّرُ ظهري عن الكعبة حتّى يُودَى هذا الرَّجلُ، فقال أبو سفيان بن حَرْب: والله إنّ هذا لهُوَ السَّفَهُ، والله لا يُودَى؛ ثلاثاً، فقال في ذلك مَوهَبُ بن رَبَاحٍ أبو أُنَيسٍ حليفُ بني زُهْرة ـ قال ابن هشام: أبو أُنَيسٍ أشعَريٌّ[1] ـ:

أَتَاني عن سُهَيلٍ ذَرْءُ قولٍ ... فأيقَظَني وما بي مِن رُقادِ[2]

فإن تكنِ العِتابَ تريدُ منّي ... فعاتِبْني فما بكَ من بِعادِ[3]

أتُوعِدُني وعبدُ مَنافِ حَوْلي ... بمخزومٍ ألَهْفاً مَن تُعادِي[4]

فإن تَغمِزْ قَنَاتي لا تَجِدْني ... ضعيفَ العُودِ في الكُرَبِ الشِّدادِ[5]

= جندلٍ وأبي بصيرٍ وأبو بصيرٍ يموت، فمات وكتابُ رسول الله ﷺ في يده يقرؤه، فدَفَنَه أبو جندلٍ مكانه وجعل عند قبره مسجداً.

وقَدِمَ أبو جندلٍ على رسول الله ﷺ معه ناسٌ من أصحابه، ورجع سائرهم إلى أهليهم، وأَمِنَت عِيرَاتُ قريش.

(١) هذه النسبة الى أشعَرَ، وهي قبيلة مشهورة من اليمن، منهم الصحابي الجليل أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه.

(٢) ذَرْءُ قول، أي: طَرَف قول، وهو مهموز، ويروى: ذَرْوُ قول، بالواو، والصواب فيه الهمزُ. قاله أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٤٣، والرُّقاد: النوم.

(٣) البِعَاد: البُعْد.

(٤) أتُوعدني: أتهدِّدني. واللَّهف: الحَسْرة.

(٥) الغمز: العصر باليد، والقناة: الرمح، والكلام هنا على المجاز، يقال: غمز قناةَ فلان، أي: جرَّبه واختبره.

أُسامي الأكرَمِينَ أباً بقَوْمي ... إذا وُطِئَ الضّعيفُ بهم أُرادِي[1]
هُمُ مَنَعوا الظّواهرَ غيرَ شَكٍّ ... إلى حيثُ البَواطنُ فالعَوَادي[2]
بكلِّ طِمِرّةٍ وبكلِّ نَهْدٍ ... سَوَاهِمَ قد طُوِينَ من الطِّرادِ[3]
لهمْ بالخَيْفِ قد عَلِمَت مَعَدٌّ ... رِوَاقُ المَجدِ رُفِّعَ بالعِمادِ[4]

فأجابه عبدُ الله بن الزِّبَعرَى فقال:

أَمسى مَوهَبٌ كحِمارِ سَوءٍ ... أجازَ ببَلْدةٍ فيها يُنادِي
فإنَّ العبدَ مِثلَك لا يُناوِي ... سُهَيلاً ضَلَّ سَعيُك مَن تُعادِي[5]
فأقصِرْ يا ابنَ قَيْنِ السَّوءِ عنهُ ... وعَدِّ عن المَقَالةِ في البِلادِ[6]
ولا تَذكُرْ عِتابَ أبي يزيدٍ ... فهَيْهاتَ البُحورُ من الثِّمادِ[7]

وهاجَرَت إلى رسول الله ﷺ أمُّ كُلْثومٍ بنتُ عُقْبة بن أبي مُعَيطٍ في تلك المُدّة، فخرج أخَوَاها عُمَارةُ والوليدُ ابنا عُقْبة حتى قَدِما على رسول الله ﷺ يسألانِه أن

(١) أُسامي: أُعالي. وأُرادي: أُرامي، يقال: راديتُه، إذا رامَيته. وقوله: وُطِئ الضعيف، أي: ظُلم واستُقوِيَ عليه.

(٢) الظواهر: ما علا من مكة، والبواطن: ما انخفض منها. والعوادي هنا: جوانب الأودية.

(٣) الطِّمِرّة: الفرس الوثّابة السريعة. والنَّهد: الغليظ. وسَوَاهِمُ: عوابس متغيّرة. وطُوِين: ضَعُفْن وضَمَرْن.

(٤) الخَيْف: هو الموضع المعروف بمِنًى. والرِّواق: هو نوعٌ من الأخبية. والعِماد: جمع عمود.

(٥) لا يُناوي، أي: لا يُعادي، وترك همزه لضرورة الشِّعر.

(٦) القين: الحدّاد.

(٧) زاد في (ش١) هنا: قال ابن هشام: الثِّماد: الماء القليل، واحده: ثَمَدٌ. قلنا: وأبو يزيد: هو سُهيل بن عمرو.

يَرُدَّها عليهما بالعهد الّذي بينه وبين قريش في الحُدَيبيَة، فلم يفعلْ، أَبَى اللهُ ذلك.

قال ابن إسحاق: فحدّثني الزُّهْريُّ، عن عُرْوة بن الزُّبَير؛ قال[1]: دخلتُ عليه وهو يكتبُ كتاباً إلى ابن أبي هُنَيدة[2] صاحبِ الوليد بن عبد الملك، وكَتَبَ إليه يسألُه عن قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠].

قال ابن هشام: واحدةُ العِصَمِ: عِصْمةٌ، وهي الحبلُ والسَّبَب، قال أَعشَى بني قيس بن ثَعْلبة:

إلى المَرْءِ قيسٍ نُطِيلُ السُّرَى ... ونأخُذُ من كلِّ حيٍّ عِصَمْ[3]

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له.

﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾، قال: فكَتَبَ إليه عُرْوةُ بن الزُّبَير: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان صالَحَ قريشاً يومَ الحُدَيبيَةِ على أن يَرُدَّ عليهم مَن جاءَ بغير إذنِ وَلِيِّه، فلمّا هاجَرَ النّساءُ إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام، أَبَى اللهُ أن يُردَدْنَ إلى المشركين إذا هُنَّ امتُحِنَّ بمِحْنةِ الإسلام، فعَرَفوا أنّهُنَّ إنّما

(١) يعني الزهريّ.

(٢) اسمه عبد الرحمن، يقال: ابن هنيدة وابن أبي هنيدة، مولى آل عمر بن الخطاب، وهو رضيع عبد الملك بن مروان، وله ترجمة في «تهذيب الكمال» للمزّي.

(٣) قيس: هو ابن مَعْدي كَرِبَ اليماني الكِنديّ، وهو والد الأشعث بن قيس، وكان ملكاً من ملوك اليمن بحضرموت، مات قبل الإسلام، وهذه القصيدة في مدحه، وانظر «ديوان الأعشى» ١/ ١٧٠.

والسُّرى: السَّير في الليل.

جِئنَ رَغْبةً في الإسلام، وأمَرَ بردِّ صَدُقاتِهِنَّ إليهم إن احتُبِسنَ عنهم إن هم رَدُّوا على المسلمين صَدَاقَ مَن حَبَسُوا عنهم من نسائهم، ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾، فأمسَكَ رسولُ الله ﷺ النّساءَ ورَدَّ الرِّجالَ، وسأَلَ الّذي أمَرَه اللهُ به أن يَسأَلَ من صَدُقاتِ نساءِ مَن حَبَسُوا منهنَّ، وأن يَرُدُّوا عليهم مِثلَ الّذي يَرُدُّون عليهم إن هم فعلوا، ولولا الّذي حَكَمَ اللهُ به من هذا الحُكْم، لَرَدَّ رسولُ الله ﷺ النّساءَ كما رَدَّ الرِّجالَ، ولولا الهُدْنةُ والعهدُ الّذي كان بينه وبين قريشٍ يومَ الحُدَيبيَةِ، لَأمسَكَ النّساءَ ولم يَردُدْ لهنَّ صَدَاقاً، وكذلك كان يَصنَعُ بمَن جاءَه من المسلماتِ قبلَ العَهْد[1].

قال ابن إسحاق: وسألتُ الزُّهْريَّ عن هذه الآيةِ وقولِ الله فيها: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾، فقال: يقول: إن فاتَ أحداً منكم أهلُه إلى الكُفّار ولم تأتِكم امرأةٌ تأخُذون بها مِثلَ الذي يَأخُذون منكم، فعَوِّضُوهم من فَيْءٍ إن أَصبتُمُوه، فلمّا نزلت هذه الآيةُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ﴾ إلى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾، كان ممّن طَلَّقَ عمرُ بن الخطّاب، طَلَّقَ امرأتَه قُرَيبةَ[2] بنتَ أبي أُميّة بن المغيرة، فتزوَّجَها بعدَه معاويةُ بن أبي سفيان وهما على شِرْكِهما بمكّة، وأمَّ كُلْثومٍ بنتَ جَرْوَلٍ أمَّ عُبَيد الله بن عمر الخُزاعيّةُ، فتزوَّجَها أبو جَهْم بن حُذَيفة بن غانمٍ ـ رجلٌ من قومه ـ وهما على شِرْكِهما[3].

---

(١) مرسلٌ رجاله ثقات.

وأخرجه مختصراً الطبري في «تفسيره» ٢٢/ ٥٧٩، والواحدي في «أسباب النزول» (٨١٥) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

(٢) وتُقيَّد أيضاً: قَرِيبةُ، بفتح القاف.

(٣) وروى نحوَ هذا عن الزهريِّ أيضاً عُقيلُ بن خالد عند البخاري (٢٧٣٣). =

قال ابن هشام: حدّثنا أبو عُبيدة: أنّ بعضَ مَن كان مع رسول الله ﷺ قال له لمّا قَدِمَ المدينة: ألم تقلْ يا رسولَ الله: إنّك تَدخُلُ مكّة آمناً؟ قال: «بَلَى، أفقلتُ لكم من عامِي هذا؟» قالوا: لا، قال: «فهو كما قال لي جِبريلُ»[1].

= وروى البخاريُّ أيضاً (٥٢٨٧) من حديث عطاء عن ابن عباس قال: كانت قريبةُ بنت أبي أميّة عند عمر بن الخطاب فطلَّقها، فتزوَّجها معاويةُ بن أبي سفيان. ولم يذكر أمَّ كلثوم بنت جرول.

(١) هكذا ذكره ابن هشام عن أبي عبيدة مَعمَر بن المثنَّى معضلاً، والبعض المذكور في خبره هو عمر بن الخطّاب، فقد روي عنه نحوُه في مراجعتِه للنبي ﷺ عند كتابة الصلح بالحديبية، كما جاء موصولاً من حديث معمر بن راشدٍ عن الزهري عن عُروة عن المِسوَر بن مَخرَمة ومروان ابن الحكم عند أحمد (١٨٩٢٨)، والبخاري (٢٧٣١)، وابن حبان (٤٨٧٢)، وفيه: أن عمر قال للنبيِّ ﷺ: أوليس كنتَ تحدِّثنا أنّا سنأتي البيتَ فنطوفُ به؟ قال: «بلى، فأخبرتُك أنّا نأتيهِ العامَ؟» قال: لا، قال: «فإنّك آتيهِ ومطوِّفٌ به».

ذكرُ المَسِير إلى خيبرَ
في المحرَّم سنة سبعٍ[1]

قال محمّدُ بن إسحاق[2]: ثمّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينة حين رَجَعَ من الحُدَيبِيَة ذا الحِجّة وبعضَ المُحرَّم، ووَلِيَ تلك الحَجّةَ المشركون، ثمّ خرج في بقيّة المُحرَّمِ إلى خَيبَرَ[3].

قال ابن هشام: واستَعمَل على المدينةِ نُمَيلةَ بن عبدِ الله اللَّيْثيّ[4]، ودَفَعَ الرّايةَ إلى عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه وكانت بيضاءَ.

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمّدُ بن إبراهيم بن الحارث التَّيْميُّ، عن أبي الهَيثَم ابن نَصْر بن دَهْرٍ الأسلَميّ، أنّ أباه حدَّثه: أنّه سمع رسولَ الله ﷺ يقول في مَسِيرِه إلى خيبر لعامرِ بن الأكوَعِ، وهو عمُّ سَلَمة بن عمرو بن الأكوَع ـ وكان اسمَ الأكوعِ

---

(١) خيبر: بلدة كبيرة ذات حصون ومياه وزروع، وأكثر زروعها النخل، تقع شمال المدينة المنورة على قرابة ١٥٠كم.

(٢) في (ش١) و(غ): حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكّائي عن محمد بن إسحاق المُطَّلِبي.

(٣) ذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٦٣٤: أنه ﷺ أقام المحرَّمَ أيضاً بالمدينة ثم خرج في صفر، وهذا قريب ممّا ذكر ابن إسحاق، وأبعَدَ ابنُ سعد فذكر في «طبقاته» ٢/ ١٠٠: أنه خرج إليها في جُمادى الأولى، أي: بعد ثلاثة أشهر مما ذكر ابن إسحاق والواقدي، وقولهما أصح وأثبت، وانظر «فتح الباري» ١٢/ ٣٧٨-٣٧٩.

(٤) كذا قال ابن هشام، والصحيح: أنه استخلف سِبَاعَ بن عُرفُطَة الغِفاريَّ، كما رواه أحمد (٨٥٥٢) والحاكم (٢٢٧٢) من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح.

سِنانٌ[1] ـ: «انزِلْ يا ابنَ الأكوَعِ فخُذْ لنا من هَنَاتِك[2]»، قال: فنَزَلَ يَرتجِزُ برسول الله ﷺ فقال:

واللهِ لولا اللهُ ما اهتَدَينا ... ولا تَصَدَّقْنا ولا صَلَّينا

إنّا إذا قومٌ بَغَوْا علينا ... وإن أرادوا فِتنةً أَبَيْنا

فأنزِلَنْ سَكينةً علينا ... وثبِّتِ الأقدامَ إن لاقَيْنا[3]

فقال رسول الله ﷺ: «يَرحَمُك ربُّك» فقال عمرُ بن الخَطّاب: وَجَبَت والله، يا رسولَ الله لو أمتَعْتَنا به، فقُتِلَ يومَ خيبرَ شهيداً[4].

---

(١) في (ش٢): وكان اسمُ الأكوع سناناً، وهو صحيح على الأصل في تقديم اسم كانَ على خبرها.

(٢) أي: أخبارك وأمورك وأشعارك، وهي جمع هَنَةٍ، ويُكنى بها عن كل شيء لا تعرف اسمه أو تعرفه فتكني عنه، وإنما أراد رسول الله ﷺ منه أن يأخذ بالحُداءِ ليأنَسوا به وليستحثَّ به الإبل، ولا يكون الحُداءُ إلا بشِعرٍ أو رَجَزٍ.

(٣) السَّكينة: الوَقار والطُّمأنينة.

(٤) أصل الخبر صحيح من غير هذا الوجه، وهذا الإسناد فيه لينٌ لجهالة أبي الهيثم بن نصر الأسلميّ.

وأخرجه أحمد (١٥٥٥٦)، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٨/ ١٠٠-١٠١، والبزار في «مسنده» (٢١١٦-كشف الأستار)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٨٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥١٦٥) و(٦٤٤٢)، والبيهقي في «السنن» ٤/ ١٦ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وقد روى خبر عامر بن الأكوع هذا ابنُ أخيه سلمةُ بن عمرو بن الأكوع فيما أخرجه البخاري (٤١٩٦) و(٦٨٩١) ومسلم (١٨٠٢)، وفيه: أن رجلاً من القوم قال لعامر: يا عامر ألا تسمعنا من هُنيهاتك، وليس النبيَّ ﷺ، وهذا أصحُّ وأثبت. وذكر رَجَزاً قريباً ممّا عند المصنف.

وكان قتلُه ـ فيما بَلَغَني ـ: أنّ سيفَه رَجَعَ عليه وهو يقاتلُ فكَلَمَه كَلْماً شديداً[1]، فمات منه، فكان المسلمون قد شَكُّوا فيه وقالوا: إنّما قتله سلاحُه، حتّى سأل ابنُ أخيه سَلَمةُ بن عمرو بن الأكوَع رسولَ الله ﷺ عن ذلك وأخبره بقول الناس، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّه لشَهِيدٌ»، فصَلَّى عليه وصَلَّى عليه المسلمون[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهِمُ، عن عطاءِ بن أبي مروانَ الأسلَميِّ، عن أبيه، عن أبي مُعتِّب بن عمرٍو: أنّ رسول الله ﷺ لمّا أشرَفَ على خَيبَرَ قال لأصحابه

---

(١) أي: جرحه جرحاً شديداً.

(٢) هذا البلاغ روي نحوه موصولاً بحديث سلمة السابق عند البخاري ومسلم بلفظ: فلمّا تصافَّ القومُ كان سيف عامر قصيراً، فتناول به ساقَ يهوديٍّ ليضربه، ويَرجِعُ ذُبَابُ سيفه (أي: حدّه الذي يضرب به) فأصاب عينَ رُكْبة عامر (أي: طرف ركبته الأعلى) فمات منه، قال: فلمّا قفلوا قال سلمةُ: رآني رسول الله ﷺ ـ وهو آخذٌ بيدي ـ ساكتاً قال: «ما لك؟» قلت له: فِداكَ أبي وأمي، زعموا أن عامراً حَبِطَ عملُه، فقال النبي ﷺ: «كذب من قاله، إنّ له لأَجرَينِ ـ وجمع بين إصبعيه ـ إنه لجاهدٌ مجاهدٌ، قَلَّ عربيٌّ مَشَى بها مثلَه».

واليهوديُّ الذي قاتله عامرٌ هو مَرحَبٌ كما في حديث إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه عند مسلم (١٨٠٧)، ثم إن عليّ بن أبي طالبٍ قاتل مرحباً وقتله كما في الحديث نفسه.

قوله: «إنّ له لأَجرَينِ» أي: أجر الجهد في الطاعة، وأجر الجهاد في سبيل الله.

وقوله: «جاهدٌ مجاهدٌ» الجاهد: من يركب المَشقّة، والمجاهد: من يجاهد في سبيل الله، وهو مشتقٌّ منه.

وقوله: «قَلَّ عربيٌّ مَشَى بها مثلَه» أي: قليل من العرب مشى في الدنيا بهذه الخَصْلة الحميدة التي هي الجهاد مع الجُهد، أي: الجِدّ، وقوله: «بها» أي: بالأرض أو المدينة أو الحرب أو الخَصْلة.

وذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٦٥٨: أن عامر بن الأكوع لمّا جَرَح نفسه حُمِل إلى الرَّجيع فمات هناك وقُبر في غارٍ فيه. والرَّجيع هذا: هو الوادي الذي عسكر فيه المسلمون في هذه الغزوة كما سيأتي لاحقاً.

وأنا فيهم: «قِفُوا»، ثمّ قال: «اللَّهُمَّ ربَّ السَّماواتِ وما أَظلَلْنَ، وربَّ الأَرَضِينَ وما أَقلَلْنَ، وربَّ الشَّياطِينِ وما أَضلَلْنَ، وربَّ الرِّياحِ وما أَذرَيْنَ[1]، فإنّا نَسأَلُك خيرَ هذِه القَرْيةِ وخيرَ أهلِها وخيرَ ما فيها، ونَعُوذُ بك من شَرِّها وشَرِّ أهلِها وشَرِّ ما فيها، أَقدِمُوا باسْمِ الله». وكان يقولها لكلِّ قريةٍ دَخَلَها[2].

---

(١) أَذرَينَ، أي: أطَرْنَ من التراب وغيره.

(٢) حديث صحيح دون ذكر خيبر فيه، وهذا إسناد ضعيف لإبهام شيخ ابن إسحاق فيه ولجهالة أبي معتِّبٍ، ولا تثبت له صحبة، وقال ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٨٥٥ بعد أن ذكره عن ابن إسحاق: إسناده ليس بالقائم.

وأخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٣٠٤)، والطبراني في «الكبير» ٢٢/ (٩٠٢)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٠٢٥) من طريق محمد بن سلمة، والنسائي (١٠٣٠٥) من طريق هارون ابن أبي عيسى، كلاهما عن ابن إسحاق، به. إلا أن النسائي سقط في روايته عن محمد بن سلمة الواسطة المبهمة بين ابن إسحاق وعطاء.

ورواه سلمة بن الفضل الأبرش عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ١١/ ٥٩٣، فسمّى هذه الواسطة الحسنَ بن دينارٍ، إلا أنه عنده من روايته عن محمد بن حُميد الرازي عن سلمة بن الفضل، وابنُ حميد هذا حافظ إلا أنهم ليَّنوه، فإن كان حفظ ذكرَ الحسن بن دينار فيه، فإن هذا الإسناد ضعيف جدّاً، فالحسنُ متروك الحديث.

وقد خالف موسى بنُ عقبة عند النسائي (٨٧٧٦) و(١٠٣٠٢)، وابن حبان (٢٧٠٩)، والحاكم (١٦٥١) و(٢٥١٩)، فرواه عن عطاء بن أبي مروان، عن أبيه: أن كعب الأحبار حدّثه، أن صهيباً صاحب النبي ﷺ حدّثه: أن النبي ﷺ لم يرَ قريةً يريد دخولها إلا قال حين يراها... وذكره. وهذا إسناد حسن، وهو أصح من إسناد ابن إسحاق.

ويقوِّيه ما رواه النسائي (٨٧٧٥) و(١٠٣٠١) من حديث سليمان بن بلال، عن أبي سهيل بن مالك، عن أبيه مالك بن أبي عامر الأصبحي، عن كعب الأحبار، عن صهيبٍ رفعه. وهذا إسناد صحيح إن شاء الله.

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ، عن أنس بن مالكٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا غَزَا قوماً، لم يُغِرْ عليهم حتّى يُصبِحَ، فإن سَمِعَ أذاناً أمسَكَ، وإن لم يَسمَعْ أذاناً أغار، فنَزَلْنا خيبرَ ليلاً، فباتَ رسولُ الله ﷺ حتّى إذا أصبَحَ لم يَسمَعْ أذاناً، فرَكِبَ ورَكِبْنا معه، فرَكِبتُ خلفَ أبي طلحة وإنَّ قَدَمي لتَمَسُّ قَدَمَ رسول الله ﷺ، واستَقبَلَنا عُمّالُ خيبرَ غادِينَ قد خرجوا بمَساحِيهِم ومَكاتِلِهم[1]، فلمّا رَأَوْا رسولَ الله ﷺ والجيشَ قالوا: محمّدٌ والخَمِيسُ معه[2]، فأدبَرُوا هُرّاباً، فقال رسول الله ﷺ: «اللهُ أكبر، خَرِبَت خَيبَر، إنَّا إذا نَزَلْنا بساحَةِ قومٍ فسَاءَ صَبَاحُ المُنذَرِينَ».

قال ابن إسحاق: حدّثنا هارون، عن حُمَيدٍ، عن أنسٍ بمِثلِه[3].

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سَلَكَ على عَصَرٍ، فبُنِيَ له فيها مَسجِدٌ، ثمّ على الصّهباء[4]، ثمّ أقبَلَ رسولُ الله ﷺ بجيشِه

---

(١) المَساحي: جمع مِسْحاة، وهي المِجرَفة من الحديد. والمكاتل: جمع مِكتَل، وهي قُفّة كبيرة.

(٢) الخميس: الجيش، لأنه ينقسم على خمسة أقسام.

(٣) حديث صحيح، روي من غير وجهٍ عن حميدٍ الطويل عن أنس، وهارون المذكور في السند هنا لم نتبيّنه، ولا يعرف في شيوخ ابن إسحاق من يسمَّى هارون، ولعلَّ وقوعه في هذا الإسناد وهمٌ، فقد روى هذا الحديث إبراهيمُ بن سعدٍ عند أحمد (١٣٤٨١)، وعبدُ الله بن إدريس الأوديُّ عند الطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٣/ ٢٠٨، كلاهما عن ابن إسحاق قال: حدثني حميد الطويل عن أنس.

وأخرجه أحمد (١٣١٤٠) و(١٣٧٧١)، والبخاري (٦١٠) و(٢٩٤٣-٢٩٤٥) و(٤١٩٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٤٤)، وابن حبان (٤٧٤٥) و(٤٧٤٦) من طرق عن حميد، به.

(٤) عَصَر، بفتحتين، ويقال: بكسر أوله وسكون ثانيه، ذكر البِلاديُّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢١٠-٢١١ أنه لا يعرف اليوم، لكن ذكر احتمالاً أن يكون في وادي اللحن، =

حتّى نَزَلَ به بوادٍ يقال له: الرَّجيعُ[1]، فنَزَلَ بينهم وبين غَطَفان، ليَحُولَ بينهم وبين أن يُمِدُّوا أهلَ خيبر، وكانوا لهم مُظاهِرِينَ على رسول الله ﷺ.

فبَلَغَني: أنّ غَطَفانَ لمّا سمعت بمَنزِلِ رسول الله ﷺ من خيبر، جَمَعُوا ثمّ خرجوا ليُظاهِروا[2] يهودَ عليه، حتّى إذا ساروا مَنقَلةً[3] سمعوا خلفَهم في أموالِهم وأهلِيهِم حِسّاً ظَنُّوا أنّ القومَ قد خالَفُوا إليهم، فرَجَعوا على أعقابِهم فأقاموا في أهلِيهِم وأموالِهم وخَلَّوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر.

وتَدَنَّى[4] رسولُ الله ﷺ الأموالَ يأخُذُها مالاً مالاً، ويَفتَحُها حِصناً حِصناً، فكان أوّلَ حُصونِهم افتَتَحَ حِصنُ ناعمٍ، وعنده قُتِلَ محمودُ بن مَسلَمة، أُلقِيَت عليه رَحاً منه فقتلته، ثم القَمُوصُ حِصنُ بني أبي الحُقَيقِ، وأصاب رسولُ الله ﷺ منهم سَبَايا، منهنَّ صفيَّةُ ابنةُ حُيَيّ بن أخطَبَ، وكانت عند كِنانةَ بن الرَّبيع بن أبي الحُقَيق، وبنتَي عمٍّ لها، فاصطَفَى رسولُ الله ﷺ صفيَّةَ لنفسه.

وكان دِحْيةُ بن خليفةَ الكَلْبيُّ قد سأَل رسولَ الله ﷺ صفيَّةَ، فلمّا أَصْفاها لنفسه

= وهذا الوادي جنوب خيبر على قرابة ٦٠ كم.

وأما الصهباء: فهو جبل أحمر يشرف على خيبر من الجنوب، يسمَّى اليوم جبل عطوة، كما قال البِلاديُّ، وذكر ابن سعد في «الطبقات» ١٠/ ١١٨ أنه على بريدٍ من خيبر. والبريد قرابة ٢٣كم.

(١) وهو غير ماء الرجيع الذي قُتل عنده مرثد الغنوي وأصحابه رضي الله عنهم، فذاك يقع شمال مكة كما تقدّم بيانه ص١٩٥، أما هذا فهو عند خيبر شمال المدينة المنورة.

(٢) ليظاهروا، أي: ليعاونوا.

(٣) المَنقَلة: المَرحَلة من مراحل السفر.

(٤) تدنَّى، أي: أَخذ الأدنى فالأدنى.

أعطاه ابنتَي عمِّها[1]، وفَشَتِ السَّبَايا من خيبر في المسلمين.

وأكَلَ المسلمون لحومَ الحُمُر[2] من حُمُرِها، فقامَ رسولُ الله ﷺ فنَهَى النّاسَ عن أُمورٍ سمَّاها لهم.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن عمرو بن ضَمْرة الفَزَاريُّ، عن عبد الله بن أبي سَلِيطٍ، عن أبيه قال: أتانا نَهيُ رسول الله ﷺ عن أكل لُحومِ الحُمُرِ الإنسيَّةِ والقُدورُ تَفُورُ بها، فكَفَأْناها على وجوهِها[3].

---

(١) كذا وقع عند ابن إسحاق بالتثنية، وللواقدي في «مغازيه» ٢/ ٦٧٤: فأعطاه ابنة عمّها، وذكر الشافعي في كتاب «الأم» ٩/ ١٧١ عن سِيَر الأَوزاعي: أنه أعطاه أختَ كنانة بن الربيع زوج صفية.

وروى قصّة صفيّة هذه أنسُ بن مالك فيما أخرجه البخاري (٣٧١) ومسلم (١٣٦٥)، قال: جُمِعَ السَّبْيُ، فجاء دِحْيةُ الكَلْبي فقال: يا نبي الله، أعطني جاريةً من السَّبي، قال: «اذهب فخُذْ جارية»، فأخذ صفيّةَ بنت حُيَيٍّ، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا نبيَّ الله، أعطيتَ دِحيةَ صفيّةَ بنت حُيي، سيّدةَ قُريظة والنَّضير! لا تَصلُح إلا لك، قال: «ادعوه بها» فجاء بها، فلمّا نظر إليها النبي ﷺ قال: «خُذْ جاريةً من السَّبْي غيرَها»، قال: فأعتَقَها النبيُّ ﷺ وتزوَّجها. ثم ذكر وليمةَ النبي ﷺ عليها بعد دخوله بها في الطريق وأنها كانت من تمر وسمن وسَوِيق، زاد مسلم في روايةٍ (١٣٦٥) (٨٧): وقال الناس: لا ندري أتزوَّجها أم اتَّخذها أمَّ ولد! قالوا: إن حَجَبَها فهي امرأته، وإن لم يَحجُبها فهي أمُّ ولدٍ، فلما أراد أن يركب حَجَبَها، فقَعَدَت على عَجُز البعير، فعرفوا أنه قد تزوَّجها.

(٢) في (ش١) و(ش٢) و(غ): الحمر الأهلية.

(٣) حديث صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة عبد الله بن عمرو بن ضمرة، فقد انفرد ابن إسحاق بالرواية عنه.

وأخرجه أحمد (١٥٤٥٨) و(١٥٤٥٩)، والطبراني في «الكبير» (٥٧٨) وغيرهما من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. =

وحدّثنا عبدُ الله بن أبي نَجِيح، عن مكحولٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ نَهاهُم يومَئذٍ عن أربعٍ: عن إتيانِ الحَبالَى من النِّساءِ[1]، وعن أكل الحمارِ الأهليِّ، وعن أكل كلِّ ذي نابٍ من السَّبُع، وعن بيعِ المَغانمِ حتّى تُقسَمَ[2].

= ويشهد له حديث سلمة بن الأكوع: أن النبي ﷺ رأى نيراناً تُوقَد يوم خيبر، قال: «على ما توقد هذه النِّيران؟» قالوا: على الحمر الإنسية، قال: «اكسِروها وأَهرِقوها» قالوا: ألا نُهرِيقها ونغسلها، قال: «اغسِلُوا». أخرجه البخاري (٢٤٧٧)، ومسلم (١٨٠٢).

وفي الباب أيضاً عن غير واحدٍ من الصحابة، انظر الإحالة إلى أحاديثهم عند حديث ابن عمر من «مسند أحمد» (٤٧٢٠).

(١) في (ش١) و(غ): السبايا، وقُيّدت في (ش٢) بالوجهين معاً. والمراد بالنساءِ هنا النساءُ المَسبيّات.

(٢) حديث صحيح.

ومرسل مكحول هذا رواه موصولاً أبو أسامة حماد بن أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر عن القاسم ومكحول عن أبي أمامة، فيما أخرجه عنه ابنُ أبي شيبة في «مصنفه» ١٤/ ٤٦٨، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ثقة، لكن الصواب في رواية أبي أسامة أنه يروي عن عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، لا ابن جابر، كما حرّر ذلك ابن القيّم في «جلاء الأفهام» ص٨١-٨٤، وابن رجب الحنبلي في «شرح علل الترمذي» ٢/ ٨١٧-٨١٩، وابن تميمٍ هذا ضعيف.

وقد روى هذا الحديثَ أيضاً عمرُو بن شعيب عند النسائي في «الكبرى» (٦١٩٦) و«المجتبى» (٤٦٤٥)، والحاكم (٢٣٦٧)، وعبدُ الرحمن بن الحارث المخزومي عند البزار في «مسنده» (٤٩١٣)، وأبي يعلى في «مسنده» (٢٤١٤)، والطبراني في «الكبير» (١١١٤٦)، كلاهما عن عبدالله بن أبي نجيح، فجعلاه من روايته عن مجاهد عن ابن عباس. والإسناد بمجموع الطريقين صحيح، فالظاهر أن لابن أبي نجيحٍ فيه شيخين: مكحولاً ومجاهداً، رواه عن مكحول مرسلاً، ومكحول معروفٌ بكثرة الإرسال، ورواه عن مجاهدٍ موصولاً.

وتابع ابنَ أبي نجيح عليه عن مجاهد موصولاً الأعمشُ فيما أخرجه البزار (٤٩٣٦)، والطبراني (١١٠٦٧)، والحاكم (٢٦٤٦)، وعنه البيهقي في «السنن» ٩/ ١٢٥. وإسناده صحيح أيضاً، =

قال ابن إسحاق: وحدّثني سَلّام بن كِركِرَةَ، عن عمرو بن دينارٍ، عن جابر بن عبد الله الأنصاريِّ - ولم يَشهَدْ جابرٌ خيبرَ -: أنّ رسولَ الله ﷺ حين نَهى النّاسَ عن أكلِ لحومِ الحُمُر، أَذِنَ لهم في لحومِ الخيل[1].

= وبهذا يصحُّ الحديث.

(١) حديث صحيح، وهذا إسناد فيه ضعف لجهالة سلام بن كركرة، فقد تفرّد بالرواية عنه ابنُ إسحاق، لكن تابعه على هذا الحديث سفيانُ بن عُيينة عند الترمذي (١٧٩٣)، والنسائي في «المجتبى» (٤٣٢٨) و«الكبرى» (٤٨٢١)، وابن حبان (٥٢٦٨). فسَلِمَ الحديث من عُهدته.

ورواه عن عمرو بن دينارٍ أيضاً حمادُ بن زيد عند أحمد (١٤٨٩٠) و(١٥١٣٥)، والبخاري (٤٢١٩)، ومسلم (١٩٤١)(٣٦) وغيرهم، فأدخل بين عمرٍو وجابرٍ محمدَ بنَ عليٍّ الباقرَ، وهذا هو المحفوظ، فقد ذكر الحميديُّ في «مسنده» (١٢٩٢) عن شيخه سفيان أنه قال: كل شيء سمعتُ من عمرو بن دينار قال لنا فيه: سمعتُ جابراً، إلا هذين الحديثين؛ يعني لحوم الخيل والمخابَرة، فلا أدري بينه وبين جابر فيهما أحدٌ أم لا.

ورواه عن جابرٍ أيضاً أبو الزبير المكي عند أحمد (١٤٤٥٠) ومسلم (١٩٤١)(٣٧).

وقوله: لم يشهد جابرٌ خيبر، الظاهر أنه من قول مَن دون ابن إسحاق؛ زيادِ البكّائي أو ابنِ هشام، فقد روى هذا الحديث عن ابن إسحاق عبدُ الرحمن بن محمد المُحاربي وعَبْدةُ بن سليمان عند الدارقطني في «سننه» (٤٧٨٠) فلم يذكراه.

وبعدم شهود جابرٍ خيبرَ قال أيضاً الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٦٨٤.

لكن يردُّ ذلك ما جاء في بعض روايات هذا الحديث من إشارة إلى حضور جابرٍ غزوة خيبر، ففي بعضها: أكَلْنا، وفي بعضها: ذَبَحنا... فنهانا، بصيغة المتكلِّم الحاضر.

ويردُّه أيضاً ما صحَّ عنه فيما أخرجه أبو يعلى (٢٢٣٩) والحاكم (٦٥٤٦) أنه قال: غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوةً، زاد الحاكم: وشهدتُ معه تسع عشرة غزوةً، وهذه الزيادة أخرجها أحمد (١٤٥٢٣) ومسلم (١٨١٣)، وزادا فيه قولَ جابر: لم أشهد بدراً ولا أُحداً، منعني أَبي، فلما قُتل عبدُ الله - يعني أباه - يوم أُحد، لم أتخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوة قطُّ؛ فهذا نصٌّ أو كالنصِّ على كونه رضي الله عنه شَهِدَ خيبرَ. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيدُ بن أبي حَبيبٍ، عن أبي مرزوقٍ مولى تُجِيبَ، عن حَنَشٍ الصَّنعاني قال: غَزَوْنا مع رُوَيفِع بن ثابتٍ الأنصاريّ المَغرِبَ، فافتَتَحَ قريةً من قُرَى المغربِ يقال لها: جِرْبةُ[1]، فقامَ فيها[2] خطيباً فقال: أيّها الناسُ، إنّي لا أقولُ فيكم إلّا ما سمعتُ من رسول الله ﷺ يقولُه فينا يومَ خيبرَ، قامَ فينا رسولُ الله ﷺ فقال: «لا يَحِلُّ لامرِئٍ يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ أن يَسقِيَ ماءَه زَرْعَ غيرِه ـ يعني إتيانَ الحَبالَى من السَّبايا ـ ولا يَحِلُّ لامرِئٍ يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ أن يُصِيبَ امرأةً من السَّبْيِ حتّى يَستبرِئَها، ولا يَحِلُّ لامرِئٍ يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ أن يَبيعَ مَغنَماً حتّى يُقسَمَ، ولا يَحِلُّ لامرِئٍ يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ أن يَركَبَ دابَّةً من فَيْءِ المسلمينَ حتّى إذا أَعجَفَها[3] رَدَّها فيه، ولا يَحِلُّ لامرِئٍ يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ أن يَلبَسَ ثوباً من فَيْءِ المسلمينَ حتّى إذا أخلَقَه[4] رَدَّه فيه»[5].

= وروى أحمد كذلك (١٤٥٧٦) بسندٍ حسنٍ عنه: أنه حضر وليمةَ النبيِّ ﷺ على صفيّةَ. وصفيّةُ إنما بَنَى بها النبيُّ ﷺ وأَولَمَ عليها في طريق عودته من خيبر قبل دخوله المدينة كما في حديث أنس عند البخاري (٤٢١٣) ومسلم (١٤٢٧)(٨٤)، فهذا يفيد أن جابراً شهد خيبر مع النبيِّ ﷺ وكان مرافقاً له في رجوعه منها إلى المدينة، وهو الصواب من القول إن شاء الله.

(١) جِرْبة: جزيرة تونسيّة، تقع جنوب شرق تونس.

(٢) في (ش١) و(ش٢) و(غ) و(ف): فقام فينا.

(٣) الفيء: المَغنَم. وأعجَفَها: أهزَلَها وأضعَفَها.

(٤) أخلقه: أبلاه.

(٥) إسناده صحيح.

وقد اختُلف على ابن إسحاق في كون رويفعٍ سمع هذا من النبيِّ ﷺ في خيبر أو في حُنين، فتابع البكّائيَّ على ذكر خيبر: عبدُ الله بن المبارك عند أبي إسحاق الفَزاري في «السير» (٤٠٨)، وعبدُ الرحيم بن سليمان عند ابن أبي شيبة ٤/ ٣٦٩ و١٤/ ٤٦٥، وأحمدُ بن خالد الوهبي =

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيدُ بن عبد الله بن قُسَيطٍ أنّه حُدِّث عن عُبادة بن الصّامت قال: نهانا رسولُ الله ﷺ يومَ خيبرَ عن أن نَبيعَ أو نَبتاعَ تِبْرَ الذَّهبِ بالذَّهبِ العَيْنِ وتِبْرَ الفضّةِ بالوَرِقِ العَيْنِ[1]، وقال: «ابتاعُوا تِبْرَ الذَّهبِ بالوَرِقِ العَيْنِ، وتِبْرَ الفِضَّةِ بالذَّهبِ العَيْنِ»[2].

= عند الدارمي في «مسنده» (٢٥٢٠) و(٢٥٣١)، وأخوه محمدُ بن خالد عند ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢١٩٣)، ويونسُ بن بكير عند البيهقي في «السنن» ٩/ ١٢٤. وهو المحفوظ إن شاء الله تعالى.

وخالف هؤلاء آخرون فرَوَوه عن ابن إسحاق بذكر حُنينٍ مكان خيبر، وهم يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عند أحمد (١٦٩٩٠)، وإبراهيم بن سعد عنده أيضاً (١٦٩٩٧)، وأبو معاوية الضرير عند سعيد بن منصور في «سننه» (٢٧٢٢)، وأبي داود مختصراً (٢٧٠٨) ومن طريقه البيهقي بطوله في «معرفة السنن والآثار» (١٧٨٨٨)، ومحمدُ بن سلمة عند أبي داود (٢١٥٨) ومن طريقه البيهقي في «السنن» ٧/ ٤٤٩.

وأخرجه ابن حبان (٤٨٥٠) من طريق يحيى بن أيوب المصري، عن ربيعة بن سليم التُّجِيبي، عن حنش، به. فذكر فيه خيبر لا حنيناً، وربيعة بن سليم هذا قيل: هو أبو مرزوق نفسه.

(١) التِّبْر: ما كان من الذهب والفضة غير مَصُوغ، وقد يقال لهما إذا لم يكونا نقداً مضروباً: تِبْر، والعَين: ما ضُرب منهما نقداً دنانيرَ ودراهمَ، والوَرِق: الفضة.

(٢) أصل الحديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الواسطة بين يزيد بن قسيط وعبادة.

وأخرجه الخطيب في «المتفق والمفترق» (١٦٥٨) من طريق الوليد بن كثير المخزومي، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، به.

وقد روى أبو قِلابة عن أبي الأشعث الصنعاني قال: غزونا غزاةً وعلى الناس معاوية، فغنمنا غنائم كثيرة، فكان فيما غنمنا آنيةً من فضة، فأمر معاوية رجلاً أن يبيعها في أُعطِيات الناس، فتسارع الناس في ذلك، فبلغ عبادةَ بن الصامت، فقام فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبُرّ بالبُرّ، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح =

قال ابن إسحاق: ثمّ جَعَلَ رسولُ الله ﷺ يَتدنَّى الحُصونَ والأموالَ[1].

فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ، أنه حدّثه بعضُ أسلَمَ: أنّ بني سَهمٍ مِن أسلَمَ أتَوْا رسولَ الله ﷺ فقالوا: والله ـ يا رسول الله ـ لقد جُهِدْنا وما بأيدينا من شيءٍ، فلم يَجِدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يُعطِيهم إيّاه، فقال: «اللّهمَّ إنَّك قد عَرَفتَ حالَهم وأنْ ليست بهم قُوّةٌ، وأنْ ليس بيَدِي شيءٌ أُعطِيهم إيّاهُ، فافتَحْ عليهم أعظَمَ حُصونِها عنهم غَناءً وأكثرَها طعاماً ووَدَكاً[2]»، فغَدَا النّاسُ، ففَتَحَ اللهُ عليهم حِصنَ الصَّعب بن مُعاذٍ، وما بخيبرَ حصنٌ كان أكثرَ طعاماً ووَدَكاً منه[3].

= بالملح، إلا سواءً بسواءٍ، عَيناً بعينٍ، فمن زاد أو ازداد، فقد أَربَى»، وفي رواية: «فإذا اختلفت هذه الأصناف، فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيدٍ». أخرجه مسلم (١٥٨٧).

ورواه مسلم بن يسار المكي عن أبي الأشعث عن عبادة بلفظ: «الذهب بالذهب تِبْرُها وعينُها، والفضة بالفضة تِبْرُها وعينُها... فمن زاد أو ازداد فقد أَربى، ولا بأس ببيع الذهب بالفضة والفضةُ أكثرُهما يداً بيد، وأمّا نَسِيئةً فلا». أخرجه أبو داود (٣٣٤٩)، وإسناده صحيح.

وروى ابن وهب في «موطئه» ـ كما في «التمهيد» لابن عبد البر ٢٤/ ١٠٤ ـ عن الليث بن سعد وعمرو بن الحارث، عن يحيى بن سعيد، أنه حدثهما أن عبد الله بن أبي سلمة حدثه: أنه بَلَغَه أن رسول الله ﷺ عام خيبر جعل السَّعدَين على المغانم، فجعلا يبيعان كلَّ أربعة مثاقيل بثلاثةٍ عَيناً، فقال ﷺ: «أَربَيتُما، فرُدَّا». أي: رُدّا البيع، والسَّعدانِ: هما سعد بن أبي وقّاص وسعد بن عُبادة، والمِثقال: وزن يعادل ٤,٢٥ غم، والعَين كما سبق: النَّقد دنانير أو دراهم.

ونحوه عند مالك في «موطئه» ٢/ ٦٣٢ عن يحيى بن سعيد الأنصاري مرسلاً.

(١) أي: يأخذ الأدنى فالأدنى منها.

(٢) الغَناء: المنفعة والإجزاء. والوَدَك: هو دسم اللحم ودُهْنه الذي يُستخرَج منه.

(٣) إسناده ضعيف لإبهام الأسلميّ شيخ عبد الله بن أبي بكر فيه.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٠، والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٢٢٣ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

قال ابن إسحاق: ولمّا افتَتَحَ رسولُ الله ﷺ من حصونِهم ما افتَتَحَ، وحازَ من الأموال ما حازَ، انتهَوْا إلى حِصنَيهم الوَطِيحِ والسُّلالِم[1]، وكان آخرَ حصونِ أهل خيبر افتتاحاً، فحاصَرَهم رسولُ الله ﷺ بضعَ عشرةَ ليلةً.

قال ابن هشام: وكان شعارُ أصحابِ رسول الله ﷺ يومَ خيبر: يا منصور، أمِتْ أمِتْ[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن سَهْل بن عبد الرَّحمن بن سَهْلٍ أخو بني حارثة، عن جابر بن عبد الله قال: خرج مَرحَبٌ اليهوديُّ من حصنِهم[3] قد جَمَعَ سلاحَه يَرتَجِزُ وهو يقول:

قد عَلِمَت خَيبَرُ أنّي مَرحَبُ ... شاكي السلاحِ بطلٌ مُجرَّبُ[4]

أطعُنُ أحياناً وحيناً أضرِبُ ... إذا اللُّيوثُ أقبَلَت تَحزَّبُ[5]

إنَّ حِماايَ لَلحِمَى لا يُقرَبُ

وهو يقول: مَن يبارِزُ؟ فأجابه كعبُ بن مالكٍ فقال:

قد عَلِمَت خَيبَرُ أنّي كعبُ ... مُفرِّجُ الغُمَّى جَريءٌ صُلْبُ[6]

---

(١) بضمّ السين على المشهور، وقيل بفتحها، كما في «النهاية» لابن الأثير ٢/ ٣٩٦.

(٢) وهذا كان أيضاً شعار المسلمين في غزوة بني المُصطلِق، وتقدَّم شرحه هناك ص٣٧٥.

(٣) يعني حصنَ ناعمٍ، وهو أول الحصون التي افتتحها المسلمون في خيبر، وكان مرحب فيه.

(٤) شاكي السلاح، أي: حادّ السلاح.

(٥) هكذا في نسخنا الخطية بالزّاي غير (غ) ففيها: تَحرَّب، بالراء، وقد قُيِّدت في (ش٢) بالوجهين معاً. ومعنى تَحزَّبُ: تتجمّع عليّ، وأما تحرَّب فمعناها: مُغضَبة، يقال: حَرِبَ الرجلُ، أي: اشتدَّ غضبه.

(٦) الغُمّى: الكَرْب والشِّدّة.

إذْ شُبَّتِ الحربُ وثارَ الحربُ[1] معي حُسامٌ كالعَقيقِ عَضْبُ

نَطَؤُكمْ حتّى يَذِلَّ الصّعبُ نُعطَى الجَزاءَ أو يَفيءَ النَّهبُ

بكَفِّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيدٍ الأنصاريّ:

قد عَلِمَت خَيبَرُ أنّي كعبُ وأنّني متى تَشِبُّ الحربُ

ماضٍ على الهَوْل جريءٌ صُلْبُ معي حُسامٌ كالعَقيقِ عَضْبُ

بكفِّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ نَدُكُّكمْ حتّى يَذِلَّ الصَّعبُ

ومَرحَبٌ من حِمْيَر[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن سَهْل، عن جابر بن عبد الله قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «مَن لِهٰذا؟» قال محمّدُ بن مَسلَمة: أنا له يا رسولَ الله، أنا والله المَوتُورُ

---

(١) هكذا في (ط) ونسخة في حاشية (ش٢) وهو كذلك في أصول «البداية والنهاية» لابن كثير ٦/ ٢٧١، وفي (ش١) و(غ): إذا تُشبّ الحربُ ثم الحربُ، وفي (ت) و(ش٢) و(ص) و(م) و(ي) ونسخة في حاشية (ط): إذ شُبَّت الحربُ في إثر الحربِ، وفي نسخة في (ش٢): بإثر الحربِ، فيصير فيه إقواءٌ، وفي (ف): فأين الحربُ، وما أثبتناه أوجهُها.

وقد وقع في طبعة السقا وصاحبيه: الحربُ تلتها الحربُ، وليس هذا في شيء من نسخنا من «السيرة».

ومعنى شُبَّت الحربُ: أُثيرت وهُيِّجت. والعقيق هنا: شعاع البرق وسط السحاب، يُشبَّه به السيف. والعَضْب: السيف القاطع.

(٢) وهذا يفيد أن يهود خيبر في الغالب ليسوا من بني إسرائيل نسباً، إنما هم من قبائل عربية قديمة دانت بالدِّيانة اليهودية، وهذا رأيٌ لبعض المؤرّخين، وقد ذكر ابن الورديِّ في «تاريخه» ١/ ٧٤: أن اليهود أعمُّ من بني إسرائيل، إذ من العرب والروم والفرس وغيرهم مَن تهوَّد وليسوا من بني إسرائيل، وغير بني إسرائيل دخيلٌ في مِلَّتهم.

الثّائرُ[1] قُتِلَ أخي بالأمسِ، فقال: «فقُمْ إليه، اللّهمَّ أَعِنْه عليه»، قال: فلمّا دَنا أحدُهما من صاحبِه دَخَلَت بينهما شجرةٌ عُمْرِيّةٌ من شَجَر العُشَر[2]، فجَعَلَ أحدُهما يَلُوذُ بها من صاحبِه، فكُلَّما لاذَ بها منه اقتَطَعَ صاحبُه بسيفه ما دونَه منها، حتّى بَرَزَ كلُّ واحدٍ منهما لصاحبِه وصارت بينهما كالرَّجل القائم ما فيها فَنَنٌ[3]، ثمّ حَمَلَ مَرحَبٌ على محمّدٍ فضربه، فاتَّقاه بالدَّرَقة[4] فوَقَعَ سيفُه فيها فعَضَّت به فأمسَكَتْه، وضربه محمّدُ ابن مَسلَمة حتّى قتله[5].

(١) الموتور: الذي قُتل له قتيل فلم يدرك ثأره.

(٢) العُمْرية: القديمة. والعُشَر: واحده عُشَرة، وهي شجرة معمّرة مستديمة الخُضرة، يصل ارتفاعها إلى أربعة أو خمسة أمتار، وخشبها هشٌّ، تكثر في الجزيرة العربية بخاصة في المناطق ذات المناخ الحارّ.

(٣) أي: غُصن.

(٤) الدَّرَقة: ترسٌ من جلد.

(٥) إسناده جيّد، لكن ذكرُ مرحبٍ فيه وهمٌ فيما يغلب على ظنّنا، ولعلَّ الذي بارزه محمدُ بن مسلمة وقتله هو الحارث أخو مرحبٍ فاشتبه على بعض الرواة كما في «فتح الباري» لابن حجر ١٢/ ٤٠٧، وإلا فإن الصحيح الذي عليه أكثرُ أهل السير وأهل الحديث: أن علياً هو الذي قتل مرحباً اليهودي بخيبر، قاله ابن عبد البر في ترجمة محمد بن مسلمة من «الاستيعاب» ص٦٤٣، ويؤيِّد هذا حديثُ سلمة بن الأكوع عند أحمد (١٦٥٣٨) ومسلم (١٨٠٧)، وحديثُ بُرَيدة الأسلمي من غير وجهٍ عن ابنه عبد الله عنه عند أحمد (٢٣٠٣١) وابن أبي عاصم في «السنة» (١٣٨٠) والنسائي في «الكبرى» (٨٣٤٧) والحاكم (٥٩٥٦) والبيهقي في «السنن» ٩/ ١٣٢ وفي «الدلائل» ٤/ ٢١٠، ففي هذين الحديثين: أن علياً هو صاحب مرحبٍ، وهذا الذي صحّحه النوويُّ في «شرح مسلم»، وفي حديث سلمة: أن علياً لمّا بَرَزَ لمرحبٍ كان يرتجز ويقول:

أنا الذي سَمَّتني أمّي حَيدَرَهْ

كلَيثِ غاباتٍ كَرِيهِ المَنظَرَهْ =

قال ابن إسحاق: ثمّ خرج بعدَ مَرحَبٍ أخوه ياسرٌ وهو يقول: مَن يُبارِزُ؟ فزَعَمَ هشامُ بن عُروة: أنّ الزُّبيرَ بن العوّام خرج إلى ياسرٍ، فقالت أمُّه صفيّةُ بنتُ عبد المُطَّلِب: يقتلُ ابني يا رسولَ الله؟! فقال: «بلِ ابنُكِ يَقتُلُه إن شاءَ الله»، فخرج الزُّبيرُ فالتَقَيا، فقتله الزُّبيرُ[1].

فحدّثني هشام بن عُرْوة: أنّ الزُّبيرَ كان إذا قيلَ له: والله إنْ كان سيفُك يومَئذٍ لَصارماً عَضْباً، قال: والله ما كان صارماً، ولكنّي أكرَهْتُه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني بُرَيدةُ بن سفيان بن فَرْوةَ الأسلَميّ، عن أبيه سفيان،

= أُوفِيكمُ بالصّاعِ كَيْلَ السَّندَرَهْ

والسَّندَرة: مكيال واسع، يريد: أقتلُ الأعداءَ قتلاً واسعاً ذريعاً.

وذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٦٥٦: أن محمد بن مسلمة لمّا بارز مرحباً قطع رجليه ولم يقتله، فمرَّ به عليٌّ فأجهز عليه؛ وما في الحديثين السابقين من أن عليّاً هو مَن بارَزَ مرحباً وقتله أصحُّ.

وروي من حديث عليٍّ عند أحمد (٨٨٨): أنه لمّا قتل مرحباً جاءَ برأسه إلى النبي ﷺ. وإسناده ضعيف جداً.

وأما حديث جابر، فأخرجه أحمد (١٥١٣٤)، والحاكم (٥٩٥٥) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

(١) هذا الخبر رواه هشام بنر عُروة بن الزبير مرسلاً، فهو لم يدرك جدَّه الزبير بن العوّام، وهشامٌ ثقة حجّة وبخاصّة أنه يروي أمراً يخصُّ أهلَ بيته، وهو قد روى عن طائفة منهم، فلعلّه حمل هذا عن بعضهم، والله تعالى أعلم.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١١ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، عن هشام ابن عروة.

ورواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق، فجعله من سرده لم يذكر فيه هشاماً، هكذا أخرجه البيهقي في «السنن» ٩/ ١٣١ و«الدلائل» ٤/ ٢١٧.

عن سَلَمة بن عمرو بن الأكوَع قال: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ برايتِه[1] إلى بعض حصونِ خيبرَ، فقاتَلَ فرجع ولم يَكُ فتحٌ وقد جُهِدَ، ثمّ بَعَثَ الغَدَ عمر بن الخَطّاب، فقاتَلَ ثمّ رجع ولم يَكُ فتحٌ وقد جُهِدَ[2]، فقال رسول الله ﷺ: «لَأُعطِيَنَّ الرَّايةَ غداً رجلاً يُحِبُّ اللهَ ورسولَه، يَفتَحُ اللهُ على يدَيهِ، ليس بفَرَّارٍ». قال: يقول سَلَمةُ: فدَعَا رسولُ الله ﷺ علياً رِضوانُ الله عليه وهو أَرمَدُ، فتَفَلَ في عَينَيهِ ثمّ قال: «خُذْ هذه الرّايةَ فامضِ بها حتّى يَفتَحَ اللهُ عليك».

قال: يقول سَلَمةُ: فخرج والله بها يأنِحُ[3]، يُهَروِلُ هَروَلةً وإنّا لَخَلْفَه نتّبعُ أثَرَه، حتّى رَكَزَ رايتَه في رَضْمٍ[4] من حجارةٍ تحت الحصن، فاطَّلعَ إليه يهوديٌّ من رأس الحصن فقال: مَن أنت؟ قال: أنا عليُّ بن أبي طالب، قال: يقول اليهوديُّ: عَلَوتُم وما أُنزِلَ على موسى؛ أو كما قال، فما رَجَعَ حتّى فَتَحَ اللهُ على يدَيهِ[5].

---

(١) زاد في (ش١) و(غ) وحاشية (ش٢): وكانت بيضاء فيما قال ابن هشام. وقد تقدّم قول ابن هشام هذا في أول الكلام على غزوة خيبر في كافّة النسخ.

(٢) هكذا قُيّد في الموضعين في أكثر النسخ، ومعنى جُهِدَ: أصابته المشقّة، وقُيّد في بعض النسخ: جَهَدَ، أو جَهِدَ، والمعنى: جَدَّ فيه وبالغَ.

(٣) يأنح، أي: به نَفَس شديد من الإعياء في العَدْو، من الأُنُوح: وهو صوت يُسمَع من الجوف معه نَفَس متردِّد من مرضٍ أو سِمَنٍ.

(٤) الرَّضم: الحجارة المجتمعة.

(٥) إسناده ضعيف جداً، فبريدة بن سفيان الجمهور على تضعيفه، وأبوه ذكره البخاري في «تاريخه الكبير» ٤/ ٩٦ وقال: يتكلّمون فيه. قلنا: وقد تفرَّدا به بهذه الألفاظ، وأصل الحديث صحيح بغير هذه السياقة كما سيأتي.

وأخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» كما في «بغية الباحث» (٦٩٦)، والرُّوياني في «مسنده» (١١٧٢)، والطبراني في «الكبير» (٦٣٠٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ١/ ٦٢، =

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدُ الله بن حسنٍ، عن بعض أهلِه، عن أبي رافعٍ مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع عليٍّ حين بَعَثَه رسولُ الله ﷺ برايتِه، فلمّا دَنَا من الحصن خرج إليه أهلُه فقاتَلَهم، فضَرَبَه رجلٌ من يهودَ فطاحَ تُرْسُه من يده، فتناوَلَ عليٌّ باباً كان عند الحصن فتَرَّسَ به عن نفسه، فلم يَزَلْ في يده وهو يقاتِلُ حتّى فَتَحَ اللهُ عليه ثمّ أَلقاه من يده حين فَرَغَ، فلقد رأَيتُني في نَفَرٍ سبعةٍ معي أنا ثامنُهم نَجهَدُ على أن نَقلِبَ ذلك البابَ فما نَقلِبُه[1].

= وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٢/ ٨٩ و٩٠ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. قال أبو نعيم بإثر روايته: هذا حديث غريب من حديث بريدة عن أبيه، فيه زياداتُ ألفاظٍ لم يُتابَع عليها، وصحيحُه من حديث يزيد بن أبي عُبيد عن سلمة بن الأكوع.

قلنا: وحديث يزيد بن أبي عبيد ـ وهو مولى سلمة بن الأكوع ـ عن مولاه سلمةَ عند البخاري (٣٧٠٢) ومسلم (٢٤٠٧)، قال: كان عليٌّ قد تخلَّف عن النبي ﷺ في خيبر وكان به رَمَدٌ فقال: أنا أتخلّفُ عن رسول الله ﷺ! فخرج عليٌّ فلَحِقَ بالنبي ﷺ، فلمّا كان مساءُ الليلة التي فتحها الله في صباحها، قال رسول الله ﷺ: «لأُعطينَّ الراية ـ أو ليأخذنّ الراية غداً ـ رجلاً يحبّه الله ورسوله ـ أو قال: يحبّ الله ورسوله ـ يفتحُ الله عليه»، فإذا نحن بعليٍّ وما نرجوه، فقالوا: هذا عليٌّ، فأعطاه رسول الله ﷺ، ففتح الله عليه.

ورواه إياس بن سلمة أيضاً عن أبيه فيما أخرجه أحمد (١٦٥٣٨) ومسلم (١٨٠٧)، قال: أرسلني ـ يعني النبيَّ ﷺ ـ إلى عليٍّ وهو أرمدُ، فقال: «لأُعطينّ الراية رجلاً يحب الله ورسوله ـ أو يحبّه الله ورسوله ـ» قال: فأتيت علياً، فجئت به أقوده وهو أرمدُ حتى أتيت به رسول الله ﷺ، فبَسَقَ في عينيه فبَرَأَ وأعطاه الراية، وخرج مرحبٌ ـ وذكر قصته ـ ثم كان الفتحُ على يديه.

(١) إسناده ضعيف، ففيه جهالة وانقطاع ظاهر كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ٦/ ٢٧٣، وأما الحافظ ابن حجر فقد حسّنه في «موافقة الخُبْرِ الخَبَر» ١/ ١٩٣ وقال: والبعض المُبهَم لم أقف على اسمه، لكن السياق يقتضي أنه تابعيٌّ من أهل البيت، فالذي يظهر أنه صدوق. اهـ =

قال ابن إسحاق: وحدّثني بُرَيدةُ بن سفيان الأسلَميّ، عن بعض رجال بني سَلِمة، عن أبي اليَسَرِ كعبِ بن عمرٍو قال: إنّا لمعَ رسولِ الله ﷺ بخيبر ذاتَ عَشيَّةٍ إذ أقبلَت غنمٌ لرجلٍ من يهودَ تريدُ حِصنَهم[1] ونحن مُحاصِروهم، فقال رسول الله ﷺ: «مَن رجلٌ يُطعِمُنا من هذِه الغَنَمِ؟» قال أبو اليَسَر: فقلت: أنا يا رسولَ الله، قال: «فافعَلْ» قال: فخرجتُ أشتَدُّ مِثلَ الظَّلِيم[2]، فلمّا نَظَرَ إليّ رسولُ الله ﷺ مُولِّياً قال: «اللّٰهمَّ أَمتِعْنا به»، قال: فأدرَكتُ الغنمَ وقد دَخَلَت أُولَاها الحصنَ، فأخذتُ شاتَينِ من أُخراها فاحتَضَنتُهما تحت يديَّ، ثمّ أقبَلتُ بهما أشتَدُّ كأنّه ليس معي شيءٌ حتّى ألقَيتُهما عند رسول الله ﷺ، فذَبَحُوهما فأكَلُوهما.

فكان أبو اليَسَر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ هلاكاً، فكان إذا حدَّث هذا

= وأخرجه أحمد (٢٣٨٥٨) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وروي في قصة الباب أيضاً من حديث ليث بن أبي سُليم عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين عن جابر: أن علياً حمل البابَ يوم خيبر، وأنه جُرِّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً.

أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٢/ ٨٥، والحاكم في «الإكليل» - كما في «الموافقة» لابن حجر - وعنه البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٢١٢ من طريق المُطَّلب بن زياد، عن ليث. وهذا إسناد ضعيف، وضعّفه الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٤١٨)، فليثٌ ضعيف سيئ الحفظ، والمطَّلب مختلف فيه وهو صالح الحديث إلا أنه ينفرد بمناكير.

وقال البيهقي في «الدلائل» أيضاً: وروي من وجه آخر ضعيف عن جابر: ثمّ اجتمع عليه سبعون رجلاً فكان جهدهم أن أعادوا الباب.

قال السخاوي معقِّباً على هذه الأخبار: كلّها واهية، ولذا أنكره بعضُ العلماء.

(١) ذكر الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٦٦٠ في روايته عن أبي اليَسَر: أن هذا الحصن هو حصن الصَّعب بن معاذ، وذكر فيها أيضاً: أنهم حاصروه ثلاثة أيام.

(٢) الظليم: ذكر النَّعام.

الحديثَ بَكَى ثمّ قال: أُمتِعُوا بي[1] حتّى كنتُ من آخرِهم[2].

قال ابن إسحاق: ولمّا افتتَحَ رسولُ الله ﷺ القَمُوصَ، حصنَ بني أبي الحُقَيق، أُتي رسولُ الله ﷺ بصَفيَّةَ ابنة حُيَيّ بن أخطَبَ وبأُخرى معها، فمَرَّ بهما بلالٌ ـ وهو الذي جاءَ بهما ـ على قتلى من قتلى يهودَ، فلمّا رَأتهم التي مع صَفيَّةَ صاحَتْ وصَكَّتْ وجهَها وحَثَتِ التّرابَ على رأسها، فلمّا رآها رسولُ الله ﷺ قال: «أَغرِبُوا[3] عنِّي هذه الشَّيطانةَ»، وأمَرَ بصفيَّةَ فحِيزَت خَلْفَه وأَلقَى عليها رِداءَه، فعَرَفَ المسلمون أنّ رسولَ الله ﷺ قد اصطَفَاها لنفسه. فقال رسولُ الله ﷺ لبلالٍ ـ فيما بَلَغَني ـ حين رأى بتلك اليهوديّة ما رأَى: «أنُزِعَت منك الرَّحْمةُ يا بلالُ، حين تَمُرُّ بامرَأَتينِ على قَتْلى رِجالِهما؟!»[4].

وكانت صفيَّةُ قد رأَت في المنام وهي عَرُوسٌ بكِنانةَ بن الرَّبيع بن أبي الحُقَيق: أنّ قَمَراً وَقَعَ في حَجْرِها، فعَرَضَت رُؤْياها على زوجها، فقال: ما هذا إلّا أنّك تَمَنَّين مَلِكَ الحجازِ محمّداً، فلَطَمَ وجهَها لَطْمةً خَضَّرَ عينَها منها، فأُتي بها رسولُ الله ﷺ وبها أثَرٌ منه، فسألها رسولُ الله ﷺ ما هو؟ فأخبرته هذا الخبـرَ[5].

---

(١) زاد في (ش١) و(ش٢) و(ق٢): لعَمْري.

(٢) إسناده ضعيف بمَرّةٍ، بريدةُ بن سفيان الجمهور على تضعيفه، وقد أبهم الواسطة بينه وبين أبي اليسر.

وأخرجه أحمد (١٥٥٢٥) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٣) في (ق٢): أعزِبوا، بالزاي، وكلاهما بمعنًى، أي: أبعِدوا.

(٤) لم يسند ابن إسحاق هذا الخبر، فهو ضعيف.

وبنحوه رواه البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٢٣٢ في مغازي عروة بن الزبير مرسلاً.

(٥) هذا خبر صحيح إن شاء الله. =

بقيّةُ أمرِ خيبر

وأُتِي رسولُ الله ﷺ بكِنانةَ بن الرَّبيع، وكان عنده كَنزُ بني النَّضير، فسأله عنه، فجَحَدَ أن يكون يعلمُ مكانه، فأُتِي رسولُ الله ﷺ برجلٍ من يهودَ، فقال لرسول الله ﷺ: إنّي رأيت كِنانةَ يُطِيفُ بهذه الخَرِبةِ كلَّ غَداةٍ، فقال رسول الله ﷺ لكِنانةَ: «أرأَيت إن وَجَدْناه عندَك، أأقتُلُك؟» قال: نعم. فأمَرَ رسولُ الله ﷺ بالخَرِبةِ فحُفِرَت، فأُخرِجَ منها بعضُ كَنزِهم، ثمّ سأله عمّا بَقِيَ فأَبَى أن يُؤدِّيَه، فأمَرَ به رسولُ الله ﷺ الزُّبيرَ بن العَوّام، فقال: «عَذِّبْه حتّى تَستأصِلَ ما عندَه»، فكان الزّبيرُ يَقدَحُ بزَنْدٍ[1] في صدرِه حتّى أشرَفَ على نفسه، ثمّ دَفَعَه رسولُ الله ﷺ إلى محمّد بن مَسلَمة فضَرَبَ عُنُقَه بأخيه محمود بن مَسلَمة[2].

= فقد أخرجه ابن حبان (٥١٩٩) بإسناد رجاله ثقات عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ رأى بعَينَي صفيّة خُضْرةً فقال: «يا صفيّةُ، ما هذه الخُضرة؟» فقالت: كان رأسي في حَجْر ابن أبي حقيق وأنا نائمة، فرأيت كأنّ قمراً وقع في حَجْري، فأخبرتُه بذلك فلَطَمَني، وقال: تَمنَّينَ مَلِكَ يثرب! قالت: وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إليّ، قَتَل زوجي وأبي وأخي، فما زال يعتذرُ إليّ ويقول: «إنّ أباكِ ألَّبَ عليَّ العربَ، وفَعَلَ وفَعَلَ»، حتى ذهب ذلك من نفسي.

(١) الزَّند: عود تُقدَح به النار.

(٢) ضعيف بهذا السياق، ولم يسنده ابن إسحاق، ولعلّه إنما حمله عن الزهريِّ، فقد روى نحوه ابنُ شبّة في «تاريخ المدينة» ٢/ ٤٦٦ من مغازي موسى بن عقبة عن الزهري مرسلاً. ومراسيلُ الزهري ضعيفة.

وروي نحو هذه القصة عن عروة بن الزبير مرسلاً أيضاً عند البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٢٣٢، وفي الإسناد إليه ابنُ لَهِيعة، وهو سيّئ الحفظ.

وأصل الخبر صحيح من حديث ابن عمر عند أبي داود (٣٠٠٦) وابن حبان (٥١٩٩) بإسناد متّصل رجاله ثقات، وليس فيه ذكرٌ لتعذيب أحدٍ، فإنه لم يكن من هدي النبيِّ ﷺ تعذيبُ =

وحاصَرَ رسولُ الله ﷺ أهلَ خيبر في حِصنَيهم الوَطِيح والسُّلالِم، حتّى إذا أَيقَنُوا بالهَلَكة سألوه أن يُسيِّرَهم[1] وأن يَحقِنَ لهم دماءَهم، ففعل، وكان رسولُ الله ﷺ قد حازَ الأموالَ كلَّها: الشَّقَّ[2] ونَطَاةَ والكَتِيبةَ وجميعَ حصونِهم إلّا ما كان من ذَينِكَ الحِصنَينِ، فلمّا سمعَ بهم أهلُ فَدَكَ[3] قد صَنَعوا ما صَنَعوا، بَعَثُوا إلى رسول الله ﷺ يسألونَه أن يُسيِّرَهم وأن يَحقِنَ دماءَهم ويُخَلُّوا له الأموالَ، ففعل، وكان فيمَن مَشَى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك مُحيِّصةُ بن مسعودٍ أخو بني حارثة.

فلمّا نَزَلَ أهلُ خيبرَ على ذلك، سألوا رسولَ الله ﷺ أن يُعاملَهم في الأموال على النِّصفِ، وقالوا: نحن أعلمُ بها منكم وأعمَرُ لها، فصالَحَهم رسولُ الله ﷺ على النِّصف: على أنّا إذا شِئْنا أن نُخرِجَكم أخرَجْناكم[4]، فصالَحَه أهلُ فَدَكَ على مِثْل ذلك، فكانت خيبرُ فَيْئاً بين المسلمين، وكانت فَدَكُ خالصةً لرسول الله ﷺ، لأنَّهم

= الأسرى أو ضربُهم، وفي حديث ابن عمر هذا: أن النبيَّ ﷺ سأل عن هذا الكَنْز سَعْيةَ، وهو أحد يهود بني النضير.

(١) أي: يُجلِيَهم.

(٢) بكسر الشين وفتحها.

(٣) هي بلدة تقع في شرقيّ خيبر على قرابة ١٢٥ كم منها، وتقع شمال شرق المدينة على قرابة ١٩٠ كم.

(٤) أخرج البخاري (٢٣٣٨) ومسلم (١٥٥١)(٦) من حديث موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر: أن عمر بن الخطّاب أجلى اليهودَ والنصارى من أرض الحجاز، وكان رسول الله ﷺ لمّا ظَهَرَ على خيبر أراد إخراج اليهود منها، وكانت الأرض حين ظَهَرَ عليها لله ولرسوله ﷺ وللمسلمين، وأراد إخراج اليهود منها، فسألت اليهودُ رسولَ الله ﷺ ليُقِرَّهم بها على أن يَكفُوا عملَها ولهم نصفُ الثمر، فقال لهم رسول الله ﷺ: «نُقِرُّكم بها على ذلك ما شئنا»، فقَرُّوا بها حتى أجلاهم عمرُ إلى تَيْماء وأَرِيحاء.

لم يُجلِبوا عليها بخيلٍ ولا رِكَاب[1].

فلمّا اطمَأنَّ رسولُ الله ﷺ أهدَتْ له زينبُ ابنةُ الحارثِ امرأةُ سَلَام بن مِشكَمٍ شاةً مَصليَّةً[2]، وقد سألَت: أيُّ عُضوٍ من الشّاة أحبُّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذِّراعُ، فأكثَرَت فيها من السّمِّ ثم سَمَّت سائرَ الشّاة ثمّ جاءَت بها، فلمّا وَضَعَتها بين يَدَيْ رسول الله ﷺ تناوَلَ الذِّراعَ فلَاكَ منها مُضْغةً فلم يُسِغْها، ومعه بِشرُ بن البَراءِ ابن معرورٍ، قد أَخذَ منها كما أَخذَ رسولُ الله ﷺ، فأمّا بشرٌ فأَساغَها، وأمّا رسولُ الله ﷺ فلَفَظَها، ثمّ قال: «إنَّ هذا العَظْمَ لَيُخبِرُني أنه مَسمُومٌ»، ثمّ دعا بها فاعتَرَفَت فقال: «ما حَمَلَكِ على ذلكِ؟» قالت: بَلَغْتَ من قومي ما لم يَخْفَ عليك، فقلتُ: إنْ كان مَلِكاً استَرَحتُ منه، وإن كان نبيّاً فسيُخبَرُ، قال: فتَجاوَزَ عنها رسولُ الله ﷺ، ومات بشرٌ من أُكلتِه[3] التي أَكل[4].

---

(١) أي: لم يجمعوا عليها خيلاً ولا رِكاباً، والرِّكاب: الإبل التي يُسارُ عليها، الواحدةُ: راحلةٌ، ولا واحد لها من لفظها، والجمع: رُكُب.

وانظر «سنن أبي داود» (٢٩٧١) و(٣٠١٦) طبعة دار الرسالة العالمية.

(٢) مصليّة، أي: مشويّة.

(٣) الأُكلة: اللُّقمة.

(٤) هذا خبر صحيح.

وقد روي معناه عن غير واحد من الصحابة: كأنس بن مالك عند أحمد (١٣٢٨٥) والبخاري (٢٦١٧) ومسلم (٢١٩٠) وأبي داود (٤٥٠٨).

وابن عباس عند أحمد (٢٧٨٤) و(٣٥١٧)، وإسناده صحيح.

وجابر بن عبد الله عند أبي داود (٤٥١٠)، ورجاله ثقات لكن في إسناده انقطاع.

وأبي سعيد الخدري عند البيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٢٦٠، وإسناده حسن.

وأبي هريرة عند أبي داود (٤٥١١) و(٤٥١٢/ ٢) والحاكم (٥٠٣٣)، ورجاله لا بأس بهم =

قال ابن إسحاق: وحدّثني مروانُ بن عثمانَ بن أبي سعيد بن المُعلَّى قال: كان رسولُ الله ﷺ قد قال في مرضِه الذي تُوُفّي فيه ودَخَلَت أمُّ بشرٍ بنتُ البراءِ بن معرورٍ تَعُودُه: «يا أُمَّ بِشْرٍ، إنَّ هذا لَأَوَانَ وَجَدتُ انقِطاعَ أَبْهَري[1] من الأُكْلةِ التي أكلتُ مع أَخيكِ بخَيبَرَ»[2].

= لكن اختُلف في وصله وإرساله، وزاد فيه: أن النبي ﷺ قتلها.

ورواه بنحوه معمر في «جامعه» برواية عبد الرزاق (١٩٨١٤) عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك مرسلاً.

قال الزهري: فأسلَمَت فتركها النبيُّ ﷺ، قال معمر: وأمّا الناس فيقولون: قتلها النبيُّ ﷺ.

قال السهيلي في «الروض الأنف» ٦/ ٥٧١: ووجه الجمع بين الروايتين أنه عليه السلام صَفَحَ عنها أوّلُ، لأنه كان ﷺ لا ينتقم لنفسه، فلمّا مات بشرُ بن البراء من تلك الأُكلة قتلها. وبنحو هذا الجمع قال القاضي عياض في «إكمال المُعلِم شرح صحيح مسلم» ٧/ ٩٣-٩٤، وانظر «فتح الباري» ١٢/ ٤٤٥-٤٤٦.

(١) الأبهر: هو الشّريان الرئيس في الجسم ويغذّي جميع أنحاء الجسم بالدم النقيّ الخارج من القلب، وهو الذي يسمَّى الأَوُرطَى.

(٢) أصل الحديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لإرساله ولضعف مرسِله مروان بن عثمان، ولم نقف على روايته هذه عند غير المصنف.

وقد روى معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أمّه ـ وفي رواية لأبي داود والحاكم: عن أبيه ـ: أن أم مبشِّر دخلت على رسول الله ﷺ في وجعه الذي قُبض فيه فقالت: بأبي وأمي يا رسول الله، ما تتّهمُ بنفسك؟ فإني لا أتهم إلا الطعامَ الذي أُكل معك بخيبر ـ وكان ابنها بشر بن البراء مات قبل النبي ﷺ ـ قال: «وأنا لا أتّهم غيره، هذا أوانُ قطع أَبهري». أخرجه أحمد (٢٣٩٣٣) وأبو داود (٤٥١٣) و(٤٥١٤) والحاكم (٥٠٣٢). ورجاله ثقات، لكن اختُلف فيه على الزهري.

فروى يونسُ الأَيلي عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول في مرضه =

قال: فإن كان المسلمون لَيَرَونَ أنّ رسولَ الله ﷺ مات شهيداً، مع ما أكرَمَه اللهُ به من النُّبوّة[1].

نُبَذٌ من ذكر وادي القُرى[2]

قال ابن إسحاق: فلمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من خيبرَ انصرَفَ إلى وادي القُرَى، فحاصَرَ أهلَه لياليَ ثمّ انصرَفَ راجعاً إلى المدينة.

قال ابن إسحاق: فحدّثني ثورُ بن زيدٍ، عن سالمٍ مولى عبد الله بن مُطِيع، عن أبي هُرَيرةَ قال: فلمّا انصرَفْنا مع رسول الله ﷺ عن خَيبَرَ إلى وادي القُرَى، نَزَلْنا بها أُصُلاً[3] مع مَغرِب الشَّمس، ومعَ رسول الله ﷺ غلامٌ له[4] أهداه له رِفاعةُ بن

= الذي مات فيه: «يا عائشة، ما أزالُ أجدُ ألمَ الطعام الذي أكلتُ بخيبر، فهذا أَوانُ وجدتُ انقطاعَ أَبهَري من ذلك السمّ».

رواه البخاري في «صحيحه» (٤٤٢٨) معلّقاً، ووصله الحاكم (٤٤٤١) من طريق عنبسة بن خالد عن عمّه يونس.

وفيه أوجه خلاف أخرى انظرها في التعليق على «مستدرك الحاكم».

ويشهد له حديث أبي سلمة مرسلاً عند أبي داود (٤٥١٢/ ٢).

(١) وكان يذهب إلى نحو هذا عبدُ الله بن مسعود فيما أخرجه عنه أحمد (٣٦١٨) قال: لأَن أحلفَ بالله تسعاً أن رسول الله ﷺ قُتل قتلاً، أحبُّ إليّ من أن أحلفَ واحدةً، وذلك بأن الله عزَّ وجلَّ اتَّخذه نبيّاً، وجعله شهيداً. ورجاله ثقات.

(٢) هو وادٍ يبدأ من جنوب مدينة العُلا الآن التي تبعد قرابة ٣٠٠ كم شمال غرب المدينة المنوّرة ثم يسير جنوب شرقٍ باتجاه خيبر التي تبعد عن المدينة قرابة ١٥٠كم شمالاً، وسمِّي بوادي القرى لكثرة ما فيه من القُرى.

(٣) الأُصُل: جمع الأَصِيل، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب.

(٤) واسم هذا الغلام مِدعَم كما في رواية غير المصنف.

زيدٍ الجُذَاميُّ ثمّ الضُّبَيبيُّ[1].

قال ابن هشام: جُذامٌ أخو لَخْمٍ.

قال: فوالله إنَّه لَيَضَعُ رَحْلَ رسول الله ﷺ إذْ أتاه سَهْمٌ غَرْبٌ[2] فأصابه فقتله، فقلنا: هَنيئاً له الجنّةُ، فقال رسول الله ﷺ: «كَلَّا، والّذي نفسُ محمّدٍ بيدِه، إنَّ شَمْلتَه[3] الآنَ لتَحترِقُ عليه في النّارِ، كان غَلَّها من فَيْءِ المسلمينَ يومَ خَيبَرَ»، قال: فسَمِعَها رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فأتاه فقال: يا رسولَ الله، أَصبتُ شِراكَينِ[4] لنَعلَينِ لي، قال: فقال: «يُقَدُّ لك مِثلُهما من النّارِ»[5].

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ، عن عبد الله بن مُغفَّلٍ المُزَني قال: أَصبتُ

---

(١) هكذا في نسخنا الخطية بباءَين مصغَّراً، وهو قول أهل الحديث، وأما أهل النَّسب فيقولون: الضَّبيني. انظر «الاستيعاب» لابن عبد البر ص٢٣١، و«توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين الدمشقي ٥/ ٤٤٧-٤٤٨. وذكر ابن إسحاق كما سيأتي في سنة الوفود ٤/ ٣٧٢: أن رفاعة هذا قدم على النبي ﷺ في هُدْنة الحُديبية فأسلم وأهدى للنبي ﷺ هذا الغلام، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً إلى قومه فأسلموا.

(٢) السهم الغَرْب: هو الذي لا يُعلَم من رماه أو من أين أتى.

(٣) الشَّملة: كساء يُتغطّى به ويُتلفَّف فيه.

(٤) الشِّراك: هو أحد سُيُور النَّعل التي تكون على وجهها، والسَّير من الجلد: ما يُقَدُّ منه مستطيلاً.

(٥) إسناده صحيح. سالم مولى عبد الله بن مطيع: هو سالم أبو الغيث المدني.

وأخرجه الحاكم (٤٣٩٥) من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري (٤٢٣٤) و(٦٧٠٧)، ومسلم (١١٥)، وأبو داود (٢٧١١)، والنسائي في «المجتبى» (٣٨٢٧) وفي «الكبرى» (٤٧٥٠) و(٨٧١٠)، وابن حبان (٤٨٥١) من طريق مالك ابن أنس، ومسلم (١١٥) من طريق عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَردي، كلاهما عن ثور بن زيد الدِّيلي، به.

من فَيْءِ خيبرَ جِرَابَ شَحمٍ[1]، فاحتَمَلتُه على عُنُقي إلى رَحْلي وأصحابي، قال: فلَقِيَني صاحبُ المَغانِم الذي جُعِلَ عليها، فأَخذَ بناحيَتِه، قال: هَلُمَّ هذا حتى نَقسِمَه بين المسلمين، قال: قلت: لا والله لا أُعطِيكَه، قال: فجَعَلَ يُجابِذُني الجِرابَ، قال: فرَآنا رسولُ الله ﷺ ونحنُ نَصنَعُ ذلك، قال: فتَبسَّمَ ضاحكاً، ثمّ قال لصاحبِ المَغانِم: «لا أَبا لك، خَلِّ بينَه وبينَه»، قال: فأرسَلَه، فانطَلَقتُ به إلى رَحْلي وأصحابي، فأكلناه[2].

قال ابن إسحاق: ولمّا أعرَسَ رسولُ الله ﷺ بصَفيَّةَ بخيبرَ أو ببعض الطّريق، وكانت التي جَمَّلَتها لرسول الله ﷺ ومَشَّطَتها وأصلَحَت من أمرِها أمُّ سُلَيمٍ ابنةُ مِلْحانَ أمُّ أنس بن مالك، فباتَ بها رسولُ الله ﷺ في قُبّةٍ له، وباتَ أبو أيّوبَ خالدُ بن زيدٍ أخو بني النَّجّار مُتَوشِّحاً سيفَه يَحرُسُ رسولَ الله ﷺ ويُطِيفُ بالقُبّةِ حتّى أصبحَ

(١) الجراب: وعاء من جلد يُحفَظ فيه الزاد ونحوه.

(٢) إسناده ضعيف لإبهام شيخ ابن إسحاق فيه.

وقد صحَّ أصل الخبر عن عبد الله بن مغفَّل بغير هذا السياق، فقد رواه شعبةُ فيما أخرجه أحمد (٢٠٥٥٥) و(٢٠٥٦٧)، والبخاري (٣١٥٣) و(٤٢١٤) و(٥٥٠٨)، ومسلم (١٧٧٢)(٧٣)، وسليمانُ بن المغيرة فيما أخرجه أحمد أيضاً (١٦٧٩١)، ومسلم (١٧٧٢)(٧٢)، وأبو داود (٢٧٠٢)، والنسائي في «المجتبى» (٤٤٣٥) وفي «الكبرى» (٤٥٠٩)، كلاهما عن حُميد بن هلال، عن عبد الله بن مغفَّل قال - واللفظ لسليمان بن المغيرة -: دُلّي جراب من شحم يوم خيبر، فالتزمتُه، قلت: لا أعطي أحداً منه شيئاً، قال: فالتفتُّ فإذا رسول الله ﷺ يتبسم، زاد شعبة في حديثه: فاستحييتُ منه.

قال القاضي عياض في «إكمال المُعلِم» ٦/ ١١٤: أجمع علماء المسلمين على إجازة أكل طعام الحربيِّين ما دام المسلمون في دار الحرب، يأخذون منه قدرَ حاجتهم، وجمهورهم على جواز ذلك بإذن الإمام وغير إذنه، وحُكي عن الزهريّ: أنه لا يكون إلا بإذنه، ولم يُوافَق عليه.

رسولُ الله ﷺ، فلمّا رأى مكانَه قال: «ما لكَ يا أبا أيُّوبَ؟» قال: يا رسولَ الله، خِفتُ عليك من هذه المرأة، وكانت امرأةً قد قَتَلتَ أباها وزوجَها وقومَها، وكانت حديثةَ عهدٍ بكُفرٍ، فخِفْتُها عليك. فزَعَموا: أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «اللّٰهمَّ احفَظْ أبا أيّوبَ كما باتَ يَحفَظُني»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريّ، عن سعيد بن المُسيّب قال: لمّا انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ من خيبرَ فكان ببعض الطَّريقِ قال من آخرِ اللّيل: «مَن رجلٌ يَحفَظُ علينا الفجرَ لَعَلَّنا نَنامُ؟» قال بلالٌ: أنا يا رسول الله أحفَظُه عليك، فنَزَلَ رسولُ الله ﷺ ونَزَلَ النّاسُ فناموا، وقام بلالٌ يُصلِّي، فصلَّى ما شاءَ الله أن يُصلِّيَ، ثمّ استَنَدَ إلى بعيرِه واستَقبَلَ الفجرَ يَرمُقُه، فغَلَبَته عينُه فنامَ، فلم يُوقِظْهم إلّا مَسُّ الشّمسِ، وكان رسولُ الله ﷺ أوّلَ أصحابِه هَبَّ[2]، فقال: «ماذا صَنَعتَ بنا يا بلالُ؟!» قال: يا رسولَ الله، أخَذَ بنفسي الّذي أخذَ بنفسِك، قال: «صَدَقتَ».

ثمّ اقتادَ رسولُ الله ﷺ غيرَ كثيرٍ ثمّ أناخَ فتَوضّأَ وتَوضّأَ النّاسُ، ثمّ أمَرَ بلالاً فأقامَ الصّلاةَ فصَلَّى بالنّاس، فلمّا سَلَّمَ أقبَلَ على النّاس فقال: «إذا نَسِيتُم الصَّلاةَ

(١) خبرٌ حسنٌ ولم يسنده ابن إسحاق، إلا أنه قد روي نحوه عند غيره من أوجُهٍ يشدُّ بعضها بعضاً.

فمنها ما أخرجه الحاكم (٦٩٥٤) من طريق كثير بن زيد، عن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة قال: لما دخل رسول الله ﷺ بصفيّة بات أبو أيوب على باب النبي ﷺ، فلما أصبح فرأى رسول الله ﷺ كبَّر، ومع أبي أيوب السيفُ، فقال: يا رسول الله، كانت جاريةً حديثةَ عهدٍ بعُرسٍ، وكنتَ قتلتَ أباها وأخاها وزوجها، فلم آمنها عليك، فضحك رسول الله ﷺ وقال له خيراً. وإسناده محتمل للتحسين في المتابعات والشواهد. وانظر تتمّة الكلام عليه في «مستدرك الحاكم» طبعة دار الرسالة العالمية.

(٢) هبَّ، أي: استيقظ.

فصَلُّوها إذا ذَكَرتُموها، فإنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾» [طه:١٤][1].

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ الله ﷺ - فيما بَلَغَني - قد أعطَى ابنَ لُقَيمٍ العَبْسيَّ حين افتَتَحَ خيبرَ ما بها من دجاجةٍ أو داجِنٍ[2]، وكان فتحُ خيبرَ في صَفَرٍ، فقال ابن لُقَيمٍ العَبْسيُّ في خيبر:

رُمِيَت نَطَاةُ من الرّسولِ بفَيلَقٍ ... شَهباءَ ذاتِ مناكِبٍ وفَقَارِ[3]

واستَيقَنَت بالذُّلِّ لمّا شُيّعَت ... ورجالُ أسلَمَ وَسْطَها وغِفارِ[4]

صَبَحَت بني عمرِو بنِ زُرْعةَ غُدْوةً ... والشَّقُّ أظلَمَ أهلُه بنهارِ[5]

---

(١) حديث صحيح، وقد وصله عن ابن إسحاق بذكر أبي هريرة فيه يعلى بنُ عبيدٍ الطَّنافسي عند النسائي في «المجتبى» (٦١٨)، وابن عبد البر في «التمهيد» ٦/ ٣٨٦-٣٨٧.

وهو محفوظ من حديث ابن المسيّب عن أبي هريرة، فقد رواه غير واحدٍ عن الزهري عنه كذلك فيما أخرجه مسلم (٦٨٠) (٣٠٩)، وأبو داود (٤٣٥) و(٤٣٦)، وابن ماجه (٦٩٧)، والترمذي (٣١٦٣)، والنسائي (٦١٩)، وابن حبان (٢٠٦٩)؛ وبعضهم يزيد فيه على بعض.

وبنحوه مختصراً - ولم يصرّح أن ذلك بخيبر - رواه أبو حازم الأشجعي عن أبي هريرة فيما أخرجه أحمد (٩٥٣٥)، ومسلم (٦٨٠) (٣١٠)، والنسائي (٦٢٣)، وابن حبان (٢٦٥١).

(٢) الداجن: كل ما أَلِفَ الناسَ في بيوتهم، كالشاة التي تُعلَف والدجاج والحمام.

(٣) نطاة: من حصون خيبر. والفيلق: الجيش، أو الكتيبة العظيمة منه. والشهباء: الكثيرة السلاح تلمع بها السيوف والأسنّة. وذات مناكب وفقار، أي: شديدة متينة.

(٤) شُيِّعت: فُرِّقت.

(٥) الشّق: من حصون خيبر. ويريد بإظلام أهله: ما أصابهم من شدة وسوء حال. وبنو عمرو ابن زرعة لم نقف على المراد بهم، إلا أن يكون أراد أن ساكني خيبر من اليهود هم من بني عمرو ابن زرعة، وهو الظاهر، وبذلك يردّهم إلى أصول عربيّة، وقد تقدم ص٤٤٤ قول ابن هشام في =

جَـرَّت بأبطَحِهـا الـذُّيولُ فلـم تَـدَعْ إلّا الـدَّجاجَ تَصِـيحُ بالأسـحارِ[1]

ولكـلِّ حِصـنٍ شـاغلٌ مـن خيلِهِمْ مـن عبـدِ الاشـهَلِ أو بنـي النَّجّـارِ

ومُهـاجِرينَ قـدَ اْعلَمُـوا، سِـيماهُمُ فـوقَ المَغـافرِ: لـم يَنُـؤْ لِفِـرارِ[2]

ولقـد عَلِمـتُ لَيَغلِـبَنَّ محمّـدٌ ولَيَثْـوِيَنَّ بهـا إلـى أَصـفارِ[3]

فَـرَّتْ يهـودٌ يـومَ ذلـك في الـوَغَى تحـت العَجَـاجِ غمـائمَ الأبصـارِ[4]

قال ابن هشام: فَرَّتْ، يريد: كَشَفَت الجفونَ عن العين، كما تُفَرُّ الدّابَّةُ بالكَشْف عن أسنانها، وقوله: غَمائمَ الأبصار: جُفُون العُيون[5].

= مرحبٍ اليهودي أنه كان من حِميَر، والله تعالى أعلم.

(١) الأبطح: المكان الواسع السهل.

(٢) سيماهم: علامتهم. والمغافر: جمع مِغفَر، وهو شبيه بحَلَق الدّرع يجعل على الرأس يُتَّقى به في الحرب. وقوله: لم يَنُؤْ لفرار، هكذا هو في (ت) و(ش٢) و(ص) و(ط) و(غ) و(ف) و(ي) بالهمز، يعني أن كل واحد منهم كأن علامته على مِغفَره: لم ينؤ لفرار، أي: لم ينهض للفرار، وفي (ش١) و(ق٢) و(م): لم يَنُوا، بلا همز، وعليه شرح أبو ذر الهرويُّ في «إملائه» ص٣٤٨ فقال: أي: لم يضعفوا ولم يَفتُروا.

(٣) ليثوينّ: ليقيمنّ. وأصفار: جمع صَفَر، وهو الشهر المعروف.

(٤) الوغى: الحرب. والعَجَاج: الغبار. والغمائم: جفون العيون كما سيأتي.

قال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٥٦٨: وهو بيتٌ مُشكِل غير أنّ في بعض النسخ ـ وهي قليلة ـ عن ابن هشام أنه قال: فَرَّت: فَتَحَت، من قولك: فَرَرتُ الدابّةَ، إذا فتحتَ فاها. وغمائمَ الأبصار، هي مفعول فَرَّت، وهي جفون أعينهم، هذا قولٌ، وقد يصحُّ أن يكون فَرَّتْ من الفِرار، وغمائم الأبصار من صفة العَجَاج: وهو الغبار، ونصبه على الحال من العَجَاج، وإن كان لفظه لفظَ المعرفة عند من ليس بشادٍ في النحو، ولا ماهرٍ في العربية، وأما عند أهل التحقيق، فهو نَكِرة، لأنه لم يُرِدِ الغمائمَ حقيقةً، وإنما أراد: مثلَ الغمائم.

(٥) قوله: وقوله غمائم... إلخ، من (غ) و(ش١) و(ش٢).

قال ابن إسحاق: وشَهِدَ خيبـرَ مـع رسول الله ﷺ نساءٌ من نساءِ المسلمين، فرَضَخ لهنَّ[1] رسولُ الله ﷺ من الفَيْءِ ولـم يَضرِبْ لهنّ بسَهْم.

قال ابن إسحاق: حدّثني سليمانُ بن سُحَيمٍ، عن أُميّة بنت أبي الصَّلْت، عن امرأةٍ من بني غِفارٍ قد سمَّاها لي، قالت: أتيتُ رسولَ الله ﷺ في نِسْوةٍ من بني غِفارٍ فقلنا: يا رسول الله، قد أرَدْنا أن نَخرُجَ معك إلى وجهِك هذا، وهو يَسيرُ إلى خيبر، فنُداوِي الجَرْحى، ونُعِينُ المسلمين بما استَطَعْنا، فقال: «على بَرَكةِ الله».

قالت: فخرجنا معه، وكنت جاريةً حَدَثةً فأردَفَني رسولُ الله ﷺ على حَقِيبة رَحْلِه[2]، قالت: فوالله لنَزَلَ رسولُ الله ﷺ إلى الصُّبح وأناخَ، ونَزَلتُ عن حَقِيبة رَحْلِه وإذا بها دمٌ منّي، وكانت أوّلَ حَيضةٍ حِضتُها، قالت: فتَقَبَّضتُ إلى الناقةِ واستَحيَيتُ، فلمّا رأى رسولُ الله ﷺ ما بي ورأى الدّمَ قال: «ما لكِ؟ لَعلَّكِ نُفِسْتِ[3]» قالت: قلت: نَعَم، قال: «فأَصلِحي من نفسِك، ثمّ خُذِي إناءً من ماءٍ فاطرَحِي فيه مِلْحاً، ثمّ اغسِلِي به ما أصابَ الحَقِيبةَ من الدَّمِ ثمَّ عُودِي لمَركَبِك».

قالت: فلمّا فَتَحَ رسولُ الله ﷺ خيبـرَ، رَضَخَ لنا من الفَيءِ وأَخَذَ هذه القِلادةَ التي تَرَينَ في عُنُقي فأَعطانيها، وعَلَّقَها بيده في عُنُقي، فوالله لا تُفارِقُني أبداً.

قالت: فكانت في عُنُقِها حتّى ماتت ثمّ أَوصَت أن تُدفَنَ معها. قالت: وكانت لا تَطَهَّرُ من حَيضةٍ إلّا جَعَلَت في طَهُورِها مِلْحاً، وأَوصَت به أن يُجعَلَ في غُسلِها حين ماتت[4].

---

(١) رضخ لهن: أعطاهنّ عطاءً يسيراً، لم يصل إلى نصيب السهم.

(٢) الحقيبة: ما يجعله الراكب وراءه إذا ركب. والرَّحْل للبعير كالسَّرج للفرس.

(٣) نُفستِ، أي: حِضْتِ.

(٤) إسناده ضعيف لجهالة أمية بنت أبي الصلت، فإنه لم يرو عنها غير سليمان بن سحيم، =

قال ابن إسحاق: وهذه تسميةُ مَن استُشهِدَ بخيبر من المسلمين من قريشٍ ثمّ من بني أُميّة بن عبد شمسٍ، ثمّ من حُلَفائهم: رَبِيعةُ بن أكثَمَ بن سَخْبَرة بن عمرو ابن لُكَيز[1] بن عامر بن غَنْم بن دُودَانَ بن أَسَدٍ، وثَقْفُ بن عمرو، ورِفاعةُ بن مسروح.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزّى[2]: عبدُ الله بنُ الهُبَيب ـ ويقال: ابن الهَبيب فيما قال ابن هشام ـ بنِ أُهَيْب بن سُحَيم بن غِيَرةَ، من بني سعد بن ليثٍ حَليفٌ لبني أسَدٍ وابنُ أُختهم.

ومن الأنصار ثمّ من بني سَلِمةَ: بِشرُ بن البَراءِ بن معرورٍ، مات من الشّاة التي سُمَّ فيها رسولُ الله ﷺ، وفُضَيلُ بن النُّعمان؛ رجلانِ.

ومن بني زُرَيقٍ: مسعودُ بن سعد بن قيس بن خَلْدة بن عامر بن زُرَيق.

ومن الأوس ثمّ من بني عبد الأشهَلِ: محمودُ بن مَسلَمة بن خالد بن عَدِيّ بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث، حليفٌ لهم من بني حارثة.

= ولا تُعرَف إلا بهذا الحديث كما قال الذهبي في «الميزان»، وقال ابن حجر في «التقريب»: لا يُعرَف حالها.

وأخرجه أحمد (٢٧١٣٦)، وأبو داود (٣١٣) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

(١) في (ش٢): بكير، وعلى حاشيتها: لكيز. وانظر «أسد الغابة» لابن الأثير ٢/ ٥٦.

(٢) يعني: ابن قُصيّ القرشي، وكذلك قال ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٢٣٠ وغيرُه، وذكر أن أمّ عبد الله بن الهُبيب هذا هي أمُّ نوفل بن نوفل بن خويلد بن أسد، وأغرَبَ ابنُ عبد البر في «الاستيعاب» ص٤٤١ فذكر أنه حليفٌ لبني أسد بن خزيمة، وتابعه على ذلك ابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٣٠٥.

وذكر الواقديُّ وصاحبه ابن سعد: أن ابن الهبيب هذا استُشهِد بأُحدٍ وليس بخيبر، وقولُ ابن إسحاق ومن تبعه أَولى فيما قاله ابن حجر في «الإصابة» ٤/ ٢٥٤.

ومن بني عمرو بن عَوفٍ: أبو ضَيّاح بن ثابت بن النُّعمان بن أُميّة بن امرِئِ القيس بن ثَعْلبة بن عمرو بن عوفٍ، والحارثُ بن حاطبٍ، وعُرْوةُ بن مُرَّة بن سُرَاقة، وأوسُ بن الفائدِ[1]، وأُنَيفُ بن حَبيبٍ، وثابتُ بن إِثْلةَ، وطلحةُ[2].

ومن بني غِفارٍ: عُمَارةُ بن عُقبة، رُمي بسهمٍ.

ومن أسلَمَ: عامرُ بن الأكوَعِ، والأسوَدُ الرّاعي، وكان اسمه أسلَمَ.

قال ابن هشام: الأسودُ الرّاعي من أهل خيبـرَ.

وممَّن استُشهِدَ بخيبـرَ فيما ذكر ابنُ شِهابٍ الزُّهْريّ من بني زُهْرةَ: مسعودُ بن رَبيعة حليفٌ لهم من القارَةِ، ومن الأنصار من بني عمرو بن عوفٍ: أوسُ بن قتَادة.

أمرُ الأسوَدِ الرّاعي في حديث خيبر

قال ابن إسحاق: وكان من حديث الأسوَد الرّاعي ـ فيما بَلَغَني ـ: أنه أَتى رسولَ الله ﷺ وهو مُحاصِرٌ لبعض حصون خيبر، ومعه غنمٌ له كان فيها أَجيراً لرجلٍ من يهودَ، فقال: يا رسول الله، اعرِضْ عليّ الإسلامَ، فعَرَضَه عليه فأسلَمَ ـ وكان رسولُ الله ﷺ لا يَحقِرُ أحداً أن يدعوَه إلى الإسلام ويَعرِضَه عليه ـ فلمّا أسلَمَ قال: يا رسول الله، إنّي كنت أَجيراً لصاحبِ هذه الغَنَمِ، وهي أمانةٌ عندي، فكيف أصنَعُ بها؟ قال: «اضرِبْ في وُجوهِها، فإنَّها ستَرجِعُ إلى رَبِّها» ـ أو كما قال ـ فقام الأسوَدُ فأخذَ حَفْنـةً من

(١) تصحَّف في بعض النسخ إلى: القائد، بالقاف. وانظر «أسد الغابة» ١/ ١٧٤، و«الإصابة» ١/ ١٥٩.

(٢) وهكذا ذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» ٢/ ٤٧٤ وابن حجر في «الإصابة» ٣/ ٥٣٧ غير منسوب، ونسبه أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٤٨ فقال: هو طلحة بن يحيى بن مليل بن ضمرة، ناقلاً ذلك عن أبي علي الغسّاني، وهذا قولٌ غريب، ولم نقف في كتب الصحابة والرجال عامّة على من يُسمَّى من الصحابة بهذا الاسم.

الحَصْباء فرَمَى بها في وجوهِها، وقال: ارجِعي إلى صاحبِك، فوالله لا أصحَبُك، وخَرَجَت مُجتمِعةً كأنّ سائقاً يَسُوقُها حتّى دَخَلَت الحِصنَ، ثمّ تقدَّمَ إلى ذلك الحصن ليقاتلَ مع المسلمين، فأصابه حجرٌ فقتله وما صَلَّى لله صلاةً قَطُّ، فأُتي به رسولُ الله ﷺ، فوُضِعَ خَلْفَه وسُجِّيَ بشَمْلةٍ[1] كانت عليه، فالتَفَتَ إليه رسولُ الله ﷺ ومعه نَفَرٌ من أصحابه ثمّ أعرَضَ عنه، فقالوا: يا رسول الله، لِمَ أعَرَضتَ عنه؟ قال: «إنَّ معه الآنَ زَوجَتَيهِ من الحُورِ العِينِ»[2].

قال ابن إسحاق: وأخبرني عبدُ الله بن أبي نَجيحٍ أنّه ذُكِرَ له: أنّ الشَّهيدَ إذا ما أُصِيبَ تَدَلَّت له زوجتاهُ من الحُورِ العِينِ عليه تَنفُضانِ التُّرابَ عن وجهِه وتقولان: تَرَّبَ اللهُ وجهَ مَن تَرَّبَك، وقَتَلَ مَن قَتَلَك[3].

أمرُ الحجّاج بن عِلَاطٍ السُّلميّ

قال ابن إسحاق: ولمّا فُتِحَت خيبرُ، كَلَّمَ رسولَ الله ﷺ الحَجّاجُ بن عِلَاطٍ

---

(١) أي: غُطِّي بكساء كان عليه.

(٢) خبر ضعيف ولم يسنده ابن إسحاق، ورواه يونس بن بكير عنه فيما أخرجه ابن الأثير في «أسد الغابة» ١/ ٩٢ و٤/ ٧٣٩، فجعله من روايته عن أبيه إسحاق بن يسار، وهو من صغار التابعين، فحديثه إما مرسل أو معضل.

(٣) عبد الله بن أبي نجيح ثقة من أتباع التابعين، وهو هنا لم يبيِّن إسناده فيه، فهو في حكم المُعضَل، وهو ضعيف.

وقد روى الحاكم (٦٢٠٦) بإسناد رجاله ثقات عن يزيد بن شجرة الرُّهاوي موقوفاً عليه من قوله - ويزيد هذا تابعيّ من أمراء الجيوش بالشام - قال: إن أحدكم إذا أقبل (أي: إلى القتال) كانت أول نَفْحة من دمه تحطُّ عنه خطاياه كما يُحَطّ ورقُ الشجر، وتنزل إليه ثنتان من الحُور العِين فتمسحان الغبارَ عن وجهه، فيقول لهما: أَنَى (أي: حان) لكما، وتقولان: لا، بل أَنى لك، ويُكسَى مئة حُلّة.

السُّلَميُّ ثمّ البَهْزيُّ فقال: يا رسول الله، إنّ لي بمكّة مالاً عند صاحبتي أمِّ شَيْبة بنت أبي طَلْحة ـ وكانت عنده له منها مُعرِّضُ بن الحجّاج ومالٌ مُتفرِّقٌ في تُجّار أهلِ مكّة ـ فأذَنْ لي يا رسول الله، فأَذِنَ له، قال: إنّه لا بُدَّ لي يا رسولَ الله من أن أقولَ[١]، قال: «قُلْ».

قال الحجّاجُ: فخرجتُ حتّى إذا قَدِمتُ مكّةَ وَجَدتُ بثَنيَّةِ البَيضاءِ[٢] رجالاً من قريشٍ يتسمَّعون الأخبارَ ويَسأَلون عن أمرِ رسول الله ﷺ، وقد بَلَغَهم أنّه قد سارَ إلى خيبرَ، وقد عَرَفوا أنّها قريةُ الحِجازِ رِيفاً[٣] ومَنَعةً ورجالاً، فهم يَتحسَّسُون الأخبارَ ويَسأَلون الرُّكْبان، فلمّا رأَوني قالوا: الحجّاجُ بن عِلَاطٍ ـ قال: ولم يكونوا عَلِموا بإسلامي ـ عنده واللهِ الخَبَرُ، أخبِرْنا يا أبا محمّد، فإنّه قد بَلَغَنا أنّ القاطعَ قد سارَ إلى خيبرَ، وهي بلدُ يهودَ ورِيفُ الحجاز، قال: قلت: قد بَلَغَني ذلك وعندي من الخبر ما يَسُرُّكم، قال: فالتَبَطُوا بجنبَيْ ناقتي[٤] يقولون: إيهِ يا حجّاجُ، قال: قلت: هُزِمَ هزيمةً لم تسمعوا بمِثلِها قَطُّ، وقُتِلَ أصحابُه قتلاً لم تسمعوا بمِثلِه قَطُّ، وأُسِرَ محمّدٌ أَسراً، وقالوا: لا نَقتُلُه حتّى نَبعَثَ به إلى مكّة[٥] فيقتلوه بين أظهُرِهم بمَن كان أصابَ من رجالهم، قال: فقاموا وصاحُوا بمكّة وقالوا: قد جاءَكم الخبرُ، وهذا محمّدٌ إنّما

---

(١) يعني أن يقول ما ظاهره فيه إساءة وذمٌّ في المسلمين.

(٢) وهي ثنيّة التنعيم، وقد تقدّم التعريف بها ٢/ ١٧.

(٣) الرِّيف: كل أرض فيها زرع ونخل وماء.

(٤) التبَطُوا بجنبَي ناقتي، أي: سَعَوا إلى جنبيها ملازمين لها، مُطِيفين بها مزدحمين حولَها. وقولهم: إيهِ، أي: زِدْنا من هذا الحديث، وهو اسم فعل أمرٍ بغير تنوينٍ إذا استزدتَ مخاطبَك من حديث معيَّن، فإذا أردت غيرَ معيَّن قلتَ: إيهٍ، بالتنوين.

(٥) في (غ): إلى أهل مكة.

تَنتظِرون أن يُقدَمَ به عليكم فيُقتَلَ بين أظهُرِكم.

قال: قلت: أَعِينوني على جَمْع مالي بمكّةَ على غُرَمائي، فإنّي أُريدُ أن أَقدَمَ خيبرَ فأُصيبَ من فَلِّ[1] محمّدٍ وأصحابِه قبلَ أن يَسبِقَني التُّجّارُ إلى ما هنالك.

قال ابن هشام: ويقال: من فَيءِ محمّد.

قال ابن إسحاق: قال: فقاموا فجَمَعُوا لي مالي كأحَثِّ[2] جَمْعٍ سمعتُ به، قال: وجئتُ صاحبتي فقلت: مالي ـ وقد كان لي عندها مالٌ موضوعٌ ـ لَعَلّي أَلحَقُ بخيبرَ فأُصيبُ من فُرَص البيع قبلَ أن يَسبِقَني التُّجّارُ.

قال: فلمّا سَمِعَ العبّاسُ بن عبد المطَّلِب الخبرَ وجاءَه عنّي، أقبَلَ حتّى وَقَفَ إلى جَنْبي وأنا في خيمةٍ من خِيامِ التُّجّار، فقال: يا حجّاجُ، ما هذا الّذي جئتَ به؟! قال: فقلت: وهل عندك حِفظٌ لمَا وَضَعتُ عندَك؟ قال: نعم، قال: قلت: فاستأخِرْ عنّي حتّى ألقاكَ على خَلاءٍ، فإنّي في جَمْع مالي كما تَرَى، فانصَرِفْ عنّي حتّى أفرُغَ. قال: حتّى إذا فَرَغتُ من جَمْع كلِّ شيءٍ كان لي بمكّة وأجمَعتُ الخروجَ، لَقِيتُ العبّاسَ فقلت: احفَظْ عليَّ حديثي يا أبا الفضل، فإنّي أخشَى الطَّلَبَ، ثلاثاً، ثمّ قُلْ ما شئتَ، قال: أفعلُ، قلت: فإنّي والله لقد تَركتُ ابنَ أخيك عَرُوساً على بنتِ مَلِكِهم ـ يعني صفيَّةَ بنتَ حُيَيّ ـ ولقد افتَتَحَ خيبرَ وانتَثَلَ[3] ما فيها، وصارت له ولأصحابه، فقال: ما تقولُ يا حجّاجُ؟! قال: قلت: إي واللهِ، فاكتُمْ عنّي، ولقد أسلَمتُ، وما جئتُ إلّا لأخذِ مالي فَرَقاً من أن أُغلَبَ عليه، فإذا مَضَتْ ثلاثٌ فأظهِرْ أمرَك، فهو واللهِ على ما تُحِبُّ.

---

(١) الفَلُّ: القوم المنهزمون.

(٢) كأحث، أي: كأسرع.

(٣) انتَثَل، أي: استخرج.

قال: حتّى إذا كان اليومُ الثّالثُ لَبِسَ العبّاسُ حُلّةً له وتَخلَّقَ[1]، وأخذَ عصاهُ ثمّ خرج حتّى أتى الكعبةَ فطافَ بها، فلمّا رَأَوه قالوا: يا أبا الفضل، هذا والله التّجلُّدُ لحَرِّ المصيبة، قال: كلّا، واللهِ الّذي حَلَفتُم به لقد افتَتَحَ محمّدٌ خيبرَ وتُرِكَ عَرُوساً على بنتِ مَلِكِهم، وأحرَزَ أموالَهم وما فيها فأصبَحَت له ولأصحابه، قالوا: مَن جاءَك بهذا الخبرِ؟ قال: الذي جاءَكم بما جاءَكم به، ولقد دَخَلَ عليكم مُسلِماً فأخذَ مالَه فانطَلَقَ ليَلحَقَ بمحمّدٍ وأصحابه فيكونَ معه، قالوا: يا لَعِبادِ الله انفَلَتَ عدوُّ الله، أمَا والله لو عَلِمْنا لكان لنا وله شأنٌ، قال: ولم يَنشَبُوا[2] أن جاءَهم الخبرُ بذلك[3].

وكان ممّا قيلَ من الشِّعر في يومِ خيبرَ قولُ حسّانَ بن ثابتٍ[4]:

بِئسَما قاتَلَت خيابرُ عمّا ... جَمَّعُوا من مَزارعٍ ونخيلِ[5]
كَرِهوا الموتَ فاستُبيحَ حِماهُمْ ... وأقَرُّوا فِعلَ اللّئيمِ الذّليلِ
أمِنَ الموتِ يَهرُبون فإنَّ الـ ... ـموتَ موتُ الهُزَالِ غيرُ جميلِ

وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً[6]، وهو يَعذِرُ أيمنَ ابنَ أمِّ أيمنَ بنِ عُبيدٍ، وكان قد

---

(١) تخلَّق: تطيَّب بالخَلُوق، وهو نوع من الطِّيب.

(٢) لم يَنشَبوا، أي: لم يَلبَثوا غيرَ قليل.

(٣) خبر الحجاج بن عِلاط خبر صحيح.

فقد أخرج نحوه بطوله أحمد (١٢٤٠٩)، وابن حبان (٤٥٣٠) من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ثابت، عن أنس بن مالك. وهذا إسناد رجاله ثقات عن آخرهم، وروى بعضاً منه النسائي في «الكبرى» (٨٥٩٢).

(٤) انظر «ديوانه» ١/ ٣٦٩.

(٥) خيابر: جمع خيبر، ويريد أهل خيبر.

(٦) انظر «ديوانه» ١/ ٢٩٠.

تَخلَّفَ عن خيبر، وهو من بني عَوْف بن الخَزرَج، وكانت أمُّه أمُّ أيمنَ مولاةَ رسولِ الله ﷺ، وهي أمُّ أُسامة بن زيدٍ، فكان أخا أُسامة لأمّه:

علـى حـينِ أن قالـت لأيمـنَ أمُّـهُ ... جَبُنـتَ ولـم تَشـهَدْ فـوارسَ خَيبَـرِ

وأيمـنُ لـم يَجـبُنْ ولكـنَّ مُهـرَهُ ... أضَـرَّ بـه شُـربُ المَديـدِ المُخمَّـرِ [1]

ولولا الّذي قد كان من شأنِ مُهرِهِ ... لقاتـلَ فـيهمْ فارسـاً غيـرَ أَعسـرِ [2]

ولكنَّـه قـد صَـدَّه فِعـلُ مُهـرِهِ ... ومـا كـان منـه عنـدَه غيـرُ أيسَـرِ [3]

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيدٍ هذه الأبيات لكعب بن مالكٍ، وأنشدني:

ولكنَّـه قـد صَـدَّه شـأنُ مُهـرِه ... ومـا كـان لـولا ذاكـمُ بمُقصِّـرِ

قال ابن إسحاق: وقال ناجيةُ بن جُندُبٍ الأسلَميّ:

يـا لَعِبـادِ الله فـيمَ نَرغَـبُ ... مـا هـوَ إلّا مَأكـلٌ ومَشـرَبُ

وجنّـةٌ فيهـا نعـيمٌ مُعجِـبُ

وقال ناجيةُ بن جُندُبٍ الأسلَميّ أيضاً:

أنـا لِمَـن أنكَـرَني ابـنُ جُنـدُبِ ... يا رُبَّ قِرْنٍ في مَكَـرِّي أنكَـبِ [4]

---

(١) المديد: الدقيق يُخلَط مع الماء فتشربه الخيل، والمخمَّر: الذي تُرك حتى يختمر. قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٤٩، وقال ابن دريد في «جمهرة اللغة» ٢/ ٩٩٣-٩٩٤ وذكر هذا البيت: ويروى: المَريد، وذكر فيه ٢/ ٧٢١: أن المَريد والمَريس واحد، وهو التمر المنقوع الممروس في الماء أو اللبن.

(٢) الأعسر: الذي يعمل بالشِّمال ولا يعمل باليمين.

(٣) صدَّه: منعه. والأيسر: هو الفرس المصنوع المنظور إليه الذي عُنيَ به صاحبه حتى سمن.

(٤) القِرن: نظير الرجل وكُفؤه في الشجاعة. والمَكَرّ: الموضع الذي تَكُرُّ (أي: ترجع) فيه الخيل في الحرب. والأنكَبُ: المائل إلى جهة.

طـاحَ بمَغـدَى أنسُـرٍ وثَعلَـبِ[1]

قال ابن هشام: وأنشدني بعضُ الرُّواة للشِّعر قوله: في مَكَرِّي، وطاحَ بمَغدَى.

وقال كعبُ بن مالكٍ في يومِ خيبر، فيما ذكر ابنُ هشام عن أبي زيدٍ الأنصاريِّ:

ونحـنُ وَرَدْنـا خَيبَـراً وفُروضَـهُ   بكـلِّ فتًـى عـارِي الأشـاجعِ مِـذوَدِ[2]

جَوادٍ لَدَى الغاياتِ لا واهنِ القُوَى   جَريءٍ على الأعداءِ في كـلِّ مَشـهَدِ[3]

عظـيمِ رَمـادِ القِـدْرِ في كـلِّ شَـتْوةٍ   ضَـروبٍ بنَصْـلِ المَشـرَفِيِّ المُهنَّـدِ[4]

يَرَى القتلَ مَدْحاً إن أصابَ شهادةً   مـن الله يَرجُوهـا وفـوزاً بأحمـدِ

يَـذُودُ ويَحمِـي عـن ذِمَـارِ محمّـدٍ   ويـدفعُ عنـه باللّسـانِ وباليـدِ[5]

ويَنصُـرُه مـن كـلِّ أمـرٍ يَرِيبُـه   يَجُـودُ بـنفسٍ دون نفـسِ محمَّـدِ

يُصـدِّقُ بالأنبـاءِ بالغيـبِ مُخلِصـاً   يريـدُ بـذاكَ الفـوزَ والعِـزَّ في غَـدِ

---

(١) طاح: ذهب وهلك. وأنسُر: جمع نَسْر، وهو الطائر المعروف. والمَغدَى: المكان الذي تغدو إليه لتقتات على فرائسها. ومن رواه بالذال فهو من الغذاء.

(٢) الفروض: هي المواضع التي يشرب منها من الأنهار ومجاري العيون، واحدها: فُرْضة. والأشاجع: العروق الممدودة بين الرسغ إلى أصول الأصابع فوق ظهر الكفّ، واحدها: أشجَعُ، وقوله: عاري الأشاجع، كناية عن الشدّة والشجاعة. ومِذوَد، أي: مانع.

(٣) الغايات: جمع غاية، وهي هنا المنتهى في كمال الأخلاق والفِعال الحسنة. والواهن: الضعيف. والمَشهَد: القتال.

(٤) قوله: عظيم رماد القِدر، هو كناية عن الجود والكرم، في كلّ شتوة حيث تقلُّ الأزواد. والمَشرَفي: السيف، منسوب إلى مَشارف الشام، أي: أريافه، حيث هو مصنوع فيها. والمهند: المصنوع من حديد الهند.

(٥) يذود، أي: يمنع ويدفع. والذِّمار: هو كل ما ينبغي على المرء حمايته من دين وعِرض وغيرهما.

ذكرُ مَقاسِم خيبرَ وأموالِها

قال ابن إسحاق: وكانت المَقاسِمُ على أموال خيبرَ على الشَّقِّ ونَطَاةَ والكَتِيبة، فكانت الشَّقُّ ونَطاةُ في سُهْمان المسلمين، وكانت الكتيبةُ خُمسَ الله وسهمَ النبيِّ ﷺ وسهمَ ذوي القُربَى واليتامى والمساكين وطُعْمَ أزواجِ النبيِّ ﷺ[1]، وطُعمَ رجالٍ مَشَوْا بين رسول الله ﷺ وبين أهلِ فَدَكَ بالصُّلح، منهم مُحيِّصةُ بن مسعودٍ، أعطاه رسولُ الله ﷺ منها ثلاثين وَسْقاً[2] من شَعيرٍ وثلاثين وَسْقاً من تمرٍ.

وقُسِمَت خيبرُ على أهلِ الحُدَيبيَة، مَن شَهِدَ خيبرَ ومَن غاب عنها، ولم يَغِبْ عنها إلّا جابرُ بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام، فقَسَمَ له رسولُ الله ﷺ كسَهْمِ مَن حَضَرَها[3]، وكان وادياها واديَ السُّرَير وواديَ خاصٍ[4]، وهما اللّذانِ قُسِمَت عليهما خيبرُ، وكانت نَطاةُ والشَّقّ ثمانيةَ عَشَرَ سهماً، نَطاةُ من ذلك خمسةُ أسهمٍ والشَّقُّ ثلاثةَ عَشَرَ سهماً، وقُسِمَت الشَّقُّ ونَطاةُ على ألفِ سهمٍ وثمانِ مئة سهم.

وكانت عِدّةُ الّذين قُسِمَت عليهم خيبرُ من أصحاب رسول الله ﷺ ألفَ سهمٍ

(١) روى بُشير بن يسار مولى الأنصار عن رجال من أصحاب النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ لمّا ظهر على خيبر قسمها على ستة وثلاثين سهماً، جمع كلُّ سهم مئةَ سهم، فكان لرسول الله ﷺ وللمسلمين النصف من ذلك، وعزل النصف الباقي لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب الناس. أخرجه أحمد (١٤٤١٧)، وأبو داود (٣٠١٢)، وإسناده صحيح. وانظر «معالم السنن» للخطّابي ٣/ ٣١.

(٢) الوَسْق: ستّون صاعاً، والصاع: أربعة أمداد، والمدُّ من الشعير أو البُرّ: ٥٤٤ غم تقريباً، وعليه فالصاع يزن ١٧٦ , ٢ كغم، والوَسْق يزن ٥ , ١٣٠ كغم تقريباً.

(٣) تقدّم ص٤٣٩-٤٤٠ تحريرُ القول في شهود جابرٍ لخيبر.

(٤) ذكر عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص١٥٧: أن واديا خيبر الرئيسين اسمهما اليوم الصُّوير وأبو وشيع، قال: فلعلّهما هما.

وثمانِيَ مئةِ سهمٍ برِجالِهم وخيلِهم؛ الرّجالُ أربعَ عَشْرةَ مئةٍ والخيلُ مِئَتا فرسٍ، فكان لكلِّ فرسٍ سَهمانِ ولفارسه سهمٌ، وكان لكلِّ راجلٍ سهمٌ، فكان لكلِّ سهمٍ رأسٌ جُمِعَ إليه مئةُ رجلٍ، فكانت ثمانيةَ عَشَرَ سهماً جُمَعَ[1].

قال ابن هشام: وفي يوم خيبرَ عَرَّبَ رسولُ الله ﷺ العربيَّ من الخيل، وهَجَّنَ الهَجِينَ[2].

قال ابن إسحاق: فكان عليُّ بن أبي طالبٍ رأساً، والزُّبَيرُ بن العَوّام، وطلحةُ بن عُبيد الله، وعمرُ بن الخَطّاب، وعبدُ الرَّحمن بن عَوفٍ، وعاصمُ بن عَديٍّ أخو بني العَجْلان، وأُسَيدٌ[3]، وسهمُ الحارثِ بن الخَزرَج، وسهمُ ناعمٍ[4]، وسهمُ بني بَيَاضةَ، وسهمُ بني عُبيدٍ، وسهمُ بني حَرامٍ من بني سَلِمةَ، وعُبَيدُ السِّهَام.

قال ابن هشام: وإنّما قيل له: عُبَيدُ السِّهام، لِمَا اشتَرَى من السِّهام يومَ خيبر، وهو عُبيدُ بن أَوسٍ أحدُ بني حارثة بن الحارث بن الخَزرَج بن عمرو بن مالك بن الأَوس.

---

(١) جُمَع: جمع جَمْعاءَ في توكيد المؤنَّث، غير مصروف.

(٢) الهَجين من الخيل: الذي ولدته فرسٌ غير عربيّة من حصان عربيّ.

ومعنى كلام ابن هشام هذا: أن النبيَّ ﷺ أسهَمَ للعربيِّ من الخيل سهمين وللهجين سهماً، نصَّ على ذلك خالدُ بن مَعْدان ومكحولٌ الشامي فيما رواه أبو داود في «المراسيل» (٢٨٦) و(٢٨٧) عنهما، وهما خبران مرسلان لا بأس برجالهما، وخالد ومكحول تابعيّان ثقتان.

وقد أغرَبَ الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٦٨٨ فنقل عن بعض أهل العلم: أنه لم يكن الهجينُ من الخيل على عهد رسول الله ﷺ، إنما كانت العِرابُ، حتى كان زمنُ عمر بن الخطّاب وفتح العراق والشام.

(٣) زاد في نسخة في (ش١): بن حُضَير.

(٤) يعني حصنَ ناعم، وهو أول ما فُتح من حصون خيبر.

قال ابن إسحاق: وسهمُ ساعدةَ، وسهمُ غِفارٍ وأسلَمَ، وسهمُ النَّجّار، وسهمُ حارثةَ، وسهمُ أَوس.

فكان أوّلُ سهمٍ خرج من خيبرَ بنَطَاةَ سهمَ الزُّبَير بن العوّام، وهو الخَوْعُ[1]، وتابِعُه السُّرَيرُ، ثمّ كان الثّاني سهمَ بَيَاضة، ثمّ كان الثّالثُ سهمَ أُسَيدٍ، ثمّ كان الرّابعُ سهمَ بني الحارث بن الخَزرَج، ثمّ كان الخامسُ سهمَ ناعمٍ لبني عَوْف بن الخَزرَجِ ومُزَينةَ وشُرَكائهم، وفيه قُتِلَ محمودُ بن مَسلَمة، فهذه نَطَاةُ.

ثمّ هَبَطوا إلى الشَّقِّ، فكان أوّلُ سهمٍ خرج منه سهمَ عاصم بن عَديٍّ أخي بني العَجْلان، ومعه كان سهمُ رسول الله ﷺ، ثمّ سهمُ عبد الرَّحمن بن عوفٍ، ثمّ سهمُ ساعدةَ، ثمّ سهمُ النَّجّار، ثمّ سهمُ عليِّ بن أبي طالبٍ رضوان الله عليه، ثمّ سهمُ طلحة ابن عُبيد الله، ثمّ سهمُ غِفارٍ وأسلَمَ، ثمّ سهمُ عمر بن الخَطّاب، ثمّ سهما سَلِمةَ بني عُبيدٍ وبني حَرامٍ، ثمّ سهمُ حارثةَ، ثمّ سهمُ عُبيدِ السِّهَام، ثمّ سهمُ أَوسٍ، وهو سهم اللَّفيفِ جُمِعَت إليه جُهَينةُ ومَن حَضَرَ خيبرَ من سائر العرب؛ وكان حَذْوَه[2] سهمُ رسول الله ﷺ الذي أصابه في سهم عاصمِ بن عَديٍّ.

ثمّ قَسَمَ رسولُ الله ﷺ الكَتيبةَ، وهي وادي خاصٍ، بين قَرَابتِه وبين نسائِه وبين رجالٍ من المسلمين ونساءٍ أعطاهم منها، فقَسَمَ رسولُ الله ﷺ لفاطمة ابنتِه مئَتَي وَسْقٍ، ولعليِّ بن أبي طالبٍ مئةَ وَسْقٍ، ولأُسامةَ بن زيدٍ مئَتَي وَسْقٍ وخمسين وَسْقاً نَوًى، ولعائشةَ مئَتَي وَسْق، ولأبي بكر بن أبي قُحَافة مئةَ وَسْق، ولعَقِيل بن أبي طالبٍ مئةَ وَسْق وأربعين وَسْقاً، ولبني جعفرٍ خمسين وَسْقاً، ولربيعة بن الحارثِ

(١) الخوع: موضع قرب خيبر.

(٢) حَذْوه، أي: بإزائه ومقابله.

مئةَ وَسْقٍ، وللصَّلْتِ بن مَخرَمة وابنَيهِ مئةَ وَسْقٍ للصَّلتِ منها أربعون وَسْقاً، ولأبي نَبْقةَ[1] خمسين وَسْقاً، ولرُكَانةَ بن عبدِ يزيدَ خمسين وَسْقاً، ولقيس بن مَخرَمة ثلاثين وَسْقاً، ولابن القاسمِ بن مَخرَمة أربعين وَسْقاً، ولبناتِ عُبيدة بن الحارث وابنةِ الحُصَين بن الحارث مئةَ وَسْقٍ، ولبني عُبيد بن عبد يزيدَ ستّين وَسْقاً، ولابن أَوس بن مَخرَمة ثلاثين وَسْقاً، ولِمِسطَحِ بن أُثَاثةَ وابنِ إلياسَ خمسين وَسْقاً، ولأمِّ رُمَيثةَ أربعين وَسْقاً، ولنُعيمٍ وهِندٍ[2] ثلاثين وَسْقاً، ولبُحَينةَ بنت الحارث ثلاثين وَسْقاً، ولعُجَير بن عبد يزيدَ ثلاثين وَسْقاً، ولأمِّ الحَكَم[3] ثلاثين وَسْقاً، ولجُمَانةَ بنت أبي طالبٍ ثلاثين وَسْقاً، ولابن الأرقَمِ خمسين وَسْقاً، ولعبد الرَّحمن بن أبي بكرٍ أربعين وَسْقاً، ولحَمْنةَ بنت جَحْشٍ ثلاثين وَسْقاً، ولأُمّ الزّبَير أربعين وَسْقاً، ولِضُباعة بنتِ الزّبَير أربعين وَسْقاً، ولابن أبي خُنَيسٍ ثلاثين وَسْقاً، ولأمِّ طالبٍ[4] أربعين وَسْقاً، ولأبي نَضْرةَ[5] عشرين وَسْقاً، ولنُمَيلةَ الكَلْبيّ خمسين وَسْقاً،

---

(١) قال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٥٨٤: اسمه علقمة بن المطَّلب، ويقال: عبدالله بن علقمة، وقال أبو عمر بن عبد البر: هو مجهول، وقال ابن الفَرَضي: أبو نبقة بن المطَّلب بن عبد مناف، واسم أبي نبقة عبد الله، ومن ولده أبو الحسين المطَّلِبي إمام مسجد رسول الله ﷺ، وهو يحيى ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين بن العلاء بن المغيرة بن أبي نبقة بن المطَّلب بن عبد مناف.

(٢) في نسخة في (ش٢) و(م): ولنعيم بن هند!

(٣) وهي بنت الزبير بن عبد المطّلب، وكانت تحت ابن عمّها ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب، وله صحبةٌ أيضاً، وانظر «طبقات ابن سعد» ١٠/ ٤٧.

(٤) وهي بنت أبي طالبٍ أخت عليٍّ، وانظر «طبقات ابن سعد» ١٠/ ٤٨.

(٥) هكذا في (ت) و(ش١) و(ش٢) و(غ) و(ف) و(ق٢) و(م) و(ي): أبو نضرة، بنون وضاد معجمة، وهكذا نقله ابن الأثير في «أسد الغابة» ٥/ ٣١٣ عن السيرة، وفي (ص) و(ط): =

ولعبد الله بن وهبٍ وابنَيهِ تسعين وَسْقاً، لابنَيهِ منها أربعين وَسْقاً، ولأمِّ حَبيبٍ بنت جَحْشٍ ثلاثين وَسْقاً، ولمَلْكُوٍّ[1] بن عَبْدة ثلاثين وَسْقاً، ولنسائِه ﷺ سبعَ مئةِ وَسْقٍ[2]:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

ذكرُ ما أعطَى محمّدٌ رسولُ الله ﷺ نساءَه من قمحِ خَيبَرَ: قَسَمَ لهنّ مئةَ وَسْقٍ وثمانين وَسْقاً[3]، ولفاطمةَ بنتِ رسول الله ﷺ خمسةً وثمانين وَسْقاً، ولأسامة بن زيدٍ أربعين وَسْقاً، وللمِقْداد بن الأسود خمسةَ عَشَرَ وَسْقاً، ولأمِّ رُمَيثة خمسة أوسُقٍ؛ شَهِدَ عثمانُ بن عفّانَ وعبّاسٌ وكَتَبَ[4].

= أبو بصرة، وهذا عند ابن سعد في «الطبقات» ٥/ ١٠٩ وعدَّه أبا بصرة الغفاري.

(١) هكذا قُيِّد بتشديد الواو في (ش١) و(ش٢) و(غ)، وسمّاه الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٦٩٥ وصاحبه ابن سعد في «طبقاته» ٥/ ١٢٧: ملكان بن عبدة، زاد الأخير: الليثي، وقال: كان من السفراء؛ يعني الذين مشوا بين النبي ﷺ وبين أهل فدك بالصلح مع محيِّصة بن مسعود.

(٢) على حاشية (ش١) دون تصحيح: قال ابن هشام: قمحٌ وشعيرٌ وتمرٌ ونوًى وغيرُ ذلك قَسَمه النبيُّ ﷺ على قَدْر حاجتهم، وكانت الحاجةُ في بني عبد المطَّلِب فلذلك أعطاهم أكثر.

(٣) هذا وهمٌ، وهو يخالف ما سبق أنه ﷺ قَسَمَ لنسائه سبع مئة وسقٍ، وكنَّ إذ ذاك سبعاً لم يكن عنده أم حبيبة وميمونة بعدُ، والسبعُ مئةٍ هو الصواب الموافق لما ثبت عن ابن عمر عند البخاري (٢٣٢٨) ومسلم (١٥٥١) (٢): أن النبي ﷺ عامَلَ خيبـرَ بشطر ما يخرج منها من تمرٍ أو زرع، فكان يعطي أزواجه كل سنة مئةَ وَسْقٍ: ثمانين وسقاً من تمرٍ، وعشرين وسقاً من شعيرٍ. وتقدّم قريباً: أن الوسق ستّون صاعاً.

(٤) هذا الكتاب لم يسنده ابن إسحاق ولم نقف عليه عند غيره، وعباسٌ المذكورُ شاهداً عليه وكاتباً له لا يُدرَى مَن ذا، فإن كان المراد به عباس بن عبد المطّلب، فهذا غريب منكر، فإنه كان إذ ذاك بمكة لم يهاجر بعدُ كما تقدَّم آنفاً في خبر الحجّاج بن عِلاط.

قال ابن إسحاق: وحدّثني صالحُ بن كَيْسان، عن ابن شِهابٍ الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعودٍ قال: لم يُوصِ رسولُ الله ﷺ عند موته إلّا بثلاثٍ: أَوصَى للرُّهاوِيِّينَ بجَادِّ مئةِ وَسْقٍ من خيبر، وللدّارِيِّين بجادِّ مئةِ وَسْقٍ[1] من خيبر، وللسَّبَئِيِّينَ بجادِّ مئةِ وَسْقٍ من خيبر، وللأشعريِّينَ بجادِّ مئةِ وَسْقٍ من خيبر[2]، وأَوصَى بتنفيذِ بَعْثِ أُسامة بن زيد بن حارثة، وألّا يُترَكَ بجزيرةِ العربِ دِينانِ[3].

---

(١) بجادّ مئة وسق، أي: ما يُجَدُّ بقدر مئة وسق، أي: ما يُقطَع.

(٢) الرهاويّون والسبئيّون والأشعريّون قبائل يمنيّة، وأما الداريُّون فهم من لخمٍ كما سيأتي لاحقاً، وكانوا يسكنون فلسطين من بلاد الشام.

(٣) خبر صحيح إن شاء الله، وهذا مرسل رجاله ثقات، ويغلب على ظنّنا أنه موصول من رواية عبيد الله بن عبد الله عن عائشة، فقد روى ابن إسحاق بهذا الإسناد آخره في عدم ترك دينين بجزيرة العرب موصولاً بذكر عائشة فيما سيأتي ٤/ ٥٠٠ في قصة وفاة النبي ﷺ.

وأمّا هذا المرسل فقد أخرجه بتمامه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٢٣ عن عبد الله بن نمير، والبيهقي في «السنن» ٦/ ٢٦٦ و«الدلائل» ٧/ ٢٣٠ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

ويشهد له حديث ابن عباس عند البخاري (٣٠٥٣) و(٣١٦٨) ومسلم (١٦٣٧): أن رسول الله ﷺ أوصى عند موته بثلاث فقال: «أَخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأَجيزوا الوفدَ بنحو ما كنت أُجيزهم»، قال راوي الحديث: ونسيت الثالثة. قلنا: وأغلب الظن أن الثالثة هي إنفاذ بعث أسامة، وإلى هذا ذهب بعض شرّاح الحديث كالمهلَّب وابن بطّال كما في «الفتح» ١٢/ ٧٤٩، ولعله يدخل في المراد بالوفد هنا القبائل المذكورة في مرسل عبيد الله بن عبد الله، والله تعالى أعلم.

ويشهد لآخره حديث عمر بن الخطّاب عند أحمد (٢٠١) ومسلم (١٧٦٧) وغيرهما: أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «لأُخرجنَّ اليهودَ والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدعَ إلا مسلماً».

أمرُ فَدَك في خبر خيبرَ

قال ابن إسحاق: فلمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من خيبرَ، قَذَفَ اللهُ الرُّعبَ في قلوب أهلِ فَدَكَ حين بَلَغَهم ما أوقعَ اللهُ بأهلِ خيبر، فبَعَثُوا إلى رسول الله ﷺ يُصالِحونَه على النِّصفِ من فَدَك، فقَدِمَت عليه رُسُلُهم بخيبرَ أو بالطَّريق أو بعدَما قَدِمَ المدينةَ، فقَبِلَ ذلك منهم، فكانت فَدَكُ لرسول الله ﷺ خالصةً لأنّه لم يُوجَفْ[1] عليها بخيلٍ ولا رِكَاب.

تسميةُ النّفَر الدّاريِّين

الذين أوصَى لهم رسولُ الله ﷺ من خيبر

وهم بنو الدّار بن هانئ بن حَبيبِ بن نُمَارة بن لَخْمٍ الّذين سارُوا إلى رسول الله ﷺ من الشّام: تَميمُ بن أَوسٍ، ونُعَيم بن أَوسٍ أخوه، ويزيدُ بن قيسٍ، وعَرَفةُ بن مالكٍ، سمّاه رسولُ الله ﷺ عبدَ الرَّحمن ـ قال ابن هشام: ويقال: عَزّةُ بن مالكٍ ـ وأخوه مُرّانُ بن مالكٍ.

قال ابن هشام: مروانُ بن مالك.

قال ابن إسحاق: وفاكِهُ بن نُعمان[2]، وجَبَلةُ بن مالكٍ، وأبو هِند بن بَرٍّ[3]، وأخوه الطَّيّب بن بَرٍّ فسمّاه رسولُ الله ﷺ عبدَ الله.

فكان رسولُ الله ﷺ ـ كما حدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ ـ يَبعَثُ إلى أهلِ خيبرَ عبدَ الله بنَ رَوَاحةَ خارِصاً[4] بين المسلمين ويهودَ، فيَخرُصُ عليهم، فإذا قالوا:

(١) الإيجاف: سرعة السير، وقد أَوجَف دابّته، أي: حرّكها وحثّها على سرعة السير.

(٢) تحرف في بعض النسخ إلى: فاكهة بن نعيم.

(٣) وهو ابن عمّ تميم وأخوه لأمّه كما قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٨٦٤.

(٤) الخارص: الذي يَحزِرُ ما على النخل والكَرْم من ثمر، وهو من الخَرْص، أي: الظنّ، =

تَعَدَّيتَ علينا، قال: إن شِئتُم فلَكُم، وإن شِئتُم فلنا، فتقول يهودُ: بهذا قامت السّماواتُ والأرضُ[1].

وإنّما خَرَصَ عليهم عبدُ الله بن رَوَاحة عاماً واحداً، ثمّ أُصيبَ بمُؤْتة رحمه الله، فكان جَبّارُ بن صَخْر بن أُميّة بن خَنْساءَ أخو بني سَلِمةَ هو الذي يَخرُصُ عليهم بعدَ عبد الله بن رَوَاحة.

فأقامت يهودُ على ذلك لا يَرَى بهم المسلمون بأساً في مُعامَلتِهم حتّى عَدَوْا في عهدِ رسول الله ﷺ على عبدِ الله بن سَهْل أخي بني حارثةَ فقَتَلُوه، فاتَّهَمَهم رسولُ الله ﷺ والمسلمون عليه.

قال ابن إسحاق: فحدّثني الزُّهْريُّ عن سَهْلِ بن أبي حَثْمة؛ وحدّثني أيضاً بُشَيرُ ابن يَسارٍ مولى بني حارثةَ عن سَهْلِ بن أبي حَثْمةَ قال: أُصيبَ عبدُالله بن سَهْلٍ بخيبر، وكان خرج إليها في أصحابٍ له يَمْتارُ[2] منها تمراً، فوُجِدَ في عينٍ قد كُسِرَت عُنُقُه ثمّ طُرِحَ فيها، قال: فأَخذوه فغَيَّبوه.

ثمّ قَدِموا على رسول الله ﷺ فذكروا له شأنَه، فتَقدَّمَ إليه أخوه عبدُ الرَّحمن ومعه ابنا عمِّه حُوَيِّصةُ ومُحَيِّصةُ ابنا مسعودٍ، وكان عبدُ الرَّحمن من أحدَثِهم سِنّاً، وكان

= لأنه تقديرٌ بظنٍّ.

(١) صحيح لغيره، وعبد الله بن أبي بكر ـ وهو ابن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ـ ثقة من صغار التابعين، فخبره هذا مرسَلٌ.

وقد رواه بنحوه مسنَداً إبراهيم بن طهمان في «مشيخته» (٣٧)، ومن طريقه أحمد في «مسنده» (١٤٩٥٣) عن أبي الزبير المكّي، عن جابر بن عبد الله. وإسناده صحيح.

ويشهد له أيضاً حديث ابن عمر عند أحمد (٤٧٦٨)، وابن حبان (٥١٩٩).

(٢) يمتار، أي: يَجلِب.

صاحبَ الدَّمِ، وكان ذا قَدَمٍ في القوم[1]، فلمّا تَكلَّمَ قبل ابنَيْ عمِّه قال رسولُ الله ﷺ: «الكُبْرَ الكُبْرَ»[2].

قال ابن هشام: ويقال: «كَبِّرْ كَبِّرْ» فيما ذكرَ مالكُ بن أنسٍ[3].

فسَكَتَ، فتَكلَّمَ حُوَيِّصةُ ومُحَيِّصةُ ثمّ تَكلَّمَ هو بعدُ، فذكروا لرسول الله ﷺ قتلَ صاحبِهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «أتُسَمُّونَ قاتِلَكم ثمَّ تَحلِفُونَ عليه خمسينَ يَمِيناً فنُسَلِّمَه إليكُم؟» قالوا: يا رسولَ الله، ما كنَّا لنَحلِفَ على ما لا نعلمُ، قال: «أفيَحلِفُونَ باللهِ خمسينَ يَمِيناً ما قَتَلُوه ولا يَعلَمُونَ له قاتلاً، ثمّ يَبْرَؤُونَ من دَمِه؟» قالوا: يا رسولَ الله، ما كنَّا لنَقبَلَ أَيمانَ يهودَ، ما فيهم من الكُفرِ أعظَمُ من أن يَحلِفوا على إثمٍ. قال: فوَدَاهُ رسولُ الله ﷺ[4] من عندِه مئةَ ناقةٍ.

---

(١) أي: له مكانة فيهم.

(٢) الكبر الكبر، أي: قدِّم الأكبر للكلام، إرشاداً إلى الأدب في تقديم الأسنِّ.

(٣) رواه هكذا مالك في «موطئه» ٢/ ٨٧٧-٨٧٨ عن أبي ليلى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاريّ، عن سهل بن أبي حَثْمة، أنه أخبره رجال من كُبراء قومه: أن عبد الله بن سهل..

ومن طريق مالكٍ أخرجه البخاري (٧١٩٢)، ومسلم (١٦٦٩)(٦)، وأبو داود (٤٥٢١)، وابن ماجه (٢٦٧٧)، والنسائي في «المجتبى» (٤٧١٠) وفي «الكبرى» (٥٩٤٥).

ثم رواه مالك في «موطئه» عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن بُشَير بن يسار، أنه أخبره: أن عبد الله بن سهل... وهذا مرسل.

لكن وصله غيرُ واحدٍ عن يحيى عن بُشير عن سهل بن أبي حثمة، وبعضهم يقرن بسهلٍ رافعَ ابن خَدِيج، أخرجه أحمد (١٦٠٩١) و(١٧٢٧٦)، والبخاري (٦١٤٢)، ومسلم (١٦٦٩)، وأبو داود (٤٥٢٠)، والترمذي (١٤٢٢)، والنسائي في «المجتبى» (٤٧١٢-٤٧١٨) وفي «الكبرى» (٦٨٨٨-٦٨٩٤)، وابن حبان (٦٠٠٩).

(٤) أي: دفع هو دِيَتَه.

قال سَهْلٌ: فوالله ما أَنسى بَكْرةً منها حمراءَ ضَرَبَتني وأنا أَحُوزُها[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّدُ بن إبراهيم بن الحارثِ التَّيْميّ، عن عبدالرَّحمن ابن بُجَيد بن قَيْظيٍّ أخي بني حارثة ـ قال محمّدُ بن إبراهيم: وايْمُ اللهِ ما كان سَهلٌ[2] بأكثرَ عِلماً منه، ولكنّه كان أسَنَّ منه ـ أنّه قال له: والله ما هكذا كان الشَّأنُ، ولكنَّ سَهلاً أَوهَمَ، ما قال رسولُ الله ﷺ: احلِفُوا على ما لا عِلمَ لكم به، ولكنّه كَتَبَ إلى يهودِ خيبرَ حين كَلَّمَته الأنصارُ: «إنَّه قد وُجِدَ قَتيلٌ بين أَبياتِكُم فدُوهُ»، فكَتَبُوا إليه يَحلِفُون بالله ما قَتَلُوه ولا يَعلَمون له قاتلاً، فوَدَاهُ رسولُ الله ﷺ من عندِه[3].

(١) إسناده صحيح، وسهل بن أبي حَثْمة من صغار الصحابة.

وأخرجه أحمد (١٦٠٩٦) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

البَكْرة: الناقة الفَتيّة. وأَحُوزها، أي: أجمعها وأضمّها إلى غيرها من الإبل.

(٢) يعني سهل بن أبي حَثْمة راوي الخبر السابق.

(٣) عبد الرحمن بن بجيد مختلف في صحبته كما هو مبيَّن في «الإصابة» ٤/ ٢٨٩.

وأخرجه أبو داود (٤٥٢٥) من طريق محمد بن سلمة، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وهذا الحديث شاذٌّ لمخالفته روايتَي سهل بن أبي حثمة ورافع بن خديج في أنه يُبدَأ باليمين من المُدَّعِين قبل المُدَّعَى عليهم، فهذا هو المحفوظ في هذه القصة وما سواه وهمٌ فيما قاله ابن القيِّم في «تهذيب سنن أبي داود» ٣/ ١١٤، وانظر أيضاً «معالم السنن» للخطّابي ٤/ ١٣، و«التمهيد» لابن عبد البر ٢٣/ ٢٠٨ و٢١٠.

والصواب أن يقال: إن هذا الحَلِفَ في كتاب يهود إلى النبي ﷺ ليس هو الحلفَ المقضيَّ به في القَسَامة الذي هو خمسون يميناً، إنما هو لدفع الشُّبهة عنهم ابتداءً، ولو أنّ أولياء الدم من الأنصار ـ إذ لم يحلفوا هم خمسين يميناً ـ قَبِلُوا أيمانَ يهود، لأقدَمَهم النبيُّ ﷺ وأَحلَفَهم خمسين يميناً، ولكن الأنصار امتنعوا أن يحلفوا، وأَبَوا أن تحلف لهم يهودُ، على ما في حديث مالكٍ عن أبي ليلى بن عبد الله الأنصاري السابق تخريجه قريباً، ففيه: أن رسول الله ﷺ قال للأنصار: «إمّا أن يَدُوا صاحبَكم، وإمّا أن يُؤذِنوا بحربٍ»، وكتب إلى يهود في ذلك، فكتبوا: إنا =

قال ابن إسحاق: وحدّثني عمرُو بن شُعَيبٍ[1] بمِثْل حديث عبدِ الرَّحمن بن بُجَيدٍ، إلّا أنّه قال في حديثه: «دُوهُ أو ائذَنُوا بحَرْبٍ»، فكَتَبوا يَحلِفُون بالله ما قَتَلُوه ولا يَعلَمون له قاتلاً، فوَدَاهُ رسولُ الله ﷺ من عندِه.

قال ابن إسحاق: وسألتُ ابنَ شِهابٍ: كيف كان إعطاءُ رسولِ الله ﷺ يهودَ خيبرَ نَخلَهم حين أعطاهم النَّخلَ على خَرْجِها، أبَتَّ[2] ذلك لهم حتّى قُبِضَ، أم أعطاهم إيّاها لضَرُورةٍ من غيرِ ذلك؟

فأخبرني ابنُ شِهابٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ افتَتَحَ خيبرَ عَنْوةً بعدَ القتال، وكانت خيبرُ ممّا أفاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ على رسول الله ﷺ، خَمَّسَها رسولُ الله ﷺ وقَسَمَها بين المسلمين، ونَزَلَ مَن نَزَلَ من أهلِها على الجَلاءِ بعدَ القتال، فدَعَاهم رسولُ الله ﷺ فقال: «إنْ شِئتُم دَفَعتُ إليكم هذِه الأموالَ على أن تَعمَلُوها وتكونَ ثِمارُها بينَنا وبينكم، وأُقِرُّكم ما أقَرَّكم اللهُ» فقَبِلوا، فكانوا على ذلك يَعمَلُونَها، وكان رسولُ الله ﷺ يَبعَثُ عبدَالله بن رَوَاحةَ فيَقسِمُ ثمرَها، ويَعدِلُ عليهم في الخَرْصِ[3]، فلمّا تَوفَّى اللهُ نبيَّه ﷺ، أقَرَّها أبو بكرٍ بعدَ رسول الله ﷺ بأيديهم على المُعامَلة التي عامَلَهم عليها رسولُ الله ﷺ حتّى تُوفِّي، ثمّ أقَرَّهم عمرُ صَدْراً من إمارتِه.

= والله ما قتلناه، فقال رسول الله ﷺ لحُوَيِّصة ومُحَيِّصة وعبد الرحمن: «أتَحلِفون وتستحقُّون دمَ صاحبكم؟» قالوا: لا، قال: «فتَحلِفُ لكم يهودُ»، قالوا: ليسوا بمسلمين. فوَدَاه رسول الله ﷺ من عنده.

(١) يعني عن أبيه عن جدّه عبد الله بن عمرو، فقد روى عنه أصل هذا الحديث بهذا الإسناد حجّاجُ بن أرطاة عند ابن أبي شيبة في «المصنف» ٩/ ٣٧٨، وابن ماجه (٢٦٧٨).

(٢) الخَرْج: ما يُؤدَّى كل سنة مما تخرجه الأرض. وأبتَّ، أي: قَطَع.

(٣) الخرص: الحَزْر والتقدير لكمّية ما يخرج من الثمار.

ثمّ بَلَغَ عمرَ: أنّ رسولَ الله ﷺ قال في وَجَعِه الذي قَبَضَه اللهُ فيه: «لا يَجتَمِعنَّ بجَزيرةِ العربِ دِينَانِ»[1]، ففَحَصَ عمرُ عن ذلك حتّى بَلَغَه الثَّبَتُ، فأرسَلَ إلى يهودَ فقال: إنَّ الله قد أَذِنَ في إجلائكم، فقد بَلَغَني أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا يَجتَمِعنَّ بجَزيرةِ العربِ دِينَانِ»، فمَن كان عنده عهدٌ من رسول الله ﷺ فليأْتِني به أُنفِذْه له، ومن لم يكن عنده عهدٌ من رسول الله ﷺ من اليهود، فليَتَجَهَّزْ للجَلاءِ، فأجلَى عمرُ مَن لم يكن عنده عهدٌ من رسول الله ﷺ منهم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني نافعٌ مولى عبد الله بن عمرَ، عن عبد الله بن عمرَ قال: خَرَجتُ أنا والزُّبَيرُ والمِقدادُ بن الأسوَدِ إلى أموالِنا بخيبرَ نَتعاهَدُها، فلمّا قَدِمْنا تَفرَّقْنا في أموالنا، قال: فعُدِيَ عليَّ تحت اللّيل وأنا نائمٌ على فِرَاشي، ففُدِعَت يدايَ من مِرفَقَيَّ[2]، فلمّا أصبَحتُ استُصرِخَ عليَّ صاحبايَ، فأَتَياني فسألاني: مَن صَنَعَ هذا بك؟ فقلت: لا أدري، قال: فأَصلَحا من يَدَيَّ ثمّ قَدِما بي على عمرَ، فقال: هذا عَمَلُ يهودَ، ثمّ قامَ في الناس خَطيباً فقال: أيُّها الناسُ، إنَّ رسولَ الله ﷺ كان عامَلَ يهودَ خيبرَ على أنّا نُخرِجُهم إذا شِئْنا، وقد عَدَوْا على عبدِ الله بن عمرَ ففَدَعُوا يديهِ كما قد بَلَغَكم، مع عَدْوِتِهم على الأنصاريِّ قبلَه[3]، لا نَشُكُّ أنَّهم

(١) وَهِمَ ابنُ شهاب الزهريُّ رحمه الله في زعمه أن قول النبيِّ ﷺ هذا بلغ عمرَ بلاغاً، ممّا يعني أنه لم يسمعه منه، وقد صحَّ عن جابر بن عبد الله أنه سمع عمرَ يقول: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «لأُخرجنَّ اليهودَ والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدعَ إلا مسلماً». أخرجه أحمد (٢٠١) ومسلم (١٧٦٧) وغيرهما.

ثم إن حديث نافع التالي في قصة إجلاء عمر يهودَ خيبر أصحُّ من حديث الزهري هذا.

(٢) فُدِعَت يداه، أي: أُزيلت مفاصلها عن أماكنها.

(٣) يريد عبدَ الله بن سهلٍ المتقدم خبر مقتله بخيبر آنفاً.

أصحابُه، ليس لنا هناك عدوٌّ غيرُهم، فمَن كان له مالٌ بخَيبَرَ فليَلحَقْ به فإنّي مُخرِجُ يهودَ؛ فأخرَجَهم[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ، عن عبد الله بن مِكنَفٍ أخي بني حارثةَ قال: لمّا أَخرَجَ عمرُ يهودَ من خيبـرَ، رَكِبَ في المهاجرين والأنصارِ وخرج معه بجَبّارِ بن صَخْر بن أُميّة بن خَنْساءَ أخو بني سَلِمةَ، وكان خارِصَ أهلِ المدينة وحاسِبَهم - وبزَيدِ[2] بن ثابتٍ، فهما قَسَمَا خيبـرَ على أهلِها، على أصلِ جَمَاعةِ السُّهْمانِ التي كانت عليها[3].

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٩٠)، وأبو داود مختصراً (٣٠٠٧) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه البخاري (٢٧٣٠) من طريق مالك، عن نافع، عن ابن عمر. وزاد فيه: فلمّا أجمَعَ عمرُ على ذلك أتاه أحدُ بني أبي الحُقَيق فقال: يا أمير المؤمنين، أتُخرِجُنا وقد أقرَّنا محمّدٌ - ﷺ - وعامَلَنا على الأموال وشَرَطَ ذلك لنا؟! فقال عمر: أظننتَ أني نسيتُ قول رسول الله ﷺ: «كيف بكَ إذا أُخرِجتَ من خيبر تَعدُو بك قَلُوصُك (أي: ناقتك) ليلةً بعد ليلةٍ»؟! فقال: كانت هذه هُزَيلةً من أبي القاسم، قال: كذبتَ يا عدوَّ الله؛ فأَجلاهم عمرُ، وأعطاهم قيمةَ ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعُروضاً من أقتابٍ وحِبالٍ وغيرِ ذلك.

(٢) تصحّف في (ت) و(ص) و(ف) و(ي) إلى: يزيد، بالياء المثنّاة في أوله، والتصويب من بقية النسخ، وزَيدٌ هو الذي كان مشهوراً بمعرفة الحِساب والفرائض، وأما يزيد بن ثابت، وهو أخوه، فقد كان استُشهد باليمامة أيامَ أبي بكر.

(٣) إسناده ضعيف لإرساله وجهالة عبد الله بن مكنف، فقد جهَّله الحافظان الذهبي وابن حجر، وذكره ابن حبّان في «المجروحين» ٢/ ٦.

وأخرجه ابن شبّة في «تاريخ المدينة» ١/ ١٨٥ من طريق يحيى بن آدم، عن زياد البكّائي، عن ابن إسحاق. =

وكان ما قَسَمَ عمرُ بن الخَطّاب من وادي القُرَى[1] لعثمانَ بن عفّانَ خَطَرٌ[2]، ولعبد الرَّحمن بن عَوفٍ خَطَرٌ، ولعمرَ بن أبي سَلَمة خَطَرٌ، ولعامرِ بن أبي ربيعةَ خَطَرٌ، ولعمرِو بن سُرَاقةَ خَطَرٌ، ولأَشْيَمَ خَطَرٌ.

قال ابن هشام: ويقال: لأسلَمَ ولبني جعفرٍ خَطَرٌ، ولمُعَيقيبٍ خَطَرٌ، ولعبدِ الله ابن الأرقَمِ خَطَرٌ، ولعبدِ الله وعُبيدِ الله خَطَرانِ، ولابن عبد الله بن جَحْشٍ خَطَرٌ، ولابن البُكَيرِ خَطَرٌ، ولمُعتمِرٍ[3] خَطَرٌ، ولزيدِ بن ثابتٍ خَطَرٌ، ولأُبيٍّ بن كعبٍ خَطَرٌ، ولمُعاذِ ابن عَفراءَ خَطَرٌ، ولأبي طَلْحةَ وحَسَنٍ خَطَرٌ، ولجَبّارِ بن صَخرٍ[4] وجابرِ بن عبد الله بن رِئَابٍ خَطَرٌ، ولمالكِ بن صَعصَعة وجابرِ بن عبد الله بن عمرٍو خَطَرٌ، ولابن حُضَيرٍ خَطَرٌ، ولابن سعدِ بن مُعاذٍ خَطَرٌ، ولسَلَمةَ بن سَلَامة خَطَرٌ، ولعبدِ الرَّحمن ابن ثابتٍ وأبي شَريكٍ خَطَرٌ، ولأبي عَبْس بن جَبْرٍ خَطَرٌ، ولمحمّدِ بن مَسلَمةَ خَطَرٌ، ولعُبَادةَ بن طارقٍ خَطَرٌ.

قال ابن هشام: ويقال: لقَتَادة[5].

قال ابن إسحاق: ولجَبْر بن عَتِيكٍ نصفُ خَطَرٍ، ولابنَي الحارثِ بن قيسٍ نصفُ

= وأخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» ٦/ ٤٥٣، والبيهقي في «السنن» ١٠/ ١٣٢ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

(١) سبق التعريف بهذا الوادي ص٤٥٥.

(٢) أي: حظٌّ ونصيبٌ.

(٣) هكذا وقع في النسخ الخطية، ولا يعرف في الصحابة من اسمه معتمر، إنما فيهم من اسمه مَعمَر غير واحدٍ، والله تعالى أعلم.

(٤) زاد في (غ): خطر.

(٥) يعني مكان قوله: لعبادة، ولا يُعرَف هذا في شيء من كتب الصحابة، وقد ذكره الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٧٢١ ـ كما في «الإصابة» ٣/ ٦٢٧ ـ باسم عبادة، كابن إسحاق.

خَطَرٍ، ولابن خَزَمةَ[1] والضَّحّاكِ خَطَرٌ.

فهذا ما بَلَغَنا من أمر خَيبَرَ ووادي القُرَى ومَقاسِمِها.

قال ابن هشام: الخَطَرُ: النَّصيب، يقال: أخطَرَ لي فلانٌ خَطَراً.

قال ابن هشام: وذكرَ سفيانُ بن عُيَينة، عن الأجلَح، عن الشَّعْبيِّ: أنّ جعفرَ بن أبي طالبٍ قَدِمَ على رسول الله ﷺ يومَ فتح خَيبَرَ، فقَبَّلَ رسولُ الله ﷺ بين عَينَيهِ والتَزَمَه فقال: «ما أَدري بأيِّهما أنا أُسَرُّ: بفَتحِ خَيبَرَ، أَم بقُدُومِ جعفرٍ؟!»[2].

---

(1) هكذا في (ش٢) و(غ) و(ف) و(ق٢)، بالخاء المعجمة، وهو المشهور في أسماء بعض الأنصار، وفي بقية النسخ: حزمة، بالحاء.

(2) حسن لغيره، وهذا إسناد لا بأس برجاله إلا أنه مرسل، وقد اختُلف في وصله وإرساله، والمحفوظ أنه مرسل.

فقد رواه عن الأجلح ـ وهو ابن عبد الله الكِندي ـ عن عامرٍ الشَّعبي مرسلاً عليُّ بن مُسهِر عند ابن أبي شيبة ٨/ ٦٢١، وعنه أبو داود في «السنن» (٥٢٢٠) و«المراسيل» (٤٩١)، وعبدُ الله بن نميرٍ عند ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٣٢، وسفيانُ الثوري عند ابن سعدٍ أيضاً، والبيهقيّ في «السنن» ٧/ ١٠١، فرواه ثلاثتهم (ابن مسهر وابن نمير وسفيان الثوري) عن أجلح، عن الشعبي مرسلاً. ورواية ابن مسهرٍ مختصرةٌ بقصة استقبال جعفرٍ وتقبيل ما بين عينيه.

أما رواية سفيان بن عيينة، فقد خُولِف ابنُ إسحاق فيها، خالفه ابنُ أبي عمر العَدَنيُّ فيما أخرجه الحاكم (٥٠٠٦)، فرواه عن ابن عُيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد وزكريا بن أبي زائدة، عن الشعبي مرسلاً أيضاً.

ورواه موصولاً أبو غسان النَّهدي عند الحاكم (٤٢٩٥)، والحسنُ بن الحسين العُرَني عنده أيضاً (٥٠٠٥)، كلاهما عن الأجلح، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله قال: لما قدم جعفر... ورواية الوصل هذه شاذّة، والعُرني في الطريق الثاني ضعيف.

وخالف مجالدُ بن سعيدٍ عند البيهقي في «السنن» ٧/ ١٠١ و«شعب الإيمان» (٨٥٦١)، فرواه عن الشعبي، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. ومجالد ضعيف. =

= ويشهد له بنحو لفظه حديثُ أبي جُحَيفة عند الطبراني في «الكبير» (١٤٧٠) و ٢٢/ (٢٤٤) وفي «الأوسط» (٢٠٠٣) وفي «الصغير» (٣٠)، وإسناده حسن.

ويشهد أيضاً لتلقِّيه وتقبيل ما بين عينيه ـ يعني جبهته ـ دون قوله: «ما أدري بأيهما...» حديث عائشة عند ابن أبي الدنيا في «الإخوان» (١٢٣) وأبي يعلى في «معجمه» (٢١) وغيرهما، وإسناده ضعيف.



ذكرُ قُدومِ جعفرٍ من الحَبَشة
وحديثُ المهاجرين إلى الحبشة

قال ابن إسحاق: وكان مَن أقامَ بأرض الحَبَشةِ من أصحاب رسول الله ﷺ حتّى بَعَثَ فيهم رسولُ الله ﷺ إلى النَّجَاشيِّ عمرَو بن أُميّةَ الضَّمْريَّ، فحَمَلَهم في سفينتَينِ فقَدِمَ بهم عليه وهو بخيبرَ بعدَ الحُدَيبيَةِ.

من بني هاشم بن عبد مَنافٍ: جعفرُ بن أبي طالب بن عبد المُطَّلِب، معه امرأتُه أسماءُ ابنةُ عُمَيسٍ الخَثْعَميَّةُ، وابنُه عبدُالله بن جعفرٍ، وكانت وَلَدَته بأرض الحَبَشة.

قُتِلَ جعفرٌ بمُؤْتةَ من أرض الشّام أميراً لرسول الله ﷺ؛ رجلٌ.

ومن بني عبد شَمسِ بن عبد مَنافٍ: خالدُ بن سعيد بن العاصِ بن أُميّة بن عبد شمسٍ، معه امرأتُه أُمَينةُ بنتُ خَلَف بن أسعَد ـ قال ابن هشام: ويقال: هُمَينةُ بنتُ خَلَفٍ ـ وابناه سعيدُ بن خالدٍ وأَمَةُ بنتُ خالدٍ، وَلَدَتهما بأرض الحَبَشة، قُتِلَ خالدٌ بمَرْج الصُّفَّرِ[1] في خلافة أبي بكرٍ بأرض الشّام.

وأخوه عمرُو بن سعيد بن العاصِ، معه امرأتُه فاطمةُ بنتُ صفوانَ بن أُميّة بن مُحرِّث الكِنانيّ، هَلَكَت بأرض الحَبَشة، قُتِلَ عمرٌو بأجنادَينِ من أرض الشّام[2] في

---

(١) هو سهل واسع جنوب غرب دمشق على قرابة ٣٥ كم منها.
وكانت موقعة مرج الصُّفَّر هذه في جمادى الأولى من سنة ثلاث عشرة.

(٢) في فِلَسطين، لكن لا يعرف اليوم موضع بهذا الاسم، وجاء في «معجم البلدان» ١/ ١٠٣: أن أجنادَينِ من الرّملة، من كُورة بيت جِبْرين. يعني أنها تتبع لبيت جبرين، وهذه تقع جنوب الرملة وجنوب غرب القدس على قرابة ٣٥ كم منهما.
وكانت موقعة أجنادَينِ في جمادى الأولى أيضاً من سنة ثلاث عشرة قبل مرج الصُّفَّر ببضعة =

خلافة أبي بكرٍ.

ولعمرو بن سعيدٍ يقول أبوه سعيدُ بن العاصِ أبو أُحَيْحَةَ:

ألا لَيتَ شِعْري عنكَ يا عمرُو سائلاً إذا شَبَّ واشتَدَّت يداهُ وسُلِّحا[1]

أتترُكُ أمرَ القومِ فيهِ بَلابلٌ وتَكشِفُ غَيظاً كان في الصّدرِ مُوجَحا[2]

ولعمرٍو وخالدٍ يقول أخوهما أبانُ بن سعيد بن العاصِ حين أسلَما، وكان أبوهم سعيدُ بن العاصِ هَلَكَ بالظُّرَيبةِ من ناحية الطّائف، هَلَكَ في مالٍ له بها:

ألا لَيتَ مَيْتاً بالظُّرَيبةِ شاهدٌ لمَا يَفتَري[3] في الدِّينِ عمرٌو وخالدُ

أطاعا بنا أمرَ النّساءِ فأصبَحا يُعِينانِ من أعدائِنا مَن نُكايِدُ

فأجابه خالدُ بن سعيدٍ فقال:

أَخي ما أَخي لا شاتمٌ أنا عِرضَهُ ولا هوَ عن سوءِ المَقالةِ مُقصِرُ

يقول إذا اشتَتَّتْ[4] عليه أُمورُهُ ألا لَيتَ مَيْتاً بالظُّرَيبةِ يُنشَرُ

فدَعْ عنكَ مَيتاً قد مَضَى لسَبيلِهِ وأقبِلْ على الأدنَى الّذي هو أفقَرُ

ومُعَيقِيبُ بن أبي فاطمةَ خازنُ عمر بن الخَطّاب على بيتِ مال المسلمين، وكان

= عشر يوماً.

(١) سُلِّح: أُلبس السلاح.

(٢) فيه بلابل، أي: فيه تخليط واضطراب. وموجحاً، أي: مستوراً، يقال: بيني وبينه وِجَاحٌ، أي: سِتْرٌ.

(٣) من الافتراء: وهو الكذب، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٥٢: من رواه: يقتري، بالقاف فمعناه: يتتبّع.

(٤) هكذا في (ت) و(ش١) و(ش٢) و(غ) و(ف) و(م)، وعليها شرح الخشنيُّ فقال: أي: تفرَّقَت، من التشتُّت: وهو التفرُّق. وفي (ص) و(ط) و(ق٢): اشتدَّت، من الشِّدّة.

إلى آلِ سعيد بن العاص، وأبو موسى الأشعَريُّ عبدُ الله بن قيسٍ حَليفُ آلِ عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمسٍ[1]؛ أربعةُ نَفَر.

ومن بني أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيٍّ: الأسوَدُ بن نَوفَل بن خُوَيلِد؛ رجلٌ.

ومن بني عبد الدّار بن قُصَيٍّ: جَهْمُ بن قيس بن عبد شُرَحبيلَ، معه ابناه عمرو ابن جَهمٍ وخُزَيمةُ بن جَهمٍ، وكانت معه امرأتُه أمُّ حَرْمَلة بنتُ عبد الأسوَد، هَلَكَت بأرض الحَبَشة، وابناه لها؛ رجلٌ.

ومن بني زُهْرةَ بن كِلَابٍ: عامرُ بن أبي وَقّاصٍ، وعُتْبةُ بن مسعودٍ حَليفٌ لهم من هُذَيلٍ؛ رجلانِ.

ومن بني تَيْمِ بن مُرَّة بن كعبٍ: الحارثُ بن خالد بن صَخرٍ، وقد كانت معه امرأتُه رَيْطةُ بنتُ الحارث بن جُبَيلة، هَلَكَت بأرض الحَبَشة؛ رجلٌ.

ومن بني جُمَحَ بن عمرو بن هُصَيصِ بن كعبٍ: عثمانُ بن ربيعة بن أُهْبانَ؛ رجلٌ.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: مَحْمِيَةُ بن الجَزْءِ حليفٌ لهم من بني زُبَيدٍ، كان رسولُ الله ﷺ جعَلَه على خُمُس المسلمين؛ رجلٌ.

ومن بني عَدِيّ بن كعب بن لُؤَيٍّ: مَعمَرُ بن عبد الله بن نَضْلة؛ رجلٌ.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ بن غالبٍ: أبو حاطبِ بن عمرو بن عبد شَمسٍ، ومالكُ ابن ربيعة بن قيس بن عبد شمسٍ، معه امرأتُه عَمْرةُ بنتُ السَّعْديّ بن وَقْدانَ بن عبد شمسٍ؛ رجلانِ.

ومن بني الحارثِ بن فِهْر بن مالكٍ: الحارثُ بن عبدِ قيس بن لَقِيطٍ؛ رجلٌ.

---

(١) قد تقدم التعقُّب على ابن إسحاق في ذكره أبا موسى الأشعري في المهاجرين إلى الحبشة وأنه كان حليفاً لعتبة بن ربيعة ١/ ٣٨٤.

وقد كان حُمِلَ معهم في السّفينتَينِ نساءٌ من نساءِ مَن هَلَكَ هنالك من المسلمين.

فهؤلاءِ الّذين حَمَلَ النَّجَاشيُّ مع عمرو بن أُميّة في السّفينتَينِ، فجميعُ مَن قَدِمَ في السّفينتَينِ ستّةَ عَشَرَ رجلاً.

وكان مَن هاجَرَ إلى أرض الحَبَشة ولم يَقدَمْ إلّا بعدَ بدرٍ، ولم يَحمِلِ النَّجاشيُّ في السّفينتَينِ إلى رسول الله ﷺ، ومن قَدِمَ بعدَ ذلك، ومن هَلَكَ بأرض الحَبَشة، من مُهاجِرة الحَبَشة:

من بني أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنافٍ: عُبَيدُ الله بن جَحْش بن رِئَابٍ الأَسَديّ، أَسدُ خُزَيمة، حليفُ بني أُميّة بن عبد شمسٍ، معه امرأتُه أمُّ حَبيبة بنتُ أبي سفيان، وابنتُه حَبِيبةُ بنتُ عُبيد الله، وبها كانت تُكنَى أمُّ حَبيبة بنتُ أبي سفيان وكان اسمها رَمْلة، وخرج مع المسلمين مُهاجِراً، فلمّا قَدِمَ أرضَ الحَبَشة تَنصَّرَ بها وفارَقَ الإسلامَ، مات هنالك نصرانيّاً، فخَلَفَ رسولُ الله ﷺ على امرأته من بعدِه أمَّ حَبيبة بنتِ أبي سفيان بن حَرْب.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُرْوة قال: خرج عُبيدُ الله بن جَحشٍ مع المسلمين مُسلِماً، فلمّا قَدِمَ أرضَ الحَبَشة تَنصَّرَ، قال: فكان إذا مَرَّ بالمسلمين من أصحابِ رسول الله ﷺ قال: فَقَّحْنا وصَأصَأتُم. أي: قد أبصَرْنا وأنتم تَلتَمِسون البصرَ ولم تُبصِروا بعدُ، وذلك أنّ ولدَ الكلبِ إذا أرادَ أن يَفتَحَ عَينَيهِ للنَّظَر صَأصَأَ قبلَ ذلك[1]؛ يَضرِبُ ذلك له ولهم مَثَلاً، أي: إنّا قد فَتَّحْنا أعيُنَنا فأبصَرْنا، ولم تَفتَحوا أعيُنَكم فتُبصِروا، وأنتم تَلتَمِسون ذلك.

---

(١) أي: حاول النظرَ ولمَّا تنفتحْ عيناه.

قال ابن إسحاق: وقيسُ بن عبد الله، رجلٌ من بني أَسد بن خُزَيمة، وهو أبو أُميّة بنتِ قيسٍ الّتي كانت مع أمِّ حَبيبة، وامرأتُه بَرَكةُ بنتُ يَسارٍ مولاةُ أبي سفيانَ بن حَرْبٍ، كانا[1] ظِئْرَي عُبيدِ الله بن جَحشٍ وأُمِّ حَبيبة بنت أبي سفيان، فخَرَجا بهما معهما حين هاجَرا إلى أرض الحَبَشة؛ رجلانِ.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيٍّ: يزيدُ بن زَمْعةَ بن الأسوَد بن المُطَّلِب بن أَسَدٍ، قُتِلَ يومَ حُنَين مع رسول الله ﷺ شهيداً، وعمرُو بن أُميّة بن الحارث بن أَسَدٍ، هَلَكَ بأرض الحَبَشة؛ رجلانِ.

ومن بني عبد الدّار بن قُصَيٍّ: أبو الرُّوم بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَنافٍ بن عبد الدّار، وفِراسُ بن النَّضْر بن الحارث بن كَلَدة بن عَلقَمة بن عبد مَناف بن عبد الدّار؛ رجلانِ.

ومن بني زُهْرةَ بن كِلَاب بن مُرَّة: المُطَّلِبُ بن أزهَرَ بن عبد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة، معه امرأتُه رَمْلةُ بنتُ أبي عَوْف بن صُبَيرة[2] بن سُعَيد بن سَعْد ابن سَهْم، هَلَكَ بأرض الحَبَشة، وَلَدَت له هنالك عبدَ الله بن المُطَّلِب، فكان يقال: إن كان لَأوّلُ رجلٍ وَرِثَ أباه في الإسلام؛ رجلٌ.

ومن بني تَيْمِ بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيٍّ: عمرُو بن عثمان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْمٍ، قُتِلَ بالقادِسيَّةِ مع سعد بن أبي وَقّاصٍ؛ رجلٌ.

ومن بني مخزومِ بن يَقَظةَ بن مُرَّة بن كعبٍ: هَبّارُ بن سفيان بن عبد الأسَد، قُتِلَ

(١) هكذا في (ت) ونسخة على حاشية (م)، وفي سائر النسخ: كانتا، والصواب ما أثبتنا.
والظِّئر: هي المرضعة ولدَ غيرها، وزوجها ظئر لذلك الرّضيع، فلفظة الظِّئر تقع على الأنثى والذكر. قاله النوويّ في «شرح مسلم».

(٢) وفي بعض النسخ: ضُبيرة، بالضاد، وهما وجهان في اسمه.

بأجنادَينِ من أرض الشّام في خلافةِ أبي بكرٍ، وأخوه عبدُ الله بن سفيان، قُتِلَ عامَ اليرموك بالشّام في خلافةِ عمر بن الخَطّاب، يُشَكُّ فيه أَقُتِلَ ثَمَّ أم لا[1]، وهشامُ[2] ابن أبي حُذَيفة بن المغيرة؛ ثلاثةُ نَفَر.

ومن بني جُمَحَ بن عمرو بن هُصَيصِ بن كعبٍ: حاطبُ بن الحارث بن مَعمَر بن حَبيبِ بن وهبِ بن حُذَافة بن جُمَحَ، وابناه محمّدٌ والحارثُ، معه امرأتُه ابنةُ المُجلِّل، هَلَكَ حاطبٌ هنالك مُسلِماً، قَدِمَت امرأتُه وابناهُ - وهي أمُّهما - في إحدى السّفينتَينِ، وأخوه حَطّابُ بن الحارثِ، معه امرأتُه فُكَيهةُ بنتُ يَسارٍ، هَلَكَ هنالك مُسلِماً، قَدِمَت امرأتُه فُكَيهةُ في إحدى السّفينتَينِ، وسفيانُ بن مَعمَر بن حَبيبٍ، وابناه جُنَادةُ وجابرٌ، وأُمُّهما معه حَسَنةُ، وأخوهما لأُمّهما شُرَحبيلُ ابن حَسَنةَ، وهَلَكَ سفيانُ وهَلَكَ ابناه جُنادةُ وجابرٌ في خلافة عمر بن الخَطّاب؛ ستّةُ نَفَر.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: عبدُ الله بن الحارثِ بن قيس بن عَدِيّ بن سُعَيد[3] بن سَهْمٍ الشّاعرُ، هَلَكَ بأرض الحَبَشة، وقيسُ بن حُذَافة بن قيس ابن عَدِيّ بن سُعَيد بن سَهْم، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عَدِيّ بن سُعَيد بن

(١) ذكره فيمن استُشهد يوم اليرموك عروة بن الزبير والزهري وموسى بن عقبة كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر ٢٩/ ٦٩، وذكر عن الزبير بن بكار أن المُستشهَد باليرموك أخوه عُبيد الله، وكذلك قال ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» ص١٤٤.

(٢) ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٧٤٢ فقال: كان من مهاجرة الحبشة في قول ابن إسحاق والواقديّ، إلا أن الواقديَّ كان يقول: هاشم بن أبي حذيفة، ويقول: هشامٌ وَهْمٌ ممّن قاله، ولم يذكره موسى بن عُقبة ولا أبو مَعشَر فيمن هاجر إلى أرض الحبشة.

(٣) هكذا وقع لابن إسحاق في نسب بني عَديّ بن سَعْد بن سهم: سُعيد، مصغَّراً، وهو خطأ، والصواب: سَعْد بن سهم، كما قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ١/ ٢٨٦، وقد تقدم التنبيه على ذلك في أول الكتاب ١/ ٣٨٨-٣٨٩.

سَهْم، قُتِلَ يومَ اليَمَامةِ في خلافة أبي بكرٍ الصِّدِّيق، وعبدُ الله بن حُذَافة بن قيس بن عَدِيّ بن سُعَيد بن سَهْم، وهو رسولُ رسولِ الله ﷺ إلى كِسرَى، والحارثُ بن الحارثِ ابن قيس بن عَدِيٍّ، ومَعمَرُ بن الحارثِ بن قيس بن عَدِيٍّ، وبِشرُ بن الحارثِ بن قيس ابن عَدِيٍّ، وأخٌ له من أُمّه من بني تَميمٍ يقال له: سَعيدُ بن عمرٍو، قُتِلَ بأجنادَينِ في خلافة أبي بكرٍ، وسَعيدُ بن الحارثِ بن قيسٍ، قُتِلَ عامَ اليرموكِ في خلافة عمرَ بن الخَطّاب، والسّائبُ بن الحارثِ بن قيسٍ، جُرِحَ بالطّائف مع رسول الله ﷺ، قُتِلَ يومَ فِحْلٍ[1] في خلافة عمرَ بن الخَطّاب، ويقال: قُتِلَ يومَ خيبرَ، يُشَكُّ فيه، وعُمَيرُ بن رِئَاب بن حُذَيفة بن مُهشَّم بن سُعَيد بن سَهْم، قُتِلَ بعَيْنِ التَّمر[2] مع خالد بن الوليد مُنصَرَفَه من اليَمَامةِ في خلافة أبي بكرٍ؛ أحدَ عَشَرَ رجلاً.

ومن بني عَدِيِّ بن كعب بن لُؤَيٍّ: عُرْوةُ بن عبد العُزَّى بن حُرْثانَ بن عَوف بن عَبِيد بن عَوِيج بن عَديّ بن كعبٍ، هَلَكَ بأرض الحَبَشة، وعَديُّ بن نَضْلة بن عبد العُزَّى بن حُرْثانَ، هَلَكَ بأرض الحَبَشة؛ رجلانِ.

وقد كان مع عَديٍّ ابنُه النُّعمانُ بن عَديّ، فقَدِمَ النُّعمانُ مع مَن قَدِمَ من المسلمين من أرض الحَبَشة، فبَقِيَ حتّى كانت خلافةُ عمرَ بن الخَطّاب فاستَعمَلَه على مَيْسانَ من أرض البَصْرة[3]، فقال أبياتاً من شعرٍ، وهي:

---

(١) وكانت هذه الوقعة في آخر سنة ثلاث عشرة في ذي القَعْدة منها.

وفِحْل اليوم تُعرَف بطبقة فحل، وهي في شمال الأردنّ جنوب بحيرة طبريا، غربيّ مدينة إربد على قرابة ٢٧ كم منها.

(٢) بلدة في العراق غرب مدينة كربلاء على قرابة ٤٥ كم. وكانت هذه الوقعة في السنة الثانية عشرة. وأما اليمامة فقد تقدم التعريف بها ص٤٧-٤٨.

(٣) مَيسان: محافظة على نهر دجلة جنوب شرق العراق، مركزها مدينة العمارة التي تقع =

ألا هلْ أَتى الحَسناءَ أنّ حَليلَها ... بمَيْسانَ يُسقَى في زُجاجٍ وحَنتَمِ[1]

إذا شئتُ غَنَّتْني دَهاقِينُ قريةٍ ... ورَقّاصةٌ تَجذُو على كلِّ مَنسِمِ[2]

فإن كنتَ نَدْماني فبالأكبَرِ اسقِني ... ولا تَسقِني بالأصغرِ المُتَثلِّمِ[3]

لَعلَّ أميرَ المؤمنينَ يَسُوؤُهُ ... تَنادُمُنا في الجَوسَقِ المُتَهدِّمِ[4]

فلمّا بَلَغَت أبياتُه عمرَ قال: نَعَم والله، إنَّ ذلك لَيَسُوؤُني، فمَن لَقِيَه فليُخبِرْه أنّي قد عَزَلتُه. وعَزَلَه، فلمّا قَدِمَ عليه اعتَذَرَ إليه وقال: والله يا أميرَ المؤمنين، ما صَنَعتُ شيئاً ممّا بَلَغَك أنّي قلتُه قَطُّ، ولكنّي كنتُ امرَأً شاعراً وَجَدتُ فَضْلاً من قولٍ فقلتُ فيما يقول الشُّعراءُ، فقال له عمرُ: وايْمُ اللهِ، لا تَعمَلُ لي على عَمَلٍ ما بَقِيتُ وقد قلتَ ما قلتَ.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْرٍ: سَلِيطُ بن عمرو بن عبد شَمْس بن عبد وَدٍّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْلٍ[5]، وهو كان رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى هَوْذَةَ بن عليٍّ

= شمال غرب البصرة على قرابة ١٦٠ كم.

(١) الحليل: الزوج. والحنتم: جِرارٌ مصبوغة بخُضْرة تضرب إلى السواد.

(٢) الدّهاقين: جمع دِهقان، وهو شيخ القرية ورئيسها. تَجذُو، أي: تبرك على ركبتها، وذاله مُبدَلة من ثاءٍ أصله: تَجثُو.

ويعني بالمَنسِم هنا: طرف قدمها، وأصل المَنسِم للبعير، وهو طرف خُفِّه، فاستعاره هنا للإنسان.

(٣) النَّدمان، أي: النَّديم، وهو الصاحب في المجلس.

(٤) الجوسق: البُنيان العالي، ويقال: هو الحصن.

وذكر ابن عبد البر في ترجمة النعمان بن عديٍّ من «الاستيعاب» ص٧٢٠: أن هذه الأبيات كتبها إلى امرأته، وكان قد أرادها على الخروج معه إلى ميسان فأَبَتْ عليه.

(٥) زاد على حاشية (ش٢): بن عامر.

الحَنَفيِّ باليَمَامة[1]؛ رجلٌ.

ومن بني الحارثِ بن فِهْر بن مالكٍ: عثمانُ بن عبد غَنْم بن زهير بن أبي شدّادٍ، وسعدُ بن عبد قيس بن لَقِيطِ بن عامر بن أُميّة بن ظَرِبِ بن الحارث بن فِهْرٍ، وعِيَاضُ بن زهير بن أبي شدّادٍ؛ ثلاثةُ نَفَرٍ.

فجميعُ مَن تَخلَّفَ عن بدرٍ ولم يَقدَمْ على رسول الله ﷺ مكّةَ، ومَن قَدِمَ بعدَ ذلك، ومَن لم يَحمِلِ النَّجاشيُّ في السّفينتَينِ، أربعةٌ وثلاثون رجلاً.

وهذه تسميةُ جُمْلةِ مَن هَلَكَ منهم ومن أبنائهم بأرض الحَبَشة:

من بني عبد شَمْس بن عبد مَنافٍ: عُبيدُ الله بن جَحْش بن رِئابٍ حَليفُ بني أُميّة، مات بها نصرانيّاً.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيٍّ: عمرُو بن أُميّةَ بن الحارث بن أسَد.

ومن بني جُمَحَ: حاطبُ بن الحارث، وأخوه حَطّابُ بن الحارث.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: عبدُ الله بن الحارث بن قيس.

ومن بني عَدِيِّ بن كعب بن لُؤَيٍّ: عُرْوةُ بن عبد العُزَّى بن حُرْثانَ بن عَوفٍ، وعَديُّ بن نَضْلة؛ سبعةُ نَفَرٍ.

ومن أبنائهم: من بني تَيْم بن مُرَّةَ: موسى بنُ الحارث بن خالد بن صَخْر بن عامرٍ؛ رجلٌ.

وجميعُ مَن هاجَرَ إلى أرض الحَبَشة من النّساءِ، مَن قَدِمَ منهنَّ ومَن هَلَكَ هنالك ستَّ عَشْرةَ امرأةً سوى بناتِهنَّ اللّاتي وُلِدنَ هنالك، مَن قَدِمَ منهنَّ ومَن هَلَكَ هنالك ومَن خُرِجَ به معهُنَّ حين خَرَجنَ:

---

(١) وهوذة هذا كان رئيس اليمامة وصاحبها، ولم يُسلِم.

من قريشٍ: من بني هاشمٍ: رُقيَّةُ بنتُ رسول الله ﷺ.

ومن بني أُميّةَ: أمُّ حَبِيبة بنتُ أبي سفيانَ، معها ابنتُها حَبيبةُ، خَرَجَت بها من مكّة ورَجَعَت بها معها.

ومن بني مَخزومٍ: أمُّ سَلَمةَ ابنةُ أبي أُميّة، قَدِمَت معها بزَينَبَ، ابنتِها من أبي سَلَمة، وَلَدَتها هنالك.

ومن بني تَيْمِ بن مُرَّةَ: رَيْطةُ بنتُ الحارث بن جُبَيلة، هَلَكَت بالطّريقِ وبنتانِ لها كانت وَلَدَتهما هنالك: عائشةُ بنتُ الحارث، وزَينَبُ بنتُ الحارث، هَلَكنَ جميعاً وأخوهُنَّ موسى بن الحارثِ من ماءٍ شَرِبُوه بالطّريقِ، وقَدِمَت بنتٌ لها وَلَدَتها هنالك فلم يَبْقَ من ولدها غيرُها، يقال لها: فاطمة.

ومن بني سَهْم بن عمرٍو: رَمْلةُ بنتُ أبي عَوْف بن صُبَيرةَ.

ومن بني عَدِيِّ بن كعبٍ: ليلى بنتُ أبي حَثْمةَ بن غانم.

ومن بني عامر بن لُؤَيٍّ: سَوْدةُ بنتُ زَمْعة بن قيسٍ وسَهْلةُ بنتُ سُهَيل بن عمرٍو، وابنةُ المُجلِّل، وعَمْرةُ بنتُ السَّعْديّ بن وَقْدانَ، وأمُّ كُلثُومٍ بنتُ سُهَيل بن عمرو.

ومن غرائبِ العرب: أسماءُ بنتُ عُمَيس بن النُّعمان الخَثْعَميّةُ، وفاطمةُ بنتُ صفوانَ بن أُميّة بن مُحرِّثٍ الكِنانيّةُ، وفُكَيهةُ بنتُ يَسارٍ، وبَرَكةُ بنتُ يَسارٍ، وحَسَنةُ أمُّ شُرَحبيلَ ابنِ حَسَنةَ.

وهذه تسميةُ مَن وُلِدَ من أبنائهم بأرضِ الحَبَشة:

من بني هاشمٍ: عبدُ الله بن جعفر بن أبي طالبٍ.

ومن بني عبد شَمْسٍ: محمّدُ بن أبي حُذَيفة، وسعيدُ بن خالد بن سعيدٍ، وأُختُه أَمَةُ بنتُ خالد.

ومن بني مَخزُومٍ: زَينَبُ بنتُ أبي سَلَمة بن عبد الأسَد.

ومن بني زُهْرةَ: عبدُ الله بن المُطَّلِب بن أَزهَرَ.

ومن بني تَيْمٍ: موسى بنُ الحارث بن خالد، وأَخَواتُه عائشةُ بنتُ الحارث وفاطمةُ بنتُ الحارث وزَينَبُ بنتُ الحارث.

الرِّجالُ منهم خمسةٌ: عبدُ الله بن جعفرٍ، ومحمّدُ بن أبي حُذَيفةَ، وسعيدُ بن خالدٍ، وعبدُ الله بن المُطَّلِب، وموسى بن الحارث.

ومن النّساءِ خمسٌ: أَمَةُ بنتُ خالدٍ، وزَينَبُ بنتُ أبي سَلَمة، وعائشةُ وزَينَبُ وفاطمةُ بناتُ الحارثِ بن خالد بن صَخْر.

عُمْرةُ القَضاءِ

في ذي القَعْدة سنة سبعٍ[1]

قال ابن إسحاق: فلمّا رجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينة من خيبر، أقامَ بها شهرَيْ ربيعٍ وجُمادَيَينِ ورَجَباً وشعبانَ ورمضانَ وشوّالاً، يَبعَثُ فيما بين ذلك من غزوِه وسَرَاياهُ ﷺ، ثمّ خرج في ذي القَعْدة في الشَّهر الّذي صَدَّه فيه المشركون مُعتمِراً عُمرةَ القَضاءِ مكانَ عُمرتِه التي صَدُّوه عنها.

قال ابن هشام: واستَعمَلَ على المدينة عُوَيفَ بن الأضبَطِ الدِّيلِيّ.

ويقال لها: عُمْرةُ القِصَاص[2]، لأنّهم صَدُّوا رسولَ الله ﷺ في ذي القَعْدة في الشّهرِ الحرامِ من سنة ستٍّ، فاقتَصَّ رسولُ الله ﷺ منهم فدخل مكّةَ في ذي القَعْدة في الشّهرِ الحرامِ الذي صَدُّوه فيه من سنة سبعٍ.

بَلَغَنا عن ابن عبّاسٍ أنه قال: فأنزَلَ الله في ذلك ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾[3].

---

(١) قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٧/ ٢٥: سُمِّيَت عمرةَ القضاء، لأن النبي ﷺ قاضَى قريشاً عليها، لا لأنه قَضَى العمرة التي صُدَّ عن البيت فيها، فإنها لم تكُ فَسَدَت بصدِّهم عن البيت، بل كانت عمرةً تامّةً متقبَّلةً. اهـ

ويقال لها أيضاً: عمرة القَضيّة، وبه عَنوَن السهيليُّ، وتُسمَّى أيضاً عمرة الصُّلح، قاله الحاكم في «الإكليل». وانظر «فتح الباري» ١٢/ ٤٤٩ و٤٥١.

(٢) قال السهيليُّ: وهذا الاسم أَولى بها لقوله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة:١٩٤]، وهذه الآية فيها نزلت، فهذا الاسم أَولى بها.

قال ابن حجر في «الفتح» ١٢/ ٤٥١: فتَحصَّل من أسمائها أربعةٌ: القضاء، والقضيَّة، والقِصاص، والصُّلح.

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» ٣/ ٣٠٥ عن عكرمة عن ابن عباس، و٣/ ٣٠٨ عن عطية =

قال ابن إسحاق: وخرج معه المسلمون ممَّن كان صُدَّ معه في عُمرتِه تلك، وهي سنةُ سبعٍ، فلمّا سَمِعَ به أهلُ مكّةَ خَرَجوا عنه، وتَحدَّثَت قريشٌ بينها: أنّ محمّداً وأصحابَه في عُسْرةٍ وجَهْدٍ وشِدّةٍ.

قال ابن إسحاق: فحدّثني من لا أتَّهمُ عن ابن عبّاسٍ قال: صَفُّوا له عند دارِ النَّدْوةِ لِيَنظُروا إليه وإلى أصحابه، فلمّا دَخَلَ رسولُ الله ﷺ المسجدَ اضطَبَعَ بردائِه وأخرَجَ عَضُدَه اليُمنَى[1]، ثمّ قال: «رَحِمَ الله امرَأً أَراهُم اليومَ من نَفْسِه قُوّةً»، ثمّ استَلَمَ الرُّكنَ وخرج يُهَروِلُ[2] ويُهَروِلُ أصحابُه معه، حتّى إذا وارَاهُ البيتُ منهم واستَلَمَ الرُّكنَ اليَمَاني، مَشَى حتّى يَستلِمَ الرُّكنَ الأسودَ ثمّ هَروَلَ، كذلك ثلاثةُ أطوافٍ ومَشَى سائرَها.

فكان ابنُ عبّاسٍ يقول: كان الناسُ يَظُنّون أنّها ليست عليهم، وذلك أنّ رسولَ الله ﷺ إنّما صَنَعَها لهذا الحيِّ من قريشٍ للّذي بَلَغَه عنهم، حتّى إذا حَجَّ حَجّةَ الوداعِ فلَزِمَها، فمَضَتِ السُّنّةُ بها[3].

= العوفي عن ابن عباس، والواحديُّ في «أسباب النزول» (١٠٢) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والأسانيد الثلاثة ضعيفة لا تصح، لكن روي هذا القول في سبب النزول عن غير واحد من المفسِّرين كمجاهد وقتادة ومِقسَم والسُّدّي والضحّاك، وارتضاه الطبريُّ فبدأ به تفسيره لهذه الآية.

(١) اضطبع بردائه: أدخل بعضه تحت عَضُده اليمنى، وجعل طرفه على مَنكِبه الأيسر. والعَضُد: ما بين الذراع ورأس الكتف من اليد.

(٢) الهرولة: فوق المشي ودون الجري.

(٣) أصل الحديث صحيح، وإسناد ابن إسحاق فيه ضعيف جداً، فإن الواسطة المُبهَمة بينه وبين ابن عباس هنا قد بيَّنها سلمةُ بن الفضل في روايته عنه عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٢٣-٢٤ حيث رواه عنه عن الحسن بن عُمارة عن الحكم بن عُتيبة عن مِقسَم عن ابن عباس، والحسن =

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ[1]: أنّ رسولَ الله ﷺ حين دخل

= ابن عمارة هذا متَّفق على ضعفه.

لكن روي نحو حديثه هذا بإسناد قويٍّ عند أحمد (٢٧٨٢) وابن حبان (٣٨١٢) عن أبي الطُّفيل عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ لمّا نزل مرَّ الظَّهران في عُمرته، بلغ أصحابَ رسول الله ﷺ أنّ قريشاً تقول: ما يتباعثون من العَجَف (أي: ما يقومون من الضَّعف)، فقال أصحابه: لو انتَحَرْنا من ظَهْرنا (أي: من جِمالنا) فأكلنا من لحمه وحَسَونا من مَرَقه، أصبحنا غداً حين ندخل على القوم وبنا جمامة (أي: راحة وقوّة) قال: «لا تفعلوا، ولكن اجمَعُوا لي من أزوادِكم» فجمعوا له وبَسَطوا الأنطاع، فأكلوا حتى تولَّوا وحَثَا كلُّ واحد منهم في جِرَابه، ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد، وقَعَدَت قريشٌ نحو الحِجْر، فاضطَبَع بردائه ثم قال: «لا يرى القومُ فيكم غَمِيزةً» (أي: نقيصة يغمزونكم بها أو ضعفاً يطمعون به في محاربتكم) فاستلم الرُّكن ثم دخل حتى إذا تغيَّب بالركن اليماني مشى إلى الركن الأسود، فقالت قريش: ما يَرضَون بالمشي، إنهم ليَنقُزون نَقْزَ الظِّباء، ففعل ذلك ثلاثةَ أطواف، فكانت سُنّةً. قال أبو الطفيل: وأخبرني ابن عباس: أن النبي ﷺ فعل ذلك في حجّة الوداع.

وأخرج البخاري (٤٢٥٦) ومسلم (١٢٦٦)(٢٤٠) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه مكةَ وقد وَهَنَتهم حُمَّى يثرب، فقال المشركون: إنه يَقدَم عليكم غداً قوم قد وَهَنَتهم الحمَّى ولَقُوا منها شدّةً، فجلسوا ممّا يلي الحِجرَ، وأَمرهم النبي ﷺ أن يَرمُلوا ثلاثة أشواط ويَمشُوا ما بين الرُّكنين، ليرى المشركون جَلَدَهم، فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمّى قد وَهَنَتهم، هؤلاء أجلدُ من كذا وكذا. قال ابن عباس: ولم يمنعه أن يأمرهم أن يَرمُلوا الأشواطَ كلَّها إلا الإبقاءُ عليهم.

(١) وهو ابن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاري، وهو ثقة من صغار التابعين، فخبره هذا مرسل، وأغلب الظنّ أنه حمله عن أنس بن مالك، فهو من الرواة عنه، وقد ثبت هذا عن أنس كما سيأتي مع اختلاف في بعض الأبيات المقولة لابن رواحة.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٢٤، والطبراني في «الكبير» (٤١٦) و(١٤٩٩٩)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤١١٤)، والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٢٣ من طرق عن ابن إسحاق. =

مكّةَ في تلك العُمْرة، دخلها وعبدُ الله بن رَوَاحة آخِذٌ بخِطَام[1] ناقتِه يقول:

خَلُّوا بني الكُفّارِ عن سَبيلِهِ   خَلُّوا فكلُّ الخيرِ في رسولِهِ
يا رَبِّ إنّي مؤمنٌ بقِيلِهِ   أَعرِفُ حَقَّ اللهِ في قَبُولِهِ[2]
نحنُ قَتَلناكمْ على تأويلِهِ   كما قَتَلناكمْ على تنزيلِهِ[3]
ضرباً يُزيلُ الهامَ عن مَقِيلِهِ   ويُذهِلُ الخليلَ عن خليلِهِ

= وقد روي نحو هذا عن أنس من وجهين:

أحدهما: من طريق جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس. وفيه: أن ابن رواحة كان يقول:

خلُّوا بني الكفار عن سبيلهِ   اليوم نَضرِبْكم على تنزيلهِ
ضرباً يُزِيل الهامَ عن مَقِيلهِ   ويُذهِلُ الخليلَ عن خليلهِ

وزاد فيه: فقال له عمر: يا ابن رواحة، بين يدي رسول الله ﷺ وفي حَرَمِ الله تقول الشعرَ! فقال له النبي ﷺ: «خلِّ عنه يا عمر، فلهي أسرعُ فيهم من نَضْح النَّبْل». أخرجه الترمذي (٢٨٤٧)، والنسائي في «المجتبى» (٢٨٧٣) و(٢٨٩٣) وفي «الكبرى» (٣٨٤٢) و(٣٨٦٢)، وابن حبان (٥٧٨٨). وحسّن إسناده ابن حجر في «الإصابة» ٤/ ٨٥.

الثاني: من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن شهاب الزهري، عن أنس. دون زيادة قول عمر في آخره، وفيه أن ابن رواحة كان يقول:

خلُّوا بني الكفار عن سبيلهِ   قد أنزل القرآن في تنزيلهِ
بأنّ خير القتل في سبيلهِ

أخرجه ابن حبان (٤٥٢١) وغيره من طرق عن عبد الرزاق، ورجاله ثقات. فالظاهر أن ابن رواحة قال هذه الأبيات كلها، فروى بعضُ الرواة ما لم يروِ الآخرون، والله تعالى أعلم.

(١) الخِطام: الحبل الذي تقاد به الناقة.

(٢) قِيله، أي: قوله.

(٣) المراد بالتأويل: التفسير الباطل لآي القرآن وصرفها عن وجوهها التي أُنزلت فيها. وأما قوله: على تنزيله، أي: على إنكار تنزيله من الله والكفر بما فيه.

قال ابن هشام: نحنُ قَتَلناكم على تأويلِه، إلى آخر الأبياتِ لعَمّار بن ياسرٍ في غيرِ هذا اليوم[1]، والدّليلُ على ذلك أنّ ابنَ رَوَاحةَ إنّما أرادَ المشركين، والمشركون لم يُقِرُّوا بالتنزيل، وإنما يُقتَل على التأويل من أقَرَّ بالتّنزيل.

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبانُ بن صالحٍ وعبدُ الله بن أبي نَجِيح، عن عطاءِ بن أبي رَبَاحٍ ومجاهدٍ أبي الحَجّاج، عن ابن عبّاسٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ تَزوَّجَ ميمونةَ بنتَ الحارثِ في سَفَرِه ذلك وهو حَرامٌ[2]، وكان الذي زَوَّجَه إيّاها العبّاسُ بن عبد المُطَّلِب[3].

---

(١) يعني أن عمّاراً قالها يوم صِفِّين. وانظر مناقشة ابن حجر لهذه القضية في «فتح الباري» ١٢/ ٤٥٢.

(٢) أي: مُحرِم. وأراد بالتزوّج العقدَ عليها وليس الوطءَ. وانظر الكلام على حديث ابن عباس هذا مستوفًى في «فتح الباري» لابن حجر ١٥/ ٣٢٨-٣٣٠.

(٣) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٣٩٣)، وابن حبان (٤١٣٣)، والطبراني في «الكبير» (١١٤٠١) من طريق إبراهيم بن سعد، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٢/ ٢٦٩ من طريق هارون بن أبي عيسى، كلاهما عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. ولم يذكر أحمد وابن حبان والطحاوي فيه قصة العباس.

وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٣١٩٠) من طريق ابن أبي زائدة، عن ابن إسحاق، عن أبان بن صالح وحده، به. مختصراً دون قصة العباس. ورواه البخاري (٤٢٥٩) معلَّقاً عن ابن إسحاق.

وأما قصّة تزويج العباس إياها للنبيِّ ﷺ، فقد رواها أحمد (٢٤٤١) وغيره من طريق مِقسَم ابن بُجْرة، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ خطب ميمونةَ بنت الحارث، فجعلت أمرَها إلى العباس، فزوَّجها النبيَّ ﷺ. وفي إسناده لِينٌ لكنه صالحٌ للاعتبار.

وقصة تزوّج النبيِّ ﷺ ميمونةَ وهو محرم قد رواها غيرُ واحد من أصحاب ابن عباس عنه، كأبي الشعثاء جابر بن زيد عند أحمد (١٩١٩) والبخاري (٥١١٤) ومسلم (١٤١٠) وابن ماجه (١٩٦٥) والترمذي (٨٤٤) والنسائي في «المجتبى» (٢٨٣٧) وابن حبان (٤١٣١)، وعكرمةَ =

قال ابن هشام: وكانت جَعَلَت أمرَها إلى أُختها أمِّ الفَضْل، وكانت أمُّ الفضل تحت العبّاس، فجَعَلَت أمُّ الفضل أمرَها إلى العبّاس، فزَوَّجَها رسولَ الله ﷺ بمكّة، وأصدَقَها عن رسول الله ﷺ أربعَ مئةِ دِرهَم[1].

قال ابن إسحاق: فأقامَ رسولُ الله ﷺ بمكّة ثلاثاً، فأتاه حُوَيطِبُ بن عبد العُزَّى ابن أبي قيس بن عبد وَدِّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْلٍ في نَفَرٍ من قريشٍ في اليومِ الثّالث، وكانت قريشٌ قد وَكَّلَته بإخراجِ رسول الله ﷺ من مكّة، فقالوا: إنّه قد انقَضَى أجَلُك فاخرُجْ عنّا، فقال النبيُّ ﷺ: «وما عَليكُم لو تَرَكتُموني فأَعرَسْتُ بينَ أَظهُرِكم، وصَنَعْنا لكم طعاماً فحَضَرتُمُوه»، قالوا: لا حاجةَ لنا في طعامِك فاخرُجْ عنّا، فخرج رسولُ الله ﷺ، وخَلَّفَ أبا رافعٍ مَوْلاهُ على ميمونةَ حتّى أتاهُ بها بسَرِف[2] فبَنَى بها رسولُ الله ﷺ هنالك، ثمّ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحِجّة.

قال ابن هشام: فأنزَلَ الله عزَّ وجلَّ عليه فيما حدَّثني أبو عُبيدة: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧] يعني خَيبَر.

[يليه في الجزء الرابع: ذكر غزوة مؤتة]

= عند أحمد (٢٢٠٠) والبخاري (٤٢٥٨) وأبي داود (١٨٤٤) والترمذي (٨٤٢) والنسائي (٢٨٤٠)، وسعيدِ بن جبير عند أحمد (٣٠٢٩).

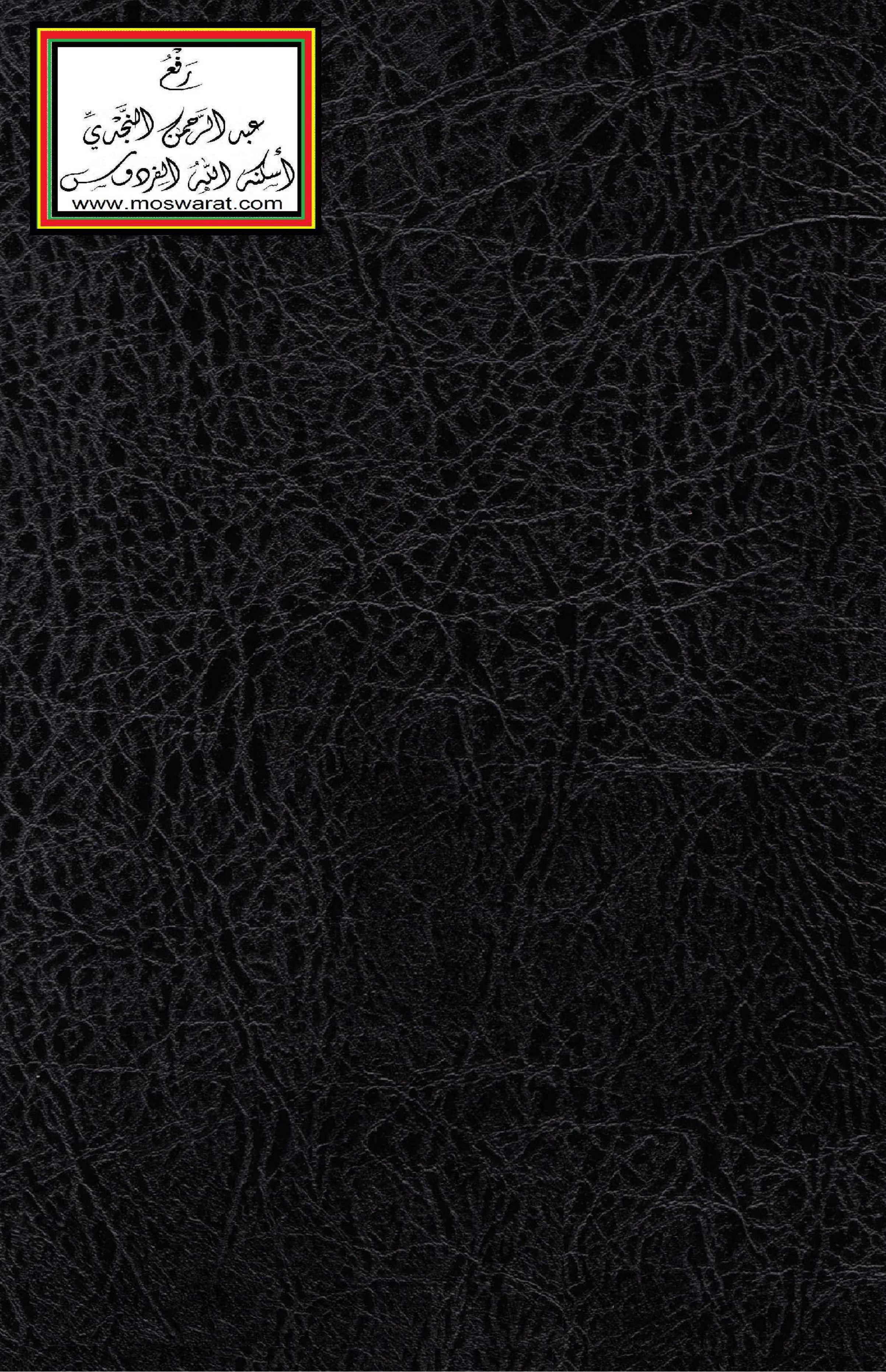
(١) لم نقف في شيء من الآثار على أن العباس أصدَقَها عن النبي ﷺ أربع مئة درهم.

(٢) سَرِف، يُصرَف ولا يُصرَف: يعرف هذا الموضع اليوم بالنوّارية، وهو حيٌّ من أحياء مكة في الشمال الغربي منها، يبعد عن الحرم قرابة ١٦ كم.

وهذا الخبر تتمة لحديث ابن عباس السابق كما وقع في روايتي الطحاوي والطبراني.

الفهرس


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com